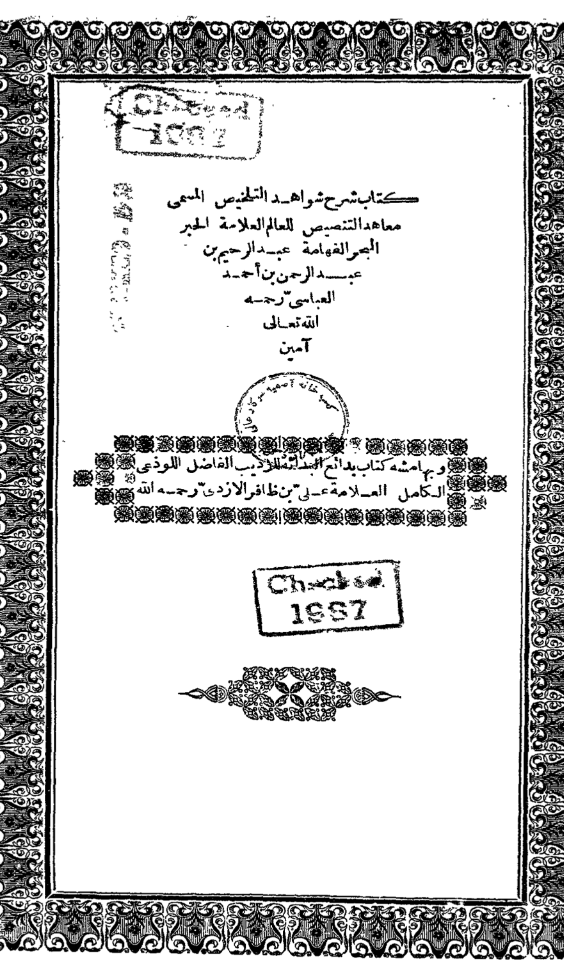
﴿فهرست الجزء الاول من كتاب معاهد التنصيص على شواهد التلخيص﴾

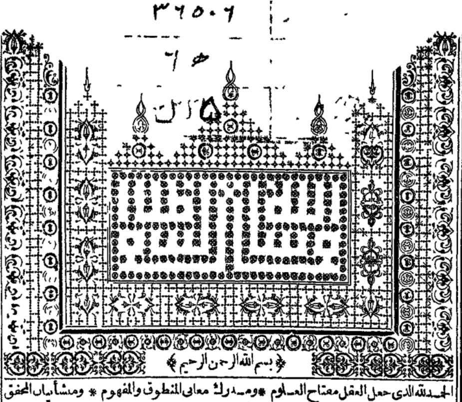
﴿تمت﴾



كتاب شرح شواهد التلخيص المسمى معاهد التنصيص

للعالم العلامة الحبر البحر الفهامة عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد العباسي رحمه الله تعالى آمين

وبهامشه كتاب بدائع البدائه للأديب الفاضل اللوذعي الكامل العلامة علي بن ظافر الأزدي رحمه الله



﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله الذى جعل العقل مفتاح العلوم * ومدرك معانى المنطوق والمفهوم * ومنشأ بيان المحقق والموهوم * ومظهر بديع المنثور والمنظوم * أحمده حمد من بجزيل نعمه اعترف * وأشكره شكر من ورد مناهل فضله واغترف * وأشهد أنه الرب الرحمن * الذى خلق الانسان وعلمه البيان * وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله * وحبيبه وخليله * الذى تلخص الدين بارشاده أحسن تلخيص * وتخلص متبع هديه من الجحيم أعظم تخليص * فكانت بعثته مفتاح باب الخيرات * والطريق الموصل الى منهج المبرات * صلى الله وسلم عليه وعلى آله الكرام * وصحبه الائمة الاعلام * ما أغرب مبتدئ ببديع النظام * وأعجب منتهٍ بحسن الختام ﴿وبعد﴾ فان الفقير الحقير * المعترف بالعجز والتقصير * نظر الله اليه بعين العفو والغفران * ورضى عنه أتم الرضوان * لما كان متحليا بحلية العلماء * مستشعرا اشعار الفضلاء * وبرد الشبيبة قشيب * وغصن الصبا رطيب * ومربع الامانى خصيب * والسعادة تلحظه عيونها * وتتوارد عليه أبكارها وعونها * لم يزل فى خدمة العلم وتآليفه * وترتيبه وتصنيفه * بقدر ما يصل اليه علمه القاصر * وحسب ما ينفذ فيه فهمه الفاتر * وكان من جملة ما حفظه من المتون * وعلق بخاطره من الفنون * كتاب تلخيص المفتاح * الذى هو فى بابه راحة الارواح * تغمد الله مؤلفه برحمته ورضوانه * وأسكنه بحابح جنانه * وفيه من الشواهد الشعرية ما يعزى للاقدمين * وما ينسب للمولدين * الا أن أكثرها مجهول الانساب * مغفول الاحساب * وربما عزاه بعض شارحى الكتاب لغير قائليه * ونسبه الى غير أبيه * اما للاشتباه فى الاوزان * أو تماثل فى المعانى * ولم أر من عمل على تلك الشواهد شرحا يشفى العليل * أو يروى الغليل * غير أن شيخنا المرحوم العلامة الجلال السيوطى سقى الله من صوب الرحمة ثراه * وأكرم منزله ومثواه * عمل على بعضها تعليقا لطيفا لم يكمله ولم يخرج عن مسودته وكثيرا ما كانت نفسى تنازعنى للتصدى لذلك * وأقول لها لست هنالك * وأعللها بالمواعيد * وهى تقرب الى البعيد * وتسول لى انه أقرب الى من حبل الوريد * فيقوى العزم * ويستعمل الجزم * ويهمل الاخذ بالحزم * الى أن آن أوانه * وحان ابانه * فشمرت عن ساعد الاجتهاد * واستعملت الجد فى تحصيل ذلك المراد * وسلكت فيه منهج الاختصار * ومدرج الاقتصار * ونصصت على أبحر تلك الشواهد العروضية * ووضعت فى كل شاهد منها ما يناسبه من نظائره الادبية * وذكرت ترجمة قائله الامام أطلع عليه بعد التفتيش فى

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ اللهم أسبل علينا سترك الجميل * وأسبغ لدينا عطاءك الجزيل * وامنحنا رضاك الذى هو غاية التأميل * واكفنا سخطك الذى هو النهاية فى التنكيل * واحرسنا بعينك * وأيدنا بعونك * واكنفنا بعزك * وصنا بحرزك * ووفقنا لذكرك وأعنا على حمدك وشكرك * فانه لا توفيق الا منك * ولا عون الا بك * ولا صيانة الا من عندك * ولا حراسة الا لمن شملته عنايتك * ولا سعادة الا لمن وسعته رحمتك * اللهم انك أمرت فعصينا * ونهيت فما انتهينا * وأضأت فما اهتدينا * وسننت فما اقتدينا * وندبتنا الى القرب منك فأبينا * ثقة بانك رؤف رحيم * واعتمادا على أنك لطيف حليم * وسكونا الى أنك عطوف كريم * فلا تخيب فيك الظن * ولا تكذب فيك الامل ولا تقطع أسباب الرجاء ولا تكلنا الى اقامة الحجة فانها داحضة ولا الى بسط المعذرة فانها قاصرة * وشفع فينا خاتم أنبيائك الذى هو سيدهم حقا * وآخرهم بعثا وأولهم خلقا * محمد الذى شرفت قدره * وشرحت بالنور صدره * ورفعت ذكره * وأذهبت

كتب الادب * والتحري والاستقصاء في الطلب * ومزجت فيه الجد بالهزل * والحزن بالسهل * وسميته بمعاهد التنصيص * على شواهد التلخيص * فجاء بحمد الله غريب الابتداع * عجيب الاختراع * بديع الترتيب * رائع التركيب * مفردا في فن الادب * كفيلا لمن تأمله بالعجب * وهو وان كان من جنس الفصول الذي ربما يستملي * أو هو يقول الحسود داخل في قسم المهمل سرفهو أمنية كان الخاطر يتمناها * وحاجة في نفس يعقوب قضاها * على انه لا يخلو من فائدة فريده * ويتمكن من مواطنها شريده * ودرة مستخرجة من قاع البحور * وشذرة تزين بها قلائد النحور * وعجائب تحل لها الحبا * وغرائب يقول لها العقل السليم مرحبا مرحبا * ولئن خالط هذا القول هوى النفس * أو ظن المغالاة به صادق الحدس

فالمرء مفتون بتأليفه * ونفسه في مدحه تيه
والفضل من ناظره أن يرى * ما قد حوى بالمقلة الراضيه
وان يجد عيبا يكن ساترا * عواره بالمنة الوافيه

ومن تأمله بعين الانصاف والرضى * شهد بصدق هذا الوصف وبصحته قضى * وحين سهل الله الوصول ثانيا الى الممالك الروميه * لا زالت من المكاره محميه * استوطنت منها قسطنطينية العظمى * لا زالت من الله في وقاية وحمى * اذ هي محل الكرم * وموطن النعم * ومحط الرحال * ومنتهى الآمال * ومشرق السعاده * وأفق السياده * وموسم الادباء * وحلبة الخطباء * ودار الاسلام * ومقر العلماء الاعلام * وتخت الملك العظيم الشان * ومحل الدولة والسلطان * لا زالت دار الاسلام والايمان * ومستقر الأمن والأمان * ما تعاقب الملوان * بدوام حياة سلطان العالم * وخير ملوك بني آدم * سليمان الزمان * وخاقان العصر والاوان * ومعمر آل عثمان * لا برحت دولته مخلدة خلود الابرار * في دار القرار * وسعادته مؤبدة مسلسلة الادوار * ما دار الفلك المدار * بتعاقب الليل والنهار * وكان من أعظم خبايا السعد * وعطايا الجد * أن شملته العنايه * وحفته الرعايه * بنظر فرد الدهر * وواحد العصر * وبكر عطارد * ونادرة الفلك * وتاريخ المجد * وغرة الزمان * وينبوع الخير والاحسان * العالم العلامه * والحبر البحر الفهامه * جامع أشتات المفاخر * والمتفرد بغايات المآثر * سيدنا ومولانا سعدي قاضي القضاة بتخت الملك قسطنطينية العظمى * فهو مولى تخفض همم الاقوال عن بلوغ أدنى فضائله ومعاليه * ويقصر جهد الوصف عن أيسر فواضله ومساعيه * حضرته مطلع الجود * ومقصد الوفود * وقبلة الآمال * ومحط الرحال * ومجمع الادباء * وحلبة الشعراء * ذو همة مقصورة على مجد يشيده * وانعام يجدده * وفاضل يصطنعه * وخامل وضعه الدهر فيرفعه * فاق الاقران * وساد الأعيان * فلا يدانيه مدان * ولو كان من بني عبد المدان * وليس يجاريه في مضمار الجود جواد * ولا يباريه في ارتياد السيادة مرتاد

ما كل من طلب المعالي نافذا * فيها ولا كل الرجال فحولا

لا زالت آي مجده بألسن الاقلام متلوه * وأبكار الافكار بديع معاليه مجلوه * وحين أناخ مطايا قصده * بأفناء سعده * صادف مولى حفيا * وظلا ضفيا * ومن تعار حبيبا * ومربعا خصيبا * وبشاشة وجه تسر القلوب * وطلاقة محيا تفرج الكروب * وتغفر للدهر ما جناه من الذنوب * مع ما يضاف لذلك من منظر وسيم * ومخبر كريم * وخلائق رقت وراقت * وطرائف علت وفاقت * وفضائل صحت مداركها * وشمائل صفت مشاربها * وسودد تثنى به عقود الخناصر * وتثنى عليه طيب العناصر * فحمد من صباح قصده السرى * وعلم أن كل الصيد في جوف الفرا

ان الكريم اذا قصدت جنابه * تلقاه طلق الوجه رحب المنزل

وها هو في ظل عزه رخي البال * منير الحال * آمن من صرفان الدهر * وحدثان القهر * يرتع في رياض فضله * ويجرع من طل جوده ووبله * قد عجز عن الشكر لسانه * وكل عن رقم الحمد بنانه * لم يفقد من مغنى رأفته ظلالا * ولم يقل لصيدح آماله انتجعي بلالا * وبه حقق قول القائل * من الاوائل

عمره * وأثبت بسره * وملأت بالنور سره وجهره * وصلى عليه صلاة تزيده نورا على نور * وتهدى لروحه الروح والسرور * واجعلها لي تجارة لن تبور * وعلى آله وأصحابه نجوم الهدى * ورجوم الردى * وسلم تسليما * (وبعد) فقد كنت في صدر عمري * وبدء أمري * نشطت لجمع أخبار الشعراء في البدائه والارتجال * ومحاسن أشعارهم في مضايق الاسراع والاعجال * وسمعت منها حكايات لم يرقها في الطرس بنان * ولم يطمثها قبلي انس ولا جان * فاوقفت عليها صدر ذلك الزمان * وسيد فضلاء ذلك الاوان * السيد الاجل الفاضل أبا علي عبد الرحيم ابن الحسن البيساني رحمه الله تعالى فحثني على الازدياد منها * والتطلب لها والبحث عنها * فاجتمع من ذلك جزء أحكمت ترتيبه * وهذبت تبويبه * (وسميته بدائع البدائه) * ورتبت الاخبار في كل باب منه على ترتيب الاعصار * وأعلمت كل حكاية أنا ناظم دررها * وناثر جوهرها * ومؤلف كلامها * ومثقف قوامها * كانت مسندة مسلسله * أو مهملة مرسله * بأن قلت بما هذا معناه وكل حكاية لي فيها عمل شعر أو اشتراك مع بعض الشعراء اقتصرت في

ولما انتجعنا الأجين نطاله * أعان وما عنى ومنّ ومامنا

وردنا عليه مقترين فراشنا * وردنا نداه مجدبين فأخصبنا

وجملة ما يقوله في العجز عن حمده وشكره * والثناء على جوده وبره

أما وجميل الصنع منه وانها * اليه بر مثلها لا يكفر

لو ان حقيقي جوّلت البرية ألسنا * وكنت بها أثني عليه وأشكر

ولست أوفي حق ذلك واغا * قيامابحق الشكر جهدي أشمر

وكان من جملة دواعي السعد * وبواعث الجد * أن شمل هذا التأليف * نظره الشريف * حين وصل الى حضرة مجده المنيف * فأظهر به اعجابا رفع من مقامه * ونصب فوق متن المجرة خوافق أعلامه * جريا على عادته النفيسة في جبر القلوب * وستر العيوب * فحين طرق السمع * خبر استحسانه لذلك الجمع * أحب الفقير أن يخدم حضرته العليه * وسدته السنيه * بنسخة منه لتكون مذكرة بحال الفقير ما دام في قيد الحياة * وسببا باعثا على الترحم عليه بعد الممات * وعساه يكون وسيلة للانتظام في سلكه * وذريعة الى الانحياز الى ملكه * والا فهو أقل من أن يشاع ذكره * أو يشاد قصره * وكيف يهدي الوشل الى البحر * أو الطل الى القطر * غير أن هواجس الفكر وخواطر الامل * متمسكة في قبوله بأذيال عسى ولعل * والذي يقوي في الظن بشيمه الزاكيه * تلقيه بالبشر ولحظه بالمقلة الراضيه * وهو يرجو أن يهب عليه نسيم قبول القلوب * ويؤمل أن يسبل ستر العفو على ما فيه من العيوب * وها هو يرفع أكف التضرع والابتهال * الى ذي العظمة والجلال * أن يبلغه من ذلك أقصى غاية الآمال * عنه وعنه

﴿شواهد المقدمة﴾

﴿غدائره مستشزرات الى العلا﴾

قائله امرؤ القيس وتمامه * تضل العقاص في مثنى ومرسل * وهو من البحر الطويل من القصيده المشهورة التي هي احدى المعلقات السبع أولها

قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل * بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها * لما نسجتها من جنوب وشمأل

وقوفا بها صحبي علي مطيهم * يقولون لا تهلك أسى وتجمل

وبيضة خدر لا يرام خباؤها * تمتعت من لهو بها غير معجل

تجاوزت أحراسا اليها ومعشرا * علي حراصا لو يسرون مقتلي

اذا ما الثريا في السماء تعرضت * تعرض أثناء الوشاح المفصل

فجئت وقد نضت لنوم ثيابها * لدى الستر الا لبسة المتفضل

فقالت يمين الله ما لك حيلة * وما ان أرى عنك الغواية تنجلي

خرجت بها أمشي تجر وراءنا * على اثرنا أذيال مرط مرحل

فلما أجزنا ساحة الحي وانتحى * بنا بطن خبت ذي حقاف عقنقل

هصرت بفودي رأسها فتمايلت * علي هضيم الكشح ريا المخلخل

مهفهفة بيضاء غير مفاضة * ترائبها مصقولة كالسجنجل

تصد وتبدي عن أسيل وتتقي * بناظرة من وحش وجرة مطفل

وجيد كجيد الريم ليس بفاحش * اذا هي نصته ولا بمعطل

وفرع يزين المتن أسود فاحم * أثيث كقنو النخلة المتعثكل

وبعده البيت والقصيدة طويلة وسيأتي طرف منها في شواهد الانشاء ان شاء الله تعالى والغدائر جمع غديرة الذوائب والاستشزار الرفع والارتفاع جميعا والفعل منه لازم ان كسرت زايه ومتعد ان فتحت والعلا

اعلامها على ذكر اسمي فقط وان كانت مصبوغة فصبغها مما وشي خاطري وشائعه * وأبدى بدائعه * فلما رأى ما اجتمع منه سر به واغتبط * وأكرم نزله فارتبط * وشرفني على صغر سني * ونضارة غصني * بأن انتسخه لخزانته * وحباه بحفظه وصيانته * ولم يزل ذلك الجزء عني منسي الذكر * وعندي خامل القدر * حتى مثلت بالجناب العالي الملكي الاشرفي أعز الله سلطانه في سنة ثلاث وستمائة وذلك قبل أن أتمسك بحبله * وآوي الى ظله * فجرى في مجلسه ذكر هذا الجزء فحسن من خاطره موضعه * وحل عنده موقعه * فرسم لي نقله وقد كنت في زمن فترتي جمعت أخبارا كثيرة قارب حجم الجزء الاول مجموعها * وفاق على كثير منه مسموعها * فجمعت شمل الطارف بالتليد * والقديم بالجديد * وأنفذت به اليه * وأوفدته عليه * ثم انني بعد ذلك التقطت فرائد لم تظفر بمثلها الاسماط * ووشائع لم تفز بشبهها الاسفاط * وبدائع لم يلق بقدرها الاغفال * وغرائب لم يعز بجمعها الاهمال * فدعتني النفس الطموح الى أن أنثر ذلك النظام * وأهصر ذلك القوام * وأضم شمل هذه الفرائد الجنية

جمع علياء تأنيث الاعلى وأراد الجهات العلا والعقاص جمع عقيصة وهي الخصلة من الشعر تأخذها المرأة فتلويها ثم تعقدها حتى يبقى فيها التواء ثم ترسلها والمثنى من الشعر وغيره ما ثنى والمرسل ضده (ومعنى البيت) أن حمته لكثرة شعرها بعضه مرفوع وبعضه مثنى وبعضه مرسل وبعضه معقوص ملوى بين المثنى والمرسل (والشاهد في البيت التنافر) وهو لفظة مستشزرات لثقلها على اللسان وعسر النطق بها (وامرؤ القيس) اسمه حندج بن حجر بن عمرو المقصور سمي بذلك لاتفاقه على ملك أبيه حندج والحندج في اللغة رملة طيبة تنبت ألوانا وأمه فاطمة وقيل تملل بنت ربيعة بن الحرث أخت كليب ومهلهل وكنية امرئ القيس أبو وهب وأبو الحرث ويلقب ذا القروح لقوله

وبدلت قرحا داميا بعد صحة * لعل منايانا تحولن أبؤسا

ويلقب الذائد أيضا لقوله أذود القوافي عني ذيادا ويقال له الملك الضليل ومعنى امرئ القيس رجل الشدة والقيس في اللغة الشدة وقيل القيس اسم صنم ولهذا كان الاصمعي يكره أن يروى قوله يا امرأ القيس فانزل ويرويه يا امرأ الله فانزل وهو الذي روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال فيه أشعر الشعراء وقائدهم الى النار وقيل في تأويله ان المراد شعراء الجاهلية والمشركين وهو أول من لطف المعاني ومن استوقف على الطلول وشبه النساء بالظباء والمها والبيض وشبه الخيل بالعقبان والعصي وفرق بين النسيب وما سواه من القصيد وأجاد الاستعارة والتشبيه (وكان من حديثه) أن أباه طرده لما قال الشعر وانما طرده من أجل زوجته هر وهي أم الحويرث التي كان امرؤ القيس يشبب بها في شعره وكان ينتقل في أحياء العرب ويستتبع صعاليكهم وذؤبانهم والعرب تطلق على اللصوص الذؤبان تشبيها بالذئاب وكان يغير بهم وكان أبوه ملك بني أسد فعسفهم عسفا شديدا فتمالؤا على قتله فلما بلغه قتل أبيه وكان يشرب الخمر قال ضيعني صغيرا وحملني ثقل الثأر كبيرا اليوم خمر وغدا أمر فأرسلها مثلا وقيل بل قال اليوم قحاف وغدا نقاف والقحاف من القحف وهو شدة الشرب والنقاف من نقف الهام اذا قطعها ثم انه جمع جمعا من بني بكر بن وائل وغيرهم من صعاليك العرب وخرج يريد بني أسد فخبرهم كاهنهم بخروجه اليهم فارتحلوا وتبعهم امرؤ القيس فأوقع ببني كنانة وكان بنو أسد قد لجأوا اليهم ثم ارتحلوا عنهم فقتلهم قتلا ذريعا وأقبل أصحابه يقولون يا لثارات الهمام فقالت عجوز منهم واللات أيها الملك ما نحن بثارك وانما ثارك بنو أسد وقد ارتحلوا فرفع القتل عنهم وقال

ألا يا لهف نفسي اثر قوم * هم كانوا الشفاء فلم يصابوا
وقاهم جدهم ببني علي * وبالاشقين ما كان العقاب
وأفلتهن علباء جريضا * ولو أدركنه صفر الوطاب

وقيل ان أصحابه اختلفوا عليه حين أوقع ببني كنانة وقالوا له أوقعت بقوم براء وظلمتهم فخرج الى اليمن الى بعض مقاولة حمير واسمه قرمل فاستجاشه فثبطه قرمل فذلك حيث يقول

وكنا أناسا قبل غزوة قرمل * ورثنا الغنى والمجد أكبر أكبرا

ثم خرج الى قيصر بعد أن أودع أدراعه وكراعه السموءل بن عاديا فذلك حيث يقول

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه * وأيقن أنا لاحقان بقيصرا
فقلت له لا تبك عينك انما * نحاول ملكا أو نموت فنعذرا

وصاحبه عمرو بن قميئة الشاعر وهو من بني قيس بن ثعلبة وكان قد طوى عنه الخبر حتى جاوز الدرب فلما وصل الى قيصر استغاث به فوعده أن يرفده بجيش وكان امرؤ القيس جميل الوجه وكان لقيصر ابنة جميلة فأشرفت يوما من قصرها فرآها امرؤ القيس في دخوله الى أبيها فتعلق بها وراسلها فأجابته الى ما سأل فذلك حيث يقول لما وصل اليها

فقلت يمين الله أبرح قاعدا * ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي

القطاف * المنوّمة الثقاف * الى تلك الفرائد المنتظمة العقود * المتممة البرود * جعلت أفكر في ضعف الغرائز البشرية * والجبلات الانسانية * ورغبتها أبدا في الزياده * وحرصها على بلوغ الغايه * واغتباطها بالشيء حتى اذا حصلته وظفرت به وأنشبت مخالبها فيه مالت الى الملل * ولحقت لسآمته العلل * وطلبت ما يرتفع عنه * وسخطت ما كانت رضيته منه * ونفسي تهوّن خطب التنقل * وصعب التبدّل والتحوّل * وترغب في تتميم الناقص وجمع المتفرق وضم المنتشر المتبدد وتقول لابد لكل ثانية من ثالثه * وتعدّ بانها لا تعود في عقد هذه العربية نافثه * وتنشد قول القائل ولربما نثر الجمان تعمدا * ليعود أحسن في النظام وأجملا وتقيم العذر بان تلك النسخة وقعت بين سمع الارض وبصرها * حيث لم يوقف على أثرها ولم يسمع بخبرها * وضاعت بين الباب والطاق * ولم تظفر بقبول ولا نفاق * ولو كانت حصلت في الخزائن المولوية السلطانيه * الملكية الكاملية الناصريه * شرفها الله لتوشحت صدور مجالسه بعقودها * وتزينت معاطف مذاكرته ببرودها * ولدارت كؤوسها * وجليت عروسها * ولأشرقت

وقيل ان أباها زوجه اياها وقد كان شق الى قيصر رجل من بني أسد يقال له الطماح فوشى به الى قيصر فوجه معه جيشا ثم أتبعه رجلا معه حلة مسمومة وقال له اقرأ عليه السلام وقل له ان الملك قد بعث اليك بحلة قد لبسها ليكرمك بها وأدخله الحمام فاذا خرج فألبسه اياها ففعل فتمعط بدنه وكان يحمل في محفة فذلك حيث يقول لقد طمح الطماح من بعد أرضه * ليلبسني من دائه ما تلبسا

وكان الطماح قبل ذلك فجر بامرأة من قومه فسعي به فهرب فأراد أن يسعى به أن يسعى به ثم ان امرأ القيس لما بلغ أنقرة طعن في ابطه وارفض عنه أصحابه وكان نزوله الى جانب جبل والى جانبه قبر لابنة بعض الملوك فسأل عنه فأخبر فقال

أجارتنا ان الخطوب تنوب * واني مقيم ما أقام عسيب
أجارتنا انا غريبان ههنا * وكل غريب للغريب نسيب
فان تصليني تسعدي بمودتي * وان تقطعيني فالغريب غريب

ثم مات هنالك فدفن بأنقرة وكان آخر ما تكلم به

رب طعنة مثعنجره * وخطبة مستحضره * وجفنة مدعثره * وقصيدة محبره * تبقى غدا بأنقره

﴿وفاحما ومرسنا مسرجا﴾

قائله رؤبة بن العجاج وهو من بحر الرجز من أرجوزة طويلة أولها

ماهاج أشجانا وشجوا قد شجا * من طلل كالأتحمي أنهجا
أمسى لها في الرامسات مدرجا * واتخذته النائحات منأجا
منازل هيجن من تهيجا * من آل ليلى قد عفون حججا
والسخط قطاع رجاء من رجا * أزمان أبدت واضحا مفلجا
أغر براقا وطرفا أبرجا * ومقلة وحاجبا مزججا

وبعده البيت وبعده وكفلا وعثا اذا ترجرجا

الفاحم الأسود وأراد شعرا فاحما فحذف الموصوف وأقام الصفة مقامه والمرسن بفتح السين وكسرها الانف الذي يشد بالرسن ثم استعير لأنف الانسان ومسرجا مختلف في تخريجه فقيل من سرجه تسريجا بهجه وحسنه وقيل من قولهم سيوف سريجية منسوبة الى قين يقال له سريج شبه بها الانف في الدقة والاستواء وقيل من السراج وهو قريب من قولهم سرج وجهه بكسر الراء أي حسن والزجج دقة الحاجبين والمعنى ان لهذه المرأة الموصوفة مقلة سوداء وحاجبا مدققا مقوسا وشعرا أسود وأنفا كالسيف السريجي في دقته واستوائه أو كالسراج في بريقه وضيائه (والشاهد فيه) الغرابة في مسرجا للاختلاف في تخريجه (ورؤبة) قائل هذا البيت هو أبو محمد بن العجاج واسمه عبد الله البصري التميمي السعدي سمي باسم قطعة من الخشب يشعب بها الاناء وهي بضم الراء وسكون الهمزة وفتح الباء الموحدة وبعدها هاء ساكنة وهو وأبوه راجزان مشهوران كل منهما له ديوان رجز ليس فيه شعر سوى الاراجيز وهما مجيدان وكان رؤبة هذا بصيرا باللغة قيما بحوشيها وغريبها (حكى) يونس بن حبيب النحوي قال كنت عند أبي عمرو بن العلاء فجاء شبيل بن عروة الضبعي فقام اليه أبو عمرو وألقى له لبد بغلته فجلس عليه ثم أقبل عليه يحدثه فقال شبيل يا أبا عمرو سألت رؤبتكم عن اشتقاق اسمه فما عرفه يعني رؤبة قال يونس فلم أملك نفسي عند ذكره فقلت لعلك تظن أن معد بن عدنان أفصح منه ومن أبيه أفتعرف أنت ما الروبة والروبة والروبة والروبة والروبة وأنا غلام رؤبة فلم يحر جوابا وقام مغضبا فأقبل علي أبو عمرو وقال هذا رجل شريف يقصد مجالسنا ويقضي حقوقنا وقد أسأت فيما فعلت مما واجهته به فقلت لم أملك نفسي عند ذكر رؤبة فقال أبو عمرو أو سلطت على تقويم الناس ثم فسر يونس ما قاله فقال الروبة خميرة اللبن والروبة قطعة من الليل والروبة الحاجة يقال فلان ما يقوم بروبة أهله أي بما أسندوا اليه من حوائجهم والروبة

زواهرها * وعمقت أزاهرها * وأسارت شواردها * وطارت أوابدها * كيف لا والعضر بجلاله قد طنب خيامه * وشق كمامه وأسكب غمامه * وأفعم رياضه * وأتم حياضه * وهو أدام الله أيامه ولي العهد ووارث الملك * وواسطة السلك * وهو الذي سارت قصائدك اليه * وأحلتك آمالك فيه لديه * وعلى بابه تخرجت * ومنه تدرجت * واليه لما نبت بك البلاد عرجت * فرجعت الى الجناب الذي اطلع هلالك حتى صار بدرا * وأجرى جدولك حتى عاد نهرا * ورأيت منه ملكا الا أنه بشر * وأسدا الا أنه قمر * وبحرا بيد أنه يسطو من سيفه بنهر * ولقيت منه بحر العطاء الذي يذخر مده * وليث السطاء الذي يحذر شده * فحين ظهرت غرر هذا الحق وأوضاحه * وأنار مصباحه بل اصباحه * ضم المملوك جميع ما حصله من بدائع البدائه أولا وفرطا * وآخرا ووسطا * ورتب الجميع على الشرط الاول من ترتيب الحكايات والاخبار * على ترتيب الاعصار * الا ما يقتضي تقديمه فرط مشابهة ومشاكله * وزيادة مقاربة ومماثله * وهو فن لم يجمعه قبلي أحد * ولا سطرته قبل يدي يد * وقد عمل المملوك منه القد

حمام ماء الفصل والرؤبة بالهمز القطعة التي يشعب بها الاناء والجميع بضم الراء وسكون الواو الا رؤبة فانه بالهمز وقيل ليونس من أشعر الناس فقال العجاج ورؤبة فقيل له لم نعن الرجاز قال هما أشعر أهل القصيد وانما الشعر كلام وأجوده أشعره قال العجاج * قد جبر الدين الاله فجبر * فهي نحو من مائتي بيت موقوفة القوافي ولو أطلقت قوافيها كلها لكانت منصوبة وكذلك عامة أراجيزهما وعن ابن قتيبة قال كان رؤبة يأكل الفأر فعوتب في ذلك فقال هي والله أنظف من دواجنكم ودجاجكم اللاتي تأكل العذرة وهل يأكل الفأر الا نقي البر ولباب الطعام وحدث أبو زيد الانصاري النحوي قال دخل رؤبة ابن العجاج السوق وعليه برنكاني أخضر فجعل الصبيان يعبثون به ويغرزون شوك النخل في برنكانه ويصيحون به يا مردوم يا مردوم فجاء الى الوالي فقال أرسل معي الوزعة فان الصبيان قد حالوا بيني وبين السوق فأرسل معه أعوانا فشد على الصبيان وهو يقول

احمى على أمك بالمردوم * أعور جعد من بني تميم * شراب ألبان خلايا كوم

قال فجعلوا يعدون بين يديه حتى دخلوا دارا في الصيارفة فقال له الشرطي أين هم قال دخلوا دار الظالمين فسميت الى الآن دار الظالمين لقول رؤبة وهي في صيارفة سوق البصرة

(وعن المدائني) قال قدم البصرة راجز من رجاز المدينة فجلس الى حلقة فيها الشعراء فقال أنا أرجز العرب أنا الذي أقول

مروان يعطي وسعيد يمنع * مروان نبع وسعيد خروع

وددت اني راهنت من أحب في الرجز يدا بيد والله لأنا أرجز من العجاج فليت البصرة جمعت بيني وبينه قال والعجاج حاضر وابنه رؤبة معه فأقبل رؤبة على أبيه فقال قد أنصفك الرجل فأقبل عليه العجاج فقال ها أنا ذا العجاج فهلم وزحف اليه فقال وأي العجاجين أنت قال ما خلتك تعني غيري أنا أبو عبد الله الطويل وكان يكنى بذلك فقال له المدني ما عنيتك ولا أردتك قال كيف وقد هتفت باسمي قال أو ما في الدنيا عجاج سواك قال ما علمت قال ولكني أعلم واياه عنيت قال فهذا ابني رؤبة قال اللهم غفرا ما بيني وبينكما عمل وانما مرادي غير كما قال فضحك أهل الحلقة وكفا عنه (وعن) عبد الرحمن بن محمد بن علقمة قال أخرج شاهين ابن عبد الله الثقفي رؤبة معه الى أرضه فقعدوا يلعبون بالنرد فلما أتوا بالخوان قال رؤبة فيه

يا حوتي جاء الخوان فارفعوا * حنانة كعابها تقعقع * لم أدر ما ثلاثها والاربع

قال فضحكا ورفعاها وقدم الطعام وكان رؤبة مقيما بالبصرة فلما ظهر بها ابراهيم بن عبد الله بن الحسن ابن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه على المنصور وجرت الواقعة المشهورة خاف رؤبة على نفسه وخرج الى البادية ليجتنب الفتنة فلما وصل الى الناحية التي قصدها أدركه أجله بها فتوفي في سنة خمس وأربعين ومائة وهذا يخالف ما رواه يعقوب بن داود قال لقيت الخليل بن أحمد يوما بالبصرة فقال يا أبا عبد الله دفنا الشعر واللغة والفصاحة اليوم فقلت له كيف ذلك قال حين انصرفت من جنازة رؤبة بن العجاج وكان قد أسن رحمه الله وقد سمع أباه وأبوه سمع أبا هريرة رضي الله عنه (وقال النسائي) وليس هو بالقوي وقد روى رؤبة بن العجاج عن أبي الشعثاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر وحاد يحدو

طاف الخيالان فهاجا سقما * خيال لبنى وخيال تكتما
قامت تريك خشية أن تصرما * ساقا بخنداة وكعبا أدرما

والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع ولا ينكر وحدث أبو عبيدة الحداد قال حدثنا رؤبة بن العجاج قال سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول السواك يذهب وضر الطعام وهذا الحديث يدل على انه سمع من أبي هريرة رضي الله عنه والله أعلم ومن شعره

أيها الشامت المعير بالشيب * أقلن بالشباب افتخارا
قد لبست الشباب غضا طريا * فوجدت الشباب ثوبا معارا

(الحمد لله العلي الاجلل)

قائله أبو النجم وهو من بحر الرجز من أرجوزة طويلة وبعده

في فنه * الى الفذ في سلطانه * والغريب في حسنه * الى الغريب في احسانه * وجملة ما في هذا الكتاب * لا تعدو ما في خمسة أبواب

(الباب الاول) في بدائع بدائه الاجوبة

(الباب الثاني) في بدائع بدائه الاجازة

(الباب الثالث) في بدائع بدائه التمليط

(الباب الرابع) في بدائع بدائه الاجتماع على العمل في مقصود واحد

(الباب الخامس) في بقية بدائع البدائه

ولا بد من تقدمة فصلين قبل سياقة الابواب أحدهما في اشتقاق البديهة والارتجال * والثاني في في الفرق بينهما

(الفصل الاول في الارتجال)

الارتجال مأخوذ من الانصباب والسهولة ومنه قيل شعر رجل اذا كان سبطا غير جعد ومسترسلا غير منقبض وقيل من ارتجال البئر وهو أن ينزلها الرجل برجليه من غير حبل فكأنهم شبهوا اقتدار الشاعر على القول من غير فكرة ولا أهبة باقتدار نازل البئر على النزول من غير حبل ولا آلة * والبديهة مشتقة من بده يبده بمعنى بدأ يبدأ أبدلوا الهمزة هاء لقربها منها كما قالوا الهنك بمعنى لانك وكما أبدلوا الحاء

الواهب الفضل الوهوب المجزل * أعطى فلم يبخل ولم يبخل

(والشاهد فيه) مخالفة القياس اللغوى فى قوله الاجلل اذ القياس الاجل بالادغام وأبو النجم اسمه الفضل ابن قدامة بن عبيد الله العجلى وهو من رجاز الاسلام والفحول المتقدمين فى الطبقة الاولى منهم وفد على هشام بن عبد الملك وقد طعن فى السن فقال يا أبا النجم حدثنى قال أعنى أو عن غيرى قال بل عنك قال انى لما كبرت عرض لى البول فوضعت عند رجلى شيأ أبول فيه فقمت من الليل أبول فخرج منى صوت فتشددت ثم عدت فخرج منى صوت آخر فأويت الى فراشى وقلت يا أم الخيار هل سمعت شيأ قالت لا والله ولا واحدة منهما فضحك هشام (وعن أبى عبيدة) قال مازالت الشعراء تقصر بالرجاز حتى قال أبو النجم الحمد لله العلى الاجلل وقال العجاج * قد جبر الدين الاله فجبر * وقال رؤبة وقاتم الاعماق خاوى المخترق فانتصفوا منهم وعن أبى عمرو الشيبانى قال قال فتيان من عجل لابى النجم هذا رؤبة بالمربد يجلس فيسمع شعره وينشد الناس ويجتمع اليه فتيان بنى تميم قال أوتحبون ذلك قالوا نعم قال فائتونى بشئ من نبيذ فأتوه به فشربه ثم انتفض فقال

اذا اصطبحت أربعا عرفتنى * ثم تجشمت الذى جشمتنى

فلما رآه رؤبة أعظمه وقام له عن مكانه وقال هذا رجاز العرب وسألوه أن ينشدهم فأنشدهم

الحمد لله العلى الاجلل * وكان من أحسن الناس انشادا فلما فرغ منها قال له رؤبة هذه ام الرجز ثم قال يا أبا النجم قربت مرعاها اذ جعلتها بين رجل وابنه يوهم عليه انه حيث قال

تبقلت من أول التبقل * بين رماحى مالك ونهشل

انه يريد نهشل بن مالك بن حنظلة بن زيد مناة فقال له أبو النجم هيهات الكمر تتشابه أى انما أريد مالك ابن ضبيعة بن قيس ونهشل قبيلة من ربيعة وعن أبى برزة المربدى قال خرج العجاج محتفلا عليه جبة خز وعمامة خز على ناقة له قد أجاد رحلها حتى وقف بالمربد والناس مجتمعون عليه وأنشدهم

قد جبر الدين الاله فجبر * وذكر فيها ربيعة فهجاهم فجاء رجل من بنى بكر بن وائل الى أبى النجم وهو فى بيته فقال أنت جالس وهذا العجاج يهجونا فى المربد وقد اجتمع عليه الناس فقال صف لى حاله وزيه الذى هو فيه فوصفه له فقال ابغنى جملا طحانا قد أكثر عليه من الهناء فجاءه بالجمل وأخذ سراويل له فجعل احدى رجليه فى السراويل واتزر بالاخرى وركب الجمل ودفع خطامه الى من يقوده فانطلق حتى أتى المربد فلما دنا من العجاج قال اخلع خطامه فخلعه وأنشد * تذكر القلب وجهلا ماذكر * فجعل الجمل يدنو من الناقة ويتشممها ويتباعد عنه العجاج لئلا يفسد ثيابه ورحله بالقطران حتى بلغ قوله

شيطانه أنثى وشيطانى ذكر * فعلق الناس هذا البيت وهرب العجاج منه ووفد أبو النجم على هشام ابن عبد الملك فى الشعراء فقال لهم هشام صفوا الابل فقيطوها وأوردوها وأصدروها حتى كأنى أنظر اليها فأنشدوه وأنشده أبو النجم * الحمد لله العلى الاجلل * حتى بلغ الى ذكر الشمس فقال فهى على الافق كعين فأراد أن يقول الاحول ثم ذكر حول هشام فلم يتم البيت وأرتج عليه فقال هشام أجز فقال كعين الاحول وأتم القصيدة فأمر هشام بوجء عنقه واخراجه من الرصافة وقال لصاحب شرطته يا ربيع اياك وأن أرى هذا مكانه فكره صاحب شرطته أن يقره فعمل فكان يصيب من فضول أطعمة الناس ويأوى المساجد قال أبو النجم ولم يكن بالرصافة أحد يضيف الا سليم بن كيسان الكلبى وعمرو بن بسطام التغلبى فكنت آتى سليما فأتغدى عنده وآتى عمروا فأتعشى عنده وآتى المسجد فأبيت قال فاهتم هشام ليلة وأمسى لقس النفس وأراد محدثا يحدثه فقال لخادم ابغنى محدثا أعرابيا أهوج شاعرا يروى الشعر فخرج الخادم الى المسجد فاذا هو بأبى النجم فضربه برجله وقال قم أجب أمير المؤمنين فقال انى رجل أعرابى غريب فقال اياك أبغى هل تروى الشعر قال نعم وأقوله فأقبل به حتى أدخله القصر وأغلق الباب قال وأيقن أبو النجم بالشر ثم مضى به فأدخله على هشام فى بيت صغير بينه وبين نسائه ستر رقيق والشمع بين يديه يزهر فلما دخل قال له هشام أبو النجم قال نعم يا أمير المؤمنين طريدك قال اجلس فسأله

أيضا بالهاء لقربها منها فقالوا مدح ومده واشتقاقا الارتجال والبديهة وان كانا متقاربين الا أن أهل هذه الصناعة ميزوا كل واحد منهما عن الآخر بما سنذكره فى الفصل الثانى

﴿الفصل الثانى﴾

الارتجال هو أن ينظم الشاعر ما ينظم فى أوحى من خطف البارق واختطاف السارق وأسرع من التماح العاشق ونفوذ السهم المارق حتى يخال ما يعمل محفوظا أو مرئيا ملحوظا من غير حاجة الى كتابة ولا تمهل بتقفيه وتمرد عند ذلك قضية الحال باختراع الوزن والقافيه وهم الشهود العدول الذين يجب الرجوع اليهم ولا يجوز عنهم العدول بالشهادة على استطاعته وأن ذلك المنظوم ابن ساعته * والبديهة أن ينزل عن هذه الطبقة قليلا ويمكر مقصر الامطيلا فان أطال ذو البديهة الفكرة انعكست القضيه وخرجت من حد البديهة الى حد الرويه وعند ذلك تقصر نهضة الاقتدار عن بلوغ ذلك المضمار اذ المرتجل والباده يقنع منهما بالردىء اليسير ولا يقنع من المروى الا بالجيد الكثير وكذلك فى ذكرهما قول ابن المعتز

وقال له أين كنت تأوي وأين منزلك فأخبره قال وكيف اجتماعك قال كنت أتغدى عند هذا وأتعشى عند الآخر قال وأين كنت تبيت قال في المسجد حيث وجدني رسولك قال ومالك من الولد والمال قال أما المال فلا مال لي وأما الولد فلي ثلاث بنات وبني يقال له شيبان فقال هل أخرجت من بناتك أحدا قال نعم زوجت اثنتين وبقيت واحدة تجمز في أبياتنا كأنها نعامة قال وما أوصيت به الاولى وكانت تسمى برة بالراء فقال

أوصيت من برة قلبا حرا * بالكلب خيرا والحماة شرا
لا تسأمي ضربا لها وجرا * حتى ترى حلو الحياة مرا
وان كستك ذهبا ودرا * والحي عمهم بشر طرا

فضحك هشام وقال فما قلت للاخرى قال قلت

سبي الحماة وابهتي عليها * وان دنت فازدلفي اليها * وأوجعي بالفهر ركبتيها
ومرفقيها واضربي جنبيها * وظاهري البدي لها عليها * لا تخبري الدهر به ابنتيها

قال فضحك هشام حتى بدت نواجذه وسقط على قفاه وقال ويحك ما هذه وصية يعقوب عليه السلام ولده فقال ولا أنا كيعقوب يا أمير المؤمنين قال فما قلت للثالثة قال قلت

أوصيك يا بنتي فاني ذاهب * أوصيك أن تحمدك الاقارب * والجار والضيف الكريم الساغب
ويرجع المسكين وهو خائب * ولا تني أظفارك السلاهب * لهن في وجه الحماة كاتب
* والزوج ان الزوج بئس الصاحب *

قال فكيف قلت هذا ولم تتزوج وأي شيء قلت في تأخر تزويجها قال قلت

كأن ظلامة أخت شيبان * يتيمة ووالداها حيان
الرأس قمل كله وصئبان * وليس في الساقين الا خيطان
* تلك التي يفزع منها الشيطان *

قال فضحك هشام حتى ضحك النساء لضحكه وقال للخصي كم بقي من نفقتك قال ثلثمائة دينار قال أعطه اياها ليجعلها في رجل ظلامة مكان الخيطين ﴿ودخل﴾ أبو النجم يوما على هشام وقد مضت له سبعون سنة فقال له هشام ما رأيك في النساء قال اني لا نظر اليهن شزرا وينظرن الي خزرا فوهب له جارية وقال له اغد علي فأخبرني ما كان منك فلما أصبح غدا عليه فقال له ما صنعت شيأ ولا قدرت على شيء وقلت في ذلك أبياتا

نظرت فأعجبها الذي في درعها * من حسنه ونظرت في سرباليا
فرأيت منتشر العجان مقلصا * رخوا مفاصله وجلدا باليا
أدني له الركب الحليق كأنما * ادني اليه عقاربا وأفاعيا
ان المدامة والسدامة فاعلمي * لو قد خبرتك للواتي حاليا
ما بال رأسك من ورائي طالعا * أطمعت أن حر الفتاة ورائيا
فاذهب فانك ميت لا ترتجى * أبد الابيد ولو عمرت لياليا
أنت الغرور اذا خبرت ورعا * كان الغرور لمن رجاه شافيا
لكن ايري لا يرجى نفعه * حتى أعود أخا فناء ناسيا

فضحك هشام وأمر له بجائزة أخرى ﴿وحدث﴾ أبو الازهر ابن بنت أبي الصم عن أبي أمه أنه كان عند عبد الملك بن مروان ويقال عند سليمان بن عبد الملك يوما وعنده جماعة من الشعراء وكان أبو النجم فيهم والفرزدق وجارية واقفة على رأس سليمان أو عبد الملك تذب عنه فقال من صبحني بقصيدة يفتخر فيها وصدق في فخره وهبته هذه الجارية قال فقاموا على ذلك ثم قالوا ان أبا النجم يغلبنا بمقطعاته يعنون الرجز

والفكر قبل القول يؤمن زيغه
شتان بين رويه وبديه
(وقول ابن جريج)
نار الروية نار جد منضجة
وللبديهة نار ذات تلويح
وقد يفضلها قوم لعاجلها
لكنها عاجل يمضي مع الريح
وحسبك بهرب امام الشعراء وفاتكهم من البديهة فاطنك بالارتجال وإذا كان عبد الله بن وهب الراسبي رئيس الخوارج في يوم النهروان يقول وهو البدوي الفصيح والعربي الصريح اياكم والرأي الفطير والكلام القضيب يقول هذا في مطلق الكلام وهو غير مقيد بوزن ولا قافية فكيف الظن بالمقيد بهما لعمري انه لمقام يجبن فيه الشجاع ويكذب فيه رائد الفكر في طلب الانتجاع

﴿الباب الأول في بدائع بدائه الاجوبة﴾

فمن ذلك ما أخبرني به الشيخ الفقيه الاجل أبو محمد عبد الخالق بن صالح بن زيدان المسكي وكتب لي بخطه قال أملى علي الشيخ العلامة أبو محمد بن بري رحمه الله قال لقي عبيد بن الابرص امرأ القيس فقال له عبيد كيف معرفتك بالاوابد فقال ألق ما أحببت فقال عبيد
ما حبة ميتة أحيت بميتتها
درداء ما أنبتت سنا وأضراسا
(فقال امرؤ القيس)

فقال ألا ألا أقول الا قصيدا فقال من ليلته قصيدته التي فخر فيها وهي علق الفؤاد حبائل الشعثاء ثم أصبح ودخل عليه ومعه الشعراء فأنشده حتى بلغ الى قوله

منا الذي ربع الجيوش لصلبه * عشرون وهو يعد في الاحياء

قال له عبد الملك أو سليمان قف ان كنت صدقت في هذا البيت فلا تزد ماوراءه فقال الفرزدق أنا أعرف منهم ستة عشر ومن ولد ولده أربعة كلهم قد ربع فقال عبد الملك أو سليمان ولد ولده هم ولده ادفع اليه الجارية ياغلام قال فغلبهم يومئذ (وحدث) الاصمعي قال قال أبو النجم للعديل بن الفرخ أرأيت قولك

فان تك من شيبان أمي فانني * لأبيض عجلي عريض المفارق

أكنت شاكا في نسبك حتى قلت مثل هذا فقال العديل أشككت في نفسك أو في شعرك حين قلت

أنا أبو النجم وشعري شعري * لله دري ما يجن صدري

فأمسك أبو النجم واستحيي وكانت وفاته آخر دولة بني أمية

(كريم الجرشي شريف النسب)

قائله أبو الطيب المتنبي من قصيدة من بحر المتقارب وكان سيف الدولة بن حمدان صاحب حلب قد أنفذ اليه كتابا بخطه الى الكوفة بأمان وسأله المسير اليه فأجابه بهذه القصيدة

فهمت الكتاب أبر الكتب * فسمعا لامر أمير العرب
وطوعا له وابتهاجا به * وان قصر الفعل عما وجب
وما عاقني غير خوف الوشاة * فان الوشاة طريق الكذب
وتكثير قوم وتقليلهم * وتقريبهم بيننا والخبب
وقد كان ينصرهم سمعه * وينصرني قلبه والحسب
وما قلت للبدر أنت اللجين * ولا قلت للشمس أنت الذهب
فيقلق منه البعيد الاناة * ويغضب منه البطيء الغضب
وما لاقني بعدكم بلدة * ولا اعتضت من رب نعماي رب
ومن ركب الثور بعد الجوا * د أنكر أظلافه والغبب
وما قست كل ملوك البلاد * فدع ذكر بعض بمن في حلب
ولو كنت سميتهم باسمه * لكان الحديد وكانوا الخشب
أفي الرأي يشبه أم في السخا * ء أم في الشجاعة أم في الادب
مبارك الاسم أغر اللقب * كريم الجرشي شريف النسب
أخو الحرب يخدم مما سبى * قناه ويخلع مما سلب
اذا حاز مالا فقد حازه * فتى لا يسر بما لا يهب

وهي طويلة والجرشي بكسر الجيم والراء مقصورا النفس وأشار بقوله مبارك الاسم الى أن اسم الممدوح علي وهو اسم مبارك يتبرك به لمكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه ولانه مشتق من العلو والعلو مبارك ومعنى أغر اللقب مشهوره لانه سيف الدولة والاغر من الخيل الذي في وجهه غرة وهي البياض استعير لكل واضح معروف (والشاهد فيه) كراهة السمع للفظة تكون في البيت كالجرشي هنا (وأبو الطيب) اسمه أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكندي الكوفي المتنبي الشاعر المشهور وانما قيل له المتنبي لانه ادعى النبوة في بادية السماوة وتبعه خلق كثير من بني كلب وغيرهم فخرج اليه لؤلؤ أمير حمص نائب الاخشيدية فأسره وتفرق أصحابه وحبسه طويلا ثم استتابه وأطلقه وكان قد قرأ على البوادي كلاما ذكر أنه قرآن أنزل عليه (فمنه) والنجم السيار والفلك الدوار والليل والنهار ان الكافر لفي أخطار امض على سننك واقف أثر من كان قبلك من المرسلين فان الله قامع بك زيغ من ألحد في الدين وضل عن السبيل (وكان) اذا جلس في مجلس سيف الدولة وأخبروه عن هذا الكلام فينكره ويجحده ولما أطلق من السجن التحق بالامير سيف الدولة بن حمدان ثم فارقه ودخل مصر سنة ست وأربعين وثلثمائة ومدح كافور الاخشيدي وأنوجور بن الاخشيد وكان يقف بين يدي كافور وفي رجليه خفان وفي وسطه سيف ومنطقة ويركب بحاجبين من مماليكه وهما بالسيوف والمناطق ولما لم يرضه هجاه وفارقه ليلة عيد النحر سنة خمسين وثلثمائة فوجه كافور خلفه عدة رواحل فلم يلحق وقصد بلاد فارس ومدح عضد الدولة

تلك الشعيرة تسقى في سنابلها
فأخرجت بعد طول المكث
أكداسا
(فقال عبيد)
ما السود والبيض والاسماء
واحدة
لا يستطيع لهن الناس
تمساسا
(فقال امرؤ القيس)
تلك السحاب اذا الرحمن
أرسلها
روى بها من محول الارض
أيباسا
(فقال عبيد)
ما مرتجاة على هول مراكبها
يقطعن طول المدى سيرا
وامراسا
(فقال امرؤ القيس)
تلك النجوم اذا حانت مطالعها
شبهتها في سواد الليل أقباسا
(فقال عبيد)
ما القاطعات لارض لا أنيس
بها
تأتي سراعا وما يرجعن انكاسا
(فقال امرؤ القيس)
تلك الرياح اذا هبت عواصفها
كفى بأذيالها للترب كناسا
(فقال عبيد)
ما الفاجعات جهارا في علانية
أشد من فيلق مملوءة باسا
(فقال امرؤ القيس)
تلك المنايا فما يبقين من أحد
يكفتن حتى وما يبقين أكياسا
(فقال عبيد)
ما السابقات سراع الطير في
مهل
لا تشتكين ولو ألجمتها فاسا
(فقال امرؤ القيس)

ابن بويه الديلمي فأجزل صلته ولما رجع من عنده عرض له فاتك بن أبي جهل الاسدي في عدة من أصحابه فقاتله فقتل المتنبي وابنه محسد وغلامه مفلح بالقرب من النعمانية في موضع يقال له الصافية من الجانب الغربي من سواد بغداد ويقال انه قال شيأ في عضد الدولة فدس عليه من قتله لانه لما وفد عليه وصله بثلاثة آلاف دينار وثلاثة أفراس مسرجة محلاة وثياب مفتخرة ثم دس عليه من سأله أين هذا العطاء من عطاء سيف الدولة فقال هذا أجزل الا انه عطاء متكلف وسيف الدولة كان يعطي طبعا فغضب عضد الدولة فلما انصرف جهز عليه قوما من بني ضبة فقتلوه بعد أن قاتل قتالا شديدا ثم انهزم فقال له غلامه أين قولك

الخيل والليل والبيداء تعرفني * والطعن والضرب والقرطاس والقلم

فقال قتلتني قتلك الله ثم قاتل فقتل ويقال ان الخفراء جاؤه وطلبوا منه خمسين درهما ليسير واممه فمنعه الشح والكبر فتقدموه فوقع له ما وقع وكان قتله يوم الاربعاء لست بقين وقيل لثلاث بقين وقيل لليلتين بقيتا من شهر رمضان سنة أربع وخمسين وثلثمائة ومولده كان في سنة ثلاث وثلثمائة بالكوفة في محلة تسمى كندة وليس هو من كندة التي هي قبيلة بل هو جعفي وقيل ان أباه كان سقاء بالكوفة وكان يلقب بعيدان ثم انتقل الى الشام بولده والى هذا أشار بعض الشعراء في هجوه فقال

أي فضل لشاعر يطلب الفضـ * ـل من الناس بكرة وعشيا

عاش حينا يبيع في الكوفة الما * ء وحينا يبيع ماء المحيا

ولقد أولع بعض شعراء عصره بهجوه حسدا له على فضله وتمكنه من الملوك ومراعاة لتيهه وتكبره وممن أفحش في ذلك ابن حجاج فقال جاريا على عادته في السخف والمجون

يا ديمة الصفع صبي * على قفا المتنبي

ويا قفاه تقدم * حتى تصير بجنبي

وأنت يا ريح بطني * على سباليه هبي

ويقول فيها

ان كنت أنت نبيا * فالقرد لا شك ربي

وقال فيه أيضا من قصيدة

قل لي وطرطورك هذا الذي * في غاية الحسن شوابيره

ماضره اذ جاء فصل الشتا * لو أن شعر استي سموره

ولقد كان المتنبي من المكثرين من نقل اللغة والمطلعين على غريبها وحوشيها ولا يسأل عن شئ الا ويستشهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر حتى قيل ان الشيخ أبا علي الفارسي قال له يوما كم لنا من الجموع على وزن فعلى فقال المتنبي في الحال حجلى وظربى قال الشيخ أبو علي فطالعت كتب اللغة ثلاث ليال على أن أجد لهذين الجمعين ثالثا فلم أجد وحسبك من يقول أبو علي في حقه هذه المقالة وقال أبو الفتح بن جني قرأت ديوان المتنبي عليه فلما بلغت الى قوله في كافور الاخشيدي

ألا ليت شعري هل أقول قصيدة * فلا أشتكي فيها ولا أتعتب

وبي ما يذود الشعر عني أقله * ولكن قلبي يا ابنة القوم قلب

قلت له يعز علي كون هذا الشعر في غير سيف الدولة فقال حذرناه وأنذرناه فما نفع ألست القائل فيه

أخا الجود أعط الناس ما أنت مالك * ولا تعطين الناس ما أنا قائله

فهو الذي أعطاني سوء تدبيره وقلة تمييزه والناس في شعره على طبقات فمنهم من يرجحه على أبي تمام ومن بعده ومنهم من يرجح أبا تمام عليه ورزق في شعره السعادة واعتنى العلماء بديوانه فشرحوه حتى قيل انه وجد له ما يزيد على أربعين شرحا ومن شعره مما ليس في ديوانه بل رواه الشيخ تاج الدين الكندي بسند صحيح متصل به بيتان وهما

أبعين مفتقر اليك نظرتني * فأهنتني وقذفتني من حالق

لست الملوم أنا الملوم لانني * أنزلت آمالي بغير الخالق

ولما قتل رثاه أبو القسم المظفر بن علي الطبسي بقوله

لا رعى الله سرب هذا الزمان * اذ دهانا في مثل ذاك اللسان

ما رأى الناس ثاني المتنبي * أي ثان يرى لبكر الزمان

كان من نفسه الكبيرة في جيـ * ـش وفي كبرياء ذي سلطان

تلك الجياد التي يجليها القوم قد سجدوا

كانوا الهن غداة الروع أحلاسا

(فقال عبيد)

يا القاطعات لارض الجو في طلق

قبل الصباح وما يسرين قرطاسا

(فقال امرؤ القيس)

تلك الاماني تتركن الفتى ملكا

دون السماء ولم ترفع به راسا

(فقال عبيد)

ما الحاكمون بلا سمع ولا بصر

ولا لسان فصيح يعجب الناسا

(فقال امرؤ القيس)

تلك الموازين والرحمن أرلها

رب البرية بين الناس مقياسا

ومثل هذا وان تفاوت ما بين الاعصار ولم يكن من باب الالغاز ما ذكر أن الشريف أبا جعفر مسعود بن الحسن العباسي وهو من ولد العباس ابن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ويعرف بالبياضي كان يتعشق قينة ببغداد اسمها بدور وتعرف بجارية بنت الملك وفيها يقول

شكا القلب ظلمته في الحشى

الي فأسكنت فيه بدورا

وكانت تنزل ببغداد في القطيعة فاجتمع يوما هو وأبو تراب هبة الله بن السريحي وكان شاعرا فقال بديها يخاطب الشريف

أسلوت حب بدور أم تتجلد

وسهرت ليلك أم جفونك ترقد

هو في شعره نبي ولكن * ظهرت معجزاته في المعاني

(ويحكى) أن المعتمد بن عباد اللخمي صاحب قرطبة واشبيلية أنشد يوما في مجلسه بيت المتنبي الذي هو من جملة قصيدته المشهورة وهو

اذا ظفرت منك العيون بنظرة * أثاب بها معيي المطي ورازمه

وجعل يردده استحسانا له وفي مجلسه أبو محمد عبد الجليل بن وهبون الاندلسي فانشد ارتجالا

لئن جاد شعر ابن الحسين فانما * تجيد العطايا واللهى تفتح اللها

تنبأ عجبا بالقريض ولو درى * بأنك تروي شعره لتألها

وهذا مثل قديم قاله أبو سعيد القصار في جعفر بن يحيى

لابن يحيى مآثر * بلغت بي الى السها جاد شعري بجوده * واللها تفتح اللها

واللها بالضم العطايا وبالفتح جمع لهاة الحلق ورثاه أيضا محمد بن عبد الله الكاتب النصيبي بقصيدة يستجيش فيها عضد الدولة على مدحضي قدمه ومريقي دمه فمنها

قرت عيون الاعادي يوم مصرعه * وطالما سخنت فيه من الحسد

ومنها

أبا شجاع فتى الهيجا وفارسها * ومشتري الشكر بالانعام والصفد

هذي بنو أسد جاءت بمؤيدة * صماء ناعية هدت ذرى أحد

سطت على المتنبي من فوارسها * سبعون جاءته في موج من الزرد

حتى أتت وهو في أمن وفي دعة * يسير في ستة ان تحص لم تزد

كرت عليه سراعا غير وانية * فغادرته قرين الترب والثأد

من بعد ما أعملت فيهم أسنته * طعنا يفرق بين الروح والجسد

فاطلب بثار فتى ما زلت تعضده * لله درك من كهف ومن عضد

أرك العيون عليهم أية سلكوا * وضيق الارض والاقطار بالرصد

شردهم بجيوش لا قوام لها * تأتي على سبد الاقوام واللبد

ورثاه أيضا ثابت بن هارون الرقي النصراني بقصيدة يستثير فيها عضد الدولة على فاتك وبني أسد يقول في أولها

الدهر أخبث والليالي أنكد * من أن تعيش لاهلها يا أحمد

قصدتك لما أن رأتك نفيسها * بخلا عليك والنفائس تقصد

ذقت الكريهة بغتة وفقدتها * وكريه فقدك في الورى لا يفقد

قل لي ان اسطعت الجواب فانني * صب الفؤاد الى خطابك مكمد

ومنها

أتركت بعدك شاعرا والله لا * لم يبق بعدك في الزمان مقصد

أما العلوم فانها يا ربها * تبكي عليك بأدمع لا تجمد

يا أيها الملك المؤيد دعوة * ممن حشاه بالاسى يتوقد

هذي بنو أسد بضيفك أوقعت * وحوت عطاءك اذ حواه الفرقد

وله عليك بقصده يا ذا العلا * حق التحرم والذمام الاوكد

فارع الذمام وكن لضيفك طالبا * ان الذمام على الكريم مؤبد

وأخبار المتنبي وما جرى له كثيرة وسيأتي طرف منها ومن شعره في أثناء هذا الكتاب

(وقبر حرب بمكان قفر * وليس قرب قبر حرب قبر)

والبيت من الرجز ولا يعرف قائله ويقال انه من شعر الجن قالوه في حرب بن أمية بن عبد شمس لما قتلوه بثار حية منهم قتلها القفل الذي كان فيه ودفن ببادية بعيدة وكان حرب المذكور مصاحبا لمرداس السلمي أبي العباس الصحابي فقتلهما الجن جميعا وهذا شيء قد ذكرته الرواة في أخبارها والعرب في أشعارها (ذكر) أبو

(فقال الشريف بديها)

لا بل هم ألفوا القطيعة مثل ما
ألفوا ازورارهم بها فتبعدوا

(فقال أبو تراب)

فالام تصبر والفؤاد متيم
ولظى اشتياقك في الحشا يتوقد

(فقال الشريف)

ما دام لي جلد فلست بجازع
اذ كان صبري في العواقب يحمد

(فقال أبو تراب)

أحسنت كتمان الهوى مستحسن
لو كان ماء العين مما يجمد

(فقال الشريف)

ان كان جفني فاض لي بدموعه
أظهرت للجلساء أني أرمد

(فقال أبو تراب)

فهب الدموع اذا جرت موهتها
فيقال لم أنفاسه تتصعد

(فقال الشريف)

أمشي وأسرع كي يظنوا أنها
من ذلك المشي السريع تولد

(فقال أبو تراب)

هذا يجوز ومثله مستعمل
لكن وجهك بالمحبة يشهد

(فقال الشريف)

ان كان وجهي شاهدا بهوى فما
يدري الى من بالمحبة أقصد

(فقال أبو تراب)

قد رجم الناس الظنون وأجمعوا

عبيدة وأبو عمرو الشيباني أن حرب بن أمية لما انصرف من حرب عكاظ هو واخوته مر بالقرية وهي اذ ذاك غيضة شجر ملتف لا يرام فقال له مرداس بن أبي عامر أما ترى هذا الموضع قال بلى فقال له قال نعم المزدرع هو وهل لك أن تكون شريكي فيه ونحرق هذه الغيضة ثم نزرعه بعد ذلك قال نعم فأضرما النار في الغيضة فلما استطارت وعلا لهبها سمع من الغيضة أنين وضجيج كثير ثم ظهرت منها حيات بيض تطير حتى قطعتها وخرجت منها فقال مرداس في ذلك

انى انتجبت لها حربا واخوته * انى بحبل وثيق العهد دساس

انى أقوم قبل الامر حجته * كيما يقال ولى الامر مرداس

قال فسمعوا هاتفا يقول لما احترقت الغيضة

ويل لحرب فارسا * مطاعنا مخالسا * ويل لحرب فارسا * اذلبسوا القوانسا

لنقتلن بقتله * جحاجحا عنابسا

ولم يلبس حرب بن أمية ومرداس أن ماتا فأما مرداس فدفن بالقرية ثم ادعاها بعد ذلك كليب بن عمرو السلمي ثم الظفري فقال في ذلك عباس بن مرداس

أكليب مالك كل يوم ظالما * والظلم أنكد وجهه ملعون

عجبا لقومك يحسبونك سيدا * وأخال انك سيد مغبون

فاذا رجعت الى نسائك فادّهن * ان المسالم رأسه مدهون

وافعل بقومك ما أراد بوائل * يوم الغدير سميك المطعون

وأخال أنك سوف تلقى مثلها * في جانبيك سنانها المسنون

ان القرية قد تبين أمرها * ان كان ينفع عندك التبيين

حين انطلقت تخطها لي ظالما * وأبو يزيد بجوها مدفون

وقد روى البيت بلفظ ومابقرب قبر حرب قبر * ويقال انه لا يتهيأ لاحد أن ينشده ثلاث مرات متواليات ولا يتتعتع وقرب وقع خبر الليس وكان من حقه أن يقول قرب قبره فأتى بالظاهر موضع المضمر ليدل على لزوم التوجع (والشاهد فيه التنافر) لما في هذه الالفاظ من ثقل النطق بها ولذلك هرب أرباب الفصاحة من اللفظين المتقاربين في الادغام لانتقال اللسان فيه اليهما انتقاله لواحدة وشبهوا النطق بالمتقاربين بمشي المقيد

(كريم متى أمدحه أمدحه والورى)

قائله أبو تمام الطائي وتمامه * معي واذا ما لمته لمته وحدى * وهو من قصيدة من الطويل يمدح بها أبا المغيث موسى بن ابراهيم ويعتذر اليه وأولها

شهدت لقد أقوت مغانيكم بعدى * ومحت كما محت وشائع من برد

وأنجدتمو من بعد اتهام داركم * فيا دمع أنجدني على ساكني نجد

لعمري لقد أخلقتمو جدة البكا * بكاء وجددتم على بلى الوجد

الى أن قال في مديحها

أتاني مع الركبان ظن ظننته * نكست له رأسي حياء من المجد

لقد نكب الغدر الوفاء بساحتى * اذا وسرحت الذم في مسرح الحمد

وهتكت بالقول الخنا حرمة العلا * وأسلكت حر الشعر في مسلك العبد

نسيت اذا كم من يد لك شاكلت * يد القرب أعدت مستهاما على البعد

ومن زمن ألبستنيه كأنه * اذا ذكرت أيامه زمن الورد

وانك أحكمت الذي بين فكرتي * وبين القوافي من زمام ومن عقد

أن التي ذكرت اليها المقصد

(فقال الشريف)

لو يجمعون كازعمت المار رووا لي في سواها ما نظمت وأنشدوا

(فقال أبو تراب)

قد كان حبك غيرها مستحقا والامر يحدث والهوى يتجدد

(فقال الشريف)

حققت حبي غيرها وجعلتها مظنونة ذا كله لي جيد

(فقال أبو تراب)

لو لم تقل ألفوا القطيعة جاز أن تنفي به بعوالتمام وتجحد

(فقال الشريف)

ماقلت لي جلد نفيت به الهوى عني ولكن قلت في تجلد

(فقال أبو تراب)

فالى متى هذا وطرف رقيبها مغض وطيف خيالها متردد

(فقال الشريف)

أنا دائبا أبغى الوصال فان أبت منه على عاداتها فسأجهد

(فقال أبو تراب)

اخضع وذل لمن تحب فليس في حكم الهوى أنف يشال ويعقد

(فقال الشريف)

ذا لا يكون مع الحبيب وانما مع ساقط متخيل متعمد

(أنبأني) الشيخان الاجل العلامة تاج الدين أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي والشيخ جمال الدين أبو القاسم عبد الصمد بن محمد

وأصات شعرى فاعتلى رونق الضحى * ولولاك لم يظهر زمانا من الغمد
وكيف وما أخللت بعدك بالحجا * وأنت فلم تخلل بمكرمة بعدى
أسربل هجر القول من لو هجوته * اذا لهجانى عنه معروفه عندى

وبعده البيت وبعده

ولولم يزعنى عنك غيرك وازع * لاعديتنى بالحلم ان العلا تعدى

(ومعنى البيت) هو كريم اذا أمدحته وافقنى الناس على مدحه فيمدحونه لاسداء احسانه اليهم كاسدائه الى ولا أمدحه بشئ الا صدقنى الناس فيه أو أن الناس وافقونى على وجود ما يوجب المدح للانسان من صفات الكمال فيه واذا لمته لا يوافقنى أحد على لومه لعدم وجود المقتضى له فيه وفى معناه قول الآخر

واذا شكوتك لم أجد لى مسعدا * ورميت فيما قلت بالبهتان

وقد ناقض هذا المعنى ابن أبى طاهر بقوله

يشركنى العالم فى ذمه * لكننى أمدحه وحدى

وطاهر العتابى المعروف بالمعتمد البغدادى بقوله

مدحتهم وحدى فلما هجوتهم * هجوتهم والناس كلهم معى

(والشاهد فيه التنافر أيضا) لما فى قوله أمدحه من الثقل لقرب مخرج الحاء من مخرج الهاء لان المخارج كلما قربت كانت الالفاظ مكدودة قلقة غير مستقرة فى أماكنها واذا بعدت كانت بعكس الاول ولهذا لم يوجد فى كلام العرب العين مع الغين ولا مع الحاء ولا مع الخاء ولا الطاء مع التاء حذرا من ذلك وأيضا فيه ثقل من جهة التكرار فى أمدحه ولمته ومن قبيح التكرار قول الشاعر

وازور من كان له زائرا * وعاف عافى العرف عرفانه

﴿وأبو تمام﴾ اسمه حبيب بن أوس بن الحرث بن قيس بن الاشج بن يحيى بن مروان ينتهى الى طيئ قال أبو القاسم الحسن بن بشر الاموى والذى عند أكثر الناس فى نسب أبى تمام أن أباه كان نصرانيا من أهل جاسم قرية من قرى الجيدور من أعمال دمشق يقال له تدوس العطار فجعلوه أوسا وولد أبو تمام بالقرية المذكورة سنة تسعين وقيل سنة ثمان وثمانين ومائة وقيل سنة اثنتين وسبعين ونشأ بمصر وقيل انه كان يسقى الماء بالجرة فى جامع مصر وقيل كان يخدم حائكا ويعمل عنده ثم اشتغل وتنقل الى أن صار واحد عصره فى ديباجة لفظه وفصاحة شعره وحسن أسلوبه وكان له من المحفوظات ما لا يلحقه فيه غيره حتى قيل انه كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة للعرب غير المقاطيع والقصائد وله كتاب الحماسة الذى دل على غزارة فضله واتقان معرفته وحسن اختياره وله مجموع آخر سماه فحول الشعراء جمع فيه طائفة كثيرة من شعراء الجاهلية والمخضرمين والاسلاميين وله كتاب الاختيارات من شعر الشعراء ومدح الخلفاء وأخذ جوائزهم وكان فى لسانه حبسة وفى ذلك يقول ابن المعذل أو أبو العميثل

يا نبى الله فى الشعر ويا عيسى ابن مريم * أنت من أشعر خلق الله ما لم تتكلم

وهذا نوع من البديع يسمى الهجاء فى معرض المدح ومن مليح ما جاء فيه قول ابن سنا الملك فى قواد

لى صاحب أفديه من صاحب * حلو التأنى حسن الاحتيال
لو شاء من رقة ألفاظه * ألف ما بين الهدى والضلال
يكفيك منه انه ربما * قاد الى المهجور طيف الخيال

ومنه قول ابن أبى الاصبع يهجو فقيها ذا أبنة

ابن فلان أكرم الناس لا * يمنع ذا الحاجة من فلسه * وهو فقيه ذو اجتهاد وقد
نص على التقليد فى درسه * يستحسن البحث على وجهه * ويوجب الفعل على نفسه

ووفد أبو تمام الى البصرة وبها عبد الصمد بن المعذل الشاعر فلما سمع بوصوله وكان فى جماعة من أتباعه

ابن أبى الفضل الانصارى المعروف بابن الحرستانى قاضى دمشق الآن أيدهما الله تعالى اجازة قالا أخبرنا الشيخ الفقيه الامام الحافظ أبو القاسم على بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقى قراءة عليه ونحن نسمع قال أخبرنا أبو السعادات أحمد بن أحمد بن عبد الواحد المتوكلى أخبرنا أبو بكر الخطيب أخبرنا أبو عبد الله ابن أبى الفتح الفارسى حدثنا محمد بن حميد الخزاز أخبرنا الصولى حدثنى أبو الفضل بن مخلد بن ابان حدثنا اسحق الموصلى قال حدثنا الاصمعى قال أول ما تكلم به النابغة يعنى الذبيانى من الشعر أنه حضر مع عمه عند رجل وكان عمه يحب أن يحاضر به الناس ويخاف أن يكون عييا فوضع الرجل كاسا فى يده وقال

تطيب نفوسنا لولا قذاها
ويحتمل الجليس على أذاها

(فقال النابغة)

قذاها أن صاحبها بخيل
يحاسب نفسه بكم اشتراها

(ومن ذلك) ما روى أن جريرا دخل على الوليد بن عبد الملك وعنده عدى بن الرقاع العاملى ولم يكن جرير رآه قبل فقال الوليد أتعرف هذا يا جرير فقال لا يا أمير المؤمنين فقال هو ابن الرقاع فقال جرير شر الثياب الرقاع فمن هو قال هو رجل من

وعلما انه خاف من قومه أن يميل الناس اليه و يعرضوا عنه وكتب اليه قبل دخوله البلد

أنت بين اثنتين تبرز للنا * س وتلقاهمو بوجه مذال
لست تنفك راجيا لوصال * من حبيب أو راغبا فى نوال
أى ماء يبقى لوجهك هذا * بين ذل الهوى وذل السؤال

فلما وقف على الابيات أعرض عن مقصده ورجع وقال قد شغل هذا ما يليه فلا حاجة لنا فيه وقد تبعه الامير مجير الدين بن تميم بقوله

أنت بين اثنتين يا نحل بعقو * بوكلتاهما مقر السياده
لست تنفك راكبا ابر عبد * مسبطرا أو حاملا خف غاده
أى ماء لحر وجهك يبقى * بين ذل البغا وذل القياده

ولما أنشد أبو تمام أبا دلف العجلى قصيدته البائية التى أولها

على مثلها من أربع وملاعب * اذيلت مصونات الدموع السواكب

استحسنها وأعطاه خمسين ألف درهم وقال والله انها لدون شعرك ثم قال والله ما مثل هذا القول فى الحسن الا ما رثيت به محمد بن حميد الطوسى فقال أبو تمام وأى ذلك أراد الامير قال قصيدتك الرائية التى أولها

كذا فليجل الخطب وليفدح الامر * وليس لعين لم يفض ماؤها عذر

وددت والله انها لك فى فقال بل أفدى الامير بنفسى وأهلى وأكون المقدم قبله فقال انه لم يمت من رثى بهذا الشعر (وحدث) الرياشى قال كان خالد الكاتب مغرما بالغلمان المرد ينفق عليهم كل ما يفيد فهوى غلاما يقال له عبد الله وكان أبو تمام الطائى يهواه أيضا فقال فيه خالد

قضيب بان جناه ورد * يحمله وجنة وخد
لم أبن طرفى اليه الا * مات عزاء وعاش وجد
ملك طوع النفوس حتى * عليه الزهو حين يبدو
فاجتمع الصد فيه حتى * ليس لخلق سواه صد

وبلغ أبا تمام ذلك فقال فيه أبياتا منها قوله

شعرك هذا كله مفرط * فى برده يا خالد البارد

فعلقها الصبيان ولم يزالوا يصيحون به يا خالد يا بارد حتى وسوس وقد هجا أبا تمام فى هذه القصة فقال فيه

يا معشر المرد انى ناصح لكم * والمرء فى القول بين الصدق والكذب
لا ينكحن حبيبا منكم أحد * فداء وجعائه أعدى من الجرب
لا تأمنوا أن تحولوا بعد ثالثة * فتركبوا عمدا ليست من الخشب

ولما قصد أبو تمام عبد الله بن طاهر بخراسان وامتدحه بالقصيدة التى أولها

* أهن عوادى يوسف وصواحبه * أنكر عليه أبو العميثل وقال له لم لا تقول ما يفهم فقال له لم لا تفهم ما يقال فاستحسن منه هذا الجواب على البديهة وذكر الصولى انه امتدح أحمد بن المعتصم أو ابن المأمون بقصيدة سينية فلما انتهى الى قوله فيها

اقدام عمرو فى سماحة حاتم * فى حلم أحنف فى ذكاء اياس

قال له الكندى الفيلسوف وكان حاضرا الامير فوق ما وصفت فأطرق قليلا ثم رفع رأسه وأنشد

لا تنكروا ضربى له من دونه * مثلا شرودا فى الندى والباس
فالله قد ضرب الاقل لنوره * مثلا من المشكاة والنبراس

فعجبوا من سرعة فطنته وما ذكر من أنه أنشد القصيدة للخليفة وأن الوزير قال أى شئ طلبه فاعطه فانه لا يعيش أكثر من أربعين يوما لانه قد ظهر فى عينيه الدم من شدة الفكرة وصاحب هذا لا يعيش الا هذا القدر فقال له الخليفة ما تشتهى فقال أريد الموصل فأعطاه اياها فتوجه اليها وبقى هذه المدة ومات فشئ لا صحة له أصلا والصحيح ما ذكرناه وان الحسن بن وهب اعتنى به وولاه بريد الموصل فأقام بها أقل من سنتين وتوفى بها سنة احدى وثلاثين ومائتين وقيل ثمان وعشرين وقيل اثنتين وثلاثين وبنى عليه أبو نهشل ابن حميد الطوسى قبة خارج باب الميدان على حافة الخندق ورثاه الوزير محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم

عاملة فقال جرير هو من الذين قال الله فيهم عاملة ناصبة تصلى نارا حامية قال ويلك يا ملعون فأنشأ جرير يقول

يقصر باع العاملى عن المدى * ولكن اير العاملى طويل

(فابتدر عدى فقال)

أأمك كانت أخبرتك بطوله * أم انت امرؤ لم تدر كيف تقول

فقال جرير امرؤ لم أدر كيف أقول فوثب عدى فأكب على رجل الوليد يقبلها ويقول أجرنى منه يا أمير المؤمنين فالتفت الوليد الى جرير وقال وتربة عبد الملك لئن هجوته لألجمنك ولأسرجنك عليك ولأطيفنك بدمشق فخرج جرير فصنع قصيدته التى أولها

حى الهدملة من ذات الاواعيس * فالحنو أصبح قفرا غير مأنوس

افتخر فيها بنزار وعدد أيامهم وهجا قحطان وعرض بعدى ولم يسمه فقال

اقصر فان نزارا لا يعانوهم * فرع لئيم وأصل غير مغروس
وابن اللبون اذا ما لز فى قرن * لم يستطع صولة البزل القناعيس

(ومن ذلك) ما رواه عوانة ابن الحكم ويحيى بن عيينه القرشى قالا اجتمع جرير والفرزدق عند بشر بن

بقوله وهو يومئذ وزير وقيل انها لابى الزرقان عبد الله بن الزرقان الكاتب مولى بنى أمية

نبأ أتى من أعظم الانباء * لما ألم مقلقل الاحشاء

قالوا حبيب قد ثوى فأجبتهم * ناشدتكم لا تجعلوه الطائى

وحكى ابن عدلان الموصلى النحوى المترجم قال سألت ابن عنين عن معنى قوله

سقى الله دوح الغوطتين ولا ارتوت * من الموصل الحدباء الا قبورها

ولم حرمها وخص القبور قال لاجل أبى تمام ومن محكم شعره قوله من قصيدة

أخرست اذ عاينتنى حتى اذا * ما غبت عن بصرى ظللت تشدق

عير رأى أسد العرين يهاله * حتى اذا ولى تولى ينهق

هيهات غالك أن تنال مآثرى * است بها سعة وباع ضيق

قل ما بدالك يا ابن ترما فالصدى * بمهذب العقبان لا يتعلق

أنعشت حتى عبتهم قل لى متى * فررنت سرعة ما أرى يا بيدق

اياك يعنى القائلون بقولهم * ان الشقى بكل حبل يخنق

فلتعلمن حريم من واهاب من * وقديم من وحديث من يتمرق

وقوله من قصيدة أخرى

أعوام وصل كاد ينسى طيبها * ذكر النوى فكأنها أيام

ثم انبرت أيام هجر أردفت * نحوى أسى فكأنها أعوام

ثم انقضت تلك السنون وأهلها * فكأنها وكأنهم أحلام

وقد اختصر معنى هذه الابيات المتنبى فى قوله

قصرت مدة الليالى المواضى * فأطالت بها الليالى البواقى

ولابن الفارض رحمه الله هذا المعنى بعينه مع الاختصار المعجز وهو

أعوام اقباله كاليوم فى قصر * ويوم اعراضه فى الطول كالحجج

وديوان نظمه مشهور وقد نثرت من لآلئه فى أثناء هذا المؤلف ما فيه غنى ان شاء الله تعالى

(وما مثله فى الناس الا مملكا * أبو أمه حى أبوه يقاربه)

البيت للفرزدق من قصيدة من الطويل يمدح بها ابراهيم بن هشام بن اسمعيل المخزومى خال هشام بن عبد الملك بن مروان (والشاهد فيه التعقيد) وهو أن لا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المراد اما لخلل فى نظم الكلام فلا يتوصل منه الى معناه أو لانتقال الذهن من المعنى الاول الى المعنى الثانى الذى هو لازمه والمراد به ظاهرا والاول هو الشاهد فى البيت (والمعنى فيه) وما مثله يعنى الممدوح فى الناس حى يقاربه أى أحد يشبهه فى الفضائل الا مملكا يعنى هشاما أبو أمه أى أبو أم هشام أبوه أى أبو الممدوح فالضمير فى أمه للملك وفى أبوه للممدوح ففصل بين أبو أمه وهو مبتدأ وأبوه وهو خبره بأجنبى وهو حى وكذا فصل بين حى ويقاربه وهو نعته بأجنبى وهو أبوه وقدم المستثنى على المستثنى منه فهو كما تراه فى غاية التعقيد وكان من حق الناظم أن يقول وما مثله فى الناس أحد يقاربه الا مملك أبو أمه أبوه ومن التعقيد قول الفرزدق أيضا

الى ملك ما أمه من محارب * أبوه ولا كانت كليب تصاهره

أى الى ملك أبوه ما أمه من محارب أى ما أمه منهم ومثله قول الشاعر

فما من فتى كنا من الناس واحدا * به نبتغى منهم عديلا نبادله

أى فما من فتى من الناس كنا نبتغى واحدا منهم عديلا نبادله به وقول الآخر

وما كنت أخشى الدهر احلاس مسلم * من الناس ديناجاءه وهو مسلم

أى وما كنت أخشى الدهر احلاس مسلم مسلما من الناس دينا جاءه وهو أى جاءه مما ومثله قول أبى تمام

مروان فقال لهما انكما قد تمارستما الاشعار وتطالبتما الآثار وتقاولتما الفخار وتهاجيتما فاما الهجاء فلا حاجة لى فيه ولكن جددا بين يدى فخرا ودعا ما مضى فقال الفرزدق

نحن السنام والمناسم غيرنا * ومن ذا يسوى بالسنام المناسما

(فقال جرير)

على معقد الاستاه أنتم زعمتم * وكل سنام تابع للغلاصم

(فقال الفرزدق)

على محرص للفرس أنتم زعمتم * الا ان فوق الغلصمات الجماجما

(فقال جرير)

وأنبأتمونا انكم هام قومكم * ولا هام الا تابع للخراطم

(فقال الفرزدق)

فنحن الزمام القائم المقتدى به * من الناس ما زالما فلسنا الهازما

(فقال جرير)

فنحن بنو زيد قطعنا زمامها * فتاهت كسار طائش الرأس عارم

فقال تشمر يا جرير غلبته بقطعك الزمام وذهابك بالناقة ثم أحسن جائزتهما وفضل جريرا (ومن ذلك) ما ذكره ابن سلام فى طبقات الشعراء قال اجتمع جرير والفرزدق والاخطل فى مجلس عبد الملك فاحضر بين يديه كيسا فيه خمسمائة دينار وقال لهم ليقل كل منكم بيتا فى مدح نفسه فأيكم غلب فله الكيس فبدر

كائنين في كبد السماء ولم يكن * كاثنين ثان اذ هما في الغار

(والفرزدق) رحمه الله اسمه همام بن غالب بن صعصعة التميمي أبو فراس صاحب جرير وكان أبوه غالب من جلة قومه ومن سراتهم وكنيته أبو الاخطل لولد كان له اسمه الاخطل وهو شاعر أيضا ووهم بعضهم فيه فظنه الاخطل التغلبي النصراني وجعله أخا للفرزدق وهذا من أعجب العجب اذ الفرزدق مسلم وأبوه وجده صعصعة صحابي رضي الله تعالى عنه فكيف يتصور أن يكون الاخطل النصراني أخاله وصعصعة رضي الله عنه له صحبة لكنه لم يهاجر وهو الذي أحيى الوئيدة وبه افتخر الفرزدق في قوله

وجدي الذي منع الوائدات * فأحيى الوئيد ولم يوئد

قيل انه رضي الله عنه أحيى ألف موؤدة وحمل على ألف فرس وأم الفرزدق ليلى بنت حابس أخت الاقرع بن حابس رضي الله عنه روى الفرزدق رحمه الله عن علي بن أبي طالب وأبي هريرة والحسين وابن عمر وأبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنهم أجمعين ووفد على الوليد وسليمان ابني عبد الملك ومدحهما قال ابن النجار ولم أر له وفادة على عبد الملك بن مروان وقال الكلبي رضي الله عنه وفد على معاوية ولم يصح روى معاوية بن عبد الكريم عن أبيه قال دخلت على الفرزدق فتحرك فاذا في رجليه قيد فقلت ما هذا يا أبا فراس قال حلفت أن لا أخرجه من رجلي حتى أحفظ القرآن وكان كثير التعظيم لقبر أبيه فما جاءه أحد واستجار به الا قام معه وساعده على بلوغ غرضه وقد اختلف أهل المعرفة بالشعر فيه وفي جرير في المفاضلة بينهما والاكثرون على أن جريرا أشعر منه وقد أنصف الاصفهاني فقال أما من كان يميل الى جودة الشعر وفخامته وشدة أسره فيقدم الفرزدق وأما من كان يميل الى أشعار المطبوعين والى الكلام السمح الغزل فيقدم جريرا وكان جرير قد هجا الفرزدق بقصيدة منها

وكنت اذا ارتحلت بدار قوم * رحلت بخزية وتركت عارا

فاتفق أن الفرزدق بعد ذلك نزل بامرأة من أهل المدينة وجرى له معها قصة يطول شرحها وملخص الامر أنه راودها عن نفسها بعد ان كانت أضافته وأحسنت اليه فامتنعت عليه وبلغ الخبر عمر بن عبد العزيز رحمه الله وهو يومئذ والي المدينة المنورة فأمر باخراجه منها فأركب على ناقة لينفى فقال قاتل الله ابن المراغة يعني جريرا كأنه شاهد هذا الحال حين قال وذكر البيت السابق ومن شعره لما كان في المدينة المنورة

هما دلتاني من ثمانين قامة * كما انقض باز أقتم الريش كاسره

فلما استوت رجلاي في الارض قالتا * أحي يرجى أم قتيل نحاذره

فقلت ارفعوا الاسباب لا يشعروا بنا * وأقبلت في أعجاز ليل أبادره

أحاذر بوابين قد وكلا بنا * وأسود من ساج تصر مسامره

فقال جرير لما بلغه ذلك لقد ولدت أم الفرزدق فاجرا * فجاءت بوزوار قصير القوادم

يوصل حبليه اذا جن ليله * ليرقى الى جاراته بالسلالم

تدليت تزني من ثمانين قامة * وقصرت عن باع العلا والمكارم

هو الرجس يا أهل المدينة فاحذروا * مداخل رجس بالخبيثات عالم

لقد كان اخراج الفرزدق عنكم * طهورا لما بين المصلى وواقم

فأجاب الفرزدق عنها بقصيدة طويلة منها

وان حراما أن أسب مقاعسا * بآبائي الشم الكرام الخضارم

ولكن نصفا لو سببت وسبني * بنو عبد شمس من مناف وهاشم

أولئك آبائي فجئني بمثلهم * وأعتد أن أهجو كليبا بدارم

ولما سمع أهل المدينة أبيات الفرزدق الاول جاؤا الى مروان بن الحكم وهو والي المدينة من قبل معاوية فقالوا ما يصلح هذا الشعر بين أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أوجب على نفسه الحد فقال مروان

الفرزدق فقال
أنا القطران والشعراء جربى
وفي القطران للجربى شفاء
فقال الاخطل
فان تك زق زاملة فاني
أنا الطاعون ليس له دواء
فقال جرير
أنا الموت الذي آتي عليكم
فليس لهارب مني نجاء
فقال خذ الكيس فلعمري
ان الموت يأتي على كل شئ
(ومن ذلك) ما روى أن جريرا اجتمع مع الفرزدق في مجلس عبد الملك فقال الفرزدق النوار بنت مجاشع طالق ثلاثا ان لم أقل بيتا لا يستطيع ابن المراغة أن ينقصه أبدا ولا يجد في الزيادة عليه مذهبا فقال عبد الملك ما هو فقال
فاني أنا الموت الذي هو واقع
بنفسك فانظر كيف أنت مزاوله
وما أحد يا ابن الاتان بوائل
من الموت ان الموت لاشك نائله
وأطرق جرير قليلا ثم قال
أم حزرة طالق منه ثلاثا ان لم أكن نقضته وردت عليه فقال عبد الملك هات فقد والله طلق أحدكما لا محالة فأنشد
أنا الدهر يفني نور عينيك فالتمس
بكفيك يا ابن القين هل أنت نائله
أنا الدهر يفني الموت والدهر خالد

لست أحدّه ولكن أكتب الى من يحـدّه وأمره بأن يخرج من المدينـة وأجـله ثلاثة أيام لذلك فقال الفرزدق

توعدني وأجلني ثلاثا * كما وعدت لمهلكها ثمود

ثم كتب مروان الى عامله كتابا يأمره أن يحـدّه ويسجنه وأوهمه انه كتب له بجائزة ثم ندم مروان على ما فعل فوجه سفيرا وقال للفرزدق انى قد قلت شعرا فاسمعه

قل للفرزدق والسـفاهة كاسمها * ان كنت تارك ما أمرتك فاجلس

ودع المدينـة انها مرهوبة * واقصـد لمكة أو لبيت المقـدس

وان اجتنبت من الامور عظيمة * فخذن لنفسك بالعظيم الاكيس

فلما وقف الفرزدق عليها فطن لما أراد مروان فرمى الصحيفة وقال

يا مروان ان مطيتي محبوسـة * ترجو الحباء وربها لم ييأس

وحبوتني بصحيفة مختومة * يخشى علىّ بها حباء النقرس

ألق الصحيفة يا فرزدق لا تكن * نكداء مثل صحيفة المتلمس

وأتى سعيد بن العاص الاموى وعنده الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر رضى الله تعالى عنهم فأخبرهـم الخبر فأمر له كل واحـد بمائة دينار وراحلة وتوجـه الى البصرة فقيل لمروان أخطأت فيما فعلت فانك عرّضت عرضك لشاعر مضر فوجه اليه رسولا ومعه مائة دينار وراحلة خوفا من هجائه ونزل يوما فى بنى منقر والحىّ خـلوف فجاءت أمة فدخلت مع جارية فراشها فصاحت فاحتال الفرزدق فيها حتى انسابت ثم ضمّ الجارية اليه فزبرته ونحته عنها فقال

وأهون عيب المنقـرية انهـا * شديد بطين الحنظلىّ لصوقها

رأت منقرا سودا قصارا وأبصرت * فتى دارميا كالهـلال بروقها

وما أنا هجت المنقـرية للصبا * ولكنها استعصت علىّ عروقها

فلما هجاها استعدت عليه زيادا فهرب الى مكة المشرّفة وأظهر زياد أنه لو أتاه لحباه فقال الفرزدق

دعانى زياد للعطاء ولم أكن * لاقربه ما ساق ذو حسب وفرا

وعنـد زياد لو يريد عطاءهـم * رجال كثير قد يرى بهـم فقرا

وانى لأخشى أن يكون عطاؤه * اداهم سودا أو محدرجة سمرا

قال ابن قتيبة سودا يعنى السياط والمحدرجة القيود وهذه الجارية يقال لها طمياء وهى عمة اللعين الشاعر المنقرى ودخل الفرزدق مع فتيان من آل المهلب فى بركة يتبرّدون فيها ومعهم ابن أبى علقمة الماجن فجعل يتلفت الى الفرزدق ويقول دعونى أنكحه فلا يهجونا أبدا وكان الفرزدق من أجبن الناس فجعل يستغيث ويقول لا يمس جلده جلدى فيبلغ ذلك جريرا فيوجب علىّ انه قد كان منه الىّ الذى يقول فلم يزل يناشدهم حتى كفوه عنه وركب يوما بغلته ومر بنسوة فلما حاذاهن لم تتمالك البغلة ضراطا فضحكن منه فالتفت اليهن وقال لا تضحكن فما حملتني أنثى الا ضرطت فقالت احداهن ما حملك أكثر من أمك وأراها قد قاست منك ضراطا عظيما فحرك بغلته وهرب ويقال انه مر وهو سكران على كلاب مجتمعة فسلم عليهم فلما لم يسمع الجواب أنشأ يقول

فما ردّ السلام شيوخ قوم * مررت بهم على سكك البريد

ولا سيما الذى كانت عليه * قطيفة أرجوان فى القعود

وقال ما أعيانى جواب قط الا جواب دهقان مرة قال لى أنت الفرزدق الشاعر قلت نعم قال ان هجوتنى تعرب ضيعتى قلت لا قال فتموت عيشونة ابنتى قلت لا قال فرجلى الى عنقى فى حرّ أمك فقلت ويحك لم تركت رأسك قال حتى أنظر أىّ شئ تصنع يا ابن الزانية وكان الفرزدق يقول خير السرقة ما لا يقطع فيه يعنى بذلك سرقة الشعر وقال قد علم الناس أنى أفحل الشعراء وربما أتت علىّ الساعة وقلع ضرس من أضراسى أهون علىّ من قول بيت ومن جيد شعره قوله

فخشى بمثل الدهر شيأ يطاوله فقال عبد الملك فضلك والله يا أبا فراس وطلق عليك فقال الفرزدق فأرى أمير المؤمنين فقال وايم الله لا تريم حتى تكتب الى النوار بطلاقها فتأتى ساعة فرحه عبد الملك فكتب بطلاقها وقال فى ذلك

ندمت ندامة الكسعىّ لما * غدت منى مطلقة نوار

وكانت جنتى فخرجت منها * كآدم حين أخرجه الضرار

ولو أنى ملكت يدى ونفسى * لكان الىّ للقدر الخيار

وقد أفضى الحال الى ذكر خبر الكسعىّ الذى تمثل به الفرزدق فى الندامة اذ الحديث شجون واللسان غير مسجون وهو أنه خرج يرعى ابلاله فى واد فيه حمض وشوحط فرأى قضيب شوحط نابتا فى صخرة صماء ملساء فقال نعم منبت العود فى قرار الجلود ثم أخذ سقاءه فصب ما كان فيه من ماء فى أصله فشربه لشدة ظمئه وجعل يتعاهده بالماء سنة حتى سبط العود وبسق واعتدل وقطعه وجعل يقومه ويقوم أوده حتى صلح فبراه قوسا وهو يرتجز ويقول

أدعوك فاسمع يا الهى حرسى * يا رب سدّدنى لنحت قوسى

وانفع بقوسى ولدى وعرسى * فانها من لذتى لنفسى

انحتها صفراء لون الورس

قالت وكيف يميل مثلك للصبا * وعليك من سمة الحليم وقار
والشيب ينهض في الشباب كأنه * ليل يصيح بجانبيه نهار

وقيل للعين المنقري اقض بين جرير والفرزدق فقال

سأقضي بين كلب بني كليب * وبين القين قين بني عقال * فإن الكلب مطعمه خبيث
وإن القين يعمل في سفال * فما بقيا علي تركتماني * ولكن خفتما صرد النبال

وقال أبو عمرو بن العلاء حضرت الفرزدق وهو يجود بنفسه فما رأيت أحسن ثقة منه بالله تعالى توفي سنة عشر ومائة وقيل سنة اثنتي عشرة وقيل سنة أربع عشرة ورثاه جرير بأبيات منها قوله

فلا ولدت بعد الفرزدق حامل * ولا ذات بعل من نفاس تعلت
هو الوافد الميمون والراتق الثأى * إذا النعل يوما بالعشيرة زلت

ورثاه أيضا بغير ذلك وقال ابنه لبطة رأيت أبي في المنام فقلت ما فعل الله بك قال نفعتني الكلمة التي نازعت فيها الحسن عند القبر وذلك أن الحسن البصري لما وقف على قبر النوار زوجة الفرزدق والفرزدق واقف معه والناس ينظرون فقال الحسن ما للناس فقال الفرزدق ينظرون خير الناس وشر الناس فقال إني لست بخيرهم ولست بشرهم ولكن ما أعددت لهذا المضجع فقال شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة ورؤي في النوم فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لي بإخلاصي يوم الحسن وقال لولا شيبتك لعذبتك بالنار وقصته في تزوجه بالنوار ابنة عمه شهيرة ورزق منها أولادا وهم لبطة وسبطة وكاطة وليس لواحد منهم عقب

(سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا * وتسكب عيناي الدموع لتجمدا)

البيت للعباس بن الأحنف من أبيات من الطويل (والشاهد فيه السبب الثاني) الحاصل به التعقيد وهو الانتقال فإن معنى البيت أطلب وأريد البعد عنكم أيها الأحبة لتقربوا إذ من عادة الزمان الإتيان بضد المراد فإذا أريد البعد يأتي الزمان بالقرب وأريد وأطلب الحزن الذي هو لازم البكاء ليحصل السرور بما هو من عادة الزمان فأراد أن يكني عما يوجبه دوام التلاقي من السرور بالجمود لظنه أن الجمود خلو العين من البكاء مطلقا من غير اعتبار شيء آخر وأخطأ في مراده إذ الجمود هو خلو العين من البكاء حالة إرادة البكاء منها كقول أبي عطاء يرثي ابن هبيرة

ألا إن عينا لم تجد يوم واسط * عليك بجاري دمعها لجمود

وقول كثير عزة   ولم أدر أن العين قبل فراقها * غداة الشبا من لاعج الوجد تجمد

فلا يكون الجمود كناية عن السرور بل عن البخل فيكون الانتقال من جمود العين إلى بخلها بالدموع لا إلى ما قصده من السرور ولو كان في الجمود صلاحية لأن يراد به عدم البكاء حال المسرة لجاز أن يقال في الدعاء لا زالت عينك جامدة كما يقال لا أبكى الله عينك وهذا غير مشكوك في بطلانه وعليه قول أهل اللغة سنة جماد أي لا مطر فيها وناقة جماد أي لا لبن فيها وقد فسر المبرد في الكامل هذا البيت بغير هذا فقال هذا رجل فقير يبعد عن أهله ويسافر ليحصل ما يوجب لهم القرب وتسكب عيناه الدموع في بعده عنهم لتجمدا عند وصوله إليهم وأنشد   تقول سليمى لو أقمت بأرضنا * ولم تدر أني للمقام أطوف

ومنه قول الربيع بن خيثم وقد صلى طول ليلته حتى أصبح وقال له رجل أتعبت نفسك فقال راحتها أطلب (ومثله) قول روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب ونظر إليه رجل واقفا بباب المنصور في الشمس فقال له الرجل قد طال وقوفك في الشمس فقال روح ليطول قعودي في الظل (وقال الزجاج في أماليه) أخبرنا أبو الحسن الأخفش قال كنت يوما بحضرة ثعلب فأسرعت القيام قبل انقضاء المجلس فقال لي إلى أين ما أراك تصبر عن مجلس الخلدي يعني المبرد فقلت له لي حاجة فقال لي إني أراه يقدم البحتري على أبي تمام فإذا أتيته فقل له ما معنى قول أبي تمام أآلفة النحيب كم افتراق * أظل فكان داعية اجتماع

صلدا فليست كقسي النكس
ثم برى بقيته خمسة أسهم
وهو يرتجز ويقول

هن لعمري خمسة حسان
يلذ للرمي بها البنان
كأنما قوامها ميزان
فأبشروا بالخصب يا صبيان
إن لم يعقني الشؤم والحرمان
أو يرمني بكيده الشيطان

ثم أخذ قوسه وأسهمه وخرج إلى مكمن كان مورد الحمر في الوادي فوارى شخصه حتى إذا وردت رمى عيرا منها بسهم فمرق منه بعد أن أنفذه وضرب صخرة فقدح منها نارا فظن أنه قد أخطأ فقال

أعوذ بالله العزيز الرحمن
من نكد الجد معا والحرمان
مالي رأيت السهم فوق الصفوان
يرمي شرارا مثل لون العقيان
فأخلف اليوم رجاء الصبيان

ثم وردت حمر أخرى فرمى عيرا فصنع سهمه كالأول فظنه أخطأ فقال

أعوذ بالرحمن من شر القدر
أأخطأ السهم لإرهاف الوتر
أم ذاك من سوء احتيال ونظر
وإني عهدي لرام ذو ظفر
مطعم بالصيد في طول الدهر

ثم وردت حمر أخرى فرمى عيرا منها بسهم ففعل سهمه كالأول وظنه أخطأ فقال

يا حسرتا للشؤم والجد النكد
قد شفني القوت لأهلي والولد
والله ما خلفت في ذاك العهد

قال أبو الحسن فلما صرت الى أبي العباس المبرد سألته عنه فقال معنى هذا أن المتحابين والمتعاشقين قد يتصارمان ويتهاجران دلالا لا عزما على القطيعة فاذا حان الرحيل وأحسا بالفراق تراجعا الى الوداد وتلاقيا خوف الفراق وأن يطول العهد بالالتقاء بعده فيكون الفراق حينئذ سببا للاجتماع كما قال الآخر

متعانا بالفراق يوم الفراق * مستجيرين بالبكا والعناق

وأظل الفراق فالتقيا فيه * فراق أتاهما باتفاق

كيف أدعو على الفراق بحتف * وغداة الفراق كان التلاقي

قال فلما عدت الى مجلس ثعلب سألني عنه فأعدت عليه الجواب والابيات فقال ما أشد تمويهه ما صنع شيأ انما معنى البيت أن الانسان قد يفارق محبوبه رجاء أن يغنم في سفره فيعود الى محبوبه مستغنيا عن التصرف فيطول اجتماعه معه ألا تراه يقول في البيت الثاني

وليست فرحة الاوبات الا * لموقوف على ترح الوداع

وهذا نظير قول الآخر بل منه أخذ أبو تمام

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا * وتسكب عيناي الدموع لتجمدا

هذا ذاك بعينه وذكرت بما تقدم آنفا من أن عادة الزمان الاتيان بضد المراد أي وان كان على وفق الارادة الالهية قول الباخرزي ولما اخترت الفراق مغالطا * واحتلت في استثمار غرس ودادي

ورغبت عن ذكر الوصال لانها * تبنى الامور على خلاف مرادي

(والعباس بن الاحنف) هو خال ابراهيم بن العباس الصولي وهو حنفي يمامي وكان رقيق الحاشية لطيف الطباع وله مع الرشيد أخبار قال بشار ما زال غلام من بني حنيفة يدخل نفسه فينا ويخرجها حتى قال

أبكي الذين أذاقوني مودتهم * حتى اذا أيقظوني للهوى رقدوا

واستنهضوني فلما قمت منتصبا * بثقل ما حملوني منهم قعدوا

لأخرجن من الدنيا وحبهم * بين الجوانح لم يشعر به أحد

وكان في العباس آلات الظرف كان جميل المنظر نظيف الثوب فاره المركب حسن الالفاظ كثير النوادر شديد الاحتمال طويل المساعدة طلبه يحيى بن خالد البرمكي يوما فقال ان مارية هي الغالبة على أمير المؤمنين وانه جرى بينهما عتب فهي بعزة دالة المعشوق تأبى أن تعتذر وهو بعز الخلافة وشرف الملك والبيت يأبى ذلك وقد رمت الامر من قبلهما فأعياني وهو أحرى أن تستفزه الصبابة فقل شعرا تسهل به عليه هذه القضية وأعطاه دواة وقرطاسا فطلبه الرشيد فتوجه اليه ونظم العباس قوله

العاشقان كلاهما متغضب * وكلاهما متوجد متجنب

صدت مغاضبة وصد مغاضبا * وكلاهما مما يعالج متعب

راجع أحبتك الذين هجرتهم * ان المتيم قلما يتجنب

ان التجنب ان تطاول منكما * دب السلو له فعز المطلب

ثم قال لاحد الرسل أبلغ الوزير أني قد قلت أربعة أبيات فان كان فيها مقنع وجهت بها اليه فعاد الرسول وقال هاتها ففي أقل منها مقنع فكتب الابيات وكتب تحتها أيضا

لابد للعاشق من وقفة * تكون بين الوصل والصرم

حتى اذا الهجر تمادى به * راجع من يهوى على رغم

فدفع يحيى الرقعة الى الرشيد فقال والله ما رأيت شعرا أشبه بما نحن فيه من هذا الشعر والله لكأني قصدت بهذا فقال والله يا أمير المؤمنين وأنت المقصود به فقال الرشيد يا غلام هات نعلي فاني والله أراجعها على رغم فنهض وأذهله السرور وأمر للعباس بشيء ثم ان مارية لما علمت بمجيء الرشيد اليها تلقته وقالت كيف ذلك يا أمير المؤمنين فأعطاها الشعر وقال هذا الذي جاء بي اليك قالت فمن قاله قال العباس بن

لصبيتي من سيد ولا لبد
أذهب بالحرمان مع طول الامد

ثم وردت فصنع كالاول فقال

ما بال سهمي يظهر الحباحبا
وكنت أرجو أن يكون صائبا
اذ أمكن العير وأبدى جانبا
وصار ظني فيه ظنا كاذبا
وخفت أن أرجع يومي خائبا
اذ أفلتت أربعة ذواهبا

ثم وردت أخرى فصنع كالاول فقال

أبعد خمس قد حفظت عدها
أحمل قوسي وأريد ردها
أخزى الاله لينها وشدها
والله لا تسلم عندي بعدها
ولا أرجي ما حييت رفدها
قد أعذرت نفسي وأبلت جهدها

ثم خرج من مكمنه فاعترضته صخرة فضرب بالقوس عليها حتى كسرها ثم قال أبيت ليلتي ثم آتي أهلي فبات فلما أصبح رأى خمسة حمر مصرعة ورأى أسهمه مضرجة بالدم فندم على ما صنع وعض على أنامله حتى قطعها وقال

ندمت ندامة لو أن نفسي
تطاوعني اذا لقتلت نفسي
تبين لي سفاه الرأي مني
لعمر الله حين كسرت قوسي
وقد كانت بمنزلة المفدى
لدي وعند صبياني وعرسي
فلم أملك غداة رأيت حولي
حمير الوحش أن صرحت خمسي

الاحنف

الاحنف قالت فيم كوفئ قال مافعلت بعد شيأ فقالت والله لا أجلس حتى يكافأ فأمر له بمال كثير وأمرت هي له بدون ذلك وأمر له يحيى بدون ما أمرت به وحمل على برذون ثم قال له الوزير من تمام النعمة عندك أن لا تخرج من الدار حتى نؤثل لك بهذا المال ضيعة فاشترى له ضياعا بجملة من ذلك المال ودفع اليه بقيته ﴿وحدث﴾ أبو بكر الصولي عن أبي زكريا البصري قال حدثني رجل من قريش قال خرجت حاجا مع رفقة لي فعرجنا عن الطريق لنصلي فجاء نا غلام فقال لنا هل فيكم أحد من أهل البصرة فقلنا كلنا من أهل البصرة فقال ان مولاي من أهلها ويدعوكم اليه فقمنا اليه فاذا هو نازل على غدير ماء فجلسنا حوله فأحس بنا فرفع طرفه وهو لا يكاد يرفعه ضعفا وأنشأ يقول

يا بعيد الدار عن وطنه * مفردا يبكي على شجنه * كلما جد الرحيل به * زادت الاسقام في بدنه

ثم أغمي عليه طويلا ونحن جلوس حوله اذ أقبل طائر فوقع على أعالي شجرة كان تحتها وجعل يغرد ففتح عينيه وجعل يسمع تغريد الطائر ثم أنشأ يقول

ولقد زاد الفؤاد شجا * طائر يبكي على فننه * شفه ما شفني فبكى * كلنا يبكي على سكنه

ثم تنفس نفسا فاضت معه نفسه فلم نبرح من عنده حتى غسلناه وكفناه وتولينا الصلاة عليه فلما فرغنا من دفنه سألنا الغلام عنه فقال هذا العباس بن الاحنف وكانت وفاته سنة ثلاث وتسعين ومائة وقيل سنة اثنتين وماذكرا من انه مات هو والكسائي وابراهيم الموصلي وهشيمة الخمارة في يوم واحد وأن الرشيد أمر المأمون أن يصلي عليهم وانه قدم العباس بن الاحنف رحمه الله لقوله

وسعى بها قوم وقالوا انها * لهي التي تشقى بها وتكابد

فجحدتهم ليكون غيرك ظنهم * اني ليعجبني المحب الجاحد

ففيه نظر لان الكسائي مات سنة تسع وثمانين ومائة على خلاف فيه وما كان المأمون ممن يقدم العباس على مثل الكسائي وأيضا فقد روى الصولي أنه رأى العباس بن الاحنف بعد موت الرشيد بمنزله بباب الشام والله أعلم أي ذلك كان ومن شعره

وحدثتني يا سعد عنهم فزدتني * جنونا فزدني من حديثك يا سعد

هواها هوى لم يعرف القلب غيره * فليس له قبل وليس له بعد

ومنه أيضا

اذا أنت لم تعطفك الا شفاعة * فلا خير في ود يكون بشافع

وأقسم ما تركي عتابك عن قلى * ولكن لعلمي أنه غير نافع

واني ان لم ألزم الصبر طائعا * فلا بد منه مكرها غير طائع

ومن رقيق شعره قوله من جملة قصيدة

يا أيها الرجل المعذب نفسه * أقصر فان شفاءك الاقصار

نزف البكاء دموع عينك فاستعر * عينا لغيرك دمعها مدرار

من ذا يعيرك عينه تبكي بها * أرأيت عينا للبكاء تعار

وشعره كله جيد وجميعه في الغزل لا يكاد يوجد فيه مديح رحمه الله تعالى

﴿سبوح لها منها عليها شواهد﴾

قائله أبو الطيب المتنبي من قصيدة من الطويل يمدح بها سيف الدولة بن حمدان أولها

عواذل ذات الخال في حواسد * وان ضجيع الخود مني لماجد

يرد يدا عن ثوبها وهو قادر * ويعصي الهوى في طيفها وهو راقد

متى يشتفي من لاعج الشوق في الحشا * محب لها في قربه متباعد

اذا كنت تخشى العار في كل خلوة * فلم تتصباك الحسان الخرائد

ألح على السقم حتى ألفته * ومل طبيبي جانبي والعوائد

(وقد روي في طلاق الفرزدق النوار غير هذا) وليس هذا موضع ذكره (وروى) الحاتمي في كتاب حلية المحاضرة وغيره قال خرج جرير والفرزدق من العراق طالبي الرصافة لهشام بن عبد الملك وقد مدحاه فلما كانا ببعض الطريق نزل جرير ليبول فتلعثمت ناقة الفرزدق فضربها بالسوط وقال

علام تلفتين وأنت تحتي
وخير الناس كلهم أمامي
متى تردي الرصافة تستريحي
من الانساع والدبر الدوامي

ثم قال لرواتهما الساعة يجيء ابن المراغة فأنشده البيتين فينقصهما بأن يقول

تلفت انها تحت ابن قين
الى الكيرين والفاس الكهام
متى ترد الرصافة تخز فيها
كخزيك في المواسم كل عام

فرجع جرير فوجد القوم يضحكون فقال ما الخبر فقال أحد الرواة يا أبا حزرة أن أخاك أبا فراس وقع له كيت وكيت وأنشده البيتين الاولين فارتجل البيتين الآخرين فعجب القوم من ذلك الاتفاق وقالوا والله يا أبا حزرة لهكذا زعم انك تقول فقال أوما علمتم أن شيطاننا واحد ﴿وروى﴾ أن معن بن أوس المزني كان قد قدم البصرة وجلس

أهم بشيء والليالي كأنها * تطاردني عن كونه وأطارد
وحيد من الخلان في كل بلدة * اذا عظم المطلوب قل المساعد
وتسعدني في غمرة بعد غمرة * سبوح لها منها عليها شواهد

ومنها قوله في المديح خليلي اني لا أرى غير شاعر * فكم منهم الدعوى ومني القصائد
فلا تعجبا ان السيوف كثيرة * ولكن سيف الدولة اليوم واحد

وهي طويلة والسبوح الفرس الحسن الجري يقال فرس سابح وسبوح وخيل سوابح اسبحها بيديها في مسيرها وسبوح اسم فرس لربيعة بن جشم وهو مرفوع على أنه فاعل تسعدني (والمعنى) وتعينني على توارد الغمرات في الحروب فرس سبوح يشهد بكرمها خصال هي لها منها أدلة عليها (والشاهد فيه) كثرة التكرار وتتابع الاضافات وهي قوله لها منها عليها والله تعالى أعلم

(حمامة جرعا حومة الجندل اسجعي)

قائله ابن بابك الشاعر المشهور من قصيدة من الطويل وتمامه

* فأنت بمرأى من سعاد ومسمع *

والجرعاء هي الرملة الطيبة المنبت لا وعوثة فيها أو الارض ذات الحزونة تشاكل الرمل أو الدعص لا ينبت أو الكثيب جانب منه حجارة وجانب رمل وحومة القتال معظمه وكذلك من الماء والرمل وغيره والجندل الحجارة والسجع هدير الحمام ونحوه (والمعنى) ياحمامة جرعا هذا الموضع اسجعي وترنمي طربا فأنت بمرأى من الحبيبة ومسمع بحيث يراك أن تطربي اذ لا مانع لك منه (والشاهد فيه) تتابع الاضافات فانه أضاف حمامة الى جرعا وحومة الى الجندل وهو من عيوب الكلام قال القزويني وفيه نظر لان ذلك ان أفضى باللفظ الى الثقل على اللسان فقد حصل الاحتراز عنه بما تقدم أي بقوله من تنافر الكلمات مع فصاحتها والا فلا يخل بالفصاحة كيف وقد جاء في التنزيل مثل دأب قوم نوح وقد قال صلى الله عليه وسلم الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم قيل لا نسلم وجود تتابع الاضافات في الحديث الشريف اذ لفظة الابن صفة لما قبلها وليس ما قبلها مضافا اليها وعن الصاحب بن عباد اياك والاضافات المتداخلة فانها لا تحسن وذكر الشيخ عبد القاهر انها تستعمل في الهجاء كقول القائل

ياعلي بن حمزة بن عماره * أنت والله ثلجة في خياره

قال ولا شك في ثقل ذلك لكنه اذا سلم من الاستكراه ملح وظرف ومما حسن فيه قول ابن المعتز

وظلت تدير الراح أيدي جآذر * عتاق دنانير الوجوه ملاح

وقول الخالدي

ويعرف الشعر مثل معرفتي * وهو على أن يزيد مجتهد
وصيرفي القريض وزان دينـ * ـنار المعاني الدقاق منتقد

وهذان البيتان لسعيد بن هشام الخالدي الشاعر المشهور من قصيدة يصف فيها غلاماً له وهي بديعة فأحببت ذكرها وهي

ماهو عبد لكنه ولد * خولنيه المهيمن الصمد
وشد أزري بحسن خدمته * فهو يدي والذراع والعضد
صغير سن كبير منفعة * تمازج الضعف فيه والجلد
في سن بدر الدجى وصورته * فمثله يصطفى ويعتقد
معشوق الطرف كحله كحل * معطل الجيد حليه الجيد
ووردخديه والشقائق والـ * ـتفاح والجلنار منتضد
رياض حسن زواهر أبدا * فيهن ماء النعيم مطرد
وغصن بان اذا بدا واذا * شدا فقمري بانة غرد
مبارك الوجه مذ حظيت به * بالي رخي وعيشتي رغد

بالمربد ينشد الناس فوقف عليه الفرزدق وقال يامعن من الذي يقول

لعمرك ماهزينة رهط معن * بأخفاف يطأن ولا سنام

فقال معن هو الذي يقول

لعمرك ماتميم أهل فلج * بأرداف الملوك ولا كرام

فقال الفرزدق حسبك فاني جربتك فقال قد جربت وأنت أعلم فانصرف عنه الفرزدق (وروى) في مثل هذا أن خلف بن خليفة الشاعر كان قد سرق فقطعت يده فصنع كفا وأصابع من جلود واتفق أن مر بالفرزدق في بعض الايام فاراد العبث به فقال ياأبا فراس من القائل

هو القين وابن القين لاقين مثله * لفطح المساحي أو لجدل الاداهم

فقال الفرزدق هو الذي يقول

هو اللص وابن اللص لا لص مثله * لنقب جدار أو لطر دراهم

فانصرف مخزيا (وروى لنا عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنه قال) كنت في مجلس عبد الملك والاخطل ينشده اذ دخل الجحاف بن حكيم السلمي فقطع الاخطل انشاده والتفت اليه وقال

ألا سائل الجحاف هل هو ثائر

أنسي وهوى وكل مأربتي * مجتمع فيه لى ومنفرد
مسامرى ان دجى الظلام فلى * منه حديث كأنه الشهد
ظريف مزح مليح نادرة * جوهر حسن شراره يقد
خازن مافى دارى وحافظه * فليس شئ لدى مفتقد
ومنفق مشفق اذا أنا أسـ * ـرفت وبذرت فهو مقتصد
يصون كتبى فكلها حسن * يطوى ثيابى فكلها جدد
وأكثر الناس بالطبيخ فكالشـ * ـمس تك القلايا والعنبر الثرد
وهو يدير المدام ان جليت * عروس بكر نقابها الزبد
يخضب كأسى يدا أناملها * تحل من لينها وتنعقد
تثقفه كيسه فلا عوج * فى بعض أخلاقه ولا أود

وبعده البيتان وبعدهما أيضا

وكاتب توجد البلاغة فى * أماليه والصواب والرشد
وواجد بى من المحبة والشـ * ـرافة أضعاف ما به أجد
اذا تبسمت فهو مبتهج * وان تمردت فهو مرتعد
ذا بعض أوصافه وقد بقيت * له صفات لم يحوها أحد

وقد عارضها الشهاب محمود بقصيدة يذم فيها غلاما له وهى

ما هو عبد كلا ولا ولد * الا عناء تضنى به الكبد
وفرط سقم أعيى الاساة فلا * جلد عليه يبقى ولا جلد
أقبح ما فيه كله ولقد * تساوت الروح منه والجسد
أشبه شئ بالقرد فهو له * ان كان للقرد فى الورى ولد
ذو مقلة حشو جفنها رمص * تسيل دمعا وما بها رمد
ووجنة مثل صبغة الورس لـ * ـكن ذاك صاف ولونها كمد
كأنما الخد فى نظافته * قد أكلت فوق صحنه غدد
يقطر سما فضحكه أبدا * شر بكاء وبشره حرد
يجمع كفيه من مهانته * كأنه فى الهجير مرتعد
يطرق لا من حيا ولا خجل * كأنه للتراب منتقد
ألكن الا فى الشتم يبح كالـ * ـكلب ولو أن خصمه الاسد
يشتمنى الناس حين يشتمهم * اذ ليس يرضى بشتمه أحد
كسلان الا فى الاكل فهو اذا * ما حضر الاكل جمرة تقد
كالنار يوم الرياح فى الحطب الـ * ـيابس تأتى على الذى تجد
يرفل فى حلة منتنة * من قمله رقم طرزها طرد
أجل أوصافه النميمة والـ * ـكذب ونقل الحديث والحسد
كل عيوب الورى به اجتمعت * وهو بأصناف ذلك منفرد
ان قلت لم يدر ما أقول وان * قال كلاما فى الفهم منجمد
كأن مالى اذا تسلمه * ماء قراح وكفه سرد
جانبه لى دوية حسدت * كنت عليها فى الظرف أعتمد
كمثل زهر الرياض ما وجدت * عينى لها مشبها ولا تجد

بقتلى أصيبت من سليم وعامر
قال فنفض الجحاف يده فى وجهه وقال

نعم سوف نبكيهم بكل مهند
ونبكى عميرا بالرماح الشواجر

وكان ذلك عقب مقتل عمير ابن الحباب ثم قال لقد ظننت يا ابن النصرانية أنك لا تجسر على بهذا القول ولو وجدتنى أسيرا فى يدك فما برح الاخطل حتى حم فقال له عبد الملك أنا جارك منه فقال هبك أجرتنى منه يقظة فمن يجيرنى منه مناما فضحك عبد الملك قال على ابن ظافر وجرى هذا القول يوم البشر على تغلب (ومن ذلك) ما رواه أبو عبيدة وابن عائشة من سؤال عبد الملك بن مروان عمر بن أبى ربيعة المخزومى عن مناقضته للفضل بن عباس اللهبى وغلبة الفضل عليه فقال عمر بينا أنا جالس فى المسجد الحرام فى جماعة من قريش اذ دخل علينا الفضل بن عباس بن عتبة بن أبى لهب فوافقنى وأنا أتمثل بهذا البيت

وأصبح بطن مكة مقشعرا
كأن الارض ليس بها هشام

فأقبل على وقال يا أخا بنى مخزوم ان بلدة تبجح بها عبد المطلب وبعث منها رسول الله صلى الله عليه وسلم واستقر بها بيت الله عز وجل لحقيقة بأن لا تقشعر

فتر يومابها على رجـــل * لديه علم اللصوص يستند
أودعهـا عنـده فقـرّبهـا * وماحواه من بعدها البلد
فجاء يبكى فظلت أضحك من * فعلى وقلبى بالغيظ يتقد
وقال لى لاتخف فليتـه * مشهورة الشكل حين يفتقد
عليه ثوب وعمـــة وله * ذقن ووجـه وساعد ويد
وقائل بعه قلت خـذه ولا * وزن تجـازى به ولا عدد
ففى الذى قد أضاعه عوض * وهو على أن يزيد يجتهـد

ومثله قول راشد الكاتب فى ذم غلام له قد باعه وكان اسمه نفيسا فسماه خسيسا

بعنا خسيسا فلم يحزن له أحـد * وغاب عنا فغاب الهم والنكد
أهون به خارجا من بين أظهرنا * لم نفتقده وكلب الدار يفتقد
قد عريت من صنوف الخير خلقته * فلا رواء ولا عقـل ولا جلد
يدعو الفحول الى ما تحت مئزره * دعاء من فى استه الميران تتقد

﴿وقال فيه أيضا﴾ عرضنا خسيسا فاحتمى كل تاجر * شراه وأعيى بيعه كـل دلال
وما بات فى قـوم يحبـون قربه * وأصبح الا والمحـــب له قالى
فما فى يديه خـدمة يشـتهى لها * ولا عنـده معـنى يراد على حال
بلى ليس يخلو من معايب أهله * وان أصبحوا فى ذروة الشرف العالى
اذا لم يجـد فيهـم مقالا رماهم * ببعض عيوب الناس فى الزمن الخالى
ويحتال فى استخراج ما فى بيوتهم * بما قصرت عنـه يدا كل محتـال
وان حمـــلوه سر أمر أذاعه * وكادهـم فيـه كيادة مغتـال
ويعبث بالجـــيران حتى يملهم * ويبرم أهل الدار بالقيل والقال
تريهم صروف الدهر من حمقاته * أعاجيب لم تخطر بوهم ولا بال
أقول وقـد مروا به يعرضـونه * الى النار فاذهب لا رجعت ولا مالى

وقال العلامة ابن الوردى رحمه الله يهجو عبدا له اسمه بهادر

بهادر عبد لابهاء ولادر * فـأنا حر يوم قولى له حر

﴿وأما ابن بابك﴾ فهو عبد الصمد بن منصور بن الحسن بن بابك الشاعر المشهور أحد الشـعراء المجيدين المكثرين وهو بغدادى وله ديوان كبير وأسلوب رائق فى نظم الشعر طاف البلاد ومدح الاكابر كعضد الدولة والصاحب بن عبـاد وغيرهما وأجزلوا له الجوائز وذكر صاحب اليتيمة أنه كان يشـتو فى حضرة الصاحب بن عباد ويصيف فى وطنه وقد ذكر ذلك فى بعض قصائده قال وقرأت للصاحب فصلا فى ذكره فاستملحه وهو وأما ابن بابك وكثرة غشـيانه بابك فانما يغشى منازل الكرام والمنهل العـذب كثير الزحام ومن شعره فى وصف الخمر من قصيدة

عقار عليها من دم الصب نقطة * ومن عبرات المستهام فواقع
معوّدة غصب العقول كأنما * لهـا عند ألباب الرجال ودائع
تحير دمع المزن فى كأسها كما * تحير فى ورد الخدود المدامع

وله من أخرى فى وصف اضرام النار فى بعض غياض طريقه الى الصاحب

ومقلة فى محجر الشمس مسعبها * أرعيتها فى شباب السدفة الشهبا
حتى أرتنى وعين الشمس فاترة * وجه الصباح بذيل الليل منتقبا
وليلة بت ســـلو الهم أولهـا * وعدت آخرها أستنجـد الطربا

لهشام وان أشعر من هذا البيت وأصدق قول الذى يقول
انما عبد مناف جوهر * زين الجوهر عبد المطلب
فأقبلت عليـه وقلت ياأخا بنى هاشم وان أشـعر من صاحبك الذى يقول
ان الدليـل على الخـيرات أجمعها * أبنـاء مخـزوم للخـيرات مخزوم
فقال أشعر والله من صاحبك الذى يقول
جبريل أهدى لنا الخيرات أجمعها * اذ أم هاشم لا أبناء مخزوم
فقلت فى نفسى غلبنى والله ثم حملنى الطمع فى انقطاعه على مخاطبتى فقلت بل أشعر منه الذى يقول
أبنـاء مخزوم الحريق اذا * حركت نيرانه ترى ضرما
يخرج منه الشرار مع لهب * من حاد عن حره فقد سلما
فوالله ما تلعثم أن أقبـل بوجهـه وقال أشـعر من صاحبك ياأخا بنى مخزوم الذى يقول
هاشم بحر اذا همى وطمى * أخمد حر الحريق واصطرما
واعلم وخير المقال أصدقه * بان من رام هاشمـا هشمـا
وقال ياأمير المؤمنـــين فتمنيت والله أن الارض ساخت بى ثم تجلدت وقلت ياأخا بنى هاشم أشعر من هذا ـ لك الذى يقول

في غيضة من غياض الحسن دانية * صد الظلام على أوراقها طنبا
يهدى اليها مجاج الجرسا كنها * وكلما دب فيها أثمرت لهبا
حتى اذا النار طاشت في ذوائبها * عاد الزمرذ من عيدانها ذهبا
مرقت منها وثغر الصبح مبتسم * الى أغر يرى المذخور ما وهبا

وله أيضا

أحببته أسود العينين والشعره * في عينه عدة للوصل منتظره
لدن المقلد مخطوف الحشا ثقلا * رخص العظام أشم الانف والقصره
للظبي لفتته والغصن قتلته * والروض ما بثه والرمل ما ستره
تكاد عيني اذا خاضت محاسنه * اليه تشرب من رقة البشره
حتى اذا قلت قد أملتها شرهت * شوقا اليه وفي عين المحب شره

ومنه

زهر الغروب وأصوات النواعير * والشرب في ظل أكواخ المناظير
وصرعة بين ابريق وباطية * ونقرة بين مزمار وطنبور
أشهى الى من البيداء أعسفها * ومن طلوع الثنايا الشهب والقور
يارب يوم على القاطول جاذبني * صبح الزجاجة فيه فضلة النور
صدعت طرته والشمس قاصدة * في يلمق من ضباب الدجن مزرور
كأن ما انهل من أهداب مزنته * دمع تساقط من أجفان مهجور
فمن رشاش على الريحان مقتحم * ومن رذاذ على المنثور منثور

ومن شعره أيضا وغدير ماء أعيمت أطرافه * كالدمع لما ضاق عنه مجال
قر الرياض اذا الغصون تعدلت * واذا الغصون تهدلت فهلال

ومنه وهو غريب التشبيه

وافى الشتاء فبز النور بهجته * فعل المشيب بشعر اللمة الرجل
ورد تفتح ثم ارتد مجتمعا * كما تجمعت الافواه للقبل

وقد أخذه الامير مجير الدين بن تميم مع زيادة التضمين فقال

سبقت اليك من الحدائق وردة * وأتتك قبل أوانها تطفيلا
طمعت بلثمك اذ رأتك فجمعت * فمها اليك كطالب تقبيلا

وهذا التضمين من بيت المتنبي في وصف الناقة وهو

ويغيرني جذب الزمام لقلبها * فمها اليك كطالب تقبيلا

فنقله ابن تميم الى وصف ذر الورد فأحسن غاية الاحسان وهو من قول مسلم بن الوليد

والعيس عاطفة الرؤس كأنما * يطلبن سر محدث في المجلس

وفي مثل قول ابن تميم قول الخمار البلدي دو بيت

ووردة تحكي بسبق الورد * طليعة تسرعت من جند
قد ضمها في الغصن قرص البرد * ضم فم لقبلة من بعد

وذكرت بهذا ما قاله صاعد اللغوي صاحب كتاب الفصوص يصف باكورة ورد حملت الى أبي عامر محمد بن أبي عامر الملقب بالمنصور

أتتك أبا عامر وردة * يحاكي لك المسك أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصر * فغطت بأكمامها راسها

فاستحسن المنصور ما جاء به فحسده الحسين بن العريف فقال هي لعباس بن الاحنف فنا كره صاعد فقام ابن العريف الى منزله ووضع أبياتا وأثبتها في صفح دفتر وقد نقض بعض أسطاره وأتى بها قبل افتراق المجلس وهي

عشوت الى قصر عباسة * وقد جدل النوم حراسها

أبناء مخزوم أنجم طلعت * للناس تجلو بنورها الظلما
تجود بالنيل قبل تسأله * جودا هنيأ وتضرب البهما
فأقبل علي أسرع من البرق وقال أشعر من صاحبك وأصدق الذي يقول
هاشم شمس بالسعد مطلعها * اذا بدت أخفت النجوم معا
اختار منها ربي النبي فمن * قارعنا بعد أحمد قرعا
فاسودت الدنيا في عيني وأدبر بي فانقطعت فلم أحر جوابا فقلت يا أخا بني هاشم ان كنت تفخر علينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما تسعنا مفاخرتك فقال كيف لا أم لك والله لو كان منك لفخرت به علي فقلت صدقت وأستغفر الله والله انه لموضع الفخار صلى الله عليه وسلم وداخلني السرور لقطعه الكلام ولئلا ينسب الي عجز عن اجابته فأقتضح ثم انه ابتدأ المناقضة فأفكر هنيهة ثم قال قد قلت فلم أجد بدا من الاستماع فقلت هات فقال
نحن الذين اذا سما لفخارهم * ذو الفخر أقعده الزمان المقعد
فاخر بنا ان كنت يوما فاخرا * تلق الالى فخروا بفخرك أفردوا
قل يا ابن مخزوم لكل مفاخر * منا المبارك ذو الرسالة أحمد
ماذا يقول ذوو الفخار هنا لكم

فألفيتها وهي في خدرها * وقد صدع السكر ايناسها فقالت أسار على هجمة * فقلت بلى فرمت كاسها
ومدّت الى وردة كفها * يحاكي لك المسك أنفاسها كعذراء أبصرها من صر * فغطت بأكمامها راسها
وقالت حلف الله لا تفضحن في ابنة عمك عباسها فوليت عنها على غفلة * ولا خنت ناسي ولا ناسها
قال فخجل صاعد وحلف فلم يقبل منه وافترق المجلس على انه سرقها وتمكنت في صاعد لانه كان يوصف
بغير الثقة فيما ينقله ومن شعر ابن بابك يصف زمام الناقة وهو معنى جيد

ولقد أتيت اليك تحمل برقي * حرف يسكن طيشها الدألان
يثني الزفير خطامها فكأنه * غار يحاول نفسه ثعبان

وقد زاد فيه على المتنبي وقد ذكر الخيل

تجاذب فيها اللصباح أعنة * كأن على الاعناق منها أفاعيا

وهو من قول ذي الرمة رجيعة أسقام كأن زمامها * شجاع على يسرى الذراعين مطرق
على أن ذا الرمة لم يرد على التشبيه شيأ والمتنبي أتى به في عرض بيته وزاد مقصدا آخر وهو أن الخيل
لا تترك الاعنة تستقر في أيدي فرسانها لما فيها من سورة المرح وحسن البقية بعد طول السرى فكأنما
الاعنة أفاعي تلدغ أعناقها اذا باشرتها فتجاذبها الفرسان الاعنة وهي تجاذبهم اياها وهذا لم يقصده ذو الرمة
ولا يؤخذ من بيته ومن شعر ابن بابك بيت من قصيدة في غاية الرقة وهو

ومر بي النسيم فرق حتى * كأني قد شكوت اليه ما بي

ونقل بعضهم أن ابن بابك لما وفد على الصاحب بن عباد وأنشده مدائحه فيه طعن عليه بعض الحاضرين
وذكر أنه منتحل وانه ينشد قصائد قد قالها ابن نباتة السعدي فأراد الصاحب بن عباد أن يمتحنه فاقترح
عليه أن يقول قصيدة يصف فيها الفيل على وزن قول عمرو بن معدي كرب

أعددت للحدثان سا * بغة وعداء علندا (فقال) قسما لقد نشر الحيا * بمناكب العلمين بردا
وتنفست عنبيـة * تستضحك الزهر المندى * وجريحة اللبات تنثر من سقيط الدمع عقدا
باريتها حلب الشؤ * ن وقلما استعبرت وجدا * ومساجل لي قد شققت لدائه في الحمد
لا ترم بي وأنا الذي * صيرت حر الشعر عبدا * بشوارد شمس القيا * د يردن عند القرب بعدا
وعمك البردين في * شبه المقاشية وقدا * وكأنما نسجت عليه يد الغمام الجون جلدا
واذا لوتك صفاته * أعطاك نسج الروم نقدا * فكأن معصم غادة * في ما صغيه اذا تصدى
وكأن عودا عاطلا * في صفحتيه اذا تبدى * يحدو قوائم أربعا * يتركن بالتلعات وهدا
جاب المطوق قد تفرد بالكراهة واستبدا * فاذا تحامل هضبة * فكأن طل الليل مدا
واذا هوى وكأن ركنا من عمان قد تردى * واذا استقل رأيت في * أعطافه هزلا وجدا
متقرطا أذنا تجي * زجر العسوف اذا تعدى * خرقاء لا يجد السرا * راذا تولجها امردا
أو طأته صرعى بسيـ * في واجتنيت وصال سعدى * ملك رأى الاحسان من * عدد النوائب فاستعدا
كافي الكماة اذا انثنت * مقل القنا الخطار رمدا * تكسوه نشر العرف كف * من جفون الطل أندى
لا زلت بأمل المنا * ة لعارط الاملاق وردا * فالق الليالي لابسا * عيشا برود الظل رغدا
واستحسنها الصاحب ولام الطاعن عليه على كذبه وادّعائه انه انتحل شعر غيره فقال يا مولانا هذا والله معه
ستون فيلية كلها على هذا الوزن لابن نباتة فضحك منه وكان الصاحب قد برر أمره لابن بابك وغيره من
الشعراء الذين بحضرته أن يصفوا الفيل على هذا الوزن فمن قصيدة لابي الحسن الجوهري

وهو بخرطوم كثل الصولجان يرد ردا * متمدد كالافعوا * ن تمدّه الرمضاء مدا
أوكم راقصة تشير به الى الندمان وجدا * وكأنه بوق يحركه لينفخ فيه جدا
يسطو بصارمتي لجين يحطمان الصخر هدا * أذناه مروحتان أسندتا الى العودين غمدا

هيهات ذلك هل ينال الفرقد
حصرت وتبلدت وقلت لك عندي جواب فأنظرني فأفكرت مليا ثم أنشأت أقول

لا فخر الا وقد علاه محمد * فاذا فخرت به فاني أشهد
ان قد فخرت وفقت كل مفاخر * واليك في الشرف الرفيع المعمد
ولغاد عاثم قد بناها أوّل * في المكرمات جرى عليها المولد
من رامها حاشى النبي وأهله * بالفخر غطمطه الخليج المزبد
دع ذا ورح لغناء خود بضة * مما انطقت به وغنى معبد
مع فتية تبدي بطون أكفهم * جود اذا على الحرون الانكد
يتناولون سلافة عانية * لذت لشاربها وطاب المقعد

فوالله يا أمير المؤمنين لقد أجابني بجواب كان أشد عليّ من الشعر فقال يا أخا بني مخزوم أريك السهى وتريني القمر قال أبو عبد الله اليزيدي يريد أدلك على الامر الغامض وأنت لم تبلغ أن ترى الامر الواضح وهو مثل ثم قال تخرج من المفاخرة الى شرب الخمر المحرمة فقلت له أما علمت أصلحك الله

عيناه غائرتان ضـــيقتا الجسم الصوء محمدا
ومن قصيدة لابى محمد الخازن

وكأنما خرطومه * راووق خمر مدّ مـدّا
أو مثـل كمّ مسبل * أرخته للتوديع سعدى

واذا التوى فكأنه الـ* ـثعبان من جبل تردّى
وكأنما انقلبت عصا* موسى غداة بها تحدّى

وكانت وفاته فى سنة عشر وأربعمائة ببغداد رحمه الله تعالى

﴿شواهد الفن الاوّل وهو علم البيان﴾

(جاء شقيق عارضا رمحه * ان بنى عمك فيهم رماح)

البيت لحجل بن نضلة من السريع وبعده

هل أحدث الدهر لنا ذلة * أم هل رمت أم شقيق سلاح

شقيق هنا اسم رجل (والمعنى) جاء هذا الرجل واضعا رمحه عرضا مفتخرا بتصريف الرماح مدلا بشجاعته دالا ذلك على اعجاب شديد منه واعتقاد بأنه لا يقوم اليه أحد من بنى أعمامه كأنهم كلهم عزل ليس مع أحد منهم رمح فقيل له تنكب وخل لهم طريقهم لئلا تتراحم عليك رماحهم وتترا كم عليك أسنتها ان بنى عمك فيهم رماح كثيرة (والشاهد فيه) تنزيل غير المنكر للشئ منزلة المنكر له اذا ظهر عليه شئ من أمارات الانكار وقد تقدم معناه وما أحسن قول ابن جابر الاندلسى مشيرا الى شطر البيت الاوّل

سامح بالوصـل على بخله * وقال لى أنت بوصـلى حقيق

فقلت ما رأيك فى نزهـة * ما بين كاسات وروض أنيـق

فقال يعنى خـده والمـا * هذا هو الروض وهذا الرحيق

فبت من دمعى ومن خده * ما بين نعـمان وبين العقيق

واذ تدللت على حبـه * فقـال ما تخشى أما تستفيق

قدّى وخدّى خفهما يافتى * هـذا هو الرمح وهذا شـقيق

وقد ضمنه أبو جعفر الاندلسى أيضا فقال

أبدت لنا الصدغ على خدها * فأطلع الليل لنا صبحه

خـدها مع قـدها قائل * هذا شقيق عارض رمحه

وقد ضمنه ابن الوردى أيضا فقال

لما رأى الزهر الشقيق انثنى * منهزما لم يستطع لمحه

وقال من جاء فقلنا له * جاء شـقيق عارضا رمحه

وأما حجل بن نضلة فهو أحد بنى عمرو بن عبد قيس بن معن بن أعصر

(أشاب الصغير وأفنى الكبيـ* ـر كر الغداة ومر العشى)

البيت للصلتان العبدى الحماسى من قصيدة من المتقارب ونسب الجاحظ فى كتاب الحيوان هذه الابيات للصلتان السعدى وقال هو غير الصلتان العبدى وبعد البيت

اذا ليلة أهرمت يومها * أتى بعد ذلك يوم فتى
نروح ونغدو لحاجاتنا * وحاجة من عاش لا تنقضى

تموت مع المرء حاجاته * وتبقى له حاجة ما بقى
اذا قلت يوما لمن قد ترى * أرونى السرى أروك الغنى

نبى تداحه نجوى الرجال * فكن عند سرك حب النجى

فسرك ما كان عند امرئ * وسر الثلاثة غير الخفى
فكن كابن ليل على اسود * اذا ما سواد بليل خشى

فكل سواد وان هبته * من الليل يخشى كما تختشى
أرد محكم الشعر ان قلته * وان الكلام كثير الروى

كما الصمت أدنى لبعض الاسا * ء وبعض التكلم أدنى لعى

ان الله تعالى يقول فى الشعراء وأنهم يقولون ما لا يفعلون فقال قد صدقت وقد استثنى الله عز وجل قوما منهم فقال الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا فان كنت منهم فقد دخلت فى الاستثناء واستحققت العقوبة بدعائك اليها وان لم تكن منهم فالشرك بالله عز وجل عليك أعظم من الخمر فقلت أصلحك الله لا أرى للمستجدى شيأ أعظم من السكوت فضحك وقال استغفر الله ثم قام عنى فضحك عبد الملك حتى كاد يموت ثم قال يا ابن أبى ربيعة أما علمت أن لبنى عبد مناف ألسنة لا تطاق ثم قضى حوائج عمر وصرفه (قال على بن ظافر) وأحسب الحكاية مصنوعة لان أشعارها ضعيفة (وروى) ورقاء العامرى أن الحجاج قال لليلى الاخيلية لما وفدت عليه ان شبابك قد هرم فولى واضمحل أمرك وأمر توبة بن الحمير فأقسم عليك الا ما صدقتنى هل كان بينكما ريبة قط أو خاطبك فى ذلك قط فقالت لا والله أيها الامير الا انه قال لى مرة كلمة فيها بعض الخضوع فقلت له

وذى حاجة قلنا له لا تبح بها * فليس اليها ما حييت سبيل
لنا صاحب لا ينبغى أن نخونه *

(ومعنى البيت) أن كرور الايام ومرور الليالى يجعل الصغير كبيرا والطفل شائبا والشيخ فانيا (والشاهد فيه) حمل اسناد الافناء الى كرور الايام ومرور الليالى على الحقيقة لكون اسناده الى ماهو له عند المتكلم في الظاهر والصلتان العبدى هو قثم بن حبية بن عبد القيس وهو شاعر مشهور قيل له اقض بين جرير والفرزدق فقال

أنا الصلتان الذى قد علمتموا * متى ما يحكم فهو بالحق صادع
أتتنى تميم حين هابت قضاتها * وانى لبالفصل المبين قاطع
كما أنفذ الاعشى قضية عامر * وما لتميم فى قضائى رواجع
سأقضى قضاء بينهم غير جائر * فهل أنت للحكم المبين سامع
قضاء امرئ لا يتقى الشتم منهم * وليس له فى المدح منهم منافع
فان كنتما حكمتمانى فأنصتا * ولا تجزعا وليرض بالحق قانع
فان يك بحر الحنظليين واحدا * فما تستوى حيتانه والضفادع
وما يستوى صدر القناة وزجها * وما يستوى شم الذرى والاكارع
وليس الذنابى كالقدامى وريشه * وما تستوى فى الكف منك الاصابع
ألا انما تحظى كليب بشعرها * وبالمجد تحظى دارم والاقارع
أرى الخطفى بذ الفرزدق شأوه * ولكن خيرا من كليب مجاشع
فيا شاعرا لا شاعر اليوم مثله * جرير ولكن فى كليب تواضع
ويرفع من شعر الفرزدق أنه * له باذخ لذوى الخسيسة رافع
وقد يحمد السيف الردىء بغمده * وتلقاه رثا جفنه وهو قاطع
يناشدنى النصر الفرزدق بعدما * أناخت عليه من جرير صواقع
فقلت له انى ونصرك كالذى * يثبت أنفا كشمته الجوادع

وفى ذلك يقول جرير رحمه الله تعالى

أقول ولم أملك سوابق عبرة * متى كان حكم الله فى كرب النخل

﴿ميز عنه قنزعا عن قنزع * جذب الليالى أبطئى أو أسرعى * افناه قيل الله للشمس اطلعى﴾

هذه الابيات لابى النجم العجلى من قصيدة من الرجز أولها

قد أصبحت أم الخيار تدعى * على ذنبا كله لم أصنع * من أن رأت رأسى كرأس الاصلع

وبعده الابيات وبعدها حتى اذا واراك افق فارجعى والقنزعة الخصلة من الشعر تترك على رأس الصبى أوهى ما ارتفع من الشعر وطال أو الشعر حوالى الرأس وجمعها قنازع وقنزعات وجذب الليالى هو مضيها واختلافها يقال جذب الشهر اذا مضى عامته وأبطئى أو أسرعى صفة الليالى أى المقول فيها أبطئى أو أسرعى وقيل حال منها أى الليالى مقولا فيها أبطئى أو أسرعى والصلع انحسار شعر مقدم الرأس لنقصان مادة الشعر فى تلك البقعة وقصورها عنه واستيلاء الجفاف عليها ولتطامن الدماغ عما يماسه من القحف فلا يسقيه سقيه اياه وهو ملاق له والمواراة الستر ﴿ومعنى الابيات﴾ أن هذه الحبيبة يعنى أم الخيار زوجته أصبحت تدعى على ذنوبا لم أرتكب شيأ منها لرؤيتها رأسى كرأس الاصلع لكبرى وشيخوختى ميز وفصل مر الايام ومضى الليالى الشعر الذى بقى حوالى الرأس وجوابه ثم قال أفناه قيل الله وأمره للشمس بالطلوع والغروب (والشاهد فيها) هو أن حمل اسناد تمييز الشعر الى جذب الليالى مجاز بقرينة قوله أفناه الى آخره (وأبو النجم) تقدم التعريف به فى شواهد المقدمة

﴿يزيدك وجهه حسنا * اذا ما زدته نظرا﴾

البيت لابى نواس من قصيدة من الوافر يهجو فيها الاعراب والاعرابيات ويذم عيشهم وأولها

وأنت لاخرى صاحب وخليل
فلا والله ما سمعت بعدها منه نغمة فيها ريبة حتى فرق الموت بيننا فقال لها الحجاج فما كان منه بعد ذلك فقالت وجه صاحبا له الى حاضرنا فقال اذا أتيت الحاضر من بنى عبادة بن عقيل فاعل شرفا ثم اهتف بهذا البيت

عفا الله عنها هل أبيتن ليلة * من الدهر لا يسرى الى خيالها

فلما فعل الرجل ذلك عرفت المعنى فقلت له

وعنه عفا ربى وأحسن حفظه * عزيز علينا حاجة لا ينالها

(ومن ذلك) ما روى أبو صالح الفزارى قال أقبل شقران مولى سلامان من البصرة بتمر قد امتاره فلقيه ابن ميادة الرماح بن أبرد فقال له ماهذا الذى معك قال تمر امترته لاهلى فقال له زب رباح فقال ابن ميادة

كأنك لم تقفل لاهلك مرة * اذا أنت لم تقفل بزب رباح

(فقال شقران)

فان كان هذا زبه فانطلق به * الى نسوة سود الوجوه قباح

فغضب ابن ميادة وانحنى عليه بالسوط يضربه ثم انصرف مغضبا * وكان المغيرة بن حبناء يهاجى زياد الاعجم العبقسى وكان بالمغيرة

دع الرسم الذى دثرا * يقاسى الريح والمطرا * وكن رجلا أضاع العمر * ض فى اللذات والخطرا
ألم تر مابنى كسرى * وسابور لمن عبرا * منازل بين دجلة والـ * فرات احفها شجرا
بأرض باعد الرحمـ * ـن عنها الطلح والعشرا * ولم يجعل مصايدها * يرابيعا ولا وجرا
ولكن حور غزلان * تراعى بالملا بقرا * وان شئنا احشنا الطيـ * ـر من حافاتها زمرا
الى أن قال
أما والله لا أشرا * حلفت به ولا بطرا
لوان مرقشا حى * تعلق قلبه ذكرا * كأن ثيابه أطلعـ * ـن من أزراره قمرا
ومرّ به بديوان الـ * ـخراج مضمخا عطرا * بوجه سابرى لو * تصوب ماؤه قطرا
وقد خطت حواضنه * له من عنبر طررا * بعين خالط التفتيـ * ـر فى أجفانها حورا
يزيدك وجهه حسنا * اذا مازدته نظرا * لأيقن أن حب المر * د يلقى سهله وعرا
ولاسيما وبعضهم * اذا حييته انتهرا

(والمعنى فى البيت) أن وجهه لما فيه من نهاية الحسن وغاية الكمال كلما كررت النظر فيه زاده الله عندك حسنا وبهاء مع أن تكرار النظر الى الشئ قلما يحلو وفى معناه قول الآخر

كلما زدت اليه نظرا * زاد حسنا عند تكرار النظر

وقول ابن الرومى

لاشئ الا وفيه أحسنه * فالعين منه اليه تنتقل
فوائد العين فيه طارفة * كأنما أخرياتها أول

وقول المتنبى وهو المضاعف حسنه ان كررا وقول عبدوس المغربى

ياغزالا وهلالا * خلقا خلقا عجيبا * وقضيبا وكثيبا * جمعا فذا غريبا
قد غصضنا دونك الالـ * ـحاظ خوفا أن تذوبا * كلما زدناك لحظا * زدتنا حسنا وطيبا

وقول ابن الخيمى

ماينتهى نظرى منهم الى رتب * فى الحسن الا ولاحت فوقها رتب

وقول قوام الدين المعروف بابن الطراح

وعدك لا ينقضى له أمد * ولا لليل المطال منك غد * علّلتنى بالمنا غدا فغدا * ان غدا سرمدا هو الابد
تضحك عن واضح مقبله * عذب برود كأنه البرد * أحوم من حوله وبى ظمأ * الى جنى ريقه ولا أرد
وكلما زدت وجهه نظرا * بدت عليه محاسن جدد

وقريب منه قول ابن المطرز

ياحبيبا كله حسن * لمحب كله نظر * وجهه من كل ناحية * حيثما قابلته قمر

ومن ظريف مايذكر هنا أن يعقوب بن الدقاق مستملى أبى نصر صاحب الاصمعى قال كنا يوم جمعة بقبة الشعراء فى رحبة مسجد المنصور نتناشد وكنت أعلاهم صوتا اذ صاح بى صائح من ورائى يامنتوف فتغافلت كأنى لم أسمع شيأ فقال ويلك ياأعمى ياأعمى لم لا تتكلم فقلت من هذا فقالوا أبو دانق الموسوس فالتفت اليه فقال ويلك هل تعرف أحسن من هذا البيت أو أشعر من قائله وهو

ماتنظر العين منه ناحية * الا أقامت منه على حسن

فقلت كالمحاور له لا فقال لا أم لك هلا قلت نعم قوله

يزيدك وجهه حسنا * اذا مازدته نظرا

ثم وثب وثبة فجلس الى جانبى وأقبل علىّ وقال لى ياأعمى صف لى صورتك الساعة والا أخرجتك من بزتك ثم أقبل علىّ من كان حاضرا فقال ظلمناه ظلمناه هو ضرير لم ير وجهه فمن أحسن منا أن يصفه فليصفه وكان على الحقيقة أقبح الناس وجها وكان يحلق شعر رأسه وشعر لحيته وشعر حاجبيه ويدهن قال فلم يتكلم احد فقال اكتبوا صفته فى رأسه وأنشد

أشبه رأسه لولا وجار * بعينيه ونصنصة اللسان * بأصغر قرعة عظمت وتمت * فليس لها الذى التمييز ثان

وضح فقال فيه زياد يصف بياضه
عجبت لابيض الخصيين عمد * كأن عجانه الشعرى العبور
فقيل له ياأبا امامة لقد شرفته ورفعت من قدره اذ تقول كان عجانه الشعرى فقال أو هكذا ظننكم لأزيدنه شرفا ورفعة ثم صنع فيه من قطعة فقال
لاتبصر الدهر منهم خاريا أبدا
الا وجدت على باب استه قمرا
واتفق انهما اجتمعا يوما بمجلس المهلب فجرى بينهما مهاترة فقال المغيرة لزياد
أقول له وأنكر بعض مابى * ألم تعرف رقاب بنى تميم
(فقال زياد)
بلى أعرفتهن مقصرات * جباه مذلة وسبال لوم
فانقطع المغيرة (ومن ذلك) ماذكره المدائنى قال كان أرطاة بن سهية المرى يهاجى الربيع بن قعنب فاجتمعا ... بالمهاترة والمناقصة فقال أرطاة للربيع
لقد رأيتك عريانا ومؤتزرا * فمادريت أأنثى أنت أم ذكر
(فقال الربيع)
لكن سهية تدرى اذ أتيتكم * على عريجاء لما انحلّ الازر
فانقطع ابن سهية (ويروى) ان صح وجود مجنون بنى عامر انه لما تزوجت ليلى

اذا عليت أساطوا أمالت * دعائم رأسها نحو اللبان
فكان لها مكان الجيد منها * اذا اتصلت عمسكة الجران
لها في كل شارقة وبيص * كأن بريقها لمع الدهان
فلا سلمت من حذرى وخوفى * متى سلمت صفاتك من بنانى

ووثب الى "خالت الايدى بنى وبينه (والشاهد فى البيت) معرفة حقيقة المجاز العقلى" الخفية التى لا تظهر الا بعد نظر وتأمل ومثله قول محمد اليزيدى

أتيتك عائذا بك منك لما * ضاقت الحيل * وصيرنى هواك وبى * لحينى يضرب المثل
فان سلمت لكم نفسى * فما لاقيته جلل * وان قتل الهوى رجلا * فانى ذلك الرجل

أى صيرنى الله بهواك وحالى هذه وهى أن يضرب المثل بى لحينى أى أهلكنى الله ابتلاء بسبب هواك والبيت الاخير مأخوذ من قول مسلم بن الوليد

متى ما تسمعى بقتيل أرض * أصيب فانى ذاك القتيل

(وأبو نواس) هو أبو على "الحسن بن هانى بن عبد الاول بن الصباح الحكمى الشاعر المشهور وكان جده مولى الجراح بن عبد الله الحكمى" والى خراسان ونسبته اليه قيل انه ولد بالبصرة ونشأ بها ثم خرج الى الكوفة مع والبة بن الحباب ثم صار الى بغداد وقيل انه ولد بالاهواز وقيل انه ولد بكورة من كور خوزستان فى سنة احدى وأربعين ومائة ونقل الى البصرة فنشأ بها ثم انتقل الى بغداد وقد رادست سنه على الثلاثين ولم يلحق بها أحدا من الخلفاء قبل الرشيد وكان أول ما قاله من الشعر وهو صبى قوله

حامل الهوى تعب * يستخفه الطرب * ان بكى يحق له * ليس ما به لعب
تضحكين لاهية * والمحب ينتحب * كلما انقضى سبب * منك جاء فى سبب
تعجبين من سقمى * صحتى هى العجب * وهى أبيات مشهورة

(وروى) أن الخصيب صاحب مصر سأل أبا نواس عن نسبه فقال أغنانى أدبى عن نسبى ومازال العلماء والاشراف يروون شعر أبى نواس ويتفكهون به ويفضلونه على أشعار القدماء (قال محمد بن داود الجراح) كان أبو نواس من أجود الناس بديهة وأرقهم حاشية لسانا بالشعر يقوله فى كل حال والردىء من شعره ما حفظ عنه فى سكره (قال الجاحظ) لا أعرف بعد بشار مولدا أشعر من أبى نواس (وقال الاصمعى) ما أروى لاحد من أهل الزمان ما أرويه لابى نواس (وقال أبو عبيدة) أبو نواس للمحدثين كامرئ القيس للاولين لانه الذى فتح لهم باب هذه الفطن ودلهم على هذه المعانى وقال ذهبت اليمن بجيد الشعر وهزله فامرؤ القيس بجده وأبو نواس بهزله (وقال أبو الحسن الطوسى) شعراء اليمن ثلاثة امرؤ القيس وحسان وأبو نواس وكان خلف الاحمر ولاء فى اليمن فى الاشاعرة وكان عصبيا وكان من أميل خلق الله الى أبى نواس وهو الذى كناه بهذه الكنية لانه قال له أنت من أهل اليمن فتكن باسم من أسامى الذوين ثم أحصى له أسماءهم وحيرة فقال ذو جدن وذو كلال وذو يزن وذو كلاع وذو نواس فاختار ذا نواس فكناه أبا نواس فصارت له وغلبت على أبى على كنيته الاولى وكان أبو نواس يعظم شعر النابغة ويفضله على زهير تفضيلا شديدا ثم يقول الاعشى ليس مثلهما وكان يتعصب لجرير على الفرزدق ويقول هو أشعر وبأتم بشار ويقول هو غزير الشعر كثير الافتنان ويقول أدمنت قراءة شعر الكميت فوجدت فيه شعر برة ثم قرأت شعر الحريمى فتشققت على حمى مبردة ثم قال يوما شعرى أشبه بشعر جرير فقيل له فما تقول فى الاخطل قال امامى فى الخمر وقيل الفرزدق قال ذاك الاب الاكبر (وقال ابن الاعرابى) وقد حمت بشعر أبى نواس فاروبت لشاعر بعده (وقال أبو عمرو الشيبانى) لولا ما أخذ فيه أبو نواس من الارفاث لاحتججنا بشعره لانه كان محكم القول لا يخطئ (وقال ابن دريد) سألت أبا حاتم عن أبى نواس فقال ان جد حسن وان هزل ظرف وان وصف بالغ يلقى الكلام على عواهنه لا يبالى من حيث أخذه (وقال أبو

عظم ذلك عليه واشتد همه وحزنه وأراد ابن عم له سفرا وكان طريقه على منزل ليلى فأتاه المجنون وقال له اذا مررت على منزل ليلى فارفع صوتك بهذا البيت قائلا

أما وجلال الله لو تذكرينني * كذكريك ما نهنهت للعين مدمعا

فلما بلغ منزلها صنع ما سأله اياه فخرجت ليلى اليه وقالت

بلى وجلال الله اذكر اوانه * تضمنه صاد الصفا لتصدعا

قال على بن ظافر والصحيح ان هذين البيتين من قصيدة للصمة القشيرى ولكن نقلت هذه الحكاية من كتاب الاجوبة القسمى (روى) الحسن بن صاعد الكوفى قال حدثنى حولان الاسدى قال نزلنا على ماء يعرف بماء السالى ونزل بجانب الماء حى آخر فعلق رجل منا بامرأة من ذلك الحى فلما أزمعنا الرحيل أخذ الرجل غلاما منا فقرأه هذا البيت وهو

رمى بين ذا الحيين أن تفترقا * من الدهر الا ليلة وضحاها

حتى حفظه وقال له قم بازاء ذلك البيت الذى فيه الجارية وردد هذا البيت واحفظ ما يرد لبيك فنعل الغلام وكانت الجارية جالسة وفى حجرها رأس أخ لها كبير تفليه وأخ لها

الغيث بن البحترى) سألت أبى لما حضرته الوفاة من أشعر الناس فقال أعن المتقدمين تسأل أم عن المحدثين فقلت عن المحدثين فقال يابنى لو قسم احسان أبى نواس على جميع الناس لوسعهم وان لاشجع السلمى لاحسانا وما علم الشعراء أكل الخبز بالشعر الا أبو تمام فقلت له أنت أشعر أم أبو تمام فقال سألت عما لا يزال يسأل عنه جيد أبى تمام خير من جيدى وردىئى خير من رديئه (وقال ابن الاعرابى) بعث الى المأمون فسرت اليه وهو مع يحيى بن أكثم يطوفان فى حديقة فلما نظرانى وليانى ظهورهما فجلست فلما أقبلا لاقت فقال المأمون يامحمد بن زياد من أشعر الشعراء فى نعت الخمر فجعلت أنشده للاعشى وقلت هو الذى يقول

تريك القذى من دونها وهى فوقه * اذا ذاقها من ذاقها يتمطق

ثم أنشدته للاخطل فلم يحفل بشئ مما أنشدته ثم قال يابن زياد أشعر الناس فى نعتها الذى يقول

فتمشت فى مفاصلهم * كتمشى البرء فى السقم * فعلت فى اللب اذ مزجت * مثل فعل النار فى الظلم
فاهتدى سارى الظلام بها * كاهتداء السفر بالعلم

(وعن عمرو بن أبى عمرو الشيبانى) قال جاء أبو العتاهية ومسلم وأبو نواس يوما الى أبى فأنشده أبو العتاهية

وعظتك أجداث صمت * ونعتك أزمنة خفت * وأرتك قبرك فى القبو * ر وأنت حى لم تمت
وتكلمت عن أعين * تبلى وعن صور شتت * وحكت لك الساعات سا * عات اتيات بغت

وأنشده شعرا آخر يقول فيه على سرعة الشمس فى مرها * دبيب الخلوقة فى الجدة
قال فانصرفوا فلما كان بعد أيام عاد اليه مسلم وأبو نواس فأنشده مسلم
أجررت حبل خليع فى الصبا غزل حتى بلغ قوله

ينال بالرفق ما يعيى الرجال به * كالموت مستعجلا يأتى على مهل

فقال أبو عمرو أحسنت الا أنك أخذت قول أبى العتاهية

وحكت لك الساعات سا * عات اتيات بغت

قال ثم أنشده أبو نواس قوله ياشقيق النفس من حكم الى أن بلغ الى قوله

فتمشت فى مفاصلهم * كتمشى البرء فى السقم

قال له أحسنت الا أنك أخذته أيضا من قول أبى العتاهية

على سرعة الشمس فى مرها * دبيب الخلوقة فى الجدة اهـ

وقد ذكر بعض أهل العلم أن بيت أبى نواس هذا مأخوذ من قول بعض الهذليين يصف قانصا ظفر بصيد بسرعة مشى

فتمشى لا يحس به * كتمشى النار فى الضرم

ويقال ان أبا نواس أنشد بيته هذا بعض الشعراء فقال له أما كفاك أن سرقت حتى احلت فقال ومن أين سرقت فأنشده بيت الهذلى فقال كيف احلت قال بقولك كتمشى البرء فى السقم وهما جميعا عرضان والعرض لا يدخل على العرض فانقطع أبو نواس ثم غير بيته بعد ذلك بأن قال كتمشى النار فى الفحم وهذا بيت الهذلى بعينه ومعناه وعن الاصمعى أن أبا نواس سرق بيته من قول مسلم بن الوليد

تجرى محبتها فى قلب وامقها * جرى السلامة فى أعضاء منتكس

وهو أخذه من قول عمرو بن ربيعة حيث يقول

لقد دب الهوى لك فى فؤادى * دبيب دم الحياة الى العروق

وهو أخذه من قول بعض العدويين حيث يقول

وأشرب قلبى حبها ومشى به * كمشى حميا الكاس فى عقل شارب
ودب هواها فى عظامى وحبها * كما دب فى الملسوع سم العقارب

وهو أخذه من اسقف نجران حيث يقول

منع البقاء تقلب الشمس * وطلوعها من حيث لا تمسى * وطلوعها حمراء صافية

صغير يصلح شيأ فقالت
لقد كان فى عيش رخى لوانه *
حوى حاجه فى نفسه فقضى
وقال أحوها الصغير
أما سمع المغلى لا در دره
رسالة صب بالسلام نحاها
(فقال الكبير)
لحى الله من يلحى المحب على الهوى *
ومن يمنع النفس اللجوج هواها
ثم دعا بالرجل فزوجه اياها (وحدث المدائنى) قال كان بين يحيى بن زياد الحارثى وحماد الراوية ومعلى بن هبيرة ما يكون مثله بين الشعراء والرواة من المنافسة وكان معلى يحب أن يطرح حمادا فى لسان بعض الشعراء قال حماد فقال لى يوما بحضرة يحيى بن زياد أتقول لابى عطاء السندى قل زج وجرادة ومسجد بنى شيطان قال على بن طافر وكان أبو عطاء يرتضخ لكنة سندية يجعل فيها الجيم زايا والشين سينا والطاء والصاد دالا والعين همزة والحاء هاء قال حماد فقلت ما تجعل لى على ذلك قال بغلتى بسرجها ولجامها قلت وعدلها على يحيى بن زياد ففعل وأخذت عليه بالوفاء موثقا وجاء أبو عطاء فجلس الينا وقال مرحبا هيا كم الله فرحبنا به وعرضنا عليه العشاء فأبى وقال هل من نبيذ فأحضرناه فشرب

وغروبها صفراء كالورس * تجرى على كبد السماء كما * يجرى حمام الموت فى النفس اهـ

وذكرت بهذه الابيات ماقال الاعشى وهو أعشى قيس فى سكران

فراح ملسا كأن الذباب * يدب على كل عضو دبيبا

وقد أخذ أبو الشيص قول عمرو بن ربيعة فقال

لقد جرى الحب منى * مجرى دمى فى عروقى

وأخذه أبو الطيب فقال جرى حبها مجرى دمى فى مفاصلى * فأصبح لى عن كل شغل بها شغل

وقال أبو الفرج بن عبدو فمشت فى قلبى الهموم * كمشى الدرياق فى المسموم

وأتى عبد الله بن الحجاج بهذا المعنى من غير تشبيه فقال

فبت اسقاها سلافا مدامة * لها فى عظام الشارب بن دبيب

وما أحسن قول بعضهم

وفى الظعائن مهضوم الحشا غنج * يخطو بأعطاف كسلان الخطا ثمل

ظبى مشى الورد من لحظى بوجنته * مشى اللواحظ من عينيه فى أجلى

وقال أبو حاتم لولا ان العامة ابتذلت هذين البيتين وهما لابى نواس لكتبتهما بالذهب وهما قوله

ولو أنى استزدتك فوق مابى * من البلوى لأعجزك المزيد

ولو عرضت على الموتى حياة * بعيش مثل عيشى لم يريدوا

وكان المأمون يقول لو وصفت الدنيا نفسها لما وصفت بمثل قول أبى نواس

ألا كل حى هالك وابن هالك * وذونسب فى الهالكين عريق

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو فى ثياب صديق

والبيت الاول ينظر الى قول امرئ القيس

فبعض اللوم عاذلتى فانى * سيكفينى التجارب وانتسابى

الى عرق الثرى وشجت عروقى * وهذا الموت يسلبنى شبابى

وقال سفيان بن عيينة لرجل من أهل البصرة أنشدنى لابى نواسكم فأنشده

ماهو الا له سبب * يبتدى منه وينشعب

فقال سفيان آمنت بالله الذى خلقه واجتمع أبو نواس مع العباس بن الاحنف فى مجلس فقام العباس فى حاجة فسئل أبو نواس عن رأيه فيه وفى شعره فقال لهو أرق من الوهم وأنفذ من الفهم وأمضى من السهم ثم عاد العباس وقام أبو نواس كذلك فسئل العباس عنه وعن رأيه فيه وفى شعره فقال انه لاقرّ للعين من وصل بعد هجر ووفاء بعد غدر وانجاز وعد بعد يأس فلما صارا الى النبيذ أعلم كل واحد قول الآخر فيه فقال أبو نواس

اذا ارتدت فتى الكاس * فلا تعدل بعباس * فنعم المرء ان أرضعـ * ـت يومادرّة الكاس

فقال العباس اذا نازعت صفو الكاس يوما * أخا ثقة فمثل أبى نواس

فتى يشتد حبل الودّ منه * اذا ماخلة رثت لناس

فتناول أبو نواس قدحا وقال أبا الفضل اشربن كاسك * فانى شارب كاسى

فقال العباس نعم يا أوحد الناس * على العينين والراس

فقال أبو نواس فقد حف لنا المجلـ * ـس بالسمرين والآس

فقال العباس واخوان بهاليل * سراة سادة الناس

فقال أبو نواس وخود لدنة المسمو * ع مثل العض للكاس

فقال العباس وقد ألبسها الرجـ * ـس من أحسن الناس

فقال

حتى احمرت عيناه فقلت له يا أباعطاء طرح علينا رجل أبياتا فيها لغز ولست أقدر على اجابته ففرج عنى فقال هات فقلت

أبن لى ان سئلت أباعطاء * يقينا كيف علمك بالمعانى

فقال مسرعا

خبيرا لم فاسألنى تزدنى * بها دبا وآيات المثانى

(فقلت)

فما اسم حديدة فى رأس رمح * دون الكعب ليست بالسنان

(فقال)

هو الزز الذى ان بات ديفا * لقلبك لم يزل لك أولتان

(فقلت)

فما صفراء تدعى أم عوف * كأن رجيليها منجلان

(فقال)

أردت زرادة وأدن دنا * بأنك ماقصدت سوى لسانى

(فقلت)

أتعرف مسجد النبى تميم * فويق الميل دون بنى أبان

(فقال)

بنو سيطان دون بنى أبان * كقرب أبيك من أبد المدان

قال حماد ورأيت عينيه قد احمرتا وعرف الغضب فى وجهه فتخوفته فقلت يا أباعطاء هذا مقام المستجير بك ولك النصف مما أخذت قال فاصدقنى وأخبرته الخبر فقال أولى لك سلمت وسلم لك جعلك وانقلب يهجو ابن هبيرة وأنحش

فقال أبو نواس وقد زينت بأكاليل * يواقيت على الراس

فقال العباس فلا تحبس أخي كاسي * فاني غير حباس

فكان ما نسي من معارضتهما في ذلك المجلس أكثر مما حفظ الا انه انصرف العباس وبقي أبو نواس فسئل عن العتابي والعباس فقال العتابي يتكلف والعباس يتدفق طبعا وكلام هذا اسهل عذب وكلام ذاك متدقق كز وفي شعر هذا ماء ورقة وحلاوة وفي شعر ذاك جساوة وفظاظة وكان لابي نواس مع أهل عصره مناقصات ومعارضات يطول شرحها فنورد منها ماخف ذكره حضر أبو نواس مع جماعة سطحا عاليا يطلبون هلال الفطر وكان سليمان بن أبي سهل في عينه سوء فقام أبو نواس بازائه ثم قال يا أبا أيوب كيف ترى الهلال من بعد وأنت لا تراني من قرب فقال له سليمان قد رأيتك تمشي القهقرى حتى تدخل في رحم جلبان يعني أمه فأحفظ ذلك أبا نواس فقال في سليمان

قل لسليمان وماشيمتي * ان أهدي النصح له مخلصا
ما أنت بالحر فألحى ولا * بالعبد أستعتبه بالعصا
فرحمة الله على آدم * رحمة من عم ومن خصصا
لو كان يدري انه خارج * مثلك من احليله لاختصى

فأجابه سليمان فقال

ان ابن هاني سلقه خالص * ماوحد الله ولا أخلصا
أغلى بذكري شعره فاغتدى * بالعرض في أشباهه مرخصا
وكان في شعري وتغريره * للعوف من ثوبيه قد قلصا
كالكلب هز الليث حتى اذا * أهدى اليه مخلبا بصبصا

وكان لابي الشمقمق ضريبة على الشعراء فجاء يوما الى أبي نواس فقال هات ضريبتك فدخل المنزل وأخرج اليه رقعة فيها

أخذت بأير بغل حين أدلى * فويق الباع كالجذع المطوق
فما ان زلت أمرسه بكفي * الى أن صار كالسهم المفوق
فلما أن طمى وعلا وأندى * جلدت به حرام أبي الشمقمق

فوقعت هذه الابيات في أفواه الصبيان وأجابه أبو الشمقمق بأبيات فلم تسر له وحدث الجماز قال اجتمعت أنا وأبو نواس والرقاشي في بعض منتزهات البصرة فنفد شرابنا فقلنا ليقل كل واحد منا بيتا في السقيا لنبعث به الى عبد الملك بن ابراهيم فابتدأ أبو نواس فقال

يا ابن ابراهيم يا عبد الملك * وأتقى أقبلت بالله وبك * أنت للمال اذا أصلحته * فاذا أنفقته فالمال لك

وقال الرقاشي اسقني الخمر ودع من لامني * في هوى نفسي فغيري من نسك

قال الجماز وقلت أنا وكان عبد الملك يعرف بالابنة

ونك المرد فما من لذة * مثلها ان لم تنكهم وتنك

فوقع البيت الرابع بموافقته وبعث الينا بما كفانا واجتمع أبو نواس يوما مع الرقاشي في مجلس فتذاكرا الشعر فقال له أبو نواس لقد سبقتني الى أبيات وددت أنها لي بجميع شعري قال وما هي قال قولك

نبهت ندماني الموفى بذمته * من بعد اتعاب طاسات وأقداح
فقال خذوا اسقني واشرب وغن لنا * يا دار مثواي بالقاعين فالساحي
فما حسا ثانيا أو بعض ثالثة * حتى استدار ورد الراح بالراح

وقال له الرقاشي لكنك أنت سبقتني ببيتين وددت أنهما لي بكل شعري فقال أبو نواس وما هما قال قولك

ومستطيل على الصهباء باكرها * في فتية باصطباح الراح حذاق
فكل شئ رآه ظنه قدحا * وكل شخص رآه ظنه ساقي

واجتمع يوما أبو نواس مع عنان فأقبل عليها وقال

وروى العسكري هذه الحكاية على غير هذا السياق فذكر أن حمادا الراوية وحماد عجرد وحماد بن الزبرقان وبكر ابن مصعب الزهري اجتمعوا فقالوا لو بعثنا الى عطاء السندي ولم يذكر السبب الذي من أجله اقترح حماد على أبي عطاء ما اقترح وذكر البيت الثاني

تزدني والقران بها عليما * بصيرا بالمقاطع والمباني

وذكر البيت الثالث

فما اسم حديدة في الرمح ترسا * دوين الصدر ليست بالسنان

وذكر البيت الثامن

وتلك مسجد أأنساه قدما * بنو سيطان مأروف المكان

(مدح) بشار بن برد يعقوب ابن داود وزير المهدي فلم يعأ به وحرمه فوفد عليه وطال مقامه ببابه وهو لا يأذن وأحس به في بعض الايام فرفع بشار صوته فأنشد

طال الوقوف على رسوم المنزل

فأجابه يعقوب مسرعا وقال

فاذا تشاء أبا معاذ فارحل

فرحل بشار فهجاه بقوله فيه وفي المهدي

بني أمية هبوا طال نومكم * ان الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم ياقوم فالتمسوا * خليفة الله بين الناي والعود

وهجا أخاه صالح بن داود وكان قد ولي ولاية فسقط به المنبر فقال فيه من قطعة

ان لى ايرا خبيثا * عادم الرأس ولوتا * لو رأى فى الجو فرجا * لنزى حتى يموتا

أو رأى فى السقف دبرا * لتحول عنكبوتا * أو رآه جوف بحر * صار للايعاظ حوتا

فقالت عنان

زوجوا هذا بألف * وأظن الالف قوتا

انى أخشى عليه * داء سوء أن يموتا * قبل أن ينقلب الدا * فلا يأتى و يوتى

فقال أبو نواس

ألم ترقى لصب * يكفيه منك قطيره

فقالت عنان

اياى تعنى بهذا * عليك فاجلد عميره

فقال أبو نواس

أخاف ان رمت هذا * على يدى منك غيره

فقالت عنان

عليك أمك نكها * فانها كمد فيره

ودخل أبو نواس يوما على الناطفى وعنان جالسة تبكى وخدها على رزة باب فقال

بكت عنان فجرى دمعها * كاللؤلؤ المرفض من خيطه

فقالت عنان والعبرة تخنقها

فليت من يضربها ظالما * تجف يمناه على سوطه

وكان الرشيد قد هم بشراء عنان جارية الناطفى فقيل له ان أبا نواس قد هجاها بقوله

ان عنان النطاف جارية * قد صار حرها للاير ميدانا

لا يشتريها الا ابن زانية * أو قلطبان يكون من كانا

فقال لعنه الله لا حاجة لنا فيها فاجابته عنان عن هذين البيتين فقالت

عجبا من حالق * يدعى أصل اللواط * فاذا صار الى البيت وحسف عن تواطى

فالذى يعلم يدرى * من بلى وجه البساط

فقال أبو نواس

فتحت حرها عنان * ثم نادت من ببيك * ثم أبدت عن مشق * مثل صحراء العتيك

فيه دراج وبط * ودجاجات وديك

فقالت عنان

ان ابن هانى بدائه كلف * يبيت عن نفسه يخادعها

أمسى بروس الجلال يعرف فى الـ ـناس ومسماره كوارعها

ووجهت عنان مرة الى أبى نواس بوصيفة لها مع رقعة فيها

زرنا التأ كل معا * ولا تغيبن عنا * فقد عزمنا على الشرب * بصبحة واجتمعنا

فلما وردت الوصيفة على أبى نواس قرأ رقعتها ثم تأملها فاستحلاها فخدعها وقضى وطره منها ثم كتب فى جواب الرقعة

نكنا رسول عنان * والرأى فيما فعلنا * فكان خيرا لحج * قبل الشواء أكلنا

جدبتها فتجافت * كالغصن لما تثنى * فقلت ليس على ذا الـ ـمعال كما افترقنا

قالت فكم تتجنى * طولت نكا ودعنا

فلما قرأت عنان الرقعة قالت ان كان صادقا فقد زنى وهجرته ولقد طرف ابن الابار بنادمته أبا نواس فى هذا المعنى حيث قال

زار فى خيمة الرقيب مريبا * يتشكى القضيب منه الكثيبا

رشأ راشى لى سهام المنايا * من جفون يصمى بهن القلوبا

قال لى ماترى الرقيب مطلا * قلت ذره آتى الجناب الرحيبا

عاطه أكؤس المدام دراكا * وأدرها عليه كوبا فكوبا

واسقنيها بخمر عينيك صرفا * واجعل الكاس منك ثغرا شنيبا

ثم لما نام الرقيب سريعا * وتلقى الكرى سميعا مجيبا

قال لابد أن تدب اليه * قلت أبغى رشا وآخذ ذنبا

قال فابدأ بأسأل عليه * قلت كلا لقد دعوت قريبا

فوثبنا

هم حلوا فوق المنابر صالحا

أخاك فضجت من أخيك المنابر

فلما اشتهر هجاؤه دخل يعقوب على المهدى فقال يا أمير المؤمنين ان هذا المشرك هجاك بما لا أستطيع أن أذكره فلم يزل المهدى به حتى كتب له قوله

خليفة يزنى بعماته *

يلعب بالدبوق والصولجان

أبدلنا الله به غيره *

ودس موسى فى حر الخيزران

فجر ذلك الى قتل بشار بن برد

(وذكر) أبو الفرج الاصبهانى فى كتاب القيان والمغنين قال كانت بالكوفة جارية مغنية يقال لها سعاد جارية السكونى وكان مولاها من الظرفاء وفتيان طبقته مروءة وحسن عشرة ومساعدة فحضرت سعاد فى مجلس فيه مطيع بن اياس وحماد عجرد فقال مطيع

قبلينى سعاد بالله قبله

واسأليني بها فديتك نحله

فورب السماء لو قلت صل

لوجهى جعلت وجهك قبله

فقالت الجارية لحماد اكفنيه فقال

ان حلالها سواك وفيا

لا غدور ابها ولا فيه مله

لا يباع التقبيل بيعا ولا ير

شى ولا يجعل التعاشق عله

فقال له مطيع هذا الهجاء وما أرادت الجارية هذا كله ولقد استعيت منى على لسان غيرك فقالت الجارية وكانت

فوثبنا على الغزال ركوبا * ودببنا الى الرقيب دبيبا

فهل ابصرت أوسمعت بصب * بات محبوبه وبات الرقيبا

قال ابن بسام ولقد ظرف ابن الابار واستهتر ماشاء وأظنه لو قدر على ابليس الذى تولى له نظم هذا المسلك لدب اليه ووثب أيضا عليه ثم قال وأبو نواس سهل للناس هذا السبيل حيث يقول وذكر الابيات انتهى

ومن أناشيد الثعالبى فى هذا المعنى لى اير أراحنى الله منه * صار همى به عريضا طويلا

نام اذزارنى الحبيب عنادا * ولعهدى به يبيك الرسولا

حسبت زورة لشقوة جدى * فافترقنا وماشفينا غليلا

(رجع الى أخبار أبى نواس) وأشرف يوما أبو نواس من دار على منزل عبد الوهاب الثقفى وقد مات بعض أهله وعندهم مأتم وجنان جارية عبد الوهاب واقفة مع النساء تلطم وفى يديها خضاب وكانت حسناء أديبة عاقلة ظريفة وكان أبو نواس يهواها فقال

ياقمرا أبرزه مأتم * يندب شجوا بين أتراب * يبكى فيذرى الدمع من نرجس * ويلطم الورد بعناب

لاتبك ميتا حل فى حفرة * وابك قتيلا لك بالباب * أبرزه المأتم لى كارها * برغم دايات وحجاب

لازال داباموت أصحابه * وداب أن أبصره دابى

وذكرت بالبيت الاول والثانى ماعكسه بعضهم منهما فى هجاء أعور وهو

ياأعورا أبرزه مأتم * يندب شجوا بخاليط * يبكى فيذرى الدمع من كوة * ويلطم الشوك ببلوط

وحدث أبو نواس قال رأيت النابغة الذبيانى فى منامى فقال لى بماذا حبسك الرشيد فقلت له بقولى

اهجر ارا أو أفر حلتها * وهتك الستر عن مثالها

فقال لى أهل ذاك أنت ياابن الزانية فقد استوجبت من كل زارى عقوبة مثلها بما ارتكبت منها فقلت وأنت بماذا حبسك النعمان قال ببيت قلته ستره النعمان عن الناس قلت بقولك

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه * فتناولته واتقتنا باليد

فقال أوهذا مستور قلت فبقولك واذا لمست لمست أضخم جاثما * متحيزا بمكانه ملء اليد

قال اللهم غفرا قلت فبماذا قال بقولى فلكت علياها وأسفلها معا * وأخذتها قسرا وقلت لها اقعدى

فحدثتهم هذا الحديث اليزيدى فألحق البيت بقصيدة النابغة وحكى الاصمعى قال رأيت أبا نواس بعد موته فى المنام فقلت له هل سبى من شعر يأتك شئ قال أجودها قلت فاذكره فقال

اذكى سراجا وساقى الشرب يمزجها * فلاح فى البيت كالمصباح مصباح

كدنا على علمنا بالشك نسأله * أراحنا نارنا أم نارنا الراح

وحكى عن عبد الله بن المعتز أنه قال رأيت أبا نواس فى المنام فقلت له لقد أحسنت فى قولك

جاءت بابريقها من بيت تاجرها * روحا من الخمر فى جسم من النار

فقال لا بل أحسنت فى قولى

ياقابض الروح من جسم أسى زمنا * وغافر الذنب زحزحنى عن النار

وقد أحسن أبو نواس ظنه بربه حيث يقول

تكثر ما استطعت من الخطايا * فانك بالغ ربا غفورا * ستبصر ان وردت عليه عفوا

وتلقى سيدا ملكا كبيرا * تعض ندامة كفيك مما * تركت مخافة النار السرورا

ومن شعره سبحان ذى الملكوت أية ليلة * مخضت صبيحتها بيوم الموقف

لو أن عينا وهمتها نفسها * مافى المعاد محصلا لم تطرف

ومنه خل جنبيك لرام * وامض عنه بسلام * مت بداء الصمت خير * لك من داء الكلام

انما العاقل من الجم * فاه بلجام * شبت ياهذا وماتتـ * ـرك أخلاق الغلام

ظريفة بارعة صدق ماأرنا أن نسبه فقال حماد أنا والله اشتهى مثلها منك ببذل والبذل فى ذاك حله فأجيبى وانعمى وخذى البذل وأطفى لعاشق منك غله قال فرضى مطيع وخجلت الجارية وقالت أنا عائذة بكما من شر كما فاكفيانيه وخذا فيما جئتماله (حدث) المداينى قال كان عثمان بن شيبة مبخلا وكان حماد عجرد يهجوه فجاء رجل كان يقول الشعر الى حماد فقال له أعنى من غناك ببيت شعر على فقرى لعثمان بن شيبه فقال حماد مسرعا

فانك ان رضيت به خليلا * ملأت يديك من فقر وخيبه

فقال له الرجل جزاك الله خيرا فقد عرفتنى من أخلاقه ماقطعنى عنه وصنت ماء وجهى عن بذله له (وروى) اسمعيل بن يحيى اليزيدى عن أبيه قال كنت جالسا أكتب كتابا فنظر فيه سلم الخاسر فقال

ان يحيى أخط من كف يحيى * ان يحيى بايره لخطوط

قال فقلت مسرعا

أم سلم أدرى بذلك منه * انها تحت ايره لضروط

ولها تحته اذا ماعلاها * أرمل من وداقها وأطيط

ليت شعرى مابال سلم بن عمرو * كاسف البال حين يذكر لوط

لايصلى عليه حين نصلى * بل له عند ذكره تثبيط

والمنايا آكلات * شاربات للأنام

وأخباره كثيرة وديوان شعره مختلف الترتيب لاختلاف جامعيه وكانت وفاته سنة خمس وقيل ست وقيل ثمان وتسعين ومائة ببغداد ودفن في مقابر الشونيزي رحمه الله تعالى

﴿شواهد المسند اليه﴾

﴿قال لي كيف أنت قلت عليل﴾

هو من الخفيف ولا أعرف قائله وتمامه   سهر دائم وحزن طويل

ومعناه ظاهر (والشاهد فيه) حذف المسند اليه للاحتراز عن العبث مع ضيق المقام وهو قوله قلت عليل أي أنا عليل بحذف المبتدأ لما مر ومثله قول أبي الطمحان القيني الشاعر الجاهلي وقال ابن قتيبة الصحيح أنه للقيط بن زرارة

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم * دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

نجوم سماء كلما انقض كوكب * بدا كوكب تأوي اليه كواكبه

أي هم نجوم سماء بحذف المسند اليه

﴿ان الذين ترونهم اخوانكم * يشفي غليل صدورهم أن تصرعوا﴾

البيت لعبدة بن الطيب من قصيدة من الكامل يعظ فيها بنيه ويوصيهم بما هو المرضي شرعا وأولها

أبنيّ اني قد كبرت ورابني * بصري وفيّ لمصلح مستمتع * فلئن هلكت لقد بنيت مساعيا
تبقى لكم منها مآثر أربع * ذكر اذا ذكر الكرام يزينكم * ووراثة الحسب المقدم تنفع
ومقام أيام لهن فضيلة * عند الحفيظة والمجامع تجمع * ولهى من الكسب الذي يغنيكم
يوما اذا احتضر النفوس المطمع * أوصيكم بتقى الاله فانه * يعطي الرغائب من يشاء ويمنع
وببر والدكم وطاعة أمره * ان الابر من البنين الاطوع * ان الكبير اذا عصاه أهله
ضاقت يداه بأمره ما يصنع * ودعوا الضغائن لا تكن من شأنكم * ان الضغائن للقرابة توضع
يزجي عقاربه ليبعث بينكم * حربا كما بعث العروق الاخدع * واذا مضيت الى سبيلي فابعثوا
رجلا له قلب حديد أصمع * ان الحوادث تخترم وانما * عمر الفتى في أهله مستودع
يسعى ويجمع جاهدا مستهترا * جدا وليس بآكل ما يجمع

وترونهم من الاراءة المتعدية الى ثلاثة مفاعيل وجرى مجرى الظن لبنائه للمفعول وانتصب اخوانكم على انه مفعول ثان لترونهم والغليل بالمعجمة الحقد والضغن وأن تصرعوا في محل رفع على انه فاعل يشفي والصرع الطرح على الارض كالمصروع وهو موضعه (والمعنى) يا بني ان القوم الذين تظنونهم اخوانكم وتعتمدون عليهم في الشدائد بما طنهم يشفي ما في صدورهم من غليل العداوة وحرقتها أن تصرعوا وتصابوا بالحوادث فاياكم واستئمانهم والاعتماد عليهم وفيه اشعار بقولهم الحزم سوء الظن والثقة بكل أحد عجز (والشاهد فيه) تنبيه المخاطب على الخطا في ظنه اذ في قوله ان الذين من التنبيه على الخطا ما ليس في قولك ان القوم الفلانيين ﴿وعبدة بن الطيب﴾ شاعر مجيد ليس بالمكثر والطيب لقب لابيه واسمه يزيد بن عمرو ينتهي نسبه لتميم وهو مخضرم أدرك الاسلام وأسلم وكان في جيش النعمان بن مقرن الذين حاربوا معه الفرس بالمدائن وقد ذكر ذلك في قصيدته التي أولها

هل حبل خولة بعد الهجر موصول * أم أنت عنها بعيد الدار مشغول

حلت خويلة في دار مجاورة * أهل المدينة فيها الديك والفيل

يقارعون رؤس العجم ضاحية * منهم فوارس لا عزل ولا ميل

وقال الاصمعي أرثى بيت قالته العرب بيت عبدة بن الطيب

وما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهدما

قال فقال لي سلم مالك ويلك جئت أي شيء دهاك الى هذا فقلت بدأت فانتصرت والبادي أظلم * وذكر أبو مروان صاحب كتاب المقتبس في أبناء أهل الاندلس أن أبا المخشي عاصم ابن زيد بن يحيى بن يحيى بن حنظلة بن علقمة بن عدي ابن زيد بن علي العبادي شاعر الاندلس في زمانه كان خبيث اللسان كثير الهجاء وهو الذي قطع هشام بن عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان لسانه لانه عرض به في قصيدة مدح بها أخاه أبا أيوب المعروف بالشامي وكان بين الاخوين تباعد مفرط والبيت الذي عرض فيه قوله

وليس كمن اذا سيل عرفا * يقلب مقلة فيها اعورار

وكان هشام في احدى عينيه نكتة بياض كذا أبيه هشام ابن عبد الملك ثم اتفق لابي المخشي أن مدح هشاما ووفد عليه على ماردة وهو يومئذ يتولى حربها لابيه فلما مثل بين يديه قال له يا عاصم ان النساء اللاتي هجوتهن لماذا أولادهن وهتكت أستارهن قد دعون عليك فاستجاب الله لهن فبعث عليك مني من يدرك منك ثارهن وينتقم لهن ثم أمر به فقطع لسانه ثم نبت بعد ذلك وتكلم به وكان أبو

وقال رجل لخالد بن صفوان كان عبدة بن الطيب لا يحسن أن يهجو فقال لا تقل ذلك فوالله ما تركه من عي ولكنه كان يترفع عن الهجاء ويراه ضعة كما يرى تركه مروءة وشرفا وأنشد

وأجرأ من رأيت بظهر غيب * على عيب الرجال أخو العيوب

وعن ابن الاعرابى أن عبد الملك بن مروان قال يوما لجلسائه أى المناديل أشرف فقال قائل منهم مناديل مصر كأنها غرقئ البيض وقال آخرون مناديل اليمن كأنها نور الربيع فقال عبد الملك مناديل أخى بنى سعد عبدة بن الطيب حيث يقول

لما نزلنا ضربنا ظل أخبية * وفار للقوم باللحم المراجيل

وردو أشقر ما يؤنيه طابخه * ما غير الغلى منه فهو مأكول

ثمت قمنا الى جرد مسوّمة * أعرافهن لأيدينا مناديل

يعنى بالمراجيل المراجل فزاد فيها الياء ضرورة

(ان الذى سمك السماء بنى لنا * بيتا دعائمه أعز وأطول)

البيت للفرزدق وهو أول قصيدة طويلة من الكامل تزيد على مائة بيت وبعده

بيتا بناه لنا المليك وما بنى * ملك السماء فانه لا ينقل

بيتا زرارة محتب بفنائه * ومجاشع وأبو الفوارس نهشل

يلجون بيت مجاشع فاذا احتبوا * برزوا كأنهم الجبال المثل

يقال سمك الشئ سمكا اذا رفعه (ومعنى البيت ظاهر) والمراد بالبيت فيه الكعبة أو بيت المجد والشرف (والشاهد فيه) جعل الايماء الى وجه الخبر وسيلة الى التعريض بالتعظيم لشأنه وذلك فى قوله ان الذى سمك السماء ففيه ايماء الى أن الخبر المبنى عليه أمر من جنس الرفعة والبناء بخلاف ما لو قيل ان الله أو الرحمن أو غير ذلك ثم فيه تعريض بتعظيم بناء بيته لكونه فعل من رفع السماء التى لا بناء أرفع منها ولا أعظم حدث سلمة بن عياش مولى بنى عامر بن لؤى قال دخلت على الفرزدق السجن وهو محبوس وقد قال قصيدته

ان الذى سمك السماء بنى لنا * بيتا دعائمه أعز وأطول

وقد أفحم وأجبل فقلت له الا أرفدك فقال وهل ذاك عندك فقلت نعم ثم قلت

بيتا زرارة محتب بفنائه * ومجاشع وأبو الفوارس نهشل

فاستجاد البيت وغاظه قولى فقال لى ممن أنت قلت من قريش قال من أيها قلت من بنى عامر بن لؤى فقال لئام والله وضعة جاورتهم بالمدينة فما أحمدتهم فقلت ألأم والله منهم وأوضع قومك جاءك رسول مالك بن المنذر وأنت سيدهم وشاعرهم فأخذ بأذنك يقودك حتى حبسك فما اعترضه أحد ولا نصرك فقال قاتلك الله ما أمكرك وأخذ البيت فأدخله فى قصيدته * ذكرت بقوله بيتا زرارة محتب بفنائه البيت ما ذكره بعض أهل الادب قال ما شبهت تأويل الرافضة فى قبح مذهبهم الا بتأويل بعض مجانين أهل مكة فى الشعر فانه قال يوما ما سمعت بأكذب من بنى تميم زعموا أن قول القائل

بيتا زرارة محتب بفنائه * ومجاشع وأبو الفوارس نهشل

أن هذه أسماء رجال منهم قلت وما عندك أنت فيه قال البيت بيت الله وزرارة الحجر زرّت حول البيت ومجاشع زمزم جشعت بالماء وأبو الفوارس هو أبو قبيس جبل مكة قلت له فنهشل ففكر فيه ساعة ثم قال قد أصبته هو مصباح الكعبة طويل أسود فذاك النهشل * وذكرت أيضا هنا ما حدثه أبو مالك الراوية قال سمعت الفرزدق يقول أبق غلامان لرجل منا يقال له الخضر فحدثنى قال خرجت فى طلبهما وأنا على ناقة لى عيساء كوماء أريد اليمامة فلما صرت فى ماء لبنى حنيفة يقال له الصرصران ارتفعت سحابة فأرعدت وأبرقت وأرخت عزاليها فعدلت الى بعض ديارهم وسألت القرى فأجابوا فدخلت دارهم وأنخت الناقة وجلست تحت ظلة لهم من جريد النخل وفى الدار لهم جويرية سوداء اذ دخلت جارية كأنها سبيكة فضة وكأن عينيها كوكبان دريان فسألت الجارية لمن هذه العيساء تعنى ناقتى فقيل لضيفكم هذا فعدلت الىّ فقالت السلام عليكم فرددت عليها السلام فقالت ممن الرجل فقلت من بنى حنظلة فقالت من أيهم قلت

المحتثى هذا يسكن بوادى سوس وكان بينه وبين ابن هبيرة مهاجاة شديدة فاجتمعا يوما للمناقضة فقال له ابن هبيرة وعيره بان نسبه الى النصرانية لاجل ان آباءه كانوا نصارى بقوله

أقلفتك التى قطعت بسوس * دعتك الى هجاءى وانتقالى

والانتقال الشتم فقال أبو المحتثى مسرعا

سألت وعند أمك من ختانى * جواب كان يغنى عن سؤالى

فقطعه * وعلى ذكر أبى المحتثى وقطع لسانه كان مالك رضوان الله عليه يفتى فيمن قطع لسانه رجل عمدا بقطع لسانه من غير انتظار ثم رجع لما انتهت اليه قصة أبى المحتثى وانه نبت لسانه بعد أن قطع بمقدار سنة وأنه تكلم به فقال ينتظر سنة فقد ثبت عندى أن رجلا بالاندلس نبت لسانه بعد أن قطع فى نحو هذه المدة * ونقلت من خط الفقيه أبى محمد عبد الخالق المسكى قال بشار لعبان

عبان يا منيتى ويا سكنى * أما ترى أجول فى سككك

حرمت منك الوفا معذبى * وجئى بالسحل من صككك

انى ورب السماء مجتهد * فى حل ما قد عقدت من تككك

(فقالت مجاوبة له)

لم يبق مما تقول قافية * يقولها قائل سوى عككك

من بني نهشل فتبسمت وقالت أنت اذن ممن عناه الفرزدق بقوله وذكرت الابيات السابقة قال فقلت نعم جعلت فداك وأعجبني ما سمعت منها فضحكت وقالت ان ابن الخطفى تعني جريرا قد هدم عليكم بيتكم هذا الذي قد فخرتم به حيث يقول أخزى الذي رفع السماء مجاشعا * وبنى بناءك بالحضيض الاسفل

بيتا يحمم قينكم بفنائه * دنسا مقاعده خبيث المدخل

قال فوجمت فلما رأت ذلك في وجهي قالت لا بأس عليك فان الناس يقال فيهم ويقولون ثم قالت أين تؤم قلت اليمامة فتنفست الصعداء ثم قالت ها هي تيك أمامك ثم أنشأت تقول

تذكرني بلادا خير أهلي * بها أهل المروءة والكرامه * ألا فسقى الاله أجش صوب

يسح بدره بلد اليمامه * وحيي بالسلام أبا نجيد * فأهل للتحية والسلامه

قال فأنست بها ثم قلت أذات خدر أم ذات بعل فأنشأت تقول

اذا رقد النيام فان عمرا * تؤرقه الهموم الى الصباح * تقطع قلبه الذكرى وقلبي

فلا هو بالخلي ولا بصاحي * سقى الله اليمامة دار قوم * بها عمرو يحن الى الرواح

قال فقلت لها من عمرو هذا فأنشأت تقول

سألت ولو علمت كففت عنه * ومن لك بالجواب سوى الخبير * فان تك ذا قبول ان عمرا

لكالقمر المضيء المستنير * ومالي بالتبعل مستراح * ولو رد التبعل لي أسيري

قال ثم سكتت سكتة كأنها تسمع الى كلامه ثم تهافتت وأنشأت تقول

يخيل لي أبا عمرو بن كعب * بأنك قد حملت على سرير * يسير بك الهوينا القوم لما

رماك الحب بالقلق اليسير * فان تك هكذا يا عمرو اني * مبكرة عليك الى القبور

ثم شهقت شهقة فخرت ميتة فقلت لهم من هذه فقالوا هذه عقيلة بنت الضحاك بن عمرو بن محرق بن النعمان بن المنذر بن ماء السماء فقلت لهم فمن عمرو هذا فقالوا ابن عمها عمرو بن كعب بن محرق فارتحلت من عندهم فلما دخلت اليمامة سألت عن عمرو هذا فاذا هو قد دفن في ذلك الوقت الذي قالت فيه ما قالت والفرزدق قد تقدم ذكره في شواهد المقدمة

﴿هذا أبو الصقر فردا في محاسنه﴾

قائله ابن الرومي وتمامه * من نسل شيبان بين الضال والسلم * وهذا البيت من قصيدة من البسيط وشيبان بن ذهل وشيبان بن ثعلبة قبيلتان والضال والسلم شجرتان من شجر البادية وفردا منصوب على المدح أو الحال (والمعنى) هذا المشار اليه صاحب الاسم المشهور اذا ذكر رجلا فردا في محاسنه وفضائله من نسل شيبان وأولاد هذه القبيلة المقيمين بالبادية والاقامة بها مما تتمدح به العرب لان فقد العز في الحضر (والشاهد فيه) تعريف المسند اليه بايراده اسم اشارة متى صلح المقام له واتصل به غرض وصلاحيته بأن يصح احضاره في ذهن السامع بواسطة الاشارة اليه حسا ثم الغرض الموجب له أو المرجح تفصيل يأتي في الشواهد ان شاء الله تعالى وتعريفه بالاشارة هنا لتمييزه أكمل تمييز وذلك في قوله هذا أبو الصقر لصحة احضاره في ذهن السامع بواسطة الاشارة حسا ومثله قول المتنبي

أولئك قوم ان بنوا أحسنوا البنا * وان عاهدوا أوفوا وان عقدوا اشدوا

وقول مادح حاتم الطائي واذا تأمل شخص ضيف مقبل * متسربل سربال ليل أغبر

أوما الى الكوماء هذا طارق * نحرتني الاعداء ان لم تنحري

(وابن الرومي) هو أبو الحسن علي بن العباس بن جريج وقيل هو أبو جريس الشاعر المشهور صاحب النظم العجيب والتوليد الغريب يغوص على المعاني النادرة فيستخرجها من مكانها ويبرزها في أحسن قالب وكان اذا أخذ المعنى لا يزال يستقصي فيه حتى لا يدع فيه فضلة ولا بقية ومعانيه غريبة جيدة (وحكى ابن درستويه وغيره) أن لائما لامه وقال له لم لا تشبه كتشبيهات ابن المعتز وأنت أشعر منه فقال له أنشدني

وقال

بلى وان شئت قلت فيشلة تسكن الهائجات من حككك

قال علي بن ظافر عنان لم يدركها بشار وانما كان يشاغبها أبو نواس ولهما في مثل هذا أخبار كثيرة وهذه القافية مما يعاب به وعلى ذكرها كان بمصر رجل زجلي كثير الوسخ قذر الجلدة والثوب لا تكاد تفارقه قفة فيها كراريس يعرف بالعشراني ويلقب أديب القفة وكان يصنع مقامات مضحكة فيها غرائب وعجائب يزعم أنه يضاهي بها مقامات الحريري وكان يقول أنا موازنه في كل شئ حتى في اسمه ولقبه هو أبو القاسم محمد وأنا أبو القاسم محمد وهو ابن علي وأنا ابن علي وهو الحريري وأنا الحريري وهو البصري وأنا المصري ويجعل هذا من أوضح البراهين وأقوى الادلة على مساواته في كل قصيدة ومما أنشدنيه لنفسه في الزيادة على هذه القافية وانما ذكرته على سبيل الاطراف فلقد كان عجيب الشأن قوله

يا سايحا في بركك

وصائدا في شبكك

لا تحقرن ككتي

فككتي ككككك

والككة مركب من مراكب صعيد مصر ليس فيها مسمار (وروى)

شيأمن قوله الذى استجزتنى عن مثله فأنشده قوله فى الهلال

انظر اليه كزورق من فضة * قد أثقلته حمولة من عنبر

فقال له زدنى فأنشده قوله فى الاذريون وهو زهر أصفر فى وسطه خمل أسود وليس بطيب الرائحة والفرس تعظمه بالنظر اليه وفرشه فى المنزل

كأن آذريونها * والشمس فيه كاليه * مداهن من ذهب * فيه بقايا غاليه

فصاح واغوثاه تالله لا يكلف الله نفسا الا وسعها ذاك انما يصف ماعون بيته لانه ابن خليفة وأنا أى شئ أصف ولكن انظروا اذا أنا وصفت ما أعرف أين يقع قولى من الناس هل لاحد قط قول مثل قولى فى قوس الغمام وأنشد وساق صبيح للصبوح دعوته * فقام وفى أجفانه سنة الغمض

يطوف بكاسات العقار كأنجم * فمن بين منقض علينا ومنفض

وقد نشرت أيدى الجنوب مطارفا * على الجود كنا والحواشى على الارض

يطرزها قوس السحاب بأخضر * على أحمر فى أصفر اثر مبيض

كأذيال خود أقبلت فى غلائل * مصبغة والبعض أقصر من بعض

وبعضهم ينسبها لسيف الدولة بن حمدان منهم صاحب اليتيمة وقولى فى صانع الرقاق

لا انس لا انس خبازا مررت به * يدحو الرقاقة مثل اللمح بالبصر

ما بين رؤيتها فى كفه كرة * وبين رؤيتها قوراء كالقمر

الا بمقدار ما تنداح دائرة * فى لجة الماء يلقى فيه بالحجر

وقولى فى قالى الزلابية ومستقر على كرسيه تعب * روحى الفداء له من منصب نصب

رأيته سحرا يقلى زلابية * فى رقة القشر والتجويف كالقصب

كأنما زيته المقلى حين بدا * كالكيمياء التى قالوا ولم تصب

يلقى العجين لجينا من أنامله * فيستحيل شبابيكا من الذهب

ومن معانيه البديعة قوله واذا امرؤ مدح امرأ لنواله * وأطال فيه فقد أراد هجاءه

لو لم يقدر فيه بعد المستقى * عند الورود لما أطال رشاءه

وقد كرر ابن الرومى هذا المعنى فى نظمه فقال

اذا عزرفد لمسترفد * أطال المديح له المادح * وقد ما اذا استبعد المستقى * أطال الرشاء له المائح

وقد أخذه السراج الوراق فقال

سامح بفضلك عبدا * مقصرا فى الثناء * رأى قليبا قريبا * فلم يطل فى الرشاء

وعلى ذكر أبياته المارة فى صانع الرقاق ذكرت ما حكى عن الاديب أبى عمرو النميرى أن هذه الابيات أنشدت فى حلقته فقال بعض تلامذته ما أظن أن يقدر على الزيادة فيها فقال

فكدت أضرط اعجابا لرؤيتها * ومن رأى مثل ما أبصرت منه خرى

فضحك من حضر وقالوا البيت لائق بالقطعة لولا ما فيه من ذكر الرجيع فقال

ان كان يبقى هذا البيت يغضبكم * فجعلوا محوه أو فالعقوه طرى

ومن معانى ابن الرومى البديعة قوله يهجو

لخالد الشاعر نار وجة * لها حر يبلغ مثليها * قوامة بالليل لكنها * تستغفر الله برجليها

وقوله فيها هذا المعنى أيضا مرفوعة تحت الدجا رجلاها * كأنما يستغفران الله

وقد أخذ هذا المعنى أبو محمد المصرى فقال من أبيات

ولا تتزوجن لهم بنت * فللسودان عندهم مراح * بأرجلهن يستغفرن دأبا * فأرجلهن للدعوات راح

رجع الى شعر ابن الرومى ومنه قوله

أن أبا نواس خرج يوما وهو مخمور الى الكناسة فاستقبله اعرابى ومعه غنم فقال له أبو نواس

أيا صاحب الذود اللواتى تسوقها * بكم ذلك الكبش الذى قد تقدما

(فقال الاعرابى)

أبيعكه ان كنت تبغى شراءه * ولم تك مزاحا بعشرين درهما

(فقال أبو نواس)

أخذت هداك الله رجعى جوابنا * فأحسن الينا ان أردت تكرما

(فقال الاعرابى)

أحط من العشرين خمسا لانى * أراك ظريفا فاخرجنها مسلما

فقيل للاعرابى أتدرى من يكلمك منذ اليوم فقال لا فقيل أبو نواس فرجع فلحقه خلف بصدقة غنمه ان لم يقبله

(وروى) انه مر به أعرابى معه نعجة وكبش وجمل صغير فقال أبو نواس لمن معه ما رأيكم فى تخجيله فقالوا له افعل فقال

بكم النعجة التى * خلفها الكبش والجمل

(فقال الاعرابى)

بثلاثين درهما * جدد أيها الاجل

(وروى) أنه دخل على عنان فكتب رقعة وناولها اياها فاذا فيها

ماذا تقولين فيمن * يريد منك نظيره

فكتبت تحتها عجلة

اباى تعنى بهذا

طامن حشاك فلا محالة واقع * بك ما تحب من الامور وتكره
واذا أتاك من الامور مقدر * وهربت منه فنحوه تتوجه

ومنه قوله يهجو غضت وطالت من سفه وطيش * تهز هز لحية في قدر رقش
فما افترقت لعصتك الثريا * ولا اجتمعت لذاك بنات نعش

ومنه قوله أيضا ان كنت من جهل حقي غير معتذر * وكنت عن رد مدحي غير منقلب
فأعطني ثمن الطرس الذي كتبت * فيه القصيدة أو كفارة الكذب

وقد تبعه الفاضل علي بن مليك الحموي وأخذ غالب ألفاظه فقال

مدحتكم طمعا فيما أؤمله * فلم أنل غير حظ الاثم والوصب
ان لم تكن صلة منكم لدى أدب * فأجرة الخط أو كفارة الكذب

ولابن الرومي في مثله ردوا علي صحائفا سودتها * فيكم بلا حق ولا استحقاق

وقد سبق الى هذا المعنى أبو تمام بقوله في المطلب الخزاعي

أقول عدلا فيك فيما أرى * انك لا تقبل قول الكذب
مدحتكم كذبا لخارجي * بخلا لقد أبصرت بالمطلب

قال ابن زيدون في الوزير وقد قطعت بمدحه * عمري فكان السجن منه ثوابي
لا تخش لا عتبى عاقدحته * من ذاك في ولا ترق عتابي
لم تخط في أمري الصواب موفقا * هذا جزاء الشاعر الكذاب

ولابن مليك وقد مدح بعض رؤساء العصر بقصيدة فريدة فقوبلت بالحرمان

قالوا قصيدك بالحرمان لم رجعت * بالله خبرنا عن السبب
فقلت ما قوبلت بالمنع عن خطا * الا لكثرة ما فيها من الكذب

ومن شعر ابن الرومي يهجو ابراهيم بن المهدي وهو قريب من هذا المعنى

رددت الي شعري بعد مطل * وقد دنست ملبسه الجديدا
وقلت امدح به من شئت بعدي * ومن ذا يقبل المدح الرديدا
ولا سيما وقد أعلقت فيه * مخاريك اللواتي لن تبيدا
وهل للحي في أثواب ميت * لبوس بعد ما امتلأت صديدا

وقال ابو جعفر بن وضاح في أبي الوليد بن مالك وقد قعد عن بره

ابلغ لديك المالكي رسالة * مشحوذة مثل السنان اللهذم
ألبست امداحي كأزهار الربا * وحرمتني بقطيعة وتجهم
فاردد علي مدائحي موفورة * هذا السوار لغير ذاك المعصم

﴿ولطيف قول أبي المظفر الابيوردي﴾

ومدائح تحكي الرياض أضعتها * في باخل ضاعت به الاحساب
فاذا تناشدها الرواة وأبصروا الممدوح قالوا ساحر كذاب

﴿وقول أبي بكر بن مجبر الاندلسي﴾

وقائلة تقول وقد رأتني * أقاسي الجدب في المرعى الخصيب
أما عطف الفقيه وأنت تشكو * له شكوى العليل الى الطبيب
وقدم النساء بعطفيه * كما مر النسيم على القضيب
فقلت علي شكر وامتداح * وليس علي تقليب القلوب

وما أحسن قول بشار وكان قد مدح المهدي بقصيدة فحرمه الثواب فقيل له حرمك أمير المؤمنين فقال

عليك فاجلد عميره
ثم ناولته الرقعة فكتب
تحتها عجلا
أريد هذا وأخشى
على يدي منك غيره
فخجلت وقالت تعست
وتعس من يغار عليك
(وروى) الجماز أنه دخل
عليها قبل تعارفهما فأنشد
ان لي ايرا خبيثا
عادم الرأس ولوتا
لو رأى الحر بصير
عاد للغلمة حوتا
أو رآه فوق جو
لنزى حتى يموتا
أو رآه جوف بيت
صار فيه عنكبوتا
(فقالت ارتجالا)
زوجوا هذا بألف
وأظن الالف قوتا
انني أخشى عليه
ان تمادى أن يموتا
بادروا ما حل بالمسـ
ـكين خوفا أن يفوتا
قبل ان ينعكس الحا
ل فلا يأتي ويوتى
فعجب الحاضرون منهما
واستظرف كل منهما صاحبه
ودامت صحبتهما بعد ذلك
(وروى) المدائني قال اجتمع
أبو نواس واسمعيل بن نوبخت
وأبو الشمقمق في بيت ابن
أدين قال علي بن ظافر وأبو
عبد الله الجماز فبينما هم
عنده اذ جاء أبو العتاهية
يسأل عن ابن أدين وكان بينه
وبين أبي الشمقمق شر
فخبأوه من أبي العتاهية في

والله لقد مدحته بشعر لو مدح به الدهر ما حتى صرفه على أحد ولكني كذبت في العمل فكذبت في الامل ولطيف قول ابن جكينا البغدادي

تفضلوا واعذروه في مماطلتي * أنا أحق وحق الله من عتبا
ولا تلوموه في وعد يردده * في وقت مدحي له علمته الكذبا

ولابن جكينا المذكور يعتذر عن بخل الممدوحين لغرض عرض له

قد بان لي عذر الكرام فصدهم * عن أكثر الشعراء ليس بعار
لم يسأموا بذل النوال وانما * جهد الندى لبرودة الاشعار

وقال بعضهم في تمهيد عذر الهجائين تداعت طرق الياس * فطالت طرق النجح
وأجدى مكسب الغش * فأكدى مكسب النصح * وكان الاثم في الهجو * فصار الاثم في المدح

ومن هذا المعنى قول ابن جحظة

تساوى الناس في فعل المساوي * فما يستحسنون سوى القبيح * وصار الجود عندهم جنوبا
فما يستعملون سوى الشحيح * وكانوا يهربون من الاهاجي * فصاروا يهربون من المديح

ومنه قول الآخر كان الكرام وأبناء الكرام اذا * تسامعوا بكريم مسه عدم
تسابقوا فيواسيه أخو كرم * منهم ويرجع باقيهم وقد ندموا
واليوم لاشك قد صار الندى سفها * وينكرون على المعطى اذا علموا

ومدح أبو الحسين بن الفضل أحد الوزراء بعراكش وكان أقرع فلم يثبه فقال

أمديت مدحي للوزير الذي * دعابه المجد فلم يسمع * لحامل الشعر اليه كمن * يهدي به مشطا الى أقرع

وما أحذق قول أبي رياش في الوزير المهلبي وقد مدحه وتأخرت صلته وطال تردده اليه

وقائلة قد مدحت الوزير * وهو المؤمل والمستماح * فماذا أفادك ذاك المديح
وهذا الغدو وهذا الرواح * فقلت لها ليس يدري امرؤ * بأي الامور يكون الصلاح
على التقلب والاضطراب * يجهدي وليس على النجاح

وهو قريب من معنى أبيات ابن مجير السابقة قريبا ولابن الرومي في ذم الخضاب وهو من معانيه المخترعة

اذا دام للمرء الشباب وأخلقت * شبيبته طاب السواد خضابا
وكيف يظن الشيخ أن خضابه * يظن سوادا أو يخال شبابا

وقد ذكرت بهذين البيتين اعتذار عبدان المعروف بالجوزي عن الخضاب وهو أحسن شيء رأيته في معناه

في مشيبي شماتة لعداتي * وهو ناع منغص لحياتي * ويعيب الخضاب قوم وفيه
لي انس الى حضور وفاتي * لاومن يعلم السرائر مني * ما به رمت خلة الغانيات
انما رمت أن أغيب عني * ما تريه كل يوم مراتي
هو ناع الى نفسي ومن ذا * سره أن يرى وجوه النعاة

وعلى ذكر عبدان هذا فقد كان مع فضله وحلاوة شعره خفيف الحال متكلف المعيشة قاعدا تحت قول أبي الشيص ليس المقل عن الزمان براض وهو القائل

قلت للدهر من فصولي قولا * وحدابي عليه طيب الاماني * أترى يحالة انا احيى
ذات يوم وفاخر الجلال * قال هيهات أنت والنحس تربا * ن وقد كنتما رضيعي لبان
لا تؤمل ركوب شيء سوى النعش ولا حلة سوى الاكفان

وله من أبيات يكلفني التصبر والتسلي * وهل يستطاع الا المستطاع
وقالوا قسمة زلت بعدل * فقلنا ليته جور مشاع

وكان أبو العلاء الاسدي عرضة لاهاجيه فمن ملحه فيه قوله

بيت ودخل أبو العتاهية فنظر الى غلام عندهم فيه تأنيث فظنه جارية فقال لابن أذين متى استطرفت هذه فقال قربيا يا أبا اسحق فقل فيها شيأ فمد أبو العتاهية يده الى الغلام وقال

مددت كفي نحوكم سائلا * ماذا تردون على السائل

فصاح أبو الشمقمق من داخل البيت قائلا

نرد في كفك ذا فيشة * تشفي جوى في استك من داخل

فقام أبو العتاهية مغضبا وهو يطلب الباب ويقول شمقمق والله وضحك القوم حتى كادوا يهلكون (وذكر الخالديان) في كتاب أخبار مسلم بن الوليد هذه الحكاية وذكرها غيرهما بأبسط مما ذكراها فكتبناها بلفظ الاكثر (قال دعبل بن علي الخزاعي) بينما أنا بباب الكرخ اذا أنا بفتاة تسمى قرة معروفة بظرف وجمال وشعر وأدب وغناء وقد اجتازت فتعرضت لها وقلت

دموع عيني لها انبساط
ونوم عيني به انقباض

فقالت

وذا قليل لمن دهته
بصرها الاعين المراض

فقلت

فهل لمولاي عطف قلب
أوللذي في الحشى انقراض

فقالت مسرعة من غير

أبا العلاء اسكت ولا تؤذنا * بشين هذا النسب البارد * وتدعي من أسد نسبة
لا تثبت الدعوى بلا شاهد * أقم لنا والدة أولا * وأنت في حل من الوالد

وقوله أيضا
فابل هديت أبا العلاء نصيحتي * بقبولها وبواجب الشكر
لا تهجون أسن منك فربما * تهجو أباك وأنت لا تدري

وقوله
أضحى الملوم أبا العلاء يسبني * وأنا أبوه يعقني ويعادي
والمنتمون اليه من أولاده * الله يعلم انهم أولادي

(ولنرجع الى شعر ابن الرومي) قال في بغداد وقد غاب عنها في بعض أسفاره وهو معنى جيد

بلد صحبت به الشبيبة والصبا * ولبست ثوب اللهو وهو جديد
فاذا تمثل في الضمير رأيته * وعليه أغصان الشباب تميد

ومحاسنه كثيرة وديوان شعره رتبه الصولي على الحروف وكان كثير التطير جدا وله فيه أخبار غريبة وكان أصحابه يعبثون به فيرسلون اليه من يتطير من اسمه فلا يخرج من بيته أصلا ويمتنع من التصرف سائر يومه وأرسل اليه بعض أصحابه يوما غلاما حسن الصورة اسمه حسن فطرق الباب عليه فقال من قال حسن فتفاءل به وخرج واذا على باب داره حانوت خياط قد صلب عليها درفتين كهيئة اللام ألف ورأى تحتها نوى تمر فتطير وقال هذا يشير بأن لا تمر ورجع ولم يذهب معه وكان الاخفش علي بن سليمان قد تولع به فكان يقرع عليه الباب اذا أصبح فاذا قال من القارع قال مرة بن حنظلة ونحو ذلك من الاسماء التي يتطير بذكرها فيحبس نفسه في بيته ولا يخرج يومه أجمع فكتب اليه ينهاه ويتوعده بالهجاء فقال

قولوا لنحوينا أبي حسن * ان حسامي متى ضربت مضى * وان نبلي اذا همت به
ارمي غدا نصلها بحمر غضا * لا تحسبن الهجاء يحمده الـ * رفع ولا خفض خافض خفضا

ومنها
عندي له السوط ان تلاءم في الـ * سير وعندي اللجام ان ركضا

وكان الوزير القاسم بن عبد الله بن سليمان بن وهب وزير المعتضد يخاف هجوه وفلتات لسانه فدس عليه ابن فراس فأطعمه خشكنانجة مسمومة فلما أكلها أحس بالسم فقام فقال له الوزير الى أين تذهب فقال الى الموضع الذي بعثت بي اليه فقال له سلم على والدي قال لي ليس طريقي على النار وخرج من مجلسه وأتى منزله وأقام أياما ومات وكان الطبيب يتردد اليه ويعالجه بالادوية النافعة للسم وزعم انه غلط عليه في بعض العقاقير قال نفطويه النحوي رأيت ابن الرومي وهو يجود بنفسه فقلت ما حالك فأنشد

غلط الطبيب علي غلطة مورد * عجزت موارده عن الاصدار
والناس يلحون الطبيب وانما * غلط الطبيب اصابة الاقدار

وقال أبو عثمان الناجم الشاعر دخلت على ابن الرومي أعوده فوجدته يجود بنفسه فلما قمت من عنده قال

أبا عثمان أنت حميد قومك * وجودك للعشيرة دون لومك
تزود من أخيك فلا أراه * يراك ولا تراه بعد يومك

وكانت ولادته ببغداد بعد طلوع الفجر يوم الاربعاء لليلتين خلتا من رجب سنة احدى وعشرين ومائتين وتوفي يوم الاربعاء لليلتين بقيتا من جمادى الاولى سنة ثلاث وثمانين وقيل أربع وثمانين وقيل وسبعين ومائتين ودفن في مقبرة باب البستان رحمه الله

(أولئك آبائي فجئني بمثلهم * اذا جمعتنا يا جرير المجامع)

البيت للفرزدق من قصيدة من الطويل يفتخر فيها على جرير وأولها

منا الذي اختير الرجال سماحة * وخيرا اذا هب الرياح الزعازع * ومنا الذي أعطى الرسول عطية
أسارى تميم والعيون دوامع * ومنا الذي يعطي المئين ويشتري الـ * غوالي ويعلو فضله من يدافع
ومنا خطيب لا يعاب وحامل * أغر اذا التفت عليه المجامع * ومنا الذي أحيا الوئيد وغالب

تلث
ان كنت تبغي الوصال منا
فالوصل في ديننا قراض
قال دعبل فلا أعلم أني خاطبت جارية تقطع الانفاس بعذوبة ألفاظها وتختلس الارواح ببلاغة منطقها وتذهل الالباب برخيم نغمتها مع تلاعة جيد ورشاقة قد وكمال عقل وبراعة شكل واعتدال خلق قبلها فحار والله البصر وذهل اللب وحل الخطب وتلجلج اللسان وتعلقت الرجلان وما ظننك بالحلماء أدنيت من النيران ثم ثاب الي عقلي وراجعني حلمي وذكرت قول بشار
لا يؤيسنك من مخبأة
قول تغلظه وان جرحا
عسر النساء الى مياسرة
والصعب يمكن بعد ما جمحا
هذا لمن حاول مادون الطمع فيه اليأس منه فكيف عن وعد دون المسئلة وبذل قبل الطلبة فنقلتها من تلك القافية وقلت
أترى الزمان يسرنا بتلاق
ويضم مشتاقا الى مشتاق
فقالت مسرعة
ما للزمان تقول فيه وانما
أنت الزمان فسرنا بتلاق
قال دعبل فاستتبعتها وذلك في زمن املاقي فقلت ليس لي الا بيت مسلم بن الوليد صريع الغواني فصرت الى بابه فاستوقفتها وناديته فخرج فقلت أجمل البلك

وعمرو ومنا حاجب والاقارع * ومنا غداة الروع فتيان غارة * اذا امتنعت بعد الزجاج الاجاشع
ومنا الذى قاد الجياد على الوجى * لنجران حتى صبحته الترائع

وبعده البيت وهى طويلة (ومعنى البيت) التعجيز لانه قد تحقق عنده أن ليس للمخاطب مثل آبائه (والشاهد فيه) ايراد المسند اليه اسم اشارة للتعريض بغباوة السامع حتى كأنه لا يدرك غير المحسوس وذلك ظاهر فى البيت

﴿هواى مع الركب اليمانين مصعد﴾

قائله جعفر بن علبة من أبيات من الطويل قالها وهو مسجون وتمامه * جنيب وجثمانى بمكة موثق * والابيات

عجبت لمسراها وأنى تخلصت * الى وباب السجن بالقفل مغلق
ألمت فحيت ثم ولت فودعت * فلما تولت كادت النفس تزهق
فلا تحسبى أنى تخشعت بعدكم * لشئ ولا أنى من الموت أفرق
ولا أن قلبى يردهيه وعيدكم * ولا أنى بالمشى فى القيد أخرق
ولكن عرتنى من هواك ضمانة * كما كنت ألقى منك اذ أنا مطلق

والركب ركبان الابل اسم جمع أو جمع وهم العشرة فصاعدا وقد يكون للخيل ويجمع على اركب وركوب والاركوب بالضم أكثر من الركب والركبة محركة اقل ومصعد من اصعد أى ذهب فى الارض وأبعد وجنيب أى مجنوب مستتبع والجثمان الجسم والشخص والجسمان جماعة البدن والاعضاء من الناس وسائر الانواع العظيمة الخلق وذكر الخليل انهما بمعنى واحد والموثق المقيد (والمعنى فيه) هواى أى منضم الى ركبان الابل القاصدين الى اليمن لكون الحبيب معهم وبدنى مأسور مقيد بمكة (والشاهد فيه) تعريف المسند اليه باضافته الى شئ من المعارف اذ هى أخصر طريق الى احضاره فى ذهن السامع وهو فى البيت قوله هواى أى مهويى وهو أخصر من قولهم الذى أهواه أو غير ذلك والاختصار مطلوب لضيق المقام وفرط السآمة لكونه فى السجن وحبيبه على الرحيل (وجعفر بن علبة) هو ابن ربيعة بن عبد يغوث بن معاوية ابن صلاة بن المعقل بن كعب بن الحرث بن كعب ويكنى أبا عارم وعارم ابن له وقد ذكره فى شعره وهو من مخضرمى الدولتين الاموية والعباسية شاعر مقل غزل فارس مذكور فى فوارس قومه وكان أبوه علبة بن ربيعة شاعرا أيضا ومات جعفر هذا مقتولا فى قصاص احتاف فى سببه فقيل ان جعفر بن علبة وعلى بن جعدب الحارثى العيابى والنضر بن مضارب المعاوى خرجوا فأغاروا على بنى عقيل وان بنى عقيل خرجوا فى طلبهم وافترقوا عليهم فى الطرق ووضعوا عليهم الارصاد فى المضايق وكانوا كلما أفلتوا من عصبة لقيتهم أخرى حتى انتهوا الى بلاد بنى نمر فرجعت عنهم بنو عقيل وقد كانوا قتلوا فيهم فاستعدت عليهم بنو عقيل السرى بن عبد الله الهاشمى عامل مكة لابى جعفر المنصور وأرسل الى أبيه علبة بن ربيعة فأخذهم وحبسه حتى دفعهم وسائر من كان معهم اليه وأما النضر فاستقيد منه بجراحة وأما على بن جعدب فأفلت من السجن وأما جعفر بن علبة فأقامت عليه بنو عقيل قسامة انه قتل صاحبهم فقتل به وذكر ابن الكلبى أن الذى أثار الحرب بين جعفر بن علبة وبنى عقيل أن اياس بن يزيد الحارثى واسمعيل بن أحمد العقيلى اجتمعا عند أمة لشعيب بن صامت الحارثى وهى فى ابل لمولاها فى موضع يقال له صمعر من بلاد بلحرث فتحدثا عندها فمالت الى العقيلى فدخلتهما مؤاسفة حتى تحانقا بالعمائم فانقطعت عمامة الحارثى وخنقه العقيلى حتى صرعه ثم تفرقا وجاء العقيليون الى الحارثيين فحكموهم فوهبوا لهم ثم بلغهم بيت قيل وهو

ألم تسأل العبد الزيادى ما رأى * بصمعر والعبد الزيادى قائم

فغضب اياس من ذلك فلقى هو وابن عمه النضر بن مضارب ذلك العقيلى وهو اسمعيل بن أحمد فشجه شجتين وخنقه فصار الحارثيون الى العقيليين فحكموهم فوهبوا لهم ثم لقى العقيليون جعفر بن علبة الحارثى فأخذوه فضربوه وخنقوه وربطوه وقادوه طويلا ثم أطلقوه فبلغ ذلك اياس بن يزيد فقال يتوجع لجعفر

أبا عارم كيف اغتررت ولم تكن * تغر اذا ما كان أمر تحاذره

انظر معى وجه مليح تقل له الدنيا بما فيها مع ما أنا فيه من ضيقة وعسر فقال والله لقد شكوت ما كدت أبادرك بشكواه ائتنيها فلما دخلت قال والله ما أملك سوى هذا المنديل فقلت هو البغية ناولنيه فقال خذه لا بارك الرحمن فيه فأخذته فبعته بدينار وكسر واشتريت به لحما وخبزا ونبيذا ثم صرت اليهما فاذا هما يتساقطان حديثا كأنه الدر فقال ما صنعت فأخبرته فقال كيف يصلح طعام وشراب وجلوس مع وجه مليح بغير نقل ولا ريحان ولا طيب اذهب فالطف بتمام ما كنت أوله قال فخرجت فاضطربت فى ذلك حتى أتيت به وألقيت باب الدار مفتوحا فدخلت فلم أرهما ولا لشئ مما كنت جئت به أثرا فأسقطت فى يدى وقلت أرى صاحب الربع أخذهما وبقيت متلهفا حائرا أرجم الظن وأجيل الفكر سائر يومى فلما أمسيت قلت فى نفسى أفلا أدور فى البيت لعل الطلب يوقعنى على أثر ففعلت فوقعت فى سرداب واذا هما قد نزلا فيه وأنزلا معهما ما احتاجا اليه فلما أحسست بهما دليت رأسى ثم صحت مسلما ثلاثا فكان من اجابته أن غرد بصوته وقال

فلا صلح حتى يخفق السيف خفقة * بكف فتى جرت عليه جرائره

ثم ان جعفر بن علبة تبعهم ومعه ابن أخيه جندب والنضر بن مضارب واياس بن يزيد فلقوا المهدى بن عاصم وكعب بن محمد بخسيرة وهو موضع بالقاعة فضربوهما ضربا مبرحا ثم انصرفوا فضلوا عن الطريق فوجدوا العقيليين وهم تسعة نفر فاقتتلوا قتالا شديدا فقتل جعفر بن علبة رجلا من عقيل يقال له حسينة فاستعدى العقيليون ابراهيم بن هشام المخزومى عامل مكة فرفع الحارثيين وهم أربعة من نجران حتى حبسهم بمكة ثم أفلت منهم رجل فخرج هاربا فاحضرت عقيل قسامة حلفوا أن جعفرا قتل صاحبهم فأقاده ابراهيم بن هشام وقال جعفر وهو محبوس الابيات السابقة وقال لاخيه يحرضه

قل لابى عون اذا ما لقيته * ومن دونه عرض الفلاة يحول

تعلم وعد الشط انى تشفنى * ثلاثة أحراس معا وكبول

اذا رمت مشيا أو تبوأت مضجعا * تبيت لها فوق الكعاب صليل

ولو بك كانت لابتعثت مطيتى * يعود الحصا أخفافها ويحول

الى العدل حتى يصدر الامر مصدرا * وتبرأ منكم قالة وعدول

وفى رواية ان جعفر بن علبة كان يزور نساء من عقيل بن كعب وكانوا متجاورين هم وبنو الحرث بن كعب فاخذته عقيل فكشفوا دبر قميصه وربطوه الى جمته وضربوه بالسياط وكتفوه ثم أقبلوا به وأدبروا على النسوة اللاتى كان يتحدث اليهن على تلك السبيل ليغيظوهن ويفضحوه عندهن فقال لهم يا قوم لا تفعلوا فان هذا الفعل مثلة وأنا أحلف لكم بما يثلج صدوركم أن لا أزور بيوتكم أبدا ولا ألجها فلم يقبلوا منه فقال لهم فان لم تفعلوا ذلك فحسبكم ما قد مضى ومنوا على بالكف عنى فانى أعده نعمة لكم ويدا لا أكفرها أبدا أو فاقتلونى وأريحونى فاكون رجلا آذى قومه فى دارهم فقتلوه فلم يفعلوا وجعلوا يكشفون عورته بين أيدى النساء ويضربونه ويغرون به سفهاءهم حتى شفوا أنفسهم منه ثم خلوا سبيله فلم تمض الا أيام قلائل حتى عاد جعفر ومعه صاحبان له فدفع راحلته حتى أولجها البيوت ثم مضى فلما كان فى نقرة من الرمل أناخ هو وصاحباه وكانت عقيل أقفى خلق الله للاثر فتبعوه حتى انتهوا اليه والى صاحبيه وكان العقيليون مغترين ليس مع أحدهم عصا ولا سلاح فوثب عليهم جعفر وصاحباه بالسيوف فقتلوا منهم رجلا وجرحوا آخر وافترقوا فاستعدت عليهم عقيل السرى بن عبد الله الهاشمى عامل المنصور على مكة فأحضرهم وحبسهم وأقاد من الجارح ودافع عن جعفر بن علبة وكان يحب أن يدرأ عنه الحد لخؤولة السفاح فى بنى الحرث ولان أخت جعفر كانت تحت السرى بن عبد الله وكانت حظية عنده الى أن أقاموا عنده قسامة أنه قتل صاحبهم وتوعدوه بالخروج الى أبى جعفر المنصور والتظلم اليه فحينئذ دعا بجعفر فأقاد منه وأفلت على بن جندب من السجن فهرب فلما أخرج جعفر للقود قال له غلام من قومه أسقيك شربة من ماء بارد فقال اسكت لا أم لك انى اذا لمهياف وانقطع شسع نعله فوقف فأصلحه فقال له رجل أما يشغلك عن هذا ما أنت فيه فقال أشد قبال نعلى أن يرانى * عدوى للحوادث مستكينا

وكان الذى ضرب عنق جعفر بن علبة نخبة بن كليب أخو المجنون وهو أحد بنى عامر بن عقيل فقال فى ذلك

شفى النفس ما قال ابن علبة جعفر * وقولى له اصبر ليس ينفعك الصبر * هوى رأسه من حيث كان كما هوى عقاب تدلى طالبا جانب الوكر * أبا عارم فينا عرام وشدة * وبسطة ايمان سواعدها شعر

هم ضربوا بالسيف هامة جعفر * ولم ينجه بر عريض ولا بحر

وقدناه قود البكر قسرا وعنوة * الى القبر حتى ضم أثوابه القبر

وقال علبة يرثى ابنه جعفرا   لعمرك انى يوم أسلمت جعفرا * وأصحابه للموت لما أقاتل

لمجتنب حب المنايا وانما * يهيج المنايا كل حق وباطل * فراح بهم قوم ولا قوم عندهم

مغللة أيديهم فى السلاسل * ورب أخ لى غاب لو كان شاهدا * رآه التباليون لى غير خاذل

وقال

بت فى درعها وبات رفيقى جنب القلب طاهر الاطراف

ثم قال دعبل ويلك من يقول هذا وقال

من له فى حزامه ألف اير قد أنافت على علو مناف

قال فضحكا ثم سكتا واستجلبت كلامهما فلم يجيبانى بشئ وباتا فى لذتهما وبت ليلة يقصر عمر الدنيا عن ساعة منها طولا وغما وهما حتى أصبحت ولم أكد فخرج الى مسلم وهى معه فجعلت أشتمه وأفترى عليه فلما أكثرت قال يا أحمق منزلى دخلت ومنديلى بعت ودراهمى أنفقت فعلى من تترثب يا قواد فقلت مهما كذبت على فما كذبت فى الحمق والقيادة وانصرفت وتركتهما

﴿وذكر﴾ صاحب نجباء الابناء أن الرشيد اطلع من مستشرف له على قصره فرأى ولده عبد الله المأمون يكتب على حائط وهو صغير فقال للخادم انطلق حتى تنظر ماذا يكتب عبد الله واحرص على أن لا يفطن لك فذهب الخادم فتسلل حتى قام من خلفه وهو مقبل على الحائط فنظر وعاد الى الرشيد فأخبره انه كتب

قل لابن حمزة ماترى فى زير باح محكمه

ثم قال الخادم اى تسللت

وقال علمة أيضا لامرأته أم جعفر قبل أن يقتل جعفر

لعمرك ان الليل يا أم جعفر * على وان عللتني لطويل

أحاذر أحبارا من القوم قد دنت * ورجعة أنقاض لهن دليل

فأجابته امرأته فقالت أبا جعفر سلمت للقوم جعفرا * فمت كمدا أوعش وأنت ذليل

وذكر شداد بن ابراهيم أن بنت اليحيى بن زياد الحارثي حضرت الموسم في ذلك العام لما قتل فكفنته واستجادت له الكفن وبكته وجميع من كان معها من جواريها وجعلن ينـدبنه بأبياته التي قالها قبل قتله

وهي أحقا عباد الله أن لست رائيا * صحارى نجد والرياح الذواريا * ولا زائرا شم العرانين أنتمي

الى عامر يحللن رملا معاليا * اذا ما أتيت الحارثيات فانعني * لهن وخبرهن أن لا تلاقيا

وقود قلوصي بينهن فانها * ستبرد أكبادا وتبكي بواكيا * أوصيكم ان مت يوما بعارم

ليغني شيأ أو يكون مكانيا * ولم أترك لي ريبة غير أنني * وددت معاذا كان فيمن أتانيا

أراد وددت أن معاذا كان أتاني معهم فقتلته فقال معاذ بعينه عنها بعد قتله ويخاطب أباه ويعرض له انه قتل ظلما لانهم أقاموا قسامة كاذبة عليه حتى قتل ولم يكونوا عرفوا القاتل من الثلاثة بعينه الا أن غيظهم على جعفر حملهم على أن ادعوا القتل عليه

أبا جعفر سلم بنجران واحتسب * أبا عارم والمسمنات العواليا * وقود قلوصا أتلف السيف ربها

بغير دم في القوم الا تماريا * اذا ذكرته معصر حارثية * جرى دمع عينيها على الخد صافيا

ولا تحسبن الدين يا علب منسأ * ولا الثائر الحران ينسى التقاضيا * سنقتل منكم بالقتيل ثلاثة

ونغلي وان كانت دماء غواليا * تمنيت أن تلقى معاذا سفاهة * ستلقى معاذا والقضيب اليمانيا

وعن أبي عبيدة قال لما قتل جعفر بن علبة قام نساء الحي يبكين عليه وقام أبوه الى كل ناقة وشاة فنحر أولادها وألقاها بين أيديها وقال ابكين معنا على جعفر فما زالت النوق ترغو والشاء تثغو والنساء يصحن ويبكين وهو يبكي معهن فما رؤي يوم كان أوجع وأحرق مأتما في العرب من يومئذ

(له حاجب عن كل أمر يشينه * وليس له عن طالب العرف حاجب)

البيت لابن أبي السمط من أبيات من الطويل منها

فتى لا يبالي المدلجون بنوره * الى بابه أن لا تضيء الكواكب

يصم عن الفحشاء حتى كأنه * اذا ذكرت في مجلس القوم غائب

والحاجب المانع والشين العيب والعرف والمعروف الاحسان (والشاهد فيه) تنكير الحاجب الاول للتعظيم والثاني للتحقير أي ليس له حاجب حقير فكيف بالعظيم ومثله قول الشاعر

ولله مني جانب لا أضيعه * وللهو مني والخلاعة جانب

(وابن أبي السمط)

(الالمعي الذي يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا)

البيت لاوس بن حجر من قصيدة من المنسرح قالها في فضالة بن كلدة يمدحه بها في حياته ويرثيه بعد وفاته أولها

أيتها النفس أجملي جزعا * ان الذي تحذرين قد وقعا

ان الذي جمع السماحة والنجدة والبر والتقى جمعا

وبعده البيت وبعده المخلف المتلف المرزأ لم * يمتع بضعف ولم يمت طبعا

والحافظ الناس في قحوط اذا * لم يرسلوا تحت عائذ ربعا

وعزت الشمأل الرياح وقد * أمسى كميع الفتاة ملتفعا

عليه حتى قمت من خلفه وهو لا يعلم لغلبة الفكر عليه فقال له الرشيد ارجع فسله عما يكتب فسيقول لك اني مفكر في التتميم على هذا البيت فقل له اكتب تحته

قال ابن حمزة يا بني

هزلت مجتريا فيه

فانطلق الخادم فسأله فكان منه ما ظنه الرشيد ففعل الغلام ما أمره به فأطرق المأمون قليلا ثم قال لولا انك مأمور لم تنج من يدي فرجع الخادم الى الرشيد وأخبره فقال نحوت ثم دعا ابن حمزة الكسائي وقال له من أين علم عبد الله أن الخادم مأمور فقال الكسائي علمه من قوله هزلت مجتريا فيه اذ كان الخادم لا يقدر على مخاطبته بذلك الا عن أمر (وذكر أبو عبد الله) محمد بن عبدون الجهشياري في كتاب الوزراء قال ذكر أبو الفضل بن عبد الحميد في كتابه أن الاحول المحرر شخص مع محمد بن يزداد عند شخوص المأمون الى دمشق وانه شكا يوما الى أبي هرون خليفة محمد بن يزداد الوحدة والغربة وقلة ذات اليد فسأله في أن يسأل له ابن يزداد أن يكلم المأمون في أمره في شيء ففعل أبو هرون ذلك ورأى محمد بن يزداد من المأمون طيب نفس فكلمه له

الالمعي والليلمعي الذكي المتوقد ذكاء وسئل الاصمعي عن معنى الالمعي فأنشد البيت ولم يزد عليه وهو اما مرفوع خبر ان أو منصوب صفة لاسمها أو تقدير أعني وخبرها في قوله بعد أبيات

أودى فما تنفع الاشاحة من * أمر لمن قد يحاول البدعا

(والشاهد فيه) كون جملة قوله الذي يظن بك الظن وصفا كاشفا عن معنى الالمعي لا كونه وصفا للمسند اليه وبيت أوس هذا تداول معناه الشعراء قال أبو تمام

ولذاك قيل من الظنون جبلة * علم وفي بعض القلوب عيون

وقال المتنبي ماضي الجنان يريه الحزم قبل غد * بقلبه ما ترى عيناه بعد غد

وقال أيضا ذكي تظنيه طليعة عينه * يرى قلبه في يومه ما يرى غدا

وقال أيضا ويعرف الامر قبل موقعه * فما له بعد فعله ندم

وقال أيضا مستنبط من علمه ما في غد * فكأن ما سيكون فيه دونا

وهذا المعنى يقرب منه قول أبي نواس

ما تنطوي عنه القلوب بنجوة * الا تحدثه به العينان

وقول علي بن الخليل كلمني لحظك عن كل ما * أضمره قلبك من غدر

وقول الخليع أما تقرأ في عيني عنوان الذي عندي

وقد سبق اليه المتقدمون قال الثقفي تخبرني العينان ما القلب كاتم * ولا جن بالبغضاء والنظر الشزر

وقال يزيد بن الحكم الثقفي تكاشرني كرها كأنك ناصح * وعينك تبدي أن قلبك لي دوي

وما أحسن قوله بعده عدوي يخشى صولتي ان لقيته * وأنت عدوي ليس هذا بمستوي

تصافح من لاقيته ذا عداوة * صفاحا وعني بين عينيك منزوي

وقال المتنبي في معناه تخفي العداوة وهي غير خفية * نظر العدو بما أسر يبوح

وقال غيره عيناك قد دلتا عيني منك على * أشياء لولاهما ما كنت أدريها

والعين تعلم من عيني محدثها * ان كان من حزبها أو من أعاديها

ولمؤلفه من أبيات ويظهر ودا تشهد العين زوره * ويقضي بذلك القلب والقلب أخبر

وله في معناه من كان في لقياه لا يتودد * فأنا الذي في وده أتردد

والقلب عما قد أجن ضميره * لصديقه عند التلاقي يرشد

واذا خفي حال وأشكل أمره * فالعين تخبر بالخفي وتشهد

وما أحسن قول أبي نصر بن نباتة ألا ان عين المرء عنوان قلبه * تخبر عن أسراره شاء أم أبى

وبديع قول عمارة بن عقيل تبدي لك العين ما في نفس صاحبها * من الشناءة والود الذي كانا

ان البغيض له عين يصدقها * لا يستطيع لما في القلب كتمانا

وعين ذي الود لا تنفك مقبلة * ترى لها محجرا بشا وانسانا

والعين تنطق والافواه صامتة * حتى ترى من ضمير القلب تبيانا

وقول الآخر تريك أعينهم ما في صدورهم * ان الصدور يؤدي غيبها البصر

وقول المعتمد بن عباد صاحب الاندلس

تميز البغض في الالفاظ ان نطقوا * وتعرف الحقد في الالحاظ ان نظروا

وقول الآخر ستبدي لك العينان في اللحظ ما الذي * يجن ضمير المرء والعين تصدق

وقول محمد بن ايدمر صاحب كتاب الدر الفريد

صديقك من عدوك ليس يخفى * وعنوان الدعاوى في العيون

تخبرك العيون بما أجنت * ضمائرها من السر المصون

وبياضه عليه فقال له المأمون أنا أعرف الناس بانه لا يزال بخير ما لم يكن معه شيء فاذا رزق فوق القوت بذرة أفسده ذلك ولكن قد أمرنا له لشفاعتك بأربعة آلاف درهم فدعا ابن يزداد بالاحول فعرفه بما جرى ونهاه عن الفساد وأمر له بالمال فلما قبضه ابتاع غلاما بمائة دينار واشترى سيفا ومتاعا وأسرف فيما معه حتى لم يبق معه شيء فلما رأى الغلام ذلك أخذ كل ما كان في بيته وهرب فبقي عريانا بأسوا حال فجاء الى أبي هرون حليمة محمد بن يزداد فأخبره فأخذ أبو هرون نصف طومار فكتب في آخره

فر الغلام فطار قلب الاحول
وأنا الشفيع وأنت خير مؤمل

ثم ختمه وقال له امض الى محمد بن يزداد فمضى وأوصله اليه فلما رآه محمد قال له ما في كتابك قال لا أدري قال وهذا من حمقك تحمل كتابا لا تدري ما فيه ثم فضه فلم ير شيأ فجعل ينشره وهو يضحك حتى انتهى الى آخره فوقف على البيت فكتب تحته

لولا تعبث أحول بغلامه
كان الغلام ربيطة في المنزل

ثم ختمه وناوله اياه وأمره

وقول محمد بن شبل من قصيدة فالعين تقرأ من لحاظ جليسها * ما خط منه في ضمير الخاطر

ولكم قطوب عن وداد خالص * وتبسم عن غل صدر واغر

وما أحسن قوله فيها ما ان أريد بصدق قولي شاهدا * حسبي بسرك عالما بسرائري

واذا تعارفت القلوب تألفت * ويصد منها نافر عن نافر

فتوق من يأباه قلبك انه * سيبين باطنه بأمر ظاهر

وقول العيني كأنك مطلع في القلوب * اذا ما تناجت بأسرارها

وكرات طرفك مرتدة * اليك بغامض أخبارها

ومثله قول المتنبي كأنك ناظر في كل قلب * فما يخفى عليك محل غاش

وقد قال مضرس بن ربعي في عكس ذلك

كأن على ذي الظن عينا بصيرة * بمنطقه أو منظر هو ناظره

يحاذر حتى يحسب الناس كلهم * من الخوف لا تخفى عليهم سرائره

وبديع قول المتنبي في معنى ما سبق

ووكل الظن بالاسرار فانكشفت * له ضمائر أهل السهل والجبل

وهذا المعنى هو الاول وانما الفرق بينهما أن ذلك في العواقب وهذا في الاسرار والضمائر والمراد منهما صحة الحدس وجودة الظن وبديع قول الآخر في معناه

كأن آراءه في كل مشكلة * عين على كل ما يخفى ويستتر

(وأوس بن حجر هذا) هو ابن مالك بن حزن بن عقيل بن خلف بن نمير ينتهي نسبه لتميم بن مرة مع اختلاف فيه وكان من شعراء الجاهلية وفحولها وعن أبي عمرو قال كان أوس بن حجر شاعر مضر حتى أسقطه النابغة وزهير فهو شاعر بني تميم في الجاهلية غير مدافع وقال الاصمعي أوس أشعر من زهير ولكن النابغة طأطأ منه قال أوس ترى الارض منا بالفضاء مريضة * معضلة منا بجمع عرمرم

وقال النابغة جيش يظل به الفضاء معضلا * يدع الاكام كأنهن صحاري

فجاء بمعناه وزاد وقالت الشعراء في نفار الناقة وفزعها فأكثرت ولم تعد ذكر الهر المقرون بها وابن آوى وقال أوس كأن هرا جنيبا عند غرضتها * والتف ديك برجليها وخنزير

قالوا وجمع ثلاثة ألفاظ أعجمية في بيت واحد فقال

وفارقت وهي لم تجرب وباع لها * من الفصافص بالنمي سفسير

الفصافص الرطب وهي بالفارسية اسبست والنمي الفلوس بالرومية والسفسير السمسار وعن أبي عبيدة قال كان أوس بن حجر غزلا مغرما بالنساء فخرج في سفر حتى اذا كان بأرض بني أسد بين شرج وناظرة فبينما هو يسير ليلا اذ جالت به ناقته فصرعته فاندقت فخذه فبات مكانه حتى اذا أصبح غدت جواري الحي يجتنين الكمأة وغيرها من نبات الارض والناس في ربيع فبينما هن كذلك اذ أبصرن ناقته تجول وقد علق زمامها بشجرة وأبصرنه ملقى ففزعن منه وهربن فدعا بجارية منهن فقال لها من أنت قالت أنا حليمة بنت فضالة بن كلدة وكانت أصغرهن وأعطاها حجرا وقال لها اذهبي الى أبيك فقولي له ابن هذا يقرئك السلام فأتته فأخبرته فقال يا بنية لقد أتيت أباك بمدح طويل أو هجاء طويل ثم احتمل هو وأهله حتى بنى عليه بيتا حيث صرع وقال لا أتحول أبدا حتى تبرأ وكانت حليمة تقوم عليه حتى استقل فقال أوس في ذلك جدلت على ليلة ساهرة * بصحراء شرج الى ناظره * تزاد ليالي من طولها

فليست بطلق ولا ساكره * أنوء برجلي بها وهيها * وأعيت بها أختها الغابره

وقال في حليمة لعمرك ما ملت ثواء ثويها * حليمة اذ ألقت مراسي مقعدي

ولكن تلقت باليدين ضمانتي * وحل بشرج من القبائل عودي

أن يرده الى خليفته فقال الله الله في جعلني الله فداك ارحمني من الحالة التي قد صرت اليها فرق له ووعده أن يكلم المأمون فكلمه وشرح له الحال ووصف له ضعف عقل الاحول ووهي عقدته فأمر المأمون باحضاره فلما مثل بين يديه قال له يا عدو الله تأخذ مالي وتشتري به غلاما حتى يفر منك فارتاع لذلك وتلجلج لسانه فقال جعلني الله فداك ما فعلت فقال ضع يدك على رأسي واحلف أنك لم تفعل فارتاع وجعل ابن يزداد يأخذ بيده لذلك والمأمون يضحك ويشير اليه أن ينحيها ثم أمر باجراء رزق واسع له كل شهر ووصله مرة بعد مرة حتى أغناه الله لانه كان يحبه ويحب خطه (أنبأنا الفقيه) الحافظ التقي أبو محمد عبد الخالق المسكي اجازة أنبأنا الحافظ السلفي اجازة أنبأنا أبو محمد جعفر ابن أحمد السراج اللغوي وابن بعلان الكبير قالا أنبأنا أبو نصر عبيد الله بن سعيد السجستاني الحافظ قال أخبرنا النحيري أبو يعقوب حدثنا اللهبي قال لما حضرت المأمون الوفاة جلست عند رأسه جارية كان بها مشغوفا وقد أخذته غشية فجعلت تبكيه وأنشأت تقول

يا ملكا لست بناسيه

ولم تلهها تلك التكاليف انها * كما شئت من اكرومة وتخرّد

سأجزيك أو يجزيك عني مثوّب * وقصرك أن يثني عليك وتحمدي

ثم مات فضالة بن كلدة وكان يكنى أبا دليجة فقال فيه أوس يرثيه

يا عينيّ لا بدّ من سكب وتهمال * على فضالة جلّ الرزء والعالي

وهي طويلة وله فيه عدّة قصائد ومما يستجاد من شعره قوله

واني رأيت الناس الا أقلهم * خفاف العهود يكثرون التنقلا * بني أم ذي المال الكثير يرونه

وان كان عبدا سيد الامر جحفلا * وهم لمقلّ المال أولاد علّة * وان كان محضا في العمومة مخولا

وليس أخوك الدائم العهد بالذي * يسوءك ان ولّى ويرضيك مقبلا

ولكن أخوك النا ما كنت آمنا * وصاحبك الادنى اذا الامر أعضلا

ويستجاد له من هذه القصيدة قوله في السيف

كأن مدب النمل تتبع الربا * ومدرج ذرّ خاف بردا فاسهلا

(والذي حارت البرية فيه * حيوان مستحدث من جماد)

البيت لابي العلاء المعرّي من قصيدة من الخفيف يرثي بها فقيها حنفيا أوّلها

غير مجد في ملتي واعتقادي * نوح باك ولا ترنم شادي

وشبيه صوت النعي اذا قيـ * ـس بصوت البشير في كل نادي

أبكت تلكم الحمامة أم غنـ * ـت على فرع غصنها المياد

صاح هذي قبورنا تملأ الرحـ * ـب فأين القبور من عهد عاد

خفف الوطء ما أظن اديم الـ * ارض الا من هذه الاجساد

وقبيح بنا وان قدم العهـ * ـد هوان الآباء والاجداد

سر ان اسطعت في الهواء رويدا * لا اختيالا على رفات العباد

رب لحد قد صار لحدا مرارا * ضاحك من تزاحم الاضداد

ودفين على بقايا دفين * في طويل الازمان والآباد

فاسأل الفرقدين عمن أحسا * من قبيل وآنسا من بلاد

كم أقاما على زوال نهار * وأنارا لمدلج في سواد

تعب كلها الحياة فما أعـ * ـجب الا من راغب في ازدياد

ان حزنا في ساعة الموت أضعا * ف سرور في ساعة الميلاد

خلق الناس للبقاء فضلت * أمة يحسبونهم للنفاد

انما ينقلون من دار أعما * ل الى دار شقوة أو رشاد

وهي طويلة ومنها بان أمر الاله واختلف النا * س فداع الى ضلال وهادي

وبعده البيت وبعده فاللبيب اللبيب من ليس يغتـ * ـرّ بكون مصيره للفساد

يقول تحيرت البرية في المعاد الجسماني والنشور الذي ليس نفسانيا وفي أن أبدان الاموات كيف تحيى من الرفات وبعضهم يقول به وبعضهم ينكره وبهذا تبين أن المراد بالحيوان المستحدث من الجماد ليس آدم عليه السلام ولا ناقة صالح ولا ثعبان موسى عليهما السلام اذ لا يناسب السياق وقال الامام أبو محمد ابن السيد البطليوسي حين شرح سقط الزند في هذا البيت يريد أن الجسم موات بطبعه وانما صار حساسا متحركا باتصال النفس به فاذا فارقته عند الموت عاد الى طبعه فالحياة للنفس جوهرية وللجسم عرضية فلذلك يعدم الجسم الحياة اذا فارقته النفس ولا تعدمها النفس (والشاهد فيه) تقديم المسند اليه على المسند ليتمكن الخبر في ذهن السامع لان في المبتدا تشويقا اليه (وأبو العلاء) هو أحمد بن عبد الله

ابن

وليتني بالنفس أفديه فأفاق من غشيته ونظر اليها وأنشأ يقول

يا كبتي من جزع أقصري قد غلق الرهن بما فيه

(ومن حسن الجواب بالشعر بديها) ما روى طماس قال جاء ابن دنقش الحاجب الى دار محمد بن عبد الملك الزيات يستدعيه وقد كان المعتصم طلبه فدخل المجلس ليلبس ثيابه فرأى ابن دنقش في صحن الدار غلاما له روقة فقال وهو يظن أن محمد بن عبد الملك لا يسمعه

وعلى اللواط فلا تلومن كاتبا ان اللواط سجية الكتاب

فقال محمد مسرعا

وكما اللواط سجية الكتاب فكذا الحلاق سجية الحجاب

فاستحيا ابن دنقش واعتذر بأن هذا شيء جرى على لسانه من غير قصد فقال له محمد ابن عبد الملك انما يحسن الاعتذار اذا لم يقع القصاص (وذكر الصولي) في كتاب الوزراء قال حدثنا محمد بن موسى اليزيدي قال دخل الحسن بن وهب على محمد ابن عبد الملك وهو في بستان له وأقبل غلام لمحمد بن عبد الملك حسن الوجه فقال للحسن أجز

كيف ترى هذا الغلام الذي أقبل يحكي البدر في المطلع

فقال الحسن

لا تسألني يا أبا جعفر عن مثله في مثل ذا الموضع

ابن سليمان المعرى التنوخى من أهل معرة النعمان العالم المشهور صاحب التصانيف المشهورة ولد يوم الجمعة عند مغيب الشمس لثلاث بقين من شهر ربيع الاول سنة ثلاث وستين وثلثمائة بالمعرة وجدر فى السنة الثالثة من عمره فعمى منه وكان يقول لا أعرف من الالوان الا الاحمر لانى ألبست فى الجدرى ثوبا مصبوغا بالعصفر لا أعقل غير ذلك وعن ابن غريب الايادى انه دخل مع عمه على أبى العلاء يزوره فوجده قاعدا على سجادة لبد وهو شيخ فان قال فدعالى ومسح على رأسى قال وكأنى أنظر اليه الساعة والى عينيه احداهما نادرة والاخرى غائرة جدا وهو مجدور الوجه نحيف الجسم وعن المصيصى الشاعر قال لقيت بمعرة النعمان عجبا من العجب رأيت أعمى شاعرا ظريفا يلعب بالشطرنج والنرد ويدخل فى كل فن من الهزل والجد يكنى أبا العلاء وسمعته يقول أنا أحمد الله على العمى كما يحمده غيرى على البصر وهو من بيت علم وفضل ورياسة له جماعة من أقاربه قضاة وعلماء وشعراء قال الشعر وهو ابن احدى عشرة سنة أو اثنتى عشرة سنة ورحل الى بغداد ثم رجع الى المعرة وكان رحيله اليها سنة ثمان وتسعين وثلثمائة وأقام بها سنة وسبعة أشهر ودخل على المرتضى أبى القاسم فعثر برجل فقال من هذا الكلب فقال أبو العلاء الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسما وسمعه المرتضى وأدناه واختبره فوجده عالما مشبعا بالفطنة والذكاء فأقبل عليه اقبالا كثيرا وله معه نكتة تأتى فى التلميح ان شاء الله تعالى ولما رجع المعرى الى بلده لزم بيته وسمى نفسه رهين المحبسين يعنى حبس نفسه فى منزله وحبس بصره بالعمى وكان عجيبا فى الذكاء المفرط والحافظة ذكر تلميذه أبو زكريا التبريزى أنه كان قاعدا فى مسجده بمعرة النعمان بين يدى أبى العلاء يقرأ شيأ من تصانيفه قال وكنت قد أقمت عنده سنين ولم أر أحدا من أهل بلدى فدخل المسجد بعض جيراننا للصلاة فرأيته فعرفته وتغيرت من الفرح فقال لى أبو العلاء أى شئ أصابك فحكيت له انى رأيت جارا لى بعد أن لم ألق أحدا من أهل بلدى سنين فقال لى قم فكلمه فقلت حتى أتم السبق فقال لى قم وأنا أنتظرك فقمت وكلمته بلسان الاذربيجانية شيأ كثيرا الى أن سألت عن كل ما أردت فلما رجعت وقعدت بين يديه قال لى أى لسان هذا قلت هذا لسان اذربيجان فقال لى ما عرفت اللسان ولا فهمته غير أنى حفظت ما قلتما ثم أعاد على اللفظ بعينه من غير أن ينقص منه أو يزيد عليه بل جميع ما قلت وما قال جارى فتعجبت غاية العجب من كونه حفظ ما لم يفهمه وللناس حكايات بعموم ما فى عجائب ذكائه وهى مشهورة وغالبها مستحيل وكان قد رحل أولا الى طرابلس وكان بها خزائن كتب موقوفة فأخذ منها ما أخذ من العلم واجتاز باللاذقية ونزل ديرا كان به راهب له علم بأقاويل الفلاسفة فسمع كلامه فحصل له شكوك وكان اطلاعه على اللغة وشواهدها أمرا باهرا والناس مختلفون فى أمره والاكثرون على الحاده واكفاره وأورد له الرازى فى الاربعين قوله

قلتم لنا صانع قديم * قلنا صدقتم كذا نقول

ثم زعمتم بلا مكان * ولا زمان ألا فقولوا

هذا كلام له خبئ * معناه ليست لنا عقول

ثم قال الرازى وقد هذى هذا فى شعره وقال ياقوت كان متهما فى دينه يرى رأى البراهمة لا يرى افساد الصورة ولا يأكل لحما ولا يؤمن بالرسل ولا البعث ولا النشور اه ومكث مدة خمس وأربعين سنة لا يأكل اللحم تدينا ولا ما تولد من الحيوان رحمة له وخوفا من ازهاق النفوس والى ذلك أشار على بن همام حين رثاه فقال من قصيدة طويلة

ان كنت لم ترق الدماء زهادة * فلقد أرقت اليوم من عينى دما

سيرت ذكرك فى البلاد كأنه * مسك فسامعه يضمخ أو فما

وأرى الحجيج اذا أرادوا ليلة * ذكراك أوجب فدية من أحرما

ولقيه رجل فقال له لم لا تأكل اللحم فقال أرحم الحيوان قال فما تقول فى السباع التى لا طعام لها الا لحوم الحيوان فان كان لذلك خالق فما أنت بأرأف منه وان كانت الطبائع المحدثة لذلك فما أنت بأحذق منها ولا أتقن فسكت وقال القاضى أبو يوسف عبد السلام القزوينى قال لى المعرى لم أهج أحدا قط قلت له صدقت الا الانبياء عليهم السلام فتغير لونه أو قال وجهه ودخل عليه القاضى المنازى فذكر له ما يسمعه

فقال أبو الجهم أحمد بن سيف وكان حاضرا

أتيت بها والله جملة * وخيمة المربع والمرتع

فقال الحسن يعرض بأبى الجهم

اذا ما حامت العقبان يوما * تسترت الجوارح بالغياض

فقال أبو الجهم يجيبه

ألم يخفق فؤادك يا ابن وهب * لذكرى دون رميك فى عراضى

وهل ثبتت عقاب فى مكان * اذا نسر تحامل فى انقضاض

فأقسم عليهما محمد بأن يمسكا وأقبل يردد بيت الحسن الذى أوله لا تسألنى

فقال الحسن

نعم وان أحببت يا سيدى * فسرت ما أجملته فاسمع

فقال محمد

ان كنت تهواه فخذه فقد * جدت لك الآن به فاقطع

فقال الحسن

ان كنت تهوى الصدق فأذن له * يخرج اذا حان خروجى معى

قال اخرج معه بالسلام فأنت له (وروى) على بن الجهم قال كنت يوما عند فضل الشاعرة فلحظت بها لحظة رابتها فقالت

يا رب رام حسن تعرضه * يرمى ولا أشعر أنى غرضه

فقلت

أى فتى لحظك ليس يمرضه * وأى عهد محكم لا ينقضه

فضحكت وقالت حذق

عن الناس من الطعن عليه ثم قال مالى وللناس وقد تركت دنياهم فقال له القاضى وأخراهم فقال ياقاضى وأخراهم وجعل يكررها وعن أبى زكريا الرازى قال قال لى المعرى ما الذى تعتقد فقلت فى نفسى اليوم يتبين لى اعتقاده فقلت له ما أنا الا شاك فقال لى وهكذا شيخك وحكى عن الشيخ كمال الدين الزملكانى أنه قال فى حقه هو جوهرة جاءت الى الوجود وذهبت وعن الشيخ فتح الدين بن سيد الناس أن الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد كان يقول فى حقه هو فى حيرة قال الصلاح الصفدى وهذا أحسن ما يقال فى أمره لانه قال

خلق الناس للبقاء فضلت * أمة يحسبونهم للنفاد

انما ينقلون من دار أعما * ل الى دار شقوة أو رشاد

ثم قال

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة * وحق لسكان البسيطة أن يبكوا

يحطمنا الايام حتى كأننا * زجاج ولكن لا يعاد لنا سبك

وهذه الاشياء كثيرة فى كلامه وهو تناقض منه والى الله ترجع الامور قال السلفى ومما يدل على صحة عقيدته ما سمعت الحافظ الخطيب حامد بن بختيار النميرى يحدث بالسمسمانية مدينة بالخابور قال سمعت القاضى أبا المهذب عبد المنعم بن أحمد السروجى يقول سمعت أخى القاضى أبا الفتح يقول دخلت على أبى العلاء التنوخى بالمعرة ذات يوم فى وقت خلوة بغير علم منه وكنت أتردد اليه وأقرأ عليه فسمعته ينشد من قيله

كم بودرت غادة كعوب * وعمرت أمها العجوز * أحرزها الوالدان خوفا

والقبر حرز لها حريز * يجوز أن تبطئ المنايا * والخلد فى الدهر لا يجوز

ثم تأوه مرات وتلا ان فى ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وما نؤخره الا لاجل معدود يوم يأت لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقى وسعيد ثم صاح وبكى بكاء شديدا وطرح وجهه على الارض زمانا ثم رفع رأسه ومسح وجهه وقال سبحان من تكلم بهذا فى القدم سبحان من هذا كلامه فصبرت ساعة ثم سلمت عليه فرد على وقال متى أتيت فقلت الساعة ثم قلت ياسيدى أرى فى وجهك أثر غيظ فقال لا يا أبا الفتح بل أنشدت شيأ من كلام المخلوق وتلوت شيأ من كلام الخالق فلحقنى ما ترى فتحققت صحة دينه وقوة يقينه وقال السلفى أيضا سمعت أبا المكارم بأبهر وكان من أفراد الزمان ثقة مالكى المذهب قال لما توفى أبو العلاء اجتمع على قبره ثمانون شاعرا وختم عند قبره فى أسبوع واحد مائتا ختمة وعن أبى اليسر المعرى ان أبا العلاء كان يرمى من أهل الحسد له بالتعطيل ويعمل تلامذته وغيرهم على لسانه الاشعار يضمنونها أقاويل الملحدة قصد الهلاكه وايثار الاتلاف نفسه وفى ذلك يقول

حاول اهوانى قوم فما * واجهتهم الا باهوانى * يحرشونى بسعاياتهم

فغير ودانية احوانى * لو استطاعوا لوشوا بى الى الـ * مريخ والشهب وكيوان

قال الصلاح الصفدى أما الموضوع على لسانه فلعله لا يخفى على ذى لب وأما الاشياء التى دونها وقالها فى لزوم ما لا يلزم وفى استغفر واستغفرى فما فيه حيلة وهو كثير من القول بالتعطيل واستخفافه بالنبوات ويحتمل انه ارعوى وتاب بعد ذلك كله وكان أكله العدس وحلاوته التين ولباسه القطن وفراشه اللباد وحصيره برديه وتصانيفه كثيرة جدا وشعره كثير الى الغاية وأحسنه سقط الزند ومن نظمه فى الغزل

يا طيبة علقتنى فى تصيدها * أشراكها وهى لم تعلق باشراكى * رعيت قلبى وما راعيت حرمته

فلم رعيت وما راعيت مرعاك * أتحرقين فؤادا قد حللت به * بنار حبك عمدا وهو مأواك

أسكنته حيث لم يسكن به سكن * وليس يحسن أن تضحى بسكناك * ما بال داعى غرامى حين يأمرنى

بأن أكابد حر الوجد ينهاك * وكم غدا القلب ذا يأس وذا طمع * يرجوك أن ترحميه وهو يخشاك

ومن شعره قوله

الى الله أشكو أننى كل ليلة * اذا نمت لم أعدم خواطر أوهام

فان كان شرا فهو لا شك واقع * وان كان خيرا فهو أضغاث أحلام

ومنه قوله

اضرب وليدك تأديبا على رشد * ولا تقل هو طفل غير محتلم

غير هذا الحديث وكان أبو الفضل بن المصا أحد أمراء بنى الاغلب يخضب فأنشده يوما أبو شراحيل شريح بن عبد الله بن غانم بن العاص يعرض به

لعمرك ما الخضاب اذا تولى * شباب المرء الا كالسراب

فقال يعقوب يجيبه بديها

فلا تعجل رويدك عن قريب * كأنك بالمشيب وبالخضاب

(وذكر الصولى) فى كتاب الوزراء حدثنى محمد بن العلاء السجرى قال دخل أبو ناصرة الى عبيد الله بن سليمان فقال

أيظعن فى جملة الظاعنين * غدا أم يقيم أبو ناضره

فقال الوزير

يقيم يقيم على رغمه * وتحلق لحيته الوافره

فقال عبيد الله بن الفرج كاتب عبد الله سرا

ويصفع من غير ما حشمة * وتوطى حليلته العاجره

(وذكر) أبو على التنوخى فى كتاب نشوار المحاضرة قال حدثنى محمد بن الحسن البصرى قال حدثنى الهمدانى الشاعر قال قصدت ابن الشلمغانى فى ما درايا فأنشدته قصيدة قد مدحته بها وتأنقت فيها وجودتها فلم يحفل بها فكنت أغاديه كل يوم وأحضر مجلسه الى أن يتقوض الناس فلا أرى الثواب طريقا لحضرته

فرب شق برأس حز منفعة * وقس على شق رأس السهم والقلم

ومن شعره وقد أهدى كتابا من تصانيفه

قبول الهدايا سنة مستحبة * اذا هي لم تسلك طريق تحابي

وما أنا الا قطرة من سحابة * ولو انني صنفت ألف كتاب

ومن شعره المؤاخذ به قوله اذا ما ذكرنا آدما وفعاله * وتزويجه بنتيه لابنيه في الخنا

علمنا بأن الخلق من نسل فاجر * وأن جميع الخلق من عنصر الزنا

فأجابه القاضي أبو محمد الحسن اليمني بقوله

لعمري أما فيك فالقول صادق * وتكذب في الباقين من شط أودنا

كذلك اقرار الفتى لازم له * وفي غيره لغو كذا جاء شرعنا

ومنه قوله يد بخمس مئين عسجد وديت * ما بالها قطعت في ربع دينار

تحكم ما لنا الا السكوت له * وأن نعوذ بمولانا من النار

فأجابه علم الدين السخاوي بقوله

عز الامانة أغلاها وأرخصها * ذل الخيانة فافهم حكمة الباري

ومنه قوله هفت الحنيفة والنصارى ما اهتدت * ومجوس حارت واليهود مضلله

اثنان أهل الارض ذو عقل بلا * دين وآخر دين لا عقل له

فقال ذو الفضائل الاخسيكتي رادا عليه

الدين آخذه وتاركه * لم يعف رشدهما وغيهما

اثنان أهل الارض قلت فقل * ياشيخ سوء أنت أيهما

ومنه أيضا قوله دين وكفر وأنباء تقال وفر * قان ينص وتوراة وانجيل

في كل جيل أباطيل يدان بها * فهل تفرد يوما بالهدى جيل

فأجابه شيخ الاسلام الحافظ الذهبي بقوله

نعم أبو القاسم الهادي وأمته * فزادك الله ذلا يا دجيجيل

ومنه أيضا قوله وهو الطامة الكبرى

قران المشترى زحلا يرجى * لايقاظ النواظر من كراها * تقضى الناس جيلا بعد جيل

وخلفت النجوم كما تراها * تقدم صاحب التوراة موسى * وأوقع في الخسار من افتراها

فقال رجاله وحي أتاه * وقال الآخرون بل افتراها * وما حجى الى أحجار بيت

كؤس الخمر تشرب في ذراها * اذا رجع الحكيم الى حجاه * تهاون بالشرائع وازدراها

لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم اللهم اني أستغفرك من نظير هذه الاباطيل التي تشمئز منها القلوب وتنفر عنها الخواطر وأسألك التوفيق لي ولسائر المسلمين ومن جيد شعره قوله

رددت الى مليك الخلق أمري * فلم أسأل متى يقع الكسوف

وكم سلم الجهول من المنايا * وعوجل بالحمام الفيلسوف

وهو أخذه من قول أبي الطيب المتنبي

يموت راعي الضأن في جهله * ميتة جالينوس في طبه

وربما زاد على عمره * وزاد في الامن على سربه

وقد تلاعب الشعراء بهجائه ومن هجاه أبو جعفر البحاثي الزوزني بقصيدة أولها

كلب عوى بمعرة النعمان * لما خلا عن ربقة الايمان

أمعرة النعمان ما أنجبت اذ * أخرجت منك معرة العميان

يوما وقد احتشد مجلسه فقام شاعر فأنشد نونية الى أن بلغ فيها الى بيت وهو

فليت الارض كانت مادرايا
وليت الناس آل الشيبانى

فعن لي في الوقت هذا البيت فقمت وقلت مسرعا

اذا كانت بطون الارض كنفا
وكل الناس أولاد الزواني

فضحك وأمر لي بالجلوس وقال نحن أحوجناك الى هذا وأمر لي بجائزة سنية فأخذتها وانصرفت (وكان) أبو عمر أحمد بن عبد ربه صديقا لابي محمد يحيى القلفاط الشاعر ثم فسد ما بينهما وتهاجيا وكان سبب الفساد بينهما أن ابن عبد ربه مر به يوما وكان في مشيته اضطراب فقال يا أبا عمر ما علمت أنك آدر الا اليوم لما رأيت مشيتك فقال له ابن عبد ربه كذبتك عرسك أبا محمد فغمز على القلفاط كلامه وقال له أتتعرض للحرم والله لأرينك كيف الهجاء ثم صنع فيه قصيدة أولها

ياعرس أحمد اني مزمع سفرا
فودعيني سرا من أبي عمرا

ثم تهاجيا بعد ذلك وكان القلفاط يلقبه بطلاس لانه كان أطلس لالحية له ويسمى كتاب العقد حبل الثوم فاتفق اجتماعهما يوما عند بعض الوزراء فقال الوزير للقلفاط كيف

وقصته مع وزير محمود بن صالح صاحب حلب شهيرة فلا حاجة الى التطويل بذكرها وكانت وفاته ليلة الجمعة ثالث وقيل ثاني شهر ربيع الاول وقيل ثالث عشره سنة تسع وأربعين وأربعمائة قال ابن غرس النعمة وأذكر عند ورود الخبر بموته وقد تذاكرنا الحاده ومعنا غلام يعرف بأبي غالب بن نبهان من أهل الخير والعفة فلما كان من الغد حكى لنا قال رأيت في منامي البارحة شيخا ضريرا وعلى عاتقه افعيان متدليان الى فخذيه وكل منهما يرفع فمه الى وجهه فيقطع منه لحما يزدرده وهو يستغيث فقلت وقد هالني من هذا فقيل لي هذا المعري الملحد وقال القفطي أتيت قبره سنة خمسين وستمائة فاذا هو في ساحة من دور أهله وعليه باب فدخلت فاذا القبر لا احتفال به ورأيت عليه خبازي يابسة والموضع على غاية ما يكون من الشعث والاهمال قال الذهبي وقد رأيت أنا قبره بعد مائة سنة من رؤية القفطي فرأيت نحوا مما حكى اه ويقال انه أوصى أن يكتب على قبره هذا جناه أبي علي وما جنيت على أحد وهو أيضا متعلق باعتقاد الحكماء فانهم يقولون ايجاد الولد واخراجه الى العالم جناية عليه لانه يعرض للحوادث والآفات والله تعالى أعلم بأمره

(ما كل ما يتمنى المرء يدركه)

قائله المتنبي من قصيدة من البسيط يمدح بها كافور الاخشيدي صاحب مصر ولم ينشدها اياه وكان اتصل به أن قوما نعوه في مجلس سيف الدولة وأولها

بم التعلل لا أهل ولا وطن * ولا نديم ولا كاس ولا سكن
أريد من زمني ذا أن يبلغني * ما ليس يبلغه في نفسه الزمن
لا تلق دهرك الا غير مكترث * ما دام يصحب فيه روحك البدن
فما يديم سرور ما سررت به * ولا يرد عليك الفائت الحزن
مما أضر بأهل العشق أنهم * هووا وما عرفوا الدنيا وما فطنوا
تفنى عيونهم دمعا وأنفسهم * في اثر كل قبيح وجهه حسن
تحملوا حملتكم كل ناجية * فكل بين علي اليوم مؤتمن
ما في هوادجكم من مهجتي عوض * ان مت شوقا ولا فيها لها ثمن
يا من نعيت على بعد بمجلسه * كل بما زعم الناعون مرتهن
كم قد قتلت وكم قد مت عندكم * ثم انتفضت فزال القبر والكفن
قد كان شاهد دفني قبل قولهم * جماعة ثم ماتوا قبل من دفنوا
ما كل ما يتمنى المرء يدركه * تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

وهي طويلة بديعة (والشاهد في البيت) أن كل اذا تأخرت عن أداة النفي سواء كانت معمولة لها أولا وسواء كان الخبر فعلا كما في البيت أو غير فعل توجه النفي الى الشمول خاصة لا الى أصل الفعل وأفاد الكلام ثبوت الفعل أو الوصف لبعض ما أضيف اليه كل ان كانت في المعنى فاعلا للفعل أو الوصف الذي حمل عليها أو عمل فيها أو تعلق الفعل أو الوصف ببعض ان كانت كل في المعنى مفعولا للفعل أو الوصف المحمول عليها أو العامل فيها ومعنى شعر البيت مأخوذ من قول طرفة بن العبد البكري

فيا لك من ذي حاجة حيل دونها * وما كل ما يهوى امرؤ هو نائله

وقد أخذه بعضهم وضمنه في قصيدة مدح بها يزيد بن حاتم خرج اليه وهو بمصر ليأخذ جائزته فوجده قد مات فقال

لئن مصر فاتتني بما كنت أرتجي * وأخلفني منها الذي كنت آمل
فيا لك من ذي حاجة حيل دونها * وما كل ما يهوى امرؤ هو نائل
وما كان بيني لو لقيتك سالما * وبين الغنى الا ليال قلائل

وهذا البيت بعينه للحطيئة في علقمة بن علاثة والظاهر انه ضمنه أيضا وقد تقدم ذكر أبي الطيب المتنبي في شواهد المقدمة

(قد أصبحت أم الخيار تدعي * علي ذنبا كله لم أصنع)

البيت لابي النجم العجلي المتقدم ذكره وهو أول أرجوزته السابقة وأم الخيار هذه زوجته (والشاهد فيه) أن كل اذا تقدمت على النفي لفظا ولم تقع معمولة للفعل المنفي عم النفي كل فرد مما أضيف اليه كل وأفاد

حالك اليوم مع أبي عمر فقال مرتجلا
حال طلاس لي عن رائه
وكنت في قعدد أبنائه
فبادره ابن عبد ربه فقال
ان كنت في قعدد أبنائه
فقد سقى أملك من مائه
فانقطع القلفاط خجلا
(أنبأنا) الشيخ النبيه الفقيه أبو الحسن علي بن الفضل المقدسي عن الفقيه أبي القاسم مخلوف بن علي القيرواني عن أبي عبد الله محمد بن أبي نصر بن عبد الله الحميدي قال أخبرني أبو محمد علي بن أحمد الفقيه ابن حزم قال أخبرني الحسن علي بن محمد بن أبي الحسن قال وجدت بخط أبي قال أمرنا الحاكم المستنصر بالله بمقابلة كتاب العين للخليل بن أحمد مع أبي علي اسمعيل بن القاسم البغدادي وابني سعيد في دار الملك التي بقصر قرطبة وأحضر من الكتاب نسخا كثيرة في جملتها نسخة القاضي منذر بن سعيد التي رواها بمصر عن ابن ولاد فتر لنا صدر من الكتاب بالمقابلة فدخل علينا المستنصر في بعض الايام فسألنا عن النسخ فقلنا له ان نسخة القاضي التي كتبها بخطه محرفة وأريناه مواضع مغيرة وأبياتا مكسورة وأسمعناه ألفاظا مصحفة ولغات مبدلة فعجب من ذلك وسأل أبا علي فقال له نحو

نفى أصل الفعل عن كل فرد ومن ثم أتى بكل مرفوعة عادلا عن نصبها الغير المحتاج الى تقدير ضمير لانه
لا يفيد نفى عموم ما ادّعته أمّ الخيار عليه والله أعلم

(كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه * وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا)
(هذا الذى ترك الاوهام حائرة * وصير العالم النحرير زنديقا)

البيتان لابن الراوندى" من البسيط وقبلهما

سبحان من وضع الاشياء موضعها * وفرّق العز والاذلال تفريقا

وعاقل الثانى صفة لعاقل الاول بمعنى كامل العقل متناه فيه كما يقال مررت برجل رجل أى كامل فى
الرجولية ومعنى أعيت مذاهبه أعجزته وصعبت عليه طرق معايشه والنحرير بكسر النون الحاذق
الماهر العاقل المجرّب المتقن الفطن البصير بكل شئ لانه ينحر العلم نحرا والزنديق بكسر الزاى من الثنوية أو
القائل بالنور والظلمة أو من لا يؤمن بالآخرة وبالربوبية أو من يبطن الكفر ويظهر الايمان أو هو معرّب
زن دين أى دين المرأة (والشاهد فيه) وضع المظهر الذى هو اسم الاشارة موضع المضمر لكمال العناية بتمييز
المسند اليه لاختصاصه بحكم بديع عجيب الشان وهو هنا جعل الاوهام حائرة والعالم المتقن زنديقا وما
أحسن قول الغزى" فى معنى البيتين

كم عالم لم يلج بالقرع باب منىً * وجاهل قبل قرع الباب قد ولجا

وما أحسن قول الحكيم أبى بكر الخسروى" السرخسى" وهو كالردّ على قول ابن الراوندى"

عجبت من ربى وربى حكيم * أن يحرم العاقل فضل النعيم
ما ظلم البارى ولكنه * أراد أن يظهر عجز الحكيم

وقول أبى الطيب غاية فى هذا الباب وهو

وما الجمع بين الماء والنار فى يد * بأصعب من أن أجمع الجدّ والفهما

وهو ينظر الى قول أبى تمام

ولم يجتمع شرق وغرب لقاصد * ولا المجد فى كف امرئ والدراهم

وما أحسن قول أبى تمام أيضا

ينال الفتى من دهره وهو جاهل * ويكدى الفتى من دهره وهو عالم
ولو كانت الارزاق تأتى على الحجا * اذن هلكت من جهلهن البهائم

ومثله قول أبى الخير المروزى" الضرير تنافى العقل والمال * فما بينهما شكل
هما كالورد والنرجس لا يحويهما فصل فعقل حيث لا مال * ومال حيث لا عقل ومنه قول
أبى اسحق الصابى اذا جمعت بين امرئين صناعة * فأحببت أن تدرى الذى هو أحذق

فلا تتفقد منهما غير ما جرت * به لهما الارزاق حين تفرّق
فحيث يكون الجهل فالرزق واسع * وحيث يكون العلم فالرزق ضيق

ومثله قول عبد الجليل بن وهبون المرسى"

يعز على العلياء أنى خامل * وان أبصرت منى خمود شهابى
وحيث ترى زند النجابة واريا * فثم ترى زند السعادة كابى

ولطيف قول بعضهم أيضا كم من غبى" غنى" * ومن فقيه فقير

وبديع قول أبى بكر بن محمد المازنى"

ثنتان من سير الزمان تحيرت * لهما عقول ذوى التفلسف والنهى
مثر من الاموال مبخوس الحجا * وموفر الآداب منقوص الغنى

ذلك واتصل المجلس بالقاضى فكتب الى المستنصر رقعة فيها

جزى الله الخليل الخير عنا * بأفضل ما جزى فهو المجازى
وما خط الخليل سوى المغيلى * وعضر وطين فى دار الطراز
فصار القوم زرية كل زار * وسخرية وهزأة كل هاز

فلما دخلنا على المستنصر قال لنا أما القاضى فقد هجا كم وناولنا الرقعة بخط القاضى وكانت تحت شئ بين يديه فقرأناها وقلنا يا مولانا نحن نجل مجلسك الكريم عن انتقاص أحد فيه لاسيما مثل القاضى فى سنه ومنصبه فان أحب مولانا أن يقف على حقيقة ما استدركناه فليحضره وليحضر الاستاذ أبا على ثم نتكلم على كل كلمة استدركناها عليه فقال قد ابتدأكم والبادى أظلم وليس على من انتصر لوم قال أبى فمددت يدى الى الدواة وكتبت بين يديه

هلم فقد دعوت الى البراز * وقد ناجزت قرنا ذا انجياز
ولا تمش الضراء فقد أثرت الـ * أسود الغلب تخطو باحتفاز
وأصحر للقاء تكن صريعا * بماضى الحد مصقول جراز
رويت عن الخليل الوهم جهرا * لجهلك بالحقيقة والمجاز
دعوت له بخير ثم أخنت * يد الله على مفاخره العزاز
ثم ذممها وتجعل ما علاها * أسافلها ستجزى بك الجوازى

وما أحسن قول ابن المكك فعاقل ماتبل أغلاه * وجاهل بالبدين يغترف

وقول الآخر زمان تحيرت في أمره * كثير التعدى على حره

فللوغد ماشئت من نفعه * وللحر ماشئت من ضره

وأعجب ما في تصاريفه * صيال البعوض على صقره

وقول الآخر وغد له نعمة مؤثلة * وسيد لا يزال يقترض

و مدار ذلك جميعه على الحظ وعدمه وما أحسن قول ابن الخياط الدمشقي فيه أيضا

وما زال شؤم الحظ من كل طالب * كفيلا ببعد المطلب المتداني

وقد يحرم الجلد الحريص مرامه * ويعطى مناه العاجز المتواني

وقول الآخر قد يرزق المرء لا من حسن حيلته * ويصرف المال عن ذى الحيلة الداهي

وقول الآخر أيضا ان المقادير اذا ساعدت * ألحقت العاجز بالقادر

وما أحسن قول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر يا محنة الدهر كفى * ان لم تكفى فخفى

ما آن أن ترحمنا * من طول هذا التشفى * فلا علوى تجدى * ولا صناعة تكفى

ثور ينال الثريا * وعالم متخفى * ذهبت أطلب بختى * فقيل لى قد توفى

ومن الغايات فى هذا الباب قول الامام الشافعى رحمه الله تعالى

لو أن بالحيل الغنى لوجدتنى * بنجوم أفلاك السماء تعلق

لكن من رزق الحجا حرم الغنى * ضدان مفترقان أى تفرق

فاذا سمعت بأن محروما أتى * ماء ليشربه فغاض فصدق

أو أن محظوظا غدا فى كفه * عود فأورق فى يديه فحقق

ومن الدليل على القضاء وكونه * بؤس اللبيب وطيب عيش الاحمق

وابعضهم فى معناه لو وردت البحار أطلب ماء * جف عند الورود ماء البحار

أورمى باسمى النجوم الدرارى * لا ترى ضوءها عين الابصار

أوليست العود النضير بكفى * لذوى بعد نعمة واخضرار

ولو انى بعت القناديل يوما * أدغم الليل فى بياض النهار

ومثله قول بعضهم ولما لمست الرزق فانجذ حبله * ولم يصف لى من بحره العذب مشرب

خطبت الى الاعدام احدى بناته * فزوجنيها الفقر اذ جئت أخطب

فأولدتها الحرف الشقى فماله * على الارض غيرى والدحين ينسب

فلو تهت فى البيداء والليل مسبل * على جناحيه لما لاح كوكب

ولو حفت شرا فاستترت بظلمة * لاقبل ضوء الشمس من حيث تغرب

ولو جاد انسان على بدرهم * لرحت الى رحلى وفى الكف عقرب

ولو يمطر الناس الدنانير لم يكن * بشئ سوى الحصباء رأسى يحصب

وان يقترف ذنبا بمرقة مذنب * فان برأسى ذلك الذنب يعصب

وان أرخيرا فى المنام فزاجر * وان أرشرا فهو منى مقترب

أمامى من الحرمان جيش عرمرم * ومنه وراءى جحفل حين أركب

وقول الآخر لو ركبت البحار صارت فجاجا * لا ترى فى متونها أمواجا

ولو انى وضعت ياقوتة حمراء فى راحتى لصارت زجاجا

ولو انى وردت عذبا فراتا * عاد لا شك فيه ملحا أجاجا

وما أحسن قول أبى الاسود الدئلى

جزى الله الامام العدل عنا
جزاء الخير فهو له مجازى
به ورثت زناد العلم قدما
وشرف طالبيه باعتزاز
وجلى عن كتاب العين دجنا
واظلاما بنور ذى امتياز
باستاذ اللغات أبى على
وأخذ ان بناحية الطراز
بهم صح الكتاب وصيروه
من التصحيف فى ظل احتراز
قال الحميدى وأسقطنا نحن
منها أبياتا تتجاوز الحذقيها
قال ثم أنشدتها المستنصر
بالله فضحك وقال قد انتصرت
وزدت وأمر بها فختمت ثم
وجه بها الى القاضى فلم تسمع
له بعد كلمة (أنبانا) الفقيه أبو
محمد عبد الخالق المسكى قال
نزلت من قرافة مصر لوداع
الشيخ الاجل أبى الحسين بن
جبير فقال لى كنت على
المجئ اليك فقلت وهمة
سيدنا هى التى أتت بى فسألنى
عن القرافة فقلت هى موضع
يصلح للخير والشر من طلب
شيأ وجده فقال خذ هذه
الحكاية قال لى بعض مشايخنا
عن ابن الفرضى كنت فى
موضع يتفرج فيه وبت به
ثم أقبلت باكرا منه فلقينى
بعض من يقرأ على فقال
من أين أقبلت يا من لا نظير له
ومن هو الشمس والدنيا له فلك
فأجبته مسرعا
من موضع تجب النساك خلوته
وفيه ستر على الفتاك ان
فتكوا

يحمد المرء سعيه من جده * حتى يزين بالذى لم يعمل
وترى الشقى اذا تكامل جده * يرمى ويقذف بالذى لم يفعل

وبديع قول أبى العلاء المعرى

سيطلبنى رزقى الذى لو طلبته * لما زاد والدنيا حظوظ واقبال
اذا صدق الجد افترى العم للفتى * مكارم لا تكرى وان كذب الخال

الجد هنا الحظ والعم الجماعة وتكرى من كرى اراد انقص وافترى كذب والخال المخيلة (وظريف هنا)

قول ابن شرف القيروانى اذا صحب الفتى سعد وجد * تحامته المكاره والخطوب
ووافاه الحبيب بغير وعد * طفيليا وقاد له الرقيب
وعد الناس ضرطته غناء * وقالوا ان فسا قد فاح طيب

وقد أخذه ابن النقيب فقال لو لحى الموسر فى مجلس * لقيل عطسه له يعرب
ولو فسا يوما لقالوا له * من أين هذا النفس الطيب

وقول أبى العلاء المعرى غاية هنا وهو

لا تطلبن بآلة لك رتبة * قلم البليغ بغير حظ مغزل
سكن السماكان السماء كلاهما * هذا له رمح وهذا أعزل

وقد أخذ أبو اسحق الغزى هذا المعنى فقال

والحسن والقبح قد تحويهما صفة * شان البياض وزان الشيب والشيبا
ظبا المحارف أقلام مكسرة * روسهن وأقلام السعيد ظبا

وله أيضا

لا تعتبن الزمان ان ذهبت * نيوب ليث العرين من نوبه
فالحول لولا الجدود ما قصرت * أيدى جاداه عن علا رجبه

وقد أخذ هذا المعنى الصلاح الصفدى فقال

لئن رحت مع فضلى من الحظ خاليا * وغيرى على نقص به قد غدا حالى
فانى كشهر الصوم أصبح عاطلا * وطوق هلال العيد فى جيد شوال

بل ربما أخذه من قول ابن قلاقس فانه أصرح منه حيث قال

ان تأخرت فالمحرم عطل * من حلى العيد وهى فى شوال

وقال ابن قلاقس أيضا لولا الجدود لما تمت لساهر * كف الغنى وتعلقت عقيم
والخط حتى فى الحروف مؤثر * يختص بالترقيق والتفخيم

وقال مهيار الديلمى لا تحسب الهمة العلياء موجبة * رزقا على قسمة الارزاق لم يجب
لو كان أفضل ما فى الناس أسعدهم * ما انحطت الشمس عن عال من الشهب
أو كان أيسر ما فى الافق أسلمه * دام الهلال فلم يمحق ولم يغب

وقال الطغرائى

وأعظم ما بى أننى بعصائبى * حرمت ومالى غيرهن ذرائع
ادا لم يردنى موردى غير عله * فلا صدرت بالوارد من مشارع

وقال القاضى الفاضل ما ضر جهل الجاهلين ولا انتفعت أنا بحذقى
وزيادتى فى الحذق فهى زيادة فى نقص رزقى

وقال ابن دانيال

قد عقلنا والعقل أى وثاق * وصبرنا والصبر مر المذاق
كل من كان فاضلا كان مثلى * فاضلا عند قسمة الارزاق

وقال ابن عنين

كان فى الزمان اسم صحيح * جرى فتحكمت فيه العوامل
مزيد فى بيته كواو عمرو * وملغى الحظ فيه كراء واصل

(قال بديع الزمان الهمذانى) كنت عند الصاحب كافى الكفاة أبى القاسم اسمعيل ابن عباد يوما وقد دخل عليه شاعر من شعراء العجم فأنشده قصيدة يفضل فيها قومه على العرب وهى

غنينا بالطبول عن الطلول
وعن عنس عذافرة ذمول
وأذهلنى عقار عن عقار
ففى است ام القضاة مع العدول
فلست بتارك ايوان كسرى
لتوضح أو لحومل فالدخول
وضب بالفلا ساع وذئب
بها يعوى وليث وسط غيل
يسلون السيوف لرأس ضب
حراشا بالغداة وبالاصيل
اذا ذبحوا فذلك يوم عيد
وان نحروا ففى عرس جليل
أما لو لم يكن للعرس الا
بحار الصاحب القرم النبيل
لكان لهم بذلك خير فخر
وجيلهم بذلك خير جيل

فلما وصل الى هذا الموضع من انشاده قال له الصاحب قذالك ثم اشرأب ينظر الى الزوايا وأهل المجلس وكنت جالسا فى زاوية من البهو فلم يرنى فقال ابن أبى الفضل فقمت وقبلت الارض وقلت أمرك قال أجب عن ثلاثتك قلت وما هى قال أدبك ونسبك ومذهبك فأقبلت على الشاعر فقلت لا فسحة للقول ولا راحة للطبع الا السرد كما تسمع ثم أنشدت أقول

وقال السراج الوراق

يمنعني باخل وسمح * وليس لي منهما نصير
وغايتي أن ألوم حظي * وحظي الحائط القصير

وقال ابن سنا الملك

ورب مليح لا يحب وضده * تقبل منه العين والخد والفم
هو الجد خذه ان أردت مسلما * ولا تطلب التعليل فالامر مبهم

وما أرشق قول ابن رشيق

أشق لعقلك أن تكون أديبا * أو أن يرى فيك الورى تهذيبا
مادمت مستويا ففعلك كله * عوج وان أخطأت كنت مصيبا
كالنقش ليس يصح معنا ختمه * حتى يكون بناؤه مقلوبا

وما ألطف قول السراج الوراق

الباء والحاء من بحتي قد اقترنا * بالباء والخاء من بخل لانسان
واللام والتاء من هذا وذاك هما * لت المسائل عن أسباب حرماني

وهذا الباب واسع جدا والاختصار فيه أولى (وابن الراوندي) هو أحمد بن يحيي بن اسحق أبو الحسين من أهل مرو الروذ وراوند بفتح الراء والواو بينهما ألف وسكون النون وبعدها دال مهملة قرية من قرى قاسان بالسين المهملة بنواحي أصبهان وهي غير قاشان التي بالمعجمة المجاورة لقم سكن المذكور بغداد وكان من متكلمي المعتزلة ثم فارقهم وصار ملحدا زنديقا وقال القاضي أبو علي التنوخي كان أبو الحسين بن الراوندي يلازم أهل الالحاد فاذا عوتب في ذلك قال انما أريد أن أعرف مذاهبهم ثم انه كاشف وناظر ويقال ان أباه كان يهوديا فأسلم وكان بعض اليهود يقول لبعض المسلمين ليفسدن عليكم هذا كتابكم كما أفسد أبوه التوراة علينا ويقال أن أبا الحسين قال لليهود قولوا ان موسى قال لا نبي بعدي وذكر أبو العباس الطبري أن ابن الراوندي كان لا يستقر على مذهب ولا يثبت على حال حتى انه صنف لليهود كتاب البصيرة ردا على الاسلام لاربعمائة درهم أخذها فيما بلغني من يهود سامرا فلما قبض المال رام نقضها حتى أعطوه مائة درهم أخرى فأمسك عن النقض وحكى البلخي في كتاب محاسن خراسان أن ابن الراوندي هذا كان من المتكلمين ولم يكن في زمانه أحذق منه بالكلام ولا أعرف بدقيقه وجليله وكان في أول أمره حسن السيرة حميد المذهب كثير الحياء ثم انسلخ من ذلك كله لاسباب عرضت له وكان علمه أكثر من عقله فكان مثله كما قال الشاعر

ومن يطيق مزكى عند صبوته * ومن يقوم لمستور اذا خلعا

قال وقد حكى جماعة أنه تاب عند موته مما كان منه وأظهر الندم واعترف بأنه انما صار اليه حمية وأنفة من جفاء أصحابه له وتنحيتهم اياه من مجالسهم وأكثر كتبه الكفريات ألفها لابي عيسى اليهودي الاهوازي وفي منزله هلك ومما ألفه من كتبه الملعونة كتاب التاج يحتج فيه لقدم العالم وكتاب الزمردة يحتج فيه على الرسل ويبرهن على ابطال الرسالة وكتاب الفريد في الطعن على النبي صلى الله عليه وسلم وكتاب اللؤلؤة في تناهي الحركات وقد نقض هو أكثرها وغيره ولابي علي الجبائي وغيره ردود عليه كثيرة فمما قاله في كتاب الزمردة انه انما سماه بالزمردة لان من خاصية الزمرذ أن الحيات اذا نظرت اليه ذابت وسالت أعينها وكذلك هذا الكتاب اذا طالعه الخصم ذاب وهذا الكتاب يشتمل على ابطال الشريعة الشريفة والازدراء على النبوات المنيفة فمما قاله فيه لعنه الله وأبعده انا نجد في كلام أكثم بن صيفي شيأ أحسن من انا أعطيناك الكوثر وان الانبياء كانوا يستعبدون الناس بالطلاسم وقال قوله يعني نبينا عليه الصلاة والسلام لعمار رضي الله عنه تقتلك الفئة الباغية كل المنجمين يقولون مثل هذا ولقد كذب لعنه الله وأخزاه وجعل النار مستقره ومثواه فان المنجم ان لم يسأل الانسان عن اسمه واسم أمه ويعرف طالعه لا يقدر أن يتكلم على أحواله ولا يخبره بشئ من متجدداته وخطؤه أكثر من صوابه وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يخبر بالمغيبات من غير أن يعرف طالعا أو يسأل عن اسم أو نسب ولم يعهد عنه غير ما ذكر صلى الله عليه وسلم

فبان

أراك على شفا خطر مهول
بما أودعت لفظك من فضول
تريد على مكارمنا دليلا
متى احتاج النهار الى دليل
ألسنا الضاربين جزى عليكم
وان الجزي أولى بالذليل
متى قرع المنابر فارسي
متى عرف الاغر من الحجول
متى عرفت وأنت بها زعيم
أكف الفرس أعراف الخيول
فخرت بملء ماضغتيك هجرا
على قحطان والبيت الاصيل
وتفخر أن مأكولا ولبسا
وذلك فخر ربات الحجول
ففاخرهن في خدأسيل
وفرع في مفارقها رسيل
وأمجد من أبيك اذا تريا
عراة كالليوث على الخيول
قال فلما أتممت انشادي التفت اليه الصاحب وقال له كيف رأيت قال لو سمعت به ما صدقت قال فاذن جائزتك جوارك ان رأيتك بعدها ضربت عنقك ثم قال لا أدرى أحدا يفضل العجم على العرب الا وفيه عرق من المجوسية ينزع اليه قال العميد أبو الحسن علي بن الحسن بن أبي الطيب الباخرزي في كتابه المعروف بدمية القصر وعصرة أهل العصر جرى بين القاضي أبي سعيد علي بن عبد الله الناصحي وبين الحاكم أبي سعد دوست مبادهة قال له القاضي
وما وصل الكتاب الى حتى
أجبت الى الذي استدعاه مني

فبان الفرق وقال فى كتاب الدامغ ان الخالق سبحانه وتعالى ليس عنده من الدواء الا القتل فعل العدو الحنق الغضوب فما حاجته الى كتاب ورسول قال ويزعم أنه يعلم الغيب فيقول وما تسقط من ورقة الا يعلمها ثم يقول وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم وقال فى وصف الجنة فيها أنهار من لبن لم يتغير طعمه وهو الحليب ولا يكاد يشتهيه الا الجائع وذكر العسل ولا يطلب صرفا والزنجبيل وليس من لذيذ الاشربة والسندس يفترش ولا يلبس وكذلك الاستبرق وهو الغليظ من الديباج ومن تخايل انه فى الجنة يلبس هذا الغليظ ويشرب الحليب والزنجبيل صار كعروس الاكراد والنبط ولعمرى لقد أعمى الله بصره وبصيرته عن قوله تعالى وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وعن قوله عز وجل ولحم طير مما يشتهون ومع ذلك ففيها اللبن والعسل وليس هو كلبن الدنيا ولا عسلها اوغلظ الحرير يريد به الصفيق المتصل النسج وهو أفخر ما يلبس ولو ذهبت أورد ما ذكره هذا الملعون وتفوه به من الكفر والزندقة والالحاد لطال الامر والاشتغال بغيره أولى والله تعالى منزه سبحانه عما يقول الكافرون والملحدون علوا كبيرا وكذلك كتابه ورسوله صلى الله عليه وسلم ولقد سرد ابن الجوزى من زندقته أكثر من ثلاث ورقات وأنا أعوذ بالله من هذا القول وأستغفره مما جرى به قلمى مما لا يرضاه ولا يليق بجنابه وجناب رسوله عليه الصلاة والسلام وكتابه الحكيم واجتمع ابن الراوندى هو وأبو على الجبائى يوما على جسر بغداد فقال له يا أبا على ألا تسمع شيأ من معارضتى للقرآن ونقضى له فقال له أنا أعلم بمخازى علومك وعلوم أهل دهرك ولكن أحاكمك الى نفسك فهل تجد فى معارضتك له عذوبة وهشاشة وتشاكلا وتلازما ونظما كنظمه وحلاوة كحلاوته قال لا والله قال قد كفيتنى فانصرف حيث شئت ومن شعره

محن الزمان كثيرة لا تنقضى * وسروره يأتيك كالاعياد
ملك الاكارم فاسترق رقابهم * وتراه رقا فى يد الاوغاد

ومنه وقيل أنشده لغيره
أليس عجيبا بأن امرءا * لطيف الخصام دقيق الكلم
يموت وما حصلت نفسه * سوى علمه انه ما علم

(وذكر أبو على الجبائى) أن السلطان طلب ابن الراوندى وأبا عيسى الوراق فأما أبو عيسى فحبس حتى مات وأما ابن الراوندى فهرب الى ابن لاوى اليهودى ووضع له كتاب الدامغ فى الطعن على النبى صلى الله عليه وسلم وعلى القرآن الكريم ثم لم يلبث الا أياما يسيرة حتى مرض ومات وذكر أبو الوفاء بن عقيل أن بعض السلاطين طلبه وانه هلك وله ست وثلاثون سنة مع ما انتهى اليه من المخازى وذكر ابن خلكان أنه هلك فى سنة خمس وأربعين ومائتين برحبة مالك بن طوق وقيل ببغداد وتقدير عمره أربعون سنة ويقال انه عاش أكثر من ثمانين سنة وقيل انه هلك سنة خمسين ومائتين وقال ابن النجار بلغنى أنه هلك سنة ثمان وتسعين ومائتين لعنه الله وأخزاه ان كان مات على اعتقاده هذا

(تعاللت كى أشجى ومابك علة * تريدين قتلى قد ظفرت بذلك)

البيت لابن الدمينة من قصيدة من الطويل أولها

قفى يا أميم القلب نقض لبانة * ونشكو الهوى ثم افعلى ما بدا لك
سلى البانة العيناء بالاجرع الذى * به الماء هل حييت اطلال دارك
وهل قمت فى اظلالهن عشية * مقام أخى البأساء واخترت ذلك
وهل كفكفت عيناى بالدار عبرة * فرادى كنظم اللؤلؤ المتساقط

ويروى أن أولها قفى قبل وشك البين يا ابنة مالك * ولا تحرمينا نظرة من جمالك
بعده البيت وبعده وقولك للعواد كيف ترونه * فقالوا قتيلا قلت أيسر هالك
لئن ساءنى أن نلتنى بمساءة * لقد سرنى أنى خطرت ببالك
ليهنك امساكى بكفى على الحشا * ورقراق دمعى رهبة من زيالك

(فقال أبو سعد)
جزاك الله عن مولاك خيرا
وخفف ثقل هذا الشكر عنى
(فقال القاضى)
وأولى الشيخ عزا مستفادا
وحقق فيه مأمولى وظنى
(فقال أبو سعد)
وكم لك نعمة من غير ذكر
وكم لك منة من غير من

(وكان) حسان بن نمير الكلبى المعروف بعرقلة أعور وكان يجلس على حانوت خياط بدمشق يعرف بأبى الحسين الاعرج وكان له طمع فى قول الشعر فقال له عرقلة يمازحه

ألا قل للرقيع أبى الحسين
أرانى الله عينك مثل عينى

فقال الاعرج مجاوبا له

ألا قل لابن كلب لا ابن نمير
أرانى الله رجلك مثل رجلى

فخجل عرقلة من قوله وانصرف

(الباب الثالث فى بدائع بدائه الاجازة)

الاجازة أن ينظم الشاعر على شعر غيره فى معناه ما يكون به تمامه وكماله وقد يكون بين متعاصرين وغير متعاصرين وهى مشتقة من الاجازة فى السقى يقال أجاز فلان فلانا اذا سقاه أو سقى له وكأنهم شبهوا عمل الشاعر المجيز لعمل الشاعر المجاز شعره بسقى الشخص للشخص (قال) يعقوب بن السكيت يقال للذى يرد الماء مستجيز وأنشد

فلو قلت طأ في النار أعلم أنه * رضالك أو مدن لنا من وصالك

لقدمت رجلي نحوها فوطئتها * هدى منك لي أو ضلة من ضلالك

أرى الناس يرجون الربيع وانما * ربيعي الذي أرجوه خير نوالك

أبيني أفي يمنى يديك جعلتني * فأفرح أم صيرتني في شمالك

ومعنى أبيني أخرجي من شيء الى شيء وأما تعجبا بشعره فهو متعمد وانما قال قد ظفرت بذلك ولم يقل بقتلي لادعائه أن قتله ظهر ظهور المحسوس بالبصر المشار اليه باسم الاشارة (والشاهد فيه) وضع اسم الاشارة موضع المضمر لادعاء كمال ظهوره وان كان من غير باب المسند اليه (وابن الدمينة) اسمه عبد الله بن عبيد الله أحد بني عامر بن تيم الله والدمينة أمه وهي سلولية ويكنى ابن الدمينة أبا السري وهو شاعر مشهور له غزل رقيق الالفاظ دقيق المعاني وكان الناس في الصدر الاول يستحلون شعره ويغنون به (حدث) اسحق ابن ابراهيم الموصلي قال كان العباس بن الاحنف اذا سمع شيأ يستحسنه أطرفني به وأنا أفعل مثل ذلك فجاءني يوما فوقف بين الناس وأنشد لابن الدمينة

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد * لقد زادني مسراك وجدا على وجد

لئن هتفت ورقاء في رونق الضحى * على فنن غض النبات من الرند

بكيت كما يبكي الوليد ولم أكن * جزوعا وأبديت الذي لم تكن تبدي

وقد زعموا أن المحب اذا دنا * يمل وأن النأي يشفي من الوجد

بكل تداوينا فلم يشف ما بنا * على أن قرب الدار خير من البعد

على أن قرب الدار ليس بنافع * اذا كان من تهواه ليس بذي ود

ثم ترنح ساعة وترنح النشوان ودخ أخرى ثم قال أنطح العمود برأسي من حسن هذا فقلت لا ارفق بنفسك

(وحدث) ابن ربيح راوية ابن هرمة قال لقي ابن هرمة بعض أصحابه بالبلاط فقال له من أين أقبلت قال من المسجد فقال فأي شيء صنعت هناك قال كنت بالسامع ابراهيم بن الوليد المخزومي قال وأي شيء قال لك قال أمرني أن أطلق امرأتي قال فأي شيء قلت له قال ما قلت له شيأ قال فوالله ما قال لك هذا الا لأمر أظهرته عليه وكتمتنيه أفرأيت لو أمرته بطلاق امرأته أكان يطلقها قال لا والله قال فابن الدمينة كان أصف منك كان يهوى امرأة من قومه فأرسلت اليه ان أهلي قد نهوني عن لقائك ومراسلتك فأرسل اليها يقول

أريت الآمريك بقطع حبلي * مريهم في أحبتهم بذاك

فان هم طاوعوك فطاوعيهم * وان عاصوك فاعصي من عصاك

أما والراقصات بكل فج * ومن صلى بنعمان الاراك

لقد أضمرت حبك في فؤادي * وما أضمرت حبا من سواك

ومثل هذا الخبر ما حكاه الاصمعي قال مررت بالكوفة واذا بجارية تطلع من جدار الى الطريق وفتى واقف وظهره الي وهو يقول أسهر فيك وتنامين عني وتضحكين مني وأبكي وتستريحين وأتعب وأمحضك المحبة وتمذقينها وأصدقك وتماذقيني ويأمرك عدوي بهجري فتطيعينه ويأمرني نصيحي بذلك فأعصيه ثم تنفس وأجهش باكيا فقالت له ان أهلي ينهوني عنك ويهوون عنك فكيف أصنع فقال لها

أريت الآمريك بقطع حبلي * مريهم في أحبتهم بذاك

فان هم طاوعوك فطاوعيهم * وان عاصوك فاعصي من عصاك

ثم التفت فرآني فقال يا فتى ما تقول أنت فيما قلت فقلت له والله لو عاش ابن أبي ليلى ما حكم الا بمثل حكمك

(وحدث) ابن أبي السري عن هشام قال هوي ابن الدمينة امرأة من قومه يقال لها أميمة فهام بها مدة فلما وصلته تجنى عليها وجعل ينقطع عنها ثم زارها ذات يوم فتعاتبا طويلا ثم أقبلت عليه فقالت والشعر لها

وأنت الذي أخلفتني ما وعدتني * وأشمت بي من كان فيك يلوم

وقالوا مقيم قيم الماء فاستجز عبادة ان المستجير على قتر

(قال) أبو علي حسن بن رشيق مولى الازد ويجوز أن يكون من أجزت عن فلان الكاس اذا صرفتها عنه دون أن تشربها الى من يليه وكأنهم شبهوا الشاعر لما تعدى اتمام شعره بمجيز الكاس قال أبو نواس

وقلت لساقيها أجزها فلم يكن * ليأبى أمير المؤمنين وأشربا

فجوزها عني عقارا ترى لها * على الشرف الاعلى شعاعا مطنبا

(وقد) ذكرنا أن الاجازة تكون بين عصريين وغير عصريين ونحن الآن نجعلها ثلاثة فصول ونذكر ما ورد في كل فصل من الاخبار على ترتيب الاعصار وهو شرطنا في هذا الكتاب

(الفصل الاول في اجازة الشاعر لمعاصره)

فمن هذا القسم ما تكون الاجازة فيه بتقسيم لقسيم كما روى الزبير بن بكار قال استنشد عبد الله بن عباس رضوان الله عليه عمر بن أبي ربيعة فأنشده

تشط غدا دار جيراننا

فندره ابن عباس فقال

وللدار بعد غد أبعد

فقال له عمر وكذلك قلت أصلحك الله أفسمعته قال لا ولكن كذلك ينبغي أن يكون (وروى) عمران بن عبد العزيز الزهري أن عمر وا

وابرزتني

وأبرزتني للناس ثم تركتني * لهم غرضاً أرمى وأنت سليم

فلو أن قولاً يكلم الجسم قد بدا * بجسمي من قول الوشاة كلوم

قال فأجابها ابن الدمينة فقال وأنت التي كلفتني دلج السرى * وجون القطا بالجلهتين جثوم

وأنت التي قطعت قلبي حرارة * ومزقت جرح القلب فهو كليم

وأنت التي أحفظت قومي فكلهم * بعيد الرضى داني الصدود كظيم

قال ثم تزوجها بعد ذلك وقتل وهي عنده كما سيأتي (وحدّث) أبو الحسن الينبعي قال بينا أنا وصديق لي من قريش نمشي بالبلاط ليلاً فاذا بظل نسوة في القمر فالتفتنا فاذا بجماعة نسوة فسمعت واحدة منهن تقول أهو أهو فقالت الاخرى نعم والله انه لهو هو فدنت مني ثم قالت يا كهل قل لهذا الذي معك

ليست لياليك في خاخ بعائدة * كما عهدت ولا أيام ذي سلم

فقلت له أجب فقد سمعت فقال قد والله قطع بي وأرتج عليّ فأجب عني فالتفت اليهن ثم قلت

فقلت لها يا عز كل مصيبة * اذا وطنت يوماً لها النفس ذلت

فقالت المرأة أوّاه ثم مضت ومضينا حتى اذا كنا بمفرق طريقين مضى الفتى الى منزله ومضيت الى منزلي فاذا بجارية تجذب طرف ردائي فالتفت اليها فقالت المرأة التي كلمتك تدعوك فمضيت معها حتى دخلت داراً ثم صرت الى بيت فيه حصير وثنيت لي وسادة فجلست ثم جاءت جارية بوسادة مثنية فطرحتها ثم جاءت المرأة فجلست عليها وقالت لي أأنت المجيب قلت نعم قالت ما كان أفظ جوابك وأغلظه قلت والله ما حضرني غيره فمكثت ثم قالت لي والله ما خلق الله خلقاً أحب الي من انسان كان معك قلت وأنا الضامن عنه لك ما تحبين قالت أو تفعل قلت نعم فوعدتها أن آتيها به في الليلة القابلة وانصرفت فاذا الفتى ببابي فقلت ما جاء بك قال علمت انها ستُرسل اليك وسألت عنك فلم أجدك فعلمت انك عندها فجلست أنتظرك فقلت له قد كان كل ما ظننت ووعدتها أن آتيها بك في الليلة القابلة فمضى ثم أصبحنا فتهيأنا ورحنا فاذا الجارية تنتظرنا فمضت أمامنا حتى دخلنا الدار فاذا برائحة الطيب وجاءت فجلست ملياً ثم أقبلت عليه فعاتبته طويلاً ثم ذكرت الابيات التي أنشدتها امرأة ابن الدمينة ثم سكتت فسكت الفتى هنيهة ثم قال

غدرت ولم أغدر وخنت ولم أخن * وفي دون هذا للمحب عزاء

جزيتك ضعف الودّ ثم صرمتني * فحبك في قلبي اليك أداء

فالتفتت اليّ وقالت ألا تسمع ما يقول قد أخبرتك قال فغمزته فكف ثم قالت

تجاهلت وصلي حين لجت عمايتي * فهلا صرمت الحبل اذ أنا مبصر

ولي من قوى الحبل الذي قد قطعته * نصيب واذ رأيي جميع موفر

ولكنما آذنت بالصبر بغتة * ولست على مثل الذي جئت أقدر

فقال الفتى مجيباً لها لقد جعلت نفسي وأنت اجترمته * وكنت أحب الناس عنك تطيب

فمكثت ثم قالت أوقد طابت نفسك لا والله ما فيك خير بعدها فعليك السلام ثم التفتت اليّ وقالت قد علمت أنك لا تفي بضمانك عنه وانصرفنا (وكان السبب) في قتل ابن الدمينة أن رجلاً من سلول يقال له مزاحم ابن عمرو كان يرمى بامرأة ابن الدمينة وكان اسمها حماء وقيل حمادة فكان يأتيها ويتحدث اليها حتى اشتهر ذلك فمنعه ابن الدمينة من اتيانها واشتد عليها فقال مزاحم يذكر ذلك

يا ابن الدمينة والاخبار يرفعها * وخد النجائب والمحقور يخفيها

يا ابن الدمينة ان تغضب لما فعلت * فطال خزيك أو تغضب مواليها

أو تبغضوني فكم من طعنة نفذت * بغير وحلال احتلاج الجوف غاديها

جاهدت فيها لكم اني لكم أبداً * أبغي معايبكم عمداً فآتيها

فذاك عندي لكم حتى تغيبني * غبراء مظلمة هار نواحيها

ابن أبي ربيعة شبب بزينب بنت موسى أخت قدامة ابن موسى الجمحي وكان سبب تشبيبه بها أن ابن أبي عتيق ذكرها له فأطنب في وصفها بالحسن والجمال فصنع فيها قصيدته التي أولها

يا خليليّ من ملام دعاني * وألما الغداة بالاظعان

فبلغ ذلك ابن أبي عتيق فلامه في ذكرها وقال له

لا تلمني في ذكرها ابن عتيق * ان عندي عتيق ما قد كفاني

لا تلمني فأنت زينتها لي * فمدره ابن عتيق فقال

أنت مثل الشيطان للانسان

فقال عمر وهكذا ورب الكعبة قلته فقال ابن عتيق ان شيطانك ورب العزة ربما ألم بي فيجد عندي من عصيانه خلاف ما يجد عندك من طاعته فيصيب منك وأصيب منه (ومن ذلك) ما روى أبو عبيدة أن راكباً أقبل من اليمامة فمر بالفرزدق وهو جالس فقال له من أين أقبلت قال من اليمامة فقال هل أحدث ابن المراغة بعدي من شئ قال نعم قال هات فأنشد

هاج الهوى بفؤادك المهتاج

(فقال الفرزدق)

فانظر بتوضح باكر الاحداج

(فأنشد الرجل)

هذا هوى شغف الفؤاد مبرح

(فقال الفرزدق)

أغشى نساء بني تيم اذا هجعت * عني العيون ولا أبغي مقاريها
كم كاعب من بني تيم قعدت لها * وعانس حين ذاق النوم حاميها
كقعدة الاعسر الحاصوق منتحيا * متينة من متين النبل يرميها
علامة كتبت ما بين عانتها * وبين سرتها لا سل كاويها
وشهقة عند حس الماء تشهقها * وقول ركبتها قص حين تثنيها
وتعدل الاير ان زاغت فتمعنه * حتى يقيم بروق صدر دفيها
بين الصفوقين في مستهدف ومد * ذي حرة ذاق طعم الموت صاليها
ماذا ترى يا عبيد الله في امرأة * أسست عصمة عذراء حاويها
أيام أنت طريد لا تقاربها * وصادف القوس في العزات باريها
ترى عجوز بني تيم ملفعة * شمطا عوارضها ارتدادا دواهيها
اذ تجعل الدفس الورهاء عدتها * فساره من أديم الارض سريها
حتى يظل هذان القوم يحسبها * بكرا وقبل هوى في الدار هاويها

ولما بلغ ابن الدمينة شعر مزاحم أتى امرأته فقال لها وقد قال فيك هذا الرجل ما قال وقد بلغك قالت والله ما رأى مني ذلك قط قال فمن أين له العلامات قالت وصفهن له النساء قال هيهات والله أن يكون ذلك كذلك ثم أمسك مدة وصبر حتى ظن أن مزاحما قد نسي القصة ثم أعاد عليها القول وأعادت الحلف أن ذلك مما وصفه له النساء فقال لها والله لئن لم تمكنيني منه لأقتلنك فعلمت أنه سيفعل ذلك فبعثت اليه وواعدته ليلا وقعد له ابن الدمينة وصاحب له فجاء للموعد فجعل يكلمها وهي مكانها ولم تكلمه فقال لها يا جماء ما هذا الجفاء الليلة قال فتقول له هي بصوت ضعيف ادخل فدخل وأهوى بيده ليضعها عليها فوضعها على ابن الدمينة فوثب عليه هو وصاحبه وقد جعل له حصا في ثوب فضربه به كبده حتى قتله وأخرجه فطرحه ميتا فجاء أهله فاحتملوه ولم يجدوا به أثر السلاح فعلموا أن ابن الدمينة قتله وقد قال ابن الدمينة في تحقيق ذلك

قالوا هجتك سلول اليوم مخفية * فاليوم أهجو سلولا لا أحاشيها
قالوا هجاك سلولي فقلت لهم * قد أنصف الصخرة الصماء راسيها
رجالهم شر من يمشي ونسوتهم * شر البرية استاذل حاميها
يحككن بالصخر استاها الهانقب * كما يحك نقاب الجرب طاليها

وقال أيضا يذكر دخول مزاحم ووضع يده عليه

لك الخيران واعدت جماء فالقها * نهارا ولا تدلج اذا الليل أظلما
فانك لا تدري أبيضاء طفلة * تعانق أم ليثا من القوم قشعما
فلما سرى عن ساعدي ولحيتي * وأيقن اني لست جماء جمجما

ثم أتى ابن الدمينة امرأته فطرح على وجهها قطيفة ثم جلس عليها حتى قتلها فلما ماتت قال

اذا قعدت على عرنين جارية * فوق القطيفة فادعوا لي بحفار

فبكت بنته فضرب بها الارض فقتلها أيضا وقال متمثلا لا تغذوا من كلب سوء جروا فخرج جناح أخو المقتول الى أحمد بن اسمعيل فاستعداه على ابن الدمينة فبعث اليه فحبسه وقالت أم أبان والدة مزاحم المقتول وهي من بني خثعم ترثي ابنها وتحرض مصعبا وجناحا أخويه

بأهلي ومالي بل بجل عشيرتي * قتيل بني تيم بغير سلاح
فهلا قتلتم بالسلاح ابن أختكم * فتظهر فيه للشهود جراح
ولا تطمعوا في الصلح ما دمت حية * وما دام حيا مصعب وجناح
ألم تعلموا أن الدوائر بيننا * تدور وأن الطالبين شحاح

ولما طال حبس ابن الدمينة ولم يجد عليه أحمد بن اسمعيل سبيلا ولا حجة خلاه وقتلت بنو سلول من خثعم

رجلا

ونوى تقاذف غير ذات خداج
(فأنشد الرجل)
ان الغراب بما كرهت لمولع
(فقال الفرزدق)
بنوى الاحبة دائم التسحاج
فقال الرجل هكذا والله قال أفسمعتها من غيري قال لا ولكن هكذا ينبغي أن يقال أوما علمت أن شيطانا واحد ثم قال امدح بها الحجاج قال نعم قال اياه أراد (ومن ذلك) ما أخبرنا الفقيه أبو محمد عبد الخالق المسكي أخبرنا أبو طاهر السلفي اجازة أنبأنا أبو صادق مرشد بن يحيى بن القاسم المديني قال كتب الي القاضي أبو الحسين علي بن محمد بن صخر الازدي أن أبا القاسم عمر بن محمد بن سيف أذن لهم في الرواية عنه أخبرنا أبو خليفة عن ابن سلام قال قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لابن عبد الاعلى اتم هذا البيت وأنت أشعر العرب
نروح ونغدو كل يوم وليلة
(فقال مجيبا)
وعما قليل لا نروح ولا نغدو
(ومن ذلك) ما روى سلمة النميري قال حضرت مجلس هشام بن عبد الملك وبين يديه جرير والفرزدق والاخطل فأحضر بين يدي هشام ناقة فقال
أنيخها ما بدا لي ثم ارحلها
أيكم أتمه كما أريد فهي له
ومدرجرير فقال
كأنها حين تغدو بصحراء

رجلا مكان المقتول وقتلت خثعم بعد ذلك نفرا من سلول ولهم قصص وأخبار كثيرة ثم ان ابن الدمينة أقبل حاجا بعد مدة فنزل بتبالة فعدا عليه مصعب أخو المقتول لما رآه وكانت أمه حرضته وقالت له اقتل ابن الدمينة فانه قتل أخاك وهجا قومك وذم أختك وقد كنت أعذرك قبل هذا لانك كنت صغيرا والآن قد كبرت فلما أكثرت عليه خرج من عندها وتصرمان الدمينة وانما ينشد الناس فغدا الى جزار فأخذ شفرته وعدا على ابن الدمينة فجرحه جراحتين فقيل انه مات لوقته وقيل بل سلم من تلك الدفعة ومر به مصعب بعد ذلك وهو في سوق العبلاء ينشد أيضا فعلاه بسيفه حتى قتله وعدا وتبعه الناس حتى اقتحم دارا وأغلقها عليه فجاءه رجل من قومه فصاح به يامصعب ان لم تضع يدك في يد السلطان قتلتك العامة فاخرج فلما عرفه قال له أنا في ذمتك حتى تسلمني الى السلطان فقذفه السلطان في سجن تبالة قال ومكث ابن الدمينة جريحا ليلة ثم مات في غد وقال في تلك الليلة يحرض قومه ويوبخهم

هتفت بأكلب ودعوت قيسا * فلا خذلا دعوت ولا قليلا * ثأرت مراحا وسررت قيسا
وكنت لما هممت به فعولا * فلا تشلل يداك ولا تزالا * تفيدان الغنائم والجزيلا
فلو كان ابن عبد الله حيا * لصبح في منازلها سلولا

وبلغ مصعبا أخا المقتول أن قوم ابن الدمينة يريدون أن يقتحموا عليه سجن تبالة فيقتلوه فقال يحرض قومه

لقيت أبا السري وقد تكالا * له حق العداوة في فؤادي * فكاد الغيظ يفرطني اليه
بطعن دونه طعن الشداد * اذا بحت كلاب السجن حولي * طمعت هشاشة وهفا فؤادي
طماعا أن يدق السجن قومي * وخوفا أن تبيتني الاعادي * فبلطني بقومي شر ظن
ولا أن يسلموني في البلاد * وقد خذلت قاتلهم فأمسى * يمج دم الوتين على الوساد

فجاءت بنو عقيل اليه ليلا فكسروا السجن وأخرجوه منه فهرب الى صنعاء ومن شعر ابن الدمينة الابيات المشهورة

أقضي نهاري بالحديث وبالمنى * ويجمعني والهم بالليل جامع
نهاري نهار الناس حتى اذا بدا * لي الليل شاقتني اليك المضاجع
لقد ثبتت في القلب منك محبة * كما ثبتت في الراحتين الاصابع

وهي من قصيدة طويلة يخلطها الناس كثيرا بقصيدة لمجنون ليلى لانها توافقها في الوزن والقافية

(الهي عبدك العاصي أتاكا)

هو من الوافر ولا أعلم قائله وتمامه

مقرا بالذنوب وقد دعاكا
فان تغفر فأنت لذاك أهل * وان تطرد فمن يرحم سواكا

والطرد الابعاد (والشاهد فيه) وضع المظهر وهو عبدك موضع المضمر وهو أنا للاستعطاف وهو طلب العطف والرحمة اذ ليس فيه ما في المظهر من استحقاق الرحمة وترقب الرأفة وان كان من غير باب المسند اليه أيضا

(تطاول ليلك بالاثمد)

قائله امرؤ القيس الكندي الصحابي رضي الله تعالى عنه وهو أول قصيدة من المتقارب وتمامه

ونام الخلي ولم ترقد وبعده

وبات وباتت له ليلة * كليلة ذي العائر الارمد * وذلك من نبا جاءني * وأنبئته عن أبي الاسود
ولو عن نثا غيره جاءني * وجرح اللسان كجرح اليد * لقلت من القول ما لا يزال * يؤثر عني يد المسند
بأي علاقتنا ترغبو * ن أعن دم عمرو على مرثد * فان تدفنوا الداء لا نخفه * وان تبعثوا الداء لا نقعد
وان تقتلونا نقاتلكمو * وان تقصدوا الدم نقصد * متى عهدنا بطعان الكما * ة والمجد والحمد والسودد
وبني القباب وملء الجفا * ن والنار والحطب الموقد

والاثمد بفتح الهمزة وضم الميم وروي بكسرهما اسم موضع والعائر بالمهملة هو القذى يقع في العين وقيل

فقال لم تصنع شيئا فقال الفرزدق

كأنها كاسر بالدو فتخاء

فقال ولا أنت فقال الاخطل

ترخي المشافر واللحيين ارخاء

فقال اركبها لا حملك الله (ومن ذلك) ماروي أن بعض الشعراء قال لابي العتاهية أجز

برد الماء وطابا

(فقال أبو العتاهية)

حبذا الماء شرابا

(ومن ذلك) ماروي عن دعبل بن علي الخزاعي أنه قال كنت أنا ومحمد بن وهب نسمر عند معقل بن عيسى ابن ادريس العجلي أخي أبي دلف فطلعت الثريا ليلة فقال معقل أجيزوا أما ترون الثريا فبدر محمد بن وهب فقال كأنها عقد ريا (ومن ذلك) ماروي حماد بن اسحق عن أبيه قال قلت

وصف الصد لمن أهوى فصد

ثم ارتج علي فكثت عدة ليال لا أقدر على تمامه فدخل علي عبد الله بن عمار فرآني مفكرا فقال لي ما قصتك فأخبرته فقال في الحال

وبدا يمزح بالهجر فجد

قال اسحق ثم تممتها بعد فقلت

ماله يعدل عني وجهه
وهو لا يعدله عندي أحد

(ومن ذلك) ماروي محمد ابن داود بن الجراح قال كان أبو تمام حبيب بن أوس الطائي عند الحسن بن وهب

هو نفس الرمد (والشاهد فيه) الالتفات وهو في قوله ليلك لانه خطاب لنفسه ومقتضى الظاهر ليلي بالتكلم (وامرؤ القيس) هو ابن عانس بنون وسين مهملة ابن المنذر بن امرئ القيس بن السمط بن عمرو ابن معاوية بن الحرث ينتهي نسبه لكندة الكندي الشاعر له صحبة وشهد رضي الله عنه فتح النجير باليمن وهو حصن قرب حضرموت ثم حصر الكنديين حين ارتدوا وثبت على اسلامه ولم يكن فيمن ارتد ثم رأى الكوفة ولما خرجوا ليقتتلوا وثب على عمه فقال له ويحك يا امرأ القيس أتقتل عمك فقال له أنت عمي والله عز وجل ربي وهو الذي خاصم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ربيعة بن عيدان بكسر العين والياء التحتية ويقال فيه عبدان بالباء الموحدة مكسورة مع تشديد الدال ويقال بفتح العين وسكون الباء وكانت المخاصمة في أرض فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بينتك قال ليس لي بينة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمينه وهو القائل رضي الله عنه

قف بالديار وقوف حابس * وتأن انك غير آنس * لعبت بهن العاصفا * ت الرائحات الى الروامس
ماذا عليك من الوقو * ف بهامد الطلل دارس * يا رب باكية علي * ومنشد لي في المجالس
أو قائل يا فارسا * ماذا رزئت من الفوارس * لا تعجبوا أن تسمعوا * هلك امرؤ القيس بن عانس
وفي الصحابة أيضا امرؤ القيس بن أبي الاصبع الكلابي وامرؤ القيس بن الفاخر بن الطماح الخولاني

(طحا بك قلب في الحسان طروب * بعيد الشباب عصر حان مشيب)
(يكلفني ليلى وقد شط وليها * وعادت عواد بيننا وخطوب)

البيتان لعلقمة بن عبدة الفحل من قصيدة من الطويل يمدح بها الحرث بن جبلة بن أبي شمر الغساني وكان أسر أخاه شاسا فرحل اليه يطلب فكه وبعد البيتين

منعمة لا يستطاع كلامها * على بابها من أن تزار رقيب
اذا غاب عنها البعل لم تفش سره * وترضي اياب البعل حين يؤوب
فلا تعدلي بيني وبين مغمر * سقتك روايا المزن حين تصوب
سقاك يمان ذو حبي وعارض * تروح به جنح العشي جنوب
وما أنت أم ما ذكرها ربعية * يخط لها من ثرمداء قليب
فان تسألوني بالنساء فانني * خبير بادواء النساء طبيب
اذا شاب رأس المرء أو قل ماله * فليس له من ودهن نصيب
يردن ثراء المال حيث علمنه * وشرخ شباب عندهن عجيب

وهي طويلة يقول في غرضه منها

وفي كل حي قد خبطت بنعمة * فحق لشاس من نداك ذنوب

فلما سمع الحرث هذا البيت قال نعم واذنبة ولما سمع قوله في وصف النساء قال صدق فوك الله أبوك أنت طبيبهن والخبير بأدوائهن وقد أخذه من قول امرئ القيس

أراهن لا يحببن من قل ماله * ولا من رأين الشيب فيه وقوسا

ومن لطيف ما يذكر من كراهة النساء للشيب قول محمد بن عيسى المخزومي

قالت أحبك قلت كاذبة * غري بذا من ليس ينتقد * لو قلت لي أشناك قلت نعم * الشيب ليس يحبه أحد

(ومعنى) طحابك أي اتسع وذهب بك كل مذهب وطروب مأخوذ من الطرب وهو استخفاف القلب في الفرح أي له طرب في طلب الحسان ونشاط في مراودتهن ومعنى بعيد الشباب حين ولى وكاد ينصرم ومعنى عصر حان مشيب أي زمان قرب المشيب واقباله على الهجوم ومعنى شط بعد والولي القرب والعوادي الصوارف وعوادي الدهر عوائقه والخطوب جمع خطب وهو الامر العظيم (والشاهد فيه

فدخل عليهما أبو نهشل بن حميد فلما رآه أبو تمام قال اعضك الله أبا نهشل ثم قال للحسن أجز فقال

بخندريس أبيض أكحل

ثم قال أجز أبا نهشل فقال

تطمع في الوصل فان رمته
صار مع العيوق في منزل

وهذا فيه اجازة بيت بيت (ومن ذلك) ما روى النميري قال دخل أبي على المعتز بالله وكان من جلسائه فوقع بين الجلساء تنازع فنهاهم حتى أضجروه قال النميري فقال له أبي عادتك الصفح والذنوب لنا فقال المعتز

كذا فعل العبيد والملك

(وذكر) عبيد الله بن أحمد ابن أبي طاهر في تاريخه الذي ذيل به كتاب أبيه قال حدثني أبو أحمد يحيى بن علي بن المنجم أنه أول ما قال الشعر حضر أبو الصقر اسمعيل بن بلبل عند أبيه في مجلس فيه أبو عبد الله أحمد بن أبي فنن ووالدي أحمد بن أبي طاهر وجماعة من أهل الادب فاستنشدني أبو الصقر شيأ من شعري فأنشدته فاستنكره أبو الصقر ثم قال أريد أن أمتحنك في شيء تجيزه فقلت له ذلك لك ففكر ثم قال

أنت غلام شاعر خبيث

(فقلت من غير تلبث)

أنت امرؤ بجوده يغيث
يجهل ما يعطي ولا يريث
لك القديم ولك الحديث

فقال أبو عبد الله بن أبي فنن

الالتفات من الخطاب فى طحابك الى التكلم فى يكلفنى وفاعله ضمير القلب وليلى مفعوله الثانى وروى بالتاء الفوقانية على انه مسند الى ليلى والمفعول محذوف أى تكلفنى شدائد فراقها أو على انه خطاب للقلب ففيه التفات آخر من الغيبة الى الخطاب وفى طحابك التفات آخر عند السكاكى لا عند الجمهور وأشار علقمة بصدر البيت الذى قبل الاخير هنا الى أن المال يستر شين الشيب ويحسن قبيحه كما قال بعضهم

وحود دعتنى الى وصلها * وعصر الشبيبة منى ذهب * فقالت مشيبى ما بمطلى * فقالت بلى يمطلى بالذهب

وذكرت هذين البيتين واقعة طريفة وهى انهما أنشدا فى مجلس كان فيه بعض ظرفاء الادباء فقال ما أعرف القافية فى هذين البيتين الا بحرف الراء فقال له المنشد كيف فقال وعصر الشبيبة منى سرى فقال وكيف تصنع فى البيت الثانى فقال وقالت بلى يمطلى بالحرا فاستحيى المنشد وانصرف من المجلس خجلا

(وعلقمة) بن عبدة بن عبد النعم النعمانى ينتهى نسبه الى نزار وكان يقال له الفحل لانه حلف على امرأة امرئ القيس لما حكمت له عليه بأنه أشعر منه وكان من خبر ذلك ما حكاه أبو عبيدة قال كان تحت امرئ القيس امرأة من طئ تزوجها حين جاور فيهم فنزل بهم علقمة الفحل التميمى فقال كل واحد منهما لصاحبه أنا أشعر منك فتحاكما اليها فأنشدها امرؤ القيس قوله

خليلى مرابى على ام جندب * لنقضى لبانات الفؤاد المعذب

حتى مر بقوله منها فللسوط ألهوب وللساق درة * وللزجر منه وقع أهوج متعب

وأنشدها علقمة قوله ذهبت من الهجران فى غير مذهب حتى انتهى الى قوله

فأدركهن ثانيا من عنانه * يمر كغيث رائح متحلب

فقالت له علقمة أشعر منك قال وكيف قالت لانك زجرت فرسك وحركته بساقك وضربته بسوطك وانه جاء هذا الصيد ثانيا من عنانه فغضب امرؤ القيس وقال ليس كما قلت ولكنك هويته فطلقها فتزوجها علقمة بعد ذلك فسمى علقمة الفحل وما زالت العرب تسميه بذلك قال الفرزدق

والفحل علقمة الذى كانت له * حلل الملوك كلامه تنتحل

وعن حماد الراوية قال كانت العرب تعرض أشعارها على قريش فما قبلوا منه كان مقبولا وما ردوا منه كان مردودا فقدم عليهم علقمة بن عبدة وأنشدهم قصيدته التى أولها

هل ما علمت وما استودعت مكتوم * أم حبلها اذ نأتك اليوم مصروم

فقالوا هذا سمط الدهر ثم عاد اليهم فى العام القابل وأنشدهم قوله

طحابك قلب فى الحسان طروب * بعيد الشباب عصر حان مشيب

فقالوا هذان سمطا الدهر وعن حماد بن اسحق قال سمعت أبى يقول سرق ذو الرمة قوله يطفو اذا ما تلقته الجراثيم من قول العجاج اذا تلقته العقاقيل طما وسرقه العجاج أيضا من علقمة بن عبدة حيث يقول * يطفو اذا ما تلقته الغرانيق (وحدث) العمرى عن لقيط قال تحاكم علقمة بن عبدة التميمى والزبرقان بن بدر السعدى والمخبل وعمرو بن الاهتم الى ربيعة بن حذار الاسدى فقال أما أنت يا زبرقان فشعرك كلحم لا أنضج فيؤكل ولا ترك فينتفع به وأما أنت يا عمرو فشعرك كبرد حبرة يتلألأ فيه البصر فكلما أعدته نقص وأما أنت يا مخبل فانك قصرت عن الجاهلية ولم تدرك الاسلام وأما أنت يا علقمة فان شعرك كمزادة أحكم خرزها فليس يقطر منها شئ

﴿ ومهمه مغبرة أرجاؤه * كأن لون أرضه سماؤه ﴾

البيت لرؤبة العجاج من الرجز والمهمه المفازة البعيدة والبلد المقفر الجمع مهامه والمغبرة المتلونة بالغبرة والارجاء الاطراف والنواحى جمع رجا مقصورا (والشاهد فيه) القلب وهو أن يجعل أحد أجزاء الكلام مكان الآخر والآخر مكانه وهو هنا فى المصراع الثانى ومعناه كأن لون سمائه لغبرتها لون أرضه وفيه

اذهب يا غلام فأنت أشعر الاولين والآخرين ثم حضرت المائدة وحضر عليها كباب رشيدى فقال ابن أبى فنن كباب رشيدى اذا ما رأيته ثم قال أجز فقلت وان كنت شبعانا قرمت الى الاكل ثم قال ابن أبى فنن ما سمعت أحسن من هذا ما لهذا الصدر عجز أولى به من هذا وهذه الحكاية صدرها من باب الاجوبة وآخرها من هذا الباب (وذكر) الرئيس هلال بن المحسن ابن الصابى فى كتاب الوزراء والكتاب قال حدث أبو الفرج الاصبهانى قال سكر الوزير المهلبى ليلة ولم يبق بحضرته من ندمائه غيرى فقال لى يا أبا الفرج أنا أعلم أنك تهجونى سرا فاهجنى الساعة جهرا فقلت الله الله فى أيها الوزير ان كنت قد ثقلت عليك فرنى فلا أعود أجيبك أبدا وان كنت تريد قتلى فبالسيف أهون فقال دع هذا فلا بد والله أن تهجونى وكنت قد سكرت فقلت

ابر بغل مكوكب

فبدر فقال فى حرام المهلبى هات مصراعا آخر فقلت الطلاق لازم لى ان زدت على هذا كلمة (وروى) عبد الجبار بن حمديس الصقلى قال صنع عبد الجليل بن وهبون المرسى الشاعر لنا نزهة بوادى اشبيلية فأقمنا

من الاستعارة ماليس فى تركه لاشعاره بأن لون السماء قد بلغ من الغبرة الى حيث يشبه به لون الارض فيها ومن القلب قول الشاعر كانت فريضة ماتقول كما * كان الزناء فريضة الرجم
ومنه قول أبى تمام يصف قلم الممدوح

لعاب الافاعى القاتلات لعابه * وأرى الجنى اشتارته ايد عواسل

وقول الآخر فديت بنفسه نفسى ومالى وقول الآخر يمشى فيقعس أو يكب فيعثر
ورؤبة بن العجاج تقدم ذكره فى شواهد المقدمة

(كما طينت بالفدن السياعا)

قائله القطامى من قصيدة من الوافر يمدح بها زفر بن الحرث الكلابى حين أحاطت بقيس سواحى الجزيرة وأرادوا قتله فحال زفر بينه وبينهم وحماه ومنعه وكساه وأعطاه مائة ناقة وخلى سبيله فقال يمدحه وأول القصيدة

قفى قبل التفرق ياضباعا * ولا يك موقف منك الوداعا
قفى فادى أسيرك ان قومى * وقومك لا أرى لهم اجتماعا

الى أن قال يمدح زفر بن الحرث

ومن يكن استلام الى ثوى * فقد أحسنت يا زفر المتاعا
أكفرا بعد رد الموت عنى * وبعد عطائك المائة الرتاعا
فلما أن جرى سمن عليها * كما طينت بالفدن السياعا
أمرت بها الرجال ليأخذوها * ونحن نظن أن لن تستطاعا
فلا تبعد فلأيا أدركوها * على ما كان اذ طرحوا الرقاعا
فلو بيدى سواك غداة زلت * بى القدمان لم أرج اطلاعا
اذن لهلكت لو كانت صغارا * من الاخلاق تبتدع ابتداعا
فلم أر منعمين أقل منا * وأكرم عندما اصطنعوا اصطناعا
من البيض الوجوه بنى نفيل * أبت أخلاقهم الا اتساعا

وهى طويلة والفدن محركة القصر المشيد والسياع بفتح السين المهملة الطين بالتبن يطين به (والشاهد فيه) القلب أيضا ومعناه كما طينت الفدن بالسياع وهذا من قبيل القلب المردود لان العدول عن مقتضى الظاهر من غير نكتة تقتضيه خروج عن تطبيق الكلام لمقتضى الحال (والقطامى) بفتح القاف وضمها اسمه عمير بن شييم والقطامى لقب غلب عليه وكان نصرانيا وأسلم قاله ابن عساكر فى تاريخ دمشق وهو شاعر اسلامى مقل فحل مجيد (وعن الشعبى رحمه الله) قال قال عبد الملك وأنا حاضر للاخطل يا أبا مالك أتحب أن لك بشعرك شعر شاعر من العرب قال اللهم لا الا شاعرا منا مغدف القناع خامل الذكر حديث السن ان يكن فى أحد خير فسيكون فيه ولوددت أنى سبقته الى قوله

يقتلننا بحديث ليس يعلمه * من يتقين ولا مكنونه بادى
فهن ينبذن من قول يصبن به * مواقع الماء من ذى الغلة الصادى

وحدث محمد بن صالح بن النطاح قال القطامى أول من لقب صريع الغوانى بقوله

صريع غوان راقهن ورقنه * لدن شب حتى شاب سود الذوائب

ونزل القطامى فى بعض أسفاره بامرأة من محارب قيس فنسبها فقالت أنا من قوم يشتوون القد من الجوع قال ومن هؤلاء ويحك قالت محارب ولم تقره فبات عندها بأسوا ليلة فقال فيها قصيدة أولها

تأتك بليلى نية لم تقارب * وماحب ليلى من فؤادى بذاهب

الى أن قال فيها ولا بد أن الضيف يخبر ما رأى * مخبر أهل أو مخبر صاحب

سأخبرك الانباء عن أم منزل * تضيفتها بين العذيب فراسب
تلفعت فى طل وريح تلفنى * وفى طرمساء غير ذات كواكب
الى حيزبون توقد النار بعدما * تلفعت الظلماء من كل جانب
تصلى بها برد العشاء ولم تكن * تخال وميض النار يبدو لراكب

فيه يوما فلما دنت الشمس للغروب هب نسيم ضعيف غضن وجه الماء فقلت للجماعة أجيزوا
حاكت الريح من الماء زرد
وأجازه كل بما تيسر له فقال لى أبو تمام غالب بن رباح الحجام كيف قلت يا أبا محمد فأعدت القسيم له فقال
أى درع لقتال لو جمد
فحفظ القسيمان وسمى ما عداهما (قال على بن ظافر) وقد أنبأنى الفقيه أبو محمد المسكى اجازة قال كتب الى الحافظ السلفى أنشدنى أبو الفضل أحمد بن عبد الكريم بن مقاتل المقرى الصنهاجى بالاسكندرية قال أخبرنى محمد بن حمديس قال كنا مع المعتمد بن عباد بحمص الاندلس فمر على اضاة قد راح عليها الصبا فأنبت على وجه الماء مثل الزرد فقال
نسج الريح على الماء زرد
وطلب الاجازة من شعرائه فلم يجبه أحد فقلت أنا
أى درع لقتال لو جمد
فاستحسن ذلك منى وكنت وقت الانشاد ادما فجعلنى ثانيا وأمر لى بجائزة سنية (قال على بن ظافر) والحكاية الاولى منصوصة فى ديوان أحمد بن حمديس الذى دونه لنفسه وهو موجود فى أيدى الناس والحكاية الثانية رويناها من هذا الطريق وقد نقله ابن حمديس الى غير هذا

فما راعها الا بغام مطيــة * تريح بمحسور من الصوت لاغب
تقول وقد قربت كورى وناقتى * اليك فلا تذعر علىّ ركائبى
فلما تنازعنا الحديث سألتها * من الحى قالت معشر من محارب
من المشتوين القد مما تراهم * جياعا وريف الناس ليس بعازب
فلما بدا حرمانها الضيف لم يكن * على مناخ السوء ضربة لازب
ألا انما نيران قيس اذا اشتووا * لطارق ليل مثل نار الحباحب

والى هذه العجوز أشار عبد الصمد بن المعذل فى هجاء أخيه أحمد اذ يقول

ليت لى منك يا أخى * جارة من محارب نارها كل شتوة * مثل نار الحباحب

وسيأتى ذكر عبد الصمد بن المعذل وأخيه عند ترجمة أبيهما المعذل فى شواهد الاطناب ان شاء الله تعالى قال أبو عمرو رحمه الله أول ما حركك من القطامى فرفع ذكره انه قدم فى خلافة الوليد بن عبد الملك دمشق ليمدحه فقيل له انه بخيل لا يعطى الشعراء وقيل بل قدمها فى خلافة عمر بن عبد العزيز فقيل له ان الشعر لا ينفق عند هذا ولا يعطى عليه شيأ وهذا عبد الواحد بن سليمان فامدحه فمدحه بقصيدته التى أولها

انا محيوك فاسلم أيها الطلل * وان بليت وان طالت بك الطيل

فقال له كم أملت من أمير المؤمنين قال أملت أن يعطينى ثلاثين ناقة قال قد أمرت لك بثلاثين ناقة موقورة برا وتمرا وثيابا ثم أمر بدفع ذلك اليه وقال أبو عمرو والشيبانى لو قال القطامى بيته

يمشين رهوا فلا الاعجاز خاذلة * ولا الصدور على الاعجاز تتكل

فى صفة النساء لكان أشعر الناس ولو قال كثير عزة

فقلت لها يا عز كل مصيبة * اذا وطنت يوما لها النفس ذلت

فى مرثية أو صفة حزن لكان أشعر الناس (وقال) رجل كان يديم الاسفار سافرت مرة الى الشام على طريق البر فجعلت أتمثل بقول القطامى

قد يدرك المتأنى بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

ومعى أعرابى قد استأخرت منه مركبى فقال ما زاد قائل هذا الشعر على أن ثبط الناس عن الحزم فهلا قال بعد قوله هذا ورب ضار بعض الناس حزمهم * وكان خيرا لهم لو أنهم عجلوا
والقطامى أخذ معنى بيته هذا من قول عدى بن زيد العبادى

قد يدرك المبطئ من حظه * والخير قد يسبق جهد الحريص

وعدى نظر الى قول جمانة الجعفى

ومستعجل والمكث أدنى لرشده * ولم يدر فى استعجاله ما يبادر

وما أحسن قول ابن هند رحمه الله

تأنّ فالمرء ان تأنى * أدرك لا شك ما تمنى
وما لمستوفز عجول * حظ سوى أنه تعنى

ومن أحسن ما قيل فى عيب الاناة قول ابن الرومى

عيب الاناة وان سرت عواقبها * أن لا خلود وأن ليس الفتى حجرا

وللقطامى عدة قصائد فى مدح زفر بن الحرث الكلابى سيأتى منها شئ فى أثناء الكتاب ان شاء الله تعالى

﴿شواهد المسند﴾

﴿فانى وقيار بها لغريب﴾

قائله ضابئ بن الحرث البرجمى وهو من قصيدة من الطويل قالها وهو محبوس فى المدينة المنورة فى

الموصوف فقال
نثر الجو على الترب برد
أى در لنحور لو جمد
فتناقض المعنى بقوله البرد وقوله لو جمد اذ ليس البرد الا ما جمده البرد اللهم الا أن يريد بقوله لو جمد لو دام جموده فيصح ويبعد عن التحقيق * ومثل هذا قول المعتمد بن عباد يصف فوارة
ولربما سلت لنا من مائها * سيفا وكان عن النواظر مغمدا
طبعته لجينا فذابت صفحة * منه ولو جمدت لكان مهندا
(قال على بن ظافر) وقد أخذت أنا هذا المعنى فقلت أصف روضا
فلو دام ذاك النبت كان زبرجدا
ولو جمدت أنهاره كن بلورا
وهذا المعنى مأخوذ من قول على بن التونسى الايادى من قصيدته الطائية المشهورة
أنوار نور هذا الجو أم نقط * ما كان أحسنه لو كان يلتقط
وهذا المعنى كثير للقدماء (قال على بن الرومى) من قطعة فى العنب الرازقى
لو أنه يبقى على الدهور
قرط آذان الحسان الحور
(أنبأنا) الشيخان الاجل العلامة أبو اليمن تاج الدين الكندى والشيخ الفقيه جمال الدين بن الحرستانى اجازة عن الامام الحافظ أبى القاسم على بن الحسن بن

زمن عثمان بن عفان رضى الله عنه وهى

ومن يك أمسى بالمدينة رحله * فانى وقيار بها لغريب

ورب أمور لا تضيرك ضيرة * وللقلب من مخشاتهن وجيب

وما عاجلات الطير تدنى من الفتى * نجاحا ولا عن ريثهن يخيب

ولا خير فيمن لا يوطن نفسه * على نائبات الدهر حين تنوب

وفى الشك تفريط وفى الحزم فترة * ويخطئ فى الحدس الفتى ويصيب

ولست بمستبق صديقا ولا أخا * اذا لم تعد الشئ وهو مريب

ومعنى البيت التحسر على الغربة والرحل السكن وما يستصحبه من الاثاث وقيار جمل ضابئ أو فرسه (والشاهد فيه) ترك المسند وهو غريب والمعنى انى لغريب وقيار أيضا لقصد الاختصار والاحتراز عن العبث فى الظاهر مع ضيق المقام بسبب التحسر ومحافظة الوزن ولا يجوز أن يكون غريب خبرا عنهما بانفراده لامتناع العطف على محل اسم ان قبل مضى الخبر وقيار مرفوع اما عطفا على محل اسم ان أو بالابتداء والمحذوف خبره والسر فى تقديم قيار على خبر ان قصد التسوية بينهما فى التحسر على الاغتراب كأنه أثر فى غير ذوى العقول أيضا اذ لو أخر لجاز أن يتوهم مزيته عليه فى التأثر عن الغربة لان ثبوت الحكم أولا أقوى (وضابئ) بالضاد المعجمة وبعد الالف باء موحدة ثم همزة ابن الحرث البرجمى ينتهى نسبه الى تميم ذكر فيمن أدرك النبى صلى الله عليه وسلم ثم انه جنى جناية فى زمن عثمان رضى الله عنه فحبسه فجاء ابنه عمير وأراد الفتك بعثمان رضى الله عنه ثم جبن عنه وفى ذلك يقول

هممت ولم أفعل وكدت وليتنى * تركت على عثمان تبكى حلائله

ويقول فيها أيضا وقائلة لا يبعد الله ضابئا * ولا تبعدن أخلاقه وشمائله

الى أن يقول فيها أيضا

ولا تقربن أمر الصريمة بامرئ * اذا رام أمرا عوقته عواذله

فلا الفتك ما آمرت فيه ولا الذى * تحدث من لاقيت انك فاعله

وما الفتك الا لامرئ ذى حفيظة * اذا هم لم ترعد عليه مفاصله

ثم لما قتل عثمان رضى الله عنه وثب عليه عمير المذكور فكسر ضلعين من أضلاعه ثم ان الحجاج قتله كما سيأتى مشروحا فى شواهد الايجاز عند قوله أنا ابن جلا ان شاء الله تعالى * وكان السبب فى حبس عثمان لضابئ أنه كان استعار من بعض بنى حنظلة كلبا يصيد به فطالبوه به فامتنع من اعطائه فأخذوه منه قهرا فغضب ورمى أمهم بالكلب وهجاهم بقوله

تجشم نحوى وفد قرحان سربخا * تظل به الوجناء وهى حسير

فأردفتهم كلبا فراحوا كأنما * حباهم بتاج الهرمزان أمير

وقلدتهم مالو رميت متالعا * به وهو مغبر لكاد يطير

فيا راكبا اما عرضت فبلغن * أمامة عنى والامور تدور

فأمكم لا تتركوها وكلبكم * فان عقوق الوالدين كبير

فانك كلب قد ضريت بما ترى * سميع بما فوق الفراش بصير

اذا عبقت من آخر الليل دخنة * يبيت له فوق الفراش هرير

فاستعدوا عليه أمير المؤمنين عثمان رضى الله تعالى عنه فحبسه وقال والله لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان حيا لنزلت فيك آية وما رأيت أحدا رمى قوما بكلب قبلك (وحدث) أبو بكر بن عياش قال كان عثمان رضى الله عنه يحبس فى الهجاء فهجا ضابئ قوما فحبسه عثمان رضى الله عنه ثم استعرضه فأخذ سكينا فجعلها فى أسفل نعله فأعلم عثمان بذلك فضربه ورده الى الحبس

هبة الله بن عساكر سماعا قال أنبأنا أبو الفرج غيث ابن على الصورى حدثنى أبى قال سمعت بكار بن على الرياحى بدمشق يقول لما وصل عبد المحسن الصورى الى هنا جاء فى المجدى الشاعر فعرفنى به وقال هل لك فى أن تمضى اليه ونسلم عليه فأجبت ومضيت معه حتى أتينا الى منزله وكان ينزل دائما اذا قدم فى سوق القمح وكان بين يديه دكان قطان وفيها رجل أعمى فوقعت بعجوز كبيرة فكلمها بشئ وهى منصتة له فقال المجدى فى الحال

منصتة تسمع ما يقول

فقال عبد المحسن فى الحال

كالخلد لما قابلته الغول

فقال له المجدى أحسنت والله يا أبا محمد أتيت بتشبيهين فى نصف بيت أعيذك بالله (قال) على بن ظافر وأخبرنى من أثق به وهو الشيخ أبو عبد الله محمد ابن على الحمصى القرمونى الزجال بما معناه قال ركب المعتمد على أبو القاسم بن عباد للتنزه بظاهر اشبيلية فى جماعة من ندمائه وخواص شعرائه فلما أبعد أخذ فى المسابقة بالخيول فجاء فرسه بين البساتين سابقا فرأى شجرة تين قد أينعت وزهت وبرزت منها ثمرة قد بلغت وانتهت فسدد اليها عصا كانت فى يده فأصابها وثبتت

نحن

(نحن بما عندنا وأنت بما * عندك راض والرأى مختلف)

البيت لقيس بن الخطيم من قصيدة من المنسرح أولها

ردّ الخليط الجمال فانصرفوا * ماذا عليهم لوانهم وقفوا
لو وقفوا ساعة نسائلهم * ريث يضحى جماله السلف
فيهم لعوب لعساء آنسة الـ * دل عروب يسوءها الخلف
بين شكول النساء خلقتها * خـدوا فلا جثلة ولا قضف
تنام عن كبر شأنها فاذا * قامت رويدا تكاد تنعطف

الى أن قال منها أيضا

أبلغ بنى مذحج وقومهم * خطيم أناوراءهم انف
اناوان قل نصرنا لهم * أكبادنا من ورائهم تجف
واننادون مايسومهم * لاعداء من ضيم خطة نكف
الحافظو عورة العشيرة لا * يأتيهم من ورائنا وكف
يامال والسيد المعمم قد * يطرأ فى بعض رأيه السرف
نحن المكيثون حيث يحمد بالـ * مكث ونحن المصالت الانف
يامال والحق ان قنعت به * فالحق فيه لامرنا نصف
خالفت فى الرأى كل ذى نخر * والبغى يامال غير مانصف
ان بجيرا مولى لقومكم * والحق نوفى به ونعترف

والرأى الاعتقاد ويجمع على آراء وأرآء (والشاهد فيه) ترك المسند وهو راضون فقوله راض خبر المبتدا الثانى وخبر الاول محذوف على عكس البيت السابق ومثله قول الشاعر

رمانى بأمر كنت منه ووالدى * بريأ ومن أجل الغوى رمانى

وقول المتنبى

قالت وقد رأت اصفرارى من به * وتنهدت فأجبتها المتنهد

أى المتنهد هو المطالب به (وقيس بن الخطيم) بالخاء المعجمة شاعر جاهلى وابنه ثابت رضى الله عنه مذكور فى الصحابة رضى الله عنهم وشهد مع على كرم الله وجهه صفين والجمل والنهروان وقيس هذا قتل أبوه وهو صغير فلما بلغ قتل قاتل أبيه ونشأت بسبب ذلك حروب بين قومه وبين الخزرج فى خبر يطول ذكره وكان قيس بن الخطيم مقرون الحاجبين أدعج العينين أحمر الشفتين براق الثنايا كأن بينهما برقا ما رأته حليلة رجل قط الا ذهب عقلها وقال حسان بن ثابت رضى الله عنه للخنساء اهجى قيس بن الخطيم فقالت لا أهجو أحدا حتى أراه فجاءته يوما فرأته فى مشربة ملتفا بكساء له فنخسته برجلها وقالت قم فقام فقالت أقبل فأقبل ثم قالت أدبر فأدبر ثم قالت أقبل فأقبل قال والله لكأنها والية تعترض عبدا تشتريه ثم عاد الى حاله نائما فولت وقالت والله لا أهجو هذا أبدا وقال حسان بن ثابت رضى الله عنه قدم النابغة السوق فنزل عن راحلته ثم جثا على ركبتيه واعتمد على عصاه ثم أنشأ يقول

عرفت منازلا بعرنتات * فأعلى الجزع للحى المبين

فقلت هلك الشيخ ورأيته تبع قافية منكرة قال ويقال انه قالها فى موضعه فما زال ينشد حتى أتى على آخرها ثم قال ألا رجل ينشد فتقدم قيس بن الخطيم فجلس بين يديه وأنشد

أتعرف رسما كاطراد المذاهب حتى فرغ منها فقال له أنت أشعر الناس يا ابن أخى قال حسان رضى الله عنه فدخلنى منه من ذلك وانى مع ذلك لأجد القوة فى نفسى عليهما ثم تقدمت فجلست بين يديه فقال أنشد فوالله انك لشاعر قبل أن تتكلم قال وكان يعرفنى قبل ذلك فأنشدته فقال أنت أشعر الناس * وعن أنس ابن مالك رضى الله عنه قال جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مجلس ليس فيه الا خزرجى فاستنشدهم

فى أعلاها فأطربه ما رأى من حسنها وثباتها والتفت ليخبر من لحقه من أصحابه فرأى ابن حاج الصباغ أول لاحق به فقال أجز

كأنها فوق العصا

فأجابه مسرعا

هامة زنجى عصى

فزاد طربه وسروره بحسن ارتجاله وأمر له بجائزة سنية (قال على بن ظافر) وأخبرنى أيضا أن سبب اشتهار ابن حاج هذا أن الوزير أبا بكر ابن عمار كان كثير الوفادة على ملوك الاندلس لا يستقر ببلد ولا يستفزه عن وطره وطن وكان كثير التطلب لما يصدر عن أرباب المهن من الادب الحسن فبلغه خبر ابن حاج هذا قبل اشتهاره فمر على حانوته وهو آخذ فى صباغته والنيل قد جر على يده ذيلا وأعاد نهارها ليلا فأراد أن يعلم سرعة خاطره فأخرج زنده ويده بيضاء من غير سوء وأشار اليه فقال

كم بين زند وزند

فقال ما بين وصل وصد

فعجب من سرعة ارتجاله مع مضيه فى عمله واستجاله وجذب بضبعه وبالغ فى الاحسان اليه غاية وسعه (وأخبرنى) أيضا انه دخل سرقسطة فبلغه خبر يحيى القصاب السرقسطى فمر عليه ولحم شرفانه بين يديه فأشار ابن عمار الى اللحم وقال

صلى الله عليه وسلم قصيدة قيس بن الخطيم وهى

أتعرف رسما كاطراد المذاهب * لعمرة وحشا غير موقف راكب

فأنشده بعضهم اياها فلما وصل الى قوله منها

أجالدهم يوم الحديقة حاسرا * كأن يدى بالسيف مخراق لاعب

فالتفت اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل كان كما ذكر فشهد ثابت بن قيس بن شماس وقال والذى بعثك بالحق يا رسول الله لقد خرج الينا يوم سابع عرسه عليه غلالة وملحفة مورّسة فجالدنا كما ذكر هذا فى هذه الرواية وهذه القصيدة من غرر القصائد وبيتها هو قوله

تبدّت لنا كالشمس تحت غمامة * بدا حاجب منها وضنت بحاجب

وعن المفضل أن حرب الاوس والخزرج لما هدأت تذكرت الخزرج قيس بن الخطيم ونكايته فيهم فتآمروا وتواعدوا على قتله فخرج عشية من منزله بين ملاءتين يريد مالا له بالشوط فات وهو حائط عند جبل أحد فلما مر بأطم بنى حارثة رمى من الاطم بثلاثة أسهم فوقع أحدها فى صدره فصاح صيحة سمعها رهطه فجاؤا فحملوه الى منزله فلم يروا له كفؤا الا أبا صعصعة يزيد بن عوف بن مبدول النجارى فاندس اليه رجل حتى اغتاله فى منزله فقتله بأن ضرب عنقه واحتمل رأسه وأتى به قيسا وهو بآخر رمق فألقاه بين يديه وقال يا قيس قد أدركت بثأرك فقال عضضت بأير أبيك ان كان غير أبى صعصعة قال هو أبو صعصعة وأراه الرأس فلم يلبث قيس بعد ذلك أن مات وكان موته على كفره قبل قدوم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة المنوّرة

ومن شعره من قصيدة وما بعض الاقامة فى ديار * يهان بها الفتى الاعناء

وبعض خلائق الاقوام داء * كداء الموت ليس له دواء

يريد المرء أن يعطى مناه * ويأبى الله الا ما يشاء

وكل شديدة نزلت بقوم * سيأتى بعد شدّتها رخاء

ولا يعطى الحريص غنى بحرص * وقد يمى على الجود الثراء

غناء النفس ما عمرت غناء * وفقر النفس ما عمرت شقاء

وليس بنافع ذا البخل مال * ولا مزر بصاحبه السخاء

وبعض القول ليس له عياج * كمخض الماء ليس له اتاء

وبعض الداء ملتمس شفاه * وداء النوك ليس له دواء

(انّ محلا وانّ مرتحلا)

قائله الاعشى الاكبر من قصيدة من المنسرح يمدح بها سلامة ذا فايش واسمه سلامة بن يزيد اليحصبى وكان يظهر للناس فى العام مرة مبرقعا (حدث) سماك بن حرب قال قال الاعشى أتيت سلامة ذا فايش فأطلت المقام ببابه حتى وصلت اليه بعد مدة طويلة فأنشدته

ان محلا وان مرتحلا * وان فى شعر من مضى مثلا

استأثر الله بالوفاء وبالـ * ـعدل وأولى الملامة الرجلا

والارض حمالة لما حمل الـ * ـله وما ان يردّ ما فعلا

يوما تراها كشبه أردية الـ * ـعصب ويوما أديمها نغلا

الشعر قلدته سلامة ذا * فايش والشئ حيثما جعلا

فقال صدقت الشئ حيثما جعل وأمر لى بمائة من الابل وكسانى حللا وأعطانى كرشا مدبوغة مملوءة عنبرا وقال لى اياك أن تخدع عما فيها قال فأتيت الحيرة فبعتها بثلثمائة ناقة حمراء والمحل بفتح الحاء المهملة المنزل والمرتحل بالفتح أيضا المكان المرتحل عنه (والشاهد فيه) حذف المسند الذى هو هنا طرف والمعنى ان لنا فى

الدنيا

لهم سباط الحرفان مهزول
فقال
يقول للمفلسين مهزولوا

(وأخبرنى) الشيخ الاجل الفقيه الزاهد أبو عبد الله محمد القرطبى أيده الله قال قال أبو محمد عبد المؤمن ابن على صاحب قرطبة والمغرب يوما فى مجلسه وقد عوفى من مرض

الحمد لله رب العالمين على

ثم طلب اجازته من أهل المجلس فلم يجبه أحد فقال أبو العباس بن حيوس

برء الامام الذى فى الآمنين علا

قال لى الحافظ ذو النسبتين أبو الخطاب عمر بن دحية صنع شيخنا قاضى الجماعة أبو العباس بن مضاء اجازة له

برء الامام الذى فى الناس قد عدلا

ثم عمل فيها أبياتا (وأخبرنى) الاجل شهاب الدين يعقوب ابن أخت الوزير الملك العزيز رحمهما الله تعالى قال أخبرنى البهاء الحسن على بن محمد الخراسانى المعروف بابن الساعاتى قال سايرت الفقيه مرتضى الدين نصر الشيرازى رحمه الله تعالى فجرى من الحديث ما أوجب أن قال

ان هذى النفوس للموت تسعى

فاستجازنى فقلت

فاذا قيل مات لم يك بدعا

(وأخبرنى) القاضى الموفق بهاء الدين أبو على بن الديباجى

الدنيا حاولا ولما عها الى الآخرة ارتحالا وقد اختلف فى حذف خبران فأجازه سيبويه اذا علم سواء كان الاسم معرفة أو نكرة وهو الصحيح وأجازه الكوفيون ان كان الاسم نكرة وقال الفراء لا يجوز معرفة كان أو نكرة الا اذا كان بالتكرير كهذا البيت (والاعشى) اسمه ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل ينتهى نسبه لنزار وكان يقال لابيه قتيل الجوع سمى بذلك لانه دخل غارا يستظل فيه من الحر فوقعت صخرة من الجبل فسدت فم الغار فمات فيه جوعا وفيه يقول جهنام واسمه عمرو وكان يتهاجى هو والاعشى

أبوك قتيل الجوع قيس بن جندل * وخالك عبد من خماعة راضع

وكان الاعشى يكنى أبا بصير وهو أحد الاعلام من شعراء الجاهلية وفحولها وسئل يونس النحوى من أشعر الناس فقال لا أومئ الى رجل بعينه ولكنى أقول امرؤ القيس اذا ركب والنابغة اذا رهب وزهير اذا رغب والاعشى اذا طرب وقال أبو عبيدة من قدم الاعشى احتج بكثرة طواله الجياد وتصرفه فى المديح والهجاء وسائر فنون الشعر وليس ذلك لغيره ويقول هو أول من سأل بشعره وانتجع به أقاصى البلاد وكان يغنى بشعره فكانت العرب تسميه صناجة العرب (وحدث) يحيى بن سليم الكاتب قال بعثنى أبو جعفر المنصور بالكوفة الى حماد الراوية أسأله عن أشعر الناس قال فأتيت حمادا فاستأذنت وقلت يا غلام فأجابنى انسان من أقصى بيت فى الدار فقال من أنت فقلت يحيى بن سليم رسول أمير المؤمنين فقال ادخل رحمك الله فدخلت أتسمت الصوت حتى وقفت على باب البيت فاذا حماد عريان وعلى سوأتيه شاهسفرم فقلت وهو الريحان فقلت له ان أمير المؤمنين يسألك عن أشعر الناس قال نعم ذلك الاعشى صناجها (وحدث) رجل من أهل البصرة انه حج فقال انى لأسير فى ليلة اضحيانة اذ نظرت الى رجل شاب راكب على ظليم قد زمه وخطمه وهو يذهب عليه ويجئ قال وهو مع ذلك يرتجز ويقول

هل يبلغنيهم الى الصباح * هقل كأن رأسه جماح

فعلمت أنه ليس بانسى فاستوحشت منه فتردد على ذاهبا وراجعا حتى أنست به فقلت من أشعر الناس قال الذى يقول وما ذرفت عيناك الا لتضربى * بسهميك فى أعشار قلب مقتل

فقلت ومن هو قال امرؤ القيس قلت ومن الثانى قال الذى يقول

تطرد القر بحر ساخن * وعكيك القيظ ان جاء بقر

قلت ومن يقوله قال الاعشى ثم ذهب (وقال الشعبى رحمه الله) الاعشى أغزل الناس فى بيت واحد وأخنث الناس فى بيت واحد وأشجع الناس فى بيت واحد فأما أغزل بيت فقوله

غراء فرعاء مصقول عوارضها * تمشى الهوينا كما يمشى الوجى الوحل

وأما أخنث بيت فقوله

قالت هريرة لما جئت زائرها * ويلى عليك وويلى منك يا رجل

وأما أشجع بيت فقوله

قالوا الطراد فقلنا تلك عادتنا * أو تنزلون فانا معشر نزل

وهذه الابيات من قصيدة للاعشى طنانة مطلعها

ودع هريرة ان الركب مرتحل * وهل تطيق وداعا أيها الرجل

وقد ذكرت بها ما أنشده السراج الوراق مداعبا الشخص يدعى النجم وكان اشترى جارية اسمها زبيدة من سيدها جميل الوجه يسمى فخر الدين بن عثمان فحملت سيدها النجم على أن أزارها بيت سيدها الاول

ذابت زبيدة من شوق لسيدها * عثمان والنجم بالنيران مشتعل * وما تلام وسيل الفخر يجمعهم
وبالزيارة لم يبرح لها شغل * فقل لطائر عقل قد أتاه بها * ويلى عليك وويلى منك يا رجل
لو كنت يا سطل ذا أذن تصيخ الى * عذل عذلتك لو يجدى لك العذل * تقود طيبة آرام الى أسد
لو التقى لمضت أنيابه العصل * ومن يرى ذلك الوجه الجميل ولا * يرد من فحك المشهور ينفصل

الكاتب قال أنشدنى القاضى السعيد أبو القاسم بن سناء الملك رحمه الله تعالى

اذا مت مهجورا فلا عاش عاشق

وود أعيانى اتمامه على هذا النمط من الجناس فقلت

ولا طار للاحباب بعدى طارق

فقال انما مرادى أن يكون الجناس متصلا مثل الاول فقلت

وبعدى للاحباب لا طار طارق

(قال) على بن ظافر سايرت فى بعض أسفارى سنة ثلاث وستمائة أبا الحسن البونى وأبا عائذ من مسافرين الى ماردين وكان الشتاء كلبا والبرد قويا والوحل شديدا فلقينا فى تلك العقاب عشا فقال

عقاب فى ثناياها عقاب

واستجازنى فقلت للموت

فما هى بالعذاب بل العذاب

(قال على بن ظافر) وتنا ليلة بالقرافة فرأى بعض أصحابنا الزهرة وقد قارنت المشترى وهما مشرقان فى حندس الظلماء فأفرط فى استحسانهما فقال أبو الفضل الوجيه جعفر بن جعفر الحموى

تقارن الزهرة والمشترى

فقلت

كالزج والمهذم فى السمهرى

فأفرط الجماعة فى استحسانه ثم وقع لى أن أشبههما بالهم

هذى بثينة والمجنون قائدها * الى جميـــل أجاد المرء يا جمل * وهبـه عف أما تبقى محاسنها
فى قلبه يالكاع الوقت يا زحل * أف لعقلك يا متبوع انك ذو * رأس خفيف وذاك الطود للجبل
والويل ويلك ان ذاقت عسيلته * وبات يجتمعان الزبد والعسـل * لانشدنك ان ودعتها سفها
ودع هريرة ان الركب مرتحل * وان يكن ذاك أعشى كنت أنت اذا * أعمى فلا اتضحت يومالك السبل
(رجع الى أخبار الاعشى) قدم الاخطل الكوفة فأتاه الشعبى يسمع من شعره قال فوجدته يتغدى فدعانى الى الغداء فأبيت فقال ما حاجتك قلت أحب أن أسمع من شعرك فأنشدنى * صرمت أمامة حبلها ورعوم
فلما انتهى الى قوله واذا تعاورت الاكف ختامها * نفحت فنال رياحها المزكوم
قال لى يا شعبى نالك الاخطل أمهات الشعراء بهذا البيت فقلت الاعشى فى هذا أشعر منك يا أبا مالك قال وكيف قلت لانه قال من خمر عانة قد أتى لختامه * حول تسل غمامة المزكوم
فقال وضرب بالكأس الارض هو والمسيح أشعر منى نالك والله الاعشى أمهات الشعراء الا أنا (وحدث) هشام بن القسم الغزى وكان علامة بأمر الاعشى انه وفد الى النبى صلى الله عليه وسلم وقد مدحه بقصيدته التى أولها ألم تكتحل عيناك ليلة أرمدا * وعادك ما عاد السليم المسهدا
وما ذاك من عشق النساء وانما * تناسيت قبل اليوم خلة مهددا

(وفيها أيضا يقول لناقته)

فآليت لا أرثى لها من كلالة * ولا من حفى حتى تزور محمدا * نبى يرى ما لا ترون وذكره
أغار لعمرى فى البلاد وأنجدا * متى ما تناخى عند باب ابن هاشم * تراحى وتلقى من فواضله ندا
فبلغ خبره قريشا فرصدوه على طريقه وقالوا هذا صناجة العرب ما يمدح أحدا وط الارفع من قدره فلما ورد عليهم قالوا أين أردت يا أبا بصير قال أردت صاحبكم هذا لاسلم على يديه قالوا انه ينهاك عن خلال ويحرمها عليك وكلها بك رافق ولك موافق قال وما هن قال أبو سفيان بن حرب الزنا قال لقد تركنى الزنا وما تركته قال ثم ماذا قال القمار قال لعلى ان لقيته أصبت منه عوضا من القمار قال ثم ماذا قال الربا قال ما دنت وما ادنت قط قال ثم ماذا قال الخمر قال أوه أرجع الى صبابة بقيت لى فى المهراس فأشربها فقال له أبو سفيان فهل لك فى شئ خير لك مما همت به قال وما هو قال نحن وهو الآن فى هدنة فتأخذ مائة من الابل وترجع الى بلدك سنتك هذه حتى تنظر ما يصير اليه أمرنا فان ظهرنا عليه كنت قد أخذت خلفا وان ظهر علينا أتيته قال ما أكره ذاك قال أبو سفيان يا معشر قريش هذا الاعشى فوالله لئن أتى محمدا واتبعه ليضرمن عليكم نيران العرب بشعره فاجمعوا له مائة من الابل ففعلوا فأخذها وانطلق الى بلده فلما كان بقاع منفوحة رماه بعيره فقتله (وحدث) محمد بن ادريس بن سليمان بن أبى حفصة قال قبر الاعشى بمنفوحة وأنا رأيته فاذا أراد الفتيان أن يشربوا خرجوا الى قبره فشربوا عنده وصبوا عليه فضلات الاقداح انتهى والله أعلم

((ليبك يزيد ضارع لخصومة))

قائله ضرار بن نهشل يرثى أخاه يزيد من قصيدة من الطويل أولها

لعمرى لئن أمسى يزيد بن نهشل * حشا جدث تسفى عليه الروائح
لقد كان ممن يبسط الكف بالندى * اذا ضن بالخير الاكف الشحائح
فبعدك أبدى ذو الضغينة ضغنه * وشدّ لى الطرف العيون الكواشح
ذكرت الذى مات الندى عند موته * بعافية اذ صالح القوم صالح
اذا أرقى أفنى من الليل ما مضى * تمطى به ثنى من الليـــل راجح
ليبك يزيد ضارع لخصومة * ومختبط مما تطيح الطوائح
عرى بعد ما جف الثرى عن نقابه * بعصماء تدرى كيف تمشى المنائح

من ذهب وزج من فضة لاصفرار الزهرة وشدة بياض المشترى فقلت أما ترى المشترى وقد قارن الـ * زهرة يبغى دنوّ مقترب كصعدة زجها ولهذمها ذاك لجين وذا من الذهب (قال على بن ظافر) اجتمعت أنا والقاضى الاعز أبو الحسن على بن المؤيد الغسانى رحمه الله يوما بالرصد فرأينا شعاع الاصيل فوق بياض الماء فقلت له أجز
أذكت الشمس على الماء لهب
فقال
فكست فضته منها ذهب
وقلت له يوما أجز
طار نسيم الروض من وكر الزهر
فقال
وجاء مبلول الجناح بالمطر
(وذكر) أبو على حسن بن رشيق فى كتاب الانموذج حكاية مطبوعة قال جلست فى دكان أبى لقمان الصفار وكان يتهم فى شعره مع جماعة من الشعراء وأبو لقمان والدركاد ويلعبان بالشطرنج ونحن نضحك لما يجرى بينهما من غريب المهاترة فقال الدركاد وأجز يا أبا لقمان
حيتان حبك فى طنجير باوائى
فقال أبو لقمان
وفحم وجهك فى كانون أحشائى
فقال له أحمد بن ابراهيم الكمونى أحسنت يا أبا لقمان

والصارع الخاضع المستكين من الضراعة وهى الخضوع والتذلل والجار والمجرور متعلق بضارع وان لم يعتمد على شئ لان الجار والمجرور تكفيه رائحة الفعل أى يبكيه من يذل لا لاجل خصومة لانه كان ملجأ وظهيرا للاذلاء والضعفاء وتعليقه بيبكى ليس بقوى والمختبط الذى يأتيك للمعروف من غير وسيلة وأصله من الخبط وهو ضرب الشجر ليسقط ورقها للابل والطوائح جمع مطيحة وهى القواذف على غير قياس كلواقح جمع ملقحة يقال طوحته الطوائح أى نزلت به المهالك ولا يقال المطوحات وهو نادر (والشاهد فيه) وقوع الكلام جوابا للسؤال مقدر مشتمل على المسند وعدل عن بنائه للفاعل الى بنائه للمفعول لتكرير الاسناد اجمالا وتفصيلا اذ هو أوكد وأقوى وأوقع فى النفس والله أعلم

﴿أو كلما وردت عكاظ قبيلة * بعثوا الى عريفهم يتوسم﴾

البيت لطريف بن تميم العنبرى من أبيات من الكامل وبعده

فتوسمونى اننى أنا ذلكم * شاكى سلاحى فى الحوادث معلم
تحتى الاغر وفوق جلدى نثرة * زغف ترد السيف وهو مثلم
حولى أسيد والهجيم ومازن * واذا حللت فحول بيتى خضم

وعكاظ سوق بصحراء بين نخلة والطائف كانت تقوم هلال ذى القعدة وتستمر عشرين يوما تجتمع فيها قبائل العرب فيتعاكظون أى يتفاخرون ويتناشدون ومنه الاديم العكاظى والقبيلة بنو أب واحد والعريف رئيس القوم لانه عرف بذلك أو النقيب وهو دون الرئيس والتوسم التخيل والتفرس (والمعنى) ان لى على كل قبيلة جناية فمتى وردوا عكاظ طلبنى القيم بأمرهم وكانت فرسان العرب اذا كان أيام عكاظ فى الشهر الحرام وأمن بعضهم بعضا تقنعوا حتى لا يعرفوا وذكر عن طريف هذا وكان من الشجعان أنه كان لا يتقنع كما يتقنعون فوافى عكاظ سنة وقد حشدت بكر بن وائل وكان طريف هذا قبل ذلك قد قتل شراحيل الشيبانى فقال حصيصة بن شراحيل أرونى طريفا فأروه اياه فجعل كلما مر به طريف تأمله ونظر اليه حتى فطن له طريف فقال له مالك تنظر الى مرة بعد مرة فقال أتوسمك لاعرفك فلله على لئن لقيتك فى حرب لاقتلنك أو لتقتلنى فقال طريف عند ذلك الابيات المارة (والشاهد فيه) مجىء المسند فعلا ليفيد حدوث التجدد حالا بعد حال وهو هنا يتوسم أى يتفرس الوجوه ويتصفحها يحدث منه ذلك شيأ فشيأ ولحظة فلحظة ثم ان بنى عائذة حلفاء بنى ربيعة من ذهل بن شيبان خرج منهم رجلان يصيدان فعرض لهما رجل من بنى شيبان فذعر عليهما صيدهما فوثبا عليه فقتلاه فثارت بنو مرة بن ذهل بن شيبان يريدون قتلهما فأبت بنو ربيعة عليهم ذلك فقال هانئ بن مسعود وهو رئيسهم يا بنى ربيعة ان اخوانكم قد أرادوا ظلمكم فانحازوا عنهم ففارقوهم فساروا حتى نزلوا بمنابض ماء لهم فأبق عبد لرجل من بنى ربيعة وسار الى بلاد تميم وأخبرهم أن حيا حريدا من بنى بكر بن وائل نزل على منابض وهم بنو ربيعة والحى الجريد المنتقى من قومه فقال طريف بن العنبرى هؤلاء ثارى يا آل تميم انما هم أكلة رأس وأقبل فى بنى عمرو بن تميم وأنذرتهم بنو ربيعة فانحاز بهم هانئ بن مسعود رئيسهم الى علم منابض وأقاموا عليه وسرحوا الاموال والسرح وصبحتهم تميم فقال لهم طريف افرغوا من هؤلاء الاكلب يصف لكم ما وراءهم فقال له بعض رؤساء قومه أنقاتل أكلبا أحرزوا أنفسهم ونترك أموالهم ما هذا برأى وأبوا عليه وقال هانئ لاصحابه لا يقاتل رجل منكم فلحقت تميم بالنعم والعيال فأغاروا عليهما فلما ملأوا أيديهم من الغنيمة قال هانئ لاصحابه احملوا عليهم فهزموهم وقتل يومئذ طريف بن العنبرى قتله حصيصة الشيبانى ابن شراحيل وقال فى ذلك

ولقد دعوت طريف دعوة جاهل * سفها وأنت بمعلم قد تعلم
وأتيت حيا فى الحروب محلهم * والجيش باسم أبيهم يستهزم
فوجدت قوما يمنعون ذمارهم * بسلا اذا هاب الفوارس أقدموا
واذا دعوا بنى ربيعة شمروا * بكتائب دون السماء تلملم
حشدوا عليك وعجلوا بقراهم

قسمك خير من قسيمه فزهى أبو لقمان وقال أنا دافع فى بديع الشعر وهذا شعرى فى الهنف واغالم أورد هذه الحكاية فى الحكايات المتقدمة على ترتيب الاعصار والازمنة اذ كان حقها أن تكون بين الحكايات المنسوبة الى أبى الفرج والمهلبى والمنسوبة الى ابن حمديس لانها ليست من بدائع البداءة ولم أر اخلاء الكتاب منها لما فيها من الحلاوة (ومن الاجازة اجازة قسيم بقسيم وبيت ببيت) كما روى لنا من أن الرشيد هرون رحمه الله تعالى صنع قسيما وهو الملك لله وحده ثم ارتج عليه فقال استدعوا من بالباب من الشعراء فدخل عليه جماعة منهم الجماز فقال أجيزوا وأنشدهم القسيم فبدرهم الجماز فقال

وللخليفة بعده.

فقال له الرشيد زد فقال

وللمحب اذا ما

حبيبه بات عنده

فقال له الرشيد أحسنت ولم تعد ما فى نفسى وأجازه بعشرة آلاف درهم (وذكر) عبد الله بن أحمد ابن أبى طاهر فى تاريخ بغداد قال حدثنى أبو أحمد يحيى بن على بن يحيى المنجم قال استزارنى أحمد بن سعيد الدمشقى وأنا صبى وسأل أبى أبا الحسن الاذن لى فى المصير اليه وأخبره أن أحمد

وجوا اذ مار أبيهم أن يشتموا * سلبوك درعك والاغر كليهما * وبنو أسيد أسلموك وخضم

(لا يألف الدرهم المضروب صرتنا * لكن يمر عليها وهو منطلق)

البيت للنضر بن جؤية بن النضر من أبيات من البسيط وقبله

قالت طريفة ماتبقى دراهمنا * ومابنا سرف فيها ولاخرق

انا اذا اجتمعت يوما دراهمنا * ظلت الى طرق المعروف تستبق

وبعدها البيت وبعده حتى يصير الى نذل يخلده * يكاد من صره اياه يمزق

وسببه صاحب المغرب الملك افريقية يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب الازدي (والشاهد فيه) مجيء المسند اسما لافادة الثبوت والدوام لا التقييد والتجدد يعني أن الاطلاق ثابت له من غير اعتبار تجدد وفي معنى البيت قول المتنبي وكلما التقى الدينار صاحبه * في ملكه افترقا من قبل يصطحبا

مال كأن غراب البين يرقبه * فكلما قيل هذا مجتد نعبا

(وما أحسن قول ابن النقيب في معناه)

ومابين كفي والدراهم عامر * ولست لها دون الورى بخليل

وما استوطنتها قط يوما وانما * تمر عليها عابرات سبيل

(وما ألطف قول السراج الوراق)

ان الدراهم مسها * ألم يشق على الكرام الصرب أول أمرها * والحبس في أيدي اللئام

ماذا على شؤم الدرا * هم من مقاساة الانام وشحوفها من داودا * ك تفترس أيدي الكرام

ولطيف قول بعضهم رأيت الدراهم أبغضتني * كأني قتلت أبا الدرهم

(له همم لا منتهى لكبارها)

قائله حسان بن ثابت الانصاري رضي الله عنه يمدح النبي صلى الله عليه وسلم من قصيدة من الطويل وتمامه * وهمته الصغرى أجل من الدهر * وذكر بعضهم انه لبكر بن النطاح في أبي دلف العجلي ولعل الحامل له على هذا ما حكي أن أبا دلف لحق أكرادا قطعوا الطريق في عمله وقد أردف فارس منهم رفيقا له خلفه فطعنهما جميعا فأنفذهما فتحدث الناس انه أنفذ بطعنة واحدة فارسين فلما قدم من وجهه دخل عليه ابن النطاح فأنشده قوله فيه

قالوا وينظم فارسين بطعنة * يوم اللقاء ولا يراه جليلا

لا تعجبوا فلوان طول قناته * ميل اذن نظم الفوارس ميلا

وأمر له أبو دلف بعشرة آلاف درهم فقال بكر فيه أيضا

له راحة لوأن معشار جودها * على البر كان البر أندى من البحر

ولوأن خلق الله في جسم فارس * وبارزه كان الخلي من العمر

أبادلف بوركت في كل بلدة * كما بوركت في شهرها ليلة القدر

فلما كانت هذه الابيات موافقة لذلك البيت في الوزن والقافية نسب لبكر بن النطاح المذكور والذي يقوي انه ليس لبكر بن النطاح انه لم يوجد في أخباره الا الابيات الثلاثة المذكورة وهذا البيت جليل بالنسبة اليها فلو كان منها لنص عليه بالذكر ونقل بعضهم أن أعرابيا دخل على أمير فقال عدحه

فتى تهرب الاموال من جود كفه * كما يهرب الشيطان من ليلة القدر

له همم لا منتهى لكبارها * وهمته الصغرى أجل من الدهر

له راحة لوأن معشار جودها * على البر كان البر أندى من البحر

فقال له الامير احتكم أو فوض الي الحكم فقال الاعرابي بل أحتكم بكل بيت ألف درهم فقال الممدوح

ابن أبي طاهر وأبا طالب بن مسلمة وعلي بن مهدي وجماعة من أهل الادب عنده فأذن لي فصرت اليه فصادفت عنده أبا الحسن جحظة فلما أردنا القيام الى صفة في داره للاكل لبس الجماعة نعالهم وبقي جحظة بغير نعل فسمعته يقول ياقوم من لي بنعل فقلت في بيت تصحيف نعل فضحكت الجماعة وغضب الدمشقي فقلت

وليس ذا قول جد

لكنه قول هزل

فضحك وتعجب القوم من بديهتي (قال علي بن ظافر) صنع المتوكل على الله عمر بن الافطس صاحب بطليوس من بلاد الاندلس وسيما وهو الشعر خطة خسف وارتج عليه فاستدعى أبا محمد عبد المجيد بن عبدون أحد وزراء دولته وخواص حضرته فاستجازه اياه فقال لكل طالب عرف للشيخ عيبة عيب * وللفتى ظرف ظرف (وأفادني أنبأني) الشيخ الاجل الحافظ العلامة ذو النسبتين أبو الخطاب عمر بن الحسن الرحي الكلبي اجازة عن الاستاذ المفيد أبي بكر محمد بن خير بقراءته عليه عن الفقيه الحافظ أبي القاسم خلف ابن يوسف الشنتريني عرف بابن الابرش عن أبي الحسن ابن بسام في كتاب الذخيرة

لو فوضت الينا الحكم لكان خيرا لك فقال لم يكن في الدنيا ما يسع حكمك فقال أنت في كلامك أشعر من شعرك وأمر له مكان كل ألف بأربعة آلاف والهمم واحدها همة بالكسر وتفتح وهي ماهم به من أمر ليفعل (والشاهد فيه) تقديم المسند وهو له للتنبيه من أول وهلة على انه خبر لهمم لا نعت له اذ لو أخر لتوهم انه نعت له لا خبر (وحسان) بن ثابت بن المنذر بن حرام الخزرجي رضي الله عنه وأمه الفريعة ويكنى أبا الوليد وهو من فحول الشعراء وقد قيل انه أشعر أهل المدن وكان أحد المعمرين المخضرمين عمر مائة وعشرين سنة منها ستون في الجاهلية وستون في الاسلام وعن سليمان بن يسار قال رأيت حسان بن ثابت رضي الله عنه وله ناصية قد سدلها بين عينيه وعن محمد الموفلي رحمه الله قال كان حسان بن ثابت يخضب شاربه وعنفقته بالحناء ولا يخضب سائر لحيته فقال له ابنه عبد الرحمن يا أبت لم تفعل هذا قال لأكون كأني أسد ولغ في دم وعن أبي عبيدة قال فضل حسان بن ثابت الشعراء بثلاثة كان شاعر الانصار في الجاهلية وشاعر النبي صلى الله عليه وسلم في النبوة وشاعر اليمن كلها في الاسلام وعن سعيد بن المسيب رحمه الله قال جاء حسان رضي الله عنه الى نفر فيهم أبو هريرة فقال أنشدك الله أسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أجب عني ثم قال اللهم أيده بروح القدس قال أبو هريرة اللهم نعم (وحدث) سماك بن حرب قال قام حسان فقال يا رسول الله ائذن لي فيه يعني أبا سفيان بن حرب وكان يهجو النبي صلى الله عليه وسلم وأخرج له لسانا أسود فقال يا رسول الله لو شئت لفريت به المزاد ائذن لي فيه قال اذهب الى أبي بكر ليحدثك حديث القوم وأيامهم وأحسابهم ثم اهجهم وجبريل معك فأتى أبا بكر فأعلمه بما قال النبي صلى الله عليه وسلم فقال كف عن فلانة واذكر فلانة وكف عن فلان واذكر فلانا فقال

هجوت محمدا فأجبت عنه * وعند الله في ذاك الجزاء * فان أبي ووالدتي وعرضي
لعرض محمد منكم وقاء * أتهجوه ولست له بند * فشركما لخيركما الفداء

(وحدث) جويرية ابن أسماء قال بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أمرت عبد الله بن رواحة فقال وأحسن وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن وأمرت حسان بن ثابت فشفى وأشفى وعن جابر رضي الله عنه قال لما كان عام الاحزاب ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا قال النبي صلى الله عليه وسلم من يحمي أعراض المسلمين فقال كعب رضي الله عنه أنا يا رسول الله وقال عبد الله بن رواحة أنا يا رسول الله وقال حسان بن ثابت أنا يا رسول الله قال عليه السلام نعم اهجهم أنت فانه سيعينك الله بروح القدس وعن سعيد بن جبير رحمه الله قال جاء رجل الى ابن عباس رضي الله عنهما فقال قد جاء اللعين حسان من الشام فقال ابن عباس ما هو بلعين لقد نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسانه ونفسه وعن مسروق قال دخلت على عائشة وعندها حسان وهو يقول

حصان رزان ما تزن بريبة * وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

فقالت له عائشة رضي الله عنها لكن أنت لست كذلك فقلت لها أيدخل هذا عليك وقد قال الله عز وجل والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم فقالت أما تراه في عذاب عظيم وقد ذهب بصره (وحدث) مالك بن عامر قال بينا نحن جلوس عند حسان بن ثابت وحسان مضطجع مسند رجليه الى فارع قد رفعهما عليه اذ قال مه ما رأيتم ما مر بكم الساعة قال مالك فقلنا لا والله وما هو قال حسان فاختة مرت بكم الساعة بيني وبين فارع فصدمتني أو قال فزحمتني قال فقلنا وما هي قال ستأتيكم غدا أحاديث جمة فأصغوا لها آذانكم وتسمعوا قال مالك بن عامر فصبحنا من الغد حديث صفين (وحدث) العلاء بن جزء العنبري قال بينا حسان ابن ثابت بالخيف وهو مكفوف اذ زفر زفرة ثم قال

وكأن حافرها بكل خميلة * صاع يكيل به شحيح معدم
عاري الاشاجع من ثقيف أصله * عبد ويزعم انه من يقدم

قال والمغيرة بن شعبة الثقفي جالس قريبا فسمع ما يقول فبعث اليه بخمسة آلاف درهم فقال من بعث الي

أن قائل القسيم الاول الاستاذ أبو الوليد ضابط وأن عبد المجيد أجازه ارتجالا وهو ابن ثلاث عشرة سنة (وبهذا الاسناد) قال ابن بسام ذكر أبو علي الحسن بن الغليظ المالقي قال قلت يوما للاديب أبي عبد الله بن السراج المالقي ونحن على جرية ماء أجز

شربنا على ماء كأن خريره

فقال مبادرا

بكاء محب بان عنه حبيبه
فمن كان مشغوفا كئيبا بالفه
فاني مشغوف به وكئيبه

(وبه أيضا) ذكر ابن بسام في كتاب الذخيرة قال اجتمع ابن عبادة وعبد الله بن القابلة السبتي بالمرية فنظر الى غلام وسيم يسبح في البحر وقد تعلق بسكان بعض المراكب فقال ابن عبادة أجز

انظر الى البدر الذي لاح لك

فقال ابن القابلة

في وسط اللجة تحت الحلك
قد جعل الماء سماء له
وصير الفلك مكان الفلك

(قال علي بن ظافر) وكل ما أسنده الى ابن بسام فبهذا الاسناد (ومنها اجازة قسيم بقسيم وأكثر من بيت) أنبأني الشيخان تاج الدين أبو اليمن الكندي وجمال الدين بن الحرستاني اجازة عن الحافظ أبي القاسم علي ابن الحسن بن عساكر سماعا عليه أخبرنا أبو بكر بن المرزوقي أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن أحمد بن

بهذه فقالوا المغيرة بن شعبة سمع ماقلت فقال واسوءتاه وقبلها (وحدث) الاصمعي قال جاء الحرث بن عوف الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أجرني من شعر حسان فلو مزج البحر بشعره لمزجه وكان السبب في ذلك أن الحرث بن عوف أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ابعث معي من يدعو الى دينك فاني له جار فأرسل صلى الله عليه وسلم معه رجلا من الانصار فغدرت بالحرث عشيرته فقتلوا الانصاري فقدم الحرث على النبي صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم لا يؤنب أحدا في وجهه فقال ادعوا الى حسان فلما رأى الحرث أنشده

يا جار من يغدر بذمة جاره * منكم فان محمدا لم يغدر

ان تغدروا فالغدر منكم شيمة * والغدر ينبت في أصول السخبر

فقال الحرث اكففه عني يا محمد وأؤدي اليك دية الخفارة وأدى الى النبي صلى الله عليه وسلم سبعين عشراء وكذلك كانت دية الخفارة وقال يا محمد اني عائذ بك من شعره فلو مزج البحر بشعره لمزجه (وحدث) يوسف ابن ماهك عن أمه قالت كنت أطوف مع عائشة رضي الله عنها فذكرت حسان فسببته فقالت بئس ماقلت تسبينه وهو الذي يقول فان أبي ووالدتي وعرضي * لعرض محمد منكم وقاء

فقالت أليس ممن لعنه الله في الدنيا والآخرة بما قال فيك قالت لم يقل شيأ ولكنه الذي قال

حصان رزان ماتزن بريبة * وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

فان كان ماقد جاء عني قلته * فلا رفعت سوطي الي أناملي

وكان حسان رضي الله عنه جبانا حدث عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال كانت صفية بنت عبد المطلب في فارع حصن حسان بن ثابت يوم الخندق قالت وكان حسان معنا فيه مع النساء والصبيان فمر بنا رجل من اليهود فجعل يطوف بالحصن وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بيننا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون في نحو عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا الينا ان أتانا آت قالت فقلت يا حسان ان هذا اليهودي كما ترى يطوف بالحصن واني والله ما آمنه أن يدل على عوراتنا من وراءنا من يهود وقد شغل عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل اليه فاقتله فقال يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا قالت فلما قال ذلك ولم أر عنده شيأ اعتجرت ثم أخذت عمودا ونزلت اليه من الحصن فضربته بالعمود حتى قتلته فلما فرغت منه رجعت الى الحصن فقلت يا حسان انزل اليه فاسلبه فانه لم يمنعني من سلبه الا أنه رجل قال مالي الى سلبه حاجة يا ابنة عبد المطلب وروى أن حسان أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم

لقد غدوت أمام القوم منتطقا * بصارم مثل لون الملح قطاع

تحفزعني نجاد السيف سابغة * فضفاضة مثل لون النهي بالقاع

فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فظن حسان انه ضحك من صفته نفسه مع جبنه وكانت وفاته بالمدينة المنورة سنة أربع وخمسين من الهجرة رضي الله عنه

﴿ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها * شمس الضحى وأبو اسحق والقمر﴾

البيت لمحمد بن وهيب من البسيط يمدح المعتصم وأبو اسحق كنيته واسمه محمد (حدث) أبو محلم قال اجتمع الشعراء على باب المعتصم فبعث اليهم محمد بن عبد الملك الزيات فقال لهم ان أمير المؤمنين يقول لكم من كان منكم يحسن أن يقول مثل قول النميري في الرشيد

خليفة الله ان الجود أودية * أحلك الله منها حيث تجتمع

من لم يكن ببني العباس معتصما * فليس بالصلوات الخمس ينتفع

ان أخلف القطر لم تخلف مخايله * أو ضاق أمر ذكرناه فيتسع

فليدخل والا فلينصرف فقام محمد بن وهيب فقال فينا من يقول مثله قال وأي شيء قلت فقال

الحسين بن عبد العزيز العسكري أخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن الصلت المحبر حدثنا أبو الفرج علي بن الحسين الاصبهاني أخبرني جعفر بن قدامة حدثني أحمد بن أبي طاهر قال دخلت يوما على بنت جارية مخفرانه وكانت حسنة الوجه والغناء فقلت لها قد قلت مصراعا فأجيزيه فقالت لي قل فقلت

يا بدر حسنك يغشي بهجة القمر فقالت

قد كاد حسنك أن يبتزني بصري

ثم وقفت أفكر فسبقتني فقالت

وطيب نشرك مثل المسك قد نسمت

ريا الرياض عليه في دجى السحر

فزاد فكري فبادرتني فقالت

فهل لنا منك حظ في مواصلة

أولا فاني راض منك بالنظر

فقمت عنها خجلا ثم عرضت بعد ذلك على المعتمد فاشتراها بمشورة علي بن يحيى بثلاثين ألفا وذكر أحمد بن الطيب عن بعض الكتاب أنها عرضت بعد ذلك على المعتمد فامتحنها في الغناء والكتابة فرضي بما ظهر منها وكان أول ماغنته لحنا غريبا والشعر في المعتمد فقالت

سنة وشهر قد بلا سعود

فطرب المعتمد وتبرك بغنائها ثم قال لاحمد بن حمدون

ثــلاثة تشرق الدنيــا ببهجتها * شمس الضحى وأبو اسحق والقمر
فالشمس تحكيه في الاشراق طالعة * اذا تقطع عن ادراكها النظــر
والبدر يحكيه في الظلماء منبلجا * اذا استنارت لياليــه به الغــرر
يحكي أفاعيــله في كل نائبــة * الغيث والليث والصمصامة الذكر
فالغيث يحكي ندى كفيه منهمرا * اذا اســتهل بصوب الديمة المطر
وربما صال أحيانا على حنق * شبيه صولته الضرغامة الهصر
والهندواني يحكي من عزائمه * صريمة الرأي منه النقض والمرر
وكلهــا مشبه شــيأ على حدة * وقد تخالف فيها الفعل والصور
وأنت جامع مافيهن من حسن * فقد تكامل فيك النفع والضرر
فالخــلق جسم له رأس يدبره * وأنت جارحتــاه السمع والبصر

فأمر بادخاله وأحسن جائزته ومما يشبه ذلك قول القاسم بن هاني يمدح جعفرا صاحب المسيلة

المدنفــان من البرية كلهــا * جسمي وطرف بابلي أحور
والمشرقات النيرات ثلاثة * الشمس والقمر المنير وجعفر

ومثله في الحسن قول محمد بن شمس الخلافة

شيآن حدث بالقساوة عنهما * قلب الفتى يهواه قلبي والحجر
وثلاثة بالجود حدث عنهم * البحر والملك المعظم والمطــر

ويقرب منه قول ابن مطروح في الناصر داود

ثلاثة ليس لهم رابع * عليهم معتمد الجود الغيث والبحر وعزهــا * بالملك الناصر داود

وقول أبي محمد الباقي

ثلاثة ما اجتمعن في رجل * الا وأسلمنــــه الى الاجل
ذل اغتراب وفاقة وهوى * وكلها سائق على عجـــل
ياعاذل العــاشقين انك لو * عذرتهم كنت تبت من عذل

وقول ابن سكرة

في وجه انسانة كلفت بها * أربعة ما اجتمعن في أحد
الوجه بدر والصدغ غالية * والريق خمر والثغر من برد

وما أصدق قول السراج الوراق

ثلاثة ان صحبت ثــلاثة * أعيت علاج بدوها والحضر
عداوة مع حســد وفاقة * مع كسل وعلة مع كبر

وبديع قول ابن نباتة المصري

تناسبت فيمن تعشــقته * ثلاثة تعجب كل البشر
من مقلة سهم ومن حاجب * قوس ومن نغمة صوت وتر

ومما يناسب هذا المقام ماحكاه المدايني قال بينا سكينة بنت الحسين رضي الله عنهما تسير ذات ليلة اذ سمعت حاديا يحدو ويقول * لولا ثلاث هن عيش الدهر * فقالت لقائد قطارها الحق بنا هذا الرجل حتى نسمع منه ماهذه الثلاثة فطال طلبه لذلك حتى أتعبها فقالت لغلام لها سر أنت حتى تسمع منه فرجع اليها فقال سمعته يقول الماء والنوم وأم عمرو * فقالت قبحه الله أتعبني منذ الليلة ومما يجري من ذلك مجرى الملح ما أنشده الخليل في كتاب العين وهو

ان في دارنا ثــلاث حبالى * فوددنا لو قد وضعن جميعا
جارتي ثم هــرتي ثم شاتي * فاذا ماولدن كن ربيعا
جارتي للرضاع والهــر للفا * ر وشاتي اذا اشتهينا مجيعا

فارضها فقــال
وهبت نفسي للهوى
فقالت فخار لما أن ملك
فقال فصرت عبدا خاضعا
فقالت بسلك بي حيث سلك
فأمر المعتمــد بابتياعهــا
فاشتريت بثــلاثين ألفــا
(وبالاسناد المتقدم عن ابن
بسام) قال روى أبو عامر
ابن شهيد قال لما قدم زهير
الصقلي حضرة قرطبة من
المرية وجه أبو جعــفر بن
عباس وزيره الى المقمن
أصحابنا منهم ابن برد وأبو بكر
المرواني وابن الخياط والطبني
فحضروا فسألهم عني وقال
وجهوا اليه فوافاني رسوله
مع دابة بسرج محلى فسرت
اليه ودخلت المجلس وأبو
جعفر غائب فتحرك المجلس
لدخولي وقاموا اجمعا الي
حتى طلع أبو جعــفر علينا
ساحبا ذيلا لم أر أحــدا
سحبه قبــله وهــو يترنم
فسلمت عليــه ســلام من
يعرف قدر الرجال فرد ردا
لطيفا فعلمت أن في أنفــه
نعرة لاتخرج الابسعوط
الكلام ولا تراض الا
بمستحصد النظام ورأيت
أصحابي يصيحون الى ترغه
فقال لي ابن الخياط وكان
كثير الانحاء على جالبــاقي
المحافل مايسوء الاولياء الى
الوزير حضرة قسيم وهو
يسألنا اجازته فعلمت أني
المراد فاستنشدته فأنشد
مرض الجفون ولثغة في
المنطق

ومن هذا الباب قول حجيس بعوطيبا

عليك المسكين من شؤمه * في بحره هالك ماله ساحل
ثلاثة تدخل في دفعة * طلعته والنعش والغاسل

وقول الآخر
ثلاثة طاب بها المجلس * الورد والتفاح والنرجس

وقول الآخر
ثلاثة طاب بها العمر * وجهك والبستان والخمر

وقول الآخر
ثلاثة عن غيرها كافيه * هي المنا والأمن والعافيه

وقول أبي بكر البلخي
ثلاثة فقدها كبير * الخبز واللحم والشعير
والبيت من كلها خلاء * فجددها أيها الامير

وقول الآخر
ثلاثة ليس بها اشتراك * المشط والمرآة والسواك

وقول أبي الحسن العلوي
ثلاثة موصوفة تجلو البصر * الماء والوجه الجميل والخضر

وقول الآخر
ثلاثة تذهب عن قلبي الحزن * الماء والخضرة والوجه الحسن

وقول ابن لنكك بديع هنا
أعد الورى للبرد جندا من الصلا * ولاقيته من بينهم بجنود
ثلاثة نيران فنار مدامة * ونار صبابات ونار وقود

وفي معناه قول الصنوبري
نار راح ونار خد ونار * للحشا الصب بينهن استعار
ما أبالي ما كان ذا الصيف عندي * كيف كان الشتاء والامطار

وظريف قول بعضهم
ثلاثة تعنية تدور * الطست والكاس والبخور

وقول غانم المالقي
ثلاثة يجهل مقدارها * الأمن والصحة والقوت
فلا تثق بالمال من غيرها * لو أنه در وياقوت

وظريف قول عبد الرحمن بن محمد الواسطي
ما العيش الا خمسة لا سادس * لهم وان قصرت بها الاعمار
زمن الربيع وشرخ أيام الصبا * والكاس والمعشوق والدينار

وأنشد ثعلب النحوي
ثلاث خلال للصديق جعلتها * مضارعة للصوم والصلوات
مواساته والصفح عن كل زلة * وترك ابتذال السر في الخلوات

(والشاهد في البيت) تقديم المسند وهو ثلاثة للتشويق الى ذكر المسند اليه وهو شمس الضحى وما عطف عليه ومثله قول أبي العلاء المعري

وكالنار الحياة فمن رماد * أواخرها وأولها دخان

فتقديم كالنار ومن رماد كلاهما للتشويق (ومحمد بن وهيب) حميري شاعر من أهل بغداد من شعراء الدولة العباسية وأصله من البصرة وكان يستميح الناس بشعره و يتكسب بالمديح ثم توصل الى الحسن بن سهل برجاء بن أبي الضحاك ومدحه فأوصله اليه وسمع شعره فأعجب به واقتطعه اليه وأوصله الى المأمون حتى مدحه وشفع له فأسنى جائزته ثم لم يزل منقطعا اليه حتى مات وكان يتشيع وله مراث في أهل البيت رضوان الله عليهم وهو متوسط بين شعراء طبقته (حدث عن نفسه) قال لما زارني الحسن بن رجاء بن أبي الضحاك الجبل قلت فيه شعرا وأنشدته أصحابا دعبل بن علي الخزاعي وأبا سعيد المخزومي وأبا تمام الطاءي فاستحسنوا الشعر وقالوا هذا أشعر من الاشعار التي تلقى بها الملوك فخرجت الى الجبل فلما صرت الى همذان

فقلت لمن حضر لا تعهدوا
نفوسكم فلستم المراد ثم
أخذت الدواة فكتبت
سبحان جبار اعشق من لم يعشق
من لي بألثغ لا يزال حديثه
يذكي على الاكباد جمرة محرق
يثني فينبو في الكلام لسانه
فكأنه من خمر عينيه سقي
لا ينعش الالفاظ من عثراتها
ولوانها كنت له في مهرق
ثم قمت عنهم فلم ألبث أن
وردوا علي وأخبروني أن أبا
جعفر لم يرض بما جئت به
من البديهة وسألوني أن
أحمل مكاوي الهجاء على
حتاره وزعموا أن ادريس
بن اليماني هجاه فأفحش فقلت
أبو جعفر كاتب شاعر
مليح سني الخط حلو الخطابه
تملأ شحما ولحما وما
يليق تملؤه بالكتابه
له عرق ليس ماء الحياء
ولكنه رشح ماء الجنابه
جرى الماء في سفله جرى لين
فأحدث في العلو منه صلابه
(قال علي بن ظافر) وأحسب
أن الذي هجاه به ادريس
وأفحش فيه قوله وقد كان
وفد عليه بالمرية وامتدحه
بقصيدة فلم يحفل به فأنفذ
اليه عند نزوحه منها يقول
ابه أبا جعفر المرجي
ما بال طيري خلاف طيرك
أهديت رقراقة المعاني
لم أهد أمثالها لغيرك
فلم تقرها ولم تقرني
ولم تقرها بفضل ميرك
فصار شعري لديك بكرا
قد يئست من فلاح ايرك

أحبره الحاجب بمكانى فأذن لى فأنشدته الشعر فاستحسن منه قولى

أجارتنا ان التعفف باليأس * وصبرا على استدرار دنياى بالباس * حريان أن لا يقذفاك بذلة
كريما وأن لا يحوجاه الى الناس * أجارتنا ان القداح كواذب * وأكثر أسباب النجاح مع الياس

فأمر حاجبه باضافتى فأقمت بحضرته كلما دخلت اليه لم أنصرف الا بجملان وخلعة وجائزة حتى انصرم الصيف فقال لى يا محمد ان الشتاء عندنا علج فأعد يوما للوداع فقلت خدمة الامير أحب الى فلما كاد الشتاء أن يشتد قال لى هذا يوم الوداع فأنشدنى الثلاثة الابيات فلقد فهمت الشعر كله فلما أنشدته

أجارتنا ان القداح كواذب * وأكثر أسباب النجاح مع الياس

قال صدقت ثم قال عدوا أبيات القصيدة وأعطوه بكل بيت ألف درهم فعدت فكانت اثنين وسبعين بيتا فأمر لى باثنين وسبعين ألف درهم وكان فيما أنشدته فى مقامى واستحسنه قولى

دماء المحبين ما تعقل * أما فى الهوى حكم يعدل تعبدنى حور الغانيات * ودان الشباب له الاخضل
ونظرة عين تعللتها * غرارا كما ينظر الأحول مقسمة بين وجه الحبيب * وطرف الرقيب متى يغفل

(وحدث) خال أبى هفان قال كنت عند أبى دلف فدخل عليه محمد بن وهيب الشاعر فأعظمه جدا فلما انصرف قال معقل أخوه يا أخى فعلت بهذا ما لم يستأهله ما هو فى بيت من الشرف ولا فى كمال من الادب ولا بموضع من السلطان فقال بلى يا أخى انه لحقيق بذلك أو لا يستحقه وهو القائل

يدل على انه عاشق * من الدمع مستشهد ناطق ولى مالك أنا عبد له * مقر بأنى له وامق
اذا ما سموت الى وصله * تعرض لى دونه عائق وحاربنى فيه ريب الزمان * كأن الزمان له عاشق

(وحدث) الحسن بن رجاء قال كان محمد بن وهيب الحميرى لما قدم المأمون من خراسان مضاعا مطرحا انما يتصدى للعامة وأوساط الكتاب والقواد بالمديح ويسترفدهم ويحظى باليسير فلما هدأت الامور واستقرت واستوسقت جلس أبو محمد الحسن بن سهل يوما منفردا بأهله وخاصته وذوى مودته ومن يقرب من انسه فتوسل اليه محمد بن وهيب بأبى حتى أوصله اليه مع الشعراء فلما انتهى اليه القول استأذنه فى الانشاد فأذن له فأنشد قصيدته التى أولها

ودائع أسرار طوتها السرائر * وباحت بمكتوماتهن النواظر * تمكن فى طى الضمير وتحته
شبا لوعة عضب الغرارين باتر * فأعجم عنها ناطق وهو معرب * وأعربت العجم الجفون النواظر

الى أن قال فيها

تعظمه الاوهام قبل عيانه * ويصدر عنه الطرف والطرف حاسر
به تجتدى النعما ويستدرك المنى * وتستكمل الحسنى وترعى الاواصر
أصات بنا داعى نوالك مؤذنا * بجودك الا أنه لا يحاور
قسمت صروف الدهر بأسا ونائلا * فمالك موتور وسيفك واتر

الى أن قال فى آخرها

ولو لم تكن الا بنفسك فاخرا * لما انتسبت الا اليك المفاخر

قال فطرب أبو محمد حتى نزل عن سريره الى الارض وقال أحسنت والله وأجملت ولو لم تقل قط ولا قلت فى باقى دهرك غير هذا لما احتجت الى القول وأمر له بخمسة آلاف دينار فأحضرت واقتطعه الى نفسه فلم يزل فى كنفه أيام ولايته وبعد ذلك الى أن مات ما تصدى لغيره (وحدث) ميمون بن هرون قال كان محمد بن وهيب الشاعر قد مدح على بن هشام وتردد الى بابه دفعات فحجبه ولقيه يوما فى طريق فسلم عليه فلم يرجع اليه طرفه وكان فيه تيه شديد فكتب اليه رقعة يعاتبه فيها فلما وصلت اليه خرقها وقال أى شئ يريد هذا الثقيل السئ الادب فقيل له ذلك فانصرف مغضبا وقال والله ما أردت ماله وانما أردت التوسل بجاهه وسيغنى الله عنه والله ليندمن مغبة فعله وقال يهجوه

أزرى عليه بجود خيفة العدم * فصد منهزما عن شأو ذى الهمم
لو كان من فارس فى بيت مكرمة * أو كان من ولد الاملاك والعجم

(وذكر) العميد أبو الحسن على بن الحسن بن أبى الطيب الباخرزى فى كتابه دمية القصر وعصرة العصر قال حدثنى الاديب يعقوب ابن أحمد قال أنشدت بحضرة أبى كامل مفرج بن دغفل الطائى

صهل الكميت فقلت مالك تصهل

فغيره بعض الحاضرين فقال

نعب الغراب فقلت مالك تنعب

(فقال أبو كامل بديها)

أنأى أليفك أم لحال ترهب
أم بت تخبرنا بفرقة جيرة
قد آن فى شعبان أن يتشعبوا
عزموا على ترك النفوس وراءهم
ماء يسيل على لظى يتلهب

(وأنبأنى) الشيخ الفقيه النبيه أبو الحسن على بن المفضل المقدسى قال أنبأنى الفقيه أبو القاسم مخلوف ابن على القيروانى عن أبى عبد الله محمد بن سعيد السرقسطى عن الحافظ أبى عبد الله محمد بن عمر الاشبونى قال قصد ابن جاح الشاعر فخر الدولة أبا عمرو عباد بن محمد بن عباد فلما وصل اليه ودخل عليه قال أجز

اذا مررت بركب العيس حيبها

فقال ابن جاح فى الحال

يا ناقتى فعسى أحبابنا فيها

(ثم زاد فقال)

أوكان أوّله أهـل البطاح أوالـ * ـشركب الملبسين اهـلالا الى الحرم

أيام تتخـذ الاصـنام آلهة * فلا ترى عاكفا الاعلى صنم

لشعبته على فعل الملوك لهم * طبائع لم ترعها خيمة العدم

لم تنـد كفاك من بذل النوال كما * لم يند سيفك مذقلدته بدم

كنت امرءا رفعته فتنة فعلا * أيامها غادرا بالعهـد والذمم

حتى اذا انكشفت عنا عمايتها * ورتب الناس بالاحساب والقدم

مات التخلق وارتادت بك مرتجعا * طبيعـة بذلة الاخلاق والشيم

كذاك من كان لا رأس ولا ذنب * كذا اليدين حديث العهد بالنعم

هيهات ليس بحمال الديات ولا * معطي الجزيل ولا الموهوب ذي النعم

فلما بلغت الابيات على بن هشام ندم على ما كان منه وجزع لها وقال لعن الله اللجاج فانه شر خلق تخلقه الناس ثم أقبل على أخيه الخليل بن هشام وقال الله يعلم انى لا أدخل على الخليفة وعلى السيف وأنا مستحي منه أذكر قول محمد بن وهيب في

لم تند كفاك من بذل النوال كما * لم ينـد سيفك مذقلدته بدم

وسمع ابن الاعرابي وهو يقول أهجى بيت قاله المحدثون قول محمد بن وهيب وأنشد البيت (وحدث) الحسن ابن رجاء عن أبيه قال لما قدم المأمون ولقيه أبو محمد الحسن دخلا جميعا فعارضهما ابن وهيب فقال

اليوم جددت النعماء والمنن * فالحمد لله حل العـقدة الزمن

اليوم أظهرت الدنيا محاسنها * للناس لما التقى المأمون والحسن

قال فلما جلسا سأله المأمون عنه فقال هذا رجل من حمير شاعر مطبوع اتصل بي متوسلا الى أمير المؤمنين وطالبا الوصول مع نظرائه فأمر المأمون بايصاله مع الشعراء فلما وقف بين يديه وأذن له في الانشاد أنشد قوله

طللان طال عليهما الامد * دثرا فلا علم ولا نضد * لبسا البلا فكأنما وجدا

بعد الاحبة مثل ما أجد * حييتما طللين حالهما * بعـد الاحبة غير ما عهدوا

ان ما طلولك سلو غانية * فهواك لا مال ولا فند * ان كنت صادقة الهوى فردي

في الحب منهله الذي أرد * أدمي أرقت وأنت آمنة * أن ليس لي عقل ولا قود

ان كنت فت وخانني نشب * فلربما لم يحظ مجتهد حتى انتهى الى مدح المأمون فقال

يا خير منتسب لمكرمة * في المجد حيث تضخ العدد في كل أنملة لراحته * نوء يسح وعارض حشد

واذا القنا رعفت أسنتها * علقا وصم كعوبها قصد فكأن ضوء جبينه قمر * وكأنه في صولة أسـد

وكأنه روح تدبرنا * حركاته وكأننا جسد

فاستحسنها المأمون وقال لابي محمد احتكم له فقال أمير المؤمنين أولى بالحكم ولكن ان أذن لي في المسئلة سألت فأما الحكم فلا فقال سل فقال تلحقه بجوائز مروان بن أبي حفصة فقال ذلك والله أردت وأمر أن تعد الابيات فكانت خمسين فأعطاه خمسين ألف درهم وعن أحمد بن أبي كامل قال كان محمد بن وهيب تياها شديد الزهاء بنفسه فلما قدم الافشين وقد قتل بابك مدحه بقصيدته التي أولها

طلول ومغانيها * تناجيها وتبكيها (يقول فيها) بعثت الخيل والخير * عقيد بنواصيها

وهي من جيد شعره فأنشدنا اياها ثم قال ما بها عيب سوى أنها لا أخت لها قال وأمر المعتصم للشعراء الذين مدحوا الافشين بثلثمائة ألف درهم جرت تفرقتها على يد ابن أبي دواد فأعطى منها محمد بن وهيب ثلاثين ألفا وأعطى أبا تمام عشرة آلاف قال ابن أبي كامل فقلت لعلى بن يحيى بن المنجم أولا تعجب من هذا الحط يعطي أبو تمام عشرة آلاف درهم وابن وهيب ثلاثين ألفا وبينهما كما بين السماء والارض فقال لذلك علة لا تعرفها كان ابن وهيب مؤدب الفتح بن خاقان فلذلك وصل الى هذا الحال (وحدث) أحمد بن أبي كامل

يا ناق عوجي على الاطلال علّ بها منهم غريبا يرانى كيف أبكيها

أم كيف أرفض طيب العيش بعدهم أم كيف أسكب دمعا في مغانيها

انى لأكتم أشواقي وأسترها جهدي ولكن دموع العين تبديها

(وذكر) الوزير أبو لبانة الداني في كتاب سقط الدرر ولقط الزهر قال صنع المعتمد على الله بن عباد رحمه الله تعالى قسيما في القبة المعروفة بسعد السعود فوق المجلس المعروف بالزاهي وهو سعد السعود يتيه فوق الزاهي ثم استجاز الحاضرين فعجزوا فصنع ولده عبيد الله الرشيد

وكلاهما في حسنه متناه ومن اغتدى سكناه مثل محمد قد جل في العلياء عن الاشباه لا زال يخلد فيهما ما شاءه ودهت عداه من الخطوب دواهي

وكذلك ما روى أن القاضي الفقيه أبا الحسن علي بن القاسم بن محمد بن عشرة أحد رؤساء المغرب الاوسط تنزه مع جماعة من أصحابه منهم محمد بن عيسى بن سوار الاشبوني ورجل يسمى بأبي موسى خفيف الروح ثقيل الجسم فجعل يعبث بالحاضرين بأبيات من الشعر يصنعها فيهم فصنع القاضي أبو الحسن معاتبا له

أيضا قال كنا في مجلس ومعنا أبو يوسف الكندي وأحمد بن أبي فنن فتذاكرنا شعر محمد بن وهيب فطعن
عليه ابن أبي فنن وقال هو متكلف حسود واذا أنشد شعر النفسه قرظه ووصفه في نصف يوم وشكا انه
مظلوم منحوس الحظ وانه لا يقصر به عن مراتب القدماء حال واذا أنشد شعر غيره حسد وان كان على نبيذ
عربد عليه وان كان صاحيا عاداه واعتقد فيه كل مكروه فقلت له كلا كان لي صديق وما أمتنع من وصفكما
جميعا بالتقدم وحسن الشعر وأخبرني عما أسألك عنه اخبار منصف أيعد متكلفا من يقول

أبى لي اغضاء الجفون على القذى * يقيني أن لا عسر الا مفرج

ألا ربما ضاق الفضاء بأهله * فيظهر ما بين الاسنة مخرج

أو يعد متكلفا من يقول

رأت وضحا في مفرق الرأس راعها * شريكين مبيض به وبهيم

فأمسك ابن أبي فنن واندفع الكندي فقال كان ابن وهيب ثنويا فقلت له من أين علمت ذلك أكلمك على
مذهب الثنوية قط قال لا ولكني استدللت من شعره على مذهبه فقلت ماذا قال حيث يقول
طللان طال عليهما الامد * وحيث يقول * تفتر عن سمطين من ذهب * الى غير ذلك مما يستعمله في شعره
من ذكر الاثنين فشغلني والله الضحك عن جوابه وقلت له يا أبا يوسف مثلك لا ينبغي أن يتكلم فيما لم ينفذ
فيه علمه ودخل محمد بن وهيب على أحمد بن هشام يوما وقد مدحه فرأى بين يديه غلمانا روقة مرداوخدما
بيضا قرها في غاية الحسن والجمال والنظافة فدهش لما رأى وبقي متحيرا متبلبلا لا ينطق حرفا فضحك
أحمد منه وقال له مالك ويحك تكلم بما تريد فقال

قد كانت الاصنام وهي قديمة * كسرت وجذعهن ابراهيم * ولديك أصنام سلمن من الاذى

وصفت لهن نضارة ونعيم * وبنا الى صنم نلوذ بركنه * فقروا أنت اذا هززت كريم

فقال له اختر من شئت فاختار واحدا منهم فأعطاه اياه وقال يمدحه

فصلت مكارمه على الاقوام * وعلا فحاز مكارم الايام * وعلته أبهة الجلال كأنه

قمر بدا لك من خلال غمام * ان الامير على البرية كلها * بعد الخليفة أحمد بن هشام

(وحدث) محمد بن وهيب قال جلست بالبصرة الى عطار فاذا أعرابية سوداء قد جاءت فاشترت من العطار
خلوقا فقلت له تجدها اشترته لابنتها وما ابنتها الا خنفساء فالتفتت الي متضاحكة وقالت لا والله الا مهاة
جيداء ان قامت فقناة وان قعدت فحصاة وان مشت فقطاة أسفلها كثيب وأعلاها قضيب
لا كفتياتكم اللواتي تسمنونهن بالقتوت ثم انصرفت وهي تقول

ان القتوت للفتاة مضرطه * يكربها في البطن حتى تنلطه

فلا أعلم اني ذكرتها الا أضحكني ذكرها وبلغ محمد بن وهيب أن دعبلا الخزاعي قال أنا ابن قولي

لا تعجبي يا سلم من رجل * ضحك المشيب برأسه فبكى

وأن أبا تمام قال أنا ابن قولي

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى * ما الحب الا للحبيب الاول

كم منزل في الارض يألفه الفتى * وحنينه أبدا لاول منزل

فقال محمد بن وهيب وأنا ابن قولي

ما لمن تمت محاسنه * أن يعادي طرف من رمقا

لك أن تبدي لنا حسنا * ولنا أن نعمل الحدقا

(وحدث) أبو ذكوان قال حدثني من دخل الى محمد بن وهيب يعوده وهو عليل قال فسألته عن خبره
فتشكى ما به ثم قال نفوس المنايا بالنفوس تشعبت * وكل له من مذهب الموت مذهب

نراع لذكر الموت ساعة ذكره * وتعترض الدنيا فنلهو ونلعب

وشاعر أثقل من جسمه
ثم استجاز ابن سوار فقال
تأتي معانيه على حكمه
يهجو ولا يهجى فهل عندكم
ظلامة تعدى على ظلمه
لسانه في هجوه حية
منية الحية في سمه
أما أبو موسى ففي كفه
عصا ابنه والسحر في نظمه
يصيب سر المرء في رميه
كأنما العالم في علمه
(وأخبرني) القاضي الاعز
ابن المؤيد المقدم ذكره
رحمه الله قال أخبرني الشيخ
أبو الحسن علي بن عمر
المستقر الاندلسي قال كتب
أبو بكر البلاسي الى الاديب
أبي بحر صفوان بن ادريس
هذين البيتين يستجيزه
القسيم الاخير منهما وهما
خليلي أبا بحر وما اقرع اللي
بأعذب من قولي خليلي أبا بحر
أجزه بأمور قسيما نظمته
تأمل على بحر المياه حلي الزهر
فأجازه بقوله
كعهدك بالخضراء والانجم الزهر
وقد ضحكت للياسمين مباسم
سرورا بآداب الوزير أبي بكر
وأصغت من الآس النضير مسامع
لتسمع ما تتلوه من سور الشعر
(قال) وهذان الرجلان من
الفضلاء في عصرنا هذا
(ومنها الاجازة بيت بيت)
فمن ذلك ما روى يونس بن
حبيب قال لما بنى يوسف
ابن زياد داره بالساحة صنع
طعاما ودعا أصحابه فدخلوا

وآجالنا في كل يوم وليلة * إلينا على غِرّاتنا تتقرّب
أأيقن أن الشيب ينفي حياته * وهو لا خلاق الخطيئة يذهب
يقين كأن الشك أغلب أمره * عليه وعرفان إلى الجهل ينسب
وقد ذمّت الدنيا إليّ نعيمها * وخاطبني إعجامها وهو معرب
ولكنني منها خلقت لغيرها * وما كنت منه فهو عندي محبب

وسأل محمد بن وهيب محمد بن عبد الملك الزيات حاجة فأبطأ فيها فوقف عليه ثم قال له

طبع الكريم على وفائه * وعلى التفضل في إخائه
تغني عنايته الصديق عن التعرض لاقتضائه
حسب الكريم حياؤه * فكل الكريم إلى حيائه

فقال له حسبك فقد بلغت إلى ما أحببت والحاجة تسبقك إلى منزلك ومن شعره الجيد قوله

أيّ خير يرجو بنو الدهر في الدهر وما زال قاتلا لبنيه
من يعمر يفجع بفقد الأحبا * ومن مات فالمصيبة فيه

ومثله قول الآخر

من يتمنى العمر فليدّرع * صبرا على فقد أحبائه
ومن يعمر يلق في نفسه * ما يتمناه لأعدائه

﴿شواهد أحوال متعلقات الفعل﴾

(شجو حساده وغيظ عداه * أن يرى مبصر ويسمع واعي)

البيت للبحتري من قصيدة من الخفيف يمدح بها المعتز بالله بن المتوكل على الله ويعرّض بالمستعين بالله أحمد ابن المعتصم أولها

لك عهد لديّ غير مضاع * بات شوقي طوعاله وراعي
وهوى كلما جرى منه دمع * آيس العاذلون من إقلاعي
لو توليت عنه خيف رجوعي * أو تجوزت فيه خيف ارتجاعي

إلى أن يقول في مديحها

يهب الوفد في أسرّة وجه * ساطع الضوء مستنير الشعاع
من جهير الخطاب يضعف فصلا * عند حالي تأمل واستماع

وبعده البيت وهي طويلة (والشاهد فيه) جعل الفعل مطلقا كناية عنه متعلقا بمفعول مخصوص وهو هنا يرى ويسمع فإنه كما قال التفتازاني رحمه الله تعالى نزلهما منزلة اللازم أي تصدر منه الرؤية والسماع من غير تعلق بمفعول مخصوص ثم جعلهما كنايتين عن الرؤية والسماع المتعلقين بمفعول مخصوص هو محاسنه وأخباره بادعاء الملازمة بين مطلق الرؤية ورؤية آثاره ومحاسنه وكذلك بين مطلق السماع وسماع أخباره للدلالة على أن آثاره وأخباره بلغت من الكثرة والاشتهار إلى حيث يمتنع خفاؤها فيبصرها كل راء ويسمعها كل واع بل لا يبصر الرائي إلا آثاره ولا يسمع الواعي إلا أخباره فذكر الملزوم وأراد اللازم على ما هو طريق الكناية ولا يخفى فوات هذا المعنى عند ذكر المفعول وتقديره لما في التغافل عن ذكره والإعراض عنه من الإيذان بأن فضائله يكفي فيها أن يكون ذو بصر وسمع حتى يعلم أنه المنفرد بالفضل
ومثله قول عمرو بن معدي كرب الزبيدي

فلو أن قومي أنطقتني رماحهم * نطقت ولكن الرماح أجرّت

يريد أن يثبت أنه كان من الرماح إجرار وحبس للألسن عن النطق بمدحهم والافتخار بهم حتى يلزم منه بطريق الكناية مطلوبه وهي أنها أجرّته أي شقت لسانه ومثله قول طفيل الغنوي

جزى الله خيرا جعفرا حين أزلقت * بنا نعلنا في الواطئين فزلت * أبوا أن يملونا ولو أن أمنا

الحمام المعروفة بحمام فيل ثم خرجوا فتغدوا عنده وركبوا تلك المهاليج والمقاريف والبغال والحمار والجارية ابن بدر الغداني وأبي الأسود وهما جالسان فقال أبو الأسود

لعمر أبيك ما حمام كسرى * على الثلثين من حمام فيل

(فقال حارثة)

ولا إيعافنا خلف الموالي * بسنتنا على عهد الرسول

(وروى) حبيب بن نصر المهلبي قال حج يزيد بن معاوية بالأخطل فاشتاق يزيد أهله فقال

بكى كل ذي شجو من الشام شاقه * تهام فأنى يلتقي الشجنان

وقال أجز يا أخطل فقال

يغور الذي بالشام أو ينجد الذي * يغور تهامات فيلتقيان

(وروى) عمر بن عبد الله العتكي عن الرقاشي عن أبي عبيدة قال كان حارثة ابن بدر بدير كوارا يتنزه فقال

ألم تر أن حارثة بن بدر * أقام بدير أبلق من كوارا

ثم قال للجند الذين كانوا معه من أجاز هذا البيت فله حكمه فقال رجل منهم على أن تجعل لي الأمان من غضبك وتجعلني رسولك إلى البصرة وتطلب لي النفل من الأمير قال ذلك لك ثم ردد عليه البيت فقال

مقيم يشرب الصهباء صرفا * إذا ما قلت تصرعه استدارا

فقال له حارثة لك شرطك

تلاقى الذى يلقون منا الملمات * هم خلطونا بالنفوس وألجأوا * الى حجرات أدفأت وأظلت

أراد ألجأونا وأدفأتنا وأظلتنا الا أنه حذف المفعول من هذه المواضع ليدل على مطاوبه بطريق الكناية

(والبحترى) هو الوليد بن عبيد بن يحيى ينتهى نسبه الى طيّ ويكنى أبا عبادة وهو شاعر فصيح فاضل حسن المشرب والمذهب نقيّ الكلام مطبوع وله تصرّف فى ضروب الشعر سوى الهجاء فان بضاعته فيه نزرة وجيده منه قليل وكان ابنه أبو الغوث يزعم أن السبب فى قلة بضاعته فى هذا الفن انه لما حضره الموت دعا به وقال له اجمع كل شئ قلته فى الهجاء ففعل فأمره باحراقه وكان البحترىّ يتشبه بأبى تمام فى شعره ويحذو حذو مذهبه وينحو نحوه فى البدائع التى كان أبو تمام يستعملها ويراه صاحبا واماما ويقدمه على نفسه ويقول فى الفرق بينه وبينه قول منصف ان جيد أبى تمام خير من جيده ووسطه ورديئه خير من وسط أبى تمام ورديئه وكذا هو حكم لنفسه وسئل أبو العلاء المعرى أيّ الثلاثة أشعر أبو تمام أم البحترى أم المتنبي فقال هما حكيمان والشاعر البحترى وقد شرح المعرى دواوين الثلاثة فسمى شرح ديوان أبى تمام ذكرى حبيب وشرح ديوان البحترىّ عبث الوليد وشرح ديوان المتنبي معجز أحمد (وحدّث) محمد بن يحيى قال سمعت عبد الله بن الحسين يقول للبحترىّ وقد اجتمعا فى دار عبد الله بالخلد وعنده المبرّد وذلك فى سنة ست وسبعين ومائتين وقد أنشد شعرا لنفسه قد كان أبو تمام قال فى مثله أنت والله أشعر من أبى تمام فى هذا الشعر قال كلا والله ان أبا تمام الرئيس والاستاذ والله ما أكلت الخبز الا به فقال له المبرّد لله درّك يا أبا الحسن وكان يكنى به أيضا فانك تأبى الا شرفا من جميع جوانبك (وحدّث) البحترى قال كان أوّل أمرى فى الشعر ونباهتى أن صرت الى أبى تمام وهو بحمص فعرضت عليه شعرى وكان الشعراء يعرضون عليه أشعارهم فأقبل علىّ وترك سائر من حضر فلما تفرقوا قال لى أنت أشعر من أنشدنى فكيف حالك فشكوت اليه خلة فكتب الى أهل معرة النعمان وشهد لى بالحذق فى الشعر وشفع لى اليهم وقال امتدحهم فسرت اليهم فأكرمونى بكتابه ووظفوا الى أربعة آلاف درهم فكانت أوّل مال أصبته (وحدّث) البحترى قال أوّل ما رأيت أبا تمام أنى دخلت على أبى سعيد محمد بن يوسف وقد مدحته بقصيدتى التى مطلعها

أأفاق صب من هوى فأفيقا * أو خان عهدا أو أطاع شفيقا

فسرّ بها أبو سعيد وقال أحسنت والله يا فتى وكان فى مجلسه رجل نبيل رفيع المجلس منه فوق كل من حضر فى مجلسه تكاد تمس ركبته ركبته فأقبل علىّ وقال يا فتى أما تستحيى منى هذا شعرى وتنتحله وتنشده بحضرتى فقال له أبو سعيد أحقا ما تقول قال نعم وانما علقه منى فسبقنى به اليك وزاد فيه ثم اندفع فأنشد أكثر القصيدة حتى شككنى علم الله فى نفسى وبقيت متحيرا فأقبل علىّ أبو سعيد فقال لى يا فتى لقد كان فى قرابتك منا وودّك لنا ما يغنيك عن هذا فجعلت أحلف بكل محرجة من الأيمان ان الشعر لى وما سبقنى اليه أحد ولا سمعته ولا انتحلته فلم ينفع ذلك شيأ وأطرق أبو سعيد وقطع بى حتى تمنيت انى سخت فى الارض فقمت منكسر البال أجرّ رجلىّ فخرجت فما هو الا أن بلغت باب الدار حتى خرج الغلمان فردّونى فأقبل علىّ الرجل فقال الشعر لك يا بنىّ والله ما قلته قط ولا سمعته الا منك ولكنى ظننت انك تهاونت بموضعى فأقدمت على الانشاد بحضرتى من غير معرفة كانت بيننا تريد بذلك مضاهاتى ومكاثرتى حتى عرّفنى الامير نسبك وموضعك ولوددت أن لا تلد طائية الا مثلك وجعل أبو سعيد يضحك فدعانى أبو تمام فضمنى اليه وعانقنى وأقبل يقرظنى ولزمته بعد ذلك وأخذت عنه واقتديت به ثم ان البحترىّ اختص بأبى سعيد وكان مداحا له طول أيامه ولابنه من بعده ورثاهما بعد مقتلهما وأجاد مراثيه فيهما أجود من مدائحه وروى أنه قيل له فى ذلك فقال من تمام الوفاء أن تفضل المراثى المدائح لا كما قال الآخر * وقد سئل عن ضعف مراثيه فقال كنا نعمل للرجاء ونحن الآن نعمل للوفاء وبينهما بعد وكان البحترى من أوسخ خلق الله ثوبا وآلة وأبخلهم على كل شئ وكان له أخ وغلام معه فى داره فكان يقتلهما جوعا فاذا بلغ منهما الجوع أتياه يبكيان فيرمى اليهما بثمن أقواتهما مضيقا مقترا ويقول كلا أجاع الله أكبادكما وأعرى أجلادكما وأطال اجتهادكما

ولو كنت قلت لنا قولا تسرّنا لسررناك (وروى) أبو روح الراسبى قال لما ولى خالد بن عبد الله القسرىّ مالك بن المنذر شرطة البصرة قال الفرزدق

يبغض فينا شرطة المصر أننى رأيت عليها مالكا اثر الكلبى

قال فقال مالك علىّ به فبلغه فقال

أقول لنفسى اذ تغص بريقها ألا ليت شعرى ما لها عند مالك

فنسج مالك على طرازه وقال

لها عنده أن يرجع الله ريقها اليها وتنجو من عظيم المهالك

قال الفرزدق هذا أشعر الناس أو ليعودنّ مجنونا يصيح به الصبيان فكان كما قال (وروى) أن عبد العزيز ابن عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه خرج وهو أمير المدينة ومعه عبد الله ابن الحسن فنزلوا تحت سرحة وتغدوا وأخذ عبد الله حجرا وكتب به على ساق السرحة يقول

خبرينا خصصت بالغيث يا سرح بصدق فالصدق فيه شفاء

فأخذ عبد العزيز الحجر وكتب تحته

هل يموت المحبّ من ألم الحب ويشفى من الحبيب اللقاء

ثم ركبوا دوابهم ومضوا غير بعيد فاذا السماء قد أقبلت عليهم فرجعوا مسرعين الى السرحة فأصابوا تحت ما كتبوا

ان جهلا سؤالك السرح عما ليس يوما به عليك خفاء

(وحدث) محمد بن بحر الاصبهانى الكاتب قال دخلت على البحترى يوما فاحتبسنى عنده ودعا بطعام له ودعانى اليه فامتنعت من أكله وعنده شيخ شامى لا أعرفه فدعاه الى الطعام فتقدم فأكل معه أكلا عنيفا فغاظه ذلك ثم انه التفت الى فقال لى أتعرف هذا الشيخ قلت لا قال هذا شيخ من بنى الهجيم الذين يقول فيهم الشاعر

وبنو الهجيم قبيلة ملعونة * حمر اللحى متناسبو الالوان

لو يسمعون بأكلة أوشربة * بعمان أضحى جمعهم بعمان

قال فجعل الشيخ يشتمه ونحن نضحك ومن شعره يهجو انسانا فى لسانه حبسة

أنت كما قد علمت مضطرب الـ * هيئة والقد ظاهر الخلف

ورنة تحت غنة قدرت * من هالك الراء دامر الالف

كأن فى فيه لقمة عقلت * لسانه فالتوى على حنف

محرك رأسه توهمه * قد قام من عطسة على شرف

وهو بليغ التشبيه فى معناه وأنشد البحترى شيأ من شعر أبى سهل بن نوبخت فجعل يحرك رأسه فقيل له ماتقول فيه فقال هو يشبه مضغ الماء ليس له طعم ولا معنى وقد نظمت هذا الغرض عرض لى فقلت

رب خذ للشعر من زمر * أسمعونا منه ما أضنى مثل طعم الماء ليس له * فى فم طعم ولا معنى

ورأيت بعد ذلك بيتا آخر فى المعنى وهو

حديث مثل لعق الماء بحتا * وليس لعق بحت الماء طعم

والبحت بالمثناة فوق الصرف وذكرت بأبيات البحترى فى الحبسة مانظمته قديما وهو

ان قال شعرا خلته * علكا قويا دعلك وان شدا فصوته * صوت دجاج يمسك

واجتازت جارية بالمتوكل معها كوز ماء وهى أحسن من القمر فقال ما اسمك قالت برهان قال ولمن هذا الماء قالت لستى قبيحة قال صبيه فى حلقى فشربه عن آخره ثم قال للبحترى قل فى هذا شيأ فقال

ماقهوة من رحيق كأسها ذهب * جاءت بها الحور من جنات رضوان

يوما بأطيب من ماء بلا عطش * شربته عبثا من كف برهان

(وحدث) أبو الغوث ابن البحترى قال كتبت الى أبى يوما أطلب منه نبيذا فبعث الى بنصف قنينة دردى وكتب الى دونكها يابنى فانها تكشف القحط وتقوت الرهط (وحدث) جحظة قال سمعت البحترى يقول كنت أتعشق غلاما من أهل منبج يقال له شقران فاتفق لى سفر خرجت فيه وأطلت الغيبة ثم عدت وقد التحى فقلت فيه وكان أول شعر قلته

نبتت لحية شقرا * ن شقيق النفس بعدى حلقت كيف أتته * قبل أن ينجز وعدى

(وحدث) جحظة قال كان نسيم غلام البحترى الذى يقول فيه

دعا عبرتى تجرى على الجور والقصد * أظن نسيما فارق الهجر من بعدى

خلا ناظرى من طيفه بعد شخصه * فوا عجبا للدهر فقدا على فقد

غلاما روميا ليس بحسن الوجه وكان قد جعله بابا من أبواب الحيل على الناس فكان يبيعه ويعتمد أن يصير الى ملك بعض أهل المروآت ومن ينفق عنده الأدب فاذا حصل فى ملكه شبب به وتشوقه ومدح مولاه حتى يهبه له فلم يزل ذلك دأبه حتى مات نسيم فكفى الناس أمره وقد قال ابن نباتة المصرى مشيرا الى ذلك

وغانية توافقنى اذا ما * صبوت لها اذا العقل السليم

وأعذران بكيت على رياض * بكاء البحترى على نسيم

(وحدث) الاخفش قال كتب البحترى الى محمد بن القاسم القمى يستهديه نبيذا فبعث اليه نبيذا مع غلام له أمرد فخمشه البحترى فغضب الغلام غضبا شديدا ظن البحترى انه سيخبر مولاه بما جرى فكتب اليه

أبا جعفر كان تخميشنا * غلامك احدى الهنات الدنيه

ليس العاشق المحب من العشـ * ق سوى لذة الوصال دواء

(حدث) المدائنى قال وهب نصر بن سيار لابى عطاء السندى جارية فبات معها فلما أصبح غدا على نصر فقال له كيف كانت ليلتك معها قال كان بينى وبينها ماشرد منامى وقضى مرامى قال فهل قلت فى ذلك شعرا قال نعم وأنشد

ان النكاح وان هزلت لصالح * خلف العينى من لذيذ المرقد

(فقال نصر)

ذاك الشفاء فلا تظنن غيره * ليس المجرب مثل من لم يشهد

(وروى) زحر بن حصن قال خرجنا من مكة مع المنصور فى زمان صائف فلما كان بزبالة ركب نجيبا والشمس تلعب بين عينيه وعليه جبة وشى فالتفت الينا وقال انى قائل بيتا فمن أجازه فله جبتى هذه فلنا يقول أمير المؤمنين فأنشد

وهاجرة نصبت لها جبينى * يقطع حرها ظهر العظايه

(فبدر بشار فقال)

وقفت لها القلوص ففاض دمعى * على خدى وأسعد واعظايه

فخرج له عن الجبة ثم لقيته فذكر أنه باعها بخمسمائة دينار وقد ذكرها الصولى فى كتاب الاوراق على غير هذا السياق (وروى) أن رسول علية بنت المهدى أوعائشة بنت الرشيد خرج يوما الى الشعراء فقال تقرئكم

بعثت

بعثت الينا بشمس المدام * تضئ لنا مع شمس البريه
فليت الهدية كان الرسول * وليت الرسول الينا الهديه

فبعث محمد بن القاسم بالغلام اليه هدية فانقطع البحترى بعد ذلك عنه مدة تحلا مما جرى فكتب اليه محمد ابن القاسم

هجرت كأن البر أعقب حشمة * ولم أر برا قبل ذا أعقب الهجرا

فقال فيه قصيدة يمدحه

انى هجرتك اذ هجرتك حشمة * لا العود يذهبها ولا الابداء
أخجلتنى بندا يديك فسودت * ما بيننا تلك اليد البيضاء
وقطعتنى بالبر حتى اننى * متوهم أن لا يكون لقاء
صلة غدت فى الناس وهى قطيعة * عجب وبر راح وهو جفاء
ليواصلنك ركب شعر سائر * يرويك فيه لحسنه الاعداء
حتى يتم لك الثناء مخلدا * أبدا كما تمت لك النعماء
فتظل تحسدك الملوك الصيد بى * وأظل تحسدنى بك الشعراء

(وحدث) البحترى قال أنشدت أبا تمام شيأ من شعرى فتمثل ببيت أوس بن حجر

اذا مقدم منا ذوى حد نابه * تخمط منا ناب آخر مقدم

ثم قال لى نعيت والله الى نفسى فقلت أعيذك بالله من هذا القول فقال ان عمرى لن يطول وقد نشأ فى طيء مثلك أما علمت ان خالد بن صفوان رأى شبيب بن شيبة وهو بين رهطه يتكلم فقال يا بنى لقد نعى الى نفسى احسانك فى كلامك لانا أهل بيت ما نشأ فينا خطيب قط الا مات الذى من قبله قلت بل يبقيك الله ويجعلنى فداءك قال ومات أبو تمام رحمه الله بعد سنة (وحدث) أبو عنبس الصيمرى قال كنت عند المتوكل والبحترى ينشده قوله

عن أى ثغر تبتسم * وبأى طرف تحتكم

حتى بلغ الى قوله فيه

قل للخليفة جعفر الـ * ـمتوكل بن المعتصم
والمجتدى ابن المجتدى * والمنعم بن المنتقم
أسلم لدين محمد * فاذا سلمت فقد سلم

قال وكان البحترى من أبغض الناس انشادا يتشادق ويتزاور فى مشيته مرة جانبا ومرة القهقرى ويهز رأسه مرة ومنكبه أخرى ويشير بكمه ويقف عند كل بيت ويقول أحسنت والله ثم يقبل على المستمعين فيقول مالكم لا تقولون لى أحسنت هذا والله مما لا يحسن أحد أن يقول مثله فضجر المتوكل من ذلك وأقبل على فقال أما تسمع ما يقول يا صيمرى فقلت بلى يا سيدى فرنى فيه بما أحببت فقال بحياتى أهجه على هذا الروى الذى أنشدنيه فقلت تأمر ابن حمدون أن يكتب ما أقول فدعا بدواة وقرطاس وحضرنى على البديهة

أدخلت رأسك فى الحرم * وعلمت انك تنهزم
يا بحترى حذار ويـ * ـحك من قضاقصة ضغم
فلقد أسلت بوالديـ * ـك من الهجا سيل العرم
فبأى عرض تعتصم * وبهتكه جف القلم
والله حلفة صادق * وبقبر أحمد والحرم
وبحق جعفر الاما * م ابن الامام المعتصم
لأصيرنك شهرة * بين المسيل الى العلم

فى أبيات أخر من هذا النمط قال فخرج مغضبا يعدو وجعلت أصيح به

أدخلت رأسك فى الحرم * وعلمت أنك تنهزم

والمتوكل يضحك ويصفق بيديه حتى غاب عنه وأمر لى بالصلة التى أعدت للبحترى وقال أحمد بن يزيد حدثنى أبى قال جاءنى البحترى فقال لى يا أبا خالد أنت عشيرى وابن عمى وصديقى وقد رأيت ما جرى على أفترى ان أخرج الى منبج بغير اذن فقد ضاع العلم وهلك الادب فقلت له لا تفعل من هذا شيأ فان علما بأن الملوك تمزح بأكثر من هذا ومضيت معه الى الفتح بن خاقان فشكا اليه ذلك فقال له نحوا من قولى ووصله

سيدتى السلام وتقول من أجاز هذا البيت منكم فله مائة دينار فقالوا وما هو فأنشد

أبلى نوالا وجودى لنا * فقد بلغت نفسى الترقوه

فبدرهم مسلم بن الوليد الصريع فقال

وانى كالدلو فى حبكم * هويت اذا انقطعت عرقوه

فخرجت له المائة دينار (وروى) محمد بن حسن الحاتمى عن أبى العيناء عن العتبى قال دخل يحيى بن خالد بستان داره ومعه جاريته دنانير فرأى بهجة الورد على شجره فقال أجيزى

الورد أحسن منظرا * فتمتعوا بالحظ منه

(فقالت مسرعة)

فاذا انقضت أيامه * ورد الخدود ينوب عنه

فاستحسن ذلك منها وأهدى لها جمالا جزيلا بعد أن قبل خدها (وروى) الحسن ابن الضحاك قال كنت أمشى مع أبى العتاهية فمررنا بمقبرة فاذا امرأة تبكى ولدا لها فقال أبو العتاهية

فما تنفك باكية بعين * غزير دمعها كمدا حشاها

أجز يا حسن فقلت

تنادى حفرة أعيت جوابا * فقد ولهت وصم بها صداها

(وروى) أن أبا نواس دخل على عنان جارية الناطفى فى بعض أيام الربيع فقال أجيزى

وخلع عليه وسكن منه فسكن الى ذلك وقد ذكرت بحال البحترى فى انشاده فصلا ذكره الصاحب بن عباد فى وصف أبى الحسن المنجم الشاعر فأحببت اثباته وهو لما قتل المتوكل قال أبو العنبس الصيمرى يرثيه

يا وحشة الدنيا على جعفر * على الهمام الملك الازهر
على قتيل من بنى هاشم * بين سرير الملك والمنبر
والله رب البيت والمشعر * والله لو أن قتل البحترى
لثار بالشام له ثائر * فى ألف بغل من بنى عصفر
يقدمهم كل أخى ذلة * على حمار دبر أعور

فشاعت الابيات حتى بلغت البحترى فضحك ثم قال هذا الاحمق الاعور يرى انى أجيبه عن مثل هذا ولو عاش امرؤ القيس فقال مثل هذا القول لم أجبه وقال أبو العباس بن طومار كنت أنادم المتوكل ومعنا البحترى وبين يديه غلام اسمه راح حسن الوجه فقال المتوكل يا فتح ان البحترى يعشق راحا فنظر اليه الفتح وأدمن النظر فلم يره ينظر اليه فقال الفتح يا أمير المؤمنين أرى البحترى فى شغل عنه فقال ذاك دليل عليه يا راح خذ قدحا بلورا واملأه شرابا وناوله اياه فلما ناوله بهت البحترى ينظر اليه فقال المتوكل كيف ترى ثم قال يا بحترى قل فى راح شعرا ولا تصرح باسمه فقال

جاز بالود فتى أمسى رهينا بك مدنف * اسم من أهواه فى شعرى مقلوب مصحف

وقال الصولى سمعت عبد الله بن المعتز يقول لو لم يكن للبحترى الا قصيدته السينية فى وصف ايوان كسرى فليس للعرب سينية مثلها وقصيدته فى وصف البركة لكان أشعر الناس فى زمانه والقصيدة السينية أولها

صنت نفسى عما يدنس نفسى * وترفعت عن جدا كل جنس

الى أن قال فيها

وكأن الايوان من أعجب الصنعة * جوب فى جنب أرعن جلس
يتظنى من الكآبة أن يبدو * لعينى مصبح أو ممسى
مزعجا بالفراق عن انس الف * عز أو مرهقا بتطليق عرس
عكست حظه الليالى وبات الـ * مشترى فيه وهو كوكب نحس
فهو يبدى تجلدا وعليه * كلكل من كلاكل الدهر مرسى
لم يعبه ان بز من بسط الديـ * باج واستل من ستور الدمقس
مشمخر تعلو له شرفات * رفعت فى رؤس رضوى وقدس
ليس تدرى أصنع انس لجن * سكنوه أم صنع جن لانس
غير أنى أراه يشهد أن لم * يك بانيه فى الملوك بنكس

(وحدث) الاخفش قال سألنى القاسم بن عبيد الله عن خبر البحترى وقد كان اسكت ومات بتلك العلة فأخبرته بوفاته وانه مات بالسكتة فقال ويحه رمى فى أحسنه * وقد جمع الصولى ديوانه ورتبه على الحروف وجمعه ابن حمزة ورتبه على الانواع وقد جمع البحترى كتاب الحماسة كما فعل أبو تمام وله كتاب معانى الشعر وعاش ثمانين سنة وانتقل فى آخر عمره الى الشأم وتوفى بمنبج سنة ثلاث وقيل سنة أربع وقيل خمس وثمانين ومائتين رحمه الله تعالى

(ولو شئت أن أبكى دما لبكيته * عليه ولكن ساحة الصبر أوسع)

البيت للخزيمى من قصيدة من الطويل يرثى بها أبا الهيذام وأولها

قضى وطرا منك الحبيب المودع * وحل الذى لا يستطاع فيدفع

الى أن قال فيها

وأعددته ذخرا لكل ملمة * وسهم الرزايا بالذخائر مولع
وانى وان أظهرت منى جلادة * وصانعت أعدائى عليه لموجع

كل يوم عن أقحوان جديد
تضحك الارض من بكاء السماء
(فقالت مسرعة)
فهو كالوشى من ثياب عروس
جلبتها التجار من صنعاء
(قال على بن ظافر) والبيت الاول أظنه لابن مطير من قصيدة الا أنه منسوب فى الموضع الذى نقلت منه الى أبى نواس فأوردته كما وجدته (وروى) أنه دخل عليها يوما وهى تبكى وقد كان مولاها ضربها فقال
بكت عنان فجرى دمعها
كاللؤلؤ ينسل من خيطه
(فقالت)
فليت من يضربها ظالما
تجف يمناه على سوطه
(وقد روى) أبو الفرج الاصبهانى هذه الحكاية عن مروان بن أبى حفصة وانه الذى استجازها البيت الاول (وروى) محمد بن الاشعث قال قال دعبل بن على الخزاعى مررت أنا ورزين العروضى بقوم من بنى مخزوم فلم يقرونا فقلت فيهم
عصابة من بنى مخزوم بت بهم
بحيث لا تطمع المسحاة فى الطين
ثم قلت لرزين أجز فقال
فى مضغ أعراضهم من خبزهم عوض
بنو النفاق وآباء الملاعين
قال ابن الاشعث وكان هذا أقوى الاسباب فى مهاجاته

ملكت دموع العين حتى رددتها * الى ناظرى اذ أعين القلب تدمع

و بعده البيت والساحة الفضاء بين الدور (والشاهد فيه) ذكر المفعول وهو دما لكون تعلق فعل المشيئة بغريبا وقد تفنن الشعراء فى بكاء الدم وتشعبت مسالكهم فى ايراده فمن ذلك قول أبى القاسم بن كيكس

بكيت دما حتى بقيت بلا دم * بكاء فتى فرد على سكن فرد
أأبكى الذى أهواه بالدمع وحده * لقد جل قدر الدمع فيه اذا عندى

(وقول الشريف الرضى)

و يوم وقفنا للوداع فكلنا * يعد مطيع الشوق من كان أحزما
فصرت بقلب لا يعنف فى الهوى * وعين متى استمطرتها أمطرت دما

(ومثله قول مهيار الديلمى)

بكيت على الوادى فحرمت ماءه * وكيف يحل الماء أكثره دم

(وقول أبى الحسين الباخرزى)

عجبت من دمعى وعينى * من قبل بين و بعد بين
قد كان عينى بغير دمع * فصار دمعى بغير عين

ومثله قول مؤلفه فى مطلع قصيدة

أوّاه من دمع بلا عين * يجرى على الخدين من عينى

وما أحسن قول بعضهم

ولما التقينا للوداع عشية * وقد راعها صبرى لدى موقف البين
أتت بصحاح الجوهرى دموعها * فعارضت من دمعى بمختصر العين

ولابى الفتح البكتمرى قالوا بكيت دما فقلت مسحت من خدى خلوقا

أبصرت لؤلؤ ثغره * فنثرت من جفنى عقيقا
لولا التمسك بالهوى * لجلت من دمعى غريقا

ولابن حمديس غشيت بحجرها دموعى حمرا * وهى من لوعة الهوى تتحدر
فاتزرت بالشهيق خوفا وظنت * حب رمان صدرها قد تنثر
قلت عند اختبارها بيديها * ثمرا صانه جيب مزرر
لم يكن ما ظننت حقا ولكن * صبغة الوجد صبغ دمعى أحمر

وهو ينظر الى قول المنازى يصف واديا

وقانا لفحة الرمضاء واد * سقاه مضاعف الغيث العميم
نزلنا دوحه فحنا علينا * حنوّ المرضعات على الفطيم
وأرشفنا على ظمأ زلالا * أرق من المدامة للنديم
يصد الشمس أنى واجهتنا * فيحجبها و يأذن للنسيم
يروع حصاه حالية العذارى * فتلمس جانب العقد النظيم

أردت البيت الاخير وقد قلب الشيخ بدر الدين بن الصاحب غالب هذه الابيات هجوا فى حمام فقال

وحمام قليل الماء داج * وفيه ألف شيطان رجيم
ولا غير المزاحم من رفيق * ولا غير المدافع من حميم
طلبنا ماءه فحنا علينا * حنوّ المرضعات على الفطيم
ونقطنا برشح بعد رشح * كمص من أباريق النديم
يصد الحر عنا فى شتاء * فيحجبه و يأذن للنسيم
يروع بهوله من حل فيه * فيحسب انه هول الجحيم

رجع الى وصف الدمع ولابى بكر الخالدى فيه

لابى سعيد المخزومى (وروى) لنا أن العباس بن الاحنف دخل على الذلفاء جارية ابن طرخان فقال لها أجيزى

أهدى له أحبابه اترجة * فبكى وأشفق من عيافة زاجر

(فقالت ارتجالا)

خاف التلون فى الوداد لانها * لونان باطنها خلاف الظاهر

فجن استحسانا وحلف لها وكانت تعزه ان ادعته ما دخل دارها فتركته له فاستلحقه (وذكر) ابن القيسى فى كتاب النباهة قال دخل أبو السمراء على نخاس فسمع بكاء من داخل البيت وقائلة

وكنا كزوج من قطا فى مفازة * لدى خفض عيش مونق معجب رغد
أصابهما ريب الزمان فأفردا * ولم نر شيأ قط أوحش من فرد

فقال للنخاس أخرجها فقال ان صاحبها مات وهى شعثة مغبرة قال فخرجت فقال لها قولى فى معنى هذا قالت أى معنى قال فى معنى هذين البيتين اللذين تمثلت بهما فقالت

وكنا كغصنى بانة وسط روضة * نشم جنى الجنات فى عيشة رغد
فأفرد هذا الغصن من ذاك قاطع * فيا فردة باتت تحن الى فرد

فكتب الى عبد الله بن طاهر بخبرها فكتب ان أجازت هذا البيت فاشترها وهو

بكى الى غداة البين حين رأى * دمعي يفيض وحالي حال مبهوت
فدمعه ذوب ياقوت على ذهب * ودمعه ذوب در فوق ياقوت

وللوأواء الدمشقي في معناه

كل دمع فبالتكلف يجرى * غير دمع المحب والمهجور
ورد البين دمع عيني فأضحى * كعقيق أذيب في بلور

وله أيضا في مثل ذلك

فامزج بمائك نار كاسك واسقني * فلقد مزجت مدامعي بدمائي

ولابن نباتة المصري يا غزال الارنا وغصنا تثنى * وهلالا سما وصبحا أنارا
كان دمعي على هواك لجينا * فأحالته نار قلبي نضارا

وما أبدع قوله بعده مع حسن التضمين

حلية لا أعيرها لمحب * شغل الحلي أهله أن يعارا

ولابن قلاقس مضى معهم قلبي فلله دره * لقد سرني اذ مر مع من يسره
وأطول من هجر الحبيب وصبوتي * ويوم النوى ليلي وهمي وشعره
وليس دما ماء الجفون وانما * فؤادي بماء الدمع قد ذاب جمره

وما أحسن قول أسعد بن ابراهيم بن أسعد بن بليطة

ظلت به والدموع جارية * أقبل الخد منه والليتا
تقطر درا حتى اذا وردت * روضة خديه عدن ياقوتا

وقوله أيضا ليس ليوم البين عندي سوى * مدامع تجريها سحب
كأنما فض بأجفانها * رمانة فانتثر الحب

وللطوعي أيضا لما استقلت بهم عير النوى أصلا * وشتتهم صروف البين تشتيتا
جعلت أنظم في وصف النوى درا * والعين تنثر من دمعي يواقيتا

وما أحسن قول المسعودي

قالت عهدتك تبكي * دما حذار التنائي * فالعينك جادت * بعد الدماء بماء
فقلت ماذاك مني * لسلوة وعزاء * لكن دموعي شابت * من طول عمر بكائي

وهو يشبه قول القائل أيضا

قالوا ودمعي قد صفا لفراقهم * انا عهدنا منك دمعا أحمرا
فأجبتهم ان الصبابة عمرت * فيكم وشاب الدمع لما عمرا

وأحسن منه قول الآخر

وقائلة ما بال دمعك أبيضا * فقلت لها يامى هذا الذي بقي
ألم تعلمي أن النوى طال عمره * فشابت دموعي مثل ما شاب مفرقي

ومثله أيضا قول ابن الغويرة

كانت دموعي حمرا قبل بينهم * فمذ أواقصرتها لوعة الحرق
قطفت للحظ وردا من خدودهم * فاستقطر البعد ماء الورد من حدقي

ومثله قول محمد بن هبة الله الشهير بأبي دلف الكاتب ويروى لعبد الكافي اليهودي الهاروني

يامن يقرب وصلي منه موعده * لولا عوائق من خلف تباعده
لا تحسبن دموعي البيض غير دمي * وانما نفسي الحامي يصعده

وقول أبي القاسم بن العطار بديع وهو

هذا
بعيد وصل بديع صد
جعلته في الهوى ملاذا
(فقالت مسرعة)
فعاتبوه فزاد شوقا
فمات عشقا فكان ماذا
فاشتراها أبو السمراء فماتت من الغد (وروى) ابراهيم ابن محمد اليزيدي قال كنت عند المأمون يوما وبحضرته غريب فقال لي على سبيل الولع والعبث يا سعاوس وكانت جواري المأمون يلقنني بها عبثا فقلت
قل لغريب لا تكوني مسعاسه
وكوني كنتريف وكوني كمونسه
قال فبدرني المأمون فارتجل
فان كثرت منك الاقاويل لم يكن
هنالك شك أن ذا منك وسوسه
فقلت له كذا والله يا أمير المؤمنين أردت أن أقول وعجبت من ذهن المأمون وجودة طبعه (وأنبأنا الفقيه) أبو محمد عبد الخالق المسكي عن السلفي قال أنبأنا أبو محمد جعفر بن أحمد بن السراج اللغوي وابن بعلان الكبير قالا أنبأنا أبو نصر عبد الله ابن سعيد السجستاني الحافظ قال أخبرنا أبو يعقوب النجيرمي حدثنا ابن سيف قال حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي أبي أحمد بن محمد اليزيدي قال واللفظ من رواية أخرى

ماأدمعي تهمل سحا انما * هي مهجتي سالت من الآماق

وهذا الباب واسع جدا وفيما أوردناه مقنع (وأبو الهيذام المرثي هنا) هو عامر بن عمارة بن خزيم وهو والد المحدث موسى بن عامر صاحب الوليد بن مسلم وراوي كتبه وكان أمير عرب الشام وزعيم قيس وفارسها المشهور وهو قائد العرب المضرية في الفتنة العظمى الكائنة بدمشق بين القيسية واليمانية في دولة الرشيد وهي التي من أجلها قال الرشيد لجعفر بن يحيى البرمكي ليس لهذا الامر الا أنا وأنت فاما أن تتوجه أو أتوجه أنا فمضى جعفر الى الشام وأخمد الفتن وكان قد خرج على الرشيد لكونه قتل أخاه فظفر به وحمل اليه مقيدا فلما مثل بين يديه أنشده أبياتا يستعطفه بها منها

فأحسن أمير المؤمنين فانه * أبى الله الا أن يكون لك الفضل

فمنّ عليه وعفا عنه ومن شعره في أخيه

سأبكيك بالبيض الرقاق وبالقنا * فان بها مايطلب الماجد الوترا
ولست كمن يبكي أخاه بعبرة * يعصرها في جفن مقلته عصرا
وانا أناس ماتفيض دموعنا * على هالك منا وان قصم الظهرا

وقيل انه توفي سنة اثنتين وثمانين ومائة (والخزيمي) هو اسحق بن حسان ويكنى بأبي يعقوب وهو من العجم وكان مولى ابن خزيم الذي يقال لابيه خزيم الناعم وهو خزيم بن عمرو من بني مرة بن عوف بن سعيد بن ذبيان وكان لخزيم ابن يقال له عمارة ولعمارة ابنان يقال لهما عثمان وأبو الهيذام وفي عثمان هذا يقول الخزيمي

جزى الله عثمان الخزيمي خيرما * جزى صاحبا جزل المواهب مفضلا
كفى جفوة الاخوان طول حياته * وأورث مما كان أعطى وأخولا

وكان عظيم القدر وأحد القواد وعمي الخزيمي بعد ما أسنّ وكان يقول في ذلك فمنه قوله

فان تك عيني خبا نورها * فكم قبلها نور عيني خبا * فلم يعم قلبي ولكنما
أرى نور عيني اليه سرى * فأسرج فيه الى نوره * سراجا من العلم يشفي العمى

وأخذ هذا من قول حبر الامة عبد الله بن العباس بن عبد المطلب وكان عمي فقال

ان يأخذ الله من عينيّ نورهما * ففي لساني وقلبي منهما نور
قلبي ذكيّ وعقلي غير ذي دخل * وفي فمي صارم كالسيف مأثور

وكان أبو يعقوب الخزيمي متصلا بمحمد بن منصور بن زياد كاتب البرامكة وله فيه مدائح جياد ثم رثاه بعد موته فقيل له يا أبا يعقوب مراثيك لآل منصور بن زياد أحسن من مدائحك وأجود فقال كنا يومئذ نعمل على الرجاء ونحن الآن نعمل على الوفاء وبينهما بون بعيد وهو القائل في عمى عينيه

أصغي الى قائدي ليخبرني * اذا التقينا عمن يحييني * أريد أن أعدل السلام وان
أفصل بين الشريف والدون * أسمع مالا أرى فأكره أن * أخطئ والسمع غير مأمون
لله عيني التي فجعت بها * لو أن دهرا بها يواتيني * لو كنت خيرت ما أخذت بها
تعمير نوح في ملك قارون * حق أخلاي أن يعودوني * وأن يعزوا عيني ويبكوني

وهو القائل أيضا

اذا مامات بعضك فابك بعضا * فان البعض من بعض قريب
عيني الطبيب شفاء عيني * وهل غير الاله لها طبيب

ومن جيد شعره قوله

الناس أحلامهم شتى وان جبلوا * على تشابه أرواح وأجساد * للخير والشرّ أهل وكلوا بهما
كل له من دواعي نفسه هادي * منهم خليل صفاء ذو محافظة * أرسى الوفاء أواخيه بأوتاد
ومشعر الغدر محنيّ أضالعه * على سريرة غمر غلها بادي * مشاكس خدع جم غوائله
يبدي الصفاء ويخفي ضربة الهادي * يأتيك بالبغي في أهل الصفاء ولا * يبغيك يسعى باصلاح لافساد

قريب من لفظ هذا الاسناد قال دعا المعتصم أخاه المأمون ذات يوم الى داره فأتاه فأجلسه في بيت على سقفه جامات فوقع ضوء الشمس من وراء تلك الجامات على وجه سيما التركي غلام المعتصم وكان أحسن تركي على وجه الارض وكان المعتصم أوجد خلق الله به فصاح المأمون لاحمد بن محمد اليزيدي فقال انظر ويلك الى ضوء الشمس على وجه سيما أرأيت أحسن من هذا قط وقد قلت

قد طلعت شمس على شمس
فزالت الوحشة بالانس

فأجز فقال أحمد

قد كنت أشني الشمس من
قبل ذا
فصرت أرتاح الى الشمس

ففطن المعتصم فعض شفته لاحمد فقال أحمد للمأمون والله يا أمير المؤمنين ان لم يعلم الامير حقيقة الامر منك لا قعن معه فيما أكره فدعاه المأمون فأخبره الخبر فضحك المعتصم فقال له المأمون كثر الله يا أخي في غلمانك مثله انما استحسنت شيأ جرى ما سمعت لاغير * وقد وقعت لنا هذه الحكاية باسناد أخصر من هذا عن ابن سيف هو مذكور في اجازة قسيم بقسيم (وحكى) صاحب كتاب المقتبس أن الامير عبد الرحمن بن الحكم بن هشام صاحب الاندلس خرج في بعض

ومن جيد شعره أيضا قوله

أضاحك ضيفى قبل انزال رحله * ويخصب عندى والمحل جديب

وما الخصب للاضياف أن يكثر القرى * ولكنما وجه الكريم خصيب

وهو القائل

وان أشد الناس فى الحشر حسرة * لمورث مال غيره وهو كاسبه

كفى سفها بالكهل أن يتبع الصبا * وأن يأتى الامر الذى هو عائبه

وهو القائل أيضا

ما أحسن الغيرة فى حينها * وأقبح الغيرة فى كل حين

من لم يزل متهما عرسه * مناصبا فيها لريب الظنون

أوشك أن يغريها بالذى * يخاف أن يبرزها للعيون

حسبك من تحصينها وضعها * منك الى عرض صحيح ودين

لا تطلع منك على ريبة * فيتبع المقرون حبل القرين

﴿ولم يبق منى الشوق غير تفكرى * فلو شئت أن أبكى بكيت تفكرا﴾

البيت لابى الحسن على بن أحمد الجوهرى من قصيدة من الطويل والشوق نزاع النفس وحركة الهوى (والشاهد فيه) أن عدم حذف المفعول فيه لانتفاء القرينة لا لغرابة المفعول لان المراد بالبكاء الاول فى البيت البكاء الحقيقى لا الفكرى فكأنه يقول أفنانى الشوق فلم يبق منى غير التفكر فلو شئت البكاء وعصرت عينى ليسيل دمعها لم يخرج منها دمع وخرج بدله التفكر فالبكاء الذى أراد ايقاع المشيئة عليه بكاء مطلق مبهم غير معدى الى الفكر البتة والبكاء الثانى مقيد معدى الى التفكرة لا يصلح تفسيرا للاول وبيانا كذا قاله التفتازانى نقلا عن دلائل الاعجاز (والجوهرى) هو ٣ بياض بالاصل

﴿وكم ذدت عنى من تحامل حادث * وسورة أيام حززن الى العظم﴾

البيت للبحترى من قصيدة من الطويل يمدح بها أبا الصقر وأولها

أعن سفه يوم الابيرق أم حلم * ووقوف بربع أو بكاء على رسم

وما يعذر الموسوم بالشيب أن يرى * معار لباس للتصابى ولا وسم

تخبر أيامى الحديثات انى * تركت السرور عند أيامى القدم

وأولعت بالكتمان حتى كأننى * طويت على ضغن من الدين أو وغم

فان تلقنى نضو العظام فانها * جريرة قلبى منذ كنت على جسمى

وهى طويلة فمنها فى المديح

كأنك من جذم من الناس مفرد * وسائر من يأتى الدنيات من جذم

كأنا عدونا ملتقى ما تقاربت * بنا الدار الا ازدغرمك فى غمى

وبعده البيت وبعده أحارب قوما لا أسر بسوئهم * ولكننى أرمى من الناس من ترمى

والذود الطرد والدفع والتحامل تكليف الامر المشق يقال تحامل على فلان اذا كلفه ما لا يطاق وسورة الايام شدتها وصولتها واعتداؤها والحز القطع (والشاهد فيه) حذف المفعول لدفع توهم ارادة غير المراد من الكلام ابتداء وهو هنا اللحم اذ لو ذكرلتوهم قبل ذكر العظم أن الحز لم ينته اليه فترك دفعا لهذا الوهم وتقدم ذكر البحترى قريبا

﴿قد طلبنا فلم نجد لك فى السؤ * دد والمجد والمكارم مثلا﴾

البيت للبحترى من قصيدة من الخفيف يمدح بها المعتز بالله وأولها

أن سير الخليط حين استقلا * كان عونا للدمع لما استهلا

فالنوى خطة من الهجر ما ينـ * ـفك يشجى بها المحب ويبلى

أسفاره فطرقه خيال جاريته طروب أم ولده عبد الله وكانت أعظم حظاياه عنده وأرفعهن لديه لا يزال كلفا بها هائما بحبها فانتبه وهو يقول

شاقك من قرطبة السارى * فى الليل لم يدر به الدارى

ثم انتبه عبد الله بن الشمر نديمه فاستجازه كمال البيت فقال

زار خيالى فى ظلام الدجى * أحبب به من زائر سارى

(وذكر) الصولى فى كتاب الاوراق برواية تنتهى الى جعفر بن محمد بن عبد الواحد الهاشمى قال دخلت على المتوكل على الله لما توفيت أمه معزيا فقال يا جعفر انى ربما قلت البيت الواحد فاذا جاوزته توقفت وقد قلت

تذكرت لما فرق الدهر بيننا * فعزيت نفسى بالنبى محمد

قال فأجازه بعض من حضر المجلس فقال

وقلنا لها ان المنايا سبيلنا * فمن لم يمت فى يومه مات فى غد

قال الصولى فظننا أن جعفر ابن محمد بن عبد الواحد قائل البيت (قال) مروان بن الجنوب دخلت على المتوكل فرمى الى برقعة فيها بيت شعر وهو

أدرت الهوى حتى اذا صار كالرحى * جعلت محل القلب فى موضع القلب

وتحت البيت أجز يا مروان فكتبت تحته

فأولا فى غلوة اللوم انى * زائد فى الغرام ان لم تقلا

وهى طويلة فنها فى المديح لم يزل حقك المقدم يمحو * باطل المستعار حتى اضمحلا

وبعده البيت وبعده أنت أندى كفا وأشرف أخلا * قا وأزكى قولا وأكرم فعلا

يعرض بذم المستعين والسؤدد بالهمز السيادة والمجد نيل الشرف والكرم أولا يكون الا بالآباء والمكارم فعل الكرم والمثل الشبه (والشاهد فيه) حذف المفعول لارادة ذكره ثانيا على وجه يتضمن ايقاع الفعل على صريح لفظ المفعول اظهارا لكمال العناية بوقوع الفعل عليه وترفعا عن ايقاعه على ضميره وان كان كناية عنه لانه لو قال قد طلبنا لك مثلا لناسب أن يقول فلم نجده وفيه تفويت غرض ايقاع نفى الوجدان على صريح لفظ المثل لكمال العناية بعدم وجدانه ولهذا المعنى بعينه عكس ذو الرمة فى قوله

ولم أمدح لأرضيه بشعرى * لئيما أن يكون أصاب مالا

فانه أعمل الفعل الاول الذى هو أمدح فى صريح لفظ اللئيم لا الثانى الذى هو أرضى اذ كان غرضه ايقاع نفى المدح على اللئيم صريحا دون الارضاء ويجوز أن يكون سبب حذف المفعول ترك مواجهة الممدوح بطلب مثل له مبالغة فى التأدب اذ التصريح بطلب المثل يجوز وجوده لان طلب العاقل منى عليه

﴿شواهد القصر﴾

﴿أنا الذائد الحامى الذمار وانما * يدافع عن احسابهم انا أو مثلى﴾

البيت للفرزدق من قصيدة من الطويل وسببها أن نساء بنى مجاشع بلغهن فحش جرير بهن فأتين الفرزدق وهو مقيد وقد تقدم فى ترجمته أنه قيد نفسه لحفظ القرآن فقلن قبح الله قيدك وقد هتك جرير عورات نسائك فلحيت شاعر قوم فأحفظنه ففك القيد وقال

ألا استهزأت منى سويدة اذ رأت * أسيرا يدانى خطوه حلق الحجل

ولو علمت أن الوثاق أشده * الى النار قالت لى مقالة ذى عقل

لعمرى لئن قيدت نفسى لطالما * سعيت وأوضعت المطية فى الجهل

ثلاثين عاما ما أرى من عماية * اذا برقت الا أشد لها رحلى

أتتنى أحاديث البعيث ودونه * زرود فشامات العقيق من الرمل

فقلت أظن ابن الخبيثة أننى * غفلت عن الرامى الكنانة بالنبل

فان يك قيدى كان نذرا نذرته * فمالى عن أحساب قومى من شغل

وبعده البيت وبعده

ولو ضاع ما قالوا ارع مما وجدتهم * شحاحا على الغالى من الحسب الجزل

وهى طويلة والذمار بكسر المعجمة ما يلزمك حفظه وحمايته والاحساب جمع حسب وهو ما يعد من مفاخر الآباء أو هو المال أو الدين أو الكرم أو الشرف فى الفعل أو الشرف الثابت فى الآباء وقد يكون الحسب والكرم لمن لا آباء له شرفاء بخلاف المجد كما تقدم ومثل قول الفرزدق قول عمرو بن معدى كرب

قد علمت سلمى وجاراتها * ما قطر الفارس الا أنا

(والشاهد فيه) صحة انفصال الضمير مع انما الا أنه لما كان غرضه أن يخص المدافع لا المدافع عنه فصل الضمير وهو أنا وأخره اذ لو قال وانما أدافع عن أحسابهم لصارت المدافعة مقصورة على أحسابهم دون غيرها وليس هذا معناه بل معناه أن المدافع عن أحسابهم هو لا غيره

﴿شواهد الانشاء﴾

﴿ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى﴾

قائله امرؤ القيس بن حجر الكندى من قصيدته المشهورة السابقة فى شواهد المقدمة وقبله

فلما جعلت القلب تحت رحى الهوى
ندمت وصار القلب فى موضع صعب

(وذكر) يزيد بن محمد المهلبى قال كان ابن المعتز يشرب يوما فى بستان مملوء بالثمام وشقائق النعمان فدخل عليه يونس بن بغا وعليه قباء أخضر فقال ابن المعتز لما رآه ارتجالا

شبهت حمرة خده فى ثوبه
بشقائق النعمان فى الثمام

ثم قال أجيزوا فبدر بنان المغنى وكان ربما عبث بالبيت بعد البيت فقال

والقد منه وقد بدا فى قرطق
بالغصن فى لين وحسن قوام

فطرب ابن المعتز وقال له غن فيه الآن فصنع فيه لحنا (وذكر) عبد الله بن أحمد ابن أبى طاهر فى تاريخه قال حدثنى أبو أحمد يحيى بن على بن المنجم قال صرت الى أبى زيد عمر بن شبة فقال لى قد قلت بيتا تعذر على ثانيه فأحب أن تجيزه فقلت وما هو فقال

كبرت وغالتنى خطوب تتابعت
ومن يصحب الايام لا بد يهرم

(فقلت)

ومن يصحب الايام تنقص خطوبها
قواه ويجهل بعض ما كان يعلم

فأعجب به وحدث الناس عاستنا فكتبوه عنه (وأنبأنى) الفقيه النبيه أبو الحسن

وليل كموج البحر أرخى سدوله * علىّ بأنواع الهموم ليبتلى

فقلت له لما تمطى بصلبه * وأردف أعجازا وناء بكلكل

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى * بصبح وما الاصباح منك بأمثل

فيالك من ليل كأن نجومه * بكل مغار الفتل شدت بيذبل

والاصباح الصبح وهو الفجر أو أول النهار والانجلاء الانكشاف ومعناه انه تمنى زوال ظلام الليل بضياء الصبح ثم قال وليس الصبح بأمثل منك عندى لاستوائهما فى مقاساة الهموم أو لان نهاره يظلم فى عينه لتوارد الهموم فليس الغرض طلب الانجلاء من الليل لانه لا يقدر عليه لكنه يتمناه تخلصا مما يعرض له فيه ولاستطالته تلك الليلة كأنه لا يرتقب انجلاءها ولا يتوقعه فلهذا يحمل على التمنى دون الترجى (والشاهد فيه) استعمال صيغة الامر للتمنى وقد أخذ الطرماح هذا البيت وغير قافيته فقال

ألا أيها الليل الطويل ألا اصبح * بيوم وما الاصباح منك بأروح

وما أحسن قول أبى العلاء المعرى فى طول الليل

وليلين حال بالكواكب جوزه * وآخر من حلى الكواكب عاطل * كأن دجاه الهجر والفجر موعد
بوصل وضوء الصبح حب مماطل * قطعت به بحرا يعب عبابه * وليس له الا التبلج ساحل

وللوأواء الدمشقى فيه أيضا

أطال ليل الصدود حتى * أيست من غرة الصباح كأنه اذ دجا غراب * قد حضن الارض بالجناح

وما أحسن قول الخطيرى

شابت ذوائب صبرى يا معذبتى * فى ليلتى وعذار الليل لم يشب

ودون صبحى ستر من زمرذة * مسمر بمسامير من الذهب

ولبعضهم فيه من قصيدة وأحسن ما شاء

تراه كملك الزنج من فرط كفره * اذا رام مشيا فى تبختره أبطا

مطلا على الآفاق والبدر تاجه * وقد علق الجوزاء فى أذنه قرطا

ولشرف الدين بن منقذ فيه أيضا

ولرب ليل تاه فيه نجمه * فقطعته سهرا فطال وعسعسا

وسألته عن صبحه فأجابنى * لو كان فى قيد الحياة تنفسا

ومثله قول الآخر

مات الصباح بليل * أحييته حين عسعس

لو كان لليل صبح * يعيش كان تنفس

ولابن منقذ أيضا

لما رأيت النجم ساه طرفه * والقطب قد ألقى عليه سباتا

وبنات نعش فى الحداد سوافرا * أيقنت أن صباحهم قد ماتا

وللوأواء الدمشقى

وليل مثل يوم البين طولا * اذا أفلت كواكبه تعود

بدائع نومها فيه انتباه * فأعينها مفتحة رقود

وله أيضا

وليل مثل يوم الحشر طولا * كأن ظلامه لون الصدود

بياض هلاله فيه سواد * كأثر اللطم فى يقق الخدود

وما أحسن اعتذار الارّجانى عن طول الليل

لا أدّعى جور الزمان ولا أرى * ليلى يزيد على الليالى طولا

لكنّ مرآة الصباح تنفسى * للهمّ أصدأ وجهها المصقولا

وقد أخذه من قول على بن هشام

لا أظلم الليل ولا أدّعى * أن نجوم الليل ليست تغور

ابن المقدسى عن أبى القاسم مخلوف بن على القيروانى عن أبى عبد الله محمد بن أبى سعيد السرقسطى عن الحافظ أبى عبد الله محمد بن أبى نصر ابن عبد الله الحميدى قال حدّثنى أبو محمد على بن أحمد قال حدّثنى أبو عبد الله محمد بن عبد الاعلى بن هاشم القاضى المعروف بابن الغليظ أن صهيب بن منيع قال على ابن ظافر وكان قاضيا ببعض بلاد الاندلس ومات بها فى أيام الناصر عبد الرحمن سنة ثمان وعشرين وثلثمائة كان نقش خاتمه

يا عالما كل غيب

كن رؤفا بصهيب

وانه كان يشرب النبيذ لعله كان يذهب مذهب أهل العراق فشرب مرّة عند الحاجب موسى ابن جدير وكان من عظماء الدولة الاموية فسكر ونام فأمر موسى باختلاس خاتمه وأحضر نقاشا فنقش تحت البيت المذكور

واستر العيب عليه

ان فيه كل عيب

وردّ الخاتم عليه وختم به زمانا حتى فطن له (وأنبأنى) الشيخان الاجل العلامة تاج الدين أبو اليمن الكندى والفقيه جمال الدين بن الحرستانى عن الشيخ الحافظ أبى القاسم على بن الحسن ابن عساكر سماعا أخبرنا أبو النجم بدر الدين عبد الله السنجى أخبرنا أبو بكر

ليلى كما شاءت فان لم تجد * طال وان جادت فليلى قصير

وهو من قول على بن الخليل

لا أظلم الليل ولا أدّعى * أن نجوم الليل ليست تزول

ليلى كما شاءت قصيرا اذا * جادت فان صدّت فليلى يطول

وأورد ابن الصولى لابن الخليل أيضا قوله

يقولون طال الليل والليل لم يطل * ولكن من يهوى من الشوق يسهر

أنام اذا ما الليل مهد مضجعى * وأفقد نومى حين أجفى وأهجر

فكم ليلة طالت على لصدّها * وأخرى ألاقيها بوصل فتقصر

وفى معناه قول الاديب الحرانى

جاءت تسائل عن ليلى فقلت لها * وسورة الهم تمحو سيرة الجذل

ليلى بكفيك فاغنى عن سؤالك لى * ان بنت طال وان واصلت لم يطل

وقول بعض المتأخرين

ليلى وليلى نفى نومى خلافهما * حتى لقد صيرانى فى الهوى مثلا

يجود بالطول ليلى كلما بخلت * بالطول ليلى وان جادت به بخلا

وقول ابن أبى حصينة يا ليل ما طلت عما كنت أعرفه * وانما طال بى فيك الذى أجد

وما أحسن قول بعضهم فيه

سهرت ليلات وصلى فرحة بهم * وليلة الهجر كم قضيتها سهرا

اذا انقضى زمانى كله سهرا * فما أبالى أطال الليل أم قصرا

﴿ومثله قول الآخر﴾

فى الهجر والوصل ما تذوق كرى * عينى فما ينقضى تسهدها

فليلة الهجر لا رقاد بها * وليلة الوصل كيف أرقدها

وقول أبى الحسن البصرى

ولما اعترض لى زائرا * وما كان عندى له موعد * سهرت اغتناما لليل الوصال

لعلمى به انه ينفد * فقال وقد رق لى قلبه * وأيقن انى به مكمد

اذا كنت تسهر ليل الوصال * وليل النوى فمتى ترقد

وقد أكثر الشعراء فى هذا المعنى وفيما أوردته مقنع

﴿شواهد الوصل والفصل﴾

﴿لا والذى هو عالم أن النوى * مرّ وأن أبا الحسين كريم﴾

البيت لابى تمام الطائى من قصيدة من الكامل يمدح بها أبا الحسين محمد بن الهيثم وأولها

أسقى طلولهم أجش هزيم * وغدت عليهم نضرة ونعيم

جادت معاهدهم عهاد سحابة * ما عهدها عند الديار ذميم

سفه الفراق عليك يوم تحملوا * ربما أراه وهو عنك حليم

ظلمتك ظالمة البرىء ظلوم * والظلم من ذى قدرة مذموم

زعمت هواك عفا الغداة كما عفا * منها طلول باللوى ورسوم

لا والذى هو عالم البيت وبعده

ماحلت عن سنن الوفاء ولا غدت * نفسى على الف سواك تحوم

الخطيب أنبأنا على بن أبى على المعدل حدثنى أبى حدثنى عبد العزيز بن أبى بكر المحرف العلاف الشاعر وكان أحد ندماء المعتضد قال كنت ليلة فى دار المعتضد وقد أطلنا الجلوس بحضرته ثم نهضنا الى مجلسنا فى حجرة كانت مرسومة بالندماء فلما أخذنا مضاجعنا وهدأت العيون أحسسنا بفتح الابواب وتفتيح الاقفال بسرعة فارتاعت الجماعة لذلك وجلسنا فى فرشنا فدخل الينا خادم من خدم المعتضد فقال لنا ان أمير المؤمنين يقول لكم أرقت الليلة بعد انصرافكم فعملت هذا البيت

ولما انتبهنا للخيال الذى سرى * اذا الدار قفرى والمزار بعيد

وقد ارتج على تمامه فأجيزوه ومن أجازه بما يوافق غرضى أجزلت عطيته وفى الجماعة كل شاعر مجيد مذكور وأديب فاضل مشهور فأفحمت الجماعة وأطالوا الفكر فقلت مبتدرا

فقلت لعينى عاودى النوم واهجعى * لعل خيالا طارقا سيعود

فرجع الخادم اليه بهذا الجواب ثم عاد فقال أمير المؤمنين يقول لك أحسنت وما قصرت وقد وقع بيتك الموقع الذى أريده وقد أمرت لك بجائزة وها هى فأخذتها فازداد غيظ الجماعة

والنوى الفراق (والشاهد فيه) أن شرط عطف جملة على جملة أن يكون بينهما جهة خاصة ولا كذلك في هذا البيت اذ لا مناسبة بين كرم أبي الحسين ومرارة النوى سواء كان نواه أو نوى غيره فهذا العطف غير مقبول سواء جعل عطف مفرد على مفرد كما هو الظاهر أو عطف جملة على جملة باعتبار وقوعه موضع مفعولي العلم لان وجود الجامع شرط فيهما ولهذا عيب على أبي تمام كما سيأتي في حسن التخلص ان شاء الله تعالى

《وقال رائدهم أرسوا نزاولها》

هو من البسيط وقائله الاخطل كذا ذكره سيبويه وليس هو في ديوانه وتمامه

وكل حتف امرئ يجري بمقدار * وبعده

لما نموت كراما أو نفوز بها * فواحد الدهر من كد وأسفار

والرائد المرسل في طلب الكلا وأرسوا بقطع الهمزة من رست السفينة ترسو رسوا ورسوّا اذا وقفت على الانجر معرب لنكر وهو مرساة السفينة وهي خشبات يفرغ بينها الرصاص المذاب فتصير كصخرة اذا رست رست السفينة أو هو من رست أقدامهم في الحرب أي ثبتت ونزاولها من المزاولة وهي المحاولة والمعالجة في تحصيل الشئ والضمير للسفينة وقيل للحرب وقيل للخمر وهو لا يناسب ظاهر البيت الذي بعده (والشاهد في قوله نزاولها) فانه فصله عن قوله أرسوا لان الاول أمر والثاني خبر فامتنع العطف بينهما لاختلافهما خبرا وطلبا لفظا ومعنى ومن هذا الضرب قول اليزيدي أو ابراهيم المدايني

ملكته حبلي ولكنه * ألقاه من زهد على غارب وقال اني في الهوى كاذب * انتقم الله من الكاذب

وحمله الشيخ عبد القاهر على الاستئناف بتقدير قلت قال الشيرازي وهو أنسب بالمقام (والاخطل) هو غياث بن غوث بن الصلت بن الطارقة ينتهي نسبه لتغلب ويكنى أبا مالك والاخطل لقبه عن أبي عبيدة أن السبب فيه انه هجا رجلا من قومه فقال له يا غلام انك لأخطل والاخطل السفيه وكان نصرانيا من أهل الجزيرة ومحله في الشعر أكبر من أن يحتاج الى وصف وهو وجرير والفرزدق طبقة واحدة جعلها ابن سلام أول طبقات الاسلام ولم يقع اجماع على أحد هم انه أفضلهم ولكل واحد منهم عصبة تفضله على الجماعة وقال أبو عمرو لو أدرك الاخطل يوما واحدا من الجاهلية ماقدمت عليه أحدا وقال الاصمعي انما أدرك جرير الاخطل وهو شيخ قد تحطم وكان الاخطل أسن من جرير وكان أبو عبيدة يشبه الاخطل بالنابغة لصحة شعره وكان حماد يفضل الاخطل على جرير والفرزدق فقال له الفرزدق انما تفضله لانه فاسق مثلك فقال لو فضلته بالفسق لفضلتك وقال الاخطل لعبد الملك بن مروان يا أمير المؤمنين زعم ابن المراغة يعني جريرا انه يبلغ مدحتك في ثلاثة أيام وقد أقمت في مدحتك (خف القطين فراحوا منك أو بكروا) سنة فما بلغت ما أردت فقال عبد الملك أسمعناها يا أخطل فلما أنشدها قال له عبد الملك يا أخطل أتريد أن أكتب الى الآفاق انك أشعر العرب قال أكتفي بقول أمير المؤمنين وأمر له بجفنة كانت بين يديه فملئت له دراهم وألقيت عليه خلع وخرج به مولى لعبد الملك على الناس وهو يقول هذا شاعر أمير المؤمنين هذا أشعر العرب وأنشد لعبد الملك قول كثير فيه

فما تركوها عنوة عن مودّة * ولكن بحدّ المشرفيّ استقالها

فأعجب به فقال له الاخطل ما قلت لك والله يا أمير المؤمنين أحسن منه قال وما قلت قال قلت

أهلوا من الشهر الحرام فأصبحوا * موالي ملك لا طريف ولا غصب

جعلته لك حقا وجعله لك غصبا قال صدقت وأصبح عبد الملك يوما في غداة باردة فتمثل بقول الاخطل

اذا اصطبح الفتى منها ثلاثا * بغير الماء حاول أن يطولا

مشى قرشية لاشك فيها * وأرخى من مآزره فضولا

ثم قال كأني أنظر اليه الساعة محلل الازار مستقبلا للشمس في حانوت من حوانيت دمشق ثم بعث رجلا يطلبه فوجده كذلك وقدم الاخطل مرة على عبد الملك بن مروان فنزل على ابن سرجون كاتبه فقال له علي

منى (وقال) يزيد بن أبي اليسر الرياضي في كتابه الامثال دخل رجوان الفارسي على أبي وهو مريض فقال له كيف أصبحت فقال

يكاد جسمي من نحول الضنا
تحمله أنفاس عوّادي

فقال رجوان هل ترى أن أزيد عليه يا أبا اليسر فقال نعم فقال رجوان

لم يبق الا الروح في مهجة
يروح أو يغدو بها الغادي

(أنبأني) القاضي الفقيه الامام نبيه الدين أبو الحسن ابن علي بن المفضل المقدسي رحمه الله قال أخبرني الشيخ الفقيه أبو القاسم علي بن مهدي بن قلبا الاسكندري قال أخبرنا أبو الحسن علي ابن عبد الجبار بن سلامة الهذلي قال أخبرنا أبو القاسم علي بن جعفر بن علي الصقلي قال أخبرنا أبو بكر محمد بن علي ابن الحسن التميمي قال أخبرنا أبو محمد اسمعيل بن محمد النيسابوري قال أخبرنا أبو منصور الثعالبي في كتاب اليتيمة أن الصاحب ابن عباد اتهم بعض المرد في مجلسه بسرقة بعض كتبه فقال

سرقت يا ظبي كتبي
ألحقت كتبي بقلبي

وأمر أبا محمد الحسن بن أحمد البروجردي باجازته فقال

فلو فعلت جميلا
رددت قلبي وكتبي

وكل ما أسنده الى اليتيمة فبهذا الاسناد (وذكر)

من نزلت فأخبره فقال له قاتلك الله ما أخبرك بصالح المنازل فما تريد أن ننزلك قال في درمك من درمككم هذا ولحم وخمر من بيت رأس فضحك عبد الملك وقال ويلك وعلى أي شيء اقتتلنا الا على هذا ثم قال له ألا تسلم فنفرض لك ألفين في عطائك وتوصل بعشرة آلاف درهم قال فكيف بالخمر قال وما تصنع بها وان أولها لمر وان آخرها السكر قال أما ان قلت ذلك فان بينهما المنزلة ما ملكك فيها الا كلعقة من ماء الفرات بالاصبع فضحك عبد الملك ثم قال ألا تزور الحجاج فانه كتب يستزيرك فقال أطائع أم كاره قال بل طائع قال ما كنت لأختار نواله على نوالك ولا قربه على قربك اني اذا لكما قال الشاعر

كمبتاع ليركبه حمارا * بغيره من الفرس الكريم

فأمر له بعشرة آلاف درهم وأمره أن يمدح الحجاج فمدحه بقوله

صرمت حبالك زينب ورعوم * وبدا المجمجم منهما المكتوم

ووجه بالقصيدة مع ابنه اليه ودخل الاخطل على بشر بن مروان وعنده الراعي الشاعر فقال له بشر أأنت أشعر أم هذا قال أنا أشعر منه وأكرم فقال للراعي ما تقول فقال أما أشعر مني فعسى وأما أكرم مني فان كان في أمهاته من ولدت مثل الامير فنعم فلما خرج الاخطل قال له رجل أتقول لخال الامير أنا أكرم منك فقال ويحك ان أبا نسطوس قد وضع في رأسي أكؤسا لا أنا والله لا أعقل معها (وحدث) قعافة المري قال دخل الاخطل على عبد الملك فاستنشده فقال قد يبس حلقي فمر من يسقيني فقال اسقوه ماء فقال هو شراب الحمار وهو عندنا كثير قال فاسقوه لبنا قال عن اللبن فطمت قال فاسقوه عسلا قال شراب المريض قال فتريد ماذا قال خمرا يا أمير المؤمنين قال أوعهدتني أسقي الخمر لا أم لك لولا حرمتك بنا لفعلت وفعلت فخرج فلقي فراشا لعبد الملك فقال ويلك ان أمير المؤمنين استنشدني وقد صحل صوتي فاسقني شربة خمر فسقاه رطلا فقال اعدله بآخر فسقاه رطلا آخر فقال تركتهما يعتركان في بطني فاسقني ثالثا فسقاه ثالثا فقال تركتني أمشي على واحدة اعدل ميلي برابع فسقاه رابعا فدخل على عبد الملك فأنشده

خف القطين فراحوا منك أو بكروا * فقال لا بل منك وتطير من قوله قال ومر في القصيدة حتى بلغ الى قوله

شمس العداوة حتى يستقاد لهم * وأعظم الناس أحلاما اذا قدروا

فقال عبد الملك خذ بيده يا غلام فأخرجه ثم ألق عليه من الخلع ما يغمره وأحسن جائزته ثم قال ان لكل قوم شاعرا وان شاعر بني أمية الاخطل وقال أبو عبد الملك كانت بكر بن وائل اذا تشاجرت في شيء رضيت بالاخطل وكان يدخل المسجد فيقومون اليه ورأيته بالجزيرة وقد شكا الى القس وقد أخذ بلحيته وضربه بعصاه وهو يصيء كما يصيء الفرخ فقلت له أين هذا مما كنت فيه بالكوفة فقال يا ابن أخي اذا جاء الدين ذللنا (وحدث) اسحق بن عبد الله المطلبي قال قدمت الشام وأنا شاب مع أبي وكنت أطوف في كنائسها ومساجدها فدخلت كنيسة دمشق فاذا الاخطل فيها محبوس فسأل عني فأخبر بنسبي فقال يا فتى انك رجل شريف وأنا أسألك حاجة فقلت له حاجتك مقضية فقال ان القس قد حبسني هنا فتكلمه ليخلي عني فأتيت القس فانتسبت له فرحب بي وعظم فقلت ان لي اليك حاجة قال وما حاجتك فقلت الاخطل تخلي عنه فقال أعيذك بالله من هذا فان مثلك لا يتكلم فيه فانه فاسق يشتم أعراض الناس ويهجوهم فلم أزل أطلب اليه حتى مضى متكئا على عصاه فوقف عليه ورفع عصاه وقال له يا عدو الله أتعود تشتم الناس وتهجوهم وتقذف المحصنات وهو يقول لست بعائد ولا أفعل ويستخذي له فقلت يا أبا مالك الناس يهابونك والخليفة يكرمك وقدرك في الناس رفيع وأنت تخضع لهذا هذا الخضوع وتستخذي له قال فجعل يقول لي انه الدين (وحدث) الهيثم قال كانت امرأة الاخطل حاملا وكان متمسكا بدينه فمر به الاسقف يوما فقال لها الحقيه فتمسحي به فعدت وراءه فلم تلحق الا ذنب حماره فتمسحت به ورجعت فأخبرته فقال لها هو وذنب حماره سواء وسمع هشام الاخطل وهو يقول

واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد * ذخرا يكون كصالح الاعمال

الرئيس هلال بن الصابي أن الصاحب بن عباد قال أرسل الي الاستاذ الرئيس أبو الفضل بن العميد يستدعيني في وقت لم تجر عادته باستدعائي في مثله فتهيأت للمضي فجاءني رسول ثان فركبت فلقيني ثالث يستحثني فارتبت وارتعت فلما دخلت عليه قال انني قلت بيتا ثم اعييت عن اتمامه وهو

وجاو ابطبي كمثل الغزال * ينالك على الرسم في مثله

(فقلت في الحال)

وأدخلت بعضي في بعضه * فياليت كلي في كله

فجعل يكثر التعجب مني ثم انصرفت (وأنبأنا) العماد أبو حامد الاصفهاني قال ذكر السمعاني في تاريخه قال سمعت أبا المظفر منصور ابن محمد بن سعيد بن مسعود المسعودي المروزي في مذاكرتي اياه يقول دخلت على العزيز الخشاب وشبل الدولة عنده حاضر فقال العزيز قلت اليوم بيتا وأنشده

صفو دن العمر في عصر الصبا * وزمان الشيب دردي محيل

وقال لشبل الدولة أجز فقال مبادرا

والذي يطلب صفوا بعده * انما يطلب شيأ مستحيل

(أخبرني) الشيخ أبو عبد الله ابن علي اليحصبي القرموني قال سمعت أبا بكر البكي الشاعر وهو بجامع عدوة القرويين بفاس يحكي لابي

فقال له هنيألك ياأبا مالك هذا الاسلام فقال له ياأمير المؤمنين مازلت مسلما فى دينى (وحدث) أبو محمد اليزيدى قال خرج الفرزدق يوما مع بعض ملوك بنى أمية فرفع له فى طريقه بيت أحمر من أدم فدنا منه وسأل فقيل له الاخطل فاستقرى فقيل له انزل فقام اليه الاخطل وهو لا يعرف الا انه ضيف فجلسا يتحادثان فقال له الاخطل ممن الرجل قال من تميم قال فأنت اذن من رهط أخى الفرزدق فهل تحفظ من شعره شيأ قلت نعم كثيرا فما زالا يتناشدان ويتعجب الاخطل من حفظه شعر الفرزدق الى أن عمل فيه الشراب وقد كان الاخطل قال له قبل ذلك أنتم معشر الحنيفية لا ترون أن تشربوا من شرابنا فقال الفرزدق

خفض عليك قليلا * وهات لى من شرابك

فلما عملت الراح فيه قال والله أنا الذى أقول فى جرير وأنشده فقام الاخطل وقبل رأسه وقال لا جزاك الله عنى خيرا لم كتمتنى نفسك منذ اليوم وأخذا فى شرابهما وتناشدا الى أن قال له الاخطل والله انك واياى لأشعر من جرير ولكنه أوتى من سير الشعر مالم نؤته قلت أبيتا ما أعلم أحدا قال أهجى منه قلت وما هو قال الاخطل قلت قوم اذا استنبح الأضياف كلبهم * قالوا لامهم بولى على النار

فلم يروه الاحكاء أهل الشعر وقال هو

والتغلبى اذا تنحنح للقرى * حك استه وتمثل الامثالا

فلم تبق سفلة ولا أمثالها الا رووه وقال فقصوا له انه أسير شعرا منهما وعن محمد بن سلام قال قيل انه لما حضرت الاخطل الوفاة قيل له ياأبا مالك ألا توصى قال بلى ثم قال

أوصى الفرزدق عند الممات * بأم جرير وأعيارها
وزار القبور أبو مالك * برغم العداة وأوتارها

(أقول له ارحل لا تقيمن عندنا * والا فكن فى السر والجهر مسلما)

البيت من الطويل ولا أعرف قائله وكذلك ذكر العينى فى شواهده (ومعناه) ان لم ترحل فكن على ما يكون عليه المسلم من استواء الحالين فى السر والجهر (والشاهد فيه) كون الجملتين بينهما كمال الاتصال لكون الثانية أوفى بتأدية المراد من الاولى فنزلت منزلة بدل الاشتمال فلم تعطف عليها وهما ههنا قوله ارحل وقوله لا تقيمن عندنا لان فى قوله ارحل كمال اظهار الكراهة لاقامة المخاطب وقوله لا تقيمن عندنا أوفى بتأدية المراد لدلالته على اظهار الكراهة لاقامته بالمطابقة مع التأكيد الحاصل من اللفظين

(أقسم بالله أبو حفص عمر)

هو من الرجز وقائله أعرابى وبعده

ما ان بها من نقب ولا دبر * اغفر له اللهم ان كان فجر

يروى أن هذا الاعرابى جاء الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال ان أهلى ببادية بعيدة وانى على ناقة دبراء عجفاء نقباء واستحمله فظنه كاذبا فلم يحمله فانطلق الاعرابى فحمل ناقته ثم استقبل البطحاء وجعل يقول الابيات وعمر رضى الله عنه مقبل من أعلى الوادى فجعل اذا قال اغفر له اللهم ان كان فجر قال اللهم صدق حتى التقيا فأخذ بيده وقال له ضع عن راحلتك فوضع فاذا هى كما وصف فحمله على بعير وزوده وكساه والنقب رقة الاخفاف والدبر قرحة الدابة (والشاهد فيه) جعل عمر بيانا وتوضيحا لابى حفص

(وتظن سلمى اننى أبغى بها * بدلا أراها فى الضلال تهيم)

البيت من الكامل ولا أعرف قائله وكذلك ذكر العينى أيضا والضلال ضد الهدى (والشاهد فيه) عدم عطف الجملة الثانية لكونه موهما له على غيرها لان بين الجملتين الخبريتين وهما وتظن سلمى وأراها مناسبة ظاهرة لاتحادهما فى المسند لان معنى أراها أظنها والمسند اليه فى الاولى محبوب وفى الثانية محب فلو عطف أراها على تظن لتوهم انه عطف على أبغى وهو أقرب اليه فيكون من مظنونات سلمى وليس كذلك

قال

والجماعة معه قال خرجت من فاس قاصدا تلمسان فدخلت فى بعض الخانات وكانت ليلة مطيرة جدا فأنزلنى صاحب الخان فى بيت مفرد وأوقد لى قنديلا فبينما أنا جالس واذا برجل قد فتح الباب ودخل على وعلى وجهه سلهامة قد سترته فجلس وقد عرفنى ولم أعرفه فسألته عن صناعته فقال أنا شاعر فقلت له كالمستهزئ به أجز وضربت بعينى الى شئ أصفه فلم أجد غير القنديل فقلت

وقنديل كأن الضوء فيه * محياك من أحب اذا تجلى

(فقال فى الحال)

أشار الى الدجى بلسان أفعى * فشمر ذيله هربا وولى

فخذت استحسانا لما أتى فكشف السلهامة عن وجهه فاذا هو أبو العباس الجراوى الشاعر فقال كيف ترى هذا الكهن وما بحالك منه وبتنا بأطيب ليلة فلما قام الركب للسفر سار هو الى فاس وسرت أنا الى تلمسان (وأخبرنى) القاضى السعيد أبو القاسم هبة الله ابن سناء الملك رحمه الله قال أخبرنى الشريف الجليل الوافد من العراق على الدولة المصرية قال اجتمعت فى بعض الايام بأمين الدولة أبى الحسن هبة الله بن صاعد قال على بن ظافر هو المعروف بابن التلميذ وانما أقمه من بنات التلميذ فعرف

(قال لى كيف أنت قلت عليل * سهر دائم وحزن طويل)

البيت من الخفيف وتقدم فى شواهد المسند اليه والشاهد فيه هنا وقوع الجملة الثانية مستأنفة جوابا عن الجملة الاولى المتضمنة للسؤال عن سبب مطلق أى ما بالك عليلا فقال سهر وذلك لان العادة جرت بأنه اذا قيل فلان عليل أن يسأل عن سبب علته لا أن يقال هل سبب علته كذا أو كذا لا سيما السهر والحزن فانه قلما يقال هل سبب مرضه السهر والحزن لانه أبعد أسبابه فعلم أن السؤال عن السبب المطلق دون السبب الخاص وعدم التوكيد يشعر به ومثله قول أبى العلاء المعرى

وقد غرضت من الدنيا فهل زمنى * معط حياتى لغر بعد ما غرضا

جربت دهرى وأهليه فما تركت * لى التجارب فى ود امرئ غرضا

أى لم تقول هذا وما ألجأك اليه فقال جربت الخ

(زعم العواذل اننى فى غمرة * صدقوا ولكن غمرتى لا تنجلى)

البيت من الكامل ولا أعرف قائله والعواذل جمع عاذلة بمعنى جماعة عاذلة لا امرأة عاذلة بدليل قوله صدقوا وغمرة الشئ شدته ومزدحمه (والشاهد فيه) وقوع الجملة المستأنفة جوابا للسؤال عن غير سبب مطلق أو خاص كأنه قيل أصدقوا فى هذا الزعم أم كذبوا فقال صدقوا وفصله عما قبله لكونه استئنافا ومنه قول جندب بن عمار زعم العواذل أن ناقة جندب * بجنوب خبت عريت وأجمت

كذب العواذل لو رأين مناخنا * بالقادسية قلن لج وذلت

ومثله قول لبيد عرفت المنزل الخالى * عفا من بعد أحوال

عفاه كل هتان * عسوف الوبل هطال

وقول أبى الطيب المتنبى وما عفت الرياح لهم محلا * عفاه من حدا بهم وساقا

(زعمتم أن اخوتكم قريش * لهم الف وليس لكم الاف)

البيت لمساور بن هند بن قيس بن زهير من الوافر يهجو بنى أسد وبعده

أولئك أومنوا جوعا وخوفا * وقد جاعت بنو أسد وخافوا

والزعم ادعاء العلم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم زعموا مطية الكذب وعن شريح رحمه الله لكل شئ كنية وكنية الكذب زعموا لكن سيبويه رحمه الله يكثر فى كتابه من قول زعم الخليل لا يريد بذلك ابطال قوله وقال أبو طالب للنبى صلى الله عليه وسلم

ودعوتنى وزعمت أنك صادق * ولقد صدقت وكنت ثم أمينا

وقريش هى القبيلة المشهورة سموا بذلك لتجمعهم فى الحرم أو لانهم كانوا يتقرشون البياعات فيشترونها أو لان النضر بن كنانة اجتمع فى ثوبه فقيل تقرش أو لانه جاء الى قومه فقالوا كأنه جمل قريش أى شديد أو سموا بتصغير القرش وهو دابة بحرية تخافها دواب البحر كلها والالف والايلاف العهد وشبه الاجازة بالخفارة وأول من أخذها هاشم من ملك الشام فكان هاشم يولف الى الشام وعبد شمس الى الحبشة والمطلب الى اليمن ونوفل الى فارس وكان تجار قريش يختلفون الى هذه الامصار بحبال هذه الاخوة فلا يتعرض لهم أحد وكان كل أخ منهم قد أخذ حبلا من ملك ناحية سفره أمانا له (والشاهد فيه) حذف الاستئناف وقيام شئ مقامه فكأنهم قالوا أصدقنا فى هذا الزعم أم كذبنا فقيل كذبتم فحذف هذا الاستئناف وأقيم قوله لهم الف وليس لكم الاف مقامه لدلالته عليه (ومساور) بن هند بن قيس بن زهير العبسى شاعر وكان جده قيس مشهورا فى الجاهلية ولا سيما فى حرب داحس والغبراء وذكر الاصمعى ما يدل على أنه ادرك النبى صلى الله عليه وسلم قال وكان نحو أبى عمرو بن العلاء رحمهما الله فى السن وقال حدثنى من رأى مساور بن هند أنه ولد فى حرب داحس والغبراء قبل الاسلام بخمسين عاما وذكره المرزبانى فى معجم الشعراء وذكر له قصة مع عبد الملك بن مروان وفى حكاية الاصمعى انه لما عمر صغرت

بذلك قال فأخذنا فى ذم الدهر واخناته على أهل الفضل واذا بكلاب الصيد التى برسم الخليفة قد أبرزت فى جلال الوشى والديباج فحرك ذلك ما كنا نتجاذب أهدابه فى ذم الدهر فقلت

من كان يكسو الكلاب وشـ * ـيا ثم يقنع لى بجلدى

(واستجزته فقال)

الكلاب خير عنده * منى وخير منه عندى

(وأخبرنى) الاجل بهاء الدين ابن الساعاتى المقدم ذكره قال حضرت مجلس سماع عند بعض الرؤساء فغنى مغن قبيح النغمة سيئ الضرب فقال بعض الحاضرين

من منصفى ممن اذا * ما ناح تحت لقبح نغمه

(واستجاز نى فقلت)

هو خارج وقت الغنا * وداخل فى رحم أمه

(وأخبرنى) الفقيه أبو ثابت ابن حسن الكربونى بالاسكندرية قال حضرت أنا والاديب عبد المنعم بن صالح الحريرى صاحبنا ببعض الاماكن ورجل يقرأ المقامات التى صنفها الحريرى على رجل آخر وهما يصحفان فيها فقال عبد المنعم

يا أيها الثور البهيم الذى * يقرا المقامات على الثور

(ثم استجاز نى فقلت)

دع المقامات لارباها * وعد الى الناعات والدور

(قال) على بن ظافر حضر

عيناه وكبرت أذناه فجعلوه فى بيت صغير ووكلوا به امرأة فرأى ذات يوم غفلة فخرج فجلس فى وسط البيت وكوم كومة من تراب ثم أخذ بعرتين فقال هذه فلانة وهذه فلانة لفرسين كان يعرفهما ثم أرسلهما من رأس الكومة ثم نظر فقال سبقت فلانة ثم أحس بالمرأة فقام وهرب وقال الاصمعى بلغنى انه أتى به الى الحجاج فقال له ما تصنع بقول الشعر وقد كبرت فقال أسقى به الماء وأرعى به الكلأ وتقضى لى به الحاجة فان كفيتنى ذلك تركته وقال المرزبانى كان أعور وهو من المتقدمين فى الاسلام وهو وأبوه وجده أشراف من بنى عبس شعراء فرسان وهو القائل

جزى الله خيرا غالبا من قبيلة * اذا حدثان الدهر نابت نوائبه
اذا أخذت بزل المخاض سلاحها * تجرد فيهم متاع المال كاسبه

يقال أخذت الابل سلاحها اذا استحباها صاحبها فلم ينحرها

(ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها)

هو من البسيط وتمامه شمس الضحى وأبو اسحق والقمر

وقد تقدم الكلام عليه فى شواهد المسند (والشاهد فيه هنا) بيان أن الجامع بين الثلاثة المذكورة فيه وهمى وهو ما بينها من شبه التماثل حمل الوهم على أن يحتال فى اجتماعها فى المفكرة وابرازها فى معرض الامثال متوهما انها من نوع واحد وانما اختلفت بالعوارض والمشخصات بخلاف العقل فانه اذا خلى ونفسه حكم بأن كلا منها من نوع آخر وانما اشتركت فى عارض هو اشراق الدنيا ببهجتها على أن ذلك فى أبى اسحق مجاز ونظيره قول الآخر

اذا لم يكن للمرء فى الخلق مطمع * فذو التاج والسقاء والذر واحد

(فلما خشيت أظافيرهم * نجوت وأرهنهم مالكا)

البيت لعبد الله بن همام السلولى من المتقارب وبعده

عريفا مقيما بدار الهوان * أهون علىّ به هالكا

وهذان البيتان من جملة أبيات منها

فقالت أجرنى أبا خالد * والا تجدنى امرأ هالكا

يريد بأبى خالد هنا يزيد بن معاوية والذى خشيه عبيد الله بن زياد وكان قد توعده فهرب الى الشام واستجار بيزيد فأمنه وكتب الى عبيد الله يأمره بالصفح عنه ومالك المذكور هو عريفه والاظافير جمع ظفر وأظفور ويجمع أيضا على أظفار والمعنى لما خشيت جلته وانشاب أظفاره نجوت وخليت بينه وبين مالك (والشاهد فيه) دخول واو الحال على المضارع المثبت الممتنع دخولها عليه فى الجملة الفعلية الواقعة حالا من ضمير صاحبها الغير الخالية منه اذ قد قيل انه على حذف المبتدأ أى وأنا أرهنهم فتكون اسمية فيصح دخولها وعليه قوله تعالى لم تؤذوننى وقد تعلمون أنى رسول الله اليكم أى وأنتم قد تعلمون وقيل ضرورة وقال عبد القاهر هى فيه للعطف والاصل ورهنتهم عدل الى المضارع لحكاية حال ماضية ومعناه انه يفرض ما كان فى الزمن الماضى واقعا فى هذا الزمان فعبر عنه بلفظ المضارع كما فى قول الشاعر ولقد أمر على اللئيم يسبنى أى مررت وروى وأرهنتهم والاول رواية الاصمعى واستحسنه ثعلب (وعبد الله) هو أبو عبد الرحمن السلولى الكوفى من بنى مرة بن صعصعة من قيس عيلان وبنو مرة يعرفون ببنى سلول وهى أمهم وهى بنت ذهل بن شيبان بن ثعلبة وهم رهط أبى مريم السلولى وكانت له صحبة وعبد الله هو القائل فى الفلاقس

أقلى على اللوم يا ابنة مالك * وذمى زمانا ساد فيه الفلاقس
وساع من السلطان ليس بناصح * ومحترس من مثله وهو حارس

وهو القائل ليزيد بن معاوية لما مات أبوه رضى الله عنه

ليلة عندى وأنا برأس العين فى خدمة الملك الاشرف أدام الله أيامه الاديب الموفق على بن محمد البغدادى الساكن بها والفقيه بهاء الدين بن كساء الشاعران وعندنا رجل يعرف بالضياء ابن الزراد مصرى معروف وكانوا يمجنون معه فعمل ابن كساء بديهة وقال

رأيت الضياء وفى دبره
قد كزند البعير الشديد

ثم استجاز الموفق فقال فى الحال

كأن جهنم فى دبره
تقول لآتيه هل من مزيد

(ثم صنع الموفق فيه بديها)

زمان الضياء رعاه الاله
عيد ولكن به يرترق
فطورا بأعلاه رمى القبق
وطورا بأدناه طعن الحلق
بناو به أعظم الحالتين
فمنه البغاء ومنا النشبق
فلو جمعتنا به خلوة
لقد قيل وافق شن طبق

وهذا المعنى الذى ذكر فيه الحلق والتبق معنى مطبوع الا أنه لم يحسن نظمه وقد نظمته على سبيل التجريب للخاطر فقلت

لقد عبد الترك فى ذا الرقيع
وعاطوه بالعب أكواسه
بنيك يقطع أعفاجه
وصفع يزعزع أضراسه
فكم جعلوا حلقة دبره
وكم جعلوا قبقا راسه

(وقلت أيضا فى المعنى)

اصبح عبد الترك من هو كالـ
ـمأتم فى عين من رأى خلقه

اصبر

اصبر يزيد فقد فارقت ذا مقة * واشكر حباء الذى بالملك رداكا
لا رزء أعظم بالاقوام اذ علموا * مما رزئت ولا عقبى كعقباكا
أصبحت راعى أهل الدين كلهم * فأنت ترعاهم والله يرعاكا
وفى معاوية الباقى لنا خلف * اذا نعيت ولا نسمع بمنعاكا

(خرجت مع البازى علىّ سواد)

قائله بشار بن برد من أبيات من الطويل قالها فى خالد بن برمك وكان قد وفد عليه وهو بفارس فأنشده قوله

أخالد لم أهبط عليك بنعمة * سوى أننى عاف وأنت جواد
أخالد ان الاجر والحمد حاجتى * فأيهما يأتى فأنت عماد
فان تعطنى أفرغ عليك مدائحى * وان تأب لم تضرب علىّ سداد
ركابى على حرف وقلبى مشيع * ومالى بأرض الباخلين بلاد
اذا أنكرتنى بلدة أو نكرتها * خرجت مع البازى علىّ سواد

فدعا خالد بأربعة آلاف فى أربعة أكياس فوضع واحدا منها عن يمينه وآخر عن شماله وآخر بين يديه وآخر من ورائه وقال يا أبا معاذ هل استقل العماد فلمس الاكياس بيده ثم قال استقل والله أيها الامير ومعنى البيت اذا لم يعرف قدرى أهل بلدة ولم أعرفهم خرجت عنهم وفارقتهم متنكرا مصاحبا للبازى الذى هو أنكر الطيور مشتملا على شئ من ظلمة الليل غير منتظر لاسفار الصبح فقوله علىّ سواد أى بقية من الليل (والشاهد فيه) كونه حالا ترك فيه الواو ومثله قول أبى الصلت يمدح ابن ذى يزن

اشرب هنيأ عليك التاج مرتفعا * فى رأس غمدان دارا منك محلالا

والشاهد فى قوله عليك التاج وغمدان اسم قصر باليمن مبنىّ على أربعة أوجه أحمر وأبيض وأصفر وأخضر وفى داخله قصر مبنى بسبعة سقوف بين كل سقفين أربعون ذراعا ويرى ظله اذا طلعت عليه الشمس من ثلاثة أميال والمحلال بمعنى المنزل صيغة مبالغة ومثله قول الآخر يهجو خطيبا

لقد صبرت للذل أعواد منبر * تقوم عليها فى يديك قضيب

(وبشار) بن برد بن يرجوخ ينتهى نسبه للهراسف وكان يرجوخ من طخارستان من سبى المهلب بن أبى صفرة ويكنى بشار أبا معاذ ومحله فى الشعر وتقدمه طبقات المحدثين فيه باجماع الرواة ورياسته عليهم من غير اختلاف فى ذلك يغنى عن وصفه والاطالة بذكره وهو من شعراء مخضرمى الدولتين الاموية والعباسية وقد اشتهر فيهما ومدح وهجا وأخذ سنىّ الجوائز مع الشعراء وعن يحيى بن الجون راوية العبدى راوية بشار بن برد قال لما دخلت على المهدى قال لى فيمن تعتد يا بشار فقلت أما على اللسان والرأى فعربى وأما على الاصل فعجمى كما قلت فى شعرى يا أمير المؤمنين

ونبئت قوما بهم جنة * يقولون من ذا وكنت العلم
ألا أيها السائلى جاهلا * ليعرفنى أنا أنف الكرم
نمت فى الكرام بنى عامر * فروعى وأصلى قريش العجم
وانى لاغنى مقام الفتى * وأصبى الفتاة فما تعتصم

قال وكان أبو دلامة حاضرا فقال كلا لوجهك أقبح من ذلك ووجهى مع وجهك فقلت كلا والله ما رأيت رجلا أصدق على نفسه وأكذب على جليسه منك والله انى لطويل القامة عظيم الهامة تام الالواح اسجح الخدين مسترخى المذروين للعين منه مراد ومثلك قد جلس من الفتاة حجزة وجلست منها حيث أريد فأنت مثلى يا مرقعان قال فسكت عنى ثم قال لى المهدى فمن أى العجم أصلك فقلت من أكثرها فى الفرسان وأشدها على الاقران أهل طخارستان فقال بعض القوم أولئك السند فقلت لا السند تجار فلم يرل يردد ذلك

وفوه بالنيك تارة وبع
ر الصفع أخرى من لعبهم حقه
ان قر فالطعن بالايور وان
فر أحادت نعالهم رشقه
فللسرامير رأسه قبق
وللفياشى شناره حلقه
(وكان) يصحبنى وأنا فى خدمة
الاشرف أبقاه الله رجل
كاتب حسن الخط من أهل
العلم والخير هاجر الى دمشق
يقال له جمال الدين على بن أبى
طالب فلما رأيت ما عليه
الاحوال من الاختلال
وقويت فى نفسى شهوة
الانفصال كنت ليلى ونهارى
مكبا على الدعاء بتسهيل ذلك
وتعجيله وتيسير ما أرجوه
منه وأقمت على هذا مدة
طويلة بحيث كان الامر
مشهورا عند كل أحد من
الحاشية فأخبرنى أنه بات
مشغول القلب بما يسمعه
منى فى ذلك فرأى كأنه فى
جامع دمشق تحت النسر
والى جانبه شيخ وكأنهم
ينتظرون الصلاة واذا
برجل شاب قد أقبل من
الباب الغربى فقال له الشيخ
يا أبا العباس أبجز
أن ابن طافر سوف يظ
فر بالذى يرجوه عاجل
(فقال)
ظفرت عداه بخيبة
وغدا لما قد شاء نائل
فسررت بذلك فلم يكن شئ
أسرع من عود الملك
الاشرف أبقاه الله من دمشق
وانفصالى من خدمته على
الوجه الجميل وكان ذلك والله

المهدى وكان يلقب بالمرعث لقوله

قال ريم مرعث * ساحر الطرف والنظر * لست والله نائلى
قلت أو يغلب القدر * أنت ان رمت وصلنا * فانج هل يدرك القمر

وقيل لقب به لانه كان لقميصه جيبان جيب عن يمينه وجيب عن شماله فاذا أراد لبسه ضمه عليه من غير أن يدخل رأسه فيه واذا أراد نزعه حل أزراره وخرج منه فشبهت تلك الجيوب بالرعاث لاسترسالها وتدليها وقال أبو عبيدة لقب بالمرعث لانه كانت فى آذانه وهو صغير رعاث واحدها رعثة وهى القرط ورعثة الديك اللحم المتدلى تحت حنكه وقال الاصمعى كان بشار ضخما عظيم الخلق والوجه مجدورا طويلا جاحظ الحدقتين قد تغشاهما لحم أحمر فكان أقبح الناس عمى وأفظعهم منظرا وكان اذا أراد أن ينشد صفق بيديه وتنحنح وبصق عن يمينه وشماله ثم ينشد فيأتى بالعجب وقال ولد بشار أعمى فما نظر الى الدنيا قط وكان يشبه الاشياء فى شعره بعضها ببعض فيأتى بما لا يقدر البصراء أن يأتوا بمثله وقال أبو عبيدة قال بشار الشعر ولم يبلغ عشر سنين ثم بلغ الحلم وهو يخشى معرة اللسان قال وكان بشار يقول هجوت جريرا فأعرض عنى واستصغرنى ولو أجابنى لكنت أشعر الناس وكان بشار وهو صغير اذا هجا قوما جاؤا الى أبيه فشكوه اليه فيضربه ضربا مبرحا فكانت أمه تقول كم تضرب هذا الصبى الصغير الضرير أما ترحمه فيقول بلى والله انى لأرحمه ولكنه يتعرض للناس فيشكونه الى فسمعه بشار فطمع فيه فقال يا أبت ان هذا الذى يشكونه اليك منى هو قولى الشعر وانى ان أتممت عليه أغنيتك وسائر أهلى فاذا شكونى فقل لهم أليس الله عز وجل يقول ليس على الاعمى حرج فلما أعادوا شكواه قال لهم ذلك فانصرفوا وهم يقولون فقه برد أغيظ لنا من شعر بشار وحكى الاصمعى أن بشارا كان من أشد الناس تبرما بالناس وكان يقول الحمد لله الذى ذهب ببصرى فقيل له ولم يا أبا معاذ قال لئلا أرى من أبغض وكان بالبصرة رجل يقال له حمدان الخراط فاتخذ جاما لانسان وكان بشار عنده فسأله بشار أن يتخذ له جاما فيه صورة طير يطير فاتخذه له وجاء به اليه فقال له ما فى هذا الجام قال صورة طير يطير فقال له قد كان ينبغى أن تتخذ فوق هذا الطير طيرا من الجوارح كأنه يريد صيده فانه كان أحسن قال لم أعلم قال بلى قد علمت ولكنك قد علمت اننى أعمى لا أبصر شيأ وتهدده بالهجاء فقال له حمدان لا تفعل فانك تندم قال أو تهددنى أيضا قال نعم قال وأى شئ تصنع بى ان هجوتك قال أصورك على باب دارى فى صورتك هذه وأجعل من خلفك قردا ينيكك حتى يمر بك الصادر والوارد فقال بشار اللهم أخزه أنا أمازحه وهو يأبى الا الجد (وحدث) محمد بن الحجاج السوادى قال كنا عند بشار وعنده رجل ينازعه فى اليمانية والمضرية اذ أذن المؤذن فقال له بشار رويدا نفهم قوله فلما قال المؤذن أشهد أن محمدا رسول الله قال له بشار أهذا الذى نودى باسمه مع اسم الله عز وجل من مضر هو أم من صداء وعك وحمير فسكت الرجل (وحدث) حماد عن أبيه قال كان بشار جالسا فى دار المهدى والناس ينتظرون الاذن فقال بعض موالى المهدى لمن حضر ما عندكم فى قول الله عز وجل وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا فقال له بشار النحل التى يعرفها الناس قال هيهات يا أبا معاذ النحل بنو هاشم وقوله تعالى يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس يعنى العلم فقال له بشار أرانى الله شرابك وطعامك مما يخرج من بطون بنى هاشم فقد أوسعتنا غثاثة فغضب وشتم بشارا فبلغ المهدى الخبر فدعاهما وسألهما عن القصة فحدثه بشار بها فضحك حتى أمسك على بطنه ثم قال للرجل أجل فجعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطون بنى هاشم فانك بارد غث ودخل يزيد بن منصور الحميرى على المهدى وبشار بين يديه ينشده قصيدة امتدحه بها فلما فرغ منها أقبل عليه يزيد بن منصور وكانت فيه غفلة فقال له يا شيخ ما صناعتك فقال له أثقب اللؤلؤ فضحك المهدى ثم قال لبشار اعزب ويلك أتتنادر على خالى قال وما أصنع به يرى شيخا أعمى قائما ينشد الخليفة شعرا يسأله عن صناعته ووقف بعض المجان على بشار وهو ينشد شعرا فقال له استر شعرك هذا كما تستر عورتك فصفق بشار بيديه وغضب وقال له من أنت ويلك قال أنا أعزك الله رجل

أعظم ظفر وأرفق قدر ولو لم يكن فيه الا الرجوع الى الباب الذى منه درجت وفى خدمته تخرجت والوطن الذى هو أول أرض مس ترابها جلدى وعلقت فيه تمائمى فالله تعالى يحقق الرجاء ويكمل الامل بمنه وطوله (وكنت) أنا وابن المؤيد يوما عائدين الى مصر فثار قتام شديد ترب وجه الارض وأقذى عين الشمس فقال

وقتام اذا رآه بصير
عاد مما يقذيه مثل الضرير

(ثم استجازنى فقلت)

رد ثوبى مصندلا بعدما كا
ن شديد النقاء كالكافور

(واجتمعت) يوما بالاجل شهاب الدين ابن أخت الوزير نجم الدين العزيزى رحمه الله فأنشدنى لنفسه فى غلام رآه فى الحمام مؤتزرا بازار أخضر

ومرتج ردف أزروه بأخضر
كما ماج ماء قد تردى بطحلب

(واستجازنى فقلت)

يخيل لى مرآه نعمان أطلعت
قضيبا على حقف لبيرين معشب

(قال على بن ظافر) وهذه حكاية قرأتها فى بعض المجاميع ولا أعرف من حاكيها ولذلك أخرتها ولم أوردها على ترتيب الاعصار خيفة من انتقاد منتقد وهى (قال) أبو على اجتمعنا فى بعض الايام جماعة من أهل الادب وخرجنا الى منتزه

من باهلة وأخوالى من سلول وأصهارى من عكل واسمى كلب ومولدى بأماح ومنزلى بنهر بلال فضحك بشار وقال اذهب ويلك فأنت عتيق لؤمك قد علم الله انك استترت منى بحصون من حديد (وحدث) رجل من أهل البصرة ممن كان يتزوج النهاريات قال تزوجت امرأة منهن فاجتمعت معها فى علو بيت وبشار تحتنا أو كنا فى أسفل بيت وبشار فى علوه مع امرأة فنهق حمار فى الطريق فجاوبه حمار آخر فى بيت الجيران وحمار فى الدار فارتجت الناحية بنهيقها وضرب الحمار الذى فى الدار برجله الارض وجعل يدقها بها دقا شديدا فسمعت بشارا يقول للمرأة نفخ بعلم الله فى الصور وقامت القيامة أما تسمعين كيف يدق على أهل القبور حتى يخرجوا منها ولم نلبث أن فزعت شاة كانت فى السطح فقطعت حبلها وعدت فألقت طبقا من نحاس فيه غضارة الى الدار فانكسرت فتطاير حمام ودجاج كان فى الدار لصوت الغضارة والطبق وبكى من ذلك صبى فى الدار فقال بشار صح بعلم الله الخبر ونشر أهل القبور من قبورهم أزفت يشهد الله الآزفة وزلزلت الارض زلزالها فعجبت من كلامه وغاظنى فسألت من المتكلم فقيل لى بشار فقلت قد علمت أنه لا يتكلم بمثل هذا الكلام غيره ومر بشار برجل قد رمحته بغلته وهو يقول الحمد لله شكرا فقال له بشار استزده يزدك ومر قوم يحملون جنازة وهم يسرعون المشى بها فقال ما لهم مسرعين أتراهم قد سرقوها فهم يخافون أن يلحقوا فتؤخذ منهم ورفع غلامه اليه فى حساب نفقته جلاء مرآة عشرة دراهم فصاح به بشار وقال والله ما فى الدنيا أعجب من جلاء مرآة أعمى بعشرة دراهم والله لو صدئت عين الشمس حتى يبقى العالم فى ظلمة ما بلغت أجرة من يجلوها عشرة دراهم وعن خلاد قال قلت لبشار انك لتجىء بالشىء الهجر المتفاوت قال وما ذاك قلت له تقول شعرا تثير به النقع وتخلع به القلوب مثل قولك

اذا ما غضبنا غضبة مضرية * هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما
اذا ما أعرنا سيدا من قبيلة * ذرى منبر صلى علينا وسلما

الى أن تقول ربابة ربة البيت * تصب الخل فى الزيت لها عشر دجاجات * وديك حسن الصوت

فقال لكل شىء وجه وموضع فالقول الاول جد وهذا قلته فى جاريتى ربابة وأنا لا آكل البيض من السوق فربابة هذه لها عشر دجاجات وديك فهى تجمع البيض وتحفظه فهذا عندها أحسن من قول قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل عندك وقال هلال لبشار وكان صديقا له يمازحه ان الله عز وجل لم يذهب بصر أحد الا عوضه منه شيأ فما الذى عوضك قال الطويل العريض قال وما هو قال لا أراك ولا أمثالك من الثقلاء ثم قال له يا هلال أتطيعنى فى نصيحة أخصك بها قال نعم قال انك كنت تسرق الحمير زمانا ثم تبت وصرت رافضيا فعد الى سرقة الحمير فهى والله خير لك من الرفض وعن أبى دهمان العلائى قال مررت ببشار يوما وهو جالس على باب داره وحده وليس معه أحد وبيده مخصرة يلعب بها وقدامه طبق فيه تفاح وأترج فلما رأيته وليس عنده أحد تاقت نفسى الى أن أسرق مما بين يديه فجئت من خلفه قليلا قليلا وهو كاف يده حتى مددت يدى لأتناول منه فرفع القضيب وضرب به يدى ضربة كاد يكسرها فقلت له قطع الله يدك يا ابن الفاعلة أنت الآن أعمى فقال يا أحمق فأين الحس وقعد الى بشار رجل فاستثقله فضرط عليه بشار ضرطة فظن الرجل أنها أفلتت منه ثم ضرط أخرى فقال أفلتت ثم ضرط ثالثة فقال له يا أبا معاذ ما هذا فقال مه أرأيت أم سمعت قال لا بل سمعت صوتا قبيحا فقال له لا تصدق حتى ترى (وحدث) محمد بن الحجاج قال جاءنا بشار يوما وهو مغتم فقلنا له ما لك مغتما فقال مات حمارى فرأيته فى النوم فقلت له لم مت ألم أكن أحسن اليك فقال

سيدى خذلى أتانا * عند باب الاصبهانى
تيمتنى ببنان * وبدل قد شجانى
تيمتنى يوم رحنا * بثناياها الحسان
وبغنج ودلال * سل جسمى وبرانى
ولها خد أسيل * مثل خد الشنفرانى
فلذا مت ولو عشت * اذا طال هوانى

فقلت له ما الشنفرانى قال ما يدرينى هذا من غريب الحمار فاذا لقيته فاسأله عنه (وقال الجاحظ) كان بشار يدين بالرجعة ويكفر جميع الامم ويصوب رأى ابليس عليه اللعنة فى تقديم عنصر النار على الطين وذكر ذلك

فوقفنا فى ظل قصر لنستريح فوقعت علينا منه رقعة فيها أجيزوا هذا البيت

ولى مقلة عهدها بالكرا
بعيد وبالدمع عهد قريب

(فكتبت تحته)

تحار اذا مر فيها الكرا
كما حار فى الحى ضيف غريب

ثم صرفنا الرقعة مع بواب القصر فأخرج الينا سفرة فيها طعام كثير وأشياء فيها عون لنا على نزهتنا (قال على بن ظافر) وأحسب أن أبا على هذا الحاتمى فان صح الحديث فينبغى أن تكون بعد حكايتى الصاحب ابن عباد رحمه الله تعالى (ومن اجازة بيت ببيت) ما يكون الشاعر قد عمل بيتا واستجازه أولا أو عمل بيتين وأراد ابدال أحدهما أو الاختبار فيه مثل ما أنبأنا به العماد أبو جعفر الاصبهانى قال أخبرنى الامير الاجل نجم الدين بن مصال أن شابا يعرف بأحمد الابى من أهل الاسكندرية سافر الى الشيخ الاجل أبى بكر أحمد بن محمد العيذى التميمى الكاتب فاضل اليمن ورئيسه وانتفع من جانبه وان أحمد ذكر عنه أنه عمل أبياتا يهنى فيها الداعى بطهور أولاده من جملتها قوله

كذبالة المصباح يقضى قطعها
عند الخمود لها بقوة ناره

قال فقال الاديب العيذى يصلح أن يكون لهذا البيت توطئة من قبله فقال

في شعره فقال   الارض مظلمة والنار مشرقة * والنار معبودة مذ كانت النار
وكان الشر قد نشب بين بشار وحماد عجرد لامور يطول ذكرها فكانا يتقارضان الهجاء فأجمع علماء البصرة أنه ليس في هجاء حماد عجرد لبشار شيء جيد الا أربعين بيتا معدودة ولبشار فيه من الهجاء أكثر من ألف بيت جيد وكل واحد منهما هو الذي هتك صاحبه بالزندقة وأظهرها عليه وكانا يجتمعان عليها فسقط حماد عجرد وتهتك بفضل بلاغة بشار وجودة معانيه و بقي بشار على حاله لم يسقط وعرف مذهبه في الزندقة فقتل به وكان رجل من أهل البصرة يدخل بين حماد و بشار على اتفاق منهما ورضي بأن ينقل الى كل واحد منهما ما يقول الآخر من الشعر فدخل يوما على بشار فقال له بشار ايه يافلان ماقال ابن الزانية فيّ من الشعر فأنشده

ان تاه بشار عليكم فقد * أمكنت بشارا من التيه

فقال بشار بأي شيء و يحك فقال

وذاك اذ سميته باسمه * ولم يكن حر يسميه

فقال سخنت عينه فبأي شيء كنت أعرف ايه فقال

فصار انسانا بذكري له * ما يبتغي من بعد ذكريه

فقال ماصنع شيأ ايه ويحك فقال

لم أهج بشارا ولكنني * هجوت نفسي بهجائيه

فقال على هذا المعنى دار وحوله حام ايه أيضا وأي شيء قال فأنشده

أنت ابن برد مثل برد * في النذالة والرذاله   من كان مثل أبيك يا * أعمى أبوه فلا أباله

(وحدث) خالد الارقط قال أنشد بشار راويته قول حماد عجرد فيه

دعيت الى برد وأنت لغيره * فهبك لبرد نكت أمك من برد

فقال بشار لراويته ههنا أحد قال لا فقال أحسن والله ماشاء ابن الزانية وقال بشار يوما لراويته حماد ما هجاني به اليوم حماد فأنشده

ألا من مبلغ عني الـ * ـذي والده برد

قال صدق ابن الفاعلة فما قال بعده فأنشده

اذا ما نسب الناس * فلا قبل ولا بعد

فقال كذب ابن الفاعلة وأين هذه العرصات من عقيل فما قال فأنشده

وأعمى قلطبان ما * على قاذفه حد

فقال كذب ابن الفاعلة بل ثمانون جلدة عليه هيه فقال

وأعمى يشبه القرد * اذا ما عمي القرد

فقال والله ما أخطأ ابن الزانية حين شبهني بقرد حسبك حسبك ثم صفق بيديه وقال ماحيلتي يراني فيشبهني ولا أراه فأشبهه وفي حماد عجرد يقول بشار

مالت حماد على فسقه * يلومه الجاهل والمائق * وما هما من ايره واسته
ملكه اياهما الخالق * ما بات الا فوقه فاسق * ينيكه أو تحته فاسق

قال ابن أبي سعيد وأبلغ ما هجا به حماد عجرد بشارا قوله

نهاره أخبث من ليله * و يومه أخبث من أمسه وليس بالمقلع عن غيه * حتى يواري في ثرى رمسه

قال وكان أغلظ على بشار من ذلك كله وأوجعه له قوله فيه

لو طليت جلدته عنبرا * لأفسدت جلدته العنبرا أو طليت مسكا ذكيا اذا * تحول المسك عليه خرا

قال وكان حماد عجرد قد اتصل بالربيع يؤدب ولده فكتب اليه بشار رقعة فأوصلت الى الربيع فاذا فيها مكتوب

يا أبا الفضل لاتنم * وقع الذئب في الغنم ان حماد عجرد * ان رأى غفلة هجم
بين فخذيه حربة * في غلاف من الادم ان خلا البيت ساعة * مجمع الميم بالقلم

فلما قرأها الربيع قال صيرني حماد دريئة الشعراء أخرجوا عني حمادا فأخرج وقد فعل مثل هذا بعينه حماد

عجرد

فقضى له السلطان تأثير فيه بمقتضى آثاره

(قال العماد) ونقلت من مجموع أبي المعالي الكتبي لابي القاسم الهمداني

تعيرني وخط المشيب بعارضي * ولولا الحجول البيض لم تحسن الدهم
حنى الشيب ظهري واستمرت عزيمتي * ولولا انحناء القوس لم ينفذ السهم

(قال فنظمت المعنى وقلت)

يفيد العاقل اليقظ التغابي * ليدرك في الغنى حظ الغبي
فلم تصب السهام على اعتدال * بها لولا اعوجاج في القسي

قال وأنشدته للامير مؤيد الدولة أسامة بن منقذ فصنع في الحال بدل الاول من البيتين وهو

أرى حلم الحليم به افتقار * الى جهل الفتى الغر الغبي

(قال علي بن ظافر) وبالاسناد المتقدم عن أبي الحسن علي ابن بسام الشنتريني مما أورده في كتاب الذخيرة ما هذا معناه واللفظ لي أن المعتمد على الله أبا القاسم محمد بن عباد صاحب اشبيلية وغرب الاندلس جلس يوما للشرب وذلك في وقت مطر أجرى كل وهدة نهرا وحلى جيد كل غصن من الزهر جوهرا و بين يديه ساقية تحمل الزهر بطيب العرف والريا وتقابل بدر وجهها بشهاب الكاس في راحة

عجرد بقطرب حين اتخذ مؤدّبا لبعض ولد المهدى وكان هو يطمع فى ذلك فلم يتم له لشهرته فى الناس بما قاله فيه بشار فلما تمكن قطرب فى موضعه صار حماد كالملقى على الرصد فجعل يقوم و يقعد بقطرب فى الناس ثم أخذ رقعة فكتب فيها

قل للامام جزاك الله صالحة * لا تجمع الدهر بين السخل والذيب
السخل غر وهم الذئب فرصته * والذئب يعلم ما فى السخل من طيب

فلما قرأ المهدى هذين البيتين قال انظر والا يكون هذا المؤدب لوطيا ثم قال انفوه عن الدار فأخرج عنها وجىء بمؤدب غيره ووكل بولده تسعون خادما يتناوبا يحفظونه فخرج قطرب هاربا مما شهر به الى الكرج فأقام هنالك الى أن مات وكان بشار بلغه أن حمادا عليل المائة ثم نعى اليه قبل موته فقال بشار

لو عاش حماد لهونا به * لكنه صار الى النار

فبلغ هذا البيت حمادا قبل موته وهو فى السياق فقال يرد عليه

نبئت بشارا نعانى وللـ * موت برانى الخالق البارى
ياليتنى مت ولم أهجه * نعم ولو صرت الى النار
وأى خزى هو أخزى من أن * يقال لى ياسب بشار

وكان حماد قد نزل بالاهواز على سليم بن سالم فأقام عنده مدة مستترا من محمد بن سليمان ثم خرج من عنده يريد البصرة فمر بشيراز اذ أن فى طريقه فمرض بها فاضطر الى المقام بها بسبب علته واشتد مرضه فمات هنالك ودفن على تلعة ثم ان المهدى لما قتل بشارا بالبطيحة اتفق انه حمل الى منزله ميتا فدفن مع حماد على تلك التلعة فمر بهما أبو هشام الباهلى الشاعر البصرى الذى كان يهاجى بشارا فوقف على قبريهما وقال

قد تبع الاعمى قفا عجرد * فأصبحا جارين فى دار
قالت بقاع الارض لا مرحبا * بقرب حماد وبشار
تجاورا بعد تنائيهما * ما أبغض الجار الى الجار
صارا جميعا فى يدى مالك * فى النار والكافر فى النار

وكان السبب فى قتل المهدى بشارا انه كان نهاه عن التشبيب فمدحه بقصيدة فلم يحظ منه بشىء فهجاه فقال من قصيدة

خليفة يزنى بعماته * يلعب بالدابوق والصولجان
أبدلنا الله به غيره * ودس موسى فى حر الخيزران

وأنشدها فى حلقة يونس النحوى فسعى به الى يعقوب بن داود الوزير وكان بشار قد هجاه بقوله

بنى أمية هبوا طال نومكم * ان الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا * خليفة الله بين الزق والعود

فدخل يعقوب على المهدى فقال يا أمير المؤمنين ان هذا الاعمى الملحد الزنديق قد هجاك قال بأى شىء قال بما لا ينطق به لسانى ولا يتوهمه فكرى فقال بحياتى أنشدنى اياه فقال والله لو خيرتنى بين انشادى اياه وضرب عنقى لاخترت ضرب عنقى فحلف عليه المهدى بالايمان التى لا فسحة له فيها فقال أما لفظا فلا ولكنى أكتب ذلك فكتبه ودفعه اليه فكاد ينشق غيظا وعمل على الانحدار الى البصرة لينظر فى أمرها وما فى فكره غير بشار فانحدر فلما بلغ الى البطيحة سمع أذانا فى وقت اضحاء النهار فقال انظروا ما هذا الاذان فاذا بشار سكران فقال له يا زنديق يا عاض بظر أمه عجبت أن يكون هذا من غيرك أتلهو بالاذان فى غير وقت صلاة وأنت سكران ثم دعا بابن نهيك فأمره بضربه بالسوط فضربه بين يديه على صدر الحراقة سبعين سوطا أتلفه فيها فكان اذا أصابه السوط يقول حس وهى كلمة تقولها العرب للشىء اذا أوجع فقال بعضهم انظر الى زندقته يا أمير المؤمنين يقول حس ولا يقول بسم الله فقال ويلك أطعام هو فأسمى عليه فقال له آخر أفلا قلت الحمد لله فقال أو نعمة هى فأحمد الله عليها فلما استوفى السبعين بان الموت فيه فألقى فى سفينة حتى مات ثم رمى به فى البطيحة فجاء بعض أهله فحملوه الى البصرة فدفنوه الى جانب حماد عجرد كما تقدم آنفا وقال أبو هشام الباهلى فيه

يا بؤس ميت لم يبكه أحد * أجل ولم يفتقده مفتقد
لا أم أولاده بكته ولم * يبك عليه لفرقة أحد

الثريا فاتفق أن لمع البرق بحسامه وأجال سوطه المذهب ليسوق به ركاب ركامه فارتاعت لخطفته وذعرت من خيفته فقال بديها

روّعها البرق وفى كفها * برق من القهوة لماع
عجبت منها وهى شمس الضحى * كيف من الانوار ترتاع

وحسن صنعهما أطربه معناهما وهزه وحركه استحسانهما واستفزه فاستدعى عبد الجليل بن وهبون المرسى وأنشده البيت الاول فقال عبد الجليل

ولن ترى أعجب من آنس * من مثل ما يمسك يرتاع

فاستحسنه وأمر له بجائزة وبيته أحسن من بيت المعتمد عندى (وأخبرنا) القاضى السعيد أبو القاسم هبة الله ابن سناء الملك رحمه الله بما هذا معناه قال تذاكرنا فى بعض الايام بديوان الانشاء فأفضى بنا الحديث الى ذكر الناشى الاصغر وقوله فى وردة

ووردة فى بنان معطار * حيابها فى خفى أسرار
كأنها وجنة الحبيب وقد * نقطها عاشق بدينار

فقلت تشبيه الصفرة بالدينار فيه بعض تقصير وعليه نقد خفى لا يدركه الا الناقد البصير وهو كون الصفرة فى رأى العين أصغر من الدينار ولو قال كمثل وجنة خود قد نقطت برباع لكان أخصر وأحسن

ولا ابن أخت يبكي ولا ابن أخ * ولا حميم رقت له كبد

بل زعموا أن أهله فرحا * لما أتاهم نعيه سجدوا

وكان بشار يعطي أبا الشمقمق في كل سنة مائتي درهم فأتاه في بعض السنين فقال له هلم الجزية يا أبا معاذ فقال ويحك أو جزية هي أيضا قال هو ما تسمع فقال له بشار ممازحه أنت أفصح مني قال لا قال فأعلم مني بمثالب الناس قال لا قال فأشعر مني قال لا قال فلم أعطيك قال لئلا أهجوك فقال له ان هجوتني هجوتك فقال له أبو الشمقمق أو هكذا هو قال نعم فقل ما بدا لك فقال أبو الشمقمق

اني اذا ما شاعر هجانيه * ولج في القول له لسانيه

أدخلته في است امه علانيه * بشار يا بشار

وأراد أن يقول يا ابن الزانيه فوثب بشار فأمسك فاه وقال أراد والله أن يشتمني ثم دفع اليه مائتي درهم وقال لا يسمعن منك هذا الصبيان (وحدث) الاصمعي قال أمر عقبة بن سلم لبشار بعشرة آلاف درهم فأخبر أبو الشمقمق بذلك فوافى بشارا فقال له يا أبا معاذ اني مررت بصبيان فسمعتهم ينشدون

هللينه هللينه * طعن قناة لتينه ان بشار بن برد * تيس أعمى في سفينه

فأخرج له بشار مائتي درهم وقال خذ هذه ولا تكن راوية للصبيان يا أبا الشمقمق وللضرب بشار وطرح في السفينة قال ليت عين أبي الشمقمق تراني حيث يقول

ان بشار بن برد * تيس أعمى في سفينه

وكان قتله سنة ثمان وستين ومائة وقد بلغ نيفا وتسعين سنة ومن شعره قوله

طالبتها دينا فضنت به * وأمسكت قلبي مع الدين فرحت كالعير غدا يبتغي * قرنا فلم يرجع بأذنين

أعتقت مما أملك ان لم أكن * أحب أن ألقاك فالقيني والله لو نلتك لا أتقي * عينا لقبلتك ألف عين

قوله فرحت كالعير البيت مثل قول بعضهم

ذهب الحمار ليستفيد لنفسه * قرنا فآب وماله أذنان

ومن شعره قوله

خير اخوانك المشارك في المر وأين الشريك في المر أينا

الذي ان شهدت سرك في الحي وان غبت كان أذنا وعينا

مثل سر الياقوت ان مسه النار جلاه البلاء فازداد زينا

أنت في معشر اذا غبت عنهم * بدلوا كل ما يزينك شينا

واذا ما رأوك قالوا جميعا * أنت من أكرم البرايا علينا

ما أرى للأنام ودا صحيحا * عاد كل الوداد زورا ومينا

﴿فقلت عسى أن تبصريني كأنما * بني حوالي الاسود الحوارد﴾

البيت من الطويل قائله الفرزدق من جملة أبيات قالها مخاطبا لزوجته النوار وكان قد مكث زمانا لا يولد له فعيرته بذلك وأول الابيات

وقالت أراه واحدا لا أخا له * يؤمله يوما ولا هو والد

وبعده البيت وبعده فان تميما قبل أن يلد الحصا * أقام زمانا وهو في الناس واحد

والحوارد من حرد اذا غضب (والشاهد فيه) ترك الواو في الجملة الاسمية الحالية لدخول حرف على المبتدا يحصل به نوع من الارتباط وهو هنا كأن اذ لولم تدخل لما حسن الكلام الا بالواو وبني الخ جملة اسمية وقعت حالا من مفعول تبصريني ومعنى حوالي في أكنافي وجوانبي وهو حال من بني لما في حرف التشبيه من معنى الفعل

﴿والله يبقيك لنا سالما * برداك تبجيل وتعظيم﴾

فاستحسنته الجماعة فقال السيد هبة الله بن سراج منشي الديوان يا قوم أنا أجيزه ببيت أول ثم صنع جاريا على عادته في التجنيس

وورده نالت الحسن اذ زهت في الرباع

(وأخبرني) صاحبنا الفقيه أبو الفضل جعفر الحوي قال مر بي في بعض الايام يهودي يعرف بأبي الخير أقبح الناس صورة وأشدهم تنافر خلقة قصير القامة طويل اللحية بارز الانف فحين رأيته وقع لي بيت على شبه الارتجال وهو

لحية طولها ذراع وأنف * طول شبر وقامة طول أصبع

ثم ارتج علي فمر بي الاديب فاضل بن راجي الله المنبوز عداد فأنشدته اياه فقال أعمل له أولا فقلت ان شئت فقال

ما رأينا ولا سمعنا بشخص * كأبي الخير في الخلائق أجمع

(ومن ذلك) ما أخبرني الفقيه أبو محمد عبد الخالق بن زيدان المسكي المقدم ذكره قال أخبرني صاحبنا الاديب أبو الحسن علي بن خروف القرطبي المقدم ذكره في هذا الكتاب قال رأيت في المنام منشدا ينشدني

اذا كنت في الدنيا حليف تكبر * فانك في الاخرى أقل من الذر

قال فانتبهت وقد حفظته فأجزته بقولي

تنزه عن الدنيا وكن متواضعا

البيت لابن الرومى من قصيدة من السريع يقول منها قبل البيت

قل له الملك ولو أنه * مجموعة فيه الاقاليم

والتبجيل التعظيم (والشاهد فيه) ترك الواو فى الجملة الاسمية الحالية وهى برد الخ لوقوعها بعقب حال مفرد وهو سالما اذ لو لم يتقدمها لم يحسن فيها ترك الواو والحالان أعنى الجملة وسالما يجوز أن يكونا من الاحوال المترادفة وهى أن تكون أحوال متعددة وصاحبها واحد كالكاف من يبقيك هاهنا ويجوز أن يكونا من الاحوال المتداخلة وهى أن يكون صاحب الحال المتأخرة الاسم الذى يشتمل عليه الحال السابقة مثل أن يجعل قوله برد التعظيم حالا من الضمير فى سالما (وابن الرومى) تقدم ذكره فى شواهد المسند اليه

﴿شواهد الايجاز والاطناب والمساواة﴾

﴿والعيش خير فى ظلا * ل النوك ممن عاش كدّا﴾

البيت للحرث بن حلزة اليشكرى من الكامل المضمر المرفل وقبله

عيش بجد لا يضر * ك النوك ما أوليت جدّا

والنوك بضم النون وفتحها الحمق ومعنى كدّا مكدودا متعوبا (والشاهد فيه) الاخلال لكونه غير واف بالمراد اذ أصل مراده أن العيش الناعم فى ظلال النوك خير من العيش الشاق فى ظلال العقل ولفظه غير واف بذلك وما أحسن قول ابن المعتز

وحلاوة الدنيا لجاهلها * ومرارة الدنيا لمن عقلا

ولابى عبد الله محمد بن أبى الفضل السلمى المرسى

عابوا الجهالة وازدروا بحقوقها * وتهاونوا بحديثها فى المجالس

وهى التى ينقاد فى يدها الغنى * وتجيئها الدنيا برغم المعطس

ان الجهالة للغنى جذابة * جذب الحديد حجارة المغنيطس

ولابى محمد اليزيدى من أبيات

عش بجد ولا يضرك نوك * انما عيش من ترى بالجدود

عش بجد وكن هبنقة العيـ * ـسى أو كأو شيبة بن الوليد

وما أحسن قول بعضهم ان المقادير اذا ساعدت * ألحقت العاجز بالقادر

وبديع قول بعضهم بالجد يسمو الفتى والا * فليس يغنى أب وجدّ

وليس يجدى عليك كدّ * مادام يكدى عليك جدّ

وما أحذق قول ابن لنكك

دنياك باتت على الاحرار غاضبة * وطاوعت كل صفعان وضرّاط

وقوله أيضا كن ساعيا أو مصافعا أو ضارطا * تنل الرغائب فى الزمان وتنفق

وللمؤلف من أبيات من يسع بالفضل معاشا يمت * جوعا ولو كان بديع الزمان

ومن يقد أو يتمسخر يعش * عيشا رخيا فى ظلال الامان

تبغى الحجا ثم تروم الغنى * يا قلما تجتمع الضرتان

ولطيف قول بعضهم قد يجد اللبيب عن سعة الرز * ق وقد يسعد الضعيف بجده

رب مال أتى بأهون سعى * وكدود لم يغنه طول كده

ولابن نباتة السعدى ما بال طعم العيش عند معاشر * حلو وعند معاشر كالعلقم

من لى بعيش الاغبياء فانه * لا عيش الا عيش من لم يعلم

عفيفا ولا تسحب ذيولا من الكبر

(اجازة بيت بأكثر من بيت) فمن ذلك ما رواه أبو الفرج الاصبهانى فى أخبار بشار ابن برد وهو ان المهدى أشرف يوما من أعلى القصر فرأى جارية من جواريه تغتسل فحين رأته استترت منه فقال

نظرت فى القصر عينى * نظرا وافق حينى

ثم ارتج عليه فأمر باحضار من بحضرته فأحضر بشار فأنشده البيت فقال

سترت لما رأتنى * دونه بالراحتين

فضلت منه فضول * تحت طى العكنتين

فقال المهدى قبحك الله أكنت ثالثنا قال ثم ماذا فقال فتمنيت وقلبى * للهوى فى زفرتين

أننى كنت عليه * ساعة أو ساعتين

فضحك المهدى وأمر له بجائزة فقال له يا أمير المؤمنين أقنعت فى مثل هذه الصفة بساعة أو ساعتين قال فبم ويحك قال سنة أو سنتين فضحك وقال أخرج عنى قبحك الله (ومثله ما روى) من أن الرشيد أنشد الاصمعى بيتا وهو

ليتنى عقدك أو يا ليتنى * تكة موشية من تككك

واستجازه فقال

امضينى الوصل يا سيدتى * والمصنى عسلا من عككك

(والحرث) بن حلزة هو من بنى يشكر من بكر بن وائل وكان أبرص وهو القائل

آذنتنا ببينها أسماء * رب ثاو يمل منه الثواء

ويقال انه ارتجلها بين يدى عمرو بن هند ارتجالا فى شئ كان بين بكر وتغلب فى الصلح وكان ينشده من وراء السجف للبرص الذى كان به فأمر برفع السجف بينه وبينه استحسانا لها وكان الحرث متوكئا على عنزة فأثرت فى جسده وهو لا يشعر وكان له ابن يقال له مذعور ولمذعور ابن يقال له شهاب بن مذعور وكان ناسبا وفيه يقول مسكين الدارمى

هلم الى ابن مذعور شهاب * ينبئ بالسفال و بالمعالى

قال الاصمعى قد أقوى الحرث بن حلزة فى قصيدته التى ارتجلها

فملكنا بذلك الناس اذ ما * ملك المنذر ابن ماء السماء

قال أبو محمد ولن يضر ذلك فى هذه القصيدة لانه ارتجلها فكانت كالخطبة

(وألفى قولها كذبا ومينا)

هو من الوافر وصدره وقددت الاديم لراهشيه وقائله عدى بن زيد العبادى من قصيدة طويلة أولها

أبدلت المنازل أم عنينا * بقادم عهدهن فقد بلينا

يقول فيها يخاطب النعمان بن المنذر ابن ماء السماء

ألا أيها المثرى المرجى * ألم تسمع بخطب الاولينا

ومنها يذكر غدر الزباء بجذيمة الابرش

دعا بالبقة الامراء يوما * جذيمة عصر ينجوهم ثبينا * فطاوع أمرهم وعصى قصيرا

وكان يقول لو تبع اليقينا * ودست فى صحيفتها اليه * ليملك بضعها ولان تدينا

فخانته وقد جمعت فيوجا * على أبواب حصن مصلتينا * فأردته ورغب النفس يردى

ويبدى للفتى الحين المبينا * وحدثت العصا الانباء عنه * ولم أر مثل فارسها هجينا

(وبعده البيت المستشهد بعجزه وبعده)

ومن حذر الملاوم والمخازى * وهن المنديات لمن منينا * أطف لانفه الموسى قصير

ليجدعه وكان به ضنينا * فأهواه لمارنه فأضحى * طلاب الوتر مجدوعا مشينا

وصادفت امرءا لم تخش منه * غوائله وما أمنت أمينا * فلما ارتدمنها ارتدصابا

بجز المال والصدر الضغينا * أتتها العيس تحمل ما دهاها * وقنع فى المسوح الدارعينا

ودس لها على الانفاق عمرا * بشكته وما خشيت كمينا * فجللها قديم الاثر عضبا

يصك به الحواجب والجبينا * فأضحت من حوائنها كأن لم * تكن زباء حاملة جنينا

وأبرزها الحوادث والمنايا * وأى معمر لا يبتلينا * اذا أمهلن ذا جد عظيم

عطفن له ولو فرطن حينا * ولم أجد الفتى يلهو بشئ * ولو أثرى ولو ولد البنينا

وكان من خبر جذيمة والزباء أن جذيمة كان من العرب الاولى من بنى اياد كما ذكره ابن الكلبى وكنيته أبو مالك وكان فى أيام ملوك الطوائف وقال أبو عبيدة كان جذيمة بعد عيسى صلوات الله وسلامه عليه بثلاثين سنة وكان قد ملك شاطئ الفرات الى ما والى ذلك الى السواد ستين سنة وكان به برص فهابت العرب أن تصفه بذلك فقالوا الابرش والوضاح وقيل سمى بذلك لانه أصابه حرق نار فبقى أثره نقطا سودا وحمرا وكان الملك قبله أباه وهو أول من ملك الحيرة وكان جذيمة هذا يغير على ملوك الطوائف حتى غلبهم على كثير مما فى أيديهم وهو أول من أوقد الشمع ونصب المجانيق للحرب وأول من اجتمع له الملك بأرض العراق وكان قد قتل أبا الزباء وغلب على غالب ملكه وألجأ الزباء الى أطراف مملكتها وكانت عاقلة أديبة فبعث اليه تخطبه لنفسه ليتصل ملكه بملكها فدعته نفسه الى ذلك وقيل انه هو الذى بعث اليها يخطبها فكتبت اليه انى فاعلة

ما على قومك أو ما ضرهم
لو وقفنا ساعة فى سككك
وقد تقدم قريب منها فى باب المجاوبة قال برية بن أبى اليسر الرياضى فى كتابه فى الامثال سمعت سيبويه يقول دخل عبد الله بن طاهر الرى سحرا فسمع قرية تنوح فقال لله در الهلالى حيث يقول

ألا يا حمام الايك الفك حاضر
وغصنك مياد ففيم تنوح

وكان معه عوف بن محلم الشاعر فقال له أجز هذا البيت فقال

وأرقنى بالليل صوت حمامة
فنحت وذو الشوق القديم ينوح
على أنها ناحت ولم تذر دمعة
ونحت وأسراب الدموع سفوح
وناحت وفرخاها بحيث تراهما
ومن دون أفراخى مهامه فيح

(أنبأنا الشيخان) الاجل العلامة تاج الدين الكندى وابن الجرستانى اجازة عن الحافظ أبى القاسم بن عساكر سماعا منه أخبرنا أبو بكر المرزقى أنبأنا أبو منصور العكبرى أنبأنا أبو الحسن أحمد بن محمد الصلت المحبر حدثنا أبو الفرج على بن الحسين الاصبهانى حدثنى على بن صالح عن أحمد بن أبى طاهر حدثنه أنه ألقى على فضل الشاعرة

علم الجمال تركتنى
فى الحب أشهر من علم

(فقالت)

ومثلك يرغب فيه فاذا اشئت فاشخص الى" فشاور وزراءه فكل أشار عليه أن يفعل الا قصير بن سعد فانه قال له أيها الملك لا تفعل فان هذه خديعة ومكر فعصاه وأجابها الى ماسألت فقال قصير عند ذلك لا يطاع لقصير رأى وقيل أمر فأرسلها مثلا ولم يكن قصيرا ولكن كان اسمه الله ثم انه قال له أيها الملك أما اذ عصيتني فاذا رأيت جندها اقد أقبلوا اليك فان ترجلوا وحيوك ثم ركبوا وتقدموا فقد كذب ظني وان رأيتهم اذا حيوك طافوا بك فاني معرض لك العصا وهي فرس لجذيمة لا تدرك فاركبها وانج فلما أقبل جيشها حيوه ثم طافوا به فقرب قصير اليه العصا فشغل عنها فركبها قصير فنجا فنظر جذيمة الى قصير على العصا وقد حال دونه السراب فقال ماذل من جرت به العصا فأرسلها مثلا وأدخل جذيمة على الزباء وكانت قد ربت شعر عانتها حولا فلما دخل تكشفت له وقالت أمتاع عروس ترى يا جذيمة فقال بل متاع أمة بظراء فقالت انه ليس من عدم المواسي ولا من قلة الاواسي ولكنها شيمة ما أقاسي وأمرت فأجلس على نطع ثم أمرت برواهشه فقطعت وكان قد قيل لها احتفظي بدمه فانه ان أصاب الارض قطرة من دمه طلب بثاره فقطرت قطرة من دمه في الارض فقالت لا تضيعوا دم الملك فقال جذيمة دعوا دما ضيعه أهله فلم يزل الدم يسيل الى أن مات ثم ان قصيرا أتى عمرا ابن أخت جذيمة وأخبره الخبر وحرضه على أخذ الثار واحتال لذلك بأن قطع أنفه وأذنيه ولحق بالزباء وزعم أن عمرا فعل به ذلك وأنه اتهمه بممالأته لها على خاله ولم يزل يخدعها حتى اطمأنت له وصارت ترسله الى العراق بمال فيأتي الى عمرو فيأخذ منه ضعفه ويشتري به ما تطلبه ويأتي به اليها الى أن تمكن منها وسلمته مفاتيح الخزائن وقالت له خذ ما أحببت فاحمل ما أحب من مالها وأتى عمرا فانتخب من عسكره فرسانا وألبسهم السلاح واتخذ غرائر وجعل أشراجها من داخل ثم حمل على كل بعير رجلين معهما سلاحهما وجعل يسير النهار حتى اذا كان الليل اعتزل عن الطريق فلم يزل كذلك حتى شارف المدينة فأمرهم فلبسوا الحديد ودخلوا الغرائر ليلا وعرف انه مصبحها فلما أصبح عندها دخل عليها وسلم وقال هذه العير تأتيك الساعة بمال لم يأتك قط مثله فصعدت فوق قصرها وجعلت تنظر العير وهي تدخل المدينة فأنكرت مشيها وجعلت تقول

ما للجمال مشيها وئيدا * أجندلا يحملن أم حديدا
أم صرفانا باردا شديدا * أم الرجال جثما قعودا

فلما توافت العير المدينة حلوا أشراجهم وخرجوا في الحديد وأتى قصير بعمرو فأقامه على سرب كان لها اذا خشيت خرجت منه فأقبلت لتخرج من السرب فأتاها عمرو فجعلت تمص خاتمها وفيه سم وتقول بيدي لا بيد عمرو وفارقت الدنيا والراهشان عرقان في باطن الذراعين (والشاهد فيه) التطويل وهو أن يكون اللفظ زائدا على أصل المراد لا لفائدة واللفظ الزائد غير متعين اذ جمعه بين الكذب والمين في البيت لا فائدة فيه لانهما بمعنى واحد (وعدي) هو ابن زيد بن حماد بن أيوب ينتهي نسبه لنزار وكان أيوب هذا فيما يزعم ابن الانباري أول من سمي من العرب أيوب وكان عدي شاعرا فصيحا من شعراء الجاهلية وكان نصرانيا وكذلك كان أبوه وأهله وليس ممن يعد في الفحول اذ هو قروي وقد أخذ عنه أشياء عيب بها وكان أبو عبيدة والاصمعي يقولان عدي بن زيد في الشعراء بمنزلة سهيل في النجوم يعارضها ولا يجري معها مجراها وكذلك عندهم أمية بن أبي الصلت الثقفي ومثلهما عندهم من الاسلاميين الكميت والطرماح وقال ابن قتيبة كان يسكن الحيرة ويدخل الارياف فثقل لسانه واحتمل عنه شئ كثير جدا وعلماؤنا لا يرون شعره حجة وله أربع قصائد غرر احداهن أولها

أرواح مودع أم بكور * لك فاعمد لاي حال تصير

وفيها يقول

أيها الشامت المعير بالدهـ * ـر أأنت المبرأ الموفور
أم لديك العهد الوثيق من الايام * أم أنت جاهل مغرور
من رأيت المنون جارته أم من * ذا عليه من أن يضام خفير
أين كسرى كسرى الملوك أنوشر * وان أم أين قبله سابور

وأبحتني يا سيدي
سقما يزيد على السقم
وتركتني غرضا لقد
تلك العواذل والتهم
(وذكر أبو العباس المروزي) قال صنع المتوكل بيتا وطالب فضل الشاعرة أن تجيزه وهو
لاذ بها يشتكي اليها
فلم يجد عندها ملاذا
(فصنعت بديهة)
ولم يزل ضارعا اليها
تهطل أجفانه رذاذا
فعاتبوه فزاد شوقا
فمات عشقا فكان ماذا
فطرب المتوكل وقال أحسنت وحياتي يا فضل وأمر لها بمائتي دينار وأمر عريب فغنت به (قال علي بن ظافر) وقد ذكرنا البيت الاخير من بيتي فضل في حكاية أبي السمراء في اجازة بيت بيت الا أن هذه الحكاية أثبت رواية من تلك وهي من رواية أبي الفرج في الاغاني (وبالاسناد المتقدم) ذكر الثعالبي في كتاب اليتيمة قال جلس سيف الدولة أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمدان يوما مع جماعة من خواص كتابه وأصحابه فقال أيكم يجيز قولي
لك جسمي تعله * فدمي لم تحله
وليس لها الا سيدي يعني ابن عمه أبا فراس بن أبي العلاء ابن حمدان فارتجل أبو فراس
لك من قلبي المكا * ن فلم لا تحله
ولئن كنت مالكا
فلك الامر كله
فاستحسنهما ووهب له ضيعة منبج تغل ألفي دينار في كل

وبنو الاصفر الكرام ملوك الـــروم لم يبق منهم مذكور

وأخو الحضر اذ بناه واذ دجـلة تجبى اليـه والخابور

شاده مرمرا وجلله كلـــسا فللطير فى ذراه وكور

وتبين رب الخورنق اذ أشـــرف يوما وللهـدى تفكير

سره حاله وكثرة ماعـــلك والبحر معرضا والسدير

فارعوى قلبـه وقال وماغبـــطة حى الى الممات يصير

ثم بعـد الفلاح والملك والامـــة وارتهم هنـاك القبور

ثم أضحوا كأنهـم ورق جف فألوت به الصبا والدبور

والثانية أولها أتعرف رسم الدار من أم معبد * نعم فرماك الشوق قبل التجلد

أعاذل ماندريك أن منيتى * الى ساعة فى اليوم أو فى ضحى غد

ذرينى فانى انما لى مامضى * أمامى من مالى اذا خف عوّدى

وجمت لميقات الى منيتى * وغودرت قد وسدت أو لم أوسد

وللوارث الباقى من المال فاتركى * عتابى فانى مصلح غير مفسد

والثالثة أولها لم أر مثل الفتيان فى غبن ا لأيام يدرون ماعواقبها

والرابعة أولها طال ليلى أراقب التنويرا * أرقب الليل بالصباح بصيرا

انتهى ماقاله ابن قتيبة وكان جده أيوب منزله باليمامة فأصاب دما فى قومه فهرب فلحق بأوس بن قلام أحد بنى الحرث بن كعب بالحيرة وكان بينهما نسب من قبل النساء فأقام بالحيرة واتصل بالملوك الذين كانوا بها وعرفوا حقه وحق بنيه ولما ولد عدى وأيفع طرحه أبوه فى الكتاب حتى اذا حذق أرسله مرزبان الحيرة مع ابنه شاهان مرد الى كتاب الفارسية فكان يختلف مع ابنه ويتعلم الكتابة والكلام بالفارسية حتى خرج من أفهم الناس بهما وأفصحهم بالعربية وقال الشعر وتعلم الرمى بالنشاب فخرج من الاساورة الرماة وتعلم لعب العجم على الخيل بالصوالجة وغيرها ثم ان المرزبان وفد على كسرى ومعه ابنه شاهان مرد فبينما هما واقفان بين يديه اذ سقط طائران على السور فتطاعما كما يتطاعم الذكر والانثى يجعل كل واحد منهما منقاره فى منقار الآخر فغضب كسرى من ذلك ولحقته غيرة شديدة فقال للمرزبان وابنه ليرم كل واحد منكما واحدا من هذين الطائرين فان قتلتماهما أدخلتكما بيت المال وملأت أفواهكما بالجوهر ومن أخطأ منكما عاقبته فاعتمد كل واحد منهما طائرا منهما ورميا فقتلاهما جميعا فبعثهما الى بيت المال فلئت أفواههما جوهرا وأثبت شاهان مرد وسائر أولاد المرزبان فى صحابته فقال عند ذلك للملك ان عندى غلاما من العرب مات أبوه وخلفه فى حجرى فربيته وهو أفصح الناس وأكتبهم بالعربية والفارسية والملك محتاج الى مثله فان رأى الملك أن يثبته فى ولدى فعل فقال ادعه فأرسل الى عدى بن زيد وكان جميل الوجه فائق الحسن وكانت الفرس تتبرك بالجميل الوجه فلما كلمه وجده أظرف الناس وأحضرهم جوابا فرغب فيـه وأثبته مع ولد المرزبان فكان عدى أول من كتب بالعربية فى ديوان كسرى فرغب أهل الحيرة الى عدى ورهبوه فلم يزل بالمدائن فى ديوان كسرى يؤذن له عليـه فى الخاصة وهو معجب له قريب منـه وأبوه زيد بن حماد حى الا أن ذكر عدى قد ارتفع وخمل ذكر أبيه فكان عدى اذا دخل على المنذر قام له هو وجميع من عنده حتى يقعد عدى فعلا له بذلك صيت عظيم وكان اذا أراد المقام فى الحيرة فى منزله مع أبيـه وأهله استأذن كسرى فأقام فيهم الشهر والشهرين وأكثر وأقل ثم ان كسرى أرسله الى ملك الروم بهدية من طرف ماعنده فلما أتاه عدى بها أكرمه وحمله الى أعماله على البريد ليريه سعة أرضه وعظم ملكه وكذلك كانوا يصنعون فن ثم وقع عدى بدمشق وقال بها الشعر فمما قاله بالشام وهو أول شعر قاله فيما ذكر

رب دار بأسفل الجذع من دو * مـة أشهى الى من جيرون

سنة (وذكر القاضى أبو على التنوخى فى كتاب النشوان) قال أنشدنى أبو القاسم عبد الله بن محمد الضروى لنفسه بالاهواز يقول

اذا احد الناس الزمان ذممته

ومن كان فوق الدهر لا يحمد الدهرا

وزعم أنه حاول أن يضيف اليه شيأ فتعذر عليـه مدة طويلة وضجر منـه وتركه مفردا وكان عنده أبو القسم المصيصى المؤدب فسمع القول فعمل فى الحال اجازة له وأنشدها لنفسه

وان أوسعتنى النائبات مكارها

ثبت ولم أجزع وأوسعتها صبرا

اذا الــل خطب سد طرق مذاهبى

لجأت الى عزمى فأطلع لى فجرا

(وبالاسناد المتقدم) ذكر ابن بسام فى كتاب الذخيرة أن المعتمد بن عباد جلس يوما فى بعض دور الحرم فمر عليه بعض حظاياه فى غلالة لا يكاد يفرق بينها وبين جسمها وذوائب تبدى آيات الشمس فى مثلهما فسكب عليها اناء ماء ورد كان بين يديه فامتزج الكل لينا واسترسالا وطيبا وجالا وأدركت المعتمد أريحية الطرب وماذت بعطفيه راح الادب فقال وهو بيت سالبة النفوس عزيزة

تختال بين أسنة وبواتر

وتعذر عليـه المقال فقال لبعض الخدم القائمين على رأسه سر الى الوليد النحلى

ونداى لايفترحون بانا * لواولا يتقون صرف المنون
قد سقيت الشمول فى داربشر * قهوة مرّة بماء سخين

ثم ان عديا قدم المدائن على كسرى بهدية قيصر فصادف أباه والمرزبان الذى رباه قد هلكا جميعا فاستأذن كسرى فى المقام بالحيرة فتوجه اليها وبلغ المنذر خبره فخرج فتلقاه ورجع معه وعدىّ أنبل أهل الحيرة فى أنفسهم ولو أراد أن يملكوه لملكوه ولكنه كان يؤثر الصيد واللهو واللعب على الملك فمكث سنين يبدو فى فصلى السنة فيقيم فى البر صيفا ويشتو بالحيرة ويأتى المدائن فى خلال ذلك فيخدم كسرى فمكث بذلك سنين ثم ان المنذر هلك وقام ابنه النعمان مقامه بمعاونة عدىّ فى خبر طويل ثم لم يزل الحسدة يوقعون بينه وبين عدىّ الى أن حبسه فقال فى ذلك أشعارا كثيرة منها

طال ذا الليل علينا واعتكر * وكأن بادر الصبح سمر
من نجىّ الهمّ عندى ثاويا * فوق ما أعلن منه وأسر
وكأن الليل فيه مثله * ولقدما أبطن الليل القصر
لم أغمض طوله حتى انقضى * أتمنى لو أرى الصبح جشر
غير ما عشق ولكن طارق * خلس النوم وأجدانى السهر

وقال يخاطب النعمان بن المنذر أيضا

أبلغ النعمان عنى مألكا * انه قد طال حبسى وانتظار
لو بغير الماء حلقى شرق * كنت كالغصان بالماء اعتصار
ليت شعرى من دخيل يعترى * حيث ما أدرك ليلى ونهار
قاعدا يكرب نفسى بثها * وحرام كان سجنى واحتصار

فى قصائد كثيرة كان يقولها ويكتب بها اليه فلا تجدى عنده شيأ ولقد تداول الشعراء معنى بيت عدىّ لو بغير الماء حلقى شرق الخ بعد عدىّ فقال أبو نواس

غصصت منك بما لا يدفع الماء * وصح حبك حتى ما به داء

وقال الآخر

من غص داوى بشرب الماء غصته * فكيف يصنع من قد غص بالماء

وقال الخبزارزى

بالماء أدفع شيأ ان غصصت به * فما احتيالى وغصى منك بالماء

ثم لما طال سجن عدىّ كتب الى أخيه أبىّ وهو مع كسرى يعلمه بحاله فلما قرأ كتابه قام الى كسرى فكلمه فى أمره وعرّفه بخبره فكتب الى النعمان يأمره باطلاقه وبعث معه رجلا وكتب خليفة النعمان اليه أنه قد كتب اليك فى أمره فأتى النعمان أعداء عدىّ وقالوا اقتله الساعة فأبى عليهم وجاء الرسول وقد كان أخو عدىّ تقدّم اليه ورشاه وأمره أن يبدأ بعدىّ فيدخل عليه وهو محبوس بالصنين فقال له ادخل عليه وانظر ماذا يأمرك به فامتثله فدخل الرسول على عدىّ فقال له انى قد جئت بارسالك فما عندك قال عندى الذى تحب ووعده عدة سنية وقال له لا تخرجنّ من عندى وأعطنى الكتاب حتى أرسله اليه فانك والله لئن خرجت من عندى لاقتلنّ فقال لا أستطيع الا أن آتى الملك بالكتاب فأوصله اليه فانطلق بعض من كان هنالك من أعداء عدىّ فأخبر النعمان أن رسول كسرى دخل على عدىّ وهو ذاهب به وان فعل والله لم يستبق منا أحدا أنت ولا غيرك فبعث اليه النعمان أعداءه فغموه حتى مات ثم دفنوه ودخل الرسول الى النعمان فأوصل الكتاب اليه فقال حبا وكرامة وأمر له بأربعة آلاف مثقال ذهب وجارية حسناء وقال له اذا أصبحت فادخل أنت بنفسك الحبس فأخرجه فلما أصبح ركب فدخل السجن فأخبره الحارس انه قد مات منذ أيام ولم نجترئ على اخبار الملك بذلك خوفا منه وقد عرفنا كراهيته لموته فرجع الى النعمان فقال انى قد كنت أمس دخلت على عدىّ وهو حىّ وجئت اليوم فجحدنى السجان وبهتنى وذكر لى انه قد مات منذ أيام فقال له النعمان أيبعث بك الملك الىّ فتدخل اليه قبلى كذبت ولكنك أردت الرشوة والخبث

ويحذه باجازة هذا البيت ولا تفارقه حتى يفرغ فأضاف اليه لاول وقوع الرقعة بين يديه

راقت محاسنها ورق أديمها * فتكاد تبصر باطنا من ظاهر
وتمايلت كالغصن بلله الندى * تختال فى ورق الشباب الناضر
تبدى بماء الورد مسبل شعرها * كالطلّ يسقط من جناح الطائر
تزهى برونقها وحسن جمالها * زهو المؤيد بالثناء العاطر
ملك تضاءلت الملوك لقدره * وعناله صرف الزمان الجائر
واذا المحت جبينه ويمينه * أبصرت بدرا فوق بحر زاخر

فلما قرأها المعتمد استحضره وقال له أحسنت أوكنت معنا فأجابه الضبى بكلام معناه ياقاتل المحل أوما تلوت وأوحى ربك الى النحل (ومن ذلك) بالاسناد المتقدم أيضا لكتاب الذخيرة ما روى ابن بسام أن المعتمد أيضا أمر بصياغة غزال وهلال من ذهب فصيغا فجاء وزنهما سبعمائة مثقال فأهدى الغزال للسيدة ابنة مجاهد والهلال لابنه الرشيد فوقع له أن قال

بعثنا بالغزال الى الغزال * وللشمس المنيرة بالهلال

واصطبح وحضر الرشيد فدخل عليه وجاء الندمان والجلساء وفيهم أبو القاسم ابن مرزقان فحكى لهم المعتمد البيت وأمر باجازته فبدر

وتهدّده ثم زاد جائزته وأكرمه وتوثق منه أن لا يخبر كسرى الا أنه قد مات قبل أن يقدم عليه فرجع الرسول الى كسرى وقال انى قد وجدت عديا قد مات قبل أن أدخل عليه وندم النعمان على قتله وعلم انه قد احتيل عليه فى قتله واجترأ أعداؤه عليه وهابهم هيبة شديدة وكان لعدىّ ولد اسمه زيد فسيره النعمان الى كسرى ووصفه بأوصاف جميلة فوقع من كسرى الموقع فما زال يعمل الحيلة الى أن غير كسرى على النعمان وأرسل اليه أن أقبل علينا تحمل سلاحه وما قوى عليه ثم لحق بجبل طيئ ثم بعث الى كسرى بخيل وحلل وجواهر وطرف فقبلها كسرى وأظهر له الرضا وأمره بالقدوم فعاد الرسول وأخبره بذلك وانه لم ير له عند كسرى سوء فمضى اليه حتى اذا وصل الى ساباط لقيه زيد بن عدىّ عند قنطرة ساباط فقال له انج نعيم ان استطعت النجاة فقال له أفعلتها يا زيد أما والله لئن عشت لك لأقتلنك قتلة لم يقتلها عربى قط ولألحقنك بأبيك فقال له زيد امض لشأنك نعيم فقد والله أخيت لك أخية لا يقطعها المهر الارن فلما بلغ كسرى انه بالباب بعث اليه فقيده وبعث به الى سجن له بخانقين فلم يزل فيه حتى وقع الطاعون هنالك فمات فيه وقال ابن الكلبى ألقاه تحت أرجل الفيلة فوطئته حتى مات وأنكر هذا من زعم أنه مات بخانقين وقالوا لم يزل محبوسا مدّة طويلة وانما مات بعد ذلك بحين قبيل الاسلام وغضبت له العرب حينئذ وكان قتله سبب وقعة ذى قار وكان عدىّ يهوى هند بنت النعمان بن المنذر ولها يقول

علق الاحشاء من هند علق * مستسرّ فيه نصب وأرق

وفيها يقول أيضا

من لقلب دنف أو معتمد * قد عصى كل نصيح ومفند

وفيها يقول أيضا

يا خليلى يسرا التعسيرا * ثم روحا فهجرا تهجيرا
عرّجا بى على ديار لهند * ليس أن تجشما المطىّ كبيرا

وقد تزوّجها عدىّ فى خبر طويل فكانت معه حتى قتله النعمان فترهبت وحبست نفسها فى الدير المعروف بدير هند فى ظاهر الحيرة وكان هلاكها بعد الاسلام بزمن طويل فى ولاية المغيرة بن شعبة الكوفة وخطبها المغيرة فردّته وقالت والصليب لو علمت أن فىّ خصلة من جمال أو شباب رغبتك فىّ لأجبتك ولكنك أردت أن تقول فى المواسم ملكت مملكة النعمان بن المنذر وتزوّجت ابنته فبحق معبودك أهذا أردت قال اى والله قالت فلا سبيل اليه

﴿ولا فضل فيها للشجاعة والندى * وصبر الفتى لولا لقاء شعوب﴾

البيت لابى الطيب المتنبى من قصيدة من الطويل يمدح بها سيف الدولة بن حمدان ويعزيه بغلامه يماك التركى وأولها وفيه الخرم وهو حذف الحرف الاول من الوتد المجموع

لا يحزن الله الامير فاننى * لآخذ من حالاته بنصيب
ومن سرّ أهل الارض ثم بكى أسى * بكى بعيون سرّها وقلوب
وانى وان كان الدفين حبيبه * حبيب الى قلبى حبيب حبيبى
وقد فارق الناس الاحبة قبلنا * وأعيى دواء الموت كل طبيب
سبقنا الى الدنيا فلو عاش أهلها * منعنا بها من جيئة وذهوب
تملكها الآتى تملك سالب * وفارقها الماضى فراق سليب

وبعده البيت وبعده

وأوفى حياة الغابرين لصاحب * حياة امرئ خانته بعد مشيب
لابقى يماك فى حشاى صبابة * الى كل تركىّ النجار جليب
وما كل وجه أبيض بمبارك * ولا كل جفن ضيق بنجيب
لئن ظهرت فينا عليه كآبة * لقد ظهرت فى حدّ كل قضيب
وفى كل قوس كل يوم تناضل * وفى كل طرف كل يوم ركوب

ابن مرزقان فقال

فذا سكنى أسكنه فؤادى
وذا تجلى أقلده المعالى
شغلت بذا وذا خلدى ونفسى
ولكنى بذا الدرخىّ بالى
زففت اليه بديه زمام ملكى
تحلى بالصوارم والعوالى
فقام يقرّ عينى فى مصاء
ويسلك مسلكى فى كل حال
فدم منا العلاء ودام فينا
فانا للسماح وللنزال

(وذكر أبو الفتح بن خاقان فى كتاب القلائد) قال خرجت من اشبيلية لوداع كبير من المرابطين فوجدت معه الوزير أبا محمد بن مالك فلما انصرفنا عدنا مسايرين فمررنا بمرج حسن النبات بديع النوار فبادر مملوك من مماليكه وضىء الوجه الى زهرة بديعة فقطفها وأتاه بها التعجبه من حسنها فاقترح علىّ أن أصفه فقلت

وبدر بدا والطرف مطلع حسنه
وفى كفه من رائق النور كوكب

(فقال مجيرا له)

يروح لتعذيب النفوس ويغتدى
ويطلع فى أفق الجمال ويغرب
ويحسد منه الغصن أىّ مهفهف
يجىء على مثل الكثيب ويذهب

(قال علىّ بن ظافر) ومن هذا القسم ما تكون الاجازة لبيت بأبيات تجعل قبله أو بعده وقبله كما أسانى العماد

يعزعليه أن يخل بعادة * وتدعو لامر وهو غير مجيب
وكنت اذا أبصرته لك قائما * نظرت الى ذى لبدتين أريب
فان يكن العلق النفيس فقدته * فمن كف متلاف أغر وهوب
لان الردى عاد على كل ماجد * اذا لم يعوذ مجده بعيوب
ولولا أيادى الدهر فى الجمع بيننا * غفلنا فلم نشعر له بذنوب

وهى طويلة وشعوب اسم للمنية غير منصرف للعلمية والتأنيث وصرفه للضرورة سميت المنية بذلك لانها تشعب أى تفرق (والشاهد فيه) الحشو الزائد المفسد وهو هنا لفظة الندى لان المعنى ان الدنيا لا فضل فيها للشجاعة والعطاء والصبر على الشدائد على تقدير عدم الموت وهذا انما يصح فى الشجاعة والصبر دون العطاء فان الشجاع اذا تيقن الخلود هان عليه الاقتحام فى الحروب لعدم خوفه من الهلاك فلم يكن فى ذلك فضل وكذلك الصابر اذا تيقن زوال الشدائد والحوادث وبقاء العمر هان عليه صبره على المكروه لوثوقه بالخلاص منه بل بمجرد طول العمر يهون على النفوس الصبر على المكاره ولهذا يقال هب أن لى صبر أيوب فمن أين لى عمر نوح بخلاف الباذل ماله فانه اذا تيقن الخلود شق عليه بذل المال لاحتياجه اليه فيكون بذله حينئذ أفضل وأما اذا تيقن الموت فقد هان عليه بذله ولهذا قال طرفة

فان كنت لا أسطيع دفع منيتى * فذرنى أبادرها بما ملكت يدى

ومثله قول مهيار الديلمى

فكل ان أكلت وأطعم أخاك * فلا الزاد يبقى ولا الآكل

وقيل المراد بالندى بذل النفس لا المال كما قال مسلم بن الوليد

يجود بالنفس ان ضن الجواد بها * والجود بالنفس أقصى غاية الجود

ورد بأن لفظ الندى لا يكاد يستعمل فى بذل النفس وان استعمل فعلى وجه الاضافة والاقرب ماذكره ابن جنى وهو أن فى الخلود وتنقل الاحوال فيه من عسر الى يسر ومن شدة الى رخاء ما يسكن النفوس ويسهل البؤس فلا يظهر لبذل المال كثير فضل

﴿وأعلم علم اليوم والامس قبله﴾

هو من البحر الطويل وتمامه ولكننى عن علم ما فى غد عمى وقائله زهير بن أبى سلمى وهو من آخر قصيدة قالها فى الصلح الواقع بين عبس وذبيان وأولها

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم * بحومانة الدراج فالمتثلم
ودار لها بالرقمتين كأنها * مراجيع وشم فى نواشر معصم
بها العين والآرام يمشين خلفة * وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم

(ومعنى البيت) انى علمى قد يحيط بما مضى وبما هو حاضر ولكننى عمى القلب عن الاحاطة بما هو منتظر متوقع يريد لا أدرى ماذا يكون غدا (والشاهد فيه) الحشو الغير مفسد للمعنى وهو لفظة قبله ومثله قول عدى المتقدم

نحن الرؤس وما الرؤس اذا سمت * فى المجد للأقوام كالاذناب

فقوله للاقوام حشو وفيه نظر لان استعمال الرأس فى المقدم والرئيس مجاز وذكر الاقوام كالقرينة وقول الآخر

ذكرت أخى فعاودنى * صداع الرأس والوصب

فلفظة الرأس حشو فان الصداع لا يستعمل الا فى الرأس ومن الحشو المفسد قول ديك الجن

فتنفست فى البيت اذ مزجت * بالماء واستلت سنا اللهب
كتنفس الريحان خالطه * من ورد جور ناضر الشعب

فذكره المزاج يغنى والماء فصل لا يحتاج اليه وقد قصر عن قول أبى نواس

سلوا قناع الطين عن رمق * حى الحياة مشارف الحتف
فتنفست فى البيت اذ مزجت * كتنفس الريحان فى الانف

أبو حامد قال قال عمارة اليمنى الشاعر فى كتابه فى شعراء اليمن ان الفقيه أبا العباس أحمد بن محمد الابى حدثه قال أذكر ليلة وأنا أمشى مع الاديب أبى بكر العدنى على ساحل عدن وقد تشاغلت عن الحديث معه فقال لى فى أى شئ أنت تفكر فقلت فى بيت عملته وهو

وأنظر البدر مرتاحا لرؤيته • لعل طرف الذى أهواه ينظره

فقال لمن هذا البيت فقلت لى فأنشد مرتجلا

يا راقد الليل بالاسكندرية لى • من يسهر الليل وجدا حين أسهره
ألاحظ النجم تذكارا لطلعته • وان جرى دمع أجفانى تذكره

(قال على بن ظافر) اتفق أن خرجنا للقاء القاضى الفاضل فرأيت فى الموكب رجلا أسود اللون وعليه جبة حمراء فأنكرته ولم أعرفه ولقيت القاضى الاسعد أبا المكارم أسعد بن الخطير فقلت له من هذا الاسود الذى كأنه فحمة فى دم حجامة فقال لى كأنه ناظر طرف أرمد فقلت له يصلح أن يكون قبله

واسود فى ثوبه المورد

وبعده

أو مثل خال فوق خد أمرد

ثم لقيت بعد ذلك القاضى السعيد بن سناء الملك رحمه الله تعالى فأنشدته اياهما وكتمته الاول وقلت قد صنعت لهما أولا فاصنع أنت أيضا

(وزهير بن أبي سلمى) هو أبو كعب وبجير واسم أبي سلمى ربيعة بن رباح بن قرة ينتهي نسبه لنزار وهو أحد الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء وانما الخلاف في تقديم أحد الثلاثة على صاحبيه فأما الثلاثة فلا اختلاف فيهم وهم امرؤ القيس وزهير والنابغة الذبياني وعن عمر بن عبد الله الليثي قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة في مسيره الى الجابية أين ابن عباس قال فأتيته فشكا الي تخلف علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقلت أولم يعتذر اليك قال بلى قلت هو ما اعتذر به ثم قال ان أول من ريثكم عن هذا الامر أبو بكر رضي الله عنه ان قومكم كرهوا أن يجمعوا لكم بين الخلافة والنبوة ثم ذكر رضي الله عنه قصة طويلة قال ثم قال لي هل تروي لشاعر الشعراء قلت ومن هو قال الذي يقول

ولو أن حمدا يخلد الناس خلدوا * ولكن حمد الناس ليس بمخلد

قلت ذاك زهير بن أبي سلمى قال هو شاعر الشعراء قلت وبم كان شاعر الشعراء قال لانه كان لا يعاظل في الكلام وكان يتجنب وحشي الشعر وكان لا يمدح أحدا الا بما هو فيه وفي رواية انه قال له أنشدني له فأنشدته حتى برق الفجر فقال حسبك الآن اقرأ القرآن قلت وما أقرأ قال الواقعة فقرأتها ونزل فأذن وصلى *وسأل معاوية الاحنف بن قيس عن أشعر الشعراء فقال زهير قال وكيف ذاك قال كف عن المادحين فضول الكلام قال بماذا قال بقوله

فما يك من خير أتوه فانما * توارثه آباء آبائهم قبل

ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى زهير بن أبي سلمى وله مائة سنة فقال اللهم أعذني من شيطانه فما لاك بيتا حتى مات وعن الاصمعي قال قال عمر رضي الله عنه لبعض ولد هرم بن سنان أنشدني مدح زهير أباك فأنشده فقال عمر ان كان ليحسن القول فيكم فقال ونحن والله ان كنا لنحسن له العطاء فقال ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم قال وبلغني أن هرم بن سنان كان قد حلف أن لا يمدحه زهير الا أعطاه ولا يسأله الا أعطاه ولا يسلم عليه الا أعطاه غرة عبدا أو وليدة أو فرسا فاستحيى زهير مما كان يقبل منه فكان اذا رآه في ملا قال انعموا صباحا غير هرم وخيركم استثنيت وعن عمر بن شبة قال قال عمر رضي الله عنه لابن زهير ما فعلت بالحلل التي كساها هرم أباك قال أبلاها الدهر قال لكن الحلل التي كساها أبوك هرما لم يبلها الدهر وقال أبو زيد الطائي أنشد عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه قول زهير

ومهما يكن عند امرئ من خليقة * وان خالها تخفى على الناس تعلم

فقال أحسن زهير وصدق ولو أن الرجل دخل بيتا في جوف بيت لتحدث به الناس قال وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تعمل عملا تكره أن يتحدث الناس به عنك ومنه قول عمرو بن الاهتم

اذا المرء لم يحببك الا تكرها * بدا لك من أخلاقه ما يغالب

وقول أبي الطيب المتنبي

وللنفس أخلاق تدل على الفتى * أكان سخاء ما أتى أم تساخيا

وعن المدايني أن عروة بن الزبير رضي الله عنه لحق بعبد الملك بن مروان بعد قتل أخيه عبد الله رضي الله عنهما فكان اذا دخل عليه منفردا أكرمه واذا دخل عليه وعنده أهل الشام استخف به فقال له يوما يا أمير المؤمنين بئس المزور أنت تكرم ضيفك في الخلاء وتهينه في الملا ثم قال لله در زهير حيث يقول

فخلي من ديارك ان قوما * متى يدعو ديارهم يهونوا

ثم استأذنه في الرجوع الى المدينة المنورة فقضى حوائجه وأذن له وقال ابن الاعرابي كان لزهير في الشعر ما لم يكن لغيره كان أبوه شاعرا وهو شاعر وخاله شاعر وابناه كعب وبجير شاعران وأخته سلمى شاعرة وأخته الخنساء شاعرة وهي القائلة ترثيه

وما يغني توقي المرء شيئا * ولا عقد التميم ولا الغضار * اذا لاقى منيته فأمسى

يساق به وقد حق الحذار * ولاقاه من الايام يوم * كما من قبل لم يخلد قدار

وقصدت بذلك اختبار القافية وتمكنها اذ كل خاطر انما يبادر اليها فقال

وأسود في ملبس مورد

فجئت من توارد الخاطرين لما كانت القافية متمكنة غير مستدعاة ولا مجتلبة الا أن قوله في ملبس أحسن من قولي في ثوبه (قال علي بن ظافر) وخرجت أنا وشهاب الدين يعقوب بن أخت ابن المجاور ونحن بالاسكندرية أيام حاول الملك العزيز رحمه الله بها الى جزيرتها المباركة لزيارة قبر صاحبنا القاضي الاعز أبي الحسين علي بن المؤيد المقدم ذكره في هذا الكتاب وقد كان توفي أغبط ما كان بالحياة وأبعد ما كان من تخوف الوفاة

غصن شباب رطيب والزمان * على منبر فضله الخطير خطيب

فلما زرنا بفناء قبره وأسبلنا سيل المدامع لذكره أنشدني شهاب الدين بيتين صنعهما في الطريق وهما

أيا قبر الاعز سقيت غيثا * يجود به أو دمعي عليه
فلا واخائه الصافي ودادا * وددت الموت من شوقي اليه

فقال ابن بين الاول والثاني فرجة تريد بيتا يسدها ولعلك أن تسعدني فقلت

وحلت جانبيك مروج زهر * تحاكي طيب أوقاتي لديه

(ومنه اجازة بيت وقسيم بقسيم) كما روى اسحق الجصاص قال صنع زهير بن

وكان زهير يضرب به المثل في التنقيح فيقال حوليات زهير لانه كان يعمل القصيدة في ليلة ثم يبقى حولا ينقحها ومما يعدّ من محاسنه قوله

وأبيض فياض نداه غمامة * على معتفيه ما تغب فواضله
تراه اذا ما جئته متهللا * كأنك تعطيه الذى أنت سائله

وقوله أيضا

كم زرته وظلام الليل منسدل * مسهم راق اعجابا بأنجمه
وأبت والصبح مضور بكوكبه * وسائق الشفق المحمرّ من دمه

ومحاسنه ومحاسن أولاده كثيرة وغرّتها قصيدة كعب وهى بانت سعاد فقلبي اليوم متبول المشرّفة بمن قيلت فيه صلى الله عليه وسلم

(فانك كالليل الذى هو مدركى * وان خلت أن المنتأى عنك واسع)

البيت للنابغة الذبيانى من قصيدة من الطويل يمدح بها أبا قابوس وهو النعمان بن المنذر ملك الحيرة وأوّلها

عفا ذو حسا من فرتنى فالفوارع * فجنبا أريك فالتلاع الروافع
فمجتمع الاشراج غير رسمها * مصايف قد مرّت بنا ومرابع
توهمت آيات لها فعرفتها * لستة أعوام وذا العام سابع

الى أن قال فيها

وقد حال هم دون ذلك شاغل * مكان الثقاف تبتغيه الاصابع
وعيد أبى قابوس فى غير كنهه * أتانى ودونى راكس فالضواجع
فبت كأنى ساورتنى ضئيلة * من الرقش فى أنيابها السم ناقع
يسهد من ليل التمام سليمها * لحلى النساء فى يديه قعاقع
تبادرها الراقون من سوء سمها * مطلقة طورا وطورا تراجع
أتانى أبيت اللعن انك لمتنى * وتلك التى تستك منها المسامع
مقالة أن قد قلت سوف أناله * وذلك من تلقاء مثلك رائع

الى أن قال فيها

فان كنت لا ذو الضغن عنى مكذب * ولا حالفى على البراءة نافع
ولا أنا مأمون بشئ أقوله * وأنت بأمر لا محالة واقع

وبعده البيت

وبعده

خطاطيف حجن فى حبال متينة * تمدّ بها أيد اليك نوازع
ستبلغ عذرا أو نجاحا من امرئ * الى ربه رب البرية راكع
أتوعد عبدا لم يخنك أمانة * وبترك عبد ظالم وهو ظالع
وأنت ربيع ينعش الناس سيبه * وسيف أعيرته المنية قاطع
أبى الله الا عدله ووفاءه * فلا النكر معروف ولا العرف ضائع
وتسقى اذا ما شئت غير مصرّد * بزوراء فى حافاتها المسك كانع

والمنتأى اسم موضع من انتأى عنه أى بعد وشبهه بالليل لانه وصفه فى حال سخطه وهوله (والمعنى) انه لا يفوت الممدوح وان أبعد فى الهرب وصار الى أقصى الارض لسعة ملكه وطول يده ولان له فى جميع الآفاق مطيعا لامره يردّ الهارب اليه وقد اعترض الاصمعى على النابغة فقال أما تشبيهه الادراك بالليل فقد تساوى الليل والنهار فيما يدركانه وانما كان سبيله أن يأتى بما لا قسيم له حتى يأتى بمعنى منفرد فلو قال قائل ان قول النميرى فى ذلك أحسن منه لوجد مساغا الى ذلك حيث يقول

فلو كنت كالعنقاء أو كسموّها * لخلتك الا أن تصدّ ترانى

(والشاهد فيه) مساواة اللفظ للمعنى المراد وفى معنى بيت النابغة قول على بن جبلة

وما لامرئ حاولته منك مهرب * ولو رفعته فى السماء المطالع
بلى هارب لا يهتدى لمكانه * ظلام ولا ضوء من الصبح ساطع

أبى سلمى بيتا وقسيما وهما

تراك الارض اما مت خفا * وتحيا ان حييت بها ثقيلا
نزلت بمستقر العز منها

(ثم أكدى) فقربه النابغة الذبيانى وقال له أجز يا أبا امامة وأنشده فأكدى النابغة وأقبل كعب بن زهير وانه لغلام فقال له أبوه أجز يا بنى فقال وما أجيز فأنشده فقال

وتمنع جانبيها أن يزولا

فضمه زهير اليه وقال له أنت ابنى حقا (ومن ذلك) ما رواه اسحق الموصلى قال ولد للفضل بن يحيى بن خالد مولود فدخل عليه أبو النصر عمر بن عبد الملك ولم يكن علم الخبر فلما مثل بين يديه ورأى الناس يهنونه نثرا ونظما وقف وأنشد ارتجالا

ونفرح بالمولود من آل برمك * بغاة الندى والسيف والرمح والنصل
وتنبسط الآمال فيه لفضله

ثم أرتج عليه فلم يدر ما يقول فقال الفضل يلقنه

ولا سيما ان كان من ولد الفضل

فاستحسن الناس بديهته وأمر لابى النصر بصلة (أنبأنى) الشيخ الفقيه النبيه أبو الحسن على بن الفضل المقدسى قال أنبأنى الفقيه أبو القاسم مخلوف ابن على القيروانى عن أبى عبد الله محمد بن أبى سعيد السرقسطى عن أبى عبد الله محمد بن أبى نصر الحميدى

قال أخبرني أبو زكريا يحيى ابن علي الانصاري فيما أظن وقد كتبت منه قال أخبرني عمر بن الصير في المقري قال أخبرنا محمد بن عبد الله عن أبيه أنه سمع أبا عمر والكاتبي قال كنت جالسا عند أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه فأتاه من بعض اخوانه طبق فيه أنابيب من قصب السكر وكتاب معه فحوّل ابن عبد ربه الكتاب وجاوبه بديهة وكتب في الجواب

بعثت يا سيدي حلو الانابيب عذب المذاقة مخضر الجلابيب
كأنما العسل الماذي شيب به

(قال الكاتبي) ثم توقف وقال يا كاتبي أجز هذا البيت فاني لا أجد له تمام ما قلت لا بل يزيد على الماذي في الطيب فقال أحسنت يا كاتبي ثم أخذ القلم وأراد أن يكتبه على ما قلت ثم كره الاستعارة فأطرق قليلا ثم قال

أو ريق محبوبة جادت لمحبوب

(قال الكاتبي) فقمنا وقبلنا رأسه سرورا منا بقوله (وأخبرني) القاضي السعيد ابن سناء الملك قال صنعت

قد كان لي منديل كم ساذج ما جاز مسح يدي به في مذهبي
فاعتصت عنه بخذ من أحبته وأرتج علي فلم أستطع أكمل البيت فاستجزت القاضي تاج الدين بن الجزاح فقال

فسحت في منديل كم مذهب

(ومن اجازة بيتين سبت) [ف]من ذلك ماروى لنا أن

وأكثر الادباء يرجحه على بيت النابغة وفي هذا المعنى أيضا قول سلم الخاسر

فأنت كالدهر مبثوثا حبائله * والدهر لا ملجأ منه ولا هرب
ولو ملكت عنان الريح أصرفها * في كل ناحية ما فاتك الطلب

وتناوله البحتري أيضا فقال

ولو انهم ركبوا الكواكب لم يكن * ينجيهم من خوف بأسك مهرب

وما أبدع قول أبي القاسم بن هانئ فيه

أين المفر ولا مفر لهارب * ولك البسيطان الثرى والماء

وقول الآخر

فلو كنت فوق الريح ثم طلبتني * لكنت كمن ضاقت عليه المذاهب

وبديع قول أبي العرب الصقلي

كأن بلاد الله كفاك ان يسر * بها هارب تجمع عليه الانامل
وأين يفر المرء عنك بجرمه * اذا كان تطوى في يديك المراحل

(والنابغة) اسمه زياد بن معاوية بن ضباب ينتهي نسبه الى ذبيان ثم لمضر ويكنى أبا أمامة وانما سمي النابغة لقوله وقد نبغت لهم منا شؤن وهو أحد الاشراف الذين غض منهم الشعر وهو من الطبقة الاولى المقدمين على سائر الشعراء * عن ربعي بن خراش قال قال لنا عمر رضي الله عنه يا معشر غطفان من الذي يقول

أتيتك عاريا خلقا ثيابي * على خوف تظن بي الظنون

قلنا النابغة قال ذاك أشعر شعرائكم وعن جرير بن يزيد بن جرير بن عبد الله البجلي قال كنا عند الجنيد بن عبد الرحمن بخراسان وعنده بنو مرة وجلساؤه فتذاكروا شعر النابغة حتى أنشدوا قوله

فانك كالليل الذي هو مدركي البيت فقال شيخ من بني مرة وما الذي رأى في النعمان حتى يقول مثل هذا وهل كان النعمان الاعلى منظرة من مناظر الحيرة وقالت ذلك القيسية أيضا فأكثرت فنظر الى الجنيد فقال يا أبا خالد لا يهولنك قول هؤلاء الاعاريب وأقسم بالله لو عاينوا من النعمان ما عاين صاحبهم لقالوا أكثر مما قال ولكنهم قالوا ما سمعوا وهم آمنون * وقال عمر بن المنتشر المرادي وفدنا على عبد الملك بن مروان فدخلنا عليه فقام رجل فاعتذر اليه من أمر وحلف عليه فقال له عبد الملك ما كنت حريا أن تفعل ولا تعتذر ثم أقبل على أهل الشام فقال أيكم يروي من اعتذار النابغة الى النعمان

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة * وليس وراء الله للمرء مذهب

فلم يجد فيهم من يرويه فأقبل علي فقال أترويه قلت نعم فأنشدته القصيدة كلها فقال هذا أشعر العرب * وعن أبي عبيدة وغيره أن النابغة كان خاصا بالنعمان وكان من ندمائه وأهل أنسه فرأى زوجته المتجردة يوما وقد غشيها شيء شبيه بالفجاءة فسقط نصيفها فاستترت بيديها وذراعها فكادت ذراعها تستر وجهها لعبالتها وغلظها فقال قصيدته التي أولها

من آل مية رائح أو مغتدي * عجلان ذا زاد وغير مزوّد
زعم البوارح أن رحلتنا غدا * وبذاك تنعاب الغراب الاسود
لا مرحبا بغد ولا أهلا به * ان كان تفريق الاحبة في غد
أزف الترحل غير أن ركابنا * لما تزل برحالنا وكأن قد
في اثر غانية رمتك بسهمها * فأصاب قلبك غير أن لم تقصد
بالدر والياقوت زين نحرها * ومفصل من لؤلؤ وزبرجد
سقط النصيف ولم ترد اسقاطه * فتناولته واتقتنا باليد
بمخضب رخص كأن بنانه * عنم على أغصانه لم يعقد
وبفاحم رجل أثيث نبته * كالكرم مال على الدعام المسند

نظرت اليك لحاجة لم تقضها * نظر السقيم الى وجوه العوّد

وهي طويلة فأنشدها النابغة مرّة بن سعد القريعي فأنشدها مرّة النعمان فامتلأ غضبا وأوعد النابغة وتهدده فهرب فأتى قومه ثم شخص الى ملوك غسان بالشام فامتدحهم وقد اعترض الاصمعي على البيت الأخير من هذه الابيات فقال أما تشبيهه مرض الطرف فحسن الا انه هجنه بذكر العلة وتشبيهه المرأة بالعليل وأحسن منه قول عدي بن الرقاع العاملي

وكأنها بين النساء أعارها * عينيه أحور من جآذر جاسم

وسنان أقصده النعاس فرنقت * في عينه سنة وليس بنائم

وأما قوله سقط النصيف البيت فيروى أن عبد الملك بن مروان قال يوما لجلسائه أتعلمون أن النابغة كان مخنثا قالوا وكيف ذلك يا أمير المؤمنين قال أوما سمعتم قوله يعني هذا البيت والله ما عرف هذه الاشارة الا مخنث وقد أخذ هذا المعنى أبو حية النميري فقال

فألقت قناعا دونه الشمس واتقت * بأحسن موصولين كف ومعصم

ثم أخذه الشماخ فقال

اذا ما امرؤ من تخشى اتقته بكفها * وسب بنضح الزعفران مضرّج

وأظرف ما يعرف من هذا المعنى ما أنشده القاضي التنوخي لنفسه

لم أنس شمس الضحى تطالعني * ونحن في روضة على فرق

وجفن عيني بمائه شرق * وقد بدت في معصفر شرق

كأنه دمعتي ووجنتها * حين رمتنا العيون بالحدق

ثم تغطت بكمها خجلا * كالشمس غابت في حمرة الشفق

(رجع الى أخبار النابغة) عن المفضل أن مرّة الذي وشى بالنابغة كان له سيف قاطع يقال له ذو الريقة من كثرة فرنده وجودته فذكره النابغة للنعمان فاضطغن من ذلك مرّة حتى وشى به الى النعمان وحرضه عليه وقيل ان الذي من أجله هرب النابغة من النعمان انه كان هو والمنخل بن عبيد بن عامر اليشكري جالسين عنده وكان النعمان دميما أبرش قبيح المنظر وكان المنخل من أجمل العرب وكان يرمى بالمتجردة زوجة النعمان وتحدث العرب أن ابني النعمان منها كانا من المنخل فقال النعمان للنابغة يا أبا أمامة صف المتجردة في شعرك فقال قصيدته هذه ووصف فيها بطنها وروادفها وفرجها فلحق المنخل من ذلك غيرة فقال للنعمان ما يستطيع أن يقول هذا الشعر الا من جرب فوقر ذلك في نفس النعمان وبلغ النابغة فخافه فهرب فصار الى غسان فنزل بعمرو بن الحرث الاصغر ومدحه ومدح أخاه النعمان ولم يزل مقيما مع عمرو حتى مات وملك أخوه النعمان فصار معه الى أن استعطفه النعمان فعاد اليه وعن أبي بكر الهذلي قال قال حسان بن ثابت رضي الله عنه قدمت على النعمان بن المنذر وقد امتدحته فأتيت حاجبه عصام بن شهبر فجلست اليه فقال اني أرى عربيا أفمن الحجاز أنت قلت نعم قال فكن قحطانيا قلت فاني قحطاني قال فكن يثربيا قلت فاني يثربي قال فكن خزرجيا قلت فاني خزرجي قال فكن حسان بن ثابت قلت فأنا هو قال أجئت بمدحة الملك قلت نعم قال فاني سأرشدك اذا دخلت عليه فانه سيسألك عن جبلة بن الايهم ويسبه فاياك أن تساعده على ذلك ولكن أمرر ذكره امرارا لا توافق فيه ولا تخالف وقل ما دخول مثلي أيها الملك بينك وبين جبلة وهو منك وأنت منه فان دعاك الى الطعام فلا تواكله فان أقسم عليك فأصب منه اليسير اصابة مبر قسمه متشرف بمواكلته لا أكل جائع سغب ولا تبدأه باخبار عن شئ حتى يكون هو السائل لك ولا تطل الاقامة في مجلسه فقلت أحسن الله رفدك قد أوصيت واعيا ودخل ثم خرج الي فقال ادخل فدخلت وحييت بتحية الملك فجاراني في أمر جبلة ما قاله لي عصام كأنه كان حاضرا فأجبت بما أمرني ثم استأذنته في الانشاد فأذن لي فأنشدته ثم دعا بالطعام ففعلت مثل ذلك فأمر لي بجائزة سنية وخرجت فقال

أبا دلامة دعا السيد الحميري الى منزله فبكت ابنة له فحملها على عاتقه فبالت عليه فوضعها مغضبا وقال

بلت علي لا حييت ثوبي
فبال عليك شيطان رجيم

فما ولدتك مريم أم عيسى
ولا رباك لقمان الحكيم

ثم استجاز السيد الحميري فقال

ولكن قد تضمك أم سوء
الى لباتها وأب لئيم

فضحك أبو دلامة وقال عليك لعنة الله ما دعاك الى هذا كله ثم حلف لا ينازعه بيتا بعدها فقال له السيد يكون الهرب من جهتك لا من جهتي وقد روى أبو الفرج هذه الحكاية باسناد ينتهي الى علي بن اسمعيل قال كنت أسقي أبا دلامة والسيد ولم يذكر سوى البيت الثاني من بيتي أبي دلامة ورواها أبو الفرج أيضا باسناد ينتهي الى الهيثم بن عدي وانها كانت بين أبي دلامة وأبي عطاء السندي وأن أبا عطاء أجاز بيته بأن قال

صدقت أبا دلامة لم تلدها
مطهرة ولا فحل كريم

ولكن قد حوتها أم سوء
الى لباتها وأب لئيم

وعلى هذه الرواية تدخل في باب المجاوبة (وذكر ابن رشيق في كتاب الانموذج) قال اجتمعت بأبي حديدة الشاعر يوما وأنا سكران فسألني عن حال المكان الذي كنت فيه فوصفته

لى عصام بقيت عليك واحدة لم أوصك بها بلغنى أن النابغة الذبيانى قادم عليك واذا قدم عليك فليس لاحد منك حظ سواه فاستأذن حينئذ وانصرف مكرما خير من أن تنصرف بجفوة قال فأقمت ببابه شهرا ثم قدم عليه خارجة بن سنان ومنظور بن زياد الفزاريان وكان بينهما وبين النعمان دخلل أى خاصة وكان معهما النابغة قد استجار بهما وسألهما مسئلة النعمان أن يرضى عنه فضرب عليهما قبة ولم يشعر أن النابغة معهما فدس النابغة قينة تغنيه بشعره * يادار مية فالعلياء فالسند * فلما سمع الشعر قال أقسم بالله انه لشعر النابغة وسأل عنه فأخبر أنه مع الفزاريين وكلماه فيه فأمنه ثم خرج فى غب سماء فعارضه الفزاريان والنابغة بينهما قد خضب بحناء وأقنى خضابه فلما رآه النعمان قال هى بدم كانت أحرى أن تخضب فقال الفزاريان أبيت اللعن لا تثريب قد أجرناه والعفو أجمل قال فأمنه واستنشده أشعاره فعند ذلك قال حسان ابن ثابت حسدته على ثلاث لا أدرى على أيهن كنت أشد له حسدا على ادناء النعمان له بعد المباعدة ومسايرته له واصغائه اليه أم على جودة شعره أم على مائة بعير من عصافيره أمر له بها قال وكان النابغة يأكل ويشرب فى آنية الذهب والفضة من عطايا النعمان وأبيه وجده لا يستعمل غير ذلك وقيل ان السبب فى رجوع النابغة اليه بعد هربه منه أنه بلغه انه عليل لا يرجى فأقلقه ذلك ولم يملك الصبر على البعد عنه مع علته وما خافه عليه وأشفق من حدوثه به فسار اليه فألفاه محمولا على سرير ينقل ما بين الغمران وقصور الحيرة فقال لعصام حاجبه

ألم أقسم عليك لتخبرنى * أمحمول على النعش الهمام
فانى لا ألام على دخول * ولكن ما وراءك يا عصام
فان يهلك أبو قابوس يهلك * ربيع الناس والشهر الحرام
ونمسك بعده بذناب عيش * أجب الظهر ليس له سنام

ومات النابغة الذبيانى على جاهليته ولم يدرك الاسلام

(أنا ابن جلا)

هو أول بيت لسحيم بن وثيل الرياحى ولفظه

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * متى أضع العمامة تعرفونى

وهذا البيت من قصيدة من الوافر أولها

أفاطم قبل بينك متعينى * ومنعك ما سألت كأن تبينى

يقول فيها أيضا

فان علالتى وجراء حولى * لذو شق على الضرع الظنون

أنا ابن الغر من سلفى رياح * كنصل السيف وضاح الجبين

وبعده البيت وبعده

وان مكاننا من حميرى * مكان الليث من وسط العرين
وان قناتنا مشظ شظاها * شديد مدها عنق القرين
وانى لا يعود الى قرنى * غداة الغب الا فى قرين
بذى لبد يصد الركب عنه * ولا تؤتى فريسته لحين
عذرت البزل اذ هى صاولتنى * فما بالى وبال ابنى لبون
وماذا يبتغى الشعراء منى * وقد جاوزت حد الاربعين
أخو الخمسين مجتمع أشدى * ونجذنى مداورة الشؤون
سأحيى ما حييت وان ظهرى * لذو سند الى نضد أمين

وكان السبب فى قوله هذه الابيات أن رجلا أتى الابيرد الرياحى وابن عمه الاحوص وهما من ردف الملوك من بنى رياح يطلب منهما قطرانا لابله فقالا له ان أنت أبلغت سحيم بن وثيل الرياحى هذا الشعر أعطيناك قطرانا فقال قولا فقالا اذهب فقل له

وأنشدنى فى صفته الى ذكر غلام كان ساقيا فقلت فى عرض الكلام ولم أرد الوزن

فشربتها من راحتيـ
ـه كأنها من وجنتيه
وكأنها فى فعلها
تحكى الذى فى ناظريه

(وقلت له أجز فقال)

وشممت وردة خده
نظرا ونرجس مقلتيه

فقلت له أحسنت فى شمك بالنظر كما سمع أبو الطيب بالبصر حيث يقول

كالخط يملأ مسمعى من أبصرا

واجتمع أبو عبد الله بن شرف الجذامى يوما بأبى على بن رشيق فوصف له منزلا ضيقا كان فيه ثم صنع فى صفته فقال

ومنزل قبح من منزل
النتن والظلمة والضيق
كأننى فى وسطه فيشة
ألوطه والعرق الريق

(وكان) ابن شرف أعور أصلع فقال ابن رشيق يداعبه على طريق الاجازة

وأنت أيضا أعور أصلع

فوافق التشبيه تحقيق ولو قال ابن شرف كأننى فى وسطه فيشة فى فقحة لكان أوضح فى تشبيه المنزل

(قال على بن ظافر) وأخبرنى القاضى الاعز بن المؤيد رحمه الله بما هذا معناه أنه كان عند أبى المعالى ابن الشماس كاتب القاضى الاسعد بن مماتى فى ليله

فان بداهــــتى وجراء حولى * لذوشـق عـلى الحطم الحرون

فلما أتاه وأنشـده الشعر أخذ عصاه وانحدر فى الوادى يقبل فيه ويدبر ويهمهم بالشعر ثم قال اذهب فقل لهما وأنشـد الابيات قال فأتيناه فاعتذرا فقال ان أحدكما لا يرى انه صنع شيأ حتى يقيس شعره بشعرنا وحسبه بحسبنا ويستطيف بنا استطافة المهر الازب فقالا له فهل الى النزع من سبيل فقال انا لم نبلغ أنسابنا وذكر ابن قتيبة فى كتاب الشعر والشعراء مطلع هذه القصيدة فى أبيات أخر ونسبها للمثقب العبدى وقال لو كان الشعر كله على هذه القصيدة لوجب على الناس أن يتعلموه وصورة ما أورده ابن قتيبة

أفاطـــم قبل بينك متعينى * ومنعك ما سألت كان تبينى
ولا تبدى مواعــد كاذبات * تمر بها رياح الصيف دونى
فانى لو تخالفـــنى شمالى * بنصر لم تصاحبها يمينى
اذا لقطعتها ولقلت بينى * كذلك أجتوى من يجتوينى
فاما أن تكون أخى بحق * فأعرف منك غثى من سمينى
والا فاطرحـــنى واتركنى * عـــدوا أتقيك وتتقينى
وما أدرى اذا يممت أرضا * أريد الخير أيهـــما يلينى
أألخـــير الذى أنا أبتغيه * أم الشر الذى هو يبتغينى

والابيات المارة تقوى أنها السحيم المذكور فلعل اتفاقهما فى المطلع من باب توارد الخواطر والله أعلم وجلا هنا غير منون لانه أراد الفعل فحكاه مقدرا فيه الضمير الذى هو فاعل والفعل اذا سمى به غير منتزع عنه الفاعل لم يكن الا حكاية كقول تأبط شرا

كذبتم وبيت الله لا تأخذونها * بنى شاب قرناها تصر وتحلب

وكقول الشاعر

والله ما زيد بنام صاحبه * ولا مخالط الليان جانبه

وانما أراد أنا ابن الذى يقال له جلا وبنى التى يقال لها شاب قرناها ووالله ما زيد الذى يقال فيه نام صاحبه وابن جلا يقال للرجل المشهور أى ابن رجل قد انكشف أمره أو جلا الامور أى كشفها والثنايا جمع ثنية وهى العقبة يقال فلان طلاع الثنايا أى ركاب لصعاب الامور (والشاهد فيه) ايجاز الحذف والمحذوف موصوف وهو هنا رجل من قوله أنا ابن جلا * وهذا البيت تمثل به الحجاج على منبر الكوفة حين دخلها أميرا (حدث) عبد الملك بن عمير الليثى قال بينما نحن بالمسجد الجامع بالكوفة وأهل الكوفة يومئذ ذووحالة حسنة يخرج الرجل منهم فى العشرة والعشرين من مواليه اذ أتانا آت فقال هذا الحجاج قد قدم أميرا على العراق واذا به قد دخل المسجد معتما بعمامة قد غطى بها أكثر وجهه متقلدا سيفا متنكبا قوسا يؤم المنبر فقال الناس نحوه حتى صعد المنبر فمكث ساعة لا يتكلم فقال بعض الناس لبعض قبح الله بنى أمية كيف تستعمل مثل هذا على العراق حتى قال عمير بن ضابئ البرجمى الا أحصبه لكم فقالوا أمهل حتى ننظر فلما رأى الحجاج أعين الناس تدور اليه حسر اللثام عن وجهه ونهض فقال أنا ابن جلا وأنشد البيت وقال يا أهل الكوفة انى لأرى رؤسا قد أينعت وحان قطافها وانى لصاحبها وكأنى أنظر الى الدماء بين العمائم واللحى

هذا أوان الشر فاشتدى زيم * قد لفها الليل بسواق حطم
ليس براعى ابل ولا غنم * ولا بجزار على ظهر وضم

ثم قال

قد لفها الليل بعصلبى * أروع خراج من الدوى
مهاجر ليس بأعرابى * معاود للطعن بالخطى

ثم قال أيضا

قد شمرت عن ساقها فشدوا * وجدت الحرب بكم فجدوا
والقوس فيها وتر عـــرد * مثل ذراع البكر أو أشد

انى والله يا أهل العراق لا يقعقع لى بالشنان ولا يغمز جانبى كتغماز التين ولقد فررت عن ذكاء وفتشت عن

اصطلى فيها بالجمر من كؤس الجمر واجتلى بها النجوم الزهر من مجتنى نجوم الزهر قال فأفصت فى ذمها وذكر عظيم اثمها ثم ندمت على مافرط واعتذرت اعتذار من فرط فقلت

شربتم قهوة وشربت ماء * فأغنانى اللجين عن النضار
ومن بانت أحبته وساروا * تعلل بالتشاغل بالديار

(ثم استخزنه فقال)

وكنت تطـيركم بالشم منها * ولكنى سلمت من الخمار

(قال على بن ظافر) بتنا ليلة على المقياس عند مبالغة النيل فى نقصه واحتراقه وانفراجه عمالم يزل مستورا من أرضه وانفراقه والمراكب قد انتظمت فى لبته وركدت بالارساء فوق لجته وأحاطت به احاطة المحيط بنقطته وسفهاء الرياح تعبث بها حتى كادت تذهب بوقارها وأجسادها قد لبست لفقد الماء حداد قارها وهى فى أوكارها من المراسى مزمومه وأجنحة قلوعها العارض الليل مضمومه فقلت بديها

أوما ترى المقياس قد حفت به * سود المراكب فوق ظهر اللجة
يسمو وقد حفت به كقلادة * سبجية فى لبة فضية

واستخزت القاضى الاعز ابن المؤيد رحمه الله فقال

تجربة وان أمير المؤمنين نثل كنانته بين يديه فعجم عيدانها عودا عودا فرآنى أمرّها عودا وأصلبها مكسرا وأبعدها مرمى فرماكم بى لانكم طالما أوضعتم فى الفتنة واضطجعتم فى مراقد الضلال والله لأحزمنكم حزم السلمة ولأضربنكم ضرب غرائب الابل فانكم لكأهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون وانى والله ما أقول الا وفيت ولا أهمّ الا أمضيت ولا أحلق الا فريت وان أمير المؤمنين أمرنى باعطائكم أعطياتكم وأن أجهزكم الى عدوّكم مع المهلب بن أبى صفرة وانى أقسم بالله لا أجد رجلا تخلف بعد أخذ عطائه ثلاثة أيام الا ضربت عنقه يا غلام اقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الملك أمير المؤمنين الى من بالكوفة من المسلمين سلام عليكم فلم يقل أحد منهم شيأ فقال الحجاج اكفف يا غلام ثم أقبل على الناس فقال أيسلم عليكم أمير المؤمنين فلم تردّوا عليه شيأ هذا أدب ابن سمية أما والله لأؤدّبنكم غير هذا الادب أو لتستقيمنّ اقرأ يا غلام كتاب أمير المؤمنين فلما بلغ الى قوله سلام عليكم لم يبق فى المسجد أحد الا قال وعلى أمير المؤمنين السلام ثم نزل فوضع للناس أعطياتهم فجعلوا يأخذونها حتى أتاه شيخ يرعش كبرا فقال أيها الامير انى من الضعف على ما ترى ولى ابن هو أقوى على الاسفار منى أفتقبله منى بدلا فقال له الحجاج نفعل أيها الشيخ فلما ولى قال له قائل أتدرى من هذا أيها الامير قال لا قال هذا عمير بن ضابئ البرجمى الذى يقول أبوه

همت ولم أفعل وكدت وليتنى * تركت على عثمان تبكى حلائله

ودخل هذا الشيخ على عثمان رضى الله عنه يوم الدار وهو مقتول فوطئ بطنه وكسر ضلعين من أضلاعه وهو يقول أين تركت ضابئا يا نعثل فقال ردّوه فلما ردّوه قال له الحجاج أيها الشيخ هلا بعثت الى أمير المؤمنين عثمان بدلا يوم الدار ان فى قتلك لصلاحا للمسلمين يا حرسى اضرب عنقه فسمع الحجاج ضوضاء فقال ما هذا قالوا هذه البراجم جاءت لتنصر عميرا فيما ذكرت فقال أتحفوهم برأسه فرموهم برأسه فولوا هاربين وجعل الرجل يضيق عليه أمره فيرتحل ويأمر وليه أن يلحقه بزاده وازدحم الناس على الجسر للعبور الى المهلب ابن أبى صفرة وفى ذلك يقول عبد الله بن الزبير الاسدى

أقول لابراهيم لما رأيته * أرى الامر أمسى داهيا متشعبا
تخير فاما أن تزور ابن ضابئ * عميرا واما أن تزور المهلبا
هما خطتا خسف نجاؤك منهما * ركوبك حوليا من الثلج أشهبا
فأضحى ولو كانت خراسان دونه * رآها مكان السوق أو هى أقربا

(وان صخرا لتأتمّ الهداة به * كأنه علم فى رأسه نار)

البيت للخنساء من مرثية فى أخيها صخر وهى قصيدة من البسيط أوّلها

قذى بعينك أم بالعين عوّار * أم ذرفت اذ خلت من أهلها الدار
كأن عينى لذكراه اذا خطرت * فيض يسيل على الخدّين مدرار
تبكى خناس على صخر وحق لها * اذ رابها الدهر ان الدهر ضرّار
تبكى لصخر هى العبرى وقد ثكلت * ودونه من جديد الترب أستار
لا بد من ميتة فى صرفها غير * والدهر فى صرفه حول وأطوار
يا صخر وارد ماء قد تبادره * أهل الموارد ما فى ورده عار
مشى السبنتى الى هيجاء معضلة * له سلاحان أنياب وأظفار
فما عجول على بوّ تطيف به * لها حنينان اصغار واكبار
ترعى اذا نسيت حتى اذا ادّكرت * فانما هى اقبال وادبار
لا تسمن الدهر فى أرض وان رتعت * فانما هى تحنان وتسجار
يوما بأوجد منى حين فارقنى * صخر وللدهر احلاء وامرار

وكأنه حصن عليه عسكر للزنج لف بنوده للحملة

(ومنه اجازة بيتين بأكثر من بيت) كما روى العباس ابن الفضل بن الربيع قال غضب الرشيد على جارية له فحلف لا يدخل اليها ثم ندم فقال

صدّ عنى اذ رآنى مفتتن * وأطال الصدّ لما أن فطن
كان مملوكى فأضحى مالكى * ان هذا من أعاجيب الزمن

ثم قال لجعفر بن يحيى اطلب لى من يزيد فى هذين البيتين فقال ليس لهما الا أبو العتاهية وكان محبوسا فبعثوا اليه فكتب الى الرشيد

يا ابن عمّ النبى سمعا وطاعه * قد خلعنا الكساء والدرّاعه
ورجعنا الى الصناعة لما * كان سخط الامام ترك الصناعه

فأمر باطلاقه وصلته فقال الآن طاب القول ثم قال يجيزهما

عزة الحب أرته ذلتى * فى هواه وله وجه حسن
فلهذا صرت مملوكا له * ولهذا شاع ما بى وعلن

فقال الرشيد أحسنت والله وأصبت ما فى نفسى وأضعف صلته وذكرها الصولى فى كتاب الاوراق بقريب من هذا وأنه كتب اليه لما أمر بالاجازة يقول

ضعف المسكين عن تلك المحن * لهلاك الروح منه والبدن

وان صخرا لوالينا وسيدنا * وان صخرا اذا نشتو لنحار

وبعده البيت وبعده ولم تره جارة يمشي بساحتها * لريبة حين يخلي بيته الجار

ولا تراه وما في البيت يأكله * لكنه بارز بالصحن مهمار

مثل الرديني لم تنفذ شبيبته * كأنه تحت طي البرد أسوار

في جوف رمس مقيم قد تضمنه * في رمسه مقمطرات وأحجار

طلق اليدين بفعل الخير ذو فخر * ضخم الدسيعة بالخيرات أمار

والعلم الجبل الطويل وقيل هو عام في كل جبل (والشاهد فيه) زيادة المبالغة في الايغال وهو قولها في رأسه نار فان قولها علم واف بالمقصود وهو تشبيهه بما هو معروف بالهداية لكنها أتت بالتتمة ايغالا وزيادة للمبالغة وقد ضمن عز الدين الموصلي عجز البيت في سامري اسمه نجم فقال

وسامري أعار البدر فضل سنا * سموه نجما وذاك النجم غرار

تهتز قامته من تحت عمته * كأنه علم في رأسه نار

(والخنساء) اسمها تماضر بنت عمرو بن الحرث بن الشريد ينتهي نسبها المضر والخنساء لقب غلب عليها وفيها يقول دريد بن الصمة وكان خطبها فردته وكان رآها تهنأ بعيرا

حيوا تماضر واربعوا صحبي * وقفوا فان وقوفكم حسبي

أخناس قد هام الفؤاد بكم * وأصابه تبل من الحب

ما ان رأيت ولا سمعت به * كاليوم طالي أينق جرب

متبذلا تبدو محاسنه * يضع الهناء مواضع النقب

قال أبو عبيدة ومحمد بن سلام لما خطبها دريد بعثت خادما لها وقالت انظري اليه اذا بال فان كان بوله يخرق الارض ويخد فيها ففيه بقية وان كان بوله يسيح على الارض فلا بقية فيه فرجعت اليها وأخبرتها أن بوله ساح على وجه الارض فقالت لا بقية في هذا وأرسلت اليه ما كنت لأدع بني عمي وهم مثل عوالي الرماح وأتزوج شيخا فقال وقاك الله يا ابنة آل عمرو * من الفتيات أشباهي ونفسي

وقالت انني شيخ كبير * وما نبأتها أني ابن أمس

فلا تلدي ولا ينكحك مثلي * اذا ما ليلة طرقت بنحس

تريد شرنبث القدمين شثنا * يباشر بالعشية كل كرسي

فقالت الخنساء معاذ الله ينكحني حبركى * يقال أبوه من جشم بن بكر

ولو أصبحت في جشم هديا * اذا أصبحت في دنس وفقر

وكانت الخنساء في أول أمرها تقول البيتين والثلاثة حتى قتل أخواها معاوية وصخر وكان صخر أخاها لابيها وكان أحبهما اليها لانه كان حليما جوادا محبوبا في العشيرة (وكان من حديث قتله ما ذكره أبو عبيدة) قال غزا صخر بن عمرو وأنس بن عباس الرعلي بني أسد بن خزيمة فأصابوا غنائم وسبيا وأخذ صخر يومئذ بديلة امرأة من بني أسد وأصابته يومئذ طعنة طعنه بها رجل يقال له ربيعة بن ثور ويكنى أبا ثور فأدخل جوفه حلقا من الدرع فاندمل عليه حتى شق عليه بعد سنين وكان ذلك سبب موته وروى أن صخرا مرض من تلك الطعنة قريبا من حول حتى مله أهله فسمع صخر امرأة تسأل سلمى امرأته كيف بعلك فقالت لا حي فيرجى ولا ميت فيسلى وقد لقينا منه الامرين فقال صخر في ذلك

أرى أم صخر لا تمل عيادتي * وملت سليمى مضجعي ومكاني * وما كنت أخشى أن أكون جنازة عليك ومن يغتر بالحدثان * أهم بأمر الحزم لو أستطيعه * وقد حيل بين العير والنزوان لعمري لقد نبهت من كان نائما * وأسمعت من كانت له أذنان * والموت خير من حياة كأنها محلة يعسوب رأس سنان * وأي امرئ ساوى بأم حليلة * فلا عاش الا في شقا وهوان

ولقد كلفت شيأ عجبا
زاد في النكبة واستوفى المحن
قيل فرحنا وبأبي فرح
أن يوافيني في بيت الحزن
ولم يذكر العينية وأما يزيد
ابن محمد المهلبي فانه روى
البيتين اللذين هما على
قافية العين الموصلين بالهاء
لاسحق الموصلي وذلك انه
كتب بهما الى المأمون
وكان قد ترك الغناء والمنادمة
فسجنه (وذكر) محمد بن
جرير الطبري في تاريخه
الكبير قال خرج كوثر خادم
الامين لينظر الحرب أيام
محاصرة طاهر بن الحسين
وهرثمة بن أعين لبغداد
فأصابه سهم غرب فجرحه
فدخل على الامين وهو
يبكي لالم الجراحة فلم يتمالك
الأمين أن جعل يمسح عنه
الدم ويقول
ضربوا قرة عيني
ومن أجلي ضربوه
أخذ الله لقلبي
من أناس أوجعوه
ثم أرتج عليه فاستدعى
الفضل بن الربيع وأمره
باحضار شاعر يجيز البيتين
فاستدعى لذلك عبد الله
ابن محمد بن أيوب التيمي
وأنشدهما له فقال
ما لمن أهوى شبيه
فبه الدنيا تتيه
وصله حلو ولكن
هجره مر كريه
من رأى الناس له الفضـ
ـل عليهم حسدوه

وزعم قوم أن التي قالت هذه المقالة بديلة الاسدية التي كان سباها من بني أسد واتخذها لنفسه وأنشد مكان البيت الاول ألا تلكمو عرسي بديلة أوجست * فـــراقي وملت مضجعي ومكاني

قال أبو عبيدة فلما طال عليه البلاء وقد نتأت قطعة مثل اليد في جنبه من موضع الطعنة فتدلت واسترخت قالوا له لو قطعتها لرجونا أن تبرأ فقال شأنكم وهي فأشفق عليه بعضهم فنهاهم فأبى صخر وقال الموت أهون علي مما أنا فيه فأحموا له شفرة ثم قطعوها فيئس من نفسه قال وسمع صخر أخته الخنساء وهي تقول كيف كان صبره فقال صخر في ذلك

أجارتنا ان الخطـــوب تنوب * على النـاس كل المخطئين تصيب
فان تسأليني هل صـبرت فانني * صبور على ريب الزمان أريب
كأني وقد أدنوا الي شفارهم * من الصبر دامي الصفحتين ركوب
أجارتنا لست الغـــداة بظاعن * ولكن مقيم ما أقام عسيب

فمات فدفن هناك فقبره قريب من عسيب وهو جبل بأرض بني سليم الى جنب المدينة المنورة وقد روى انه لما طعن ودخلت حلق الدرع في جوفه ضمر منها زمانا وبعث الى ربيعة الاسدي الذي طعنه انك أخذت حلقا من درعي بسنانك فقال له ربيعة اطلبها في جوفك فكان ينفث الدم وتلك الحلق معه فلتمه امرأته وكان يكرمها ويعينها على أهله فمر بها رجل وهي قائمة وكانت ذات كفل وأوراك فقال لها أيباع هذا الكفل فقالت عما قليل وصخر يسمع ذلك فقال لئن استطعت لأقدمنك أمامي ثم قال لها ناوليني السيف أنظر هل تقله يدي فدفعته اليه فاذا هو لا يقله فعندها أنشد الابيات السابقة ثم لم يلبث أن مات وكان أخوه معاوية قد قتل قبله ورثته الخنساء أيضا وكان صخر قد أخذ بثاره وقتل قاتله ثم لما كانت وقعة بدر وقتل عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة أقبلت هند بنت عتبة ترثيهم وبلغها تسويم الخنساء هودجها في الموسم ومعاظمتها العرب بمصيبتها بأبيها وأخويها وأنها جعلت تشهد الموسم وتبكيهم وقد سومت هودجها براية وأنها تقول أنا أعظم العرب مصيبة وان العرب عرفت ذلك لها فقالت هند بل أنا أعظم العرب مصيبة فأمرت بهودجها فسوم براية أيضا وشهدت الموسم بعكاظ وكانت عكاظ سوقا تجتمع فيها العرب فقالت اقرنوا جملي بجمل الخنساء ففعلوا فلما دنت منها قالت لها الخنساء من أنت يا أخية قالت أنا هند بنت عتبة أعظم العرب مصيبة وقد بلغني انك تعاظمين العرب بمصيبتك فبم تعاظمينهم قالت بأبي عمرو ابن الشريد وأخوي صخر ومعاوية فبم تعاظمينهم أنت قالت بأبي عتبة وعمي شيبة وأخي الوليد قالت الخنساء أسواهم عندك ثم أنشأت تقول

أبكي أبي عمرا بعين غزيرة * قليل اذا نام الخلي هجودها
وصنوي لا أنسى معاوية الذي * له من سراة الحرتين وفودها
وصخرا ومن ذا مثل صخر اذا غدا * بساهبة الابطال قبا يقودها
فذلك يا هنـــد الرزية فاعلمي * ونيران حرب حين شب وقودها

فقالت هند بنت عتبة تجيبها

أبكي عميد الابطحين كليهما * وحاميهما من كل باغ يريدها
أبي عتبة الخيرات ويحك فاعلمي * وشيبة والحامي الذمار وليدها
أولئك آل المجد من آل غالب * وفي العز منها حين ينمى عديدها

وقالت الخنساء أيضا يومئذ

من حس لي الاخوين كالـ * ـغصنين أو من راهما
قرمين لا يتظالما * ن ولا يرام حماهما
ويلي على الاخوين والـ * ـقبر الذي واراهما
لا مثل كهلي في الكهو * ل ولا فتى كفتاهما
رمحين خطيين في * كبد السماء سناهما
ما خالفا اذ ودعا * في سودد شرواهما

سادا

مثل ما قد حسد القا
ئم بالملك أخوه

فأمر الامين له بوقر ثلاثة أبغل دراهم فلما ولي المأمون الخلافة واستقر الامر له توسل اليه عبد الله بالحسن بن سهل فلما دخل عليه قال ألست القائل

مالمن أهوى شبيه

فقال بل أنا القائل

نصر المأمون عبـ
ـد الله لما ظلموه
نقضوا العهد الذي كا
نوا قديما أكدوه
لم يعامله أخوه
بالذي أوصى أبوه

وأنشده في مدحه قصيدة أولها

جزعت ابن تيم أن علاك مشيب
وبان شباب والشباب حبيب

فأمر له بعشرة آلاف درهم

(وذكر) أبو الفرج الاصفهاني في كتاب القيان والمغنين أن المأمون قال بربر المتيم الهاشمية جارية علي بن هشام أجيزي تمالي تكون الكتب بيني وبينكم

ملاحظة نومي بها وانشير

فعندي من الكتب المشومة حيرة
وعندي من شوم الرسول أمور

(فقالت)

جعلت كتابي عبرة مستهلة
في الخد من ماء الجفون سطور

سادا بغير تكلف * عفوا بفيض نداهما

ولقد أجمع أهل العلم بالشعر أنه لم تكن امرأة قط قبلها ولا بعدها أشعر منها و وفدت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومها من بني سليم فأسلمت معهم وذكروا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستنشدها ويعجبه شعرها وكانت تنشده وهو يقول هيه ياخناس ويومئ بيده صلى الله عليه وسلم وعن أبي وجرة عن أبيه قال حضرت الخنساء بنت عمرو السلمية حرب القادسية ومعها بنوها أربعة رجال رضي الله عنهم أجمعين فقالت لهم من أول الليل يابني انكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين والله الذي لا اله غيره انكم لبنو رجل واحد كما انكم بنو امرأة واحدة ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم ولا هجنت حسبكم ولا غيرت نسبكم وقد تعلمون ما أعد الله تعالى للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية لقوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون فاذا أصبحتم غدا ان شاء الله سالمين فاغدوا الى قتال عدوكم مستبصرين وبالله على أعدائه مستنصرين فاذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها واضطرمت لظى مساقها فتيمموا وطيسها وجالدوا رئيسها عند احتدام خميسها تظفروا بالغنم والكرامه في دار الخلد والمقامه فخرج بنوها قابلين لنصحها عازمين على قولها فلما أضاء لهم الصبح بادروا مراكزهم وأنشأ أولهم يقول

يا اخوتي ان العجوز الناصحه * قد نصحتنا اذ دعتنا البارحه * بمقالة ذات بيان واضحه

فباكروا الحرب الضروس الكالحه * وانما تلقون عند الصائحه * من آل ساسان كلابا نابحه

قد أيقنوا منكم بوقع الجائحه * وأنتمو بين حياة صالحه * وميتة تورث غنما رابحه

وتقدم فقاتل حتى قتل رحمه الله تعالى ثم حمل الثاني وهو يقول

ان العجوز ذات حزم وجلد * والنظر الاوفق والرأى السدد

قد أمرتنا بالسداد والرشد * نصيحة منها وبرا بالولد

فباكروا الحرب كماة في العدد * اما بفوز بارد على الكبد

أو ميتة تورثكم غنم الابد * في جنة الفردوس والعيش الرغد

وقاتل حتى استشهد رحمه الله تعالى ثم حمل الثالث أيضا وهو يقول

والله لا نعصي العجوز حرفا * قد أمرتنا حربا وعطفا

نصحا وبرا صادقا ولطفا * فبادروا الحرب الضروس زحفا

حتى تلفوا آل كسرى لفا * أو تكشفوهم عن حماكم كشفا

أما تروا التقصير منكم ضعفا * والقتل فيكم نجدة وعرفا

وقاتل أيضا حتى استشهد رحمه الله ثم حمل الرابع وهو يقول

لست لخنساء ولا للأخرم * ولا لعمرو في السناء الاقدم * ان لم أرد في الجيش جيش الاعجم

ماض على هول خضم خضرم * اما لفوز عاجل ومغنم * أو لوفاء في السبيل الاكرم

وقاتل حتى قتل أيضا رحمة الله عليه وعلى اخوته فبلغها الخبر رضي الله عنها فقالت الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجو من ربي أن يجمعني معهم في مستقر رحمته وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعطيها أرزاق أولادها الاربعة لكل واحد منهم مائتي درهم الى أن قبض رحمه الله ورضي عنه وكانت وفاتها

بياض بالاصل

((كأن عيون الوحش حول خبائنا * وأرحلنا الجزع الذي لم يثقب))

البيت لامرئ القيس من قصيدة من الطويل أولها

خليلي مرا بي على أم جندب * لنقضي حاجات الفؤاد المعذب

فانكما ان تنظراني ساعة * من الدهر تنفعني لدى أم جندب

ورسلي لحاجاتي وهن كثيرة
اليك اشارات بها وزفير

(أنبأني) الشيخان الشيخ الاجل العلامة تاج الدين أبو اليمن الكندي والشيخ الاجل الفقيه جمال الدين ابن الحرستاني اجازة قالا أخبرنا الامام الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر قال أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين أخبرنا أبو منصور محمد ابن محمد بن أحمد بن الحسين أخبرنا أحمد بن محمد بن الصلت حدثنا أبو الفرج علي بن الحسين الاصفهاني أخبرني جعفر بن قدامة قال اشترى أبو عبادة جاريته سلمى اليمانية من نخاس مكي قدم بها عليه فلما جاءه بها أراد أن يمتحنها فأنشد

من لمحب أحب في صغره
فصار أحدوثة على كبره

من نظر شفه فأرقه
وكان مبدا هواه من نظره

(ثم) قال لها أجيزي فقالت مجيبة غير متوقفة

لولا التمني لمات من كمد
مر الليالي يزيد في فكره

ما ان له مسعد فيسعده
بالليل في طوله وفي قصره

الجسم يبلى فلا حراك به
والروح فيما أرى على أثره

(أنبأني) الفقيه أبو محمد عبد الخالق المسكي عن الحافظ السلفي اجازة قال أنبأنا أبو محمد جعفر بن السراج اللغوي وابن

ألم تريانى كلما جئت طارقا * وجدت بها طيبا وان لم تطيب
عقيلة أخدان لها لا ذميمة * ولا ذات خلق ان تأملت جأنب
الى أن يقول فيها وقلت لفتيان كرام ألا انزلوا * فقالوا علينا فضل برد مطنب
فظلنا الى بيت بعلياء مردح * سماوته من أتحمى معصب
وأوتاده عادية وعماده * ردينية فيها أسنة قعضب
فلما دخلناه أضفنا ظهورنا * الى كل حارى جديد مشطب
فظل لنا يوم لذيذ بنعمة * فقل فى مقيل نحسه متغيب
وبعده البيت وبعده نمس بأعراف الجياد أكفنا * اذا نحن قمنا عن شواء مضهب
وهى طويلة قال الاصمعى الظبى والبقرة اذا كانا حيين فعيونهما كلها سود فاذا ماتا بدا بياضها واغا شبهها بالجزع وفيه سواد وبياض بعد ماموتت والمراد كثرة الصيد يعنى مما أكلناه كثرت العيون عندنا كذا فى شرح ديوان امرئ القيس وبه يتبين بطلان ما قيل ان المراد أنها قد طالت مسايرتهم حتى ألفت الوحوش رحالهم وأخبيتهم (والشاهد فيه) تحقيق التشبيه فى الايغال لانه شبه عيون الوحش بالجزع وهو بفتح الجيم وتكسر الخرز اليمانى الصينى فيه سواد وبياض تشبه به عيون الوحش لكنه أتى بقوله لم يثقب ايغالا وتحقيقا للتشبيه لان الجزع اذا كان غير مثقوب كان أشبه بالعيون وقد اشتمل هذا البيت على نوع من أنواع البديع يسمى التبليغ والتتميم ويسمى الايغال أيضا وهو أن يتم قول الشاعر دون مقطع البيت ويبلغ به القافية فيأتى بما يتم به المعنى ويزيد فى فائدة الكلام لان للقافية محلا من الاسماع والخواطر فاعتناء الشاعر بها آكد ولا شئ أقبح من بنائها على فصول الكلام الذى لا يفيد ومن الشواهد عليه قول ذى الرمة أيضا
قف العيس فى أطلال مية فاسأل * رسوما كأخلاق الرداء
فتم كلامه ثم احتاج الى القافية فقال المسلسل فزاده شيأ ثم قال
أظن الذى يجدى عليك سؤالها * دموعا كتبديد الجمان
فتم كلامه ثم احتاج الى القافية فقال المفصل فزاده شيأ قيل وكان الرشيد يعجب بقول مسلم بن الوليد
اذا ما علت منا ذؤابة شارب * تمشت به مشى المقيد فى الوحل
وكان يقول قاتله الله أما كفاه أن يجعله مقيدا حتى جعله فى وحل ومنه قول ابن الرومى
لها مريح كأنه ذهب * ورغوة كاللآلى الفلق
فزاد بقوله الفلق تمكينا فى التشبيه ومن أبدع ما وقع فيه لمتأخر قول أبى بكر بن مجير
وخليفة ابن خليفة ابن خليفة وستنعل
فقوله وستفعل تبليغ بديع أفاد به بشارة الممدوح بأن سلسلة الخلافة فى عقبه وحكى أن بعض الشعراء قال لابى بكر بن مجير هذا انى نظمت قصيدة مقصورة الروى وأعجزنى منها روى بيت واحد فما أدرى كيف أتممه فقال له أبو بكر أنشدنيه فأنشده قوله
سليل الامام وصنو الامام * وعم الامام فقال له من غير تفكر ولا روية قل ولا منتهى فوضعه فى قصيدته على ما تممه له وكان أمكن قوافيه وأقواها وللسيد أبى القاسم شارح مقصورة حازم فى هذا النوع قوله
لم يبرح المجد يسمو داهباهم * حتى أجاز الثريا وهو ما قنعا
فقوله وهو ما قنعا من التبليغ الذى أفاد زيادة فى المعنى ظاهرة

(ولست بمستبق أخا لا تلمه * على شعث أى الرجال المهذب)

البيت للنابغة الذبيانى من قصيدة من الطويل يخاطب بها النعمان أولها
أرسما جديدا من سعاد تجنب * عفت روضة الاجداد منها فيثقب

بعلان الكبيرة قال حدثنا أبو نصر عبيد الله بن سعيد السجستانى الحافظ قال أخبرنا أبو يعقوب النجيرمى حدثنا أبو الحسين المهلبى عن أبى الفوارس عن يعقوب ابن السكيت قال عزم محمد ابن عبد الله بن طاهر على الحج فخرجت اليه جارية له شاعرة فبكت لما رأت آلة السفر فقال محمد ابن عبد الله
دمعة كاللؤلؤ الرطب من الطرف الكحيل
هطلت فى ساعة البين على الخد الاسيل
(فقالت الجارية)
حين هم القمر الزا هر عنا بالافول
انما يفتضح العشاق فى وقت الرحيل
(قال على بن ظافر) ذكر ابن رشيق فى كتاب الانموذج ما معناه قال خرج أبو العباس بن حديدة القيروانى فى جماعة من رفقائه طالبا للتنزه فحلوا بروضة قد سفرت عن وجنات الشقيق وأطلعت فى زبرجد الارض الخضراء نجوما من عقيق والجو قد أفرط فى تعبيسه ونثر لغيطه جميع ما كان من لؤلؤ القطر فى كيسه فقال ابن حديدة
أوما ترى الغيث المعرس باكيا
يذرى الدموع على رياض شقيق

عفا آيه نسج الجنوب مع الصبا * وأسحم دان مزنه متصوّب

يقول فيها أيضا
فلا تتركني بالوعيد كأنني * الى الناس مطلي به القار أجرب
ألم تر أن الله أعطاك سورة * ترى كل ملك دونها يتذبذب
فانك شمس والملوك كواكب * اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

وبعده البيت وبعده
فان أك مظلوما فعبد ظلمته * وان تك ذا عتبى فمثلك يعتب
أتاني أبيت اللعن انك لمتني * وتلك التي أهتمّ منها وأنصب

والشعث انتشار الامر والمهذب المنقح الفعال المرضى الخصال والمعنى لا تقدر على استبقاء مودّة أخ حال كونك ممن لا تلمه ولا تصلحه على تفرق وذميم خصال ذكرت هنا قول الشاعر معارضا للنابغة في هذا البيت

وهو
ألوم زيادا في ركاكة عقله * وفي قوله أي الرجال المهذب
وهل يحسن التهذيب منك خلائقا * أرق من الماء الزلال وأطيب
تكام والنعمان شمس سمائه * وكل مليك عند نعمان كوكب
ولو أبصرت عيناه شخصك مرة * لأبصر منه شمسه وهو غيهب

وهذا نوع من البديع يسمى التوليد وسيأتي الكلام على شيء منه في الفن الثالث ان شاء الله تعالى (والشاهد فيه) التذييل لتأكيد مفهوم فصدر البيت دل بمفهومه على نفي الكامل من الرجال وعجزه تأكيد لذلك وتقرير لان الاستفهام فيه انكاري أي لا مهذب في الرجال وفي معنى البيت قول أبي الحسن

محمد الموقت المكي
اذا المرء لم يبرح يماري صديقه * ولم يحتمل منه فكيف يعاشره
وأنى يدوم الودّ والعهد بينه * وبين أخ في كل وقت يناقشه

وما أحسن قول مؤيد الدين الطغرائي

أخاك أخاك فهو أجلّ ذخر * اذا نابتك نائبة الزمان
فان رابت اساءته فهبها * لما فيه من الشيم الحسان
تريد مهذبا لا عيب فيه * وهل عود يفوح بلا دخان

وبديع قول ابن الحداد أيضا

واصل أخاك وان أتاك بمنكر * فخلوص شيء قلما يتمكن
ولكل حسن آفة موجودة * ان السراج على سناه يدخن

وما أحسن قول ابن شرف أيضا

لا تسأل الناس والايام عن خبر * هما يبثانك الاخبار تفصيلا
ولا تعاتب على نقص الطباع أخا * فان بدر السما لم يعط تكميلا

ومن النفيس قول ابن حمديس

أكرم صديقك عن سؤا * لك عنه واحفظ منه ذمه
فلربما استخبرت عنه * عدوّه فسمعت ذمه

وقول عمر الخرّاط وهو رجل من القيروان

لا تسألنّ عن الصديـ * ق وسل فؤادك عن فؤاده
فلربما بحث السؤا * ل على فسادك أو فساده

ولمؤلفه في معناه
لست عن ودّ صديقي سائلا * غير قلبي فهو يدري ودّه
فكما أعلم ما عندي له * فكذا أعلم ما لي عنده

وما أحسن قول بعضهم
عتبي عليك مقارن العذر * قد ردّ عنك حفيظتي صدري
فتى هموت فأنت في سعة * ومتى جفوت فأنت في عذر
ترك العتاب اذا استحق أخ * منك العتاب ذريعة الهجر

وقول بعضهم
اذا أنت لم تغفر ذنوبا كثيرة * تريبك لم يسلم لك الدهر صاحب
ومن لم يغمض عينه عن صديقه * وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب

فكأن قطر دموعه من فوقها
درّ تبدّد في بساط عقيق
قال وأنشدنيهما فأجزتهما بأن قلت
فاجمع الى شكليهما بزجاجة
شكلين من حبب وصفو رحيق
فكأنما انتصر العبرة عاشق
مهراقة في وجنتي معشوق
(وبالاسناد المتقدّم) عن ابن بسام قال في كتاب الذخيرة ورواه الفتح بن خاقان في كتاب قلائد العقيان قال ذكر أبو اسحق بن خفاجة الحسر برى الاندلسي قال اجتمعت مع عبد الجليل ابن وهبون المرسي ونحن نريد المرية أيام مقام العدوّ بحصن بليط فبتنا بلزقه نتجاذب أذيال المذاكرة الى أن قام السفر في السحر للسري والسفر وقد شهروا سلاحهم وأظهروا اعددهم لقربهم من العدوّ فظهر من عبد الجليل من الجزع والارتياع والهلع ما ألجأني الى تسكينه بانشاد عجائب الاشعار وايراد غرائب الاخبار وهو لا يفهم ما أورده ولا يعقل معاني ما أسرده فمررنا في الطريق بمشهدين متقابلين وعليهما رأسان منصوبان فقلت
ألا رب رأس لا تزاور بينه
وبين أخيه والمزار قريب
اناف به صلد الصفا فهو منبر
وقام على أعلاه فهو خطيب
(ثم استجزته باستطالة فقال)

وقول أبي الفتح البستي
تحمل أخاك على ما به * فما في استقامته مطمع
وأنى له خلق واحد * وفيه طبائعه الاربع

وما أحسن قول بعضهم
لا تثق من آدمي * في وداد بصفاء
كيف ترجو منه صفوا * وهو من طين وماء

وهو كقول الآخر
ومن يك أصله ماء وطينا * بعيد من جبلته الصفاء

وما أبدع قول الجمال بن نباتة
يا مشتكي الهم دعه وانتظر فرجا * ودار وقتك من حين الى حين
ولا تعاند اذا أمسيت في كدر * فانما أنت من ماء ومن طين

وللصلاح الصفدي فيه أيضا
دع الاخوان ان لم تلق منهم * صفاء واستعن واستغن بالله
أليس المرء من ماء وطين * وأي صفا لهاتيك الجبله

ومما ينظر الى معنى البيت المستشهد به قول بعضهم
اذا أنت لم تترك أخاك وزلة * أرادهما أوشكتما أن تفترقا

وقوله أيضا
صديقك مهما جنى غطه * ولا تخف شيأ اذا أحسنا
وكن كالظلام مع النار اذ * يواري الدخان ويبدي السنا

ولمؤلفه
أخاك اغتفر ذنبه * وسامح اذا ما هفا وغط على عيبه * يدم منه عهد الوفا
وان رمت تقويمه * تجدوده قد عفا

﴿فسقى ديارك غير مفسدها * صوب الربيع وديمة تهمي﴾

البيت لطرفة بن العبد من قصيدة من الكامل يمدح بها قتادة بن سلمة الحنفي وكان قد أصاب قومه سنة فأتوه فبذل لهم وأولها
ان امرأ سرف الفؤاد يرى * عسلا بماء سحابة شتمي
وأنا امرؤ أكوى من القصر الـ * ـبادي وأغشى الدهم بالدهم
وأصيب شاكلة الرمية اذ * صدت بصفحتها عن السهم
وأجوز الكفل القناة على * انسانه فيظل يستدمي
وتصد عنك مخيلة الرجل الـ * ـعريض موضحة عن العظم
بحسام سيفك أو لسانك والـ * ـكلم الاصيل كأرغب الكلم
أبلغ قتادة غير سائله * منه الثواب وعاجل الشكم
اني حمدتك للعشيرة اذ * جاءت اليك مرقة العظم
ألقوا اليك بكل أرملة * شعثاء تحمل مقع البرم
وفتحت بابك للمكارم حيـ * ـن تواصت الابواب بالازم

وبعده البيت وهو آخرها وصوب الربيع نزول المطر ووقعه في الربيع والديمة مطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق أو يدوم خمسة أيام أو ستة أو سبعة أو يدوم يوما وليلة أو أقله ثلث النهار أو الليل وأكثره ما بلغت وجمعها ديم وديوم ومعنى تهمي تسيل (والشاهد فيه) التكميل ويسمى الاحتراس أيضا وهو أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه وهو هنا قوله غير مفسدها فان نزول المطر قد يكون سببا لخراب الديار وفسادها فدفع ذلك بتوسط قوله غير مفسدها وفي معنى البيت قول جرير
فسقاك حيث حللت غير فقيدة * هزج الرياح وديمة لا تقلع

ومن الاحتراس قول زهير بن أبي سلمى
من يلق يوما على علاته هرما * يلق السماحة منه والندى خلقا

بقول حذار الاغترار فطالما
أناخ قتيل بي وفتر سليب
وينشد نا انا غريب ساكن ههنا
وكل غريب للغريب نسيب
فان لم يزره صاحب أو خليله
فقد زاره نسر هناك وذيب
وها هو أما منظره فهو ضاحك
اليك وأما نصبه فكئيب
قال أبو اسحق فما تم انشاده حتى طلعت سرية العدو فأوقعت بالركب فأناخ قتيلا ونجوت مسلوبا فعجبت من هذا الاتفاق (قال)
وصنع يوما الاعز أبو الحسن بن المؤيد رحمه الله تعالى بديها في مغن
مغن صوته يحكيه في حسن وفي لين
يغنيني فيغنيني
ويحيي اذ يحييني
واستجاز شهاب الدين يعقوب ابن أخت الوزير نجم الدين ابن المجاور فقال
ويسقيني سلاف الرا
ح من فيه فيشفيني
تهلت به أحوى
ولم أعطف على ديني
﴿ومنه اجازة أبيات بيت﴾
كما أنبأني الشيخان تاج الدين أبو اليمن زيد بن حسن الكندي وجمال الدين الخرستاني اجازة عن الامام الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن عساكر قال أخبرنا أبو القاسم الحسين ابن الحسين بن محمد أخبرنا أبو الفرج سهل بن بشر أخبرنا أبو الحسين علي

وقول امرئ القيس أيضا

على هيكل يعطيك قبل سؤاله * افانين جرى غير كز ولا وانى

وقول نافع بن خليفة الغنوى

رجال اذا لم يقبل الحق منهم * ويعطوه عادوا بالسيوف القواضب

ومثله قول عنترة العبسى أثنى على بما علمت فاننى * سهل مخالقتى اذا لم أظلم

وقول الآخر فانى ان أفتك يفتك منى * فلا تسبق به علاق نفيس

ومن مليح الاحتراس قول الرمادى فى وصف فرس

قامت قوائمه لنا بطاعتنا * غضا وقام العرف بالمنديل

فقوله غضا احتراس عجيب اذ لو لم يذكر لتوهم انهم ينقلون عليه أزوادهم (وطرفة بن العبد) هو ابن سفيان ابن سعد بن مالك بن عباد بن صعصعة بن قيس بن ثعلبة ويقال ان اسمه عمرو وسمى طرفة بسبب بيت قاله وأمه وردة من رهط أبيه وفيها يقول لأخواله وقد ظلموها حقها

ما تنظرون بحق وردة فيكم * صغر البنون ورهط وردة غيب

وكان أحدث الشعراء سنا وأقلهم عمرا قتل وهو ابن عشرين سنة فيقال له ابن العشرين وقيل قتل وهو ابن ست وعشرين سنة والى ذلك تشير أخته حيث قالت ترثيه

عددنا له ستا وعشرين حجة * فلما توفاها استوى سيدا ضخما

فجعنا به لما رجونا ايابه * على خير حال لا وليدا ولا قحما

وكان السبب فى قتله انه كان ينادم عمرو بن هند فأشرفت ذات يوم أخته فرأى طرفة ظلها فى الجام الذى فى يده فقال ألا يا بأبى الظبى الذى يبرق شنفاه * ولولا الملك القاعد قد ألثمنى فاه

فحقد عليه وكان قد قال أيضا قبل ذلك

وليت لنا مكان الملك عمرو * رغوثا حول قبتنا تدور

لعمرك ان قابوس بن هند * ليخلط ملكه نوك كثير

وقابوس هذا هو أخو عمرو بن هند وكان فيه لين ويسمى قينة العرس فكتب له عمرو بن هند الى الربيع ابن حوثرة عامله على البحرين كتابا أوهمه فيه انه أمر له بجائزة وكتب للمتلمس بمثل ذلك فأما المتلمس ففك كتابه وعرف ما فيه فنجا كما سيأتى فى خبره وأما طرفة فمضى بالكتاب فأخذه الربيع فسقاه الخمر حتى أثمله ثم فصد أكحله فقبره بالبحرين وكان لطرفة أخ يقال له معبد فطالب بديته فأخذها من الحواثر قال أبو عبيدة مر لبيد بمجلس لنهد بالكوفة وهو يتوكأ على عصا فلما جاوز أمروا فتى منهم أن يلحقه فيسأله من أشعر العرب ففعل فقال له لبيد الملك الضليل يعنى امرأ القيس فرجع فأخبرهم فقالوا له ألا سألته ثم من فرجع فسأله فقال له ابن العشرين يعنى طرفة فلما رجع قالوا ليتك سألته ثم من فرجع فقال صاحب المحجن يعنى نفسه قال أبو عبيدة طرفة أجودهم وأجده لا يلحق بالبحور يعنى امرأ القيس وزهيرا والنابغة ولكنه يوضع مع أصحابه الحرث بن حلزة وعمرو بن كلثوم وسويد بن أبى كاهل ومن شعر طرفة وهو صبى قوله

فلولا ثلاث هن من عيشة الفتى * وجدك لم أحفل متى قام عودى

فمنهن سبق العاذلات بشربة * كميت متى ما تعل بالماء تزبد

وكرى اذا نادى المضاف محنبا * كسيد الغضا نبهته المتورد

وتقصير يوم الدجن والدجن معجب * ببهكنة تحت الخباء المعمد

وقد أخذه عبد الله بن نهيك بن اساف الانصارى فقال

ولولا ثلاث هن من عيشة الفتى * وجدك لم أحفل متى قام رامس

فمنهن سبق العاذلات بشربة * كأن أخاها مطلع الشمس ناعس

ابن عبد الله الهمدانى اجازة أخبرنا أبو سعيد عبد الرحمن ابن خيران أخبرنا ابن الانبارى قال دخل الزبير ابن بكار على أمير المؤمنين المعتز بالله وهو محموم فقال له يا أبا عبد الله انى قد قلت فى ليلتى هذه أبياتا وقد أعيا على اجازة بعضها وأنشدنى

انى عرفت علاج الجسم من وجعى
وما عرفت علاج الحب والجزع
جزعت للحب والحمى صبرت لها
انى لأعجب من صبرى ومن جزعى
من كان يشغله عن حبه وجع
فليس يشغلنى عن حبكم وجعى

(فقال أبو عبد الله)

وما أمل حبيبى ليتنى أبدا
مع الحبيب ويا ليت الحبيب معى

فأمر له على هذا البيت بألف دينار (وبهذا الاسناد) عن الامام الحافظ ابن عساكر قال حدثنا أبو عبد الله محمد ابن الحسن بن أحمد الملحى لفظا وكتبه لى بخطه قال حدثنى السابق أبو اليمن محمد بن الخضر المعرى قال اجتمعت بأبى عبد الله ابن الخياط يعنى الشاعر الدمشقى بطرابلس وكنت أنا وهو نجلس فى دكان عطار نصرانى يعرف بأبى الفضل فيه ذكاء ومحبة للادب فخرجنا يوما الى

ومنهن تجريد الكواعب كالدمى * اذا ابتزعن أكفالهن الملابس
ومنهن تقريط الجواد عنانه * اذا استبق الشخص القوي الفوارس

وقد ناقض عبد الحميد بن أبي الحديد المدائني أبيات طرفة السابقة فقال

لولا ثلاث لم أخف صرعتي * ليست كما قال فتى العبد
أن أنصر التوحيد والعدل في * كل مكان باذلا جهدي
وأن أناجي الله مستمتعا * بخلوة أحلى من الشهد
وأن أتيه الدهر كبرا على * كل لئيم أصعر الخد
لذاك أهوى لا فتاة ولا * خمر ولا ذي منعة نهد

ومما سبق اليه أيضا وكان يتمثل به النبي صلى الله عليه وسلم قوله

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزود

وقال غيره
ويأتيك بالاخبار من لم تبع له * بتاتا ولم تضرب له وقت موعد

ومما يستجاد من قصيدته التي منها البيت السابق على هذا قوله

ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى * وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي
فان كنت لا تستطيع دفع منيتي * فذرني أبادرها بما ملكت يدي
أرى قبر نحام بخيل بماله * كقبر غوي في البطالة مفسد
أرى العيش كنزا ناقصا كل ليلة * وما تنقص الايام والدهر ينفد
لعمرك ان الموت ما أخطأ الفتى * لكالطول المرخى وثنياه باليد

ومما يعاب من شعره قوله يمدح قوما

أسد غيل فاذا ما شربوا * وهبوا كل أمون وطمر
ثم راحوا عبق المسك بهم * يلحفون الارض أهداب الازر

ذكر أنهم يعطون اذا سكروا ولم يشترط ذلك في صحوهم كما قال عنترة

واذا شربت فانني مستهلك * مالي وعرضي وافر لم يكلم
واذا صحوت فما أقصر عن ندى * وكما علمت شمائلي وتكرمي

قالوا والجيد هو قول زهير بن أبي سلمى

أخو ثقة لا يتلف الخمر ماله * ولكنه قد يتلف المال نائله

وقال بعض المحدثين
فتى لا يلوك الخمر شحمة ماله * ولكن عطاياه ندى وبوادي

وما ألطف قول ابن حمديس في معنى قول عنترة

يجيد عطايا يسكره عند صحوه * ليعلم أن الجود منه على علم
ويسلم في الانعام من قول قائل * تكرم لما خامرته ابنة الكرم

(ان الثمانين وبلغتها * قد أحوجت سمعي الى ترجمان)

البيت لعوف بن محلم الشيباني من قصيدة من السريع قالها لعبد الله بن طاهر وكان قد دخل عليه فسلم فلم يسمع فأعلم بذلك فدنا منه ثم ارتجل هذه القصيدة وأولها

يا ابن الذي دان له المشرقان * طرا وقد دان له المغربان

وبعده البيت وبعده
وبدلتني بالشطاط انحنا * وكنت كالصعدة تحت السنان
وعوضتني من زماع الفتى * وهمتي هم الجبان الهدان
وقاربت مني خطا لم تكن * مقاربات وثنت من عنان
وأنشأت بيني وبين الورى * سحابة ليست كنسج العنان

ظاهر البلد فاخترنا موضعا نجلس فيه على غدير هناك فقال ابن الخياط بديها

أوما ترى قلق الغدير كأنه * يبدو لعينك منه حلي مناطق
مترقرق لعب الشعاع بمائه * فتراه يخفق مثل قلب العاشق
فاذا نظرت اليه راقك لمعه * وعلمت طرفك من سراب صادق

ولم يفتح الله على السابق ولا بلفظة فقال العطار

قد كنت أرجو أن تكون مصليا * حتى رأيتك سابقا للسابق

فاستحسنا ما أتى به العطار وجعلناه من مأثور الاخبار قال أبو عبد الله وكان السابق لا يحفظ من شعره بيتا واحدا وأبو عبد الله بن الخياط بخلافه يحفظ شعره منذ عمله الى أن مات * ومنه اجازة أكثر من بيت بأكثر من بيت * فمن ذلك ما ذكره الثعالبي في كتاب اليتيمة من حكاية أبي الفرج الببغا في ديرمران ووصفها بأن قال وهي وان كان فيها بعض طول فالبديع غير مملول وكل ما أرويه وأسنده الى اليتيمة في هذا الكتاب فهو مما أجازه لي القاضي الفقيه نبيه الدين أبو الحسن علي ابن المفضل المقدسي رحمه الله تعالى قال أخبرنا الشيخ الفقيه أبو القاسم علي بن مهدي الاسكندري قال أخبرنا أبو الحسن علي ابن عبدالله الجبار بن سلامة

ولم تدع فى لمستمتـــع * الاالسانى وبحســبى لسان

أدعــو به الله وأثـــنى به * على الامير المصعبى الهجان

وهمت بالاوطان وجـداهـا * وبالغوانى أين منى الغـوان

فقـــربانى بأبى أنتما * من وطنى قبل اصفرار البنان

وقبـل منعـاى الى نسـوة * مسكنهـا حران والرقتـان

سقى قصور الشاذياخ الحيـا * من بعدعهدى وقصور الميان

فكم وكم من دعـوة لى بهـا * أن تتخطاها صروف الزمان

والترجمان يقال بضم تائه وجيمه وفتحهما وفتح التاء وضم الجيم وهو المفسر للسان يقال ترجمه وعنه والفعل يدل على أصالة التاء ولقد أجاد الغزى فى تضمينه صدر البيت بقوله

طول حياة ما لهـا طائل * تنغص عندى كل ما يشتهى * أصبحت مثل الطفل فى ضعفه

تشابه المبدأ والمنتهى * فلا تســلم سمعى اذا خاننى * ان الثمـانين وبلغـــتها

ولطيف قول الشهاب المنصورى رحمه الله

نحو ثمـانين من العمر قد * قطعتها مثل عقود الجمان

ما أحوجت يوما يمينى الى * عصا ولا سمعى الى ترجمان

(والشاهد فيه) الاعتراض ويسمى الالتفات وهو أن يؤتى فى أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين معنى بجملة أو أكثر لا محل لها من الاعراب لنكتة سوى دفع الايهام وهو هنا الدعاء فى قوله وبلغتها لانها جملة معترضة بين اسم ان وخبرها والواو فيه اعتراضية ليست عاطفة ولا حالية ومن الاعتراض أيضا قول كثير عزة

ولو ان عزة حاكمت شمس الضحى * فى الحسن عند موفق لقضى لهـا

وهو معترض اذ لا بد فيه من ذكر موفق لانه لا يتم المعنى بدونه ومنه قول كثير أيضا

لو ان الباخلين وأنت منهم * رأوك تعلموا منك المطالا

ومن مليح ما سمع فيه قول نصيب وكان أسود

فكدت ولم أخلق من الطير ان بدا * سنا بارق نحو الحجاز أطــــير

(يروى) أن التى قيل فيها هذا البيت لما سمعته تنفست نفسا شديدا فصاح ابن أبى عتيق أوه قد والله أجابته باحسن من شعره والله لو سمعك النعق وطار فجعله غرابا لسواده ومن المستحسن فيه أيضا قول العباس بن الاحنف

قد كنت أبكى وأنت راضية * حذار هذا الصدود والغضب

ان تم ذا الهجر يا ظلـــوم ولا * تم فمـالى فى العيش من أرب

وما أحسن قول أبى الفتح البستى

أراح الله قلـــبى من زمان * محت يده سرورى بالاساءه

فان حمد الكريم صبـاح يوم * وأنى ذاك لم يحمد مساءه

والمتأخرون يسمون هذا الاعتراض حشو اللوزنيج وما أبدع قول ابن الساعاتى فيه

حال من دونك يا اخت الكلل * مقل الحى وفرسان الاسـل

ومـواض مرهفات فتكت * بى وحاشـاك ولا مثل الكحل

وقول أبى الحسين الجزار

ويهتز للجدوى اذا ما مدحتـــه * كما اهتز حاشاو صفه شارب الخمر

وقد أخذه من ابن الساعاتى فانه قال

يهزه المـدح هز الجود سائله * أولا وحاشاه هز الشارب الثمل

وما أحسن قول الفقيه عمـارة اليمنى

الهـذلى قال أخبرنا أبو بكر محمد بن على بن الحسن التميمى قال أخبرنا أبو محمد اسمعيل بن محمد النيسابورى قال أخبرنا أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسمعيل الثعالبى وقد تقدم ذكر هذا الاسناد قال الثعالبى قال أبو الفرج واللفظ له تأخرت عن سيف الدولة بدمشق مكرها وقد سار عنها فى بعض وقائعه وكان انتظر شديدا على من أراد اللحوق بهم من أصحابه حتى ان ذلك كان يؤدى الى النهب وطول الاعتقال فاضطررت الى اعمال الحيلة والسلامة بخدمة من بها من رؤساء الدولة الاخشيدية وكان سنى فى ذلك الوقت عشرين سنة وكان انقطاعى منهم الى أبى بكر على بن صالح الروذبارى لتقدمه فى الرياسة ومكانه من الفضل فأحسن تقبلى وبالغ فى الاحسان الى فتوفرت على قصد البقاع المستحسنة والمتنزهات المطروقة تسليا وتعللا فلما كان فى بعض الايام عملت على قصد دير مران وهذا الدير مشهور الموقع فى الجلالة وحسن المنظر واستصحبت بعض من كنت آنس به وتقدمت بحمل ما يصلحنا وتوجهت نحوه فلما حصلنا تحته أخذنا فى شأننا وقد كنت اخترت من رهبانه لعشرتنا من توسمت فيه رقة الطبع وسجاحة

له راحة ينهل جود ابنانها * ووجه اذا قابلته يتهلل
يرى الحق للزوار حتى كأنه * عليهم وحاشا قدره يتطفل

والكل أخذوا لفظة حاشا من أبي الطيب المتنبي حيث يقول

ويحتقر الدنيا احتقار مجرب * يرى كل ما فيها وحاشاه فانيا

وما أحسن أيضا قوله فيه

وخفوق قلب لو رأيت لهيبه * يا جنتي لوجدت فيه جهنما

وللقاضي مهذب الدين الغساني

ومالي الى ماء سوى النيل غلة * ولو أنه أستغفر الله زمزم

وبديع قول أبي الوليد محمد بن يحيى بن حزم

أتجزع من دمعي وأنت أسلته * ومن نار أحشائي ومنك لهيبها
وتزعم أن النفس غيرك علقت * وأنت ولا من عليك حبيبها

ومن الحشو الذي زاد حلاوة قول الجمال بن نباتة

لو ذقت برد رضاب من مقبله * يا جار مالت أعطافي التي ثملت

وقول السراج الوراق

ان عيني وهي عضو دنف * ما على ما كابدته جلد
ما كفاها بعدها عنك الى * أن دهاها وكفيت الرمد

وما أحسن قول ابن اللبانة في ناصر الدولة صاحب ميورقة

وغمرت بالاحسان أهل ميورقة * وبنيت فيها ما بنى الاسكندر
فكأنها بغداد أنت رشيدها * ووزيرها وله السلامة جعفر

قوله وله السلامة من أملح الحشو وأحلاه قالوا وهو أملح وأوضح من قول المتنبي ويحتقر الدنيا البيت المار

ومن المضحك فيه قول الجزار

لئن قطع الغيث الطريق فبعلتي * وحاشاك تبقى بي وجوختي الدار
وان قيل لي لا تخش فهي عبورة * خشيت على علي بأني جزار

وما ألطف قوله في معنى رقة الحال وان لم يكن من هذا الباب

لي من الشمس حلة صفراء * لا أبالي اذا أتاني الشتاء
ومن الزمهرير ان حدث الغيم ثيابي وطيلساني الهواء
بيتي الارض والفضا فيه سور * لي مدار وسقف بيتي السماء
شنع الناس انني جاهلي * ثانوي وما لهم أهواء
أخذوني بظاهري اذ رأوني * عبد شمس تسوءني الظلماء

وما ألطف قول البهاء زهير في هذا المعنى

أدركوني فبي من البرد هم * ليس ينسى وفي حشاي التهاب
كلما ازرق لون جسمي من البر * د تخيلت انه سنجاب

(رجع الى الاعتراض) ومنه قول أبي محمد الميطراني وكتب به الى صديق له رأى عنده غلاما استخدمه

رأيت ظبيا يطوف في حرمك * أغترمستأنسا الى كرمك * أطمعني فيه انه رشأ
يرشى ليخشى وليس من خدمك * فاشغله بي ساعة اذا فرغت * دواته ان رأيت من قلمك

ومن بديعه مع الرقة والانسجام قول ربيع بن شادلويه صاحب اذربيجان

سعادتسني ذكرت بخير * وترعم أني ماق خبيث
وأن مودتي كذب ومين * وأني بالذي أهوى بثوث

النفس حسبما جرى به الرسم والعادة في غشيان الاغمار وطروق الديرة من التطرف بعشرة أهلها والانسة بسكانها ولم تزل الاقداح دائرة بين مطرب الغناء وزاهر المذاكرة الى أن فض اللهو ختامه ولوح السكر لعصي أعلامه حانت مني التفاتة الى بعض الرهبان فوجدته الى خطابي متوثبا ولنظري اليه مترقبا فلما أخذته عيني أخذ يعني بخفي الرمز ووحي الايماء فاستوحشت لذلك وأنكرته ونهضت عجلا واستحضرته فأدرج لي رقعة مختومة وقال لي قد لزمك فرض الامانة فيما تضمنته هذه الرقعة وسقط ذمام كاتبها في سترها بك عن فضضتها فاذا فيها مكتوب بأحسن خط وأملحه وأقواه وأوضحه بسم الله الرحمن الرحيم لم أزل فيما تؤديه هذه الرقعة يا مولانا بين حزم يحث على الانقباض عنك وحسن ظن يحض على التسامح بنفيس الحظ منك الى أن استنزلتني الرغبة فيك على حكم الثقة بك من غير خبرة فرفعت سجف الحشمة وأطعت في الانبساط أوامر الانسة وانتهزت في التوصل الى مودتك فائت الفرصة والمستماح منك جعلني الله فداك زورة أرتجع بها ما اغتصبتنيه الايام من

وليس كذا ولارد عليها * ولكن الملوك هم الشكوث
رأت شغفي بها ونحول جسمي * فصحت هكذا كان الحديث

وما ألطف قول البهاء زهير رحمه الله

صديق لي سأذكره بخير * وان عرفت باطنه الخبيثا
وحاشا السامعين يقال عنهم * وبالله اكتموا هذا الحديثا

وبالغ ابن الساعاتي بقوله تود نجوم الليل لو نصلت بها * وان لقيت بؤسا ذوابل مالده
ولو ءالك الحكم الاهلة لم تكن * وباخرها الا نعالا لجرده

(وعوف بن محلم الخزاعي أبو المناهل) هو أحد العلماء الادباء الرواة الفهماء الندماء الظرفاء الشعراء الفصحاء وكان صاحب نوادر وأخبار ومعرفة بأيام الناس واختصه طاهر بن الحسين بن مصعب لمنادمته ومسامرته فلا يسافر الا وهو معه فيكون زميله وعديله ويعجب به وقال محمد بن داود ان سبب اتصاله بطاهر أنه نادى على الجسر بهذه الابيات أيام الفتنة ببغداد وطاهر منصرف في حراقة له بدجلة فأدخله معه وأنشده اياها وهي

عجبت لحراقة ابن الحسيـ * ـن كيف تعوم ولا تغرق
وبحران من تحتها واحد * وآخر من فوقها مطبق
وأعجب من ذاك عيدانها * وقد مسها كيف لا تورق

وأصله من حران وبقي مع طاهر ثلاثين سنة لا يفارقه وكلما استأذنه في الانصراف الى أهله ووطنه لا يأذن له فلما مات ظن انه تخلص وأنه يلحق بأهله فقربه عبد الله بن طاهر وأنزله منزلته من أبيه وأفضل عليه حتى كثر ماله وحسنت حاله وتلطف بجهده أن يأذن له في العود الى أهله فاتفق انه خرج عبد الله من بغداد الى خراسان فجعل عوفا عديله فلما شارف الري سمع صوت عندليب يغرد بأحسن تغريد فأعجب ذلك عبد الله والتفت الى عوف وقال يا ابن محلم هل سمعت بأشجى من هذا فقال لا والله فقال عبد الله قاتل الله أبا كبير حيث يقول ألا يا حمام الايك الفك حاضر * وغصنك مياد ففيم تنوح

أفق لا تنح من غير بين فانني * بكيت زمانا والفؤاد صحيح
ولوعا فشطت غربة دار زينب * فها أنا أبكي والفؤاد قريح

فقال عوف أحسن والله وأجاد أبو كبير انه كان في الهذليين مائة وثلاثون شاعرا ما فيهم الا مفلق وما كان فيهم مثل أبي كبير وأخذ يصفه فقال له عبد الله أقسمت عليك الا أجزت قوله فقال له قد كبر سني وفني ذهني وأنكرت كل ما كنت أعرفه فقال عبد الله بحق طاهر الا فعلت فابتدر عوف فقال

أفي كل عام غربة ونزوح * أما للنوى من ونية فتريح
لقد طلح البين المشت ركائبي * فهل أرين البين وهو طليح
وأرقني بالري نوح حمامة * فنحت وذو اللب الغريب ينوح
على انها ناحت ولم تذر دمعة * ونحت وأسراب الدموع سفوح
وناحت وفرخاها بحيث تراهما * ومن دون أفراخي مهامه فيح
ألا يا حمام الايك الفك حاضر * وغصنك مياد ففيم تنوح
عسى جود عبد الله أن يعكس النوى * فتلقى عصا التطواف وهي طريح
فان الغنى يدني الفتى من صديقه * وعدم الفتى بالمغربين طروح

فاستعبر عبد الله ورق له وجرت دموعه وقال والله انني لضنين بمفارقتك شحيح على الفائت من محاضرتك ولكن والله لا أعملت معي خفا ولا حافرا الا راجعا الى أهلك وأمر له بثلاثين ألف درهم فقال عوف الابيات المشهورة وسار راجعا الى أهله فلم يصل اليهم ومات في حدود العشرين والمائتين ومن شعره رحمه الله تعالى قوله وكنت اذا صحبت رجال قوم * صحبتهم ونيتي الوفاء

المسرة مهنأة بالانفراد
آلامن غلامك الذي هو
مادة مسرتك
وماذاك عن خلق يضيق
بطارق
ولكن لاخذي باحتياط
على حالي
فان صادف ما خطبته
منك أيدك الله قبولا ولديك
نفاقا فلمنية غفل الدهر عنها
اذفارق مذهبه فيما أهداه
الي منها وان جرى على رسمه
في المضايقة فيما أوثره وأهواه
وأرقبه من قربك وأتمناه
فذمام المروءة يلزمك رد
هذه الرقعة وسترها
وتناسيها واطراح ذكرها
ان شاء الله تعالى واذا بأبيات
تتلوا الخطاب وهي
يا عامر العمر بالفتوة والـ
ـقصف وحث الكؤس
والطرب
هل لك في صاحب تناسب
في الـ
ـغربة أخلاقه وفي الادب
أوحشه الدهر فاستراح الى
قربك مستنصرا على النوب
فان تقبلت ما أتاك به
لم تشب الظن فيك بالكذب
وان أبى الدهر دون رغبته
فكن كمن لم يقل ولم يجب
قال أبو الفرج فورد علي
ما حيرني واسترد ما أخذه
الشراب من تمييزي وحصل
لي في الجملة أن الغالب على
أوصاف صاحبها الكتابة
خطا وترسلا ونظما وشاهدته
بالفراسة من ألفاظه
وجدت أخلاقه قبل

فأحسن حين يحسن محسنوهم * وأجتنب الاساءة ان أساؤا
وأبصر ما يريبهم بعين * عليها من عيوبهم غطاء

ومنه قوله

وصغيرة علقتها * كانت من الفتن الكبار
بلهاء لم تعرف لغشرتها اليمين من اليسار كالبدر الا انها * تبقى على ضوء النهار

﴿واعلم فعلم المرء ينفعه * أن سوف يأتي كل ما قدرا﴾

البيت من السريع وأنشده أبو على الفارسي ولم يعزه الى أحد وأن هنا مخففة من مثقلة وضمير الشان محذوف يعني ان المقدور آت لا محالة وان وقع فيه تأخير وفي هذا تسلية وتسهيل للامر (والشاهد فيه) الاعتراض بالتنبيه وهو قوله فعلم المرء ينفعه وهو جملة معترضة بين اعلم ومفعوليه والفاء اعتراضية وفيها شائبة من السببية

﴿يصدّ عن الدنيا اذا عنّ سودد﴾

هو من الطويل وتمامه ولو برزت في زيّ عذراء ناهد وقائله أبو تمام من قصيدة يمدح بها أبا الحسين محمد بن الهيثم وأوّلها

قفوا جدّدوا من عهدكم بالمعاهد * وان لم تكن تسمع لنشدان ناشد
لقد أطرق الربع المحيل لفقدهم * وبينهم اطراق ثكلان فاقد
وأبقوا لضيف الشوق مني بعدهم * قرى من جوى سار وطيف معاود
سقته ذعافا غارة الدهر فيهم * وسمّ الليالي فوق سمّ الاساود
به علة صماء للبين لم تصخ * لبرء ولم توجب عيادة عائد
وفي الكلة الوردية اللون جؤذر * من العين ورديّ الحدود الجاسد
رمته بخلف بعد ما عاش حقبة * له رسفان في قيود المواعد
غدت مغتدى الغضبى وأوصت خيالها * بهجران نضو العيش نضو الخرائد
وقالت نكاح الحب يفسد شكله * وكم نكحوا حبا وليس بفاسد

وهي طويلة يقول في مديحها

هم حسدوه لا ملومين مجده * وما حاسد في المكرمات بحاسد * قرانى اللهى والودّ حتى كأنما
أفاد الغنى من نائلي وفوائدي * فأصبحت يلقاني الزمان من اجله * باعظام مولود واشفاق والد

وبعده البيت وبعده

اذا المرء لم يزهد وقد صبغت له * بعصفرها الدنيا فليس بزاهد
فوا كبدي الحرّا ووا كبد النوى * لأيامه لو كنّ غير بوائد
وهيهات ما ريب الزمان بمخلد * غريبا ولا ريب الزمان بخالد

والزيّ بكسر الزاي الهيئة والعذراء البكر والناهد التي نهد ثديها أي ارتفع (والشاهد فيه) وصفه بالايجاز بالنسبة الى كلام آخر مساوله في أصل المعنى وهو البيت الآتي بعده وهو اذا المرء لم يزهد الخ

﴿ولست بميال الى جانب الغنى * اذا كانت العلياء في جانب الفقر﴾

البيت من الطويل وهكذا رويته وان كان في التلخيص بلفظ نظار بدل ميال وقائله المعذل بن غيلان أبو عبد الصمد أحد الشاعرين المشهورين روى ذلك عنه الاخفش عن المبرّد ومحمد بن خلف بن المرزبان عن الربعي وبعد البيت

واني اصبار على ما ينوبني * وحسبك أن الله أثنى على الصبر

ورواه صاحب الدرّ الفريد لابي سعيد المخزومي يخاطب به امرأته وأوّل الابيات

ثقي بجميل الصبر مني على الدهر * ولا تثقي بالصبر مني على الهجر

وأراد بالغنى مسببه أعني الراحة وبالفقر المحنة يعني ان السيادة مع التعب والمشقة أحب اليه من الراحة والدعة بدونها (والشاهد فيه) وصفه بالاطناب بالنسبة الى مصراع أبي تمام لانه مساوله في أصل المعنى مع قلة حروفه ومثل ذلك قول الشماخ

اذا

الاختبار من رقعته فقلت للراهب ويحك من هذا وكيف السبيل الى لقائه فقال أما ذكر حاله فاليه اذا اجتمعتما وأما السبيل الى لقائه فسهل ان شئت قلت دلني قال تظهر فتورا وتنصب عذرا تفارق به أصحابك منصرفا فاذا صرت بباب الدير عدلت بك الى باب صغير تدخل منه فرددت الرقعة عليه وقلت ادفعها اليه ليتمكن أنسه بي وسكونه الي ثم عرّفه أن التوفر على اعمال الحيلة في التوصل الى حضرته على ما آثره من التفرّد أولى من التشاغل باصدار جواب يضيع وقت بكتابته ومضى الراهب وعدت الى أصحابي بغير النشاط الذي ذهبت به فأنكروا ذلك مني فاعتذرت اليهم بشيء عرض لي واستدعيت ما أركبه وتقدّمت الى من كان معي من الخدم بالتوفر على خدمتهم وقد كنا عوّلنا على المبيت فأجمعوا على تعجيل السكر والانصراف وخرجت من باب الدير ومعي صبيّ صغير كنت آنس به وبخدمته وتقدّمت الى الشاكري بردّ الدابة وستر خبري ومباكرتي وتلقاني الراهب فعدل بي الى طريق في مضيق وأدخلني الدير من طريق غامض وصار بي الى باب قلاية يتميز عما يجاوره من الابواب نظافة وحسنا

اذامارابة رفعت لمجد * تلقاهاعرابة باليمين

وقول بشربن أبى حازم اذاماالمكرمات رفعن يوما * وقصرمبتغوهاعن مداها

وضاقت أذرع المثرين فيها * سماأوس اليها فاحتواها

(والمعذل) هو ابن غيلان بن الحكم بن البحترى وكان أبوه غيلان شاعرا أيضا حدث عمارة قال مرّ المعذل ابن غيلان بعبد الله بن سوار العنبرى القاضى فاستنزله عبد الله وكان من عادة المعذل أن ينزل عنده فأبى وأنشده

أمن حق المودّة أن نقضى * ذمامكم ولا تقضوا ذماما

وقد قال الاديب مقال صدق * رآه الآخرون لهم اماما

اذا أكرمتكم وأهنتمونى * ولم أغضب لذلكم فداما

قال وانصرف فبكر اليه عبد الله بن سوار فقال له رأيتك أبا عبد الله مغضبا فقال أجل ماتت بنت أختى ولم تأتنى قال ماعلمت ذلك قال ذنبك أيسر من عذرك ومالى أنا أعرف خبر حقوقك وأنت لا تعرف خبر حقوقى فما زال عبد الله يعتذر اليه حتى رضى عنه وحدث الجماز قال هجا أبان اللاحقى المعذل بن غيلان فقال

كنت أمشى مع المعذل يوما * ففسا فسوة فكدت أطير

فتلفت هل أرى ظربانا * من ورائى والارض بى تستدير

فاذا ليس غيره واذا اعـصار ذاك الفساء منه يفور

فتعجبت ثم قلت لقد أعرق فى ذا فيما أرى خنزير

فأجابه المعذل بقوله صحفت أمك اذ سمتك فى المهد أبانا قد علمنا ما أرادت * لم ترد الا أتانا

صيرت باء مكان التاء فالله أعانا قطع الله وشيكا * من مسميك اللسانا

وقد روى عن المعذل وأبيه شئ من الاخبار والحديث واللغة ليس بالكثير ومن شعره

الى الله أشكو لا الى الناس اننى * أرى صالح الاعمال لا أستطيعها * أرى خلة فى اخوة وقرابة

وذى رحم ما كان مثلى يضيعها * فلو ساعدتنى فى المكارم قدرة * لفاض عليهم بالنوال ربيعها

وأما أبو المعذل عبد الصمد فكان شاعرا فصيحا من شعراء الدولة العباسية وكان هجاء خبيث اللسان شديد المعارضة وكان أخوه أحمد شاعرا أيضا الا أنه كان عفيفا ذا مروءة ودين وتقدم عند المعتزلة وجاه واسع فى بلده وعند سلطانه لا يقاربه عبد الصمد فيه وكان يحسده ويهجوه فيحلم عنه وعبد الصمد أشعرهما ومن هجاء أحمد لاخيه عبد الصمد قوله وهو فى غاية الاذى مع ما فيه من اللطافة

قال لى أنت أخو الكلب وفى * ظنه أن قد هجانى واجتهد

أحمد الله تعالى انه * ما درى انى أخو عبد الصمد

(ونُنكر ان شئنا على الناس قولهم * ولا ينكرون القول حين نقول)

البيت للسموأل بن عاديا اليهودى من قصيدة من الطويل أولها

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه * فكل رداء يرتديه جميل

وان هو لم يحمل على النفس ضيمها * فليس الى حسن الثناء سبيل

تعيرنا أنا قليل عديدنا * فقلت لها ان الكرام قليل

وما قلّ من كانت بقاياه مثلنا * شباب تسامت للعلا وكهول

وانا لقوم لا نرى القتل سبة * اذا ما رأته عامر وسلول

يقرب حب الموت آجالنا لنا * وتكرهه آجالهم فتطول

وما مات منا سيد فى فراشه * ولا طلّ منا حيث كان قتيل

تسيل على حدّ الظبات نفوسنا * وليس على غير السيوف تسيل

الى أن يقول فيها فنحن كماء المزن ما فى نصالنا * كهام ولا فينا يعدّ بخيل

فقرعه بحركات مختلفة كالعلامة بينهما فابتدرنا منه غلام كأن البدر ركب على أزراره مهفهف الكشح مخطفه معتدل القوام أهيفه تخال الشمس برقعت غرته والليل ناسب أصداغه وطرته فى غلالة تنم على ما تستره وتظهر مع رقتها ما تضمره وعلى رأسه محلسية مصمت فبهر عقلى واستوقف نظرى ثم أجفل كالظبى المذعور وتلوته والراهب الى صحن القلاية فاذا أنا ببيت فضى الحيطان رخامى الاركان يضم طارمة خيش مفروشة بحصير مستعملة فوثب الينا منه فتى مقتبل الشبيبة حسن الصورة ظاهر النبل والهيئة متزر من اللباس بزى غلافه فلقينى حافيا يعثر فى سراويله واعتنقنى ثم قال انما استخدمت هذا الغلام فى تلقيك ياسيدى لاجعل ما لعلك استحسنته من صورته مصانعا لما يرد عليك من مشاهدتى فاستحسنت اختصاره الطريق الى بسطى وارتحاله للمبادرة على نفسه حرصا على تأنيسى وأفاض فى شكرى على المسارعة الى امتثال أمره وأنافى خلال ذلك أواصل المبالغة فى الاعتداد به ثم قال ياسيدى أنت مكدود وان كان معك والتمكن من الانس بك لا يتم الا براحتك وقد كان الامر على ما ذكر فاستلقيت

وبعده البيت وبعده اذا سيد منا خلا قام سيد * قؤول لما قال الكرام فعول

وما أخمدت نار لنا دون طارق * ولا ذمنا في النازلين نزيل

وأيامنا مشهورة في عدونا * لها غرر معروفة وحجول

وأسيافنا في كل شرق ومغرب * بها من قراع الدارعين فلول

معودة أن لا تسل نصالها * فتغمد حتى يستباح قتيل

سلي ان جهلت الناس عنا وعنهم * فليس سواء عالم وجهول

ومعنى البيت انا نغير ما نريد تغييره من قول غيرنا ولا يجسر أحد على الاعتراض علينا انقيادا لهوانا واقتدا بحزمنا يصف رياستهم ونفاذ حكمهم ورجوع الناس في المهمات الى رأيهم (والشاهد فيه) وصفه بالاطناب بالنسبة الى قوله تعالى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ووصف الآيات الكريمة بالايجاز بالنسبة اليه وفي قوله من القصيدة وانا القوم لا نرى القتل سبة البيت نوع من البديع يسمى الاستطراد وهو أن يرى الشاعر أنه يريد وصف شيء وهو انما يريد غيره ومنه قول الفرزدق

كأن فقاح الازد حول ابن مسمع * اذا اجتمعوا أفواه بكر بن وائل

وقول جرير لما وضعت على الفرزدق ميسمي * وضغا البعيث جدعت أنف الاخطل

﴿ويروى﴾ أن الفرزدق وقف على جرير بالبصرة وهو ينشد قصيدته التي هجا فيها الراعي فلما بلغ الى قوله بها برص بأسفل اسكتيها وضع الفرزدق يده على فيه وغطى عنفقته فقال جرير كعنفقة الفرزدق حين شابا فانصرف الفرزدق وهو يقول اللهم أخزه والله لقد علمت حين بدأ بالبيت انه لا يقول غير هذا ولكني طمعت أن لا يأتي به فغطيت وجهي فما أغنى ذلك شيأ ويقال ان يونس كان يقول ما أرى جريرا قال هذا المصراع الا حين غطى الفرزدق عنفقته فانه نبهه عليه بتغطيته اياها ومن الاستطراد قول أبي تمام في وصف فرس

فلو تراه مشيحا والحصى فلق * تحت السنابك من مثنى ووحدان

حلفت ان لم تثبت أن حافره * من صخر تدمر أو من وجه عثمان

وقول أبي بكر النطاح في مالك بن طوق

عرضت عليها ما أرادت من المنى * لترضى فقالت قم فجئني بكوكب

فقلت لها هذا التعنت كله * كمن يشتهي من لحم عنقاء مغرب

سلي كل أمر يستقيم طلابه * ولا تذهبي يا درّ بي كل مذهب

فأقسم لو أصبحت في عز مالك * وقدرته أعيا بما رمت مطلبي

فتى شقيت أمواله بعفاته * كما شقيت قيس بأرماح تغلب

وقول بعضهم يمدح الوزير المهلبي

وأبي من اذا أراد سراري * عبرت لي أنفاسه عن عبير

وسبا لي ثغر كدرّ نظيم * تحته منطق كدرّ نثير

وله طلعة كنيل الاماني * أو كشعر المهلبي الوزير

وقول أبي الطاهر الحراني

وليل كوجه البرقعيدي ظلمة * وبرد أغانيه وطول قرونه

قطعت دياجيه بنوم مشرّد * كعقل سليمان بن فهد ودينه

على أولق فيه التفات كأنه * أبو جابر في حبطه وجنونه

الى أن بدا ضوء الصباح كأنه * سنا وجه قرواش وضوء جبينه

وقول اسحق بن ابراهيم يهجو أحمد بن هشام

وصافية يغشي العيون صفاؤها * رهينة عام في الدنان وعام

أدرنا بها الكاس الروية موهنا * من الليل حتى انجاب كل ظلام

فما ذرّ قرن الشمس حتى رأيتنا * من العيّ نحكي أحمد بن هشام

يسيرا ثم نهضت فخدمت في حالتي النوم واليقظة الخدمة التي عهدتها في دار الملوك وجلة الرؤساء ثم جاءنا خادم لم أر أحسن وجها ولا أتم سوادا منه يضم ما يتخذ للعشاء فقال ياسيدي العشاء مني للحاجة ومنك للمؤانسة فنلنا شيأ وأقبل الليل وطلع القمر ففتحت مناظر ذلك البيت الى فضاء أدى الينا محاسن الغوطة وحيانا بفاخر رياضها من المنظر الجناني والنسيم العطري وجاءنا الراهب من الاشربة بما وقع اتفاقنا عليه واقتعدنا غارب اللذة وجرينا في ميدان المفاوضة وأخذنا في نوادر الاخبار ويخلط ذلك من المرح بأظرفه ومن التودد بألطفه فلما توسطنا الشرب التفت الى غلامه وقال يا مترف ان مولاك لم يدخر عنا ممكنا من السرور بحضرته فينبغي لنا أن لا ندخر ممكنا من تمام مسرته فامتقع وجه الغلام حياء وخفرا فأقسم عليه بحياته وأنا لا أعلم ما يريد فمضى ثم عاد يحمل طنبورا وجاس وقال لي تأذن ياسيدي في خدمتك فهممت بتقبيل يديه لما داخلني من عظم المسرة بذلك فأصلح الغلام الطنبور وضرب وغنى يقول

يا مالكي وهو ملكي

وسالبي ثوب نسكي

نزه يقين الهوى فيـ

ـك عن تعرض شك

وقول الحسين بن علي القمي

جاوزت أجبالا كأن صخورها * وجنات نجم ذي الحياء البارد
والشوك يعمل في ثيابي مثل ما * عمل الهجاء بعرض عبد الواحد

وقول أبي الفرج الببغاء

لنار وضة في الدار صيغ زهرها * قلائد من حمل الندى وشنوف
لطيف بنامنها اذا ما تنفست * نسيم كعقل الخالدي ضعيف

ومن ظريف الاستطراد وغريبه قول بعضهم

أكشفني وجهك الذي أوحلتني * فيه من قبل كشفه عيناك
غلطي في هواك يشبه عندي * غلطي في أبي علي بن زاكي

وقول أبي بكر الخوارزمي

وصفراء كالدينار بنت ثلاثة * شمال وأنهار ودهر مجرّم
مسرّة محزون وعذر معربد * وكنز مجوسي وفتنة مسلم
ممات لاحياء حياة لميت * وعدم لمن أثرى ثراء لمعدم
يدور بها ظبي تدور عيوننا * على عينه من شرط يحيى بن اكثم
يتنزهنا من ثغره ومدامه * وخديه في شمس وبدر وأنجم
نهضت اليها والظلام كأنه * معاش فقير أو فؤاد معلم

(وقوله) ولقد بكيت عليك حتى قد بدا * دمعي يحاكي لفظك المنظوما
ولقد حزنت عليك حتى قد حكى * قلبي فؤاد حسودك المحموما

ومنه قول ابن رشيق وكتب به الى بعض الرؤساء

اني لقيت مشقه * فابعث الي بشقه * كمثل وجهك حسنا * ومثل ديني رقه

فقال له الرئيس أمّا مثل دينك رقة فلا يوجد بوزن أمثال رمال الرقة ولشرف الدين بن عنين الشاعر على هذا الاسلوب في فقيهين كانا بدمشق يدعى أحدهما بالبغل والآخر بالجاموس

البغل والجاموس في جدليهما * قد أصبحا عظة لكل مناظر
برزا عشية ليلة فتباحثا * هذا بقرنيه وذا بالحافر
ما أتقنا غير الصياح كأنما * لقيا جدال المرتضى بن عساكر
لفظ طويل تحت معنى قاصر * كالعقل في عبد اللطيف الناظر
اثنان ما لهما وحقك ثالث * الا رقاعة مدلويه الشاعر

ومنه قول ابن جابر الاندلسي

تطول به للمجد أشرف همة * فباعه عن غاية بقصير
سما لاقتناص المكرمات كما سما * بعمرو الى الزباء سعي قصير

وقوله أيضا سراة كرام من ذؤابة هاشم * يقولون للاضياف أهلا ومرحبا
ويفعل في فقر المقلين جودهم * كفعل علي يوم حارب مرحبا

﴿والسموأل﴾ هو ابن عريض بن عادياء ذكر ذلك أبو خليفة عن محمد بن سلام والسكري عن الطوسي وأبي حبيب وذكر أن الناس يدرجون عريضا في النسب وينسبونه الى عادياء جده وقال عمرو بن شبة هو السموأل بن عادياء ولم يذكر عريضا وقد قيل ان أمه كانت من غسان وكلهم قال انه صاحب الحصن المعروف بالابلق بتيماء وقيل بل هو من ولد الكاهن بن هرون بن عمران وكان هذا الحصن لجده عادياء واحتفر فيه بئرا عذبة رويه وقد ذكرته الشعراء في أشعارها قال السموأل

لولاك ما بت أبكي
الى الصباح وأبكي
فنظر الي الغلام وتبسم فعلمت أن الشعر له وكدت والله أن أطير طربا وفرحا لملاحة خلقه وجودة ضربه وعذوبة منطقه وتكامل حسنه فاستدعيت كبيرا فاحضر الغلام عدة قطع من البلور وجيد الجام المحكم فشربت سرورا بوجهه وشرب بمثل ما شربت به ثم قال أنا والله ياسيدي أحب ترفيهك ولا أقطعك عما أنت متوفر عليه ولكن حيث عرفت الاسم والنسب والصناعة واللقب فلا بد أن تسم ليلتنا هذه بشيء يكون لها طرازا ولذكرها إماما فجذبت الدواة وكتبت ارتجالا وقد أخذ الشراب مني
وليلة أوسعتني
لهوا وحسنا وأنسا
ما زلت ألثم بدرا
بها وأشرب شمسا
اذا طلع الدر سعدا
لم يبق مذ آب نحسا
فصار للروح مني
روحا وللنفس نفسا
فطرب لقولي ألثم بدرا وأشرب شمسا ثم جذب غلامه فقبله وقال لم أجهل ياسيدي ما يجب لك من التوقير ولكني اعتمدت تصديقك فيما ذكرته فحياك الا ما فعلت ذلك بغلامك كما فعلت فأجبته خوفا من احتشامه وأخذ الابيات وجمل يرددها ثم أخذ الدواة

فبالابلق الفرد بيتى به * وبيت النضير سوى الابلق

وكانت العرب تنزل به فيضيفها وتمتار من حصنه ويقيم هنالك سوقا وبه يضرب المثل فى الوفاء لانه رضى بقتل ابنه ولم يخن أمانته فى أدراع أودعها وكان السبب فى ذلك أن امرأ القيس بن حجر الكندى لما سار الى الشام يريد قيصر نزل على السموأل بن عادياء بحصنه الابلق بعد ايقاعه ببنى كنانة على انهم بنو أسد وكراهة من معه لفعله وتفرقهم عنه حتى بقى وحده واحتاج الى الهرب وطلبه المنذر بن ماء السماء ووجه الى طلبه جيوشا وخذلته حمير وتفرقت عنه فلجأ الى السموأل بن عادياء وكان معه خمسة أدراع الفضفاضة والضافية والمحصنة والحريق وأم الذيول وكانت لبنى آكل المرار يتوارثونها ملك عن ملك ومعه ابنته هند وابن عمه يزيد بن الحرث بن معاوية بن الحرث وسلاح ومال وكان بقى مما كان معه رجل من بنى فزارة يقال له الربيع وهو الذى قال فيه امرؤ القيس

بكى صاحبى لما رأى الدرب دونه * وأيقن أنا لاحقان بقيصرا

فقلت له لا تبك عينك انما * نحاول ملكا أو نموت فنعذرا

فقال له الفزارى قل فى السموأل شعرا تمدحه به فان الشعر يعجبه فقال فيه امرؤ القيس قصيدته التى مطلعها

طرقتك هند بعد طول تجنب * وهنا ولم تك قبل ذلك تطرق

فقال له الفزارى ان السموأل يمنع منك وهو فى حصن حصين ومال كثير فقدم به على السموأل وعرفه اياه وأنشده الشعر فعرف لهما حقهما وضرب على هند قبة من أدم وأنزل القوم فى مجلس له فأقاموا عنده ماشاء الله ثم ان امرأ القيس سأله أن يكتب له الى الحرث بن أبى شمر الغسانى أن يوصله الى قيصر ففعل واستصحب رجلا يدله على الطريق وأودع ابنته وماله وأدراعه السموأل ورحل الى الشام وخلف ابن عمه مع ابنته هند قال ونزل الحرث بن ظالم فى بعض غاراته بالابلق ويقال بل كان المنذر وجهه فى خيل وأمره بأخذ مال امرئ القيس من السموأل فلما نزل به تحصن منه وكان له ابن قد يفع وخرج الى قنص له فلما رجع أخذه الحرث بن ظالم ثم قال للسموأل أتعرف هذا قال نعم هذا ابنى فقال أفتسلم ما قبلك أو أقتله قال شأنك به فلست أخفر ذمتى ولا أسلم مال جارى فضرب الحرث وسط الغلام فقتله وقطعه قطعتين وانصرف عنه فقال السموأل فى ذلك

وفيت بأدرع الكندى انى * اذا ماذم أقوام وفيت

وأوصى عاديا يوما بأن لا * تهدم يا سموأل مابنيت

بنى لى عاديا حصنا حصينا * وبئرا كلما شئت استقيت

وفى ذلك يقول الاعشى وكان قد استجار بشريح بن السموأل من رجل كلبى قد هجاه ثم ظفر به فأسره وهو لا يعرفه فنزل بابن السموأل فأحسن ضيافته ومر بالاسرى فناداه الاعشى من جملة أبيات

كن كالسموأل اذ طاف الهمام به * فى جحفل كسواد الليل جرار

اذ سامه خطتى خسف فقال له * قل ماتشاء فانى سامع جارى

فقال غدر وثكل أنت بينهما * فاختر ومافيهما حظ لمختار

فشك غير طويل ثم قال له * اقتل أسيرك انى مانع جارى

وسوف يعقبنيه ان ظفرت به * رب كريم وبيض ذات أطهار

لاسرهن لدينا ذاهب أبدا * وحافظات اذا استودعن أسرارى

فاختار أدراعه كيلا يسب بها * ولم يكن وعده فيها بختار

فجاء شريح الى الكلبى فقال له هب لى هذا الاسير المضرور فقال هو لك فأطلقه وقال له أقم عندى حتى أكرمك وأجيزك فقال له الاعشى ان تمام صنيعك أن تعطينى ناقة نجيبة فأعطاه ناقة ناجية فركبها ومضى من ساعته وبلغ الكلبى أن الذى وهب لشريح هو الاعشى فأرسل الى شريح ابعث الى الاسير الذى وهبته لك حتى أحبوه وأعطيه فقال قد مضى فأرسل الكلبى وراءه فلم يلحقه وسعيد بن عريض أخو السموأل

شاعر

وكتب اجازة لها
ولم أكن لغريمى
والله أبذل فلسا
لو ارتضى لى غريمى
بديرمران حسا
فقلت له اذا والله ما كان أحد يؤدى حقا ولا باطلا وداعبته فى هذا المعنى بما حضرنى وعرفت فى الجملة أنه مستتر من دين قد ركبه فقال لى ياسيدى قد خرج لك أكثر الحديث فان عذرت والا ذكرت لك القصة فآثرت مراده فى كتمان أمره فقلت ياسيدى كل مالا يعترف بك نكرة وقد أغنت المشاهدة عن الاعتذار ونابت الخبرة عن الاستخبار وجعل يشرب وينتخب من غير اكراه ولا ابطاء الى أن رأيت الشراب قد دب فيه وأكب على محادثة غلامه والفطنة تنبته الى الوقت بعد الوقت فأظهرت السكر وحاولت النوم وجاء الغلام ببرذعة ففرشها بازاء برذعته فنهضت اليها فقام يتفقد أمرى بنفسه فقلت ان لى مذهبا فى تقريب غلامى منى واعتمدت فى ذلك تسهيل ما يختاره من غلامه فى هذه الحال فتبسم وقال لى جمع الله لك شمل المسرة كما جمعه لى بك وأظهرت النوم وعاد يحادث غلامه بأعذب لفظ وأحلى معاتبة ويخلط ذلك بمواعيد تدل على سعة حال وانبساط يد وغلامه تارة يقبل يده وتارة يقبل فمه وغلبتنى عيناى الى

شاعر أيضا ومن شعره انا اذا مالت دواعى الهوى * وأنصت السامع للقائل
لا نجعل الباطل حقا ولا * نلط دون الحق بالباطل
نخاف أن تسفه أحلامنا * فنخمل الدهر مع الخامل
عن العتبى قال كان معاوية رضى الله عنه كثيرا ما يتمثل اذا اجتمع الناس فى مجلسه بهذا الشعر وعن يوسف ابن الماجشون قال كان عبد الملك بن مروان اذا جلس للقضاء بين الناس أقام وصيفا على رأسه فأنشده هذه الابيات ثم يجتهد فى الحق بين الخصمين

﴿شواهد الفن الثانى وهو علم البيان﴾

(وكأن محمر الشقيق * اذا تصوب أو تصعد أعلام ياقوت نشر * ن على رماح من زبرجد)

البيتان من الكامل المجزو المرفل ولم أقف على اسم قائلهما ورأيت بعض أهل العصر نسبهما فى مصنف له الى الصنوبرى الشاعر والشقيق أراد به شقائق النعمان وهو النور المعروف ويطلق على الواحد والجمع وسمى بذلك لحمرته تشبيها بشقيقة البرق وأضيف الى النعمان بن المنذر وهو آخر ملوك الحيرة لانه خرج الى ظهر الحيرة وقد اعتم نبته ما بين أصفر وأحمر وأخضر واذا فيه من هذه الشقائق شئ كثير فقال ما أحسنها احموها فكان أول من حماها فنسبت اليه وكان أبو العميثل يقول النعمان اسم من أسماء الدم ولذلك قيل شقائق النعمان نسبت الى الدم لحمرتها قال وقولهم انها منسوبة الى النعمان بن المنذر ليس بشئ قال وحدثت الاصمعى بهذا فنقله عنى انتهى والذى قدمناه هو الذى ذكره أرباب اللغة (والشاهد فيهما) التشبيه الخيالى وهو المعدوم الذى فرض مجتمعا من أمور كل واحد منها مما يدرك بالحس فان الاعلام الياقوتية المنشورة على الرماح الزبرجدية مما لا يدركه الحس انما يدرك ما هو موجود فى المادة حاضر عند المدرك على هيآت محسوسة مخصوصة لكن مادته التى تركب منها كالاعلام والياقوت والرماح والزبرجد كل منها محسوس بالبصر وقريب من هذا النوع قول بعضهم

كلما باسط اليد * نحو نيلوفر ندى كدبابيس عسجد * قضبها من زبرجد

ومثله قول أبى الغنائم الحمصى

خود كأن بنانها * فى خضرة النقش المزرد سمك من البلور فى * شبك تكون من زبرجد

وقد تفنن الشعراء فى وصف الشقائق فمما ورد من ذلك قول ابن الرومى أو الاخيطل الاهوازى

هذى الشقائق قد أبصرت حمرتها * مع السواد على قضبانها الذبل
كأنها أدمع قد غسلت كحلا * جادت بها وقفة فى وجنتى خجل

وقول سيدوك الواسطى انظر الى مقل العقيق تضمنت حدق السبج
من فوق قامات حسن وما سمعن من العوج

وقول الخباز البلدى من أبيات

الى الروض الذى قد أضحكته * شآبيب السحائب بالبكاء
كأن شقائق النعمان فيه * ثياب قد روين من الدماء

وقول ولد القاضى عياض رحمهما الله تعالى

انظر الى الزرع وخاماته * تحكى وقد ولت أمام الرياح
كتيبة خضراء مهزومة * شقائق النعمان فيها جراح

وقول الخالدى أيضا وصبغ شقائق النعمان يحكى * يواقيتا نظمن على اقتران
وأحيانا نشبهها خدودا * كساها الراح ثوبا أرجوانى
شقائق مثل أقداح ملاء * وخشخاش كمارعة القنانى

أن أيقظنى هواء السحر فانتبهت وهما معتنقان بما عليهما من اللباس فأردت توديعه وكرهت انباهه وازعاجه فخرجت فلقينى الخادم يريد ايقاظه وتعريفه انصرافى فأقسمت عليه أن لا يفعل ووجدت غلامى قد بكر بما أركبه كما كنت أمرته فركبت منصرفا وعازما على العودة اليه والتوفر على مواصلته وأخذ الحظ من معاشرته ومتوهما أن ما كنت فيه منام لطيبه وقرب آخره من أوله واعترضتنى أسباب أدت الى اللحاق بسيف الدولة فسرت على أتم حسرة لما فاتنى من معاودة لقائه وقلت فى ذلك

ويوم كأن الدهر سامحنا به فصار اسمه ما بيننا هبة الدهر
جرت فيه أفراس الصبا بارتياحنا الى دير مران المعظم والعمر
بحيث هواء الغوطتين معطر النسيم بأنفاس الرياحين والزهر
فمن روضة بالحسن ترفد روضة ومن نهر بالفيض يجرى الى نهر
وفى الهيكل المعمور منه افترعتها وصحبى حلالا بعد توفية المهر
ورهت عن غير الدنانير قدرها فازلت منها أشرب التبر بالتبر
وحل لنا ما كان منها محرما وهل يحظر المحظور فى بلد الكفر

وإذا غازلتنا الريح خلنا * بها جيشى وغى يتقاتلان

وقول الصنوبرى

وجوه شقائق تبدو وتخفى * على قصب تميس بهن ضعفا
تراها كالعذارى مسبلات * عليهامن جميم الشعر سحفا
اذا طلعت أرتك السرج تذكى * وان غربت أرتك السرج اطفا
تخال اذا هى اعتدلت قواما * زجاجات ملئن الراح صرفا
تنازعت الخدود الحمر حسنا * فما قد أخطأت منهن وصفا

وقول ابن الدويده

كأن الشقائق والاقحوان * خدود تقبلهن الثغور
فهاتيك أخجلهن الحياء * وهاتيك أضحكهن السرور

وقول أبى الحسن بن وكيع من أرجوزة

يضحك فيها زهر الشقيق * كأنه مداهن العقيق
مضمنات قطعا من السبج * فأشرقت بين احمرار ودعج
كأنما المحمر فى المسود * منه اذا لاح عيون الرمد

وقول أبى الفضل الميكالى

تصوغ لنا أيدى الربيع حدائقا * كعقد عقيق بين سمط لآلى
وفيهن أنوار الشقائق قد حكت * خدود عذارى نقطت بغوالى

وقول الخبزارزى أيضا

وروضة راضها الندى فغدت * لها من الزهر أنجم زهر
تنشر فيها أيدى الربيع لنا * ثوبا من الوشى حاكه القطر
كأنما شق من شقائقها * على رباها مطارف خضر
ثم تبدت كأنها حدق * أجفانها من دمائها احمر

(ومسنونة زرق كأنياب أغوال)

هو من الطويل وصدره أيقتلنى والمشرفى مضاجعى وقائله امرؤ القيس الكندى من قصيدة أولها

ألا عم صباحا أيها الطلل البالى * وهل يعمن من كان فى العصر الخالى
وهل يعمن الا سعيد مخلد * قليل هموم ما يبيت بأوجال
وهل يعمن من كان آخر عهده * ثلاثين شهرا أو ثلاثة أحوال
ديار لسلمى عافيات بذى الخال * ألح عليها كل أسحم هطال
وتحسب سلمى لاتزال كعهدنا * بوادى الخزامى أو على رأس أوعال
ألا زعمت بسباسة اليوم أننى * كبرت وأن لا يشهد اللهو أمثالى
بلى رب يوم قد لهوت وليلة * بآنسة كأنها خط تمثال
يضئ الفراش وجهها لضجيعها * كمصباح زيت فى قناديل ذبال
اذا ما الضجيع ابتزها من ثيابها * تميل عليه هونة غير معطال
كدعص النقا يمشى الوليدان فوقه * لما احتسبا من لين مس وتسهال
اذا ما استحمت كان فيض حميمها * على متنتيها كالجمان لدى الحالى
تنورتها من اذرعات وأهلها * بيثرب أدنى دارها نظر عالى
نظرت اليها والنجوم كأنها * مصابيح رهبان تشب لقفال
سموت اليها بعد ما نام أهلها * سمو حباب الماء حالا على حال

فأهدت لى الايام منها مودة
دعتنى الى ستر فلبيت فى ستر
أتى من شريف الطبع أصدق رغبة
يحاذبنى من معدن النظم والنثر
فلاقيت ملء العين نبلا وهمة
محلى السجايا بالطلاقة والبشر
فكان جوابى طاعة لا مقالة
ومن ذا الذى لا يستجيب الى السحر
وأحشمنى بالود حتى ظننته
يريد احتلاعى عن حياتى ولا أدرى
وتزه عن غير الصفاء اجتماعنا
فكنت واياه كقلبين فى صدر
وشاء مرو وأن يلينا ثالث
فلاطفنا بالبدر أو بأخى البدر
بعط عيونا ما اشتهت من جماله
ومص فاو با بالتعتب والهجر
جنينا جنى الورد فى غير وقته
وزهر الربا من ورد خديه والثغر
وقابلنا من وجهه وشرابه
بشمسين فى جنحى دجا الليل والشعر
وغنى فصار السمع كالطرف آخذا
بأوفر حظ من محاسنه الزهر
ومتعنا من وجنتيه بمثل ما
تمزج كفاه من الماء والخمر
سرور شكرنامنة الصحو اذ دعا
اليه ولم نشكر به منة السكر
كأن الليالى غرن عنه فعندما
تنبهن بدلن الوفاء الى الغدر
مضى فكأنى كنت منه مهوما

فقلت سباك الله انك فاضحى * ألست ترى السمار والناس أحوالى

فقلت يمين الله لاأنابارح * ولوقطعوارأسى اليك وأوصالى

فلما تنازعنا الحديث وأسمحت * هصرت بغصن ذى شماريخ ميال

فصرنا الى الحسنى ورق كلامنا * ورضت فذلت صعبة أى اذلال

حلفت لها بالله حلفة فاجر * لناموا فمان من حديث ولاصالى

فأصبحت معشوقا وأصبح بعلها * عليه قتام كاسف اللون والبال

يغط غطيط البكر شد خناقه * ليقتلنى والمرء ليس بقتال وبعده البيت

وبعده وليس بذى سيف فيقتلنى به * وليس بذى رمح وليس بنبال

أيقتلنى وقد قطرت فؤادها * كاقطر المهنوءة الرجل الطالى

وقد علمت سلمى وان كان بعلها * بأن الفتى يهذى وليس بفعال

وماذا عليه ان ذكرت أوانسا * كغزلان رمل فى محاريب أقوال

وهى طويلة والمشرفى بفتح الميم والراء نسبة الى مشارف الشام وهى قرى من أرض العرب تدنو من الريف منها السيوف المشرفية والمسنون المحدد المصقول ووصف النصال بالزرقة للدلالة على صفائها وكونها مجلوة وأراد بقوله أنياب أغوال أى شياطين وانما أراد أن يهول قال أبو نصر سألت الاصمعى عن الغول فقال همرجة من همرجة الجن (والشاهد فيه) التشبيه الوهمى وهو الغير المدرك باحدى الحواس ولكنه بحيث لو أدرك لكان مدركا بها فان أنياب الغول مما لا يدركه الحس لعدم تحققها مع أنها لو أدركت لم تدرك الا بحس البصر وذكرت بأول القصيدة ما حكاه باشب بن هلال الحرانى الواعظ البديهى وكان يلقب به لقوله الشعر بديها قال قصدت ديار بكر متكسبا بالوعظ فلما نزلت قلعة ماردين دعانى صاحبها تمرداش ابن ايلغازى بن أرتق للافطار عنده فى شهر رمضان فحضرت اليه فلم يرفع مجلسى ولم يكرمنى وقال بعد الافطار لغلام عنده ائتنا بكتاب سماه فقال له ادفعه الى الشيخ ليقرأ فيه فازداد غيظى لذلك وفتحت الكتاب فاذا هو ديوان امرئ القيس واذا أول ما فيه

ألا عم صباحا أيها الطلل البالى * وهل يعمن من كان فى العصر الخالى

فقلت فى نفسى أنا ضيف وغريب وأستفتح ما أقرأه على سلطان كبير وقد مضى هزيع من الليل ألا عم صباحا فقلت ألا عم مساء أيها الملك العالى * ولازلت فى عز يدوم واقبال

ثم أتممت القصيدة فتهلل وجه السلطان لذلك ورفع مجلسى وأدنانى اليه وكان ذلك سبب حظوتى عنده

(وكأن النجوم بين دجاها * سنن لاح بينهن ابتداع)

البيت للقاضى التنوخى من أبيات من الخفيف أولها

رب ليل قطعته بصدود * أو فراق ما كان فيه وداع

موحش كالثقيل تقذى به العين * وتأبى حديثه الاسماع

وبعده البيت وبعده مشرقات كأنهن حجاج * تقطع الخصم والظلام انقطاع

وكأن السماء خيمة وشى * وكأن الجوزاء فيها شراع

والدجى جمع دجية وهى الظلمة والضمير راجع الى الليالى أو النجوم والابتداع الحدث فى الدين بعد الكمال أو ما استحدث بعد النبى صلى الله عليه وسلم من الاهواء والاعمال (والشاهد فيه) التشبيه التخييلى وهو أن لا يوجد فى أحد الطرفين أو فى كليهما الا على سبيل التخييل والتأويل ووجهه فى هذا البيت هو الهيئة الحاصلة من حصول أشياء مشرقة بيض فى جوانب شئ مظلم أسود فتلك الهيئة غير موجودة فى المشبه به الا على طريق التخييل وذلك أنه لما كانت البدعة وكل ما هو جهل تجعل صاحبها كمن يمشى فى الظلمة فلا

يحدثنى عن طيف الخيال الذى يسرى وهل يحصل الانسان من كل ما به تسامحه الايام الا على الذكر ولم أزل على أتم قلق وأعظم حسرة وأشد تأسف على ما سلبته من عظيم النعمة بفراق الفتى لا سيما ولم أحصل منه على حقيقة علم ولا نص خبر يؤديانى الى الطمع فى لقائه الى أن عاد سيف الدولة الى دمشق وأنا فى جملته فما بدأت بشئ قبل مصيرى الى الراهب وقد كنت حفظت اسمه فخرج الى مرعوبا وهو لا يعلم ما السبب فلما رآنى استطار فرحا وأقسم لا يكلمنى الا بعد النزول والمقام عنده يومى ذلك فلما جلسنا للمحادثة قال لى مالى أراك لا تسألنى عن صاحبك قلت والله مالى فكر ينصرف عنه ولا أسف يتجاوز زماحزته منه ولا سررت بعودى الى هذا الدار الا من أجله ولذلك بدأت بقصدك فاذكر لى خبره فقال أما الآن فنعم هذا فتى من الماردانيين جليل القدر عظيم النعمة كان قد ضمن من سلطانه بمصر ضياعا بمال عظيم فخاس به ضمانه لقعود السعر عنه وأشرف على الخروج من نعمته فاستتر ولما اشتد البحث عنه خرج مستخفيا الى أن ورد دمشق بزى تاجر وكان استتاره عند بعض اخوانه ممن لى به ارتباط

يهتدى الطريق ولا يأمن أن ينال مكروها شبهت الظلمة ولزم بطريق العكس أن تشبه السنة وكل ما هو علم بالنور لان السنة والعلم تقابل البدعة والجهل كما أن النور يقابل الظلمة ﴿والقاضي التنوخي﴾ هو علي ابن محمد بن داود أبو القاسم التنوخي قدم بغداد وتفقه على مذهب أبي حنيفة رحمه الله تعالى وكان حافظا للشعر ذكيا وله عروض بديع ولي القضاء بعدة بلدان وهو والد أبي علي الحسن التنوخي صاحب نشوان المحاضرة وكتاب الفرج بعد الشدة وغيرهما وكان أبو القاسم هذا بصيرا بعلم النجوم قرأ على الكسائي المنجم ويقال انه كان يقوم بعشرة علوم وكان يحفظ للطائيين سبعمائة قصيدة ومقطوعة سوى ما يحفظ لغيرهم من المحدثين وغيرهم وكان يحفظ من النحو واللغة شيأ كثيرا وكان في الفقه والفرائض والشروط غاية واشتهر بالكلام والمنطق والهندسة وكان في الهيئة قدوة وقال الثعالبي في حقه رحمهما الله تعالى هو كما قرأته في فصل الصاحب ان أردت فاني سبحة ناسك أو أحببت فاني تفاحة فاتك أو اقترحت فاني مدرعة راهب أو آثرت فاني نخبة شارب وكان الوزير المهلبي وغيره من وزراء العراق يميلون اليه جدا ويتعصبون له ويعدونه ريحانة الندماء وتاريخ الظرفاء ويعاشرون منه من تطيب عشرته وتلين قشرته وتكرم أخلاقه وتسير أشعاره حاشيتي البر والبحر وناحيتي الشرق والغرب (ويحكى) انه كان من جملة القضاة الذين ينادمون الوزير المهلبي ويجتمعون عنده في الاسبوع ليلتين على اطراح الحشمة والتبسط في القصف والخلاعة وهم ابن قريعة وابن معروف والايذجي وغيرهم وما منهم الا أبيض اللحية طويلها وكذلك كان المهلبي فاذا تكامل الانس وطاب المجلس ولذ السماع وأخذ الطرب منهم مأخذه وهبوا أثواب الوقار للعقار وتقلبوا في أعطاف العيش بين الخفة والطيش ووضع في يد كل منهم طاس من ذهب ألف مثقال مملوء شرابا وطربليا أو عكبريا فيغمس لحيته فيه بل ينقعها حتى تتشرب أكثره ثم يرش بها بعضهم على بعض ويرقصون بأجمعهم وعليهم المصبغات ومخانق البرم واياهم عنى السري الرفاء بقوله

مجالس ترقص القضاة بها * اذا انتشوا في مخانق البرم

وصاحب يخلط المجون لنا * بشيمة حلوة من الشيم

تخضب بالراح شيبه عبثا * أنامل مثل حمرة العنم

حتى تخال العيون شيبته * شيبة عثمان ضرجت بدم

فاذا أصبحوا عادوا لعادتهم في التزام التوقر والتحفظ بأبهة القضاة وحشمة المشايخ الكبراء وكان له غلام يؤثره على غيره من غلمانه يسمى نسيما فكتب الى القاضي التنوخي بعض أصحابه

هل على لامه مدغمة * لاضطرار الوزن في ميم نسيم

فوقع تحته نعم ولم لا وقال منصور الخالدي كنت ليلة عند التنوخي في ضيافة فأغفى اغفاءة فخرج منه ريح فضحك بعض القوم فانتبه بضحكه وقال لعل ريحا فسكتنا من هيبته فمكث ساعة ثم قال

اذا نامت العينان من متيقظ * تراخت بلا شك تشاريج فقحته

فمن كان ذا عقل فيعذر نائما * ومن كان ذا جهل ففي جوف لحيته

وهذه نبذة من شعره قال من قصيدة كثيرة العيون وكان الصاحب بن عباد يفضلها على سائر شعره وهي

أحبب الي بنهر معقل الذي * فيه لقلبي من همومي معقل

عذب اذا ما عب منه ناهل * فكأنه من ريق حب ينهل

متسلسل وكأنه لصفائه * دمع بخدي كاعب يتسلسل

واذا الرياح جرين فوق متونه * فكأنها درع جلاها صيقل

وكأن دجلة اذ تغطغط موجها * ملك يعظم خيفة ويبجل

وكأنه ياقوتة أو أعين * زرق يلاحظ بينها ويوصل

عذبت فما ندري أماء ماؤها * عند المذاقة أم رحيق سلسل

فاني كنت عنده يوما فاظهر لي وقال لصديقه اني أريد الانتقال الى هذا الراهب ان كان مأمونا علي فذكر له صديقه مذهبي وأظهرت له السرور بما رغب فيه من الانس بي وأنا لا أعرفه غير أن صديقي قد أمرني بخدمته فلما حصل في قلايتي واصل الصوم فلما كان بعد أيام جاءنا الرسول من عند صديقنا ومعه الغلام والخادم وقد لحقا به ومعهما سفاتج وعليهما ثياب رثة فلما نظر الى الغلام قال يا راهب قد حل الفطر وجاء العيد ووثب الى الغلام فاعتنقه وجعل يقبل عينيه ويبكي ثم وقف على السفاتج فأنفذ هامع رقعة الى صديقه فلما كان بعد يومين حمل اليه ألفي دينار وما يحتاج اليه من فرش وملبوس ولم يزل مكبا على ما رأيت الى أن ورد عليه البغال والآلات السنية الحسنة من مصر وكتب اليه أهله باجتماعهم بصاحب مصر وتعريفهم اياه الحال في بعده عن وطنه لضيق ذات يده عما يطالب به والتوقيع بحطيطة المال فلما أعمل المسير قال لغلامه سلم ما بقي معك من النفقة الى الراهب ليصرفه في مصالح الدير الى أن نواصل تعقده في مستقرنا وسار وماله حسرة غيرك ولا أسف الا عليك بقطع الاوقات بذكرك ولا يشرب الا على ما يغنيه

ولما عدا بعد جزر داهب * جيشان يد برذا وهذا يقبل
واذا نظرت الى الابلة خلتها * من جنة الفردوس حين تخيل
كم منزل في نهرها آلى السرو * ربأنه في غبرها لا ينزل
وكأنما تلك القصور عرائس * والروض حلى فهى فيه ترفل
غنت قيان الورق في أرجائها * هزجا يقل له الثقيل الاول
وتعانقت تلك الغصون فأذكرت * يوم الوداع وعيرهم تترحل
وربع الربيع بها كأنما كأنه * حلا بها عقد الهموم تحلل
فمدبج وموشع ومدثر * ومعمد ومحبر ومهلهل
فتخال ذا عينا وذا ثغرا وذا * خدا بعضض مرة ويقبل

ومن شعره أيضا قوله كأنما المريخ والمشترى * أمامه في شامخ الرفعه
منصرف بالليل عن دعوة * قد أوقدت قدامه شمعه

ومثله قول أبي عتيق السفار وكان البدر والمريخ اذ وافى اليه ملك توقد ليلا * شمعة بين يديه

رجع الى شعر القاضي التنوخي رحمه الله قال

وليلة مشتاق كأن نجومها * قد اغتصبت عيني الكرى فهى نوم
كأن سواد الليل والفجر ضاحك * يلوح ويخفى أسود يتبسم

وله أيضا في غور الكواكب عند الصباح

عهدى بها وضياء الصبح يطفئها * كالسرج تطفأ أو كالاعين العور
أعجب بها حين وافى وهى نيرة * فظل يطمس منها النور بالنور

وكتب الى الوزير المهلبى وقد منعه المطر من خدمته

سحاب أتى كالامن بعد تخوف * له في الثرى فعل الشفاء بمدنف
أكب على الآفاق اطراق مطرق * بفكر أو كالنائم المتلهف
ومد جناحيه على الارض جانحا * فراح عليها كالغراب المرفرف
غدا البر بحرا زاخرا وانثنى الضحى * بظلمته في ثوب ليل مسجف
بعبس عن برق به متبسم * عبوس بخيل في تبسم معتفى
تحاول منه الشمس في الجو مخرجا * كما حاول المغلوب تجريد مرهف

أين هذا من قول ابن المعتز رحمه الله

تحاول فتق غيم وهو يأبى * كعنين يريد نكاح بكر
فأفرغ ماء قال وأرد حوصه * أسلسال ماء أم سلافة قرقف
أتى رحمة للناس غيرى فانه * على عذاب ماله من تكشف
سحاب عذابى عن سحاب وعارض * منعت به من عارض متكمكف

أخذه من قول الحسن بن وهب لمحمد بن عبد الملك الزيات

لست أدرى ماذا أذم وأشكو * من سماء تعوقنى عن سماء

ومن شعر القاضي التنوخي أيضا

أما ترى البرد قد وافت عساكره * وعسكر الحر كيف انصاع منطلقا
فالارض تحت ضريب الثلج تحسبها * قد ألبست حبكا أو غشيت ورقا
فانهض بنار الى فحم كأنهما * في العين ظلم وانصاف قد اتفقا
جاءت ونحن كقلب الصب حين سلا * برد افصرنا كقلب الصب اذ عشقا

الغلام من شعرك وهو الآن بعصر على أحسن الاحوال وأجلها ما يخل بتفقدى ولا يغب برى (قال أبو الفرج) فتعجلت بعد السلو بما عرفت من حقيقة خبره وأتممت يومى عند الراهب وكان آخر العهد به (قال على بن ظافر) أقسم بالله ان هذه الحكاية وان طالت لحقيقة أن تكتب بالمقل السود على صفحات الخدود ولقد أزرت برأى العقود بين الترائب والنهود فرحم الله أبا الفرج وصاحبه فلقد استحقا منا بهذه الحكاية حمدا وشكرا وأبقيا لهما في الظرفاء ذكرا ولقد بلغ من طربى بها وارتياحى عند قراءتها مالى أوسع هذا الفتى الماردانى دعاء وترحما وأتبع ذكره صلاة عليه وتسليما حتى انى أكثر قصد ترب الماردانيين بالزيارة والدعا أملا أن يكون فى جملتهم وطمعا وما أنا واياهم الا كما قال خالد بن يزيد

أحب بنى العوام من أجل حبها
ومن أجلها أحببت أخوالها كلبا

وهذه غاية جهدى مع تربة دائرة ورمة بالية فرحمه الله كلما غرب نجم وطلع ونت نجم وأينع بحرمة محمد نبيه صلى الله عليه وسلم (أنبأنى) العماد أبو حامد أخبرنى أبو على الحسن بن سعد الشاتانى قال لى نجم الدين بن الشهرزورى قاضى الموصل

ومنه أيضا رضاك شباب لا يليه مشيب * وسخطك داء ليس منه طبيب

كأنك من كل النفوس مركب * فأنت الى كل النفوس حبيب

وله فى معذر قلت لاصحابى وقد مرّبى * منتقبا بعد الضيا بالظلم

بالله يا أهل ودادى قفوا * كى تبصروا كيف زوال النعم

ومحاسنه رحمه الله كثيرة وهذا الانموذج كاف فيها وكانت وفاته سنة اثنتين وأربعين وثلثمائة

(وقد لاح فى الصبح الثريا لمن رأى * كعنقود ملاحية حين نوّرا)

البيت لابى القيس بن الاسلت من الطويل والملاحى بضم الميم وتخفيف اللام وقد تشدد عنب أبيض فى حبه طول ومعنى نوّر تفتح نوره والثريا مصغرة قيل تصغير تعظيم وقيل تصغير تقريب اعلاما بأن نجومها قريب بعضها من بعض ومكبرها ثروى وهى الكثرة وسميت هذه النجوم المجتمعة بالثريا لكثرة نورها وقيل لكثرة نجومها مع صغر مرآها فكأنها كثيرة العدد بالاضافة الى ضيق المحل وعدد نجومها سبعة أنجم ستة ظاهرة وواحد خفى تختبر به الناس أبصارهم وذكر القاضى عياض رحمه الله تعالى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يراها أحد عشر نجما (والشاهد فيه) المركب الحسى فى التشبيه الذى طرفاه مفردان الحاصل من الهيئة الحاصلة من تقارن الصور البيض الصغار المقادير فى المرأى وان كانت كبارا فى الواقع على الكيفية المخصوصة منضمة الى المقدار المخصوص والمراد بالكيفية المخصوصة انها لا مجتمعة اجتماع التضام والتلاصق ولا هى شديدة الافتراق بل لها كيفية مخصوصة من التقارب والتباعد على نسبة قريبة مما نجده فى رأى العين بين تلك الانجم والطرفان المفردان هما الثريا والعنقود ومما جاء فى وصف الثريا أيضا قول امرئ القيس اذا ما الثريا فى السماء تعرضت * تعرّض أثناء الوشاح المفصل

وقد أبدع المتأخرون فى وصفها فمن ذلك قول ابن المعتز

قد انقضت دولة الصيام وقد * بشر سقم الهلال بالعيد

يتلو الثريا كفاغر شره * يفتح فاه لأكل عنقود

ومثله قوله أيضا زارنى والدجى أحمّ الحواشى * والثريا فى الغرب كالعنقود

وهلال السماء طوق عروس * بات يجلى على غلائل سود

وقول ابن بابك وليلة جوزاؤها * مثل الخباء المهتك * قطعتها والبدر عن

سمت الثريا منفرك * كأنها فى عرضه * باز على كف ملك

وقول سهل بن المرزبان كم ليلة أحييتها ومؤانسى * طرف الحديث وطيب حث الاكؤس

شبهت بدر سمائها لما دنت * منه الثريا فى قميص سندسى

ملكا مهيبا قاعدا فى روضة * حياه بعض الزائرين بنرجس

وقول ابن المعتز أيضا أتانى والاصباح يرفل فى الدجى * بصفراء لم تفسد بطبخ واحراق

فناولنيها والثريا كأنها * جنى نرجس حيا الندامى به الساقى

ومثله قول الناشى الاصغر

وليل توارى النجم من طول مكثه * كما ازورّ محبوب لخوف رقيبه

كأن الثريا فيه باقة نرجس * يحيى بها ذو صبوة لحبيبه

وقول أبى الفرج الببغاء من أبيات

ترى الثريا والبدر فى قرن * كما يحيى بنرجس ملك

وقول الوزير أبى العباس أحمد الضبى

خلت الثريا اذ بدت * طالعة فى الحندس مرسلة من لؤلؤ * أو باقة من نرجس

وقوله أيضا اذا الثريا اعترضت * عند طلوع الفجر حسبتها لامعة * سبيكة من درّ

دخل الىّ شاب من أهل بغداد فأنشدنى هذه الابيات

فى نهر عيسى والهواء معنبر
والماء فضىّ القميص صقيل
والطير اما هاتف بقرينة
أو نادب يشكو الفراق ثكول
والدهر كالليل البهيم وأنتم
غرر تضىء ظلامه وتجول

(واستجازنى فقلت)

والغصن مهزوز القوام كأنما
هبت عليه من الشمال شمول
وكأنما السرو المحفف بسندس
ورقص فارتفعت لهنّ ذيول

(قال علىّ بن ظافر) واتفقت لى وللقاضى الاجل شهاب الدين يعقوب سفرة الى البيت المقدس للتبرك بما هنالك من البقاع المقدسة والمشاهد المعظمة وأجداث الانبياء المباركة الطيبة فلما جدّبنا المسير وسهل من فراق الاهل والاوطان العسير وقطعت المطايا بنا الربا والوهاد ولم يسمع الاهيد وهاد صنع الشهاب

يارب سير كالشهاب المحرق
قدحته من زند عود اورق
يسير فى الخرق مسير الاخرق
فهل رأت عيناك عدو العقنق
حتى اذا ما انفترّ ثغر المشرق

(ثم استجازنى فقلت)

ولاح فى الجو احمرار الشفق
كالخمر صبت فى زجاج أزرق
بدا على الآل قطار الاينق
كمثل سطر فى بياض مهرق
أو كالدرارى فى مشيب المفرق
كم نازل فى بحره كالزورق
أو كهلال مشرق فى زرق

(وهذه) أيضا حكاية بديعة

ونفيس

ونفيس قول ابن حمديس أيضا من قصيدة

فاسقني عن اذن سلطان الهوى * ليس يشفي الروح الا كاس راح
وانتظر للحلم مني كرة * كم فساد كان عقباه صلاح
فالقضيب اهتز والبدر بدا * والكثيب ارتج والعنبر فاح
والثريا زج الجو بها * كابن ماء ضم للوكر جناح
وكأن الغرب منها ناشق * باقة من ياسمين أو أقاح

وقول الصاحب بن عباد تنير الثريا وهي قرط مسلسل * ويعقل منها الطرف در مبدد
وما ألطف قول ابن حصن على أن أتذلل * له وأن يتدلل خد كأن الثريا * عليه قرط مسلسل
وقول أبي الفرج الببغاء

خذوا من العيش فالاعمار فانية * والدهر منصرف والعيش منقرض
في حامل الكاس من بدر الدجى خلف * وفي المدامة من شمس الضحى عوض
كأن نجم الثريا كف ذي كرم * مبسوطة للعطايا ليس تنقبض

وقول ابن سكرة الهاشمي ترى الثريا والغرب يجذبها * والبدر يسري والفجر ينفجر
كف عروس لاحت خواتمها * أو عقد در في الجو ينتثر

ومثله قول أبي القاسم علي بن جلبات

وخلت الثريا كف عذراء طفلة * مختمة بالدر منها الانامل
تخيلتها في الافق طرة جمة * مكوكبة لم تعتلقها حبائل

وقول أبي القاسم ابن هانئ الاندلسي وولت نجوم الثريا كأنها * خواتم تبدو في بنان يد تخفى
وما أحسن قول محيي الدين بن عبد الظاهر

ملأت الليالي من علا وختمتها * فقد أصبحت محشوة من مكارمك
ختمت عليها بالثريا فقل لنا * أهذا الذي في كفها من خواتمك

وقد أحسن الصنوبري في تشبيه الثريا في جميع أحوالها حيث يقول من أبيات

قم هاسقني والظلام منهزم * والصبح باد كأنه علم
والطير قد طربت فأفصحت الا لحان طرا وكلها عجم
وميلت رأسها الثريا الى * سرار الى الغرب وهي تحتشم
في الشرق كاس وفي مغاربها * قرط وفي أوسط السما قدم

وقد وصفها الواوا الدمشقي في حالتي الشروق والغروب فقط فقال

قد تأملت الثريا * في شروق وغروب فهي كاس في شروق * وهي قرط في غروب

وما أبدع قول بعضهم أيضا وكأنما نجم الثريا * اذ تعرض كالوشاح
كاس بكف خريدة * تسقي المسايد الصباح
وقول الواوا الدمشقي وجلا الثريا في ملا * ة نوره بدر التمام
فكأنها كاس ليشربها * الدجى والمدرجام
وكأن زرق نجومها * حدق مفتحة نيام

وبديع قول عبد الوهاب الازدي المشهور بالمثقال

ياساقي الكاس اسق صحبي * واسقني انني أواسي وانظر الى حيرة الثريا * والليل قد سد بالدماس
ما بين بهرامها الملاحي * وبين مريخها المواسي كأنها راحة أشارت * لاخذ تفاحة وكاس

وقوله أيضا رأيت بهرام والثريا * والمشتري في القران كره

تشتمل على نوعي الاجازة القديم والعصري قصدت بايرادها في هذا الموضع أن تكون دهليز الخروج من القسم الاول والدخول في القسم الثاني لما بينهما من الاشتراك فيها (روي) من طرق مختلفة كتبت أكملها وأتمها أن الامير محمد بن عبد الله بن طاهر ارتاح الى منادمة من بعد عهده بمنادمته أو من لم يره وحضره صاحبه الحسن بن محمد بن طالوت وكان أخص الناس به فقال له لا بد لنا في يومنا هذا من ثالث نطيب بعاشرته ونلتذ بصحبته ومؤانسته فمن ترى أن يكون طاهر الاعراق غير دنس الاخلاق فأعمل فكره وأمعن نظره وقال أيها الامير قد خطر ببالي رجل ليست علينا في مجالسته كلفة قد خلا من ابرام المجالسة وبرئ من ثقل المؤانسة خفيف الوقفة اذا أحببت سريع الوثبة اذا أمرت قال ومن ذاك قال ماني الموسوس قال أحسنت والله فتقدم الى أصحاب الارباع بطلبه فما كان بأسرع من أن اقتنصه صاحب ربع الكرخ فصار به الى باب الامير فأدخل الحمام وأخذ من شعره وألبس ثيابا نظافا ثم أدخل عليه فقال السلام عليك أيها الامير فقال وعليك السلام يا ماني ألم يأن أن تزورنا على حين توقان منا

كراحة خضبت يداها * ما بين ياقوتة ودره
قال عبد الوهاب المذكور هذين البيتين لما أنشده ابن رشيق قوله
والثريا قبالة البدر تحكى * باسطا كفه ليأخذ جاما
وللواوا الدمشقي رب ليل مازلت ألثم فيه * قمرا لا يساغ الا لة ورد
والثريا كأنها كف خود * داخلتها اللبين رعدة وجد
ومثله قول بعضهم كأن الثريا بين شرق ومغرب * وقد سلمت للصبح طوعا عنانها
مروعة بالبين نحو أليفها * تقلب من خوف الفراق بنانها
وقول الآخر والليل قد ولى يقلص برده * كذا و يسحب ذيله فى المغرب
وكأنما نجم الثريا سحرة * كف تمسح عن معاطف أشهب
ولابراهيم بن العباس الصولى فى اقتران الثريا والهلال
وليلة من ليالى الانس بت بها * والروض ما بين منظوم ومنضود
والنسر قد حام فى الظلماء من ظما * وللمجرة نهر غير مورود
وابن الغزالة فوق النجم منعطف * كما تأود عرجون بعنقود
ولابى عاصم البصرى فى اقتران الهلال والثريا والزهرة
رأيت الهلال وقد أحدقته * نجوم السماء لكى تسبقه * فشبهته وهو فى اثرها
وبينهما الزهرة المشرقه * بقوس لرام رمى طائرا * فأتبع فى أثره بندقه
ولابى الحسن الكرخى فى مثله
كأن الهلال المستنير وقد بدا * ونجم الثريا واقف فوق هالته
مليك على أعلاه تاج مرصع * ويزهى على من دونه بجلالته
وما أحسن قول ابن طباطبا العلوى
أما والثريا والهلال جلتهما * لى الشمس اذ ودعت كرها نهارها
كأسماء اذ زارت عشيا وغادرت * دلالا لديناقرطها وسوارها
وقول أبى على الحاتمى وليل أقمنا فيه نعمل كأسنا * الى أن بدا للصبح فى الليل عسكر
ونجم الثريا فى السماء كأنه * على حلة زرقاء جيب مدنر
ومن بديع أوصاف الثريا قول البديع القليوبى الكاتب
وصافية قبات الغلام يديرها * على الشرب فى جنح من الليل أدعج
كأن حباب الماء فى وجناتها * فرائد در فى عقيق مدحرج
ولاضوء الامس هلال كأنما * تفرق عنه الغيم عن نصف دملج
وقد حال دون المشترى من شعاعه * وميض كمثل الزئبق المترجرج
كأن الثريا فى أواخر ليلها * نجيبة ورد فوق زهر بنفسج
وما أحسن قول ابن فضال كأن بهرام وقد عارضت * فيه الثريا نظر المبصر
ياقوتة يعرضها بائع * فى كفه والمشترى المشترى
وبديع قول الشهاب محمود فى تشبيه الثريا والهلال والدارة
كأن الثريا والهلال ودارة * حوته وقد زان الثريا التئامها
حباب طفا من فوق زورق فضة * بكف فتاة طاب بالراح جامها
وقد أغرب ابن عون بقوله رب ليل لم أغمه * ونجوم الليل تسهد
والثريا فى مداها * حين تحط وتصعد عقرب يسعى من الدر على صحن زبرجد

فقال مالى الشوق شديد
والمزار بعيد والحجاب عتيد
والبواب فظ عنيد ولو سهل
الاذن لسهلت علينا الزيارة
قال لقد ألطفت فى الاستئذان
فلا تقنع فى أى وقت جئت
من ليل أو نهار ثم أذن له
فجلس ثم دعا له بالطعام
فأكل ثم غسل يده وأخذ
مجلسه وكان محمد قد تشوق
الى السماع من تنوسة جارية
ابنة المهدى فأحضرت
فكان أول ما غنت
ولست بناس اذ غدوا فتحملوا
دموعى على الاحباب من
شدة الوجد
وقولى وقد زالت بليل حمولهم
بواكر تحدى لا يكن آخر
العهد
فقال مالى أحسنت والله الا
زدت فيه
أقمت أناجى الفكر والدمع
حائر
بمقلة موقوف على الجهد
والصد
ولم يعدنى هذا الامير بعزه
على ظالم قد لج فى الهجر والبعد
فاندفعت تغنيه فرق محمد
ابن عبد الله وقال أعاشق
أنت يا مانى قال فاستحيا وغمزه
ابن طالوت لئلا يبوح له
بشئ فسقط من عينه فقال
بل هلع وطرب أعز الله الامير
وشوق كان كامنا فظهر
وهل بعد المشيب من صبوة
ثم اقترح محمد على تنوسة
هذا الصوت من شعر أبى
العتاهية

خلفها

خلفها طالب نار * وشهاب ليس يخمد   فهي حيرى ما أراها * من سبيل الغي ترشد

وبديع قول ظافر الحداد

كأن الثريا تقدم الفجر والدجى * يضم حواشي سجفه للمغارب
مقدم جيش الروم أومى بكفه * لتبديد جيش من بني الزنج هارب

وقوله أيضا

كأن نجوم الليل لما تعلت * توقد جمر في سواد رماد
حكى فوق ممتد المجرة شكلها * فواقع تطفو فوق لجة واد
وقد سبحت فيه الثريا كأنها * بقية وشي في قميص حداد
ولاحت بنو نعش كتنقيط كاتب * بيسراه للتعليم هيئة صاد
الى أن بدا وجه الصباح كأنه * رداء عروس فيه صبغ مداد

وقوله أيضا

وليلة مثل عين الظبي داجية * عسفتها ونجوم الليل لم تقد
كأن أنجمها في الليل زاهرة * دراهم والثريا كف منتقد

وظريف قول بعضهم في شكاية طول الليل

كأن الثريا راحة تشبر الدجى * لتعلم طال الليل أم لي تعرضا
عجبت لليل بين شرق ومغرب * يقاس بشبر كيف يرجى له انقضا

ولبعضهم

والثريا كأنها رأس طرف * أدهم زين باللجام المحلى

ومثله قول ابن المعتز

ألا فاسقنيها والظلام مقوض * ونجم الدجى في لجة الليل يركض
كأن الثريا في أواخر ليلها * مفتح نور أو لجام مفضض

والاطلاع على تفنن الادباء في أوصاف الثريا يغتفر الاطالة هنا (وأبو قيس) لم يقع لي الى الآن اسمه والاسلت لقب أبيه واسمه عامر بن جشم بن وائل ينتهي نسبه للاوس وهو شاعر من شعراء الجاهلية وأسلم ابنه عقبة ابن أبي قيس رضي الله عنه واستشهد يوم القادسية وكان يزيد بن مرداس السلمي أخو عباس بن مرداس السلمي الشاعر قتل قيس بن أبي قيس في بعض حروبهم فطلب بثاره هرون بن النعمان بن الاسلت حتى تمكن من يزيد بن مرداس فقتله بقيس ابن عمه والقيس يقول أبوه أبو قيس بن الاسلت المذكور

أقيس ان هلكت وأنت حي * فلا تعدم مواصلة الفقير

وقال هشام الكلبي كانت الاوس قد أسندوا أمرهم في يوم بعاث الى أبي قيس بن الاسلت الوائلي فقام بحربهم وآثرها على كل أمر حتى شحب وتغير ولبث أشهرا لا يقرب امرأته ثم انه جاء ليلة فدق على امرأته وهي كبشة بنت ضمرة بن مالك من بني عمرو بن عوف ففتحت له فأهوى بيده اليها فأنكرته ودفعته فقال أنا أبو قيس فقالت والله ما عرفتك حتى تكلمت فقال في ذلك أبو قيس

قالت ولم تقصد مقال الخنا * مهلا فقد أبلغت أسماعي
استنكرت لونا له شاحبا * والحرب غول ذات أوجاع
من يذق الحرب يجد طعمها * مرا وتتركه بجعجاع
لا نألم القتل ونجزي به الاعداء كيل الصاع بالصاع

ولما قتل عبد الملك بن مروان مصعب بن الزبير رضي الله عنهما خطب الناس بالنخيلة فقال في خطبته أيها الناس دعوا الاهواء المضلة والآراء المتشتتة ولا تكلفونا أعمال المهاجرين وأنتم لا تعملون بها فقد حاربتمونا الى السيف فرأيتم كيف صنع بكم ولا أعرفنكم بعد الموعظة تزدادون جراءة فاني لا أزداد بعدها الا عقوبة وما مثلي ومثلكم الا كما قال أبو قيس بن الاسلت

من يصل ناري بلا ذنب ولا ترة * يصلى بنار كريم غير عوار
أنا النذير لكم مني مجاهرة * كيلا ألام على نهي واعذار

قالت يا ريح بلغيها السلاما لو رضوا بالحجاب هان ولكن منعوها يوم الرحيل الكلاما فغنته فطرب محمد ثم دعا برطل فشربه فقال ماني ما على قائل هذا الشعر لو زاد فيه فتنفست ثم قالت لطيفي

آه لو زرت طيفها الماما
خصها بالسلام سرا والا
منعوها الشقوق أن تناما

فكان أبعث للصبابة بين الاحشاء وألطف تغلغلا على كبد الظمآن من زلال الماء مع حسن تأليف نظامه وانتهائه الى غاية تمامه قال محمد أحسنت والله يا ماني ثم أمر تنوسة بالحاقها هذين البيتين بالاولين ففعلت ثم غنت هذين البيتين من شعر أبي نواس

يا خليلي ساعة لا تريعا
وعلى ذي صبابة فاقيما
ما مررنا بدار زينب الا
فضح الدمع سرها المكتوما

فاستحسنه محمد فقال ماني لولا رهبة التعدي لأضفت الى هذين البيتين بيتين لا يرداني على سمع ذي لب الاصدر استحسانه لهما فقال محمد الرغبة فيما تأتي به حائلة دون كل رهبة فهات ما عندك فقال

ظبية كالغزال لو تلحظ الصخـ
ـر بطرف لغادرته هشيما
واذا ما تبسمت خلت ما تبـ
ـدي من الثغر لؤلؤا منظوما

فقال محمد أحسنت والله فأجز

فان عصيتم مقالى اليوم فاعترفوا * أن سوف تلقون خزيا ظاهر العار

لتتركن أحاديثا وملعبة * عند المقيم وعند المدلج السارى

وصاحب الوتر ليس الدهر يدركه * عندى وانى لطلاب لاوتار

أقيم نخوته ان كان ذا عوج * كما يقيم لقدح النبعة البارى

وعن الهيثم بن عدى قال كنا جلوسا عند صالح بن حسان فقال لنا أنشدونى بيتا خفرا فى امرأة خفرة فقلنا قول حاتم

يضئ بها البيت الظليل خصاصة * اذا هى يوما حاولت أن تبسما

فقال هذه من الاصنام أريد أحسن من هذا فقلنا قول الاعشى

كأن مشيتها من بيت جارتها * مر السحابة لاريث ولا عجل

فقال هذه خراجة ولاجة كثيرة الاختلاف فقلنا ما عند ناشئ فقال قول أبى قيس بن الاسلت

ويكرمها جاراتها فيزرنها * وتعتل عن اتيانهن فتعذر

وليس لها أن تستهين بجارة * ولكنها منهن تحيى وتخفر

ثم قال أنشدونى أحسن بيت وصفت به الثريا فقلنا بيت الزبير الاسدى وهو

وقد لاح فى الغور الثريا كأنما * به راية بيضاء تخفق للطعن

فقال أريد أحسن من هذا قلنا بيت امرئ القيس

اذا ما الثريا فى السماء تعرضت * تعرض أثناء الوشاح المفصل

قال أريد أحسن من هذا قلنا بيت ابن الطثرية

اذا ما الثريا فى السماء كأنها * جمان وهى من سلكه فتسرعا

قال أريد أحسن من هذا قلنا ما عند ناشئ قال قول أبى قيس بن الاسلت

وقد لاح فى الصبح الثريا لمن رأى * كعنقود ملاحية حين نورا

قال فحكم له بالتقدم عليهم فى هذين المعنيين والله أعلم

(كأن مثار النقع فوق رؤسنا * وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه)

البيت لبشار بن برد من قصيدة من الطويل يمدح بها ابن هبيرة وأولها

جفاوده فازور أو مل صاحبه * وأزرى به أن لا يزال يعاتبه

خليلى لا تستكثرا لوعة الهوى * ولا سلوة المحزون شطت حبائبه

يقول فيها

اذا كنت فى كل الامور معاتبا * صديقك لم تلق الذى لا تعاتبه

فعش واحدا أو صل أخاك فانه * مقارف ذنب مرة ومجانبه

اذا أنت لم تشرب مرارا على القذى * ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه

ومنها

رويدا تصاهل بالعراق جيادنا * كأنك بالضحاك قد قام نادبه

وسام لمروان ومن دونه الشجا * وهول كلج البحر جاشت غواربه

أحلت به أم المنايا بناتها * بأسيافنا انا ردى من نحاربه

وكنا اذا دب العدو لسخطنا * وراقبنا فى ظاهر لا نراقبه

ركبنا له جهرا بكل مثقف * وأبيض تستسقى الدماء مضاربه

وجيش كجنح الليل يزحف بالحصا * وبالشوك والخطى حمر ثعالبه

ومنها

غدونا له والشمس فى خدر أمها * تطالعنا والطل لم يجر ذائبه

بضرب يذوق الموت من ذاق طعمه * وتدرك من نجا الفرار مثالبه

وبعده البيت وبعده

بعثنا لهم موت الفجاءة اننا * بنو الموت خفاق علينا سبائبه

فراحوا فريق فى الاسارى ومثله * قتيل ومثل لاذ بالبحر هاربه

لم تطب اللذات الا بى

طابت له لذة تنوسه

غنت بصوت أطلقت عبرة

كانت بحبس الصبر محبوسه

(فقال مانى)

وكيف صبر النفس عن غادة

تظلمها ان قلت طاووسه

وجرت ان شبهتها بانة

فى جنة الفردوس مغروسه

ثم سكت فقال محمد فأعدلى

وصفك لها فقال

وغير عدل ان قرنا بها

جوهرة فى التاج ملبوسه

جلت عن الوصف فما فكرة

تلحقها بالنعت محسوسه

فقالت تنوسة وجب علينا

بالمانى شكرك فساعدك

دهرك وعطف عليك الفلك

وقارنك سرورك وفارقك

محذورك والله تعالى يديم

لنا السرور ببقاء من ببقائه

اجتمع شملنا فأنشأ يقول

ليس لى الف فيقطعنى

فارقت نفسى الاباطيل

أنا موصول بنعمة من

حبله بالجد موصول

أنا مشمول بعنة من

منه فى الخلق مبذول

أنا مغبوط بزورة من

ربعه بالجد مأهول

فأومأ اليه ابن طالوت

بالقيام فنهض وهو يقول

ملك عز النظير له

زانه الغر البهاليل

طاهرى فى مركبه

عرفه للناس مبذول

دم من يشقى بصارمه

مع هبوب الريح مطلول

فقال محمد وجب حراؤك

اذا الملك الجبار صعر خده * مشينا اليه بالسيوف نعاتبه

وهي طويلة فوصله ابن هبيرة بعشرة آلاف درهم وكانت أول عطية سنية أعطيها بشار بالشعر ورفعت من ذكره والنقع الغبار ومعنى تهاوى كواكبه يتساقط بعضها في اثر بعض والاصل تتهاوى فحذفت احدى التاءين (والشاهد فيه) المركب الحسي في التشبيه الذي طرفاه مركبان الحاصل من الهيئة الحاصلة من هوى أجرام مشرقة مستطيلة متناسبة المقدار متفرقة في جوانب شئ مظلم فوجه الشبه مركب كما ترى وكذا طرفاه كما في أسرار البلاغة يروى انه قيل لبشار وقد أنشد هذا البيت ما قيل أحسن من هذا التشبيه فمن أين لك هذا ولم تر الدنيا قط ولا شيأ منها فقال ان عدم النظر يقوى ذكاء القلب ويقطع عنه الشغل بما ينظر اليه من الاشياء فيتوفر حسه وتذكو قريحته وأنشدهم قوله

عميت جنينا والذكاء من العمى * فجئت عجيب الظن للعلم موئلا

وغاض ضياء العين للعلم رافدا * لقلب اذا ما ضيع الناس حصلا

وشعر كنور الروض لاءمت بينه * بقول اذا ما أحزن الشعر أسهلا

(وحدث) أبو يعقوب الخزيمي الشاعر أن بشارا قال لم أزل منذ سمعت قول امرئ القيس في تشبيهه شيئين بشيئين في بيت واحد حيث يقول

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا * لدى وكرها العناب والحشف البالي

أعمل نفسي في تشبيه شيئين بشيئين حتى قلت كأن مثار النقع البيت وقد كرره بشار فقال

خلقت سماء فوقنا بنجومها * سيوفا ونقعا يقبض الطرف أقتما

وقد أخذ هذا المعنى منصور النميري فقال وأحسن

ليل من النقع لا شمس ولا قمر * الا جبينك والمذروبة الشرع

ومسلم بن الوليد أيضا حيث يقول

في عسكر تشرق الارض الفضاء به * كالليل أنجمه القضبان والاسل

وللمؤلف رحمه الله من قصيدة عثمانية مظفرية

والنقع ليل سماء لا نجوم له * الا الأسنة والهندية البتر

وله في معناه من قصيدة مظفرية أيضا مع زيادة مخترعة فيما يظن

يعقد النقع فوقها سحبا كالليل * فيه السيوف أضحت نجوما

فمتى ما رأت سواد شياطين * بغاة الحروب عادت رجوما

وابن المعتز حيث قال اذا ما شئت أوقرت البلاد حوافرا * وسارت وراءي هاشم ونزار

وعم السماء النقع حتى كأنه * دخان وأطراف الرماح شرار

وبعضهم أيضا حيث قال نسجت حوافرها سماء فوقها * جعلت أسنتها نجوم سمائها

وأبو الطيب المتنبي حيث قال

فكأنما كسي النهار بها دجى * ليل وأطلعت الرماح كواكبا

وقد نقله الى مثال آخر فقال

تزور الاعادي في سماء عجاجة * أسنتها في جانبيها الكواكب

وقد ضمنه سيف الدين بن المشد فقال

كأن دخان العود والند بيننا * وأقداحنا ليل تهاوى كواكبه

ولاحت لنا شمس العقار فرقت * دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

والبرهان القيراطي ضمن المصراع الاخير وان كان من غير هذه القصيدة بقوله وأجاد

ولما بدا والليل أسود فاحم * قد انتشرت في الخافقين ذوائبه

لشكرك على غير نعمة سلفت منا اليك ثم أقبل على ابن طالوت فقال يا هذا ليست خساسة ثوب المرء واتساع المنظر ونبو العين بذاهبة جوهر الادب المركب فيه (ولله در) صالح بن عبد القدوس حيث يقول

لا يعجبنك من يصون ثيابه * حذر الغبار وعرضه مبذول

فلربما افتقر الفتى فرأيته * دنس الثياب وعرضه مغسول

(قال ابن طالوت) فما رأيت أحدا أحضر ذهنا منه اذ تقول له الجارية عطف عليك الفك فينفيها بقوله ليس لي الف فيقطعني البيت قال ولم يزل محمد مجريا عليه رزقا سنيا الى أن مات

(القسم الثالث ما تكون الاجازة فيه لشعر قديم)

(فمنه) اجازة بيت ببيت كما روى اسحق الموصلي قال قال أبو المجيب شداد بن عقبة دعا رجل يقال له أبو سفيان رجلا من حيه اسمه القتال الكلابي الى وليمة فجلس القتال ينتظر رسوله ولا يأكل حتى ارتفع النهار وكانت عند امرأته فقرة من حوار فقالت له امرأته هلم الى هذه الفقرة فقال كلا والاله اني لعلى دعوة أبي سفيان فلما يئس قال

أظن أبا سفيان ليس بمؤتيكم * بخير فهاتي فقرة من حوارك

قال اسحق فقلت له ثم ماذا قال لم يأت بعده بشئ اعما أرسله

أضاء ببدر الثغر عند ابتسامه * دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

(والشمس كالمرآة فى كف الاشل)

هو من الرجز واختلف فى قائله فقيل الشماخ وقيل ابن أخيه وقيل أبو النجم وقيل ابن المعتز والاشل هو الذى يبس يده أو ذهبت (والشاهد فيه) مجىء التركيب الحسى فى الهيآت التى تقع عليها الحركة من الاستدارة والاستقامة وغيرهما ويعتبر فيها التركيب ويكون ما يجىء فى تلك الهيآت على وجهين أحدهما أن يقرن بالحركة غيرها من أوصاف الجسم كالشكل واللون والثانى أن تجرد هيئة الحركة حتى لا يراد غيرها فالاول كما فى البيت ووجه الشبه من الهيئة الحاصلة من الاستدارة مع الاشراق والحركة السريعة المتصلة مع تموج الاشراق واضطرابه بسبب تلك الحركة حتى يرى الشعاع كأنه يهم بأن ينبسط حتى يفيض من جوانب الدائرة ثم يبدو له فيرجع من الانبساط الى الانقباض فالشمس اذا أحد الانسان النظر اليها ليتبين جرمها وجدها مؤدية الى هذه الهيئة وكذلك المرآة اذا كانت فى كف الاشل وما أعدل قول المعوج الشاعر فى معناه

كأن شعاع الشمس فى كل غدوة * على ورق الاشجار أول طالع

دنانير فى كف الاشل يضمها * لقبض فتهوى من فروج الاصابع

وهو مأخوذ من قول أبى الطيب المتنبى

وألقى الشرق منها فى ثيابى * دنانيرا تفر من البنان

وأخذه أيضا القاضى عبد الرحيم الفاضل فقال

والشمس من بين الارائك قد حكت * سيفا صقيلا فى يد رعشاء

وما أبدع قول الشهاب التلعفرى

أفدى الذى زارنى فى الليل مستترا * أحلى من الأمن عند الخائف الدهش

ولاحت الشمس تحكى عند مطلعها * مرآة تبر بدت فى كف مرتعش

وبديع قول ادريس بن اليمانى العبدى

قبلة كانت على دهش * أذهبت ما بى من العطش ولها فى القلب منزلة * لو عدتها النفس لم تعش

طرقتنى والدجى لبس * خلعا من جلدة الحبش وكأن النجم حين بدا * درهم فى كف مرتعش

وقول النامى

ملأ غصون تحجب الشمس أن ترى * على الارض الامثل نثر الدراهم

(وكأن البرق مصحف قار * فانطباقا مرة وانفتاحا)

البيت لابن المعتز من قصيدة من الرمل وأولها

عرف الدار فحيا وناحا * بعد ما كان صحا واستراحا ظل يلحاه العذول ويأبى * فى عنان العذل الا جماحا

علمونى كيف أسلو والا * فخذوا من مقلتى الملاحا من رأى برقا يضىء التماحا * ثقب الليل سناه فلاحا

(وبعده البيت وبعده)

لم يزل يلمع بالليل حتى * خلته نبه فيه صباحا وكأن الرعد فحل لقاح * كلما يعجبه البرق صاحا

والبرق واحد بروق السحاب أو هو ضرب ملك السحاب وتحريكه اياه لينساق فترى النيران (والشاهد فيه) الوجه الثانى وهو تجرد الحركة من غيرها من الاوصاف مع اختلاط حركات كثيرة للجسم الى جهات مختلفة له كأن يتحرك بعضه الى اليمين وبعضه الى الشمال وبعضه الى العلو وبعضه الى السفل ليتحقق التركيب والا لكان وجه الشبه مفردا وهو الحركة لا مركبا فحركة المصحف الشريف فى انطباقه وانفتاحه فيها تركيب لان المصحف يتحرك فى الحالتين الى جهتين فى كل حالة الى جهة ومثله قول القلعى المغربى

والسحب تلعب بالبروق كأنها * قار على عجل يقلب مصحفا

قد قلدت بالنور أجياد الربا * حليا وألبست الخمائل مطرفا

بيتما فقلت أفلا أزيدك اليه بيتا آخر ليس بدونه قال بلى فقلت

فبيتك خير من بيوت كثيرة * وقدرك خير من وليمة جارك

فقال بأبى أنت وأمى والله لقد أرسلته مثلا وانك لبن طراز ما رأيت فى العراق مثله وما يلام الخليفة على أن يدنيك ويؤثرك ويتملح بك ولو كان الشباب يشترى لابتعته لك باحدى يدى وبعينى على أن فيك بحمد الله منه بقية تسر الودود وترغم الحسود هذا من رواية الاصبهانى يتصل بعمر بن شبة وحماد عن اسحق (وفى رواية) تتصل بالاخفش ويزيد المهلبى أن اسحق قال أخبرنى أبو زياد الكلابى قال أولم جار لى وذكر الحكاية والبيت الاول فيها لابى زياد فعلى هذه الرواية تكون من اجازة بيت عصرى ببيت (ومن ذلك) ما روى أحمد بن أبى فنن قال دخل أبو نواس على الدلفاء جارية ابن طرخان ودخل على أثره مروان بن أبى حفصة فرفعه مولاها عنه فغضب وقال أجيرى لجرير غيض من عبراتى وقال لى ماذا لقيت من الهوى ولقينا فقالت تشبب بالرشيد قد هيجت بالبيت الذى أنشدتنى

حبا بقلبى للامام دفينا

فقام أبو نواس عند ذلك وخرج وهو ينشد

وما أحسن قول بعضهم في وصف البرق

عارض أقبل في جنح الدجى * يتهادى كتهادي ذي الوجى
أتلفت ريح الصبا لؤلؤه * فانبرى يوقد عنها سرجا
وكأن الرعد حادي مصعب * كلما صال عليه وشجا
وكأن البرق كأس سكبت * في لهاه المزن حتى لهجا
وكأن الجو ميدان وغى * رفعت فيه المذاكي رهجا

وما أحسن قول ابن المعتز فيه أيضا

رأيت فيها برقها منذ بدت * كمثل طرف العين أو قلب وجب
ثم حدا بها الصبا حتى بدا * فيها لي البرق كأمثال الشهب
تحسبه فيها اذا ما انصدعت * أحشاؤها عنه شجاعا يضطرب
وتارة تحسبه كأنه * أبلق مال جله حين وثب
حتى اذا ما رفع اليوم الضحى * حسبته سلاسلا من الذهب

وقد ولد أبو العباس بن أبي طالب العربي من تشبيه البرق بالسلاسل توليدا بديعا فقال يصف ممدوحه بسرعة البديهة اذا كتب له قلم لو يجاري البروق * خلت السلاسل فيه قيودا

وللاديب أبي حفص أحمد بن برد في السحاب والبرق

ويوم تفتن في طيبه * وجاءت مواقيته بالعجب
تجلى الصباح به عن حيا * قد اسقى وعن زهر قد شرب
ومازلت أحسب فيه السحاب * ونار بوارقه تلتهب
بخاتي توضع في سيرها * وقد فزعت بسياط الذهب

ولابي عثمان الخالدي في مثله

ادن من الدن لي فداك أبي * واشرب واسق الكبير وانتخب
أما ترى الطل وهو يلمع في * عيون نور تدعو الى الطرب
والصبح قد جردت صوارمه * والليل قد هم منه بالهرب
والجو في حلة ممسكة * قد كتبتها البروق بالذهب

وللسري الرفاء في مثله غيوم تمسك أفق السماء * وبرق يكتبها بالذهب

وله أيضا وينسب للخالدي وبرق مثل حاشيتي رداء * جديد مذهب في يوم ريح

وللخالدي فيه أيضا وأجاد

ألا فاسقني والليل قد غاب نوره * لغيبة بدر في الظلام غريق
وقد فضح الظلماء برق كأنه * فؤاد مشوق مولع بخفوق

وقد سرقه من قول ابن المعتز

أمنك سرى بالبشر طيف كأنه * فؤاد مشوق مولع بخفوق

وسرقه السري الرفاء أيضا فقال من قصيدة

أما ترى الصبح قد قامت عساكره * في الشرق تنشر أعلاما من الذهب
والجو يختال في حجب ممسكة * كأنما البرق فيها قلب ذي رعب

وما أحسن قوله فيه أيضا

وحدائق يسبيك وشي برودها * حتى تشبهها سبائب عبقري
يجري النسيم خلالها فكأنما * غمست فصول ردائه في عنبر

تنتهي فيا شلل الحلفاء فقال ابن أبي فنن فأجزت أنا قول أبي نواس وأكثر الناس يروونه له

لو تشبهت غيره كان أولى
من أمور الدناة والضعفاء
ان أدنى الأمور عندي منالا
شهوات الأكفاء للأكفاء

(وروى) أحمد بن معاوية قال قال لي رجل تصفحت كتبا فوجدت فيها بيتا جهدت جهدي أن أجد من يجيزه فلم أجد فقال لي صديق عليك بعنان جارية الناطفي فجئتها فقلت أجيزي

فما زال يشكو الحب حتى رأيته
تنفس في احشائه وتكلما

فلم تلبث أن قالت

ويبكي فأبكي رحمة لبكائه
اذا ما بكى دمعا بكيت له دما

(روى العباس بن رستم) قال دخلت مع أبان اللاحقي على عنان في خيشها فقال أبان

العيش في الصيف خيش

(فقالت مسرعة)

اذا لا قتال وجيش

قال فأنشدتها الجرير

ظللت أواري صاحبي صبابتي
وقد علقتني من هوى الشعلوق

(فقالت)

اذا عقل لي الخوف اللسان تكلمت
بأسراره عين عليه نطوق

(وذكر الجهشياري) في كتاب الوزراء والكتاب حدث محمد بن الفضل الهاشمي قال حدث أحمد بن سلمة الكاتب أنه قال العباس بن

باتت قلوب المحل تخفق بينها * بخفوق رايات السحاب الممطر
من كل ناءى الحجزتين مولع * بالبرق دانى الظلتين مشهر
تحدى بألسنة الرعود عشاره * فتسير بين معترد ومزمجر
طارت عقيقة برقه فكأنما * صدعت بمسك غيمه بعصفر

ولابى القاسم الزاهى فيه أيضا

الريح تعصف والاغصان تعتنق * والمزن باكية والزهر معتبق
كأنما الليل جفن والبروق له * عين من الشمس تبدو ثم تنطبق

ولبعضهم

برق أطار القلب لما استطار * أنار جنح الليل لما استنار
ذاب لجين المزن لما رمى * معدنه منه بمقباس نار

(وابن المعتز) هو عبد الله بن محمد وقيل الزبير المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسى الامير الاديب صاحب النظم البديع والنثر الفائق أخذ الادب والعربية عن المبرد وثعلب ومؤدبه أحمد بن سعيد الدمشق ومولده فى شعبان سنة تسع وأربعين ومائتين وهو أول من صنف فى صنعة الشعر وضع كتاب البديع وهو أشعر بنى هاشم على الاطلاق وأشعر الناس فى الاوصاف والتشبيهات وكان يقول اذا قلت كأن ولم آت بعدها بالتشبيه ففض الله فاى (وحدث) جعفر بن قدامة قال كنت عند ابن المعتز يوما وعنده سرية وكان يحبها ويهيم بها فخرجت علينا من صدر البستان فى زمن الربيع وعليها غلالة معصفرة وفى يدها جنابى من باكورة باقلاء والجنابى لعبة للصبيان فقالت له ياسيدى تلعب معى جنابى فالتفت الينا وقال على بديهته غير متفكر ولا متوقف

فديت من مرّ يمشى فى معصفرة * عشية فسقانى ثم حيانى
وقال تلعب جنابى فقلت له * من جد بالوصل لم يلعب بهجران

وأمر فغنى به (وحدث) جعفر قال كان لعبد الله بن المعتز غلام يحبه وكان يغنى غناء صالحا وكان يدعى بنشوان فجدر فجزع عبد الله لذلك جزعا شديدا ثم عوفى ولم يؤثر الجدرى فى وجهه أثرا قبيحا فدخلت عليه ذات يوم فقال لى يا أبا القاسم قد عوفى فلان بعدك وخرج أحسن مما كان وقلت فيه بيتين وغنت زرياب فيهما رملا ظريفا فاسمعهما انشادا الى أن تسمعهما غناء فقلت يتفضل الامير أيده الله بانشادى اياهما فأنشدنى

بى قمر جدر لما استوى * فزاده حسنا وزالت هموم
أظنه غنى لشمس الضحى * فنقطته طربا بالنجوم

فقلت أحسنت والله أيها الامير فقال لو سمعته من زرياب كنت أشد استحسانا له وخرجت زرياب فغنته لنا فى طريقة الرمل غناء شربنا عليه عامة يومنا قال وغضب هذا الغلام عليه فجهد أن يترضاه فلم تكن له فيه حيلة ودخلت عليه فأنشدنى فيه

بأبى أنت قد تمادیت فى الهجر والغضب * واصطبارى على صدودك يوما من العجب
ليس لى ان فقدت وجهك فى العيش من أرب * رحم الله من أعان على الصلح واحتسب

قال فمضيت الى الغلام ولم أزل أداريه وأرفق به حتى ترضيته له وجئته به فنزلنا يومئذ أطيب يوم وأحسنه وغنتنا زرياب فى هذا الشعر رملا عجيبا (وحدث) عبد الله بن موسى الكاتب قال دخلت على عبد الله بن المعتز وفى داره طبقات من الصناع وهو يبنيها ويبيضها فقلت له ما هذه الغرامة الجادة والكلفة فقال السيل الذى جاء من ليال أحدث فى دارى ما أحوج الى هذه الغرامة الجادة والكلفة فقلت

ألا من لنفس وأحزانها * ودار تداعى بحيطانها * أظل نهارى فى شمسها
شقيا معنى ببنيانها * أسود وجهى بتبييضها * وأهدم كيسى بعمرانها

ومن هنا أخذ أبو الحسين الجزار قوله

القاسم اجتمعت مع عمرو بن مسعدة وأحمد بن يوسف فى مجلس فيه قينة فغنت

اناس مضوا كانوا اذا ذكر الالى
مضوا قبلهم صلوا عليهم وسلموا

فقال عمرو هو والله حسن الا أنه مفرد فأضيفوا اليه بيتا آخر فانه أحسن له وأطول للقافية وأطوع للغناء فيه فقال أحمد بديها

وما نحن الا مثلهم غير أننا
أقمنا قليلا بعدهم وتقدموا

فغنت بهما المغنية فطربوا وشربوا عليهما بقية يومهم (وروى) على بن الحسن الباخرزى فى كتاب دمية القصر أن أبا جعفر محمد بن ابراهيم المعدنى معدن نوزن رأى على جدار بيتا مكتوبا

لكل شئ فقدته عوض
وما لفقد الشباب من عوض

(فقال)

وليس فى الدهر من شدائده
أشد من فاقة على مرض

(وذكر) أحمد بن أبى طاهر قال ألقى بعض أصحابنا على فضل الشاعرة

ومستفتح باب البلاء بنظرة
تزود منها قلبه حسرة الدهر

فقالت مسرعة

فوالله ما ندرى أتدرى بما جنت
على قلبه أم أهلكته ولا تدرى

(وروى) الفضل بن العباس الهاشمى عنها وعن بنان الشاعرة قالت توكأ المتوكل على يدى وبد فضل وقال أجيزا قول الشاعر

أكلف نفسي كل يوم وليلة * شرورا على من لا أفوز بخيره

كما سود القصار في الشمس وجهه * ليجهد في تبييض أثواب غيره

(وحدّث) جعفر بن قدامة قال كنت عند عبد الله بن المعتز ومعنا النميري فحضرت الصلاة فقام النميري فصلى صلاة خفيفة جدا ثم دعا بعد انقضاء صلاته وسجد سجدة طويلة جدا حتى استثقله جميع من حضر بسببها وعبد الله ينظر متعجبا ثم قال

صلاتك بين الملا نقرة * كما اختلس الجرعة الوالغ

وتسجد من بعدها سجدة * كما ختم المزود الفارغ

وقال كنا عند عبد الله بن المعتز يوما ومعنا النميري وعنده جارية لبعض بنات المعتز تغنيه وكانت محسنة الا أنها كانت في غاية القبح فجعل عبد الله يجمشها ويتعاشق فلما قامت قال له النميري أيها الامير سألتك بالله أتعشق هذه التي ما رأيت قط أقبح منها فقال وهو يضحك

قلبي وثاب الى ذا وذا * ليس يرى شيأ فيأباه

يهيم بالحسن كما ينبغي * ويرحم القبح فيهواه

وقال كنت أشرب مع عبد الله بن المعتز في يوم من أيام الربيع بالعباسية والدنيا كالجنة المزخرفة فقال عبد الله

حبذا آذار شهرا * فيه للنور انتشار

ينقص الليل اذا حل * ويمتد النهار

وعلى الارض اصفرار * واخضرار واحمرار

فكأن الروض وشي * بالغت فيه التجار

نقشه آس ونسرين * وورد وبهار

وكتب ابن المعتز الى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وقد استخلف مؤنس ابنه محمد بن عبيد الله على شرطة بغداد

فرحت بما أضعافه دون قدركم * وقلت عسى قد هب من نومه الدهر

فترجع فينا دولة طاهرية * كما بدأت والامر من بعده الامر

عسى الله ان الله ليس بغافل * ولا بد من يسر اذا ما انتهى العسر

فكتب اليه عبيد الله قصيدة منها

ونحن لكم ان نالنا مس جفوة * فمنا على لأوائها الصبر والعذر

فان رجعت من نعمة الله دولة * الينا فمنا عندها الحمد والشكر

وجاء محمد بن عبيد الله المذكور يعقب هذا شاكرا لتهنئته ولم يعد اليه مدة طويلة فكتب اليه ابن المعتز يقول

قد جئتنا مرة ولم تكد * ولم تزر بعدها ولم تعد

لست ترى واجدا بنا عوضا * فاطلب وجرب واستقص واجتهد

ناولني حبل وصله بيد * وجبره جاذب له بيد

فلم يكن بين ذا وذا أمد * الا كما بين ليلة وغد

ولم يزل في طيب عيش ودعة من عوادي الزمان الى أن قامت الدولة ووثبوا على المقتدر وخلعوه وأقاموا ابن المعتز فقال بشرط أن لا يقتل بسببي مسلم ولقبوه المرتضي بالله وقيل المنصف وقيل الغالب وقيل الراضي (فحدث) المعافى بن زكريا الجريري قال لما خلع المقتدر وبويع ابن المعتز دخلوا على شيخنا محمد بن جرير رحمه الله فقال ما الخبر فقيل له بويع ابن المعتز قال فمن رشح للوزارة فقيل محمد بن داود قال فمن ذكر للقضاء قيل الحسن بن المثنى فأطرق ثم قال هذا الامر لا يتم قيل وكيف قال كل واحد ممن سميتم متقدم في معناه على الرتبة والدنيا مولية والزمان مدبر وما أرى هذا الا الى اضمحلال وما أرى لمدته طولا وبعث ابن المعتز الى المقتدر يأمره بالتحول الى دار محمد بن طاهر لكي ينتقل هو الى دار الخلافة فأجاب ولم يكن بقي معه غير مؤنس الخادم ومؤنس الخازن وغريب خاله وجماعة من الخدم فباكر الحسين بن حمدان دار الخلافة فقاتلها فاجتمع الخدم فدفعوه عنها بعد أن حمل ما قدر عليه من المال وسار الى الموصل ثم قال الذين عند المقتدر يا قوم نسلم هذا الامر ولا نجرب أنفسنا في دفع ما نزل بنا فنزلوا في الزوارق وألبسوا جماعة منهم السلاح وقصدوا المخرم وبه عبد الله بن المعتز فلما رآهم من حوله أوقع الله في قلوبهم الرعب فانصرفوا

تعلمت أسباب الرضا خوف سخطه

وعلمه حبي له كيف يغضب

فقالت فضل

يصد وأدنو بالمودة جاهدا

ويبعد عني بالوصال وأقرب

فقلت أنا

وعندي له العتبى على كل حالة

فما منه لي بد ولا عنه مذهب

(قال علي بن ظافر) أنشدني أبو القاسم الصيرفي قول عبد الله بن السمط

حار طرف تأملك

ملك أنت أم ملك

فقلت بديها

بل تعاليت رتبة

فلك الارض والفلك

(وأخبرني) بهاء الدين بن الساعاتي المقدم ذكره قال غنى مغن في مجلس كنت به حاضرا

يا بدر عذالي عليك كثيرة

والمسعدون على هواك قليل

فأجزته بديها فقلت

في الصبر عن هذا القوام ولينه

قصر وفي شرح الصبابة طول

(وأخبرني) الاديب أبو القاسم العداس المنبوز بالرواية قال قصد الشيخ أبو الخير سلامة الانباري الضرير النحوي تعجيزي بين يدي الشيخ العلامة أبي محمد بن بري لشر كان بيني وبينه فقال لي ان كنت شاعرا كما تزعم فأجز

أدرجت في أثناء نسيانكم

حتى كأني ألف الوصل

فقلت بديها

وكنت عين الفعل في قربكم

فصرت لام الجزم في الفعل

منهزمين بلا حرب وخرج ابن المعتز فركب فرساً ومعه وزيره محمد بن داود وحاجبه يمن وقد شهر سيفه وهو ينادي معاشر العامة ادعوا لخليفتكم وأشار والى الجيش ليتبعوهم الى سامرا ليثبتوا أمرهم فلم يتبعهم أحد فنزل ابن المعتز عن دابته ودخل دار ابن الجصاص الجوهري واختفى الوزير ابن داود والقاضي الحسن ابن المثنى ونهبت دورهم ووقع النهب والقتل في بغداد وقبض المقتدر على الامراء والقضاة الذين خلعوه وسلمهم الى مؤنس الخادم فقتلهم واستقام الامر للمقتدر واستوزر ابن الفرات ثم بعث جماعة فكبسوا دار ابن الجصاص وأخذوا ابن المعتز وابن الجصاص فصودر ابن الجصاص وحبس ابن المعتز ثم أخرج فيما بعد ميتاً ورثاه علي بن محمد بن بسام بقوله

لله درك من ملك بمضيعة * ناهيك في العقل والآداب والحسب
ما فيه لولا ولا ليت تنقصه * وانما أدركته حرفة الادب

وهو مأخوذ من قول أبي تمام الطائي

مازلت أرمي بآمالي مطالبها * لم يخلق العرض مني سوء مطلبي
اذا قصدت لشأو خلت أني قد * أدركته أدركتني حرفة الادب

وقد تلاعب الشعراء بهذا المعنى فقال ابن الساعاتي

عفت القريض فلا أسمو له أبدا * حتى لقد عفت أن أرويه في الكتب
هجرت نظمي له لا من مهانته * لكنها خيفة من حرفة الادب

وقال ابن قلاقس لا أقتضيك لتقديم وعدت به * من عادة الغيث أن يأتي بلا طلب
عيون جاهك عني غير نائمة * وانما أنا أخشى حرفة الادب

وذكرت بهذا ما أنشدنيه بعض أدباء العصر متسلياً حين قعدت الاحوال وقامت الاهوال وهو الشهاب ابن محمود النابلسي رحمه الله تعالى

عبد الرحيم أضاعوا * بدولة ضيعته ما فيه لولا وليت * وانما أدركته

رجع الى أخبار ابن المعتز رحمه الله قال بعض من كان يخدمه انه خرج يوماً متنزهاً ومعه ندماؤه وقصد باب الحديد وبستان الناعورة وكان ذلك آخر أيامه فأخذ خزفة وكتب على الجص

سقياً لظل زماني * ودهري المحمود ولي كليلة وصل * قدام يوم صدود

قال وضرب الدهر ضربانه ثم عدت بعد قتله فوجدت خطه خفياً وتحته مكتوب

أف لظل زماني * وعيشي المنكود فارقت أهلي والي * وصاحبي وودودي
ومن هويت جفاني * مطاوعاً لحسودي يارب موتاً والا * فراحة من صدود

ويقال انه لما سلم لمؤنس الخادم ليهلكه أنشد

يا نفس صبراً لعل الخير عقباك * خانتك من بعد طول الامن دنياك
مرت بنا سحراً طير فقلت لها * طوباك ياليتني اياك طوباك
ان كان قصدك شوقاً بالسلام على * شاطي الفرات ابلغي ان كان مثواك
من موثق بالمنايا لا فكاك له * يبكي الدماء على الف له باكي

الى أن قال

أظنه آخر الايام من عمري * وأوشك اليوم أن يبكي له الباكي

ومن نثره الجاري مجرى الحكم والامثال من تجاوز الكفاف لم يغنه الاكثار * ربما أورد الطمع ولم يصدر * من ارتحل الحرص أضناه الطلب * الحظ يأتي من لا يأتيه * أشقى الناس أقربهم من السلطان كما أن أقرب الاشياء الى النار أسرعها الى الاحتراق * من شارك السلطان في عز الدنيا شاركه في ذل الآخرة * يكفيك الحاسد غمه بسرورك (ومن شعره)

واني لمعذور على طول حبها * لان لها وجهاً يدل على عذري

بعض أصحابنا هذا البيت من شعر ابن منير وسألني اجازته

يجل عن التشبيه في الحسن وجهه
فبدر الدجا من حسنه يتعجب
فقلت في فضية اقتصاها سؤاله
ومن كان بدر التم يعجب ان رأى
محاسنه بالبدر كيف يلقب

ومنه ما تكون الاجازة فيه لبيت بأكثر من بيت (روى) أبو الفرج في كتاب القيان والمغنين أن بذلا الكبيرة جارية عبد الله بن موسى الهادي غنت بين يدي المأمون

ألا لا أرى شيأ ألذ من الوعد
ومن أمل فيه وان كان لا يجدي

وأبدلت مكان الوعد السحق فقال لها المأمون يا بذل أخطأت النيك ألذ من السحق ثم صنع المأمون بديها وقال زيديه ما فيه

ومن غفلة الواشي اذا ما لقيته
ومن زورتي أبياتها خالياً وحدي
ومن ضحكة في الملتقى ثم سكتة
وكلتاهما عندي ألذ من الشهد

(وبالاسناد المتقدم ذكره) ذكر ابن بسام في كتاب الذخيرة قال غني يوماً بين يدي العالي الادريسي بمقطعة بيت لعبد الله بن المعتز

هل ترين البدر يختال
ان غدت للسير أجمال

فأمر الفقيه أبا محمد غانم بن الوليد المالقي باجازته فقال بديهاً

اذامابدت والبدرليـــلة تمه * رأيت لهـا فضلا مبينا على البدر

وتهـتز من تحت الثياب كأنهـا * قضيب من الريحان فى الورق الخضر

أبى الله الا أن أموت صبـابة * بساحرة العينـين طيبـة النشر

ومنـــه من لى بقلب صيغ من صخرة * فى جسـد من لؤلؤ رطب

جرحت خـديه بلحظى فـا * برحت حتى اقتص من قلبى

ومنه ويعزى لغيره تفقد مساقط لحظ المريب * فان العيون وجوه القلوب

وطالع بوادره فى الكلام * فانك تجنى ثمار الغيوب

ومنـــه سابق الى مالك ورّاثه * ما المـــرء فى الدنيا بلبـاث

كم صـامت تخفق أكيـاسـه * قد صاح فى ميزان ميـراث

ومنـــه ياطارق فى الدجى والليل منبسط * على البــلاد بهيم ثابت الدعم

طرقت باب غنى طابت موارده * ونائلا كأنهمال العارض السجم

حكم الضيوف بهذا الربع أنفذ من * حكم الخلائف آبائى على الامم

فكل مافيـه مبـذول لطارقه * ولا زمام له الا على الحـــرم

ومنه قوله فى القلم قـلم ما أراه أم فلك يجـ * ـرى بما شاء قاسم ويسير

راكع ساجد يقبل قرطا * سا كما قبل البساط شكور

ومنه قول ابن طباطبا قلم يدور بكفه فكأنه * فلك يدور بنحسه وسعوده

وقوله فيه أيضا وأجاد أقسمت بالقلم الحسام فلم يزل * يردى به حى ويبتاش الردى

واذا رضيت فريقه أرى وان * أضمرت سخطا مج سم الاسود

فكأنه فلك بكفك دائر * يجرى النجوم بأنحس وبأسعد

وما أحسن قول الآخر فيه

قلم يقل الجيش وهو عرمرم * والبيض ماسلت من الاغماد

وهبت له الآجام حين نشابها * كرم السيول وصولة الآساد

وقول التهامى فيه أيضا قلم يقلم ظفر كل ملمة * ويكف كف حوادث الايام

وقول أبى سعيد بن بوقه قلم يج على العداة سمامه * لكنه للمرتجين سماء

كم قد أسلت به لعبدك ريقة * سوداء فيها نعمة بيضاء

ومحاسن ابن المعتز كثيرة وكان قتله فى ربيع الآخر سنة ست وتسعين ومائتين رحمه الله وسامحه

(يقعى جلوس البدوى المصطلى)

قائله المتنبى من أرجوزة قالها ارتجالا فى مجلسه يصف كلبا أخذ ظبيا وحده بغير صقر وأولها

ومنزل ليس لنا بمنزل * ولا لغير الغاديات الهطل

ندى الخزامى ذفر القرنفل * محلل ملوحش لم يحلل

عن لنا فيه مراعى مغزل * محين النفس بعيد الموئل

أغناه حسن الجيد عن لبس الحلى * وعادة العرى عن التفضل

كأنه مضمخ بصندل * معترضا بمثل قرن الايل

يحول بين الكلب والتأمل * فحل كلابى وثاق الاحبل

عن أشدق مسوجر مسلسل * أقب ساط شرس شمردل

منها اذا يثغ له لا يعزل * موحد الفقرة رخو المفصل

انما المعالى امام هدى

جليت فى عصره الحال

ملك اقبال دولته

لذوى الافهام اقبال

قل لمن أكدت مطالبه

راحتاه الجاه والمال

(وأخبرنى) أبو الحسن بن

الساعاتى المقدم ذكره قال

غنى مغن فى بعض المجالس

أسفى على بان القدود

ريان أثمر بالنهود

وكان عندنا بالمجلس رجل

كبير الانف متطايب وكان

ينعت بالسديد فأردت

العبث به فقلت بديها

ياما نعى صفو الوصا

ل ومانحى كدر الصدود

ماضاقت الدنيا على

ّ وقد حوت أنف السديد

(وغنى) بعض القوالين يوما

سلام على من لست أرجو

وصاله

وغير الصبا مالى اليه رسول

(فأجابه) الشهاب بن المجاور

بديها بقوله

تراجعنى عن خده وهو عاطر

وترجع عن عطفيه وهى بليل

وما كنت لولا هجره مروع

ولو صدنى عنه قنا ونصول

أباه فانى لا أصيخ للائم

ولو أن حد المشرفى عذول

سأصبر لا يدرى هواى فيشتفى

ولا أنا أرجو عطفه فأقول

(وأخبرنى) القاضى الموفق

بهاء الدين أبو على بن الديباجى

كاتب الدست الشريف قال

أنشدنا مولانا السلطان

الملك الكامل خلد الله ملكه

قول الشاعر

ترحل من حياتى فى يديه

له اذا أدبر لحظ المقبل * يعدو اذا أحزن عدو المسهل
اذا تلاجاء المدى وقد تلى

وبعده البيت وبعده بأربع مجدولة لم تجدل * فتل الايادى ربذات الارجل
آثارها أمثالها فى الجندل * يكاد فى الوثب من التفتل
يجمع بين متنه والكلكل * وبين أعلاه وبين الاسفل

وهى طويلة والاقعاء الجلوس على الاليتين والمصطلى المتدفئ بالنار (والشاهد فيه) وقوع التركيب فى هيئة السكون لوجه الشبه من الهيئة الحاصلة من موقع كل عضو من الكلب فى اقعائه فانه يكون لكل عضو منه موقع خاص والمجموع صورة خاصة مؤلفة من تلك المواقع وكذلك صورة جلوس البدوى عند الاصطلاء بالنار الموقدة على الارض وفى مثل ذلك قول الاخيطل الاهوازى يصف مصلوبا

كأنه عاشق قد مد صفحته * يوم الفراق الى توديع مرتحل
أو قائم من نعاس فيه لوثته * مواصل لتمطيه من الكسل

شبهه بالمتمطى المواصل لتمطيه مع التعرض لسببه وهو اللوثة والكسل فنظر الى الجهات الثلاث فلطف بحسب التركيب والتفصيل بخلاف تشبيهه بالمتمطى فانه قريب التناول يقع فى نفس الرائى للمصلوب لكونه أمرا جليا وقد أحسن ابن الرومى فى وصف المصلوب بقوله

كأن له فى الجو حبلا يبوعه * اذا ما انقضى حبل أتيح له حبل
يعانق أنفاس الرياح مودعا * وداع رحيل لا يحط له رحل

وللبحترى فيه
فتراه مطردا على أعواده * مثل اطراد كواكب الجوزاء
مستشرفا للشمس منتصبا لها * فى أخريات الجذع كالحرباء

ولابن المعتز فيه
أرانيك الاله قرين جذع * يضمك غير ضم الالتزام
كلوطى له ابرطويل * يقعد للواجر من قيام

ولابراهيم بن المهدى فيه كأنه شاو كبش والهجيرله * تنور شاوية والجذع سفود

ولابن حديس فيه ومرتفع فى الجذع اذ حط قدره * أساء الى ظالم وهو محسن
كذى غرق مد الذراعين سابحا * من الجو بحرا عومه ليس يمكن
وتحسبه من جنة الخلد دانيا * يعانق حورا لا تراهن أعين

وما أحسن قول ابن الانبارى فى ابن بقية الوزير لما صلب من أبيات

كأن الناس حولك حين قاموا * وفود نداك أيام الصلات
كأنك قائم فيهم خطيبا * وكلهم قيام للصلاة

وقد أخذ معنى البيت الاول من قول ابن المعتز

وصلوا عليه خاشعين كأنهم * وفود وقوف للسلام عليه

ولعمر الخراط فيه
انظر اليه كأنه فى وصفه * متظلم لحظ السماء بطرفه
بسط اليدين كأنه يدعو على * من قد أشار على الامير بحتفه

وللفقيه عمارة اليمنى فيه
ومد على صليب الصلب منه * يمينا لا تطول الى شمال
ونكس رأسه لعتاب قلب * دعاه الى الغواية والضلال

ومن العجيب انه صلب بعد قوله هذا بقليل صلبه الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب فكانت هذه الكلمات كالفأل عليه وله فى معناه أيضا

ورأت يداه عظيم ما جنتا * ففررن ذى شرقا وذى غربا
وأمال نحو الصدر منه فما * ليلوم فى أفعاله القلبا

فيا أسفى ويا شوقى اليه واستعبار الجماعة فقلت ومن هذا يكون عليه مثلى وهذى الريح أخشاها عليه وقال الامير الاجل الكبير صلاح الدين أدام الله توفيقه ألا يا ليته ان كان يأتى حياتى ثم موتى فى يديه ومنه ما تكون الاجازة فيه لا كثر من بيت (ذكر) أبو العتاهية قال حبسنى الرشيد لتركى الشعر وغلقت على الابواب فبقيت دهشا كما يدهش مثلى لتلك الحال فاذا رجل جالس فى جانب السجن وهو مقيد فجعلت أنظر اليه ساعة فتمثل بقوله تعودت حسن الصبر حتى ألفته وأسلمنى حسن العزاء الى الصبر وصيرنى يأسى من الناس راجيا لحسن صنيع الله من حيث لا أدرى فقلت له أعد أعزك الله هذين البيتين فقال لى ويلك يا أبا العتاهية ما أسوأ أدبك وأقل عقلك دخلت على السجن فما سلمت تسليم المسلم على المسلم ولا سألت مسئلة الحر للحر ولا توجعت توجع المبتلى للمبتلى حتى اذا سمعت بيتين من الشعر الذى لا فضيلة فيك سواه لم تصبر عن استعادتهما ولم تقدم قبل مسئلتك عنهما عذرا لنفسك فى طلبهما فقلت يا أخى انى دهشت من هذه الحال فلا تعذلنى واعذرنى

(كما أبرقت قوما عطاشا غمامة * فلما رأوها أقشعت وتجلت)

البيت من الطويل ولا أعرف قائله (والمعنى) أبرقت الغمامة للقوم فحذف الجار وأوصل الفعل ومعنى أقشعت وتجلت تفرقت وانكشفت (والشاهد فيه) المركب العقلى من وجه الشبه وانه قد ينتزع من متعدد فيقع الخطأ لوجوب انتزاعه من أكثر كما اذا انتزع وجه الشبه من الشطر الاول من البيت فانه يكون خطأ لوجوب انتزاعه من جميعه فان المراد تشبيه الحالة المذكورة فى الابيات السابقة على هذا البيت بظهور الغمامة لقوم عطاش ثم تفرقها وانكشافها بواسطة اتصال مطمع بانتهاء موئس لان البيت مثل فى أن يظهر للمضطر الى الشئ الشديد الحاجة اليه أمارة وجوده ثم يفوته ويبقى تحسره وزيادة ترجيه وفى معناه قول مسلم بن الوليد

وشمتك اذ أقبلت فى عارض الغنى * فأقلعت لم تنبض برى ولا محل

وقول بشار بن برد أظلت علينا منك يوما سحابة * أضاءت لنا برقا وأبطا رشاشها

فلا غيمها يجلى فييأس طامع * ولا غيثها يأتى فيروى عطاشها

وقوله لمروان مواعد كاذبات * كما برق الجهاء وما استهلا

والاصل فيه قول الاحوص

وكنت وما أملت منك كبارق * لوى قطره من بعد ما كان غيما

وما أحسن قول بعضهم ألا انما الدنيا كظل غمامة * اذا ما رجاها المستظل اضمحلت

فلا تك مفراحا اذا هى أقبلت * ولا تك محزانا اذا ما تولت

ولابن الطراوة النحوى فى معنى البيت وقد خرجوا ليستسقوا على اثر قحط فى يوم غامت سماؤه فزال ذلك عند خروجهم خرجوا ليستسقوا وقد نشأت * بحرية قمن بها السح

حتى اذا اصطفوا لدعوتهم * وبدا لاعينهم بها نصح

كشف الغمام اجابة لهم * فكأنهم خرجوا ليستصحوا

وقد سبقه الى ذلك أبو على الحسن التنوخى فقال

خرجنا لنستسقى بيمن دعائه * وقد كاد هدب الغيم أن يلبس الارضا

فلما بدا يدعو تقشعت السما * فما تم الا والغمام قد ارفضا

ومنه قول بعضهم لما بدا وجه السماء لهم * متجهما لم يبد أنواء

قاموا ليستسقوا الاله لهم * غيثا فلم يسقيهم الماء

(فان تفق الانام وأنت منهم * فان المسك بعض دم الغزال)

البيت لابى الطيب المتنبى من قصيدة من الوافر يرثى بها والدة سيف الدولة بن حمدان أولها

نعد المشرفية والعوالى * وتقتلنا المنون بلا قتال

ونرتبط السوابق مقربات * وما ينجين من خبب الليالى

وهى طويلة وقبل البيت قوله يخاطب سيف الدولة

رأيتك فى الذين أرى ملوكا * كأنك مستقيم فى محال

وحكى أن المتنبى قيل له ان المحال ما يطابق الاستقامة ولكن القافية ألجأتك الى ذلك فلو فرض أنك قلت كأنك مستقيم فى اعوجاج كيف كنت تصنع فى الثانى فقال ولم يتوقف فان البيض بعض دم الدجاج فاستحسن هذا من بديهته (والشاهد فيه) بيان أن المشبه أمر ممكن الوجود وذلك فى كل أمر غريب يمكن أن يخالف فيه ويدعى امتناعه فانه أراد أن يقول ان الممدوح قد فاق الناس بحيث لم يبق بينه وبينهم مشابهة بوجه بل صار أصلا برأسه وجنسا بمفرده وهذا فى الظاهر كالممتنع لاستبعاد أن تتناهى بعض آحاد النوع فى

متفضلا فقال أنا والله بالدهش والحيرة أولى منك لانك حبست على أن تقول الشعر الذى به ارتفعت وبلغت ما بلغت واذا قلته أمنت وأنا حبست على أن أدل على ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتل أو أقتل دونه ووالله لا أدل عليه أبدا والساعة يدعى بى فأقتل فأينا أحق بالدهش فقلت أنت والله أولى سلمك الله وكفاك ولو علمت أن هذه حالك ما سألتك فقال اذا لا أبخل عليك ثم أعاد على البيتين حتى حفظتهما وأجزتهما بقولى

اذا أنا لم أقبل من الدهر كل ما * تكرهت منه طال عتبى على الدهر

ثم سألته عن اسمه فقال أنا أبو حاضرة داعية عيسى بن زيد وابنه أحمد قال فلم نلبث الا قليلا حتى سمعنا صوت الاقفال فقام فسكب عليه ماء من جرة كانت عنده ولبس ثوبا نظيفا ودخل الحرس ومعهم الشموع فأخرجونا جميعا وقدم قبلى الى الرشيد فسأله عن أحمد بن عيسى فقال لا تسألنى عنه وافعل ما بدا لك فلو أنه تحت ثوبى ما كشفت عنه فأمر به فضربت عنقه ثم قال لى أظنك يا اسمعيل ارتعت فقلت دون ما رأيته تسيل منه النفوس فقال ردوه الى محبسه فردونى (وذكر) ابن عبد ربه فى كتاب العقد قال صنع أبو دلف القاسم بن

الفضائل الخاصة بذلك النوع الى أن يصير كأنه ليس منها فاحتيج لهذه الدعوى و بين امكانها بأن شبه حاله بحال المسك الذى هو من الدماء ثم انه لا يعد منها لما فيه من الاوصاف الشريفة التى لا توجد فى الدم و يسمى مثل هذا تشبيها ضمنيا أو مكنيا عنه لدلالة البيت عليه ضمنا وقد أحسن السراج الوراق تضمينه بقوله

وأصيد ظل يدرك يوم صيد * طرائده بجود كالسمعالى
فان عبقت لنا بمناه مسكا * فان المسك بعض دم الغزال

والشهاب ابن بنت الاعز بقوله

وقالوا بالعذار تسل عنه * وما أنا عن غزال الحسن سالى
وان أبدت لنا خداه مسكا * فان المسك بعض دم الغزال

و يشبه قول أبى الطيب المتنبى هنا فى سيف الدولة قوله فى عضد الدولة

ولولا كونكم فى الناس كانوا * هذاء كالكلام بلا معانى

ومثله قول يحيى بن بقى

هل يستوى الناس قالوا كلنا بشر * فالمندل الرطب والطرفاء أعواد

والغزى فى مثله فلا غرو ان كنت بعض الورى * فان اليلنجوج بعض الحطب

ومنه قول خلف بن عبد العزيز الغوى

ما أنت بعض الناس الامثل ما * بعض الحصا الياقوتة الحمراء

والحصرى فيه أبا بكر ان أصبحت بعض ملوكهم * فان الليالى بعضها ليلة القدر

ومثله قول ابن قلاقس و أجاد

أنشرت من آبائك الصيد الاولى * ذكر السان الدهر ناشر نشره
كرموا فزدت عليهم فكأنهم * شهر الصيام وأنت ليلة قدره

ومثله قول التهامى

لقد شرف الرحمن قدرك فى الورى * كما فى الليالى شرف ليلة القدر
وان كنت من جنس البرايا وفقتهم * فللمسك نشر ليس يوجد فى العطر

وما أحسن قول شيخ الشيوخ رحمه الله

فاقت بيوسفها الدنيا وفاح لها * طيب طوى المسك من نشر لها أرج
فان يشاركه فى اسم الملك طائفة * فان شمس الضحى من جملة السرج

ومثله قول عبد الصمد بن بابك

تقاعس عنك العامرون فأحجموا * وخيل المغانى غير خيل المواكب
فان زعم الاملاك انك منهم * فخار افان الشمس بعض الكواكب

ومن البديع فى معناه قول ابن شرف القيروانى

سلك الورى آثار فضلك فانثنى * متكلف عن مسلك مطبوع
أبناء جنسك فى الحلى لا فى العلا * وأقول قولا ليس بالمدفوع
أبدا ترى البيتين يختلفان فى الـ * معنى ويتفقان فى التقطيع

وفى مقلوب معنى البيت قول الصاحب بن عباد يهجو

أبوك أبو على ذو اعتلاء * اذا عد الكرام وأنت نجله
وان أباك اذ تعزى اليه * لكالطاوس تقبح منه رجله

ولازوردية تزهو بزرقتها * وسط الرياض على حمر اليواقيت
كأنها واضعاف القضب تحملها * أوائل النار فى أطراف كبريت

عيسى الهلى
أنا أبو دلف البادى بقافية
جوابها يعجز الداهى من الغيظ
من زاد فيها له رحلى و راحلتى
وخاتمى والمدى فيها الى القيظ
قال فظنى أنه لا ثالث لهاتين
القافيتين فصنعت
قد زدت فيها ولو أمسى أبو
دلف
والنفس قد أشرفت منه
على الفيظ
قال على بن ظافر تذاكرنا
بهذه الرقعة فقال بعض
الحاضرين لم يبق رابعة
فصنعت
أزيد فيها ولوما تابغيظه ما
ما ألقت النمل أحيانا من
البيظ
وذلك أن كل بيض لطائر أو
حيوان فبالضاد الا بيظ
النمل فانه بالظاء وكل ما يفيض
من اناء وغيره فبالصاد الا فيظ
النفس فانه بالظاء ثم صنع
القاضى الاعز بن المؤيد رحمه
الله بعد ذلك بديها
ذو الحزم لا يتعدى فى فعائله
مادام للناس تكوين من
البيظ
والبيظ ههنا ماء الرجل ثم
صنع شهاب الدين بن أخت
الوزير نجم الدين رحمه الله
يا سادتى فى القوافى قد تركوا
كأنه البئر لم يترك سوى البيظ
حازت قوافيكم الظاآت
أجمعها
كمثل ما حيز مع البيظ بالبيظ
لكن مواعيد باديكم أبى دلف
لا صدق فيها كمثل الآل
والبيظ

البيتان لابن الرومى يصف البنفسج وقبلهما

بنفسج جمعت أوراقه فحكى * كحلا تشرب دمعا يوم تشتيت

وهى من قصيدة من البسيط (والشاهد فيهما) كون المشبه به نادر الحضور فى الذهن عند حضور المشبه فان صورة اتصال النار بأطراف الكبريت يندر حضورها فى الذهن عند حضور صورة البنفسج فيستطرف لمشاهدة عناق بين صورتين متباعدتين غاية التباعد فانه أراك شبه النبات غض يرف وأوراق رطبة من لهب نار استولى عليه اليبس ومبنى الطبائع على أن الشئ اذا ظهر من موضع لم يعهد ظهوره منه كان ميل النفوس اليه أكثر وهى بالشغف به أجدر وهذان البيتان من نادر التشبيه وغريبه وليس بعدهما الا قول النميرى

بنفسج بذكى المسك مخصوص * ما فى زمانك ان وافاك تنغيص

كأنما شعل الكبريت منظره * أو حد أغيد بالتجميش مقروص

وقول الآخر

مازلت من شغفى ألثم كفها * وذراعها بالقرص والآثار

حتى جعلت أديمها وكأنما * غرس البنفسج فى نقا الجمار

وقد لطف ابن كيغلغ فى استعارة المعنى فقال

لما التقينا للوداع وأعربت * عبراتنا عنا بدمع ناطق

فرقن بين محاجر ومعاجر * وجمعن بين بنفسج وشقائق

واستعاره أبو تمام فى قوله لها من لوعة البين التدام * يعيد بنفسجا ورد الخدود

وقوله التدام مما أخذ عليه به فى جملة ما أخذ

(وبدا الصباح كأن غرته * وجه الخليفة حين يمتدح)

البيت لمحمد بن وهيب الحميرى من قصيدة من الكامل يمدح بها المأمون أولها

العذر ان أنصفت متضح * وشهود حبك أدمع سفح

واذا تكلمت العيون على * اعجامها فالسر مفتضح

فضحت ضميرك عن ودائعه * ان الجفون نواطق فصح

مهما أبيت معانق قمر * للحسن فيه مخايل تضح

نشر الجمال على محاسنه * بدعا وأذهب همه الفرح

يختال فى حلل الشباب به * مرح وداؤك أنه مرح

مازال يلثمنى مراشفه * ويعلى الابريق والقدح

حتى استرد الليل خلعته * ونشا خلال سواده وضح

وبعده البيت ثم انه يقول فيها

نشرت بك الدنيا محاسنها * وتزينت بصفاتك المدح * وكأنما مذعاب عنك له

بازاء طرفك عارض سمح * واذا سلمت فكل حادثة * جلل فلا بؤس ولا ترح

(والشاهد فى البيت) ايهام أن المشبه به أتم من المشبه ويسمى التشبيه المقلوب فانه قصد ايهام أن وجه الخليفة أتم من الصباح فى الوضوح والضياء وفى قوله حين يمتدح دلالة على اتصاف الممدوح بمعرفة حق المادح وتعظيم شأنه عند الحاضرين بالاصغاء اليه والارتياح له وعلى كونه كاملا فى الكرم يتصف بالبشر والطلاقة عند استماع المديح وفى معناه قول البحترى

كأن سناها بالعشى لصبحها * تبسم عيسى حين يلفظ بالوعد

وتقدم ذكر ابن وهيب فى شواهد المسند

الماء فى نقرة البئر وهى الحفرة التى يبقى فيها الماء بعد نزحها وفى القافية الثانية قشرة البيض الرقيقة فوق المح وهو الغرقىء قال زهير

كأن البيظ لفقه قناعا * على الهامات كرات الدهور

وفى القافية الثالثة خيال وجه الانسان فى السيف قال عبيد

كأن وجوه نسل بنى غير * مثال البيظ فى السيف اليمانى

قالوا وجميعها بالظاء ولست على يقين من صحة ذلك وأظن أن صاحب العقد وهم فى كون قائل البيتين أبا دلف العجلى فان أبا دلف أفضل وأفصح وأعلم وأشرف من أن يقع فى مثل هذا وأظن قائلهما أبا دلف هاشم ابن محمد الخزاعى الشاعر الوالى كان بالبصرة للمقتدر بالله سنة خمس وثلثمائة

(وبالاسناد المتقدم ذكره) ذكر صاحب اليتيمة أن الصاحب أمر أبا محمد الحسن بن أحمد البروجردى باجازة هذين البيتين

يا نسيم الريح من بلدى * خبرى بالله كيف هم

ليس لى صبر ولا جلد * ليت شعرى كيف صبرهم

(فقال)

وانسان الدمع يشهد لى * وهو ممن ليس يتهم

(وأنبأنى) الفقيه أبو الحسن ابن المقدسى اجازة قال

(تشابه دمعي اذ جرى ومدامتي * من مثل ما في الكاس عيني تسكب)
(فوالله ما أدري أبالخمر أسبلت * جفوني أم من عبرتي كنت أشرب)

البيتان لابي اسحق الصابي من الطويل ورأيت في اليتيمة البيت الاول بلفظ تورّد بدل تشابه (والشاهد فيهما) ترك التشبيه والعدول الى الحكم بالتشابه ليكون كل واحد من الشيئين مشبها ومشبها به احترازا من ترجيح أحد المتساويين في وجه الشبه فان الشاعر لما اعتقد التساوي بين الخمر والدمع ولم يعتقد أن أحدهما أزيد في الحمرة والآخر ناقص يلحق به حكم بينهما بالتشابه وترك التشبيه وفي معناه قول الصاحب ابن عباد

رق الزجاج وراقت الخمر * وتشابها فتشاكل الامر
فكأنما خمر ولا قدح * وكأنما قدح ولا خمر

وقوله أيضا من أبيات

متغايرات قد جمعن وكلها * متشاكل أشباحها أرواح
واذا أردت مصرّحا تفسيرها * فالراح والمصباح والتفاح
لم يعلم الساقي وقد جمعن لي * من أيّ هذي تملأ الاقداح

ومثله ما كتب به أبو الوليد بن زيدون الى المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية مع تفاح أهداه اليه

يا من تزينت السيا * دة حين ألبس ثوبها
جاءتك جامدة المدا * م فخذ عليها ذوبها

وهو مأخوذ من قول الخليع

الراح تفاح جرى ذائبا * كذلك التفاح راح جمد
فاشرب على جامده ذوبه * ولا تدع لذة يوم لغد

وللسري الرفاء في معناه

وقد أضاءت نجوم مجلسنا * حتى اكتسى غرّة وأوضاحا
لو جمدت راحنا اغتدت ذهبا * أو ذاب تفاحنا اغتدى راحا

ولطاهر العتابي في هذا المعنى

وليلة قد بت أهزم بردها * بجيشين من خمر عتيق ومن جمر
فطورا أظن الجمر من ذوب خمرها * وطورا أظن الخمر من جمد الجمر

والصابي هو ابراهيم بن هلال بن هرون الحراني قال في حقه أبو منصور الثعالبي هو أوحد العراق في البلاغة ومن به تثنى الخناصر في الكتابة وتتفق الشهادات له ببلوغ الغاية من البراعة في الصناعة وكان قد بلغ التسعين في خدمة الخلفاء وخلافة الوزراء وتقلد الاعمال الجلائل مع ديوان الرسائل وحلب الدهر أشطره وذاق حلوه ومرّه ولابس خيره ومارس شرّه ورئس ورأس وخدم وخدم ومدحه شعراء العراق في جملة الرؤساء وشاع ذكره في الآفاق ودوّن له من الكلام البهيّ النقيّ العلويّ ما تناثرت درره وتكاثرت غرره وفيه يقول بعض أهل العصر

أصبحت مشتاقا حليف صبابة * برسائل الصابي أبي اسحاق
صوب البلاغة والحلاوة والحجى * ذوب البراعة سلوة العشاق
طورا كمارق النسيم ونارة * يحكي لنا الاطواق في الاعناق
لا يبلغ البلغاء شأو مبرّز * كتبت بدائعه على الاحداق

ويقول أيضا

يا بؤس من يمنى بدمع ساجم * يهمي على حجب الفؤاد الواجم
لولا تعلله بكاس مدامة * ورسائل الصابي وشعر كشاجم

(ويحكى) أن الخلفاء والملوك والوزراء راودوه كثيرا على الاسلام وأداروه بكل حيلة وتمنية جليلة حتى ان السلطان بختيار عرض عليه الوزارة ان أسلم فلم يهده الله تعالى للاسلام كما هداه لمحاسن الكلام وكان يعاشر المسلمين أحسن عشرة ويخدم الاكابر أرفع خدمة ويساعدهم على صيام شهر رمضان ويحفظ القرآن الكريم حفظا يدور على طرف لسانه وسن قلمه وكان في أيام شبابه واقتباله أحسن حالا وأرخى بالا

أنبأني الشيخ أبو القاسم مخلوف بن علي القيرواني عن أبي عبد الله محمد بن أبي سعيد السرقسطي عن الحافظ أبي عبد الله محمد بن أبي نصر بن عبد الله الحميدي قال أخبرني أبو الوليد الحسين بن محمد الكاتب المعروف بابن الفتراء قال حضرت عند عمي وعنده أبو عمر القسطلي يعني ابن دراج وأبو عبد الله المعيطي فغنى المعيطي

مروّع منك كل يوم * محتمل فيك كل لوم
يا عاتبي في المنى وسؤلي * ملكت رقي بغير سوم

فأعجبنا هذين البيتين فقال أبو عمر أنا أضيف اليهما ثالثا لا يتأخر عنهما ثم قال

تركت قلبي بغير صبر * فيك وعيني بغير نوم

(وذكر) ابن بسام في كتاب الذخيرة أن المعتمد بن عباد غني بين يديه بقول ابن المعتز

وخمارة من بنات المجوس * ترى الزق في بيتها شائلا
وزنا لها ذهبا جامدا * فكالت لنا ذهبا سائلا

(فأجازهما بقوله)

وقلنا خذي جوهرا ثابتا * فقالت خذوا عرضا زائلا

(ونقلت) من خط عبد الجليل ابن عبد المحسن الكاتب الشاعر الاسيوطي قال غنى لنا يوما بعض القوالين هذين البيتين وهما لابي

منه فى أيام استكماله وفى زمن اكتهاله أورى زندا وأسعد جدا منه حين مسه الكبر وأخذ منه الهرم وفى ذلك يقول من قصيدة فى فنها فريدة كتبها الى الصاحب يشكو بثه وحزنه ويستمطر سحابه ومزنه بعد أن كان يخاطبه بالكاف ولا يرفعه عن رتبة الاكاف

عجبا لحظى اذ أراه مصالحى * عصر الشباب وفى المشيب مغاضى
أمن الغوانى كان حتى خاننى * شيخا وكان لدى الشبيبة صاحى
أمع التصعصع ملى متجنبا * ومع الترعرع كان غير مجانبى
ياليت صبوته الى تأخرت * حتى تكون ذخيرة لعواقبى

وكان المهلبى لا يرى الدنيا الا به ويحن على براعته وتقدم قدمه ويصطنعه لنفسه ويستدعيه فى أوقات أنسه فلما مات المهلبى وأبو اسحق يلى ديوان الرسائل والخلافة على ديوان الوزارة اعتقل فى جملة عمال المهلبى وأصحابه فى قوله فى ذلك الاعتقال من قصيدة

ياأيها الرؤساء دعوة خادم * أوفت رسائله على التعديد
أيجوز فى حكم المروءة عندكم * حبسى وطول تهددى ووعيدى
أنسيتم كتبا شحنت فصولها * بفصول در عنكم منضود
ورسائلا نفذت الى أطرافكم * عبد الحميد بهن غير حميد
يهتز سامعهن من طرب كما * هز النديم سماع صوت العود

منها

قصرت خطاه خلاخل من قيده * فتراه فيها كالفتاة الرود
يمشى الهوينى ذله لا عزة * مشى النزيف الخائف المزؤد

ولما خلى عنه وأعيد الى عمله لم يزل يطير ويقع وينخفض ويرتفع الى أن دفع فى أيام عضد الدولة الى النكبة العظمى والطامة الكبرى اذ كان فى صدره حزازات كثيرة من انشاآت له عن الخليفة وعن بختيار نقمها منه واحتقدها عليه قيل كان من أقوى أسباب تغير عضد الدولة على أبى اسحق بعد ميله اليه وصنه به فصل له من كتاب أنشأه عن الخليفة فى شأن بختيار وهو وقد جدد له أمير المؤمنين مع هذه المساعى السوابق والمعالى السوامق التى يلزم كل دان وقاص وعام وخاص أن يعرف له حق ما أكرم به منها ويتزحزح عن رتبة المماثلة فيها فان عضد الدولة أنكر هذه اللفظة أشد انكار ولم يشك فى التعريض به وأسرها فى نفسه الى أن ملك بغداد وسائر العراق وأمر أبا اسحق بتأليف كتاب فى أخبار الدولة الديلمية يشتمل على ذكر قديمه وحديثه وشرح سيره وحروبه وفتوحه فامتثل أمره وافتتح كتابه المترجم بالتاجى واشتغل به فى منزله وأخذ يتأنق فى تصنيفه وترصيفه وينفق من روحه على تقريظه وتشنيفه فرفع الى عضد الدولة أن صديقا للصابى دخل اليه فرآه فى شغل شاغل من التعليق والتسويد والتبديل والتبييض فسأله عما يعمل من ذلك فقال أباطيل أنمقها وأكاذيب ألفقها فانضاف تأثير هذه الكلمة فى قلب عضد الدولة الى ما كان فى نفسه من أبى اسحق وتحرك من ضغنه الساكن وثار من سخطه الكامن فأمر أن يلقى تحت أرجل الفيلة فأكب جماعة من أرباب الدولة على الارض يقبلونها بين يديه ويشفعون اليه فى أمره ويتلطفون فى استيهابه الى أن أمر باستحيائه مع القبض عليه وعلى أسبابه واستصفاء أمواله فبقى فى ذلك الاعتقال بضع سنين الى أن تخلص فى آخر أيام عضد الدولة وقد رزحت حاله وتهتك ستره وكان الصاحب ابن عباد يحبه أشد الحب ويتعصب له ويتعهده على بعد الدار بالمبر والصابى يخدم حضرته بالمدح وكان الصاحب يتمنى انحيازه اليه وقدومه عليه ويبذل له الرغائب على ذلك اما تشوقا أو تشرفا وكان هو يتحمل ثقل الخلة وسوء أثر العطلة ولا يتواضع للاتصال بخدمة الصاحب بعد كونه من نظرائه وتحليه بالرياسة فى أيامه وكان الصاحب كثيرا ما يقول كتاب الدنيا وبلغاء العصر أربعة الاستاذ ابن العميد وأبو القاسم عبد العزيز بن يوسف وأبو اسحق الصابى ولو شئت لذكرت الرابع يعنى نفسه فأما الترجيح بين هذين الصادين أعنى الصاحب

العلاء الاسدى من شعراء اليتيمة

لا لعمرى ما أنصفوا حين بانوا
حلفوا لى أن لا يخونوا فخانوا
شتتوا بالفراق شمل اتصالى
جمع الله شملهم أين كانوا

قال فأجزتهما بقولى بديها

أنا ممن يدين فى الرجعة الآ
ن تراهم بمذهب الصب دانوا

(قال على بن ظافر) ومما هو من هذا الباب الا أن الاجازة فيه لسد فرجة بين البيتين ماذكره صاحب المقتبس من أن أبا الحسن زريابا المغنى مولى المهدى المروانى غنى يوما بين يدى الامير عبد الرحمن بن الحكم ابن هشام بن عبد الرحمن الداخل ملك الاندلس بهذين البيتين

قالت ظلوم سمية الظلم
مالى رأيتك ناحل الجسم
يامن رمى قلبى فأقصده
أنت الخبير بموقع السهم

فقال عبد الرحمن هذان البيتان منقطعان فلو كان بينهما ما يوصلهما لكان أبدع فقال عبد الرحمن بن قرمان

فأجبتها والدمع منحدر
مثل الجمان هوى من النظم

فاستحسنه وأمر له بجائزة (ومما) يجرى مجرى الطرف ما أخبرنى به الاديب أبو القاسم بن نفطويه أنه جلس أيام اشتغاله على الشيخ الاستاذ العلامة محمد بن برى مع جماعة من

والصابى فقد خاض فيه الخائضون وأطنب المحلصون ومن أشف ما سمعته من ذلك أن الصاحب كان يكتب كما يريد والصابى يكتب كما يؤمر أى كما يراد وبين الحالين بون بعيد وكيف جرى الامر فهما هما ولقد وقف فلك البلاغة بعدهما ولنذكر بهذا من نثره ونظمه لتكون كالعنوان على محاسنه فمن ذلك فصل له من كتاب الى عضد الدولة فى التهنئة بتحويل سنة * أسأل الله مبتهلا لديه مادا يدى اليه أن يحعل على مولانا هذه السنة وما يتلوها من أخواتها بالصالحات الباقيات والزيادات الغامرات ليكون كل دهر يستقبله وأمد يستأنفه موافيا على المتقدم له قاصرا على المتأخر عنه ويوفيه من العمر أطوله وأبعده ومن العيش أعذبه وأرغده عزيزا منصورا محميا موفورا باسطا يده لا يقبضها الا على نواصى أعداء وحساد ساميا طرفه فلا يغضه الا على لذة غمض ورقاد مستريحة ركابه فلا يعملها الا لاستضافة عز وملك فائزة قداحه فلا يجليها الا لحيازة مال وملك حتى ينال أقصى ما تتوجه اليه أمنية صالحة وتسمو له همة طامحة ﴿فصل من رسالته فى وصف المتصيد والصيد﴾ وحيلنا كالامواج المتدفقة والاطواد الموثقة متشوقة عاطية متشنفة جارية تشتاق الصيد وهى لا تطعمه وتحن اليه كأنه قسيم تقضمه وعلى أيدينا جوارح مؤللة المخالب والمناسر مذربة النصال والخناجر طامحة الالحاظ والمناظر بعيدة المرامى والمطارح ذكية القلوب والنفوس قليلة القطوب والعبوس سابغة الاذناب كريمة الانساب صلبة الاعواد قوية الاوصال تزيد اذا ألحت شرها وقرما وتتضاعف اذا شبعت كلبا ونهما فبينا نحن سائرون وفى الطلب ممعنون اذ وردنا ماء أزرق جمامه طامية أرجاؤه يبوح بأسراره صفاؤه وتلوح فى قراره حصباؤه وأفانين الطير به محدقة وغرائبه عليه واقعة متغايرة الالوان والصفات مختلفات الاصوات واللغات فمن صريح خالص وتهذب نوعه ومن مشوب تهجن أو أقرف عرقه فلما أوفينا عليها أرسلنا الجوارح اليها كأنها رسل المنايا أو سهام القضايا فلم نسمع الا صميا ولم نر الا مذكيا ثم عدنا الشأننا دفعات وأطلقنا مرات ﴿ومن فصل منها﴾ ثم عدلنا عن مطارح الحمام الى مسارح الآرام نستقرى ملاعبها ونؤم مجامعها حتى أفضينا الى أسراب لاهية بأطلائها راتعة بأكلائها ومعنا فهود أخطف من البروق وأثقف من الليوث وأمكر من الثعالب وأدب من العقارب وأنزى من الجنادب خمص الخصور قب البطون رقش المتون حمر الآماق خزر الأحداق هرت الاشداق عراض الجباه غلب الرقاب كاشرة عن أنياب كالحراب ﴿وله فصل فى ذكر الاقدار لله تعالى﴾ أقدار ترد فى أوقاتها وقضايا تجرى الى غاياتها لا يرد شئ منها عن شأوه ومداه ولا يصد دون مطلعه ومنحاه فهى كالسهام التى لا تنثنت الا فى الاغراض ولا ترجع الا بالاعتراض والناس فيها بين عطية يجب الشكر عليها ورزية يوثق بالعوض عنها ﴿وله من فصل عن بختيار الى سبكتكين المعزى﴾ ليت شعرى بأى قدم توافينا وراياتنا خافقة على رأسك ومماليكنا عن يمينك وشمالك وحيلنا الموسومة بأسمائنا تحتك وثيابنا المنسوجة فى طرزنا على جسدك وسلاحنا المشحوذ لاعدائنا فى يدك ﴿ومن فصل فى ذكره﴾ هو أرق دينا وأمانة وأخفض قدرا ومكانة وأتم ذلا ومهانة وأظهر عجزا وزمانة من أن تستقل به قدم فى مطاولتنا أو تطمئن له ضلوع على منابذتنا وهو فى نشوزه عنا وطلبنا اياه كالضالة المنشودة وفيما نرجوه من الظفر به كالظلامة المردودة ومن ملح شعره قوله فى الغزل وهو فى معنى البيتين المستشهد بهما

جرت الدموع دما وكأسى فى يدى * شوقا الى من لج فى هجرانى
فتخالف العملان شارب قهوة * يبكى دما وتشابه اللونان
وكأن ما فى الجفن من كأسى جرى * وكأن ما فى الكأس من أجفانى

وقال

لست أشكو هواك يا من هواه * كل يوم يروعنى منه خطب
مر ما مر بى من أجلك حلو * وعذابى فى مثل حبك عذب

وقال

ان نحن قسناك بالغصن الرطيب فقد * حفنا عليك به ظلما وعدوانا

الغصن

تلامذته فتذاكروا ما يعانيه الشيخ من بلادة بعض طلبته وهو رجل كرهت ذكره مع فرط اعتنائه بتعليمه وشدة عنائه فى تفهيمه فأنشد أحدهم قول أبى العباس المبرد

أقسم بالمبسم العذب
ومشتكى الصب الى الصب
لو قرأ النحو على الرب
ما زاده الا عمى القلب

(قال فقلت ارتجالا)

قد عذب الله به شيخا
فى هذه الدنيا بلا ذنب

فضحك الجماعة واستظرفوا البيت (ومنه ما تكون الاجازة فيه بأكثر من بيت لا كثر (فمن ذلك) ما ذكره اسحق الموصلى قال أنشدنى شداد بن عقبة لجميل

بثين سلينى بعض مالى فانه
يبين عند المال كل خليل
وانى وتكرار الزيارة نحوكم
لبين يدى هجر بثين طويل

قال فقلت لشداد أفلا أزيدك فيهما قال بلى فقلت مسرعا

ألا ليت شعرى هل تقولين بعدنا
اذا نحن أجمعنا غدا الرحيل
ألا ليت أياما مضين رواجع
وليت النوى قد ساعفت بجميل

فقال أحسنت والله ان هذا هو الشعر الضائع فقلت وكيف قال نفيته عن نفسك بتسميتك جميلا فيه ولم يلحق برتبة شعر جميل فضاع بينكما جميعا (أبانى) الشيحان

الغصن أحسن ماتلقاه مكتسيا * وأنت أحسن ماتلقاك عريانا

وقال

مرضت من الهوى حتى اذاما * بدا مابى لاحوانى الحضور
تكنفنى ذووالاشفاق مهم * ولاذوا بالدعا وبالنذور
وقالوا للطبيب أشر فانا * نعدك للمهم من الامور
فقال شفاؤه الرمان مما * تضمنه حشاه من السعير
فقلت لهم أصاب بغير عمد * ولكن ذاك رمان الصدور

وقال

ماأنس لاأنس ليلة الاحد * والبدر ضيفى وأمره بيدى
قبلت منه فاجاجته * تجمع بين المدام والشهد
كأن مجرى سواكه برد * وريقه ذوب ذلك البرد

وقال فى شمامة كافور

وشمامة كالبدر عنداعتراضه * وكالكوكب الدرى عندانقضاضه
يودسواد العين من شغفبها * لواعتاضها مستبدلا بياضه

وقال

ومحرورة الاحشاء تحسب أنها * متيمة تشكو من الحب تبريحا
تناجيك بجوى يسمع الانف وحيها * وتجهله الاذن السميعة ادوحى
تحرق فيها النـدعودا وبدأة * فتأحده جسما وتنفثه روحا

وقال فى غلام له أسود اسمه رشد

أنصرت فى رشد وقد أحببته * رشدى ولم أحفل بمن قد ينكر
بالاعمى أعلى السواد تلومنى * من لونه وبه عليك المفخر
دع لى السواد وخذ بياضك اننى * أدرى بما آتى وما أتخير
مبوى البصيرة فى الفؤاد سواده * والعين بالمسود منها تبصر
فالدين أنت مناظر فيه بدا * وكذاك فى الدنيا بهذى تنظر
بسواد ذينك تستضىء ولوهما ابيضا تغشاك الظلام الاكدر
فغدابياضك وهو ليل دامس * وغدا سوادى وهو فجر أنور

وقال فيه أيضا

قد قال رشد وهو أسود للذى * ببياضه بعلو على الخائن
ماجر خدك بالبياض وهل ترى * ان قد أفدت به مزيد محاسن
لو أن منى فيه خالا زانه * ولو ان منه فى خالا شانني

ولقد تفنن الشعراء فى مدح السودان وأكثروا فمن ذلك قول ابن الرومى من قصيدة طويلة

أكسبها الحب انها صبغت * صبغة حب القلوب والحدق

وقول ابن خفاجة الاندلسى أيضا

وأسود يسبح فى لجة * لاتكتم الحصباء غدرانها
كأنها فى شكلها مقلة * زرقاء والاسود انسانها

وقول الآخر

ياأسود يسبح فى بركة * فقت الورى حسنا واحسانا
كنت لحسن الخدخالا وقد * صرت لعين العين انسانا

وقول شرف الدين بن عنين

وماذا عليهم ان كلفت بأسود * محلته بالقلب والعين منهم * وقدعانى قوم بتقبيل خده
وماذاك عيب أسود الركن يلثم * وماشانه ذاك السواد لانه * لغير الثنايا والخلاق ثم معلم

وقال ابن رياح الملقب بالجام

الاجل العلامة تاج الدين الكندى والفقيه جمال الدين بن الخوزستانى اجازة قالا أخبرنا الامام الحافظ أبو القاسم بن عساكر الدمشقى سماعا عليه قال أنبأنا أبو بكر محمد بن عبد الباقى عن أبى القاسم التنوخى أخبرنى أبو عبد الله محمد ابن عثمان الخرقى الفارقى الحنبلى التميمى قال كنت بالرملة سنة ثلثمائة وخمس وستين وقد ورد اليها القرمطى أبو على القصير الثياب فاستدنانى منه وقربنى الى خدمته فكنت ليلة عنده اذحضر الفراشون بالشموع فقال لابى نصر ابن كشاجم وكان كاتبه ياأبانصر ما يحضرك فى صفة هذه الشموع فقال انما نحضر مجلس السيد لنسمع كلامه ونستفيد من أدبه فقال أبو على فى الحال بديها

ومجدولة مثل صدر القناة * تعرت وباطنها مكتسى
لها مقلة هى روح لها * وتاج على الرأس كالبرنس
اذاغازلتها الصبا حركت * لسانا من الذهب الاملس
وان رنقت لنعاس عرا * وقطت من الرأس لم تنعس
وتنتج فى وقت تلقيحها * ضياء يجلى دجا الحندس
فنحن من النور فى أسعد * وتلك من النار فى أنحس
تكيد الظلام وما كادها * فتفنى وتفنيه فى مجلس

بالعبة بذوى الالباب لاعبة * فى أصل حسنك معنى غير متفق
خلقت بيضاء كالكافور ناصعة * فصرت سوداء من مثوالك فى الحدق

وقال أحمد بن بكر الكاتب يامن فؤادى فيها * متيما لا يزال ان كان الليل بدرا * فأنت للصبح خال

وقال الوزير المغربى يارب سوداء تيمتنى * يحسن فى مثلها الغرام
كالليل تستسهل المعاصى * فيه ويستعذب الحرام

وقريب منه قول ابن أبى الجهم
غصن من الابنوس أهدى * من مسك دارين لى ثمارا
ليــل نعيم أظل فيه * للطيب لا أشتهى نهارا

وما أحسن قول بعضهم مضمنا
وسوداء الاديم اذا تبدت * ترى ماء النعيم جرى عليه
رآها ناظرى فصبا اليها * وشبه الشئ منجذب اليه

وقال نجم الدين يعقوب بن صابر
وجارية من بنات الحبوش * ذات جفون صحاح مراض * تعشقتها للتصابى فشبت
غراما ولم آلك بالشيب راضى * وكنت أعيرها بالسواد * فصارت تعيرنى بالبياض

وقد أغرب ابن دفترخوان بقوله
ان لمعت ليلا نجوم السما * بيضا على أدهم مرخى الازار
وأوجب العكس مثالا لها * فى الارض فالسود نجوم النهار

رجع الى شعر الصابئ قال يرثى ابنه سنانا
أسعدانى بالدمعة الحمراء * حل ما حل بى عن البيضاء
يؤلم القلب كل فقد ولا مثـ * ـل افتقاد الآباء للابناء
كنت منى وكنت منك اتفاقا * والتئاما مثل العصا واللحاء
كنت اليتم فى أجل منى * فيك للشكل فى أوان فنائى
ولئن كان من أخيك وأولا * دك ما بعض من برحائى
ولعمرى لربما هيج الشو * ق فزادوا فى لوعتى وبكائى

ألم فيه بقول ابن الرومى ولم يحسن احسانه
وانى وان متعت بابنى بعده * لذاكره ما حنت النيب فى نجد
وأولادنا مثل الجوارح أيما * فقدناه كان الفاجع البين الفقد
لكل مكان لا يسد اختلاله * مكان أخيه من جزوع ومن جلد
هل العين بعد السمع تكفى مكانه * أم السمع بعد العين يهدى كما تهدى

وقال الصابئ مفتخرا من قصيدة
وقد علم السلطان انى أمينه * وكاتبه الكافى السديد الموفق
أوازره فيما عرى وأمده * برأى يريه الشمس والليل أغسق
يحدى نهج العلا وهو دارس * ويفتح بى باب الهدى وهو مغلق
فمنا اى عنا ولفظى لفظه * وعينى له عين بها الدهر يرمق
ولى فقر تضحى الملوك فقيرة * اليها لدى احداثها حين تطرق
أرد بها رأس الجموح فينثنى * وأجعلها سوط الحرون فيعنق
فان حاولت لطفا فماء مروق * وان حاولت عنفا فنار تألق

فقام أبو نصر بن كشاجم وقبل الارض بين يديه وسأله أن يأذن له فى اجازة الابيات فأذن له فقال
وليلتنا هذه ليلة
تشاكل اشكال اقليدس
فيا ربة العود غنى لنا
ويا حامل الكاس لا تجلس
فتقدم بأن يخلع عليه وحملت اليه صلة سنية والى كل من الحاضرين

(وأخبرنى) الامير شمس الدولة عبد الرحمن بن محمد ابن مرشد بن على بن منقذ ابن نصر بن منقذ رحمه الله تعالى قال جرت بينى وبين القاضى المهذب أبى محمد الحسن بن على بن الزبير مفاوضة فى قول الشعر بديها وذلك فى سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة بدار الوزارة بالقاهرة قال كنت فى مبدا عمرى أملى الشعر املاء كالمحفوظ على من يكتبه فرعا سبقته بالاملاء ولا أتوقف فجعلت أتعجب من قوله تعجبا يظاهر منه الاستبعاد فقال وكأنك تستصعب هذا انما الصعب أن تقترح على الشاعر العمل فى معنى مخصوص على قافية شاذة فى وزن معين وان أردت أن تقف على حقيقة ما قلته ليزول عنك الشك وتدركه بالرؤية لا بالرواية فأنشدنى ما أعمل لك عليه قال فأنشدته من شعر الحماسة فان يحبوها أو يحل دون

يسلى قس وسحبان وائل * ويرضى جرير مذهبي والفرزدق
فيغضى لنثرى خاطب وهو مصقع * ويعنو لنظمى شاعر وهو مفلق
مقال لو الاعشى رآهن لم يقل * وبات على النار الندى والمحلق

وقال فى المهلبى الوزير قل للوزير أبى محمد الذى * قد أعجزت كل الورى أوصافه
لك فى المحافل منطق يشفى الجوى * ويسوغ فى أذن الاديب سلافه
فكأن لفظك لؤلؤ متنخل * وكأنما آذاننا أصدافه

وقال أيضا تلوح نواجذى والكاس شربى * وأشربها كأنى مستطيب
وفوق السر لى جهر ضحوك * وتحت الجهر لى سر كئيب
سأثبت اذ يصادمنى زمانى * بركنيه كما ثبت النجيب
وأرقب ماتجىء به الليالى * ففى أثنائه فرج قريب

وقال أيضا فى عضد الدولة
لا تحسب الملك الذى أوتيته * يفضى وان طال الزمان الى مدى
كالدوح فى أفق السماء فروعه * وعروقه متولجات فى الندى
فى كل عام يستجد شبيبة * فيعود ماء العود فيه كما بدا
حتى كأنك دائر فى حلقة * فلكية فى منتهاها المبتدا

وكتب الى عضد الدولة فى يوم مهرجان مع اصطرلاب أهداه اليه
أهدى اليك بنو الاموال واختلفوا * فى مهرجان جديد أنت مبليه
لكن عبدك ابراهيم حين رأى * علو قدرك عن شئ يدانيه
لم يرض بالارض مهداة اليك فقد * أهدى لك الفلك الاعلى بما فيه

ومن لطيف شعره قوله
دفترى مؤنسى وفكرى سميرى * ويدى خادمى وحلمى ضجيعى
ولسانى سيفى وبطشى قريضى * ودواتى عينى ودرجى ربيعى

ومثله قول أبى محمد الخازن فدفترى روضتى ومحبرتى * غدير علمى وصارمى قلمى
وراحتى فى قرار صومعتى * تعلمنى كيف موقع النعم

وقال أبو اسحق الصابئ وهو فى الحبس
اذا لم يكن للمرء بد من الردى * فأسهله ماجاء والعيش أنكد
وأصعبه ماجاءه وهو رائع * تطيف به اللذات والحظ مسعد
فان ألسوء العيشتين أعشها * فانى الى خير المماتين أقصد
وسيان يوماشقوة وسعادة * اذا كان غبا واحد الهما الغد

وقال لقد أخلقت جدتى الحادثات * ومن عاش فى ريبها يخلق
وبدلنى صلعا شاملا * من الصلع الفاحم الاغسق
وقد كنت أمرد من عارضى * فقد صرت أمرد من مفرق

وكتب الى قاضى القضاة ابن معروف وكان قد زاره فى معتقله رقعة نسختها
قوى دخول قاضى القضاة الى نفسى وجدد أنسى وأغرب نحسى ووسع حبسى فدعوت الله بما قد ارتفع اليه وسمعه فان لم أكن أهلا لان يستجاب منى فهو أيده الله تعالى أهل لان يستجاب منه وأقول مع ذلك
دحلت حاكم حكام الزمان الى * صنيعة لك رهن الحبس ممتحن
أخنت عليه خطوب جار جائرها * حتى توفاه طول الهم والحزن

وصلها
لقاء عدو أو وعيد أمير
فلن يمنعوا عينى من دائم البكا
ولن يظهروا مافقد أجن ضميرى
فأنشد مبادرا كأنه يحفظ ماينشده
صبرت على جور الزمان وصرفه
وان كنت يوم البين غير صبور
وان الذى يبغى اعتلاقا بودها
لمستمسك منها بحبل غرور
أرى الناس قد فكوا العناة تحرجا
فهل لك يوما فى فكاك أسير
اذا أظلمت أيامنا من صدودكم
جلوتم بدورا فى ظلام شعور
ولم أر فيمن أستعين به سوى
عذول فمن لى فيكم بعذير
وان ظباء الوحش تحسب منكم
بحسن نفور عندها ونحور
وما كنت ممن يصبح الحب قادرا
عليه ولكن ذاك فعل قدير
قال الامير فحننت استحسانا لما أتى به وتعجبا من سرعته
فقال أنشدنى غير هذا لئلا تقول انه محفوظ لى فامتنعت تحرجا من ذلك فأبى الا أن أنشد فأنشدته
وما فارقت لبنى عن ثقال
ولكن شقوة بلغت مداها
فاسترسل مع آخر انشادى قائلا
وكل منى النفوس الى انقطاع
اذا بلغت لعمرك منتهاها
أناديها وليس تجيب قولى

فماش عن كلمات منك كن له * كالروح عائدة منه الى البدن
وكتب الى بعض الرؤساء عرفت ان سيدنا الاستاذ الجليل أطال الله بقاءه يشتكى التياثا
فلو استطعت أخذت علة جسمه * فقرنتها منى بعلة حالى
وجعلت صحتى التى لم تصف لى * صفواله مع صحة الاقبال
فتكون عندى العلتان كلاهما * والصحتان له بغير زوال
وقال عهدى بشعرى وكله غزل * يضحك عنه السرور والجذل
أيام همى أحبة بهم القلب * عن النائبات يشتغل
والآن شعرى فى كل داهية * نيرانها فى الضلوع تشتعل
أخرج من نكبة وأدخل فى * أخرى فصبرى بهن متصل
كأنها سنة مؤكدة * لابد من أن تقيمها الدول
فالعيش مر كأنه صبر * والموت حلو كأنه عسل
وقال يهجو أيها النابح الذى يتصدى * بقبيح يقوله لجوابى
لاتؤمل انى أقول لك اخسأ * لست أخسو ما الكل الكلاب
وحكى أبو القاسم بن برهان قال دخلت على أبى اسحق الصابى وكان قد لحقه وجع المفاصل وقد أبل والمجلس عنده حافل وأراد أن يريهم انه قادر على الكتابة ففتح الدواة ليكتب فتطاولوا بالنظر الى كتابته فوضع القلم
وقال بديها وجع المفاصل وهو أيسر ما لقيت من الاذى * جعل الذى استحسنته والناس من حظى كذا
والعمر مثل الكاس ير * سب فى أواخره القذى
وقد ألم بهذا المعنى أمين الدولة سبط التعاويذى وزاد فيه فقال
فمن شبه العمر كاسا يقر * قذاه ويرسب فى أسفله
فانى رأيت القذى طافيا * على صفحة الكاس من أوله
والامير سيف الدين بن المشد بقوله
أن ترقى الى المعالى أولو الفضـ * ـل وساخت تحت الثرى السفهاء
فحباب المدام يعلو على الكا * س محلا وترسب الاقذاء
وما أحسن قول ابن زياد فيه أيضا
باضطراب الزمان ترتفع الانـ * ـذال فيه حتى يعم البلاء
وكذا الماء راكدا فاذا حر * ك ثارت من قعره الاقذاء
وقول الآخر بادر الى العيش فالايام راقدة * ولا تكن لصروف الدهر تنتظر
فالعمر كالكاس يبدو فى أوائله * صفوا وآخره فى قعره كدر
ولما مات أبو اسحق الصابى رثاه الشريف أبو الحسن الموسوى بقوله
أعلمت من حملوا على الاعواد * أرأيت كيف خبا ضياء النادى
جبل هوى لو خر فى البحر اغتدى * من وقعه متتابع الازباد
ما كنت أعلم قبل حطك فى الثرى * ان الثرى يعلو على الاطواد
ومنها بعدا ليومك فى الزمان فانه * أقذى العيون وفت فى الاعضاد
لا تطلبى يا نفس خلا بعده * فلمثله أعيى على المرتاد
فقدت ملاءمة الشكول بفقده * وبقيت بين تباين الاضداد
ما مطعم الدنيا بحلو بعده * أبدا وما ماء الحياة ببادى

كأنى قد دعوت بها سواها
سألقى دونها نبل الاعادى
وأرمى منهم من قد رماها
وأصبر للتجنى كل يوم
وما أنا بالصبور على قلاها
سلاها حين مال القلب عنها
ولم يعلق سواها هل سلاها
ومن هذا الذى عنى جاها
على قرب ولم يدخل حماها
وضنت بالسلام على بخلا
وقد ضمنت لطارقها قراها
وعين حل فيها السحر لما
أحلت فى نواظرها قذاها
غدا الاعراض حظ مؤمليها
وأمسى اليأس غاية من رجاها
أود ومهجتى فى راحتيها
مدى الايام لو جعلت فداها
قال الامير وحين انتهى الى هذا الحد رأيت شدة تجهمه وفرط تحفزه وما يعانيه فى احضار ذهنه قطعته اشفاقا عليه (ومما وقع من هذا الباب) وكانت الاجازة فى وسط الشعر صلة لمعنى منقطع ما أخبرنى به الشيخ أبو عبد الله محمد ابن على القرمونى قال أنشد والدى الشيخ أبو الحسن على بن محمد اليحصبى القرمونى قول ابن الرومى
شهر الصيام مبارك
مالم يكن فى شهر آب
خفت العذاب فصمته
فوقعت فى نفس العذاب
فقال هذان البيتان منقطعان ويحتاجان الى ما يصل بينهما فقال بديها

لك فى المشتاق مروان لم تأوه * ومن الدموع روائح وغوادى
سلوا من الابراد جسمك فانثنى * جسمى يسيل عليك فى الابراد

ومنها

الفضل ناسب بيننا اذلم يكن * شرفى مناسبة ولا ميلادى
ان لم تكن من أسرتى وعشيرتى * فلأنت أعلقهم يدا بفؤادى
أو لا تكن عالى الاصول فقد وفى * عظم الجدود بسودد الاجداد

وهى طويلة ورثاه بغير ذلك أيضا وقال وقد ليم على رثاه له انى رثيت علمه وكان سنه أربعا وثمانين سنة ومات ابنه المحسن على كفره أيضا وان ابنه هلال أسلم بآخر وتوفى سنة ثمان وأربعين وأربعمائة رحمه الله تعالى

(ياصاحبىّ تقصيا نظريكما * تريا وجوه الارض كيف تصوّر)
(تريا نهارا مشمسا قد شابه * زهر الربا فكأنما هو مقمر)

البيتان لابى تمام الطائى من قصيدة من الكامل يمدح بها المعتصم أوّلها

رقت حواشى الدهر فهى تمرمر * وغدا الثرى فى حليه يتكسر
نزلت مقدمة المصيف حميدة * ويد الشتاء جديدة لا تكفر
لولا الذى غرس الشتاء بكفه * قاسى المصيف هشائما لا تثمر
كم ليلة آسى البلاد بنفسه * فيها ويوم وبله متفجر
مطر يذوب الصحو منه وبعده * صحو يكاد من الغضارة يمطر
غيثان فالانواء غيث ظاهر * لك وجهه والصحو غيث مضمر
وندى اذا ادّهنت به لمم الثرى * خلت السحاب أتاه وهو معذر
أربيعنا فى تسع عشرة حجة * حقا لهنك للربيع الازهر
ما كانت الايام تسلب بهجة * لو أن حسن الروض كان يعمر
أولا ترى الاشياء ان هى غيرت * سمجت وحسن الارض حين تغير

وبعده البيتان وبعدهما

دنيا معاش للورى حتى اذا * حل الربيع فانما هى منظر * أضحت تصوغ بطونها لظهورها
نورا تكاد له القلوب تنوّر * من كل زاهرة ترقرق بالندى * فكأنها عين اليك تحدّر

وهى طويلة ومعنى تقصيا نظريكما أبلغا أقصى نظريكما وغاية ما تبلغانه واجتهدا فى النظر وتصوّرا أصلها تتصوّر بحذف احدى التاءين (والشاهد فيهما) تشبيه المركب بالمركب فانه شبه الشمس الذى احتاط به ازهار الربوات فنقصت باخضرارها من ضوء الشمس حتى صار يضرب الى السواد بالليل المقمر فالمشبه مركب والمشبه به مفرد قيل ولا يخلو هذا من تسامح

(كأن قلوب الطير رطبا ويابسا * لدى وكرها العناب والحشف البالى)

البيت من الطويل وقائله امرؤ القيس من قصيدته السابقة فى أوّل هذا الفن وقبله

كأنى بفتخاء الجناحين لقوة * على عجل منها أطأطئ شمالى
تخطف خزان الانيعم بالضحى * وقد حجرت منها ثعالب أورال

وبعده البيت وبعده

فلو أن ما أسعى لأدنى معيشة * كفانى ولم أطلب قليل من المال
ولكنما أسعى لمجد مؤثل * وقد يدرك المجد المؤثل أمثالى
وما المرء ما دامت حشاشة نفسه * بمدرك أطراف الخطوب ولا آلى

والحشف أردأ التمر والضعيف الذى لا نوى له أو اليابس الفاسد (والشاهد فيه) التشبيه المكفوف وهو أن يؤتى على طريق العطف أو غيره بالمشبهات أوّلا ثم بالمشبه بها فهما شبه الرطب الطرى من قلوب الطير

اليوم فيه كأنه
من طوله يوم الحساب
والليل فيه كأنه
ليل التواصل والعتاب

﴿الباب الثالث فى بدائع بدائه التمليط﴾

التمليط هو أن يجتمع شاعران فصاعدا على تجريد أفكارهم وتجريب خواطرهم فى العمل فى معنى واحد وأما اشتقاقه فذكر ابن رشيق أنه من أحد شيئين اما أن يكون من الملاطين وهما جانبا السنام فى مرد الكتفين قال جرير

طالبن حوالى خدر أسماء وانتحى * باسماء موار الملاطين أروح

فكأن كل قسيم أو بيت ملاط أى جانب من البيت أو القطعة والآخر أن يكون من الملاط وهو الطين يدخل فى البناء ويملط به الحائط تمليطا أى يدخل بين اللبن حتى يصير شيأ واحدا وأما الملط وهو الذى لا يبالى ما صنع والاملط وهو الذى لا شعر له فى جسده فليس لاشتقاقه منهما وجه (قال على بن ظافر) فمن التمليط ما يكون بين شاعرين ومنه ما يكون بين شعراء ومنه ما يكون بقسيم لقسيم ومنه ما يكون ببيت لبيت ومنه ما يكون ببيتين لبيتين والفرق بينه وبين الاجازة أن التمليط يتفق فيه الشعراء قبل العمل على العمل

بالعناب والبادس العتيق منها بالحشف البالى اذليس لاجتماعهما هيئة مخصوصة يعتد بها ويقصد تشبيهها ولذا قال الشيخ عبد القاهر انه انما يتضمن الفضيلة من حيث اختصار اللفظ وحسن الترتيب فيه لا أن للجمع فائدة فى عين التشبيه وذكرت بهذا البيت ما ضمنه الجمال ابن نباتة مجونا وهو

دنوت اليها وهو كالفرخ راقد * فـوا خجلتى لما دنوت واذلالى

وقالت امعكيه بالأنامل فالتقى * لدى وكرها العناب والحشف البالى

(النشر مسك والوجوه دنا * نير وأطراف الاكف عنم)

البيت لمرقش الاكبر من قصيدة من السريع قالها فى مرثية عم له أولها

هل بالديار أن تجيب صمم * لو أن حيا ناطقا كلم

الدار وحش والرسوم كما * رقش فى ظهر الاديم قلم

ديار سلمى التى سلبت * قلبى فعينى ماؤها يسجم

أضحت خلاء نبتها تشد * نور فيها زهره فاعتم

بل هل شجتك الظعن باكرة * كأنهن النخل من ملهم

وبعده البيت ومنها لسنا كأقوام خلائقهم * نث الحديث ونكهة المحرم

ان يخصبوا يعنوا بخصبهم * أو يجدبوا فهم به ألأم

وهى قصيدة طويلة ليست بصحيحة الوزن ولا حسنة الروى ولا متخيرة اللفظ ولا لطيفة المعنى قال ابن قتيبة ولا أعلم فيها شيأ يستحسن الاقوله النشر مسك البيت ويستجاد منها أيضا قوله

ليس على طول الحياة ندم * ومن وراء المرء ما يعلم

النشر الريح الطيبة أو أعم أو ريح فم المرأة وأعطافها بعد النوم والعنم شجر لين الاغصان يشبه به بنان الجوارى وقيل هى أطراف الخروب الشامى عن أبى عبيدة وقيل هو شجر له أغصان حمر وقيل هو ثمر العوسج يكون أخضر ثم يسود اذا عقد ونضج (والشاهد فيه) التشبيه المفروق وهو أن يؤتى بمشبه ومشبه به ثم آخر وآخر وهو واضح فى البيت ونظيره قول المتنبى

بدت قمرا ومالت خوط بان * وفاحت عنبرا ورنت غزالا

وتبعه أبو القاسم الزاهى فقال

سفرن بدورا وانتقبن أهلة * ومسن غصونا والتفتن جآذرا

وأطلعن فى الاجياد بالدر أنجما * جعلن لحبات القلوب ضرائرا

وممن نسج على هذا المنوال اسمعيل الشاشى فانه قال من قصيدة

رأيت على أكوارنا كل ماجد * يرى كل ما يبقى من المال مغرما

ندوم أسيافا ونعلو قواضبا * ونقض عقبانا ونطلع أنجما

وقال أبو الحسن الجوهرى فى وصف الخمر الا انه ثلث التشبيه

يقولون بغداد التى اشتقت رهة * تبا كرها والعبقرى المقيرا

اذا فض عنه الختم فاح بنفسجا * وأشرق مصباحا ونور عصفرا

ولبعض الشعراء فى غلام مغن

فديتك يا أتم الناس ظرفا * وأصلحهم لمتخذ حبيبا

فوجهك نزهة الابصار حسنا * وشدوك متعة الاسماع طيبا

وسائلة تسائل عنك قلنا * لها فى وصفك العجب العجيبا

رنا ظبيا وغنى عندليبا * ولاح شقائقا ومشى قضيبا

ولابن الاثير الجزرى

أو يقذفون لذلك وتنكرر منهم المناوبة وهذان ليسا من شروط الاجازة (فماوقع من التمليط بين شاعرين بقسيم لقسيم) وهذا النوع يسمى المماتنة ما أنبأنى به الشيخان تاج الدين الكندى وجمال الدين الحرستانى اجازة عن الامام الحافظ أبى القاسم على بن الحسن بن عساكر الدمشقى قال أخبرنا محمد بن طاوس أخبرنا عاصم بن الحسن أخبرنا أبو الحسين بن بشران أخبرنا الحسن بن صفوان حدثنا أبو بكر بن أبى الدنيا حدثنى أبو عدنان البصرى حدثنى الصامت بن مخمل اليشكرى سنة احدى وتسعين ومائة وأخبرنى به أبو عبيدة عن أبى عمرو بن العلاء قال أقبل امرؤ القيس حتى لقى التوأم اليشكرى وكان اسمه الحرث ويكنى أبا شريح فقال امرؤ القيس أحار ترى بريقا هب وهنا فقال التوأم كنار مجوس تستعر استعارا فقال امرؤ القيس أرقت له ونام أبو شريح فقال التوأم اذا ما قلت قد هدأ استطارا فقال امرؤ القيس كأن حنينه والرعد فيه فقال التوأم عشار وله لاقت عشارا فقال امرؤ القيس فلم يترك ببطن الارض ظبيا

منوّع الحسن يبدى من محاسنه * لأعين الناس أوصافا وأشكالا

فلاح بدرا ووافى دمية وذكا * مسكا وعلّ طلا وازورّ رئبالا

وافترّ درّا وغنّى بلبلا وسطا * عضبا وماس نقا واهتز عسالا

وما أحسن قوله أيضا

ان التى ملكتنى فى الهوى ملكت * مجامع الحسن حتى لم تدع حسنا

رنت غزالا وفاحت روضة وبدت * بدرا وماجت غديرا وانثنت غصنا

ولابن سكرة الهاشمى أيضا

فى وجه انسانة كلفت بها * أربعة ما اجتمعن فى أحد

الخد ورد والصدغ غالية * والريق خمر والثغر من برد

والمرقش اسمه عمرو وقيل عوف بن سعد بن مالك ينتهى نسبه لبكر بن وائل وهو أحد من قال شعرا فلقب به وهو أحد المتيمين كان يهوى ابنة عم له وهى أسماء بنت عوف بن مالك وكان المرقش الاصغر ابن أخى المرقش الاكبر واسمه ربيعة وقيل عمرو وهو عم طرفة بن العبد وهو أيضا أحد المتيمين كان يهوى فاطمة بنت المنذر الملك ويشبب بها وكان للمرقشين جميعا موقع فى بكر بن وائل وحروبها مع بنى تغلب وبأس وشجاعة ونجدة وتقدم فى المشاهد ونكاية فى العدو وحسن أثر (وكان) من خبر المرقش الاكبر أنه عشق ابنة عمه أسماء بنت عوف وهو غلام فخطبها الى أبيها فقال لا أزوجك اياها حتى تعرف بالبأس وكان يعده فيها المواعيد الكاذبة ثم انطلق مرقش الى ملك من الملوك وكان عنده زمانا ومدحه فأجازه وأصاب عوفا زمان شديد فأتاه رجل من مراد فأرغبه فى المال فزوجه أسماء على مائة من الابل ثم تنحى عن بنى سعد بن مالك ورجع مرقش فقال اخوته لا تخبروه الا أنها ماتت فذبحوا كبشا وأكلوا لحمه ودفنوا عظامه ولفوها فى ملحفة ثم قبروها فلما قدم مرقش عليهم أخبروه أنها ماتت وأتوا به موضع القبر فنظر اليه وصار بعد ذلك يعتاده ويتردد اليه ويزوره فبينا هو ذات يوم مضطجع وقد تغطى بثوبه وابنا أخيه يلعبان بكعبين لهما اذ اختصما فى كعب فقال أحدهما هذا كعبى أعطانيه أبى من الكبش الذى دفنوه وقالوا اذا جاء مرقش أخبرناه أنه قبر أسماء فكشف مرقش عن رأسه ودعا الغلام وكان قد ضنى ضنى شديدا فسأله عن الحديث فأخبره به وبتزوج المرادى أسماء فدعا مرقش وليدة له ولها زوج من عقيل كان عشير المرقش فأمرها بأن تدعو له زوجها فدعته وكان له رواحل فأمره باحضارها ليطلب المرادى فأحضره اياها فركبها ومضى فى طلبه فمرض فى الطريق حتى ما يحمل الا معروضا ثم انهما نزلا كهفا بأسفل نجران وهى أرض مراد ومع العقيلى امرأته وليدة مرقش فسمع مرقش زوج الوليدة يقول لها اتركيه فقد هلك سقما وهلكنا معه ضرا وجوعا فجعلت الوليدة تبكى من ذلك فقال لها زوجها أطيعينى والا فانى تاركك وذاهب قال وكان مرقش يكتب كان أبوه دفعه وأخاه حرملة وكان أحب ولده اليه الى نصرانى من أهل الحيرة فعلمهما الخط فلما سمع مرقش قول العقيلى للوليدة كتب مرقش على مؤخر الرحل هذه الابيات

ياصاحبىّ تلبثا لا تعجلا * ان الرواح رهين أن لا تفعلا

فلعل لبثكما يفرط سيئا * أو يحدث الاسراع سيئا مقبلا

ياراكبا اما عرضت فبلغن * أنس بن سعد ان لقيت وحرملا

لله دركما ودرّ أبيكما * أن يفلت العقلىّ حتى يقتلا

من مبلغ الاقوام ان مرقشا * أضحى على الاصحاب عبأ مثقلا

وكأنما ترد السباع بشلوه * اذ غاب جمع بنى ضبيعة منهلا

قال فانطلق العقيلى وامرأته حتى رجعا الى أهليهما فقالا مات المرقش ونظر حرملة الى الرحل وجعل يقلبه وقرأ الابيات فدعاهما وخوفهما وأمرهما أن يصدقاه فأخبراه الخبر فقتلهما وكان العقيلى قد وصف له الموضع فركب فى طلب المرقش حتى أتى المكان فسأل عن خبره وعرف ان مرقشا كان فى الكهف ولم يزل فيه حتى اذا هو بغنم تنزو على الغار الذى هو فيه وأقبل راعيها اليها فلما بصر به قال له من أنت وما شأنك

فقال التوأم

ولم يترك بجهلتها حمارا

فقال امرؤ القيس

فلما أن دنا لقفا أضاخ

فقال التوأم

وهت اعجاز ريقه فحارا

فقال امرؤ القيس لا أتعنت على أحد بعد ذلك (وروى) ابن الكلبى عن أبيه قال حدثنى شيخ من بنى زياد بن عبد المدان وكان عالما بقومه قال نشأ غلام من بنى جنب يقال له رفاعة ويقال له المحترش فنبغ فى الشعر ومات شعراء قومه حتى أبر عليهم فلما وثق من نفسه بذلك قال لابيه لأخرجن فى قبائل اليمن فان وجدت أحدا عاتبنى رجعت الى بلادى وان لم أصادف من عاتبنى تقريت قبائل العرب فنزل بصرم من بنى فهد والحى خلوف فأتى حجرة عن جنب الخواء فاذا عجوز حيزبون قد أقبلت معتمة تتوكأ على محجن فقالت عم ظلاما فقال نعم ظلامك فقالت ممن الرجل قال فقلت من مذحج قالت من أيهم قلت من جنب قالت أضيف أنت فقلت نعم قالت فلا حياك الله ما عدوت أن بخلتنا وأسأت أحدوثتنا ثم أثارت ناقتى وكنتها فى خبائها وأمرت وليدة لها فجاءت بعتود يمرح فى اهابه سمنا ومدية وقالت اذبح أيها الرجل واعتجنت

فقال له مرقش أنا رجل من مراد وقال له فراعي من أنت قال راعي فلان فاذا هو راعي زوج أسماء فقال له مرقش أتستطيع أن تكلم أسماء امرأة صاحبك قال لا ولا أدنو منها ولكن تأتيني جاريتها كل ليلة فأحلب لها عنزا فتأتيها بلبنها فقال له خذ خاتمي هذا فاذا حلبت فألقه في اللبن فانها ستعرفه وانك مصيب به خيرا لم يصبه راع قط ان أنت فعلت ذلك فأخذ الراعي الخاتم وفعل ذلك ولما راحت الجارية بالقدح وحلب لها العنز طرح الخاتم فيه فانطلقت الجارية به وتركته بين يديها فلما سكنت الرغوة أخذته فشربته وكذلك كانت تصنع فقرع الخاتم ثنيتها فأخذته واستضاءت بالنار فعرفته فقالت للجارية ما هذا الخاتم قالت ما لي به علم فأرسلتها الى مولاها وهو في شرف بنجران فأقبل فزعا فقال لها لم دعوتني فقالت له أدع عبدك راعي غنمك فدعاه فقالت سله أين وجد هذا الخاتم فقال وجدته مع رجل في كهف خبان وقال لي اطرحه في اللبن الذي تشرب به أسماء فانك تصيب به خيرا وما أخبرني من هو ولقد تركته بآخر رمق فقال لها زوجها وما هذا الخاتم قالت خاتم مرقش فأعجل الساعة في طلبه فركب فرسه وحملها على فرس آخر وسارا حتى طرقاه من ليلتهما فاحتملاه الى أهليهما فمات عند أسماء فدفن في أرض مراد (وحدث التوزري) قال كان مساور الوراق وحماد عجرد وحفص بن أبي بردة مجتمعين على شراب وكان حفص مرميا بالزندقة وكان أعمش أفطس أغضف مقبح الوجه فجعل حفص يعيب شعر المرقش ويلحنه فأقبل عليه مساور فقال

لقد كان في عينيك يا حفص شاغل * وأنف كثيل العود عما تتبع * تتبعت لحنا في كلام مرقش
ووجهك مبني على اللحن أجمع * فأذناك اقواء وأنفك مكفأ * وعيناك أيطاء فأنت المرقع

فقام حفص من المجلس خجلا وهجره مدة

﴿صدغ الحبيب وحالي * كلاهما كالليالي﴾

هو من المجتث ولا أعرف قائله (والشاهد فيه) تشبيه التسوية وهو تعدد طرف المشبه وهو هنا الصدغ والحال دون المشبه به وهو الليالي ومثله قول أبي محمد المطراني

مهفهفة لها نصف قضيف * كخوط البان في نصف رداح
حكت لونا ولينا واعتدالا * ولحظا قاتلا سمر الرماح

﴿كأنما يبسم عن لؤلؤ * منضد أو برد أو أقاح﴾

البيت للبحتري من قصيدة من السريع يمدح بها أبا نوح عيسى بن ابراهيم أولها

بات نديما لي حتى الصباح * أغيد مجدول مكان الوشاح
كأنما يضحك عن لؤلؤ * منظم أو برد أو أقاح

هكذا وجدت البيت في ديوانه

تحسبه نشوان أما رنا * للفتر من أجفانه وهو صاح * بت أفديه ولا أرعوي
لنهي ناه عنه أولحي لاح * أمزج كاسي بجنى ريقه * وانما أمزج راحا براح
يساقط الورد علينا وقد * تبلج الصبح نسيم الرياح * أغضيت عن بعض الذي يتقى
من حرج في حبه أو جناح * سحر العيون النجل مستهلك * لبي وتوريد الخدود الملاح

والمنضد المنظم والبرد حب الغمام والأقاح جمع أقحوان وهو ورد له نور (والشاهد فيه) تعدد طرف المشبه به وهو هنا اللؤلؤ والبرد والأقاح دون المشبه وهو الثغر وقد جاء تشبيه الثغر بخمسة في قول الحريري

يفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد * وعن أقاح وعن طلع وعن حبب

ومثل البيت المستشهد به قول امرئ القيس

كأن المدام وصوب الغمام * وريح الخزامى ونشر القطر يعل به برد أنيابها * اذا غرد الطائر المستحر

ومن محاسن تعدد التشبيه قول الصاحب بن عباد في وصف أبيات أهديت اليه

واملت وطبخت وقربت طعاما وجلست أنا وهي والوليدة فلما تعشينا قالت ما رمى بك الى هذه البلاد فأخبرتها خبري فضحكت وقالت بت فسأجيئك غدا بعشر خرائد تنسك دون الرجال فان غلبت فارجع الى بلادك واعلم انك ترى من مرام قبت فلما أصبحنا اذا العجوز قد أقبلت ومعها ثلاث فتيات كالمهرات فابتدرن الى الحجرة وأقبلت العجوز تحييني وسألتني عن مبيتي ثم أومأت الى احداهن فأقبلت كالعيدانة يميلها الصبا فقالت أنت المتحدي بالمماتنة فقلت نعم فقالت قل أسمع فقلت

سوام تداعت سومها وعجافها

فقالت

حوامل أثقال تنوء فتزرح

فقلت

اذا أيهت في حجرتيها رعاؤها

فقالت

سمت فرق منها شوامل لقح

فقلت

نواء تداعى بالحنين عشارها

فقالت

فتبرح بارا أو تبيت فتسنح

فقلت

اذا وصلت أرضا سقتها بدرها

فقالت

أفاويق رسل محضه لا تضيح

فقلت

اذا انسفعت أخلافها خلت

ماجرى فقالت

أتتني بالامس أبياته * تعلل روحي بروح الجنان * كبرد الشباب وبرد الشراب
وظل الامان ونيل الاماني * وعهد الصبا ونسيم الصبا * وصفو الدنان ورجع القيان

وقول الثعالبي في الامير أبي الفضل الميكالي

لك في المحاسن معجزات جمة * أبدا لغيرك في الورى لم تجمع * بحران بحر في البلاغة شابه
شعر الوليد وحسن لفظ الاصمعي * كالنور أو كالسحر أو كالدر أو * كالوشي في برد عليه موشع

﴿صدفت عنه ولم تصدف مواهبه * عني وعاوده ظني فلم يخب﴾
﴿كالغيث ان جئته وافاك ريقه * وان ترحلت عنه لج في الطلب﴾

البيتان لابي تمام من قصيدة من البسيط يمدح بها الحسن بن رجاء بن الضحاك أولها

أبدت أسى ان رأتني مخلس القصب * وآل ما كان من عجب الى عجب
ست وعشرون تدعوني فاتبعها * الى المشيب ولم تظلم ولم تحب
يومي من الدهر مثل الدهر تجربة * حزما وعزما وساعي منه كالحقب
وأصغري أن شيبا لاح بي حدثا * وأكبري أنني في المهد لم أشب
ولا يؤرقك ايماض القتير به * فان ذاك ابتسام الرأي والادب

يقول في مديحها

ستصبح العيس بي والليل عندفتى * كثير ذكر الرضى في ساعة الغضب

وبعده البيتان ومعنى صدفت أعرضت وريق كل شئ أوله وأصله والرواية في ديوان أبي تمام مروءته بدل مواهبه وكان بدل لج وذكرت بقوله فان ذاك ابتسام الرأي والادب قول أبي الحسن علي بن طاهر بن منصور

أعرضت حين أبصرت شعرات * في عذاري كأنهن الثغام
قلت هذا تبسم الدهر قالت * قد سعى في صدودك الابتسام

(والشاهد في البيتين) التشبيه المجمل المذكور فيه وصف المشبه والمشبه به فانه وصف الممدوح بأن عطاياه فائضة عليه أعرض أو لم يعرض وكذا وصف الغيث بأنه يصيبك جئته أو ترحلت عنه وهذان الوصفان مشعران بوجه الشبه أعني الافاضة في حالتي الطلب وعدمه وحالتي الاقبال عليه والاعراض عنه

﴿وثغره في صفاء * وأدمعي كاللآلي﴾

البيت من المجتث وهو كالبيت السابق (والشاهد فيه) التشبيه المفصل وهو ما ذكر فيه وجه الشبه وهو هنا الصفاء

﴿وحملت ردينيا كأن سنانه * سنا لهب لم يتصل بدخان﴾

البيت لامرئ القيس من قصيدة من الطويل أولها

لمن طلل أبصرته فشجاني * كخط زبور في عسيب يماني * ديار لهند والرباب وفرتنى
ليالينا بالنعف من بدلان * ليالي يدعوني الصبا فأجيبه * وأعين من أهوى الي رواني
فان أمس مكروبا فيارب بهمة * كشفت اذا ما اسود وجه جبان * وان أمس مكروبا فيارب قينة
منعمة أعملتها بكران * لها مزهر يعلو الخميس بصوته * أجش اذا ما حركته يدان

وهي طويلة والرديني الرمح نسبة الى امرأة كانت تعمل الرماح اسمها ردينة (والشاهد فيه) تفصيل التشبيه وهو على وجوه أعرفها أن يأخذ بعضا من الاوصاف ويدع بعضا كما فعل امرؤ القيس هنا حيث عزل الدخان عن السنا وجرده وذكرت بأبيات امرئ القيس هذه تضمين أبي الحسين الاشبيلي لبعضها وكان قد تناول من يد معذر الاشعار الستة فأول ما وقعت عينه على قصيدة امرئ القيس هذه قال

وذي صلف خط العذار بخده * كخط زبور في عسيب يماني

على الارض منه بجمة تتضضح فقلت
أمطلقة أم ذات بعل فقالت
عقال لعمر والله لو شئت بته
شرادي ولكن التكرم أجدر
فقمت الى راحلتي فقالت
العجوز رويت أم أحاب
لك أخرى فقلت أروتني
الاولى فقالت الحق الآن
بأرضك خرجت أريد
الرجوع الى قومي فأبى بي
اللجاج الاقصد ما خرجت
اليه فدفعت الى صرم من
جرم فاذا صبيان على غدير
يرتجزون فدعوت غلاما
منهم من أبشرهم فقلت
يا غلام هل في صرمكم من
يماتنني فاني قد برزت على
شعراء العرب فقال
أنا فقلت أنت أيها الفصيعل
فقال
قل ودع عنك ما لا يجدي
فقلت
أوابد كالجزع الظفاري أربع
فقال
جاهن جون الطرتين مولع
فقلت
يرودهن الروض في الامن
جاره فقال
وأحلى لهن المستضى والمودع
فقلت
فلما اشتكت امات قرد انه السعا
فقال
وحب على البيد السفير المذع
فقلت

فقلت له مستفهما كنه حاله * لمن طلل أبصرته فشجانى
فقال ولم يملك عزاء لنفسه * تمتع من الدنيا فانك فانى
فما كان الا برهة اذ رأيته * كنيس ظباء الحلب والعدوان

﴿لم تلق هذا الوجه شمس نهارنا * الا بوجه ليس فيه حياء﴾

البيت للمتنبى من قصيدة من الكامل يمدح بها هرون بن عبد العزيز الاوارجى وأولها

أمن ازديارك فى الدجى الرقباء * اذ حيث كنت من الظلام ضياء
قلق المليحة وهى مسك هتكها * ومسيرها فى الليل وهى ذكاء
أسفى على أسفى الذى دلهتنى * عن علمه فيه على خفاء
وشكيتى فقد السقام لانه * قد كان لما كان لى أعضاء
مثلت عينك فى حشاى جراحة * فتشابها كلتاهما نجلاء
نفذت على السابرى وربما * تندق فيه الصعدة السمراء
انا صخرة الوادى اذا ما زوحمت * فاذا نطقت فاننى الجوزاء
واذا خفيت على الغبى فعاذر * أن لا ترانى مقلة عمياء

ومنها

فاذا سئلت فلا لانك محوج * واذا كتمت وشت بك الالاء
واذا مدحت فلا لتكسب رفعة * للشاكرين على الاله ثناء
واذا مطرت فلا لانك مجدب * يسقى الخصيب وتمطر الدأماء

(والشاهد فى البيت) التصرف فى التشبيه القريب المبتذل بما يجعله غريبا ويخرجه عن الابتذال فان تشبيه الوجه بالشمس قريب مبتذل لكن حدوث الحياء عنه قد أخرجه عن الابتذال الى الغرابة لاشتماله على زيادة دقة وخفاء ثم ان كان قوله لم تلق من لقيته بمعنى أبصرته فالتشبيه فيه مكنى غير مصرح وان كان بمعنى قابلته وعارضته فهو فعل ينبئ عن التشبيه أى لم تقابله ولم تعارضه فى الحسن والبهاء الا بوجه ليس فيه حياء ومثله قول الآخر

ان السحاب لتستحيى اذا نظرت * الى نداك فقاسته بما فيها

﴿عزماته مثل النجوم ثواقبا * لو لم يكن للثاقبات أفول﴾

البيت لرشيد الدين الوطواط من قصيدة من الكامل والثواقب جمع ثاقب وهو النجم المرتفع على النجوم والافول الغيبة (والشاهد فيه) كما فى البيت الذى قبله فان تشبيه العزم بالنجم مبتذل لكن الشرط المذكور أخرجه الى الغرابة ويسمى هذا التشبيه المشروط وهو أن يقيد المشبه أو المشبه به أو كلاهما بشرط وجودى أو عدمى يدل عليه بصريح اللفظ أو سياق الكلام وسيأتى ذكر الوطواط فى شواهد التغريق ان شاء الله تعالى

﴿والريح تعبث بالغصون وقد جرى * ذهب الاصيل على لجين الماء﴾

البيت من الكامل ولا أعرف قائله وعبث الريح بالغصون عبارة عن امالتها اياها والاصيل هو الوقت من بعد العصر الى الغروب يوصف بالصفرة قال الشاعر

ورب نهار للفراق أصيله * ووجهى كلا لونيهما متناسب

وما أحسن قول الخطيب أبى القاسم بن معاوية فيه

كأن الموج فى عبريه ترس * تذهب متنه كف الاصيل

وقوله أيضا

لجدوله فى سرحة الماء منصل * ولكنه فى الجذع عطف سوار
وأمواجه أرداف غيد نواعم * تلف من بالآصال ريط نضار

وشت على الاكباد نار من الصدى فقال
تظل لنا بين الحيازيم تسفع
فقلت أولى لك وامتطيت راحلتى حتى دفعت الى شيخ يرعى غنيمات له فاستقريته فقام مبادرا الى قعب له فاحتلب ما كان فى ضروعهن ثم جاءنى به فشربت فلما اطمأننت قال ما رمى بك الى هذا القطر فاخبرته وكتمت ما لاقيت فكثر وصاح بغلمة يرعون قريبا منه فاقبل غلام منهم فقال ادع عشرقة خالك أن أقبلت جويرية عجفاء كأنما وبيلة خيسفوج حتى وقفت بين يديه فقال ان ابن عمك هذا أخرج من بلاده يتصدى بالمامتنة فهل عندك شئ فقالت قل أيها المتصدى وانهم التقلب عينيها كعينى الارقم فقلت
فيا سمرة زرقاء فى ظل صخرة
فقالت
ذخيرة غراء الدرى جونة النصد فقلت
أبى سيلان الريح عن متنها القذى فقالت
وذادت غصون الايك عن متنها الوفد فقلت
سباب محاج احلص الديراربه فقالت
بصهباء صرف حبيب عن صفوها الزبد

ومثله لابن الابار ونهر كما ذابت سبائك فضة * حكى بمحانيه انعطاف الاراقم

اذا الشفق استولى عليه احمراره * تبدّى خضيبا مثل دامى الصوارم

ولابن قلاقس فى تشبيه الشمس وقت الاصيل

والشمس فى وقت الاصيل بهارة لفت بورد

وله أيضا فى معنى ماسبق كأن الشعاع على متنه * فرند بصفحة سيف صدى

وأشبه اذ درّجته الصبا * برادة تبر على مبرد

ومن بديع ماوقع لشاعر فى وصف نهر جعده النسيم قول ابن حمديس وقد جلس فى متنزه باشبيلية ومعه جماعة من الادباء وقد هبت ريح لطيفة صنعت من الماء حبكا جميلة فأنشد حاكت الريح من الماء زرد واستجاز الحاضرين فأتوا بالمرض الى أن قال الشاعر المشهور بالجام مجيزاله هو درع لقتال لو جمد ومن الاندلسيين من ينسب هذا البيت الى أبى القاسم بن عباد ولابن حمديس المذكور مطلع قصيدة من وزن هذا البيت وقريب من معناه وهو

نثر الجوّ على الترب برد * هو درّ النحور لو جمد لؤلؤ أصدافه السحب التى * أنجز البارق فيها ماوعد

ومن بديع ماوقع له فيهما من التشبيه أيضا قوله

وكأن الصبح كف حلّت * من ظلام الليل بالنور عقد

وكأن الشمس تجرى ذهبا * طائرا من جيده فى كل يد

ومن بديع مايذكر فى معنى البيت المستشهد به قول عبد العزيز بن المفتل القرطبى أو ابن الحداد

انى أرى شمس الاصيل عليلة * ترتاد من بين المغارب مغربا

مالت لتحجب شخصها فكأنما * مدّت على الدنيا بساطا مذهبا

وما أحسن قول ابن لؤلؤة الدهبى

وما ذهبت شمس الاصيل عشية * الى الغرب حتى ذهبت فضة النهر

وما أبدع قول الآخر أيضا

ونهر اذا ما الشمس حان غروبها * عليه ولاحت فى ملابسها الصفر

رأينا الذى أبقت به من شعاعها * كأنا أرقنا فيه كأسا من الخمر

وقول ابراهيم بن خفاجة أيضا

وقد غشى النبت بطحاءه * كبدو العذار بخدّ أسيل

وقد ولت الشمس محتثة * الى الغرب ترنو بطرف كحيل

كأن سناها على نهره * بقايا نجيع بسيف صقيل

وبديع أيضا قول ابن سارة هنا

النهر قد رقت غلالة صفوه * وعليه من صبغ الاصيل طراز

تترقرق الامواج فيه كأنها * عكن الخصور تهزها الاعجاز

وما أعذب قول الحسن بن سراج فيه

عمرى أبا حسن لقد جئت التى * عطفت عليك ملامة الاحوان

لما رأيت اليوم ولى عمره * والليل مقتبل الشبيبة دانى

والشمس تنفض زعفرانا بالربا * وتعت مسكتها على القيعان

أطلعتها شمسا وأنت صباحها * وحففتها بكواكب الندمان

وأتيت بدعا فى الانام محاسدا * فيما قرنت ولات حين قران

وما أبدع قول عيسى بن لبون أيضا

لو كنت تشهد باهذا عشيتنا * والمزن يسكب أحيانا وينهمر

فتركت ماقصدت له وملت الى جهة أخرى ووصفت ناقة فقلت

اذا انشنج الحرباء فى رأس عوده فقالت

وألجأ أم الحسل فى مائها الصفد فقالت

أثارت تنونا بين تحت جناحها فقالت

حوانك أشباه كرانية الجلد قال فسرحت وآليت أن لا أماتن أحدا ماعشت (تفسير مافى الكلام والشعر) العتود الجذع من الغنم أو فوق ذلك والعيدانة النخلة الطويلة قال الشاعر

واذا مشين مشين غير جوارب * هز الجنوب نواعم العيدان

والشوامر التى قد شالت بأذيالها أى رفعتها والنواء السمان الواحدة ناوية قال الشاعر

ألا ياحمز للشرف النواء * وهن معقلات بالفناء

والبارح الذى يمر ومياسره عن مياسرك والسانح الذى يمر وميامنه عن ميامنك وأهل نجد يتيامنون بالسانح ويتشاءمون بالبارح وأهل الحجاز يخالفونهم فى ذلك والفاو بق جمع فواق ويمكن أن يكون جمع فيقة وهى السكتة بين الحلبتين والسكتة بين الحلبتين قال حتى اذا فيقة فى ضرعها اجتمعت

والارض مصفرة بالمزن كاسية * أبصرت تبرا عليه الدر ينتثر
وبديع أيضا قول أبي العلاء المعري
ثم شاب الدجى وخاف من الهجـ * ـر فغطى المشيب بالزعفران
وقول أسعد بن ابراهيم بن أسعد بن بليطة
لو كنت شاهدنا عشية أنسها * والمزن يبكينا بعيني مذنب * والشمس قد مدت أديم شعاعها
في الارض تجنح غيران لم تذهب * خلت الرذاذ برادة من فضة * قد غربلت من فوق نطع مذهب
ولابن حمديس في وصف نهر ألقت الشمس عليه حمرتها عند الشروق من أبيات
ومشرق كيمياء الشمس في يده * ففضة الماء من القائها ذهب
ومثله أيضا قول أبي العلاء المعري
يظن به ذوب اللجين فان بدت * له الشمس أجرت فوقه ذوب عسجد
وبديع قول الشريف أبي القاسم شارح مقصورة حازم
وغريبة الانشاء سرنا فوقها * والبحر يسكن تارة ويموج
بجنانها نوم بها معاهد طالما * كرمت فعاج الحسن حين تعوج
وامتد من شمس الاصيل أمامنا * نور له مرءى هناك بهيج
فكأن ماء البحر ذائب فضة * قد سال فيه من النضار خليج
وبديع قول ابن العطار وهو في معنى قول ابن حمديس السابق وهو
مررنا بشاطي النهر بين حدائق * بها حدق الازهار تستوقف الحدق
وقد نسجت كف النسيم مفاضة * عليه وما غير الحباب لها حلق
وقوله أيضا هبت الريح بالعشي فحاكت * زردا للغدير ناهيك جنه
وانجلى البدر بعد هدء فصاغت * كف القتال فيه أسنه
(والشاهد في البيت) حذف أداة التشبيه ويسمى التشبيه المؤكد وهو هنا تشبيه صفرة الاصيل بالذهب
وبياض الماء وصفائه باللجين وهو الفضة ومن محاسن التشبيه من غير أداته قول الواوا الدمشقي
قالت وقد فتكت فينا لواحظها * مهلا أما لقتيل الحب من قود
وأسبلت لؤلؤا من نرجس وسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد
ومثله قول الحريري
سألتها حين زارت نضو برقعها الـ * ـقاني وايداع سمعي أطيب الخبر
فزحزحت شفقا غشى سنا قمر * وساقطت لؤلؤا من خاتم عطر
وقوله أيضا وأقبلت يوم جد البين في حلل * سود تعض بنان النادم الحصر
فلاح ليل على صبح أقلهما * غصن وضرست البلور بالدرر
وقول العرى الشاعر ومانسيت ولا أنسى تبسمها * وملبس الجو غفل غير ذي علم
حتى اذا طاح عنها المرط من دهش * وانحل بالضم عقد السلك في الظلم
تبسمت فأضاء الجو فالتقطت * حبات منتثر في ضوء منتظم
وقول أبي طالب المأموني
عرماتهم قضب وفيض أكفهم * سحب وبيض وجوههم أقمار
وقول صردر الباذلي العرف والانواء باخلة * والمانعي الجار والاعمار تخترم
حيث الدجى النقع والعمر الصوارم والاسد الفوارس والخطية الأجم
وقول محمد بن حمدان القنوع من قصيدة في شبل الدولة ابن صالح لما هزم ملك الروم

جاءت لترضع شق النفس لو رضعا والضيح اللبن الذي صب فيه ماء وكذلك المذق قال الراجز
امتضحوا أسقياني ضيحا
فقد كفيت صاحبي الميحا
وانسفحت انصبت وبه سمي السفاح التغلبي لانه سفح ماء أصحابه وقال لا ماء لكم دون الكلاب قال
وأخوهما السفاح ظمأ خيله
حتى وردن جبا الكلاب نهالا
الجبا الماء بعينه والجبا الحوض أيضا والضحضاح الماء القليل يضطرب على وجه الارض والمسفوح القطوف والخشب اليابس (ومن ذلك) ما رواه أبو عزيزة قال أقبل النابغة الذبياني يريد سوق بني قينقاع فلحق الربيع بن أبي الحقيق نازلا من أطمه فلما أشرفا على السوق سمعا الضجة وكانت سوقا عظيمة فحاصت بالنابغة ناقته فقال
كادت تهال من الاصوات راحلتي
ثم قال يا ربيع أجز فقال
والنفر منها اذا ما أوجست خلق
فقال ما رأيت كاليوم شعرا ثم قال أجز
لولا أنهنها بالزجر لاجتذبت
فقال
مني الزمام واني راكب لبق
فقال النابغة
قد ملت الحبس في الآطام واشتعت

لبسواد روعا من ظبالك تقيهم * كانت عليهم للحتوف شبا كا
نالت بك العرب الغنى من مالهم * وتقاسمت أثرا كأن الاثرا كا
لولم يغز جعلت صفحة خده * نعلا وقوسى حاجبيه شرا كا

أردت البيت الاخير ومنه قول أبى حفص عمر المطوعى

ومعسول الشمائل قام يسعى * وفى يده رحيق كالحريق
فأسقانى عقيقا حشو در * وبقاسنى بدر فى عقيق

وما أبدع قول أبى الحسن العقيلى

وللاقاحى قصور كلها ذهب * من حولها شرفات كلها درر

(ولنذكر) هنا طرفا من التشبيهات على اختلاف أنواعها وغريب أساليبها واختراعها فمن ذلك قول منصور بن كيغلغ وهو عاد الزمان بمن هويت فأعتبا * ياصاحبى فاسقيانى واشربا

كم ليلة ساهرت فيها بدرها * من فوق دجلة قبل أن يتغيبا
قام الغلام يديرها فى كفه * فحسبت بدر التم يحمل كوكبا
والبدر يجنح للغروب كأنه * قد سل فوق الماء سيفا مذهبا

وأحسن ما سمع فى هذا المعنى قول التنوخى

أحسن بدجلة والدجى متصوب * والبدر فى أفق السماء يغرب
فكأنها فيه بساط أزرق * وكأنه فيها طراز مذهب

ولابى فراس فى وصف الجلنار وجلنار مشرق * على أعالى شجره

كأن فى رؤسه * أحمره وأصفره
قراضة من ذهب * فى خرق معصفره

ولابى الفرج الببغاء فى وصف كانون نار من أبيات وتعزى الى السرى الرفاء أيضا

وذى أربع لا يطيق النهوض * ولا يألف السير فيمن سرى
تحمله سبجا أسودا * فيحمله ذهبا أحمرا

وله فى معناه أيضا

وأحدقنا بأزهرنا * فقات حوله العذب
فما ينفك عن سبج * يعود كأنه ذهب

وله فيه أيضا

والتهبت نارنا فمنظرها * يغنيك عن كل منظر عجب
اذا رمت بالشرار واضطرمت * على ذراها مطارف اللهب
رأيت ياقوتة مشبكة * تطير منها قراضة الذهب

ولابن محمد الخالدى فى معناه

ومقعد لا حراك ينهضه * وهو على أربع قد انتصبا * مصفر محرق تنفسه
تخاله العين عاشقا وصبا * اذا تناه منا فى جيده سبجا * صيره بعد ساعة ذهبا

ولابى بكر الخالدى فى وصف الصباح من هذه القصيدة أيضا

طوى الظلام البنود منصرفا * حين رأى الفجر ينشر العذبا
والليل من فتكة الصباح به * كراهب شق جيبه طربا

وللسرى الرفاء فى مثله كراهب جن للهوى طربا * فشق جلبابه من الطرب

وله فى معناه أيضا والفجر كالراهب قد مزقت * من طرب عنه الجلابيب

وما أحسن قول ابن حبان الكاتب أيضا

كأنما الفحم والرماد وما * تفعله النار فيهما لهبا شيخ من الزنج شاب مفرقه * عليه درع منسوجة ذهبا

فقال
الى منازلها والوأنها طلق
فقال النابغة يا ربيع أنت
أشعر الناس (ومن ذلك)
ما رواه ابراهيم بن المدبر عن
ابراهيم بن العباس الصولى
قال وحدثنى به دعبل أيضا
وكانا متفقين قال كنا نطلب
جميعا الشعر فخرجنا سنة
وكنا فى محل فابتدأت أقول
فى المطلب بن عبد الله
أمطلب أنت مستعذب
فقال دعبل
لسمر المنايا ومستقتل
فقلت
فان أسف منك تسكن سبة
فقال دعبل
وان أعف عنك فما تفعل
(وذكر الصولى فى كتاب
الوزراء) قال حدثنى محمد
ابن يحيى قال قدم أعرابى
اسمه عتبة يقول الشعر
وكان طريفا من الاعراب
فضمه الحسن بن وهب اليه
فاجتمع الحسن يوما وابراهيم
ابن العباس فقال لهما عتبة
هذا ان كنتما تقولان الشعر
بالعجلة فاهجوانى فقال الحسن
لن طلل فى رأس عتبة مقمل
فقال ابراهيم
عفته رياح الصفع دهرا وتسفل
فقال الحسن
شكا ما يلاقيه من الصفع رأسه
فقال ابراهيم
تناوبه منه جنوب وشمأل
فقال الاعرابى والله لئن لم
تمسكا لأخرجن من البلد
(وذكر الصابى فى كتاب

الوزراء والكتاب) قال روى أبو الفتح منصور بن محمد بن المقدر الاصفهاني قال كان أبو القاسم بن أبي العلاء الشاعر من وجوه أهل اصفهان وأعيانهم ورؤسائهم فحدثني أنه رأى في منامه قائلا يقول له لم ترث الصاحب بن عباد مع فضائلك وشعرك فقلت أجنى كثرة محاسنه فلم أدر بم أبدأ منها وخفت أن أقصر وقد ظن بي الاستيفاء لها فقال أجز ما أقول قلت قل فقال
ثوى الجود والكافي معا في حفيرة فقلت
ليأنس كل منهما بأخيه
فقال
هما اصطحبا حيين ثم تعانقا
فقلت
ضجيعين في قبر بباب دريه
فقال
اذا ارتحل الثاوون عن مستقرهم فقلت
أقاما الى يوم القيامة فيه
(ومن ذلك) ما أخبر به أبو الصلت أمية بن عبد العزيز في كتابه المسمى بالحديقة قال أخبرني محمد بن حبيب القلانسي الشاعر قال حضرنا ليلة بمجلس السلطان أبي يحيى تميم بن المعز بن باديس فالتفت حميد بن سعيد الشاعر الى مملوكين من مماليكه قد جعلا بين رأسيهما متناجيين فقال لي ملط انظر الى اللتين قد حكيا فقلت

وقول مجير الدين بن تميم
وكأنما النار التي قد أوقدت * ما بيننا ولهيبها المتضرم
سوداء أحرق قلبها فلسانها * بسفاهة للحاضرين يكلم

وقوله أيضا
كأنما نارنا وقد خمدت * وجمرها بالرماد مستور
دم جرى من فواخت ذبحت * من فوقهار يشهن منشور

وقوله أيضا
كأنما النار في تلهبها * والفحم من فوقها يغطيها
زنجية شبكت أناملها * من فوق نارنجة لتخفيها

وقول الآخر
كأن كانوننا سماء * والجمر في وسطه نجوم
ونحن جن بحافتيه * والشرر الطائر الرجوم

وبديع أيضا قول ابن مكنسة
ابريقنا عاكف على قدح * كأنه الام ترضع الولدا
أو عابد من بني المجوس اذا * توهم الكاس شعلة سجدا

وفي معنى البيت الثاني قول القاضي أبي الفتح بن قادوس
وليلة كاغماض الجفن قصرها * وصل الحبيب ولم تقصر عن الامل
وكلما رام نطقا في معاتبتي * سددت فاه بنظم اللثم والقبل
وبات بدر تمام الحسن معتنقي * والشمس في فلك الكاسات لم تفل
فبت منها أرى النار التي سجدت * لها المجوس من الابريق تسجد لي

ومن بديع التشبيه وغريبه قول ابن حمديس من أبيات
حمراء تشرب بالانوف سلافها * لطفا مع الاسماع والاحداق
بزجاجة صور الفوارس نقشها * فترى لها سحرا بكف الساقي
وكأنما سفكت صوارمها دما * لبست به عرفا الى الاعناق
وكأس الكاسات حمر غلائل * ازرارها در على الاطواق

وما أحسن قول ابن عطية أيضا
بتنا نديرا الراح في شاهق * ليلا على نغمة عودين * والنار في الارض التي دوننا
مثل نجوم الجو في العين * فياله من منظر مونق * كأننا بين سماءين

وما أحسن قول الخالدي من قصيدة أولها
لو أشرقت لك شمس ذاك الهودج * لأرتك سالفتي غزال أدعج
أرعى النجوم كأنها في أفقها * زهر الاقاحي في رياض بنفسج
والمشتري وسط السماء تخاله * وسناه مثل الزئبق المترجرج
مسمار تبر أصفر ركبته * في فص خاتم فصه فيروزج
وتمايل الجوزاء يحكي في الدجا * ميلان شارب قهوة لم تمزج
وتنقبت بخفيف غيم أبيض * هي فيه بين تخفر وتبرج
كتنفس الحسناء في المرآة اذ * كملت محاسنها ولم تتزوج

وهذا تشبيه بديع لم يسبق اليه ومثله قول أبي حفص بن برد
والبدر كالمرآة غير صقلها * حيث الغواني فيه بالانفاس

وقول ابن طباطبا العلوي
متى أبصرت شمسا تحت غيم * ترى المرآة في كف الحسود
يقابلها فيلبسها غشاء * بأنفاس تزايد في الصعود

وللخالدي في وصف النجوم
كأنما أنجم السماء لمن * يرمقها والظلام منطبق
مال بخيل نظل يجمعه * من كل وجه فليس يفترق

ولاخيه أبى عثمان الخالدى فى وصف النجوم أيضا

وليلة ليلاء فى اللون كلون المفرق   كأنما نجومها * فى مغرب ومشرق

دراهم منثورة * على بساط أزرق

ومن التشبيه النفيس قول ابن حديس فى وصف خضاب الشيب

وكأن الخضاب دهمة ليل * تحته للشيب غرة صبح

وقوله أيضا فى تشبيه العذار من أبيات

أودب بالحسن فوق عارضه * نمل أصاب المداد أرجلها

وقوله أيضا فى وصف الشمعة

كأنها راقصة بيننا * لم تنتقل بالرقص منها قدم   قائمة فى ملبس أصفر * قد حركت منه لنا فردكم

وبديع قوله أيضا فى وصف الشيب

ولى شبابى وراع شيبى * منى سرب المها وفضه   كأنما المشط فى عينى * يجتر منه خيوط فضه

وللواواء الدمشقى   ولرب ليل ضل عنه صباحه * وكأنه بك خطرة المتذكر

والبدر أول ما بدا متلثما * يبدى الضياء لنا بخد مسفر

فكأنما هو خودة من فضة * قد ركبت فى هامة من عنبر

ولابى طالب الرفاء فى وصف اترجة مقنعة

مصفرة الظاهر بيضاء الحشى * أبدع فى صنعتها رب السما

كأنها كف محب دنف * مبعد يحسب أيام الجفا

ولابن لنكك البصرى وروض عبقرى الوشى غض * يشاكل حين زخرف بالشقيق

سماء زبرجد خضراء فيها * نجوم طالعات من عقيق

وللنفرى الكاتب فى الباقلاء الاخضر

فصوص زبرجد فى غلف در * باقماع حكت تقليم ظفر

وقد صاغ الاله لها ثيابا * لها لونان من بيض وخضر

ولعبدان الخوذى فى قينة

لنا قينة تحمى من الشرب شربنا * فقد أمنوا سكرا وخوف خمار

تكشر عن أنيابها فى غنائها * فتحكى حمارا شم بول حمار

وما ألطف قول عبد الله بن النطاح فى أحدب

وقصير قد جمعت أعضاؤه * ليكون فى باب الخلاعة أطبعا   قصرت أخادعه وغاص قذاله

فكأنه متوقع أن يصفعا * وكأنه قد ذاق أول صفعة * وأحس ثانية لها فتجمعا

وبديع قول السراج الوراق فى جواهر أسود أزاهرة

ولرب زاهرة تهيج بزمرها * ريح البطون فليتها لم تزمر * شبهت أغلها على صرنائها

وقبيح مسمعها الشنيع الابخر * بخنافس قصدت كنيفا واغتدت * تسعى اليه على خيار الشنبر

وهو من قول الاول فى زامر أسود أيضا

فكأنها فى حالة العيان * خنافس دبت على ثعبان

وقول محمد بن الحسن المصرى الكاتب

رأيت يحيى اذا أفاد الغنى * هاج به ذكر ووسواس

كأنه كلب على جيفة * يخاف أن يطرده الناس

وقول السامى فى رجل لبس خلعة تطول عليه ويقصر عنها

فقال

فاعجب لغصنين كلما انعطفا

فقلت

ماسا من اللين فى وشاحين

فقال

ظبيان يحمى حماهما أسد

فقلت

لولاه كانا لنا متاحين

فقال

فلو تدانيت منهما لدنت

فقلت

منى فى الحين أسهم الحين

(ومن ذلك) ماروى أن المعتمد بن عباد ركب فى يوم قاصدا الجامع والوزير أبو بكر بن عمار يسايره فسمع أذان مؤذن فقال المعتمد

هذا المؤذن قد بدا بأذانه

فقلت

يرجو بذلك العفو من رحمانه

فقال

طوبى له من شاهد بحقيقة

فقلت

ان كان عقد ضميره كلسانه

(وأخبرنى) الفقيه أبو الحسن على بن عبد الوهاب بن خليف بالاسكندرية قال أخبرنى الاديب المعروف بابن رزين قال أخبرنى عبد الجبار بن حديس الصقلى قال أقمت باشبيلية لما قدمتها وافدا على المعتمد بن عباد مدة لا يلتفت الى ولا يعبأ بى حتى قنطت لخيبتى مع فرط تعبى وهممت بالنكوص على عقبى فانى لكذلك ليلة من الليالى فى منزلى اذ أتانى

كأنه لما بدا طالما * فى خلعة يقصر عن لبسها جارية رعناء قد قدرت * ثياب مولاها على نفسها

ولطيف قول ابن قلاقس فى عواد اسمه حسن

حسن ملاوى عوده * مهما تناوله مساوى * وكأنه ان جسه
من بعد تحرير الملاوى * كلب تجاذب كفه * أنشوطة والكلب عاوى

ولابى طالب المأمونى فى رمانة تفت

رمانة مازلت مستخرجا * فى الجام من حقتها جوهرا فالجام أرض و بنانى حيا * يمطر منها ذهبا أحمرا

وللصادع بالحق الواثق وأجاد

وليلة شاب بها المفرق * بل جدّ الناظر والمنطق * كأنما نغم الفضا بيننا
والنار فيه ذهب محرق * أو سبج فى ذهب أحمر * بينهما النيلوفر أزرق

وللامام أبى عامر التميمى رحمه الله تعالى

يارب كوماء خضبت نحرها * بمدية مثل القضاء السابق
كأنها والدم حسن حولها * سوسنة زرقاء فى شقائق

وله فى وصف الرمان خذوا صفة الرمان عنى فان لى * لسانا عن الاوصاف غير قصير
حقاق كأمثال الكرات تضمنت * فصوص بلخش فى غشاء حرير

وله فى النرجس يا نرجسا لم تعد قامته * سهم الزمرذ حين تنتسب
فرصافه عظم وقذته * قطع اللجين وفوقه ذهب

ولابى منصور البغوى رحمه الله تعالى

تراءت لنا من خدرها بسوالف * كما لاح بدر من خلال سحاب
وهز الصبا صدغا لها فوق خدها * كما روحت نار بريش غراب

ولنصر بن بسار الهروى فى تفاحة معضوضة

تفاحة قد عضها قمر * عمدا ومسك موضع العضه * وكأن عضته ممسكة
صدغ أحاط بوجنة غضه * وكأنما ونان قد كتبا * بالمسك فى كرة من الفضه

وله أيضا وبدا لنا بدر الدجى والليل قد * شمل الانام بفاضل الجلباب
غطى الكسوف عليه الا لمعة * فكأنه حسناء تحت نقاب

وله فى النرجس ونرجس غادرنى * ما بين عجب وعجب كطبق من فضة * عليه كأس من ذهب

وما أبدع قول أسعد بن ابراهيم بن بليطة

أحبب بنور الاقاح نوارا * عسجده فى لجينه حارا
كأن ما اصفر من موسطه * عليل قوم أتوه زوارا
كأن مبيضه صقالبه * كانوا مجوسا فاستقبلوا نارا
كأنه ثغر من هويت وقد * وضعت فيه بفى دينارا

ومن بديع ما قيل فيه قول ابن عباد الاسكندرى أيضا

كأن شمعته من فضة حرست * خوف الوقوع بمسمار من الذهب

وقول ظافر الحداد الاسكندرى أيضا

والاقحوانة تحكى ثغر غانية * تبسمت فيه من عجب ومن عجب * كشمعة من لجين فى زبرجدة
قد شرفت تحت مسمار من الذهب * والشقائق جمر فى جوانبها * بقية الفحم لم تستره باللهب

ومن لطيف التشبيه قول محمد بن عبد الله بن طاهر فى الورد

أما ترى شجرات الورد مظهرة * منها بدائع قد ركبن فى قضب * أوراقها حمر أوساطها عجم

غلام ومعه شمعة ومركوب فقال لى أجب السلطان فركبت من فورى ودخلت عليه فأجلسنى على مرتبته وقال افتح الطاق الذى يليك ففتحته فاذا بكوز زجاج على بعد والنار تلوح من بابيه وواقده يفتحهما تارة ويسدهما أخرى ثم أدام سد أحدهما وفتح الآخر فحين تأملتهما قال لى ملط
انظرهما فى الظلام قد تجها
فقلت
كأرنا فى الدجنة الاسد
فقال
يفتح عينيه ثم يطبقها
فقلت
فعل امرئ فى جفونه رمد
فقال
فابتزه الدهر نور واحدة
فقلت
وهل نجا من صروفه أحد
فاستحسن ذلك وأمر لى بجائزة سنية وألزمنى خدمته (وأخبرنى) رجل من التجار يعرف بأبى الفضل بن فتوح المصرى قال سكنت بدار فى الخطة المعروفة بدويرة خلف فرأيت جميع جدران المنزل مكتوبة بأخبار بديعة وأشعار مستحسنة السبك ووجدت فى جملتها لما دخلت بجابة عشدعبورى اجتزت فى بعض الايام بصديق لى من المعلين وهو فى مكتبه وصبيانه قد حفوا به فأحضر صبيا منهم وقال لى اختبره فانه يقول الشعر الجيد فقلت له
أجز وشادن ذى شطاط

صفر ومن حولها خضر من الشطب * كأنهن يواقيت يطيف بها * زمرد وسطه شذر من الذهب

ولابي الحكم مالك بن المرحل يصف قصر الليل وأجاد

وعشية سبق الصباح عشاؤها * قصرا فأمسيت حتى أسفرا * مسكية لبست حلى ذهبية

وجلا تبسمها نقابا أحمرا * وكأن شهب الرجم بعض حليها * عثرت به من سرعة فتكسرا

وما أحسن قول صفوان بن ادريس من أبيات

والورد في شط الخليج كأنه * رمد ألم بمقلة زرقاء

وما ألطف قول بعضهم وشادن أبصرته راكبا * في كفه جوكانه يلعب

كالبدر فوق البرق في كفه * هلاله والكرة الكوكب

ومثله قول الصفي الحلي ولم أدر أيهما أخذ من الآخر

مالك بروض فوق طرف ضاربا * كرة بجوكان حذاه ضرابا

فكأن بدرا في سماء راكبا * برقا يزحزح بالهلال شهابا

ومن بديع التشبيه قول الاستاذ علي بن الحسن بن علي بن سعد الخير في دولاب

لله دولاب يفيض بسلسل * في روضة قد أينعت أفنانا

قد طارحته بها الحمائم شجوها * فيجيبها ويرجع الألحانا

فكأنه دنف يدور بعهد * يبكي ويسأل فيه عمن بانا

ضاقت مجاري طرفه عن دمعه * فتفتحت أضلاعه أجفانا

وباب التشبيه واسع جدا تضيق الطاقة عن حصره وهذا القدر كاف فيه

(شواهد الاستعارة)

﴿ لدى أسد شاكي السلاح مقذف ﴾

قائله زهير بن أبي سلمى من قصيدته السابقة في شواهد الايجاز وسيأتي كاملا فيما بعد وقبله

لعمري لنعم الحي جر عليهم * بما لا يواتيهم حصين بن ضمضم

وكان طوى كشحا على مستكنة * فلا هو أبداها ولم يتقدم

وقال سأقضي مأربي ثم أتقي * عدوي بألف من ورائي ملجم

فشد ولم ينظر بيوتا كثيرة * لدى حيث ألقت رحلها أم قشعم

وبعده البيت والقصيدة طويلة يقول منها أيضا

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش * ثمانين عاما لا أبالك يسأم

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب * تمته ومن تخطئ يعمر فيهرم

ومهما تكن عند امرء من خليقة * وان خالها تخفى على الناس تعلم

وشاكي السلاح وشاكه وشائكه حديده والمقذف الذي يقذف به كثيرا الى الوقائع أو الذي رمى باللحم رميا (والشاهد فيه) الاستعارة التحقيقية فالأسد هنا مستعار للرجل الشجاع وهو أمر متحقق حسا

﴿ قامت تظللني من الشمس * نفس أعز علي من نفسي ﴾

﴿ قامت تظللني ومن عجب * شمس تظللني من الشمس ﴾

البيتان لابن العميد وهما من الكامل قالهما في غلام حسن قام على رأسه يظلله من الشمس وقال ابن النجار في تاريخه قرأت على اسمعيل بن سعد الله أنبأنا أبا بكر بن علي التاجر قال أنشدنا رزق الله بن عبد الوهاب التميمي الواعظ في ولده أبي العباس لانه كان يقوم اذا جاءت عليه الشمس ويظلله فقال

فقال حيي له وربا لي

فقلت موكل بضميري

فقال معلق بنياطي

فعجبت من سرعة بديهته مع صغر سنه ثم تمادى الامر فاشتهر بقول الشعر فنمي الى السلطان تميم بن المعز أنه هجاه وأنه قال فيه

بلد مظلم وملك ظلوم

وهما فيه جحيم وتميم

هو فيها كمالك والمقيمو

ن بها المجرمون وهو الجحيم

فاستحضره السلطان واستخبره عما قال فيه فأنكره وقال انما قلت

عز جاري فذا مناخ كريم

هذه جنة وهذا تميم

هذه الجنة التي وعد الله

وهذا صراطه المستقيم

فاستظرفه تميم واستلطفه وأكرمه ثم صرفه * قال المخبر بهذه الحكاية ثم تقصيت عن المنزل فقيل لي انه كان منزل أبي الصلت حين قدومه الى مصر (قرأت) في بعض المجاميع أن شاعرا من أهل تنس من بلاد افريقية قصد المعتمد على الله ابن عباد وهو بسبتة أيام جوازه للقاء أمير المؤمنين ابن تاشفين للاستنجاد به فوصف له حضر فأنشده فقال هذا يصلح لمنادمتنا الليلة وأمر باساكه فسبق وجرى في المجلس حديث فرس أدهم كان مشهورا بالاندلس وعزيز المحل عند المعتمد واتفق

قامت تظللني من الشمس * نفس أعز عليّ من نفسي
قامت تظللني ومن عجب * شمس تظللني من الشمس
لما رأيت الشمس بارزة * سترت عين الشمس بالحس
ثم استعنت على التي اختلست * مني الفؤاد بآية الكرسي

(وقال ياقوت في معجم الادباء) كان أبو اسحق الصابئ واقفا بين يدي عضد الدولة وعلى رأسه غلام تركي جميل فكان اذا رأى الشمس عليه حجبها عنه فقال الصابئ هل قلت شيأ يا ابراهيم فقال

وقفت لتحجبني عن الشمس * نفس أعز عليّ من نفسي
ظلت تظللني ومن عجب * شمس تغيبني عن الشمس

فسرّ بذلك (والشاهد فيها) أن اطلاق اسم المشبه به على المشبه انما يكون بعد ادعاء دخوله في جنس المشبه به واذا كان كذلك فيكون استعمال الاستعارة في المشبه استعمالا فيما وضعت له فهنا لولا أنه ادّعى له معنى الشمس الحقيقي وجعله شمسا لما كان لهذا التعجب معنى اذ لا تعجب في أن انسانا حسنا يظلل انسانا آخر * وقريب من معنى البيتين ما حكي أن سيماء التركي غلام المعتصم كان أحسن تركي على وجه الارض في وقته وكان المعتصم لا يكاد يفارقه ولا يصبر عنه محبة له ووجدا به فاتفق أن المعتصم دعا أخاه المأمون ذات يوم الى داره فأجلسه في بيت على سقفه جامات فوقع ضوء الشمس من وراء تلك الجامات على وجه سيماء فصاح المأمون لاحمد بن محمد اليزيدي فقال انظر ويلك الى ضوء الشمس على وجه سيماء أرأيت أحسن من هذا قط وقد قلت قد طلعت شمس على شمس * وزالت الوحشة بالانس فأجز فقال اليزيدي بعده

قد كنت أشنا الشمس من قبل ذا * فصرت أرتاح الى الشمس

قال وفطن المعتصم فعض شفتيه لاحمد فقال أحمد للمأمون والله يا أمير المؤمنين لئن لم يعلم الامير حقيقة الامر منك لأقعن منه فيما أكره فدعاه المأمون فأخبره الخبر فضحك المعتصم فقال له المأمون كثر الله يا أخي في غلمانك مثله * ويقرب من هذا ما حكي أن المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية جلس يوما وبين يديه جارية تسقيه فخطف البرق فارتاعت منه فقال ابن عباد في ذلك

روّعها البرق وفي كفها * برق من القهوة لماع
عجبت منها وهي شمس الضحى * من مثل ما تحمل ترتاع

ثم أنشد الاول لعبد الجليل بن وهبون المرسي واستجازه فقال

ولن ترى أعجب من آنس * من مثل ما يمسك يرتاع

وابن العميد هو أبو الفضل محمد بن الحسين عين المشرق ولسان الجبل وعماد ملك آل بويه وصدر وزرائهم قال في حقه أبو منصور الثعالبي كان أوحد العصر في الكتابة وكان يدعى الجاحظ الآخر والاستاذ والرئيس ويضرب به المثل في البلاغة وحسن الترسل وجزالة الالفاظ وسلاستها مع براعة المعاني ونفاستها وما أحسن ما قاله له الصاحب وقد سأله عن بغداد عند منصرفه عنها بغداد في البلاد كالاستاذ في العباد وكان يقال بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد وقد أجرى ذكرهما معا مثلا أبو محمد الخازن في قصيدة مدح بها الصاحب بن عباد حيث وصف بلاغته فقال

دعوا الاقاصيص والأنباء ناحية * فما على ظهرها غير ابن عباد
والى بيان متى يطلق أعنته * يدع لسان أياد رهن أقياد
وموردكلمات عطرت زهرا * على رياض ودرّا فوق أجياد
وتارك أولا عبد الحميد بها * وابن العميد أخيرا في أبي جاد

ولم يرث ابن العميد الكتابة عن كلالة بل كان كما قال ذو الرمة في وصف صائد حاذق

أن الرجل سكر ونام فخرج منه ريح بصوت شديد فقال المعتمد ارتجالا

فوا عجبا من ضعيف القوى * تزلزلت الارض من ضرطته

ثم قال لندمائه لا يشعره أحد بما جرى واستيقظ الرجل فقال كالمعتذر من نومه ان هذا النوم سلطان فقال بعض الندماء الحاضرين صدقت قد سمعنا طبله فجعل الرجل يقول رأيت في منامي كأن السلطان أعزه الله قد حملني على فرس أدهم من صفته كذا ومن صفته كذا فقال المعتمد صدقت قد سمعنا تحتك صهيله ثم قال المعتمد قولوا في هذا شيأ فقال بعض الحاضرين

وضرطة كالجرس

فقال المعتمد

أو كصهيل الفرس

فقال الشاعر

أفلتها صاحبنا

فقال المعتمد

عند انصرام الغلس

فقال الشاعر

سمعتها من ستة

فقال المعتمد

وأصلها من تنس

(وأخبرني) الاديب أبو عبد الله محمد التوزري قال حدثني الشيخ الباغاني الحموي قال تذاكرت مع الشيخ الزاهد أبي الفضل اليشكري رضي الله عنه أمر أبي الهيثم الشاعر فقال

ألفى أباه بذلك الكسب يكتسب * لان أباه عبد الله الملقب بكاه كان فى الرتبة الكبرى من الكتابة وكان قد تقلد ديوان الرسائل للملك نوح بن نصر وكان يحضر ديوان الرسائل فى محفة لسوء أثر النقرس فى قدميه وفيه يقول أبو القاسم الاسكافى وكان يكتب فى ديوانه اذ ذاك ويرى نفسه أحق منه برتبته ويتمنى زوال أمره ليقوم مقامه

باذا الذى ركب المحفـــة له جامعا فيها جهازه
أترى الاله يميتنى * حتى يريني فيها جنازه

ولم تطل الايام حتى أتت على أبى عبد الله منيته ووافت أبا القاسم أمنيته وتولى ديوان الرسائل فسبق من قبله وأتعب من بعده ولم يزل أبو الفضل هذا فى حياة أبيه وبعد وفاته بالرى وكورة الجبل وفارس يتدرج الى المعالى ويزداد فضلا وبراعة على الايام والليالى حتى بلغ ما بلغ واستقر فى الذروة من وزارة ركن الدولة ورياسة الجبل وخدمة الكبراء وانتجعه الشعراء وورد عليه أبو الطيب المتنبى عند صدوره من حضرة كافور الاخشيدى فمدحه بتلك القصائد المشهورة التى منها يقول

من مبلغ الاعراب أنى بعـدها * شاهدت رسطاليس والاسكندرا
ومللت نحر عشارها فأضافنى * من ينحر البدر النضار لمن قرى
وسمعت بطليموس دارس كتبـه * متملكا متبــــديا متحضرا
ولقيت كل الفاضلين كأنما * ردّ الاله نفوســـهم والاعصرا

ومنها

نسقوا لنا نسق الحساب مقدما * وأتوا فذلك اذ أتيت مؤخرا
بأبى وأمى ناطق فى لفظــــه * ثمن تباع له القلوب وتشترى
قطف الرجال القول قبـل نباته * وقطفت أنت القول لما نورا

ومدحه الصاحب بن عباد بقصائد كثيرة استفرغ فيها جهده فمنها قوله فيه

من لقلب يهيم فى كل وادى * وقتيل للحب من غير وادى
انما أذكر الغوانى والمقصـ * ـد سعدى تكثرا للسواد
واذا ما صدقت فهى مرامى * ومرادى وروضتى ومرادى
وندى ابن العميد انى عميد * من هواها أليسة الامجاد
لو درى الدهر أنه من بنيـه * لازدرى قدر سائر الاولاد
أو رأى الناس كيف يهتز للجو * د لما عـدّدوه فى الاطواد

وله أيضا

قالوا ربيعك قد قدم * فلك البشارة بالنعم قلت الربيع أخو الشتا * أم الربيع أخو الكرم
قالوا الذى بنـواله * يغنى المقل من العدم قلت الرئيس ابن العميـ * ـد اذا فقالوا لى نـعم

ولبعضهم فيه عند انتقاله الى قصر جديد قد بناه وهو مستبدع

لا يعجبك حسـن القصر تنزله * فضيلة الشمس ليست فى منازلها
لو زيدت الشمس فى أبراجها مائة * ما زاد ذلك شيأ فى فضائلها

وهذه نبذة من محاسن نثره (فصل من رسالة كتب بها الى أبى العلاء السروى) كتابى جعلنى الله تعالى فداك وأنا فى جد وتعب منذ فارقت شعبان وفى جهد ونصب من رمضان وفى العذاب الادنى دون العذاب الاكبر من ألم الجوع ووقع الصوم ومرتهن بتضاعف حر لو أن اللحم يصلى ببعضه غريضا أتى أصحابه وهو منضج ومحتدم هواجر يكاد أوارها يذيب دماغ الضب ويصرف وجه الحرباء عن التحنف ويزويه عن التنصر ويقبض يده عن امساك ساق وارسال ساق ويترك الجأب فى شغل عن الحقب ويقدح النار بين الجلد والعصب ويغادر الوحش قد مالت هواديها

سجودا لدى الارطى كأن رؤسها * علاها صداع أو فواق يصورها

اجتمعت به ليلة وكان نديمنا فيها فتى رامياوضىء الوجه فقلت له مستخبرا قريحته وسالكا به من التصنع غير مذهب أجزما أقول نشبت نشائب حب هذا الناشب فقال

يحشى حشاه نار وجد غالب

فقلت

تصمى رمايته القلوب كأنما

فقال

يرمى الورى عن قوس ذلك الحاجب

قال الشيخ أبو الفضل فقلت انما تظهر القرائح فى التشبيه وتطرت الى السماء فاذا الجوزاء متوسطة فقلت

وكأنما الجوزاء فى وسط السما

فقال

درّ تناثر من قلادة كاعب

قال الشيخ أبو الفضـل ومررت به يوما وهو مطرق مفكر فقلت

أراك تصنع شـــعرا

فقال نعم لحبى بدرا

فقلت قد حار وصفى فيه

فقال فتركى الوصف أحرى

فقلت هذا على أن ذهنى

فقال من عاصف الريح أجرى

(وأخبرنى) العماد أبو حامد قال روى السمعانى فى تاريخه عن محمد بن على بن أحمد بن جعفر بن الحسين البندنيجى أنه قال سمعت والدى يقول سمعت عمى والدى أبا سعيد عقيل بن الحسـين يقول أتانى آت فى المنام فقال هـل لك أن تصرع وأتم

كما قال الفرزدق ليوم أتى دون الظلال شموسه * تظل المها صورا جماجمها تغلى

كما قال مسكين الدارمى وهاجرة ظلت كأن ظباءها * اذا ما اتقتها بالقرون سجود

تلوذ بشؤبوب من الشمس فوقها * كما لاذ من وخز السنان طريد

ويمنى بأيام تحاكى ظل الرمح طولا وليال كابهام القطاة قصرا ونوم كلا ولا قلة وكحسو الطائر من الماء الثماد دقة وكتصفيقة الطائر المستحرخمة

كما أبرقت قوما عطاشا غمامة * فلما رأوها أقشعت وتجلت

وكنقر العصافير وهى خائفة من النواطير يانع العنب وأحمد الله تعالى على كل حال وأسأله أن يعرفنى بركته ويلقينى الخير فى أيامه وخاتمته وأرغب الى الله أن يقرب على القمر دوره ويقصر سيره ويخفف حركته ويعجل نهضته وينقص مسافة فلكه ودائرته ويزيل بركة الطول من ساعاته ويرد على غرة شوال فهى أسر سائر الغرر عندى وأقرها للعين ويسمعنى النعرة فى قفا شهر رمضان ويعرض على هلاله أخفى من السر وأظلم من الكفر وأنحف من مجنون بنى عامر وأضنى من قيس بن ذريح وأبلى من أسير الهجر ويسلط عليه الحور بعد الكور ويرسل على رقاقته التى يغشى العيون ضوءها ويحط من الاجسام نوءها كلفا يغمرها وكسوفا يسترها ويريني مغمور النور مقمور الظهور قد جمعه والشمس برج واحد ودرجة مشتركة وينقص من أطرافه كما تنقص النار من أطراف الزند ويبعث اليه الارضة ويهدى اليه السوس ويغرى به الدود ويبليه بالفار ويخترمه بالجراد ويبيده بالنمل ويجتثه بالذر ويجعله من نجوم الرجم ويرمى به مسترق السمع ويخلصنا من معاودته ويريحنا من دوره ويعذبه كما عذب عباده وخلقه ويفعل به فعله بالشكازن ويصنع به صنيعه بالالوان ويقابله بما تقتضيه دعوة السارق اذا افتضح بصوءه وتهتك بطلوعه ويرحم الله عبدا قال آمينا وأستغفر الله جل وجهه مما قلته ان كرهه وأستعفيه من توفيق ما يدمه وأسأله صفحا يفيضه وعفوا يسيغه وحالى بعد ما شكوت صالحة وعلى من تحب وتهوى جارية ولله الحمد تقدست أسماؤه والشكر ❊ومن فصوله القصار الجارية مجرى الامثال❊ قوله متى خلصت للدهر حال من اعتوار أذى وصفا فيه شرب من اعتراض قذى خير القول ما أغناك جده وألهاك هزله الرتب لا تبلغ الا بتدرج وتدرب ولا تدرك الا بتجشم كلفة وتصعب المرء أشبه شئ بزمانه وصفة كل زمان منتسخة من سجايا سلطانه المرء يبذل ماله فى اصلاح أعدائه فكيف يذهب العاقل من حفظ أوليائه هل السيد الا من تهابه اذا حضر وتغتابه اذا أدبر اجتنب سلطان الهوى وشيطان الميل المرح والهزل بابان اذا فتحا لم يغلقا الا بعد العسر والحلان اذا ألقحا لم ينتجا غير الشر * ومما أخرج له من الشعر قوله

آخ الرجال من الاباعد والاقارب لا تقارب * ان الاقارب كالعقارب بل أضر من العقارب

وكتب الى العلوى يا من تخلى وولى * وصد عنى وملا

وأوسع العهد نكثا * واتبع العقد حلا ماكان عهدك الا * عهد الشبيبة ولى

أوطائفا من خيال * ألم ثم تولى أو عارضا لاح حتى * اذا دنا فتدلى

ألوت به نسمات * من الصبا فتخلى أهلا بما ترتضيه * فى كل حال وسهلا

ليهنينك ودى * بحبل فعالك فعلا ان شئت هجرا فهجرا * أو شئت وصلا فوصلا

صبرت عنى فانظر * ظفرت بالصبر أم لا انى اذا الخل ولى * وليته ما تولى

وكتب الى أبى الحسن بن هند وأرسلها اليه صبيحة عرسه

انعم أبا حسن صباحا * وازدد بزوجتك ارتياحا قد رضت طرفك خاليا * فهل استلنت له جماحا

وقدحت زندك جاهدا * فهل استبنت له انقداحا وطرقت مغلقا فهل * سنى الاله له انفتاحا

قد كنت ارسلت العيون صباح يومك والرواحا * وبعثت مصغية تبيتك لديك ترتقب النجاحا

أو تتمم وأصرع فقلت لا بل أصرع وتمم فقال لى يا عيار هربت من القافية ولكن قل فقلت

هل عندكم رحمة يرجو عواطفها فقال

صب تشكت الى الشكوى جوارحه فقلت

أغلقتم كل باب فى مودته فقال

وفى يدى ظبيكم كانت مفاتحه فقلت

ما أمسكت قلبه اذ لم يطر جزعا فقال

من فرط حر الجوى الاجوانحه

ثم استيقظت (وأخبرنى) القاضى الاعز أبو الحسن على بن المؤيد رحمه الله تعالى قال أخبرنى والدى قال كان الصالح طلائع بن رزيك الوزير لا يزال يحضر مجلسه فى ليالى الجمع جلساؤه وبعض أمرائه لسماع قراءة مسلم والبخارى وأمثالهما من كتب الحديث وكان الذى يقرأ رجلا أبخر فلم يهدى وقد حضر المجلس مع الامير على بن الزبير والقاضى الجليس أبى محمد عبد العزيز ابن الحباب وقد أمال وجهه الى القاضى المهذب ابن الزبير وقال له وأبخر قلت لا تجلس بجنبى فقال الامير

اذا قابلت بالليل البخارى

فقال الجليس ولم قال فقلت وقد سئلت بلا احتشام

فعدت على بجملة * لم تولى الا اقتضاحا وشكت الى خلاحلا * خرساو أوشحة فصاحا
منعت وساوسها المسا * مع ان تحس لكم صياحا

وللصاحب ابن عباد فى هذا المعنى الا أنه أقرب فى التصريح

قلبى على الجمرة يا أبا العلا * فهل فتحت الموضع المقفلا
وهل فككت الختم عن كيسه * وهل كحلت الناظر الا كحلا
ان قلت يا هذا نعم صادقا * أبعث نثارا يملأ المنزلا
وان تجيبنى من حياء بلا * أبعث اليك القطن والمغزلا

ولابن العميد فى المغنى القرشى

اذا غنانى القرشى يوما * وعنانى برؤيته وضربه
وددت لوان أذنى مثل عينى * هنالك وان عينى مثل قلبه

وللوزير المهلبى فيه أيضا اذا غنانى القرشى * دعوت الله بالطرش
وان أبصرت طلعته * فوالهفى على العمش

واجتمع عند ابن العميد يوما أبو محمد هندو وأبو القاسم بن أبى الحسين وأبو الحسين بن فارس وأبو عبد الله الطبرى وأبو الحسن البديهى فحياه بعض الزائرين بأترجة حسنة فقال لهم تعالوا نتجاذب أهداب وصفها فقالوا ان رأى سيدنا أن يبتدئ فعل فابتدأ وقال وأترجة فيها طبائع أربع فقال أبو محمد وفيها فنون اللهو والشرب أجمع فقال أبو القاسم يشبهها الرائى سبيكة عسجد فقال أبو القاسم ابن أبى الحسين على أنها من فارة المسك أضوع فقال أبو عبد الله وما اصفر منها اللون للعشق والهوى فقال أبو الحسن ولكن أراها للمحبين تجمع

وكان ابن العميد متفلسفا متهما برأى الاوائل ويقال انه كان مع فنونه لا يدرى الشرع فاذا تكلم أحد بحضرته فى أمر الدين شق عليه وخنس ثم قطع على المتكلم فيه وكان قد ألف كتابا سماه الخلق والخلق ولم يبيضه ولم يكن الكتاب بذاك ولكن جعس الرؤساء خبيص وصنان الاغنياء ند وتوفى فى سنة ثلثمائة وستين وقام ابنه على أبو الفتح ذو الكفايتين مقامه اذ هو ثمرة تلك الشجرة وشبل ذلك القسورة (وحق على ابن الصقر أن يشبه الصقرا) وما أصدق قول الشاعر

ان السرى اذا سرا فبنفسه * وابن السرى اذا سرا أسراهما

وكان نجيبا ذكيا لطيفا سخيا رفيع الهمة كامل المروءة تأنق أبوه فى تأديبه وتهذيبه وجالس به أدباء عصره وفضلاء وقته وخرج حسن الترسل متقدم القدم فى النظم آخذا من محاسن الادب بأوفر الحظ ولما قام مقام أبيه قبل الاستكمال وعلى مدى بعيد من الاكتهال وجمع تدبير السيف والقلم لركن الدولة ابن بويه لقب بذى الكفايتين وعلا شأنه وارتفع قدره وطاب ذكره وجرى أمره أحسن مجرى الى أن توفى ركن الدولة وأفضت حال أبى الفتح الى ما سيذكر قريبا بمشيئة الله تعالى وعونه ومن طرف أخباره ان أباه كان قد قيض جماعة من ثقاته فى السر يشرفون على ولده الاستاذ أبى الفتح فى منزله ومكتبه ويشاهدون أحواله ويعدون أنفاسه وأفعاله وينهون اليه جميع ما يأتيه ويذره ويقوله ويفعله فرفع اليه بعضهم ان أبا الفتح اشتغل ليلة بما يشتغل به الاحداث المترفون من عقد مجلس أنس واتخاذ الندماء وتعاطى ما يجمع شمل اللهو فى خفية شديدة واحتياط تام وانه فى تلك الحال كتب رقعة الى بعض أصدقائه فى استهداء الشراب فحمل اليهم ما يصلح لهم من المشروب والنقل والمشموم فدس أبوه الى ذلك الانسان من أتاه بالرقعة فاذا فيها بخطه بسم الله الرحمن الرحيم قد اغتنمت الليلة أطال الله بقاءك يا سيدى ومولاى رقدة من عين الدهر وانتهزت فرصة من فرص العمر وانتظمت مع أصحابى فى سمط الثريا فان لم تحفظ علينا النظام باهداء المدام عدنا كبنات نعش والسلام فاستطير الاستاذ فرحا واعجابا بهذه الرقعة

لانك دائما من فيك خارى (قال على بن ظافر) أخبرنى أيضا هو وشهاب الدين يعقوب المقدم ذكره بما هذا معناه قالا جلسنا فى بعض الايام لاجتناء زهر المحادثة واقتناء درر المنافثة فسمعنا صوت شبابة تذكر الاشيب الهرم زمان الشبيبة وتحرك من الحرف الهم غزله وتشبيبه وصوتها أشجى من أنين المشتاق لفرط الاشواق وأرق من نوح العشاق عند عزم الفريق الى الفراق فقال شهاب الدين
وشبابة شبت لظى الشوق فى قلبى
فقال الاعز
تذكرنى عهد الصبابة والحب
فقال شهاب الدين
حبتنى على بعد بترجيعها الصبا
فقال الاعز
فأحيت فؤادى المستهام على قرب
(وأخبرنى) الشهاب قال انفردت ببوصير يوما بالفقيه رضى الدين أبى اسحق بن عبد البارى رحمه الله وكنا خرجنا اليها فى خدمة الوزير نجم الدين رحمه الله وكان قد مضى اليها متنزها فجالس البناء غلام من أولاد بعض الرؤساء الذين كانوا فى خدمته حسن الوجه ثم انصرف فقال الرضى
لله يوم مضى ببوصير
فقلت

البديعة وقال الآن ظهر لى أمر براعته ووثقت بجريه فى طريق ونيابته منابى ووقع له بألف دينار

﴿وحكى﴾ أبو الحسين بن فارس قال كنت عند الاستاذ أبى الفتح فى يوم شديد الحر فرمت الشمس بجمرات الهاجرة فقال لى ماقول الشيخ فى قلبه فلم أحر جوابا لانى لم أفطن لما أراد ولما كان بعد هنية أقبل رسول والده الاستاذ يستدعينى الى مجلسه فلما مثلت بين يديه تبسم ضاحكا الى وقال ماقول الشيخ فى قلبه فبهت وسكت ومازلت متفكرا حتى تنبهت انه يريد الخيش وكان من يشرف على أبى الفتح من جهة أبيه أتاه بتلك اللفظة فى تلك الساعة فأفرط اهتزازه لها وقرأت صحيفة السرور فى وجهه ثم أخذت أتحفه بكت نظمه ونثره فكان مما أعجب به وأستضحك له رقعة له وردت على وصدرها وصلت رقعة الشيخ أصغر من عنفقة بقة وأقصر من أنملة نملة قال أبو الحسين وجرى فى بعض أيامنا ذكر أبيات استحسن الرئيس الاستاذ وزنها واستحلى رويها وأنشد كل من الحاضرين ماحضره على ذلك الروى وهو قول القائل

لئن كففت عنى والا * شققت منك ثيابى

فأصغى الاستاذ أبو الفتح ثم أنشد فى الوقت وقال

يامولعا بعذابى * أما رحمت شبابى تركت قلبى قريحا * نهب الأسى والتصابى
ان كنت تنكر مابى * من ذلتى واكتئابى فارفع قليلا قليلا * عن العظام ثيابى

وله من نوروزية

ابشر بنوروز أتاك مبشرا * بسعادة وزيادة ودوام
واشرب فقد حل الربيع نقابه * عن منظر متهلل بسام
وهديتى شعر عجيب نظمه * ومديحه يبقى على الايام
فاقبله واقبل عذر من لم يستطع * اهداء غير نتيجة الافهام

ومن بدائعه المشهورة قوله من قصيدة

عودى وماء شبيبتى فى عودى * لاتعمدى لمقاتل المعمود
وصليه مادامت أصائل عيشه * تؤويه فى ظل لهن ممدود
مادام من ليل الصبا فى فاحم * رجل الذرى متهدل العنقود
قبل المشيب وطارقات جنوده * يبدلنه يققا بسحم سود

ومن شعره

أبن لى من يفى بشكر الليالى * اذ أضافت خيالها وخيالى
لم يكن لى على الزمان اقتراح * غيرها منية لحادثها لى

ومنه

اذا أنا بلغت الذى كنت أشتهى * وأضعافه ألفا فكلنى الى الحجر
وقل لنديمى قم الى الدهر واقترح * عليه الذى يهوى وكلنى الى الدهر

يحكى أنه سر يوما وطلب الندماء وهيأ مجلسا عظيما بآلات الذهب والفضة والمغانى والفواكه وشرب بقية يومه وعامة ليلته ثم عمل شعرا وغنوه به وهو هذا

دعوت الغنا ودعوت المنى * فلما أجاب دعوت القدح
اذا بلغ المرء آماله * فليس له بعدها مقترح

وكان ذلك بعد تدبيره على الصاحب وابعاده عن ركن الدولة وانفراده بالدست كما سنذكره ثم طرب بالشعر وشرب الى أن سكر وقال غطوا المجلس لأصطبح عليه غدا وقال لندمائه باكرونى ثم نام فدعاه مؤيد الدولة فى السحر وقبض عليه وأخذ مايملكه ثم قتله وكان من خبر ذلك أنه لما توفى ركن الدولة وقام بعده ولده مؤيد الدولة مقامه خليفة لاخيه عضد الدولة أقبل من أصبهان الى الرى ومعه الصاحب أبو القاسم بن عباد فخلع على أبى الفتح هذا خلع الوزارة وألقى اليه مقاليد المملكة والصاحب على حالته فى الكتابة لمؤيد الدولة والاختصاص به وشدة الحظ لديه فكره أبو الفتح مكانه وأساء به الظن فبعث الجند على أن يشغبوا عليه وهموا بالمه واهانته فأمره مؤيد الدولة بمعاودة أصبهان وأسر فى نفسه الموجدة على أبى الفتح وانضاف الى ذلك تغير عضد الدولة واحتقاده عليه أشياء كثيرة فى أيام أبيه وبعدها منها ميلته الى عز الدولة بختيار ومنها

والعيش صفو بغير تكدير

فقال

نديمنا فيه شادن غنج

فقلت

مكتحل جفنه بتقتير

(قال على بن ظافر) وجلست مع الشهاب يوما بالجامع الانور بالقاهرة لانتظار الجمعة وكان يجلس بالقرب من مكاننا صبى وضىء بهب وجهه وشعره من البدر نوره ومن الليل ديجوره واغتصب طرفه وعطفه من الظبى كحله ومن الغصن تميله ينعت بالشمس فتأخر حضوره يوما فتعاطينا القول فى غيبته فقلت

ذى الذى غاب فغاب السرور

فقال الشهاب

واتسع الهم بضيق الصدور

فقلت

وأظلم الانور من بعده

فقال الشهاب

وليس بعد الشمس للافق نور

(واتفق لى) انى اجتمعت ليلة مع القاضى أبى الحسن بن النبيه ومع جماعة من شعراء مصر فأنشدهم قول مؤيد الدين الطغرائى فى الهلال

قوموا الى لذاتكم يانيام
وأترعوا الكاس بصفو المدام
هذا هلال العيد قد جاءنا
بمنجل يحصد شهر الصيام

فقال المذكور لو شبهه بمنجل ذهب يحصد نرجس النجوم لكان أولى ثم قال نظما

ميل الفؤاد اليه بل غلوهم في موالاته ومحبته ومنها ترفعه عن التواضع له في مكاتباته واجتمع رأى الاخوين على اعتقاله وأخذ أمواله والقبض عليه بدرت منه كلمات أيضا نقلت الى عضد الدولة فزادت في استيحاشه منه وأنهض من حضرته من طالبه بالاموال وعذبه بأنواع العذاب ويقال انه سمل احدى عينيه وقطع أنفه وجز لحيته وفي تلك الحال يقول وقد أيس من نفسه واستأذن في صلاة ركعتين ودعا بدواة وقرطاس وكتب

بدل من صورتى المنظر * لكنه ماغير المخبر * ولست ذا حزن على فائت
لكن على من بات يستعبر * ووالَه القلب لما مسنى * مستخبرعنى ولا يخبر

(وحدّث) أبو جعفر الكاتب قال كان أبو الفتح قبل النكبة التى أتت على نفسه قد لهج بانشاد هذين البيتين في أكثر أوقاته ولست أدرى أهما له أم لغيره وهما

سكن الدنيا أناس قبلنا * رحلوا عنها وخلوها لنا
ونزلناها كما قد نزلوا * ونخليها لقوم بعدنا

ولما تيقن بهلاكه وانه لا ينجو منهم ببذل المال مدّ يده الى جيب جبة كانت عليه ففتقه عن رقعة فيها مكتوب مالا يحصى من ودائعه وكنوز أبيه وذخائره وألقاها في كانون كان بين يديه ثم قال للموكل به المأمور بقتله اصنع ما أنت صانع فوالله لا يصل من أموالى المستورة الى صاحبك الدرهم الواحد فما زال يعرضه على العذاب ويمثل به حتى تلف وفيه يقول بعض الشعراء المتعصبين له

آل العميد وآل برمك مالكم * قلّ المعين لكم وقلّ الناصر
كان الزمان يحبكم فبدا له * ان الزمان هو المحب الغادر

ورثاه كثير من الشعراء بغرر القصائد

﴿ لا تعجبوا من بلى غلالته * قد زرّ أزراره على القمر ﴾

البيت لابى الحسن بن طباطبا العلوى من المنسرح وقبله

يامن حكى الماء فرط رقته * وقلبه في قساوة الحجر
ياليت حظى كحظ ثوبك من * جسمك ياواحدا من البشر

وبعده البيت ورأيته بلفظ قد زرّ كتانها على القمر

ولعله أبلغ في المراد والغلالة بكسر الغين المعجمة شعار يلبس تحت الثوب (والشاهد فيه) ما في البيت الذى قبله لانه لو لم يجعله قمرا حقيقيا لما كان للنهى عن التعجب معنى لان الكتان انما يسرع اليه البلى بسبب ملازمته القمر الحقيقى لا بسبب ملابسة انسان كالقمر حسنا وردّ كون الاستعارة مجازا عقليا بأن ادّعاء دخول المشبه في جنس المشبه به لا يقتضى كونها مستعملة فيما وضعت له للعلم الضرورى بأنها مستعملة في الرجل الشجاع مثلا والموضوع له هو السبع المخصوص وأما التعجب والنهى عنه في البيت والذى قبله فللبناء على تناسى التشبيه قضاء لحق المبالغة ودلالة على أن المشبه بحيث لا يتميز عن المشبه به أصلا حتى ان كل ما يترتب على المشبه به من التعجب والنهى عنه يترتب على المشبه أيضا ﴿وأبو الحسن بن طباطبا﴾ اسمه محمد بن احمد بن محمد بن أحمد بن ابراهيم طباطبا بن اسمعيل بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم وهو شاعر مفلق وعالم محقق مولده باصبهان وبها مات سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة وله عقب كثير باصبهان فيهم علماء وأدباء ومشاهير وكان مذكورا بالفطنة والذكاء وصفاء القريحة وصحة الذهن وجودة المقاصد وله من المصنفات كتاب عيار الشعر وكتاب تهذيب الطبع وكتاب العروض ولم يسبق الى مثله ومن شعره قصيدة تسعة وثلاثون بيتا ليس فيها راء ولا كاف أوّلها

ياسيدا دانت له السادات * وتتابعت في فعله الحسنات

يقول منها في وصف القصيدة

ميزانها عند الخليل معدّل * متفاعلن متفاعلن فعلات

انظر الى حسن هلال بدا فقلت
يذهب من أنواره حندسا فقال
كمنجل قد صيغ من عسجد فقلت
يحصد من شهب الدجا نرجسا
ثم زدت على هذا المعنى زيادتين بديعتين يدركهما الناقد البصير فقلت
أما ترى الهلال يخفى أنجـ
ـم الافق بنور وجهه الوسيم
كمنجل من ذهب يحصد من
روض الظلام نرجس النجوم
(ومن التمليط الواقع بين شاعرين ببيت لبيت) ويسمى هذا النوع الانقاذ ما ذكره أبو الفرج برواية تتصل بحماد الراوية قال تحرّك كعب بن زهير لقول الشعر فنهاه زهير مخافة أن يكون لم يستمكن شعره فيروى له ما لا خير فيه فكان يضربه في ذلك فيغلبه فلما طال عليه أخذه فحبسه ثم قال والذى أحلف به لا يبلغنى أنك قلت بيتا الا نكلت بك فبلغه أنه يقول فضربه ضربا مبرّحا ثم أطلقه وسرّحه في بهمة وهو غليم صغير فانطلق فرعاها ثم راح عشية وهو يرتجز
كأنما أحدو ببهمى عيرا
من القرى موقرة شعيرا
فخرج زهير فركب ناقته وأردفه وهو يريد أن يتعنته ليعلم ما عنده من الشعر فقال

لو واصـل ابن عطاء البانى لها * تليت توهـــم أنهـا آيات

ومن شعره يهجو أباعلى الرستمى و يرميه بالدعوة والبرص

أنت أعطيت من دلائل رسل الله آيا بها علوت الرؤسا
جئت فـردا بلا أب وبهذا * لبياض فأنت عيسى وموسى

وما أحسن قول أبى المطاع ناصر الدولة ابن حمدان فى معنى البيت المستشهد به

ترى الثياب من الكتان يلمحها * نور من البدر أحيانا فيبليها
فكيف تنكر أن تبلى معاجرها * والبدر فى كل وقت طالع فيها

وقال منصور البستى المعروف بالغزال فيه من قصيدة يصف الساقى

ومشى بكان خلت عنا كبا * نسجت على الياقوت ثوب قتام
اعجب ببدر سالم كتانه * وبه يحترق أنفس الأقوام

ومثله قول الآخر

كيف لا تبلى غلائله * وهو بدر وهى كتان

(فان تعافوا العدل والايمانا * فان فى أيماننا نيرانا)

قائله بعض العرب من الرجز (والشاهد فيه) ذكر القرينة فى الاستعارة لانها مجاز ولا بد لها من قرينة مانعة من ارادة المعنى الموضوع له وهى اما أمر واحد أو أكثر وهو هنا قوله تعافوا فان تعلقه بكل من العدل والايمان قرينة دالة على أن المراد بالنيران السيوف أى سيوفا تلمع كشعل النيران لدلالته على أن جواب هذا الشرط تحاربون وتلجؤن الى الطاعة بالسيوف

(وصاعقة من نصله تنكفى بها * على أرؤس الاقران خمس سحائب)

البيت للبحترى من قصيدة من الطويل أولها

هبيه لمنهل الدموع السواكب * وهبات شوق فى حشاه لواعب
والافر دى نظرة فيـه تجبى * لما فيه أولا تحملى بالعجائب

وهى طويلة والرواية فيه وصاعقة فى كفه كما فى الديوان وبعده

يكاد الندى منها يفيض على العدا * لدى الحرب فى ثنى قنا وقواضب

والصاعقة الموت وكل عذاب مهلك وصيحة العذاب والمخراق الذى بيد الملك سائق السحاب ولا يأتى على شئ الا أحرقه أو نار تسقط من السماء والانكفاء الانقلاب والارؤس جمع رأس والاقران جمع قرن وهو الكفؤ (والشاهد فيه) مجىء القرينة معانى ملتئمة مربوطة بعضها ببعض ويكون الجميع قرينة لا كل واحد فههنا أراد بخمس سحائب أنامل الممدوح الخمس التى هى فى الجود وعموم العطاء سحائب أى يصبها على أكفائه فى الحرب فيهلكهم بها وأراد بأرؤس الاقران جمع الكثرة بقرينة المدح لان كلا من صيغة جمع القلة والكثرة يستعار للآخر فههنا لما استعار السحائب لانامل الممدوح ذكر أن هناك صاعقة وبين انها من نصل سيفه ثم قال على أرؤس الاقران ثم قال خمس فذكر العدد الذى هو عدد الانامل فظهر من جميع ذلك انه أراد بالسحائب الخمس الانامل

(وادا احتبى قربوسه بعنانه)

قائله يزيد بن مسلمة بن عبد الملك بن مروان من قصيدة من الكامل يصف فرسا له بأنه مؤدب وانه اذا نزل عنه وألقى عنانه فى قربوس سرجه وقف مكانه الى أن يعود اليه وتمامه

علك الشكيم الى انصراف الزائر والقربوس بفتح الراء ولا تسكن الا فى ضرورة الشعر وهو حنو السرج وهما قربوسان والعنان بكسر العين سير اللجام الذى تمسك به الدابة والشكيم والشكيمة الحديدة المعترضة فى فم الفرس فيها الفأس وأراد بالزائر نفسه بدليل ماقبله وهو

زهير حسين برز من الحى منشدا

وانى لتعدينى على الهم حسرة
تخب بوصال صروم وتعنق

ثم ضرب كعبا وقال أجز لكع فقال

كبنيانة القرنى موضع رحلها
وآثار نسعيها من الدم أبلق

فقال زهير

على لاحب مثل المجرة خلته
اذا ماعلا نشزا من الارض يمرق

ثم ضرب به وقال أجز فقال

منير هداه ليله كنهاره
جميع اذا يعلو الحزونة أفرق

قال فبدأ به زهير فى وصف النعام وترك عن حركة القاف يعنته بذلك ليعلم ماعنده فقال

وظل بوعساء الكثيب كأنه
خباء على صفياء بوان مورق

بوان عمود من أعمدة البيت

فقال كعب

تراخت به خب الضحى وقد رأى
سماوة قشراء الوظيفين عوهق

فقال زهير

يحن الى مثل الحبابير جثم
لدى منتج من بيضها المتفلق

الحبابير جمع حبارى ويجمع أيضا على حباريات فقال كعب

تحطم عنها بيضها عن خراطم
وعن حدق كالنبخ لم يتفلق

النبخ الجدرى شبه عيون أولاد النعام به قال فأخذ زهير بيده وقال قد أذنت

عودته فيما أزور وحبائى * اهماله وكذاك كل مخاطر

(والشاهد فيه) الاستعارة الخاصة وهى الغريبة والغرابة قد تكون فى نفس الشبه كما فى البيت فانه شبه هيئة وقوع العنان فى موقعه من قربوس السرج ممتدّا الى جانبى فم الفرس بهيئة وقوع الثوب موقعه من ركبة المحتبى ممتدّا الى جانبى ظهره وساقيه بثوب أو غيره كوقوع العنان فى قربوس السرج فجاءت الاستعارة غريبة كغرابة المشبه ومن الاستعارات الغريبة قول طفيل الغنوى

وجعلت كورى فوق ناجية * يقتات شحم سنامها الرحل

وكذا قول الاستاذ ابن المعتز

حتى اذا ما عرف الصيد أبصار * وآذن الصبح لنا بالابصار

وقول جرير

تحيى الروامس ربعها فتجدّه * بعد البلى وتميته الامطار

وقول أبى نواس

بصحن خدّ لم يغض ماؤه * ولم تخضه أعين الناس

وقوله أيضا

فاذا بدا اقتادت محاسنه * قسرا اليه أعنة الحدق

﴿وسالت بأعناق المطىّ الاباطح﴾

قائله كثير عزة من قصيدة من الطويل وصدره أخذنا بأطراف الاحاديث بيننا

وقبله

ولما قضينا من منى كلّ حاجة * ومسح بالاركان من هو ماسح

وشدّت على حدب المهارى رحالنا * ولم ينظر الغادى الذى هو رائح

وقيل الابيات لابن الطثرية وذكر الشريف الرضى فى كتابه غرر الفرائد قال أنشدنى ابن الاعرابى للضمرى وهو عقبة بن كعب بن زهير بن أبى سلمى رحمهم الله تعالى

ومازلت أرجو نفع سلمى وودّها * وتبعد حتى ابيض منى المسائح

وحتى رأيت الشخص يزداد مثله * اليه وحتى نصف رأسى واضح

علا حاجبىّ الشيب حتى كأنه * ظباء جرت منها سنيح وبارح

وهزة أظعان عليهنّ بهجة * طلبت وريعان الصبا بى جامح

فلما قضينا من منى كل حاجة * ومسح بالاركان من هو ماسح

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا * وسالت بأعناق المطىّ الاباطح

وشدّت على حدب المهارى رحالها * ولم ينظر الغادى الذى هو رائح

قفلنا على الخوص المراسيل وارتمت * بهنّ الصحارى والسناح الصحاصح

والاباطح جمع أبطح وهو مسيل واسع فيه دقاق الحصى والمعنى لما فرغنا من أداء مناسك الحج ومسحنا أركان البيت الشريف عند طواف الوداع وشددنا الرحال على المطايا وارتحلنا ولم ينظر السائرون فى الغداة السائرين فى الرواح للاستعجال أخذنا فى الاحاديث وأخذت المطايا فى سرعة السير (والشاهد فيه) حصول الغرابة فى الاستعارة العامية بتصرّف فيها فانه استعار سيلان السيول الواقعة فى الاباطح لسير الابل سيرا عنيفا حثيثا فى غاية السرعة المشتملة على لين وسلاسة والشبه فيها ظاهر عامى لكنه تصرّف فيه بما أفاد اللطف والغرابة حين أسند الفعل وهو سالت الى الاباطح دون المطىّ أو أعناقها حتى أفاد انه امتلأت الاباطح من الابل وأدخل الاعناق فى السير لان السرعة والبطء فى سير الابل يظهران غالبا فى الاعناق ويتبين أمرهما فى الهوادى وسائر الاجزاء يستند اليها فى الحركة ويتبعها فى الثقل والخفة ومثل هذه الاستعارة فى الحسن وعلوّ الطبقة فى هذه اللفظة بعينها قول ابن المعتز رحمه الله تعالى حيث يقول

سالت عليه شعاب الحىّ حين دعا * أنصاره بوجوه كالدنانير

أراد أنه مطاع فى الحىّ وأنهم يسرعون الى نصرته كالسيل وكما أن ادخال الاعناق فى السير أكد كلا من الرقة والغرابة فى الاوّل أكده هنا تعدية الفعل الى ضمير الممدوح بعلى لأنه يؤكد مقصوده من كونه

لك فى قول الشعر يا بنىّ فلما نزل وانتهى الى أهله قال قصيدته وهو صغير يومئذ وهى أوّل شعر روى له

أبيت فلا أهجو الصديق ومن يبع
لعرض أبيه فى المعاشر ينفق

(ومن ذلك) ما أنبأنى به الشيخان الشيخ الاجل العلامة تاج الدين الكندى والشيخ الفقيه جمال الدين الخرستانى قالا أخبرنا الشيخ الحافظ أبو القاسم بن عساكر سماعا عليه أخبرنا أبو العز ابن كادس أخبرنا أبو يعلى ابن الفراء أنبأنا أبو القاسم اسمعيل بن سعيد بن المعدل بن سويد أنبأنا أبو علىّ الحسين ابن القاسم بن جعفر الكوكبى أنبأنا دعبل بن ذكوان أخبرنا السورى عن الاصمعى عن ابن أبى طرفة قال جلس حسان بن ثابت ليلة ومعه ابنته ليلى فجعل يريد شعرا يقوله فقال

متاريك أذناب الامور اذا اعترت
تركنا الفروع واجتثثنا أصولها

ثم جعل يريد الزيادة فلم يقدر فقالت له ابنته كأنك قد أجبلت قال نعم قالت أفأجيز عنك قال نعم فقالت

مقاويل بالمعروف خرس عن الخنا
كرام يعاطون العشيرة سولها

فحمى حسان فقال

مطاعافى الحى (وكثيرعزة) هوعبد الرحمن بن أبى جمعة الاسود بن عامر بن عويمر أبوصخر الخزاعى الشاعر المشهور أحد عشاق العرب وانما صغروه لانه كان شديد القصر * حدث الوقاصى قال رأيت كثيرا يطوف بالبيت فمن حدثك أنه يزيد على ثلاثة أشبار فلا تصدقه وكان اذا دخل على عبد الملك بن مروان أو أخيه عبد العزيز رحمهما الله تعالى يقول له طأطئ رأسك لا يصيبه السقف وكان يلقب زب الذباب وعن أبى عبيدة قال كان الحزين الكنانى قد ضرب على كل رجل من قريش درهمين فى كل شهر منهم ابن أبى عتيق فجاءه لاخذ درهميه على حمار له أعجف قال وكثير مع ابن أبى عتيق فأمر ابن أبى عتيق للحزين بدرهمين فقال الحزين لابن أبى عتيق من هذا الذى معك قال أبو صخر كثير بن أبى جمعة قال وكان قصيرا دميما فقال له الحزين أتأذن لى فى أن أهجوه ببيت من الشعر قال لعمرى لا آذن لك أن تهجو جليسى ولكنى أشترى عرضه منك بدرهمين ودعا له بهما فأخذهما وقال لا بدلى من هجائه ببيت قال وأشترى ذلك منك بدرهمين آخرين فدعا له بهما فأخذهما أيضا وقال ما أنا بتاركه حتى أهجوه قال وأشترى ذلك منك بدرهمين أيضا فقال له كثير ائذن له وما عسى أن يقول فى بيت واحد قال فأذن له ابن أبى عتيق فقال

قصير القميص فاحش عند بيته * يعض القراد باسته وهو قائم

قال فوثب اليه كثير فلكزه فسقط عن الحمار فخلص ابن أبى عتيق بينهما وقال لكثير قبحك الله أتأذن له وتسفه عليه فقال كثير وأنا ما ظننت أن يبلغ بى فى بيت واحد هذا كله وكان كثير يقول بتناسخ الارواح وكان يدخل على عمة له يزورها فتكرمه وتطرح له وسادة يجلس عليها فقال لها يوما لا والله ما تعرفينى ولا تكرمينى حق كرامتى قالت بلى والله انى لأعرفك قال فمن أنا قالت فلان ابن فلان وابن فلانة وجعلت تمدح أباه وأمه فقال قد علمت أنك لا تعرفينى قالت فمن أنت قال أنا يونس بن متى وكان يقرأ فى أى صورة ما شاء ركبك وكان يؤمن بالرجعة ودخل عليه عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم يعوده فى مرضه الذى مات فيه فقال له كثير أبشر فكأنك بى بعد أربعين ليلة قد طلعت عليك على فرس عتيق فقال له عبد الله بن حسن رضى الله عنه مالك عليك لعنة الله فوالله لئن مت لا أشهدك والله لا أعودك ولا أكلمك أبدا وكان شيعيا غاليا فى التشيع وكان يأتى ولد حسن بن حسن رضى الله عنهم اذا أخذ العطاء فيهب لهم الدراهم ويقول أنا نبى الانبياء الصغار وقال عمر بن عبد العزيز رحمهما الله تعالى انى لأعرف صالح بنى هاشم من فاسدهم بحب كثير من أحبه منهم فهو فاسد ومن أبغضه فهو صالح لانه كان خشبيا يؤمن بالرجعة (وحدث) رجل من مزينة قال ضفت كثيرا ليلة وبت عنده ثم تحدثنا ونمنا فلما طلع الفجر تضور ثم قمت فتوضأت وصليت وكثير نائم فى لحافه فلما طلع قرن الشمس تضور ثم قال يا جارية أتجزى لى ماء أى سخنى قال فقلت تبا لك سائر اليوم وبعده وركبت راحلتى وتركته وكان كثير عاقا لأبيه وكان أبوه قد أصابته قرحة فى اصبع من أصابع يديه فقال له كثير أتدرى لم أصابتك القرحة فى اصبعك قال لا أدرى قال مما ترفعها الى الله فى يمين كاذبة (وعن) طلحة بن عبيد الله قال ما رأيت أحمق من كثير دخلت عليه فى نفر من قريش وكنا كثيرا ما نهزأ به وكان يتشيع تشيعا قبيحا فقلت له كيف تجدك يا أبا صخر وهو مريض فقال أجدنى ذاهبا فقلت كلا فقال هل سمعتم الناس يقولون شيأ قلت نعم يتحدثون بأنك الدجال قال أما الآن قلت ذاك فانى لأجد فى عينى هذه ضعفا منذ أيام (وعن) عبد العزيز بن عمر رحمهما الله ان اناسا من أهل المدينة المنورة كانوا يهزؤن بكثير فيقولون وهو يسمع ان كثيرا لا يلتفت من تيهه فكان الرجل يأتيه من ورائه فيأخذ رداءه فلا يلتفت من الكبر ويمضى فى قميص وكان عبد الملك بن مروان معجبا بشعره قال له يوما كيف ترى شعرى يا أمير المؤمنين قال أراه يسبق السحر ويغلب الشعر وقال عبد الملك له يوما من أشعر الناس يا أبا صخر قال من يروى أمير المؤمنين شعره فقال له عبد الملك انك لمنهم (وحدث كثير) قال ما قلت الشعر حتى قولته قيل له وكيف ذاك قال بينا أنا نصف النهار أسير على بعير لى بالغميم أو بقاع حمران اذ راكب قد دنا الى حتى صار الى جنبى فتأملته فاذا هو من صفر وهو يجر نفسه فى الارض

وقافية مثل السنان رزينة
تناولت من جو السماء نزولها
فقالت
يراها الذى لا ينطق الشعر عنده
ويعجز عن أمثالها أن يقولها
فقال والله لا قلت بيت شعر مادمت حية قالت أو ومنك قال فذاك قالت فأنت آمن أن أقول بيت شعر ما بقيت (وروى) عقيل بن خالد عن ابن شهاب أن مروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير اجتمعا ذات يوم فى حجرة عائشة رضى الله تعالى عنها والحجاب بينهما وبينها يحدثانها ويسألانها فجرى الحديث بين مروان وابن الزبير ساعة وعائشة تسمع فقال مروان
فمن يشأ الرحمن يخفض بقدره
وليس لمن لم يرفع الله رافع
فقال ابن الزبير
ففوض الى الله الامور اذا اعترت
وبالله لا بالاقربين أدافع
فقال مروان
وداو ضمير القلب بالبر والتقى
فلا يستوى قلبان قاس وخاشع
فقال ابن الزبير
ولا يستوى عبدان هذا مكذب
عتل لأرحام العشيرة قاطع
فقال مروان
وعبد يجافى جنبه عن فراشه
يبيت يناجى ربه وهو راكع
فقال ابن الزبير
وللخير أهل يعرفون بهديهم

جرّافقال لى قل الشعر وألقاه على" قلت من أنت قال قرينك من الجن فقلت الشعر وكان أوّل أمره مع عزة التى يتعشقها أنه مرّ بنسوة من بنى ضمرة ومعه جلب غنم فأرسلن اليه عزة وهى صغيرة فقالت له يقلن لك النسوة بعنا كبشا من هذه الغنم وأنسئنا بثمنه الى أن ترجع فأعطاها كبشا وأعجبته فلما رجع جاءته امرأة منهن بدراهمه فقال وأين الصبية التى أخذت منى الكبش قالت وما تصنع بها هذه دراهمك قال لا آخذ دراهمى الا ممن دفعت اليه وولى وهو يقول

قضى كل ذى دين فوفى غريمه * وعزة ممطول معنى غريمها

فقلن له أبيت الا عزة وأبرزنها له وهى كارهة ثم انها أحبته بعد ذلك أشد من حبه لها وعن الهيثم ابن عدى" أن عبد الملك سأل كثيرا عن أعجب خبر له مع عزة فقال حججت سنة من السنين وحج زوج عزة بها ولم يعلم أحد منا بصاحبه فلما كنا ببعض الطريق أمرها زوجها بابتياع سمن يصلح به طعاما لاجل رفقته فجعلت تدور الخيام خيمة خيمة حتى دخلت الى" وهى لا تعلم أنها خيمتى وكنت أبرى سهما لى فلما رأيتها جعلت أبرى وأنظر اليها ولا أعلم حتى بريت ذراعى وأنا لا أشعر به والدم يجرى فلما تبينت ذلك دخلت الى" فأمسكت بيدى وجعلت تمسح الدم بثوبها وكان عندى نحى من سمن فحلفت لتأخذنه فجاءت به الى زوجها فلما رأى الدم سألها عن خبره قال فكاتمته حتى حلف عليها لتصدقنه فلما أخبرته ضربها وحلف لتشتمنى فى وجهى فوقفت على" وهو معها فقالت لى يا ابن الزانية وهى تبكى ثم انصرفا فذلك حيث أقول

أسيئى بنا أو أحسنى لا ملومة * لدينا ولا مقلية ان تقلت

هنيأ مريئا غير داء مخامر * لعزة من أعراضنا ما استحلت

ومنه قوله فيها أيضا ودت وحق الله انك بكرة * وأنى هجان مصعب ثم نهرب

كلانا به عر فمن يرنا يقل * على حسنها جرباء تعدى وأجرب

نكون لذى مال كثير مغفل * فلا هو يرعانا ولا نحن نطلب

اذا ما وردنا منهلا صاح أهله * علينا فما ننفك نرمى ونضرب

يحكى أن عزة لما بلغها ذلك وحضر اليها أنشدته الابيات وقالت له ويحك لقد أردت بى الشقاء أما وجدت أمنية أوطأ من هذه فخرج من عندها خجلا وأسوأ من هذه الامنية أمنية الفزارى حيث قال

من حبها أتمنى أن يلاقينى * من نحو بلدتها ناع فينعاها

كيما أقول فراق لا لقاء له * وتضمر النفس يأسا ثم تسلاها

ولكنه استدرك بعد ذلك فقال

ولو تموت وراعتنى لقلت لها * يا بؤس للموت ليت الدهر أبقاها

وقال الآخر تمنيت من حبى بثينة أننا * وئدنا جميعا ثم نحيى ولا أحيا

فترجع دنياها عليها وانى * بساعة ضمّيها رضيت من الدنيا

وكل امرء أماليه تليق بمعاليه قيل للامام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى ما تتمنى قال سندا عاليا وبيتا خاليا *وقيل لبعض الورّاقين ما تتمنى قال قلما مشاقا وحبرا براقا وجلودا وأوراقا وقيل لبعض الصوفية ما تتمنى قال دفنا ودلقا ولا أريد رزقا وقال بعضهم

لو قال لى خالقى تمنّ * قلت له سائلا بصدق * أريد فى صبح كل" يوم

فتوح خير يأتى برزق * كف حشيش ورطل لحم * ومن خبز ونيك علق

وقول الآخر لو قيل ما تتمنى قلت فى عجل * أخا صدوقا أمينا غير خوّان

اذا فعلت جميلا ظل" يشكرنى * وان أسأت تلقانى بغفران

وما أحسن قول ابن سارة فى الامانى

أمانىّ من ليلى حسان كأنما * سقتنى بها ليلا على ظما بردا

اذا اجتمعت عند الخطوب الجامع فقال مروان وللشعر" أهل يعرفون بشكاهم تشير اليهم بالفجور الاصابع فسكت ابن الزبير ولم يجبه فقالت عائشة رضى الله عنها يا عبد الله مالك لم تجب صاحبك فوالله ما سمعت تجاول رجلين تجاولا فى نحو ما تجاولتما فيه أعجب الى" من تجاولكما فقال ابن الزبير انى خفت عوار القول فكففت فقالت عائشة رضى الله عنها أما ان لمروان ارثا فى الشعر ليس لك من قبل صفوان بن محرث الكنانى وكانت أم مروان آمنة بنت علقمة بن صفوان (وروى) أبو عبد الله الجماز قال كنت أنا وأبو نواس جالسين عند باب عثمان اذ مرّ بنا أحمد بن عبد الوهاب الثقفى وهو غلام حسن فقال له أبو نواس قبلنى قبلة فقال لا حتى تقول فى" شيأ فقال أبو نواس

حبك يا أحمد أضنانى

يا قمرا فى زى" انسان

فقبله فقلت وأنا فاشأنى فقال حتى تقول فى" فقلت

بذلت للاوّل ما يشتهى

فجد أبا العباس للثانى

فقبلنى فقال أبو نواس وهذا بيت يكون عندك ديباوأنشد

يا وردة أعجلها قاطف

مرّت بنا فى باب عثمان

منى ان تكن حقا تكن أحسن المنى * والا فقد عشنا بها زمنا رغدا

وبديع قول الوزير مؤيد الدين الطغرائى رحمه الله تعالى

أعلل النفس بالآمال أرقبها * ما أضيق العيش لولا فسحة الامل

وقد أخذه العماد الكاتب فقال

وما هذه الايام الا صحائف * نؤرخ فيها ثم تمحى وتمحق

ولم أر عيشا مثل دائرة المنى * توسعها الآمال والعيش ضيق

وقال العفيف اسحق بن خليل كاتب الانشاء للناصر داود

لولا مواعيد آمال أعيش بها * لمت يا أهل هذا الحى من زمن

وانما طرف آمالى به مرح * يجرى بوعد الامانى مطلق الرسن

وقال آخر في المنى راحة وان علل * تنا من هواها بعض مالا يكون

وقال أبو الوليد بن زيدون أيضا

أمامى قلبى فأنت جميعه * ياليتنى أصبحت بعض مدالك

يدنى مزارك حين شط به النوى * وهم أكاد به أقبل فاك

ومن هنا أخذ الحاجرى قوله

يمثلك الشوق الشديد لناظرى * فأطرق اجلالا كأنك حاضر

وقال ابن رزين من شعراء الذخيرة

لأسرحن نواظرى * فى ذلك الروض النصير ولأكلنك بالمنى * ولأشربنك بالضمير

وقال علم الدين ايدمر المحيوى

كم لديها أمانيا * قد حوت محكم العمل فارغات من الدنا * نيرملأى من الأمل

وهو عكس قول الآخر وأن رجاء كامسافى نواله * لكالمال فى الاكياس تحت الخواتم

وقال أبو الحسين الجزار

ليت شعرى ما العذر لولا قضاء الله فى رزقه وفى حرمانى

ولقد كدت أن أهيم بحمل الهم لولا تعللى بالأمانى

وله أيضا حسب الفتى حسن الامانى انه * لا يعتريه مدى الزمان زوال

وقال أبو البركات محمد بن الحسن الحاتمى

لى حبيب لو قيل ما تتمنى * ما تعديته ولو بالمنون

أشتهى أن أحل فى كل طرف * فأراه بلحظ كل العيون

وقال غيره أعلل بالمنى قلبى لانى * أفرج بالامانى الهم عنى

وأعلم أن وصلك لا يرجى * ولكن لا أقل من التمنى

وقال الآخر وهو أصرح مما قبله

اذا ما عن ذكرك فى ضميرى * وقابلنى محيالك الجميل

أصير لفرط أشواقى أيورا * لعلى أن أنيكك مستحيل

وهو يشبه قول الصفى الحلى أيضا

اذا صد الحبيب لغير ذنب * وقاطعنى وأعرض عن وصالى

أمثله وأنكحه عند صلحى * بأير الفكر فى ثقب الخيال ى

وقد سد باس المعتز باب المنى بقوله

لا تأسفن من الدنيا على أمل * فليس باقيه الا مثل ماضيه

(وذكر الاصبهانى فى كتاب الاغانى) قال دخل أبو نواس على عنان جارية الناطفى وهى تبكى وقد كان سيدها ضربها فأومأ اليه الناطفى أن يحركها بشئ فقال

عنان لو جدت لى فانى من عمرى لا آمر الرسول بما

فقالت مسرعة

فان تمادى ولا تمادى فى قطعك حبلى أكن كمن حسما

فقال

عاقبت من لو أتى على أنفس الـ ـباقين والغابرين ما رحما

فقالت

لو نظرت عينها الى حجر ولد فيه فتورها سقما

(قال أبو الفرج) وقرأت فى بعض الكتب دخل بعض الشعراء على عنان فقال لها مولاها اجيزيه فقالت

سقيا لبغداد لا أرى بلدا يسكنه الساكنون يشبهها

فقال

كأنها فضة مموهة أخلص تمويها مموهها

فقالت

أمن وخفض ولا كبهجتها أرغد أرض عيشا وأرفهها

فانقطع (وذكر الصولى فى كتاب الوزراء) قال قال على بن يحيى المنجم كنت عند أبى الصقر اسمعيل بن بلبل فقال

حديثه علينا بشكله وبقده

فقلت

وتابعه

وتابعه الخالدي فقال   ولا تكن عبد المنى فالمنى * رؤس أموال المفاليس

وقال الآخر   من نال من دنياه أمنية * أسقطت الايام منها الالف

وقال شرف الدين القيرواني أيضا

غلف تمنوا في البيوت أمانيا * وجميع أعمار اللئام أماني

وقال الآخر   ألا يا نفس ان ترضي بقوت * فأنت عزيزة أبدا غنيه

دعي عنك المطامع والأماني * فكم أمنية جلبت منيه

وقال أبو الحسين الجزار   أنا في راحة من الآمال * أين من همتي بلوغ المعالي

لي عجز أراح قلبي من الهم ومن طول فكرتي في المحال

مالباس الحرير مما أرجيه ويرجى ولا ركوب البغال

راحة السر في التخلف عن كل محل أضحى بعيد المنال

وقال بعضهم   وأكثر ما تلقى الاماني كواذبا * فان صدقت جازت بصاحبها القدرا

وقال آخر   ولي من تمنى النفس دنيا عريضة * ومستفتح يغدو علي ويطرق

فقدت المنى لا النفس تلهو عن المنى * لتجربة منها ولا هي تصدق

وقال الصلاح الصفدي

ألا فاطرح عنك التمني ولا تبت * بكاساته نشوان غير مفيق

فان كان مما الاغنى عنه فليكن * وفاة عدو أو حياة صديق

وقد أكثرنا في طول الامل وضده فلنرجع الى أخبار كثير عزة يحكى أنه خرج في الحج بجمل يبيعه فمر بسكينة بنت الحسين رضي الله عنهما ومعها عزة وهو لا يعرفها فقالت لها سكينة هذا كثير سوميه بالجمل فسامته فاستام بمائتي درهم فقالت ضع عنا كذا وكذا الشيء قليل فأبى فدعت له بتمر وزبد فأكل فقالت له ضع عنا كذا وكذا الشيء قليل فأبى أيضا فقالت له قد أكلت يا كثير ما انسالك فقال ما أنا بواضع شيأ فقالت سكينة اكشفوا عنها وعن عزة فلما رآها استحى وانصرف وهو يقول هو لكم هو لكم وحدث محمد بن سلام قال كان كثير يتقول ولم يكن عاشقا وكان جميل صادق الصبابة والعشق وقال أبو عبيدة كان جميل يصدق في حبه وكان كثير يكذب في حبه ويروى أنه نظر ذات يوم الى عزة وهي تميس في مشيتها فلم يعرفها فاتبعها وقال لها يا سيدتي قفي لي أكلمك فاني لم أر مثلك قط فمن أنت قالت ويحك وهل تركت عزة فيك بقية لاحد فقال بأبي أنت لو أن عزة أمة لوهبتها لك قالت فهل لك في المخالة قال وكيف لي بذلك قالت وكيف بما قلته في عزة قال أقلبه كله وأحوله اليك فكشفت عن وجهها وقالت أغدرا يا فاسق وانك لهكذا فأبلس ولم ينطق وبهت فلما مضت أنشأ يقول

ألا ليتني قبل الذي قلت شيب لي * من السم جرعات بماء الذرارح

فمت ولم تعلم علي خيانة * وكم طالب للربح ليس برابح

أبوء بذنبي انني قد ظلمتها * واني بباقي سرها غير بائح

وكان كثير بمصر وعزة بالمدينة المنورة فاشتاق اليها فسافر ليلقاها فصادفها في الطريق وهي متوجهة الى مصر فجرى بينهما كلام طويل الشرح ثم انها انفصلت عنه وقدمت مصر ثم عاد كثير الى مصر فوافاها توفيت والناس منصرفون عن جنازتها فأتى قبرها وأناخ راحلته ومكث ساعة ثم رحل وهو يقول أبياتا منها قوله

أقول ونضوي واقف عند قبرها * عليك سلام الله والعين تسفح

وقد كنت أبكي من فراقك حية * فأنت لعمري الآن أنأى وأنزح

وقال له عبد الملك بن مروان يوما بحق علي بن أبي طالب هل رأيت أحدا أعشق منك قال يا أمير المؤمنين لو أنشدتني بحقك لأخبرتك بينا أنا أسير في بعض الفلوات اذا أنا برجل قد نصب حبالته فقلت له ما حبسك

جزاؤه كلما نا
ه ان يهان بصده
فقال
وقد ملا الارض طرا
بتيهه وببرده
فقلت
يارب فامنن علينا
قبل الممات بفقده
(وذكر) محمد بن أيوب الغرناطي في كتاب فرحة الانفس في أخبار أهل الاندلس أن الناصر عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن ابن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل جلس في جماعة من خواصه ومعهم أبو القاسم لب وكان بعده للمجون فقال له اهج عبد الملك بن جهور أحد وزرائه فقال أخافه فقال لعبد الملك فاهجه أنت فقال أخاف على عرضي منه فقال أهجوه أنا وأنت ثم صنع
لب أبو القاسم ذو لحية
طويلة في طولها ميل
فقال عبد الملك
وعرضها ميلان ان كسرت
والعقل مأفون ومخبول
فقال الناصر للب اهجه
فقد هجاك فقال بديها
قال أمين الله في عصرنا
لي لحية أزرى بها الطول
وابن عبير قال قول الذي
ما كوله القرصيل والفول
لولا حياء من امام الهدى
نخست بالمخس شو
ثم سكت فقال الناصر هات

ههنا فقال أهلكني وأهلي الجوع فنصبت حبالتي هنا لأصيب لهم شيأ يكفينا ويعصمنا ومناهذا قلت أرأيت ان أقمت معك فأصبت صيدا اتجعل لي جزأ منه قال نعم فبينا نحن كذلك وقعت ظبية في الحبالة فخرجنا نبتدر فبدرني اليها فحلها وأطلقها فقلت ما حملك على هذا قال دخلتني لها رقة لشبهها بليلى وأنشأ يقول

أيا شبه ليلى لا تراعي فانني * لك اليوم من وحشية لصديق

أقول وقد أطلقتها من وثاقها * فأنت لليلى ما حييت طليق

(وحدث) عبد الرحمن بن عبد الله الزهري قال بكى بعض آل كثير عليه حين نزل به الموت فقال له كثير لا تبك فكأني بك بعد أربعين يوما تسمع خشفة نعلي من تلك الشعبة راجعا اليكم وحدث يزيد بن عروة رحمهم الله تعالى قال مات كثير وعكرمة رحمهما الله تعالى في يوم واحد فقيل مات اليوم أعلم الناس وأشعر الناس ولم تتخلف امرأة ولا رجل عن جنازتيهما وغلب النساء على جنازة كثير يبكينه ويذكرن عزة في ندبهن فقال أبو جعفر محمد بن علي افرجوا لي عن جنازة كثير لأرفعها قال فجعلنا ندفع عنها النساء وجعل محمد بن علي رضي الله عنه يضربهن بكمه ويقول تنحين يا صويحبات يوسف فانتدبت له امرأة منهن فقالت يا ابن رسول الله لقد صدقت انا لصويحباته وقد كنا خيرا منكم له فقال أبو جعفر لبعض مواليه احتفظ بها حتى تجيئني بها اذا انصرفنا فلما انصرف أتي بتلك المرأة كأنها شرر النار فقال لها أنت القائلة انكن ليوسف خير منا قالت نعم تؤمنني غضبك يا ابن رسول الله قال أنت آمنة من غضبي فأبيني قالت نحن يا ابن رسول الله دعوناه الى اللذات من المطعم والمشرب والتمتع والتنعم وأنتم معاشر الرجال ألقيتموه في الجب وبعتموه بأبخس الأثمان وحبستموه في السجن فأينا كان عليه أحن وبه أرأف فقال لها محمد لله درك لن تغالب امرأة الا غلبت ثم قال ألك بعل فقالت لي من الرجال من أنا بعله فقال لها صدقت مثلك من تملك زوجها ولا يملكها فلما انصرفت قال رجل من القوم هذه ربيبة فلانة بنت معيقب الانصارية وكانت وفاة كثير سنة خمس ومائة في ولاية يزيد بن عبد الملك رحمهم الله تعالى

﴿قتل البخل وأحيي السماحا﴾

هو لابن المعتز من قصيدته السابقة في التشبيه وصدره جمع الحق لنا في امام وبعده قوله

ان عفالم يبلغ لله حقا * أوسطا لم يخش منه جناحا

ألف الهيجاء طفلا وكهلا * يحسب السيف عليه وشاحا

(والشاهد فيه) مدار قرينة الاستعارة التبعية على المفعول فان القتل والاحياء الحقيقيين لا يتعلقان بالبخل والجود

﴿نقريهم لهذميات﴾

قائله القطامي ولفظه نقريهم لهذميات نقد بها * ما كان خاط عليهم كل زراد

وهو من قصيدة من البسيط يمدح بها زفر بن الحرث الكلابي أولها

ما اعتاد حب سليمى غير معتاد * ولا تقضى بواقي دينها الصادي

بيضاء محطوطة المتنين بهكنة * ريا الروادف لم تمغل بأولاد

ما للكواعب ودعن الحياة كما * ودعنني واتخذن الشيب ميعادي

أبصارهن الى الشبان مائلة * وقد أراهن عني غير صداد

اذ باطلي لم تقشع جاهليته * عني ولم يترك الخلان تقوادي

كنية الحي من ذي الغيطة احتملوا * مستحقبين فؤادا ماله فادي

بانوا وكانت حياتي في اجتماعهم * وفي تفرقهم قتلي واقصادي

يقتلننا بحديث ليس يعلمه * من يتقين ولا مكنونه بادي

فهن ينبذن من قول يصبن به * مواقع الماء من ذي الغلة الصادي

تمام البيت فامتنع فقال له قولو يعني تمام البيت قالها الناصر مسترسلا غير متحفظ من زيادة الواو وابدال الهاء واوا اذ صوابه قله على حكم المشي مع الطبع والراحة من التكلف فقال لب يا مولانا أنت هجوته ففطن الناصر والحاضرون وضحكوا وأمر له بجائزة ● القرضيل شوك له ورق عريض تأكله البقر وشوا اسم ذكر الرجل بالرومية وقولو اسم للاست فكأنه قال لولا حياءي من امام الهدى نخست بالمنخس الذي هو الذكر استه (قال علي ابن ظافر) أخبرني من أثق به وهو الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي القرموني بمعناه اجتمع الوزير أبو بكر بن القبطرنة والاستاذ أبو العباس بن صارة في يوم جلا الذهب برقه وأذاب ورق ودقه والارض قد ضحكت لتعبيس السماء واهتزت وربت عند نزول الماء فتراقدا في صحنها فقال ابن صارة

هذي البسيطة كاعب ابرادها * حلل الربيع وحليها النوار

فقال ابن القبطرنة

وكأن هذا الجو فيها عاشق * قد شفه التعذيب والاضرار

فقال ابن صارة

فاذا شكا فالبرق قلب خافق * واذا بكى فدموعه الامطار

وهي

وهى طويلة واللهذم القاطع من الاسنة وأراد بلهذميات طعنات منسوبة الى الاسنة القاطعة أو أراد نفس الاسنة والتشبيه للمبالغة والقدّ القطع والزرّاد صانع الدروع (والشاهد فيه) ان مدار قرينة الاستعارة التبعية فى الفعل وما يشتق منه على الفاعل أو المفعول كما هنا فان المفعول الثانى وهو اللهذميات قرينة على أن تقريهم استعارة وقد تقدّم ذكر القطامى فى شواهد القلب والله أعلم

(غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا)

هو من الكامل وتمامه غلقت لضحكته رقاب المال وهو من قصيدة لكثير عزة وأراد بغمر الرداء كثير العطاء (والشاهد فيه) الاستعارة المجرّدة وهى ما قرنت علائم المستعار له فانه استعار الرداء للعطاء لانه يصون عرض صاحبه كما يصون الرداء ما يلقى عليه ثم وصفه بالغمر الذى يلائم العطاء دون الرداء تجريدا للاستعارة والقرينة سياق الكلام وهو قوله اذا تبسم ضاحكا أى شارعا فى الضحك آخذا فيه غلقت لضحكته رقاب المال يقال غلق الرهن فى يد المرتهن اذا لم يقدر على انفكاكه وهو يريد فى البيت أن ممدوحه اذا تبسم غلقت رقاب أمواله فى أيدى السائلين ومن استعارة الرداء قوله

ينازعنى ردائى عبد عمرو * رويدك يا أخا عمرو بن بكر
لى الشطر الذى ملكت يمينى * فدونك فاعتجر منه بشطر

فانه استعار الرداء للسيف وأثبت له الاعتجار وهو من صفة الرداء وما أحسن استعارة الرداء فى قول أبى الوليد بن الجنان الشاطبى وهو فوق خدّ الورد دمع * من عيون السحب يذرف
برداء الشمس أضحى * بعد ما سال يجفف

وفى معنى عجز البيت قول امرئ القيس
غلقن برهن من حبيب به ادّعت * سليمى فأضحى حبلها قد تبترا

وقول زهير وفارقتك برهن لا فكاك له * يوم الوداع فأمسى الرهن قد غلقا

وقول الوليد ومن يك رهنا للحوادث يغلق

وقول عمر بن أبى ربيعة وكم من قتيل لا يباء به دم * ومن غلق رهن اذا ضمه مِنىً

وقول أبى جعفر بن مسلمة بن وصاح يخاطب ساجع حمام من أبيات
وهاج مبكاك بشان ابن * راهيم للنجدى ذكر القطين
فترح فساعدنى على لوعتى * فان رهنى غلق فى الرهون

وقول أبى نصر الساجى تشكو اليك جلتى ما لها * فيا لها ان صبرت ويا لها
لانها مرهونة بحبكم * طوبى لها ان غلقت طوبى لها

وما ألطف قول الصلاح الصفدى مع زيادة ابهام وايهام الطباق
سهام لحظك أصمت * قلبى ولم تترفق ما تفتح الجفن الا * ورهن قلبى يغلق

(لدى أسد شاكى السلاح مقذف * له لبد أظفاره لم تقلم)

تقدّم قريبا أن قائله زهير بن أبى سلمى من قصيدة من الطويل واللبد بالكسر شعر زبرة الاسد وكنيته أبو لبد والتقليم مبالغة القلم وهو قطع الاظفار (والشاهد فيه) اجتماع التجريد والترشيح فى الاستعارة فالتجريد قد عرف قبله والترشيح هو ما قرن بملائم المستعار منه فقوله هنا لدى أسد شاكى السلاح تجريد لانه وصف يلائم المستعار له وهو الرجل الشجاع وباقى البيت ترشيح لانه وصف يلائم المستعار منه وهو الاسد الحقيقى ومعنى البيت أخذه زهير من قول أوس بن حجر حيث قال
لعمرك انا والاحاليف هؤلا * لفى حجبة أظفارها لم تقلم

أى نحن فى حرب وكذلك أخذه النابغة حيث قال أيضا
وبنو قعين لا محالة أنهم * آتوك غير مقلمى الاظفار

فقال ابن القبطرنة
من أجل ذلة ذا وعزة هذه
يبكى الغمام وتضحك الازهار
(قال على بن ظافر) وأخبرنى أبو يحيى بن أحمد السنولى بما معناه أخبرنى كل من الاديب أبى عبد الله المنيطى وأبى العباس أحمد بن خير عشية فى منار سبتة والشمس قد آذنت بالرواح ونثرت زعفرانها على مسك البطاح فقال ابن خير
عشيتنا وقد لبست رداءى
شحوب للتفرق والوداع
فقال المنيطى
فيا شمس الاصيل أراك تشكو
كشكواى أطبعك من طباعى فقال ابن خير
فلا تجزع لعل الدهر يوما
يجود على التفرق باجتماع
(قال على بن ظافر) وقال لى السنولى ما معناه وأخبرانى أيضا أنهما مرا على صبى نجار ينجر أخشاب سفينة
كأن البدر يبسم عن محياه
والزهر ينسم عن رياه وهو يبذل من أخشابه ما كان مصوبا ويعاقبها بقطع لسرقتها حركات أعطافه حين كانت غصونا فتجاريا القول فيه فقال المنيطى
ورب ظبى غرير
يروع بالهجر روعى
فقال ابن خير
ذلت له الخشب طوعا

(ويصعد حتى يظن الجهول * بأن له حاجة فى السما)
البيت لابى تمام الطائى من قصيدة من المتقارب يرثى بها خالد بن يزيد الشيبانى ويذكر أباه وأولها
نعاء الى كل حى نعى * فتى العرب اختط ربع الفنا أصبنا جميعا بسهم النضال فهلا أصبنا بسهم العلا
ألا أيها الموت فجعتنا * بماء الحياة وماء الحيا فماذا حضرت به حاضرا * وماذا خبأت لاهل الخبا
نعاء نعاء شقيق الندى * اليه نعيا قليل الجدا وكانا زمانا شريكى عنان * رضيعى لبان خليلى صفا
الى أن قال يخاطب ولده أبا جعفر ليعرك الزما * ن عزاؤ يكسك طول البقا
فما مزنك المرتجى بالجهام * ولا ريحنا منك بالجربيا
فلا رجعت فيك تلك الظنون * حيارى ولا انسد شعب الرجا
وقد نكس الثغر فابعث له * صدور القنا فى ابتغاء الشفا
فقد مات جدك جد الملوك * ونجم أبيك حديث الضيا
ولم ترض قبضته للحسام * ولا حمل عاتقه للوى
فما زال يقرع تلك العلا * مع النجم مرتديا بالعما
وبعده البيت وهى قصيدة طويلة وهذا البيت فى مدح أبيه ودكر علوه (والشاهد فيه) أن مبنى الترشيح على تناسى التشبيه حتى ان المرشح يبنى على علو القدر الذى يستعار له علو المكان ما بنى على علو المكان والارتقاء الى السماء فلولا أن قصده أن يتناسى التشبيه ويصر على انكاره فيجعله صاعدا فى السماء من حيث المسافة المكانية لما كان لهذا الكلام وجه ومثله قول بشار
أتتنى الشمس زائرة * ولم تك تبرح الفلكا
وقول ابن الرومى يمدح به بنى نوبخت
شافهتم البدر بالسؤال عن الا مر الى أن بلغتم زحلا
وقول أبى الطيب المتنبى أيضا
كبرت حول ديارهم لما بدت * منها الشموس وليس فيها المشرق
وقول الآخر ولم أر قبلى من مشى البدر نحوه * ولا رجلا قامت تعانقه الأسد
وقد اتفق علماء البديع على تقديم الاستعارة المرشحة على غيرها فى هذا الباب وانه ليس فوق رتبتها رتبة ولنذكر نبذة منها ومن غيرها من محاسن ما ورد فيها قول أبى جعفر الشقرى
يا هل ترى أظرف من يومنا * قلد جيد الافق طوق العقيق وأنطق الورق بعيدانه
مرقصة كل قضيب وريق * والشمس لا تشرب خمر الندى * فى الروض الا بكؤوس الشقيق
ومثله فى الرشاقة قول ابن رشيق
يا كرالى اللذات واركب لها * سوابق اللهو ذوات المزاح
من قبل أن ترشف شمس الضحى * ريق الغوادى من ثغور الاقاح
ولطيف قول بعضهم أيضا شربنا الريق وكاساتنا * شفاهنا والقبل النقل
ويقرب من البيت الاول من قول ابن رشيق قول ابن المعتز
وقد ركضت بنا خيل الملاهى * وقد طرنا بأجنحة السرور
وبديع أيضا قول ابن وكيع
غرد الطير فنبه من نعس * وأدر كاسك فالعيش خلس * سل سيف الفجر من غمد الدجى
وتعرى الصبح من ثوب الغلس * وانجلى عن حلل فضية * نالها من ظلم الليل دنس
وقول أبى نواس بعص حد لم يغض ماؤه * ولم تخصه أعين الناس
وقوله أيضا فاذا بدا اقتادت محاسنه * قسرا اليه أعنة الحدق

كذلتى وخضوعى
فقال المتيطى
فقلت حتى ماذا
تبغى بهذا الصنيع
فقال ابن خمير
فقال أنتى سعينا
لرحلتى ونزوعى
فقال المتيطى
فقلت دونك فاجعل
سفينة من ضلوعى
فقال ابن خمير
شراعها من فؤادى
وبحرها من دموعى
(قال على بن ظافر) وأخبرنى القاضى الاسعد أبو المكارم أسعد بن الخطير المقدم ذكره قال اجتمعت مع الوجيه أبى الحسن على بن الذروى رضى الله تعالى عنه ومعنا رجل سيئ الخلق كثير الضجر والحنق ذو صدر يضيق عن مثقال الذرة ويتسع عنه انساع الافق لسم الابرة فترافدنا فى ذمه فقال ابن الذروى
لو كان سرمك مثل صدرك ضيقة
طال اشتياق حتاره للفيشل
فقلت
ولكنت أول من يقال بأنه
بغاء الا أنه لم يدخل
(وأخبرنى) الاديب عبد المنعم بن صالح الجزيرى قال اجتمع عندى ابن المعلم والوجيه أبو الحسن بن الذروى والفقيه الاديب أبو الفضل المنبوز بطيرى وجلسوا للحديث فدخل

وقوله أيضا وهو عجيب هنا

مازلت أستل روح الزق في لطف * وأستقي دمه من جفن مجروح
حتى انثنيت ولي روحان في جسدي * والزق منطرح جسم بلا روح

وقول البدر الذهبي وأجاد

مانظرت مقلتي عجيبا * كاللوز لما بدا نواره
اشتعل الرأس منه شيبا * واخضر من بعد ذا عذاره

وقول ابن خفاجة الاندلسي

وقد جال من حول الغمامة أدهم * له البرق سوط والشمال عنان
وضمخ درع الشمس نحر حديقة * عليه من الطل السقيط جمان
وغنت بأسرار الرياض خميلة * لها النور ثغر والنسيم لسان

وقول ابن قرناص

قد أتينا الرياض حين تجلت * وتحلت من الندى بجمان
ورأينا خواتم الزهر لما * سقطت من أنامل الاغصان

وبديع أيضا قول ابن نباتة السعدي

خرقنا بأطراف القنا لظهورهم * عيونا لها وقع السيوف حواجب
لقوا ابلنا مرد العوارض وانثنوا * لأوجههم منها لحى وشوارب

وقول الشريف أبي الحسن العقيلي

وفرق تيجان نواره * فلم ينس من غصن مفرقا

وقوله أيضا اذا أبدى مؤامرة التجني * أقت له وجوه الاحتمال

وقوله أيضا خلص بجاه الوصل قلب متيم * غمز الصدود عليه أعوان الضنى

وقوله أيضا كلما لاح وجهه بمكان * كثرت زحمة العيون عليه

وقوله أيضا فلما تبدى لنا وجهه * نهبنا محاسنه بالعيون

وقول السري الرفاء في وصف يوم بارد من أبيات

متلون يبدي لنا * طرفا بأطراف النهار
فهواه منسكب الردا * وغيمه حاقي الأزرار
يبكي فيجمد دمعه * والبرق يكحله بنار

وقول أبي القاسم الدينوري

من عذيري من بديع الحسن ذي قد رشيق أنبتت في فمه اللؤ * لؤ أرض من عقيق

وما ألطف قول أبي زكرياء المغربي من قصيدة أولها

نام طفل النبت في حجر النعامى * لاهتزاز الطل في مهد الخزامى

يقول فيها

كحل الفجر لهم جفن الدجى * وغدا في وجنة الصبح لثاما
تحسب البدر محيا ثملا * قد سقته راحة الفجر مداما

وقول السلامي وهو بديع

والكأس للسكر التبري صائغة * والماء للحبب الدري نظام
بتنا نكفكف بالكاسات أدمعنا * كأننا في حجور الروض أيتام

وما أبدع قوله أيضا تسطنا على الآثام لما * رأينا العفو من ثمر الذنوب

قيل كان الصاحب بن عباد يستحسن هذا البيت وكان يستشهد به كثيرا ويقول ما درى قائله أي درة رمى بها وأي غرة سيرها وجلاها وقول التنوخي وهو من غريب الاستعارات

ورياض حاكت لهن الثريا * حللا كان غزلها للرعود
نثر الغيث در دمع عليها

علينا أبو الربيع سليمان بن تنين الطيبان وذكر أنه رأى رجلا مصلوبا بأعلى الجسر وطعن بعد صلبه فقال الوجيه ابن الذروي بأصحابنا اصنعوا في هذا شيئا فقال ابن المنجم انما يصنع فيه من يتهم بأنه لا يشعر وليس ههنا من يتهم الا الشيخ أبو الفضل والشيخ أبو الربيع فليصنعا بيتين على حرف الدال على سبيل المرافدة ليثبت لهما ما ادعياه من قول الشعر فصنع طيري في الحال

ومصبح تخذ الجذوع مطية
فتقطعت لركوبها أفخاذه

وأطال أبو الربيع التفكر وافتضح في تمادي التأمل فدس اليه ابن المنجم رقعة صغيرة فيها

وبدا لسن الرمح فيه نفاذه
أخذ على افلاذه فولاذه

وناوله له بحيث فطنت الجماعة وتغافلوا وخفي الامر على طيري لسوء بصره فقال بيتي خير من هذا البيت وأكثر الصياح والجلبة فقال له ابن الذروي دع عنك هذا القول ألست القائل في بيتك تخذ الجذوع فهذا اصلب على جذع أو مائة وقلت أفخاذه فله فخذان أو عشرة وأوحى اليه بالقصة فأقصر عن الكلام ثم التفت ابن الذروي الى سليمان وقال له قد ثبت اليوم عملك الشعر فانصرف وقد ألزموه بعمل دعوة

فحلت بمثل درّ العقود * أقحوان معانق لشقيق * كثغور تعض ورد الخدود
وعيون من نرجس تتراآ * كعيون موصولة التسهيد * وكأن الشقيق حين تبدّى
ظلمة الصدغ فى خدود الغيد * وكأن الندى عليها دموع * فى عيون مفجوعة بفقيد

وقول السيد أبى الحسن على بن أبى طالب البلخى من أبيات

وكم قد مضى ليل على أبرق الحمى * مضىء ويوم بالمشرّق مشرق
تسرّقت فيه اللهو أملس ناعما * وأطيب أنس المرء ما يتسرّق
ويا حسن طيف قد تعرّض موهنا * وقلب الدجى من صولة الصبح يخفق

وقول ابن الساعاتى ولولا وشاة بل رواة تخرّصوا * أحاديث ليست فى سماع ولا نقل
لثمت ثغور النور فى شنب الندى * خلال جبين النهر فى طرر الظل

وقول القاضى كمال الدين ابن النبيه

تبسم ثغر الروض عن شنب القطر * ودبّ عذار الظل فى وجنة النهر

وقوله أيضا والنهر خدّ بالشعاع مورّد * قد دب فيه عذار ظل البان
والماء فى سوق الغصون خلاخل * من فضة والزهر كالتيجان

وقول ابن قرناص أيضا لقد عقد الربيع نطاق زهر * يضم بغصنه خصرا نحيلا
ودبّ مع العشى عذار ظل * على نهر حكى خدا أسيلا

وكلهم قد أخذوا الوجه والعذار من ابن خفاجة حيث قال

وانى وان جئت المشيب لمولع * بطرّة ظل فوق وجه غدير

وما أحسن قول الشهاب محمود الورّاق

اذا الكرى در فى أجفاننا سنة * من النعاس نفضناها عن الهدب

وقول ابن نباتة المصرى أيضا

وما جنى طرفى رياض جمالكم * جعلت سهادى فى عقوبة من جنى
أأحبابنا ان عفتم السفح منزلا * وأخليتم من جانب الجذع موطنا
فقد خزتم دمعى عقيقا ومهجتى * غضى وسكنتم من ضلوعى منحنى

وقوله أيضا هذى الحمائم فى منابر أيكها * تملى الغنا والطل يكتب فى الورق
والقضب تخفض للسلام رؤسها * والزهر يرفع زائريه على الحدق

وهو أحسن من قول الامير مجير الدين بن تميم

انى لأشهد للعمى بفضيلة * من أجلها أصبحت من عشاقه
ما زاره أيام نرجسه فتى * الا وأجلسه على أحداقه

وقول مجد الدين الاربلىّ

أصغى الى قول العذول بجملتى * مستفهما عنكم بغير ملال
لتلقطى زهرات ورد حديثكم * من بين شوك ملامة العذال

وقول مانى الموسوس دعتنى الى وصلها جهرة * ولم تدر أنى لها أعشق
فقمت والسكر من زرقى * الى قدمى ألسن تنطق

وما أجود قول أبى طاهر البغدادىّ فى ازار القرى

خطرت فكاد الورق تسجع فوقها * ان الحمام لمولع بالبان
من معشر نشروا على تاج الربا * للطارقين ذوائب النيران

وهو مأخوذ من قول الاوّل

سرورا بذلك (وأخبرنى) الاديب ابو القسم عبد الرحمن العذارى قال اجتمع فى منزلى أبو الفضل جعفر المعروف بشلعلع والمهذب وابن سعدان الدمشقى فأنشدنا ابن سعدان قصيدتين مفرطتى الطول وقال صنعتهما و بيضتهما وجملتهما الحمد وحب فى يومى هذا وكان الظهر لم يؤذن به بعد ورددنا اليه قوله فأخذ يدعى قوة الارتجال وسرعة البديهة فقال له جعفر هذا مكان يمكن فيه اقامة البينة من كل مدّع ثم أطرق وقال
ولقد قطعت اليوم غير مغصص
بهذين محلق ومقصص
وقال له اصنع على هذا البيت والزم الصادين فقال ابن سعدان هذا ينبغى أن يقوله صاحب المنزل وصدق لان جعفرا عنى بقوله محلق نفسه وعنى بقوله مقصص ابن سعدان لانه كان يفرط فى قص لحيته فقال له جعفر قل فلم يصنع شيأ فقلت أنا
وطفقت أغتنم السرور كأنما
قد فزت من لذاته بتلصص
ثم استدعينا منه القول فما أمكن وكأنما يبس أو اعتراه الخرس فقال المهذب
فكأنما أسقيتها من خاتم
ورقيبه فوت المدام مقصص
ثم استدعيناه فلم يقل شيأ فقلت أنا أصنع عنك وقلت

يبيتون فى المشتى خماصا وعندهم * من الزاد فضلات تعدّلن يقرى
اذا ضلّ عنهم طارق رفعوا له * من النار فى الظلماء ألوية حمرا

وقول صردر فيها قوم اذا حيا الضيوف جفاهم * ردّت عليهم ألسن النيران

ومنه قول التهامى نادته نارك وهى غير فصيحة * وهنا بخفق ذوائب النيران

وقد بالغ مهيار الديلمى فى قوله

ضربوا بدرجة الطريق قبابهم * يتقارعون على قرى الضيفان
ويكاد موقدهم يجود بنفسه * حب القرى طربا على النيران

وما أحسن قول ابن سكرة وهو صاحب البيتين الجامعين لكافات الشتاء

قيل ما أعددت للبرد فقد جاء بشدّه * قلت درّاعة عرى * تحتها جبة رعده

وما ألطف قول ابن عمار

أدر الزجاجة فالنسيم قد انبرى * والنجم قد صرف العنان عن السرى
والصبح قد أهدى لنا كافوره * لما استردّ الليل منا العنبرا

ومن بديع الاستعارة على سخفه ومجونه قول سعيد بن سناء الملك

ياهذه لا تستحى * منى قد انكشف المغطى ان كان كسك قد تنا * ءب ان ايرى قد تمطى

فاستعارة التثاؤب والتمطى هنا من أحسن الاستعارات قال ابن جبارة أنشد فى هذا ابن سناء الملك وزاد فى الاعجاب به فلما عدت الى البيت أخذت جزءا من البصائر والذخائر لابى حيان التوحيدى فوجدت فيه أن بغدادية قالت لاخرى خرجت اليوم الى العيد قالت اى وحياتك قالت لها فما رأيت قالت أحرا حا تتثاءب وأيورا تتمطى فلما اجتمعت به قلت له قد عرفت وعثرت على الكنز الذى انتهبته وحكيت له الحكاية قال سيدنا يفتش عن أمرى ومن ظريف الاستعارات قول الامير مجير الدين بن تميم

كيف السبيل لان أقبل خدّ من * أهوى وقد نامت عيون الحرّس
وأصابع المنثور ترمى نحونا * حسدا وتغمزها عيون النرجس

وبديع قول السلامى أيضا فى وصف الحرب

والنقع ثوب بالنسور مطرّز * والارض فرش بالجياد مخمل
وسطور رخيلك انما ألفاتها * سمر تنقط بالدماء وتشكل

وأجاد البدر بن يوسف الذهبى بقوله

هلم ياصاح الى روضة * يجلو بها العانى صداهمه نسيمها يعثر فى ذيله * وزهرها يضحك فى كمه

ومن ظريف الاستعارة أيضا قول ابن الغويرة

عاينت حمة خاله * فى روضة من جلنار فغدا فؤادى طائرا * فاصطاده شرك العذار

وما أبدع أيضا قول الشريف الرضى الموسوى

أرسى النسيم بواديكم ولا برحت * حوامل المزن فى أجداثكم تضع
ولا يزال جنين النبت ترضعه * على قبوركم العرّاضة الهمع

وقد أخذه ابن أسعد الموصلى فقال من قصيدة يتشوّق فيها الى دمشق

سقى دمشق وأياما مضت فيها * حوامل السحب باديها وعاديها
ولا يزال جنين النبت ترضعه * حوامل المزن فى احشا أراضيها

ومحاسن هذا الباب كثيرة والاقتصار على هذه النبذة أولى

(هى الشمس مسكنها فى السماء * فعزّ الفؤاد عزاء جميلا)
(فلن تستطيع اليها الصعود * ولن تستطيع اليك النزولا)

وتزلت عن تكرير الصاد
أشنى المغنذ فى المدام فدامة
. أحب كل مسامح ومرخص
وانقصى المجلس ولم يصنع شيأ
(قال على بن ظافر) وكتب
الى القاضى الاعز ابن المؤيد
من الاسكندرية ولفظ
الخبر له قال تسايرت أنا
والقاضى المخلص أبو العباس
أحمد بن يحيى بن عوف
بشاطئ خليج الاسكندرية
من جهة القنطرة المعروفة
بقنطرة السوارى وقد رقصت
أشجاره على غناء أطياره
وملأ لها ساقى الغمام كؤس
جلناره فبينما نحن نتناشد
من نفيس رقيق الاشعار
ونتعاطى من كؤس رحيق
الاخبار ونتعجب من سماء
ذلك الماء كيف خلت من
البدور ومن نجوم تلك
الازهار مع طلوع شمس
النهار كيف لا تغور اذا بجوار
هنالك جوار وبدور من
نبل السوارى سوار فقلت
لله أىّ بدور
من السوار سوارى
فقال المخلص
من كل هيفا جرى الـ
وشاح خرسى انسوار
فقلت
لاحت فخلت وحلت
قلبى وعقد اصطبارى
فقال
تنوب فرعا ووجها
عن الدجى والنهار
فقلت

البيتان للعباس بن الاحنف من المتقارب (والشاهد فيهما) جواز البناء على الفرع وهو المشبه به مع جحد الاصل وهو المشبه لانه هنا طوى ذكر الاصل وجعل الكلام خلوا منه ويسمى هذا المجاز المفرد ومنه قول الفرزدق أبى أحمد الغيثين صعصعة الذى * متى تخلف الجوزاء والدلو يمطر

وقول عدى بن الرقاع يصف حمارين وحشيين

يتعاوران من الغبار ملاءة * بيضاء محكمة اذا نسجاها

تطوى اذا وردا مكانا محزنا * واذا السنابك أسهلت نشراها

وقول سعيد الكاتب التسترى النصرانى

قلت زورى فأرسلت * أنا آتيك سحره قلت فالليل كان أخـ * فى وأدنى مسره

فأجابت بحجة * زادت القلب حسره أنا شمس وانما * تطلع الشمس بكره

وله فى معناه أيضا وعد البدر بالزيارة ليلا * فاذا ما وفى قضيت نذورى

قلت ياسيدى فلم تؤثر الليـ * ـل على بهجة النهار المنير

قال لى لا أحب تغيير رسمى * هكذا الرسم فى طلوع البدور

وقال فى معناه أيضا قلت للبدر حين أعتب زرنى * واشمت الوصل بالقلا والتجافى

قال انى مع العشاء سآتى * فانتظرنى ولا تخف من خلاف

قلت ياسيدى فزرنى نهارا * فهو أدنى لقربة الائتلاف

قال لا أستطيع تغيير رسمى * انما البدر فى الظلام يوافى

وقد جمع أبو العلاء المعرى المعنيين فى قوله

هى قالت لما رأت شيب رأسى * وأرادت تنكرا وازورارا

أنا بدر وقد بدا الصبح من شيبك والصبح يطرد الاقمارا

قلت لا بل أراك فى الحسن شمسا * لا ترى فى الدجى وتبدو نهارا

(واذا المنية أنشبت أظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفع)

البيت لابى ذؤيب الهذلى من قصيدة من الكامل قالها وقد هلك له خمس بنين فى عام واحد وكانوا فى من هاجر الى مصر فرثاهم بهذه القصيدة وأولها

أمن المنون وريبها تتوجع * والدهر ليس بمعتب من يجزع

قالت أمامة ما لجسمك شاحبا * منذ ابتذلت ومثل مالك ينفع

أم ما لجسمك لا يلائم مضجعا * الا أقض عليك ذاك المضجع

فأجبتها ان لا لجسمى انه * أودى بنى من البلاد فودعوا

أودى بنى فأعقبونى حسرة * عند الرقاد وعبرة لا تقلع

فالعين بعدهم كأن حداقها * كحلت بشوك فهى عورى تدمع

فغبرت بعدهم بعيش ناصب * وأخال أنى لاحق مستتبع

سبقوا هوى وأعنقوا لهواهم * فتخرموا ولكل جنب مصرع

ولقد حرصت بأن أدافع عنهم * فاذا المنية أقبلت لا تدفع

وبعده البيت وبعده وتجلدى للشامتين أريهم * أنى لريب الدهر لا أتضعضع

حتى كأنى للحوادث مروة * بصفا المشرق كل يوم تقرع

والدهر لا يبقى على حدثانه * جون السحاب له جدائد أربع

يروى أن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما استأذن على معاوية فى مرض موته ليعوده فادهن واكتحل وأمر أن يقعدو يسندوقال ائذنوا له وليسلم قائما ولينصرف فلما سلم عليه وولى أنشد معاوية قول الهذلى

فناظراها وقلبى
مابين راض وضار
فقال
وخدها وفؤادى
من جلنار ونار
فقلت
تحكى الغزالة فى بهـ
ـجة وحسن منار
فقال
والظبى فى حسن جيد
ومقلة ونفار
(قال على بن ظافر) وأخبرنى
شهاب الدين يعقوب ابن
أخت الوزير نجم الدين
المقدم ذكره بامعناه جالسا
على بركة فى منظرة خالى
بالجزيرة وقد ألقى عليها
وردا أحمر ملأ بكثرة نجومه
فسحة سمائها ونقبت حمرة
خدوده صفحة مائها وأهدى
ومدة الى مقلتها الزرقاء
فصح سرورنا بدائها فقال
رضى الدين اسحق بن عبد
البارى
وبركة صادقة الصفاء
فقلت
بريئة من دنس الاقذاء
فقال
نقب فيها الورد وجه الماء
فقلت
فأبصرت من مقلة رمداء
(وأخبرنى أيضا) هو
والشريف فخر الدين أبو
البركات العباس بن عبد الله
العباسى الحلبى أنهما كانا
مجتمعين فمر عليهما صبى من
أبناء السوادين بسوق

فى هذه القصيدة وتجلدى للشامتين البيت فأجابه ابن عباس على الفور واذا المنية أنشبت البيت ثم ما خرج من داره حتى سمع الناعية عليه (والشاهد فيه) الاستعارة بالكناية والاستعارة التخييلية فهو هنا شبه فى نفسه المنية بالسبع فى اغتيالها النفوس بالقهر والغلبة من غير تفرقة بين نفاع وضرار ولا رقة لمرحوم فأثبت لها الاظفار التى لا يكمل الاغتيال فى السبع بدونها تحقيقا للمبالغة فى التشبيه فتشبيه المنية بالسبع استعارة بالكناية واثبات الاظفار لها استعارة تخييلية (وأبو ذؤيب) اسمه خويلد بن خالد بن محرث ابن زبيد بن مخزوم ينتهى نسبه لنزار وهو أحد المخضرمين ممن أدرك الجاهلية والاسلام ولم تثبت له رؤية (وحدث) أبو ذؤيب قال بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليل فاستشعرت حزنا وبت بأطول ليلة لا ينجاب ديجورها ولا يطلع نورها فظللت أقاسى طولها حتى اذا كان قرب السحر أغفيت فهتف بى هاتف وهو يقول

خطب أجل أناخ بالاسلام * بين النخيل ومعقد الآطام

قبض النبى محمد فعيوننا * تذرى الدموع عليه بالتسجام

قال أبو ذؤيب فوثبت من نومى فزعا فنظرت الى السماء فلم أر الا سعد الذابح فتفاءلت به ذبحا يقع فى العرب وعلمت أن النبى صلى الله عليه وسلم قد قبض فركبت ناقتى وسرت فلما أصبحت طلبت شيأ أزجر به فعن لى شيهم يعنى القنفذ وقد قبض على صل يعنى الحية فهى تلتوى عليه والشيهم يقضمها حتى أكلها فزجرت ذلك وقلت شيهم شئ مهم والتواء الصل التواء الناس عن الحق على القائم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أولت أكل الشيهم اياها غلبة القائم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الامر فحثثت ناقتى حتى اذا كنت بالغابة زجرت الطائر فأخبرنى بوفاته ونعب غراب سانح فنطق بمثل ذلك فتعوذت بالله من شر ما عن لى فى طريقى وقدمت المدينة المنورة ولها ضجيج بالبكاء كضجيج الحجيج اذا اهلوا بالاحرام فقلت مه قالوا قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت الى المسجد فوجدته خاليا فأتيت بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصبت بابه مرتجا وقيل هو مسجى وقد خلا به أهله فقلت أين الناس فقيل فى سقيفة بنى ساعدة صاروا الى الانصار فجئت الى السقيفة فوجدت أبا بكر وعمر وأبا عبيدة بن الجراح وسالما وجماعة من قريش ورأيت الانصار فيهم سعد بن عبادة وفيهم شعراؤهم حسان بن ثابت وكعب بن مالك وملأ منهم فأويت الى قريش وتكلمت الانصار فأطالوا الخطاب وأكثروا الصواب وتكلم أبو بكر فلله دره من رجل لا يطيل الكلام ويعلم مواضع فصل الخصام والله لقد تكلم بكلام لا يسمعه سامع الا مال اليه وانقاد له ثم تكلم عمر بعده بكلام دون كلامه ومد يده فبايعه وبايعوه ورجع أبو بكر ورجعت معه فشهدت الصلاة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وشهدت مدفنه صلى الله عليه وسلم ثم أنشأ أبو ذؤيب يبكى النبى صلى الله عليه وسلم

لما رأيت الناس فى عسلانهم * ما بين ملحود له ومضرح

متبادرين لشرجع بأكفهم * نص الرقاب لفقد أبيض أروح

فهناك صرت الى الهموم ومن يبت * جار الهموم يبيت غير مروح

كسفت لمصرعه النجوم وبدرها * وتضعضعت آطام بطن الابطح

وتزعزعت أجبال يثرب كلها * ونخيلها لحلول خطب معدح

ولقد زجرت الطير قبل وفاته * بمصابه وزجرت سعد الاذبح

وزجرت أن نعب المشحج سانحا * متفائلا فيه بفأل أقبح

ثم انصرف أبو ذؤيب رحمه الله تعالى الى باديته فأقام بها وقال محمد بن سلام كان أبو ذؤيب شاعرا فحلا لا غميزة فيه ولا وهن وسئل حسان بن ثابت من أشعر الناس قال أحيا أم رجلا قالوا حيا قال أشعر الناس حيا هذيل وأشعر هذيل غير مدافع أبو ذؤيب وقال محمد بن معاذ المعمرى فى التوراة مكتوب أبو ذؤيب مؤلف زوراء وكان اسم الشاعر بالعبرانية مؤلف زوراء فأخبرت بذلك بعض أصحاب العبرانية وهو كثير ابن اسحق فعجب منه وقال قد بلغنى ذلك وكان أبو ذؤيب يهوى امرأة يقال لها أم عمرو وكان يرسل اليها خالد

يقرأ وكان وضىء الوجه حسن القد فتعاطينا القول فى صفته فقال الشهاب

بنفسى غزالا يسوق البقر
ويقتل عمدا بقوس النظر

فقال الشريف

بدا فبدا الغصن فوق الكثيب
وبدر الدجى فى ظلام الشعر

فقال الشهاب

تقلد الغزالة عن وجهه
ويصغر تشبيهه بالقمر

فقال الشريف

شكوت اليه غرامى به
فأعرض عنى دلالا ومر

فقال الشهاب

حلا لى لما انثنى قده
ولكنه خيانى أمر

(قال على بن ظافر) كنت فى بعض العشايا بالقرافة أنا والاعز بن المؤيد المقدم ذكره فى منزل قد انعطفت قدود أشجاره وابتسمت ثغور أزهاره وذاب كافور مائه على عنبر طينه ومدت بكاسات الجلنار بنان غصونه والنسيم قد خفت فاعتل وسقط رداؤه فى الماء فابتل ووهت قواه فضعف عن السير واشتد مرضه حتى ناحت عليه نوائح الطير فاقترح علينا أصحاب لنا كانوا معنا أن نصنع فى صفة تلك العشية على هذه القافية فقال الاعز

جاء النسيم الى الغصون رسولا
ومشى يجر على الرياض ذيولا

ابن زهير نخانه فيها وكذلك كان أبو ذؤيب فعل برجل يقال له عويمر بن مالك بن عويمر وكان رسوله اليها فلما علم أبو ذؤيب بما فعل خالد صرمها فأرسلت تترضاه فلم يفعل وقال فيها

تريدين كيما تجمعيني وخالدا * وهل يجمع السيفان ويحك في غمد
أخالد ما راعيت من ذي قرابة * فتحفظني بالغيب أو بعض ما تبدي
دعاك اليها مقلتاها وجيدها * فملت كما مال المحب على عمد
وكنت كرقراق السراب اذا جرى * لقوم وقد بات المطي بهم تخدي
فآليت لا أنفك أحدو قصيدة * تكون واياها بها مثلا بعدي

وقال أبو زيد عمر بن شبة تقدم أبو ذؤيب جميع شعراء هذيل بقصيدته العينية يعني قصيدته المثبتة قريبا * وعن ابن عياش بالياء التحتية والشين المعجمة قال لما مات جعفر الاكبر ابن المنصور مشى في جنازته من المدينة الى مقابر قريش ومشى الناس أجمعون معه حتى دفنه ثم انصرف الى قصره فأقبل على الربيع فقال يا ربيع انظر من في أهلي ينشدني أمن المنون وريبها تتوجع حتى أتسلى عن مصيبتي قال الربيع فخرجت الى بني هاشم وهم بأجمعهم حضور فسألتهم عنها فلم يكن فيهم أحد يحفظها فرجعت فأخبرته فقال والله لمصيبتي بأهل بيتي لا يكون فيهم أحد يحفظ هذه القصيدة لقلة رغبتهم في الأدب أعظم وأشد على من مصيبتي بابني ثم قال انظر هل في القواد والعوام من يعرفها فاني أحب أن أسمعها من انسان ينشدها فخرجت فاعترضت الناس فلم أجد أحدا ينشدها الا شيخا مؤدبا قد انصرف من تأديبه فسألته هل يحفظ شيأ من الشعر قال نعم شعر أبي ذؤيب فقلت أنشدني فابتدأ بهذه القصيدة العينية فقلت أنت بغيتي فأوصلته الى المنصور فأنشده اياها فلما قال والدهر ليس بمعتب من يجزع قال صدق والله فأنشدني هذا البيت مائة مرة لتردد هذا المصراع علي فأنشده ثم مر فيها فلما انتهى الى قوله والدهر لا يبقى على حدثانه الخ قال سلا أبو ذؤيب عند هذا القول ثم أمر الشيخ بالانصراف فاتبعته فقلت أمر لك أمير المؤمنين بشيء قال نعم وأراني صرة في يده فيها مائة درهم وعن الزبير بن بكار قال حدثني عمي قال كان أبو ذؤيب الهذلي خرج في جند عبد الله بن سعد بن أبي سرح أحد بني عامر بن لؤي الى افريقية سنة ست وعشرين غازيا في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه وبعث معه نفرا منهم أبو ذؤيب فتى عبد الله يقول

وصاحب صدق كسيد الغضا * ينهض في الغزو نهضا نجيحا

في قصيدة له فلما قدموا الى مصر مات أبو ذؤيب بها وعن أبي عمرو عبد الله بن الحرث الهذلي من أهل المدينة المنورة قال خرج أبو ذؤيب مع ابنه وابن أخ له يقال له أبو عبيد حتى قدموا على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال أي العمل أفضل يا أمير المؤمنين قال الايمان بالله ورسوله قال قد فعلت فأيه أفضل بعده قال الجهاد في سبيل الله قال ذلك كان علي ولا أرجو جنة ولا أخاف نارا ثم خرج فغزا أرض الروم مع المسلمين فلما قفلوا أخذه الموت فأراد ابنه وابن أخيه أن يتخلفا عليه جميعا فمنعهما صاحب الساقة وقال ليتخلف عليه أحدكما وليعلم أنه مقتول فكلاهما أراد أن يتخلف عليه فقال لهما أبو ذؤيب اقترعا فطارت القرعة لأبي عبيد فتخلف عليه ومضى ابنه مع الناس فكان أبو عبيد يحدث قال قال لي أبو ذؤيب يا أبا عقيل احفر ذلك الجرف برمحك ثم أعضد من الشجر بسيفك ثم اجررني الى هذا النهر فانك لا تفرغ حتى أفرغ فاغسلني وكفني بكفني ثم اجعلني في حفيرتي وانثل علي الجرف برمحك وألق علي الغصون والحجارة ثم اتبع الناس فان لهم رهجة تراها في الافق اذا أمسيت كأنها جهامة قال فما أخطأ مما قال شيأ ولولا نعته لم أهتد لأثر الجيش وقال وهو يجود بنفسه

أبا عبيد رفع الكتاب * واقترب الموعود والحساب
وعند رحلي جمل نجاب * أحمر في حاركه انصباب

ثم مضيت حتى لحقت بالناس فكان يقال ان أهل الاسلام أبعدوا الأثر في بلاد الروم فما كان وراء قبر أبي ذؤيب قبر يعلم لاحد من المسلمين وهذا يخالف رواية الزبير بن بكار السابقة والله أعلم أي ذلك كان

فقلت
نشوان يعثر في الخمائل عابثا
بالزهر مبلول الرداء عليلا
فقال
فتمايلت قاماتها فكأنما
شربت بكاسات الشمال شمولا فقلت
فكأنه قد هز رايات له
خضرا وسل من المياه نصولا
فقال
قد أطلعت من زهرها غررا
ومن
جاري المياه بسوقها تحجيلا
فقلت
تحكي العرائس في القلائد
للثرا
لبست خلاخل فضة وحجولا
فقال
ضحكت مباسم زهرها
ولطالما
بكت بدمع الهاطلات طويلا
فقلت
وبدا عليها الجلنار كأنه
وجنات خود سمتها التقبيلا
فقال
سلت عليهن البروق صوارما
وكسونها منه دما مطلولا
فقلت
وتناظرت أطيارها فيه وقد
أكثرن قالا في الهديل وقيلا
(قال علي بن ظافر) ومررت
أنا وهو رحمه الله يوما بدولاب
يئن أنين ثكالى فقدت
أطفالها والنواعج أضلت
آفالها ويبكي بكاء صب
آلمه هواه وصارمه من
يهواه وفرق البين بينه

﴿ولئن نطقت بشكر برّك مفصحا * فلسان حالى بالشكاية أنطق﴾

البيت من الكامل ولا أعرف قائله (والشاهد فيه) ما فى البيت قبله فانه شبه الحال بانسان متكلم فى الدلالة على المقصود وهذا هو الاستعارة بالكناية فأثبت لها اللسان الذى به قوام الدلالة فى الانسان المتكلم وهذه الاستعارة التخييلية وقريب من معناه قول ابن الخيمى

أبدا أحن الى محيالك الذى * يصبى البعيد اليه نور مشرق
وأروم شكوى موجعات الحب لا * استحظابها لكن لعلك تشفق
فأرى لسانى بالصبابة أخرسا * ولسان حالى بالشكاية ينطق
وأفوه باسمك والمسافة بيننا * قصوى فيضحى الجو طيبا يعبق

﴿صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله * وعرّى أفراس الصبا ورواحله﴾

البيت لزهير بن أبى سلمى وهو أول قصيدة من الطويل وبعده

وأقصرت عما تعلمين وسددت * علىّ سوى قصد السبيل معادله

الى أن يقول فيها فقلنا له أبصر وسدّد طريقه * وما هو فيه عن وصاتى شاغله

وقلت تعلم أن فى الصيد عزة * وأن لا تضيعه فانك قاتله
فأتبع آثار الشياه وليدنا * كشؤبوب غيث يحفش الاكم وابله
نظرت اليه نظرة فرأيته * على كلّ حال مرة وهو حامله

وهى طويلة يقال أقصر عن الشئ بمعنى انتهى أو أعجز عنه (والشاهد فيه) ما فى البيت قبله أيضا فانه أراد أن يبين أنه ترك ما كان يرتكبه من المحبة زمن الجهل والغىّ وأعرض عن معاودته فبطلت آلاته فشبه فى نفسه الصبا بجهة من جهات المسير كالحج والتجارة قضى منها الوطر فأهملت آلاتها ووجه الشبه الاشتغال التام به وركوب المهامه والمسالك الصعبة غير مبال بمهلكة ولا متحرز عن معركة وهذا التشبيه المضمر فى النفس استعارة بالكناية فأثبت له بعض ما يختص بتلك الجهة وهى الأفراس والرواحل التى بها قوام جهة السير والسفر فاثبات الافراس والرواحل استعارة تخييلية والصبا على هذا من الصبوة بمعنى الميل الى الجهل والفتوة ويحتمل أنه أراد بالافراس والرواحل دواعى النفس وشهواتها والقوى الحاصلة لها فى استيفاء اللذات أو أراد بها الاسباب التى قلما تتخذ فى اتباع الغىّ الا أوان الصبا وعنفوان الشباب فتكون استعارة الافراس والرواحل تحقيقية لتحقق معناها عقلا اذا أريد بها الدواعى وحسا اذا أريد بها اتباع أسباب الغىّ

﴿والطاعنين مجامع الاضغان﴾

هو من الكامل ولا أعرف قائله وصدره الضاربين بكل أبيض مخذم والمخذم بالذال المعجمة السيف والاضغان جمع ضغن وهو الحقد (والشاهد فيه) القسم الاول من أقسام الكناية وهو أن يكون المطلوب بها غير صفة ولا نسبة وتكون لمعنى واحد كما هنا وتكون لمجموع معان فقوله مجامع الاضغان معنى واحد كناية عن القلوب ونحوه قول البحترى

فأتبعتها أخرى فاضلات نصلها * بحيث يكون اللب والرعب والحقد

﴿ان السماحة والمروءة والندى * فى قبة ضربت على ابن الحشرج﴾

البيت لزياد الاعجم من أبيات من الكامل قالها فى عبد الله بن الحشرج وكان قد وفد عليه وهو أمير على نيسابور فأمر بانزاله وألطفه وبعث اليه بما يحتاجه فغدا اليه فأنشده البيت وبعده

ملك أغر متوج ذو نائل * للمعتفين يمينه لم تشنج
يا خير من صعد المنابر بالتقى * بعد النبىّ المصطفى المتحرج
لما أتيتك راجيا لنوالكم * ألفيت باب نوالكم لم يرتج

وبين محبوبه فراقا لا يرجى انقطاعه ولا يمكن استرداد ما سلبه منه ولا استرجاعه فقلبه قد ملأته أوجاعه وجفنه قد ضاق مجراه عن دمعه فتقضت به أضلاعه
فقلت
وساقية تئن أنين ثكلى
شكت بأنينها حر الاوار
فقال
نعم ولا تزال تطوف بجلى
كرازمة تحن الى حوار
فقلت
غدت تحكى محبا ذا انتحاب
يطوف باكيا فى رسم دار
فقال
حكت فلكا بجلب اللهو دارت
عليه من قوادسه درارى
(وبصرنا) بساقية تتلوى
تلوى الافعوان وتخفق
خفقان قلب الجبان والزهر
قد نظم بلبتها عقودا فوق
أثوابها الممسكة والنسيم
يكسوها ويلبسها غلائل
معركة فقلت
أساقية أم أرقم فر هاربا
فقال
أم الريح فد هرت من الماء
قاضبا فقلت
حصى مثل درّ الثغر أحوى
زلاله
رضانا وأبدى نبته النضر شاربا
فقال
يوشحها زهر الرياض قلائدا
ويلبسها مر الرياح حلابيا
(واجتمعت) أناوشهاب
الدين يوما فتعاطينا القول فى

فأمرله بعشرة آلاف درهم والمروءة كمال الرجولية (والشاهد فيه) القسم الثالث من أقسام الكناية وهو أن يكون المطلوب بها اثبات أمر لامر أو نفيه عنه فهو هنا أراد أن يثبت اختصاص ممدوحه بهذه الصفات وترك التصريح باختصاصه بها الى الكناية بأن جعلها فى قبة ضربت عليه تنبيها على ان محله ذو قبة وهى تكون فوق الخيمة يتخذها الرؤساء قال أبو تمام

لولا بنو جشم بن بكر فيكم * كانت خيامكم بغير قباب

وانما احتاج فى هذا البيت الى هذا الوجه لذوى قباب فى الدنيا كثيرين فأفاد اثبات الصفات المذكورة له لانه اذا أثبت الامر فى مكان الرجل وحيزه فقد أثبته له وفى معنى البيت قول زياد أيضا فى مرثية المغيرة ابن المهلب ان السماحة والمروءة ضمنا * قبرا بمرو على الطريق الواضح

وقريب منه قول ابن خلاد يمدح ابن العميد

لقد شهدت عقول الخلق طرا * وحسبك بالبصائر من شهود

بأن محاسن الدنيا جميعا * بأفنية الرئيس ابن العميد

وقول الآخر يمدحه والمجد يدعو أن يدوم بجيده * عقد مساعى ابن العميد نظامه

(وابن الحشرج الممدوح) اسمه عبد الله وكان سيدا من سادات قيس وأميرا من أمرائها ولى كثيرا من أعمال خراسان ومن أعمال فارس وكرمان وكان جوادا ممدوحا وفيه يقول زياد أيضا

اذا كنت مرتاد السماحة والندى * فسائل تخبر عن ديار الاشاهب

وكان عبد الله كبير العطاء أعطى بخراسان حتى أعطى فراشه ولحافه فقالت له امرأته لشد ما تلاعب بك الشيطان وصرت من اخوانه مبذرا كما قال الله تعالى ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين فقال عبد الله ابن الحشرج لرفاعة بن دري النهدى وكان أخاله وصديقا ألا تسمع ما تقول هذه النوكى وما تتكلم به فقال له رفاعة صدقت والله وبرت وان المبذرين لاخوان الشياطين فقال ابن الحشرج فى ذلك

متى يأتنا الغيث المغيث تجد لنا * مكارم ما تعيى بأموالنا التلد

مكارم قد جدنا بها اذ تمنعت * رجال وضنت فى الرخاء وفى الجهد

أردنا باجداد نابه من تلادنا * خلاف الذى يأتى خيار بنى نهد

تلوم على اتلافى المال ختنى * ويسعدها نهد بن زيد على الزهد

أنهد بن زيد لست منكم فتشفقوا * علىّ ولا منكم غوائى ولا رشدى

أتيت صغيرا ناشئا ما أردتم * وكهلا وحتى تبصرونى فى اللحد

سأبذل مالى ان مالى ذخيرة * لعقبى وما أجنى به ثمر الحمد

ولست عبيكا على الزاد باسل * يهر على الازواد كالاسد الورد

ولكننى سمح بما حزت باذل * لما كلفت كفاى فى الزمن الجد

بذلك أوصانى الرقاد وقبله * أبوه بأن أعطى وأوفى بالعهد

والرقاد كان أحد عمومته وكان سيدا جوادا

﴿شواهد الفن الثالث وهو علم البديع﴾

(تردى ثياب الموت حمرا فما أتى * لها الليل الا وهى من سندس خضر)

البيت لابى تمام الطائى من قصيدة من الطويل يرثى بها أبا نهشل محمد بن حميد حين استشهد وأولها

كذا فليجل الخطب وليفدح الامر * وليس لعين لم يفض ماؤها عذر

توفيت الآمال بعد محمد * وأصبح فى شغل عن السفر السفر

وما كان الامال من قل ماله * وذخرا لمن أمسى وليس له ذخر

صبى ينعت بالشمس قد مضى ذكره فقال

وشمس اذا ما أشرقت يكسها الحيا

شقيقا و يلبسنى الهوى حلة الورس فقلت

يلوح فأبكى حين أنظر وجهه

و بالقسر يبكى من يحدق للشمس

(قال على بن ظافر) واجتمعنا بالقرافة فى ليلة وقد عم السرور والارض بسحابه وغمرها بفائض انسكابه فأنبتت نواحيها زاهى جلنار من شعل النار فى غصون مائسات كجبال القرقيسات وكشف بها النسور سجف الظلماء ونقل طرف الليل الى الشبة الشقراء عن الشبة الدهماء وزهت الارض بشهب النيران على جو السماء فترافدنا القول فقلت

أنعت ليلا مدلهما أقتما

فقال

أشعل بالنار وكان أدهما

فقلت

أضحى من الحسن منيرا مظلما

فقال

كأنت النيران فيه الانجما

فقلت

فلم نكد نعرف أرضا من سما

(قال على بن ظافر) واجتمعنا يوما على أن نتغزل فى غلام رأيناه كأن الشمس من أزراره أشرقت وكأن النار من وجناته أنارت وما أحرقت ذى خيلان قد انبثت دهم

وما كان يدرى من بلا يسر كفه * اذا ما استهلت أنه خلق العسر

يقول فيها غدا غدوة والحمد نسج ردائه * فلم ينصرف الا وأكفانه الاجر

وبعده البيت وبعده كأن بنى نبهان يوم وفاته * نجوم سماء خر من بينها البدر

يعزون عن ثاو تعزى به العلا * ويبكى عليه البأس والجود والشعر

وأنى لهم صبر عليه وقد مضى * الى الموت حتى استشهدا هو والصبر

ومعنى البيت أنه ارتدى الثياب الملطخة بالدم فلم ينقض يوم قتله ولم يدخل فى ليلته الا وقد صارت الثياب خضرا من سندس الجنة أقول ولو قال أبو تمام

تردى ثياب الموت حمرا فاختفى * عن العين الا وهى من سندس خضر

لكان أبلغ فى القصد وأبدع فانه جعل غاية تبدلها بالسندس دخوله فى الليل وهذا ليس بمعلوم فان الميت اذا غيب بالدفن عن الاعين تبدلت أحواله الى خير أو شر والعياذ بالله تعالى ويشهد لذلك ما ورد أن الميت بمجرد ستره عن الاعين يأتيه ملكا السؤال وفى معنى بيت أبى تمام قول القاضى الفاضل عبد الرحيم رحمه الله

لهفى لمقتول تلا * حظه عيون البيض شزرا متمصر جا بدم رآ * ـه الحور فى الجنات عطرا

متكفن بملابس * حمراء وهى تعود خضرا

يروى أنه لما ورد نعى هذا المرثى غمس أبو تمام طرف ردائه فى مداد ثم ضرب به كفيه وصدره وأنشد هذه القصيدة والى ذلك أشار ابن زنجى الكاتب المغربى فى قوله يرثى الشيخ أبا على بن خلدون

لولا الحياء وأن أجى بفعلة * تنفى على بها سيوف ملام * وأكون متبعا لأشنع سنة

قد سنها قبلى أبو تمام * لبست لبس الثاكلات وكنت فى * سود الوجوه كأننى من حام

(والشاهد فى البيت) الطباق المسمى بالتدبيج وهو أن يذكر الشاعر أو الناثر فى معنى من المدح أو غيره ألوانا القصد الكناية أو التورية ويسمى تدبيج الكناية أيضا فانه هنا ذكر لون الحمرة والخضرة والمراد من الاول الكناية عن القتل ومن الثانى الكناية عن دخول الجنة ومن طباق التدبيج قول عمرو بن كلثوم

بأنا نورد الرايات بيضا * ونصدرهن حمرا قد روينا

ولو اتفق له أن يقول من الاسل الظماء يردن بيضا * ونصدرهن حمرا قد روينا

لكان أبدع بيت للعرب فى الطباق لانه يكون قد طابق بين الايراد والاصدار والبياض والحمرة والظما والرى وقد تم لابى الشيص فقال

فأوردها بيضا ظماء صدورها * وأصدرها بالرى ألوانها حمرا

فصار أخذه مغفورا لكمال معناه وما أحسن قول ابن حيوس

وغالك العلياء بالسعى الذى * أغناك عن متعالم الانساب * ببياض عرض واحمرار صوارم

وسواد نقع واخضرار رحاب * والحرب عم جود نواله * وأب لافعال الدنية آبى

وقوله أيضا ان ترد علم حالهم عن يقين * فالقهم فى مكارم أو نزال

تلق بيض الاعراض سمر مثار النقع خضر الاكناف حمر النصال

وقد أخذه ابن النبيه فقصر عنه فى قوله

لهم بنان طائع بالندى * فهن امادم أو بحار

بيض الايادى خضر روض الربا * حمر المواضى فى العجاج المثار

وقول بعضهم الغصن فوق الماء تحت شقائق * مثل الاسنة خضبت بدماء

كالصعدة السمراء تحت الراية الحمراء فوق اللامة الخضراء

وقريب من لفظه قول الصلاح الصفدى رحمه الله تعالى

ما أبصرت عيناك أحسن منظرا * فيما يرى من سائر الاشياء

خيلها فى محياه وتفرقت لاقتناص فرسان القلوب التى كسرها هواه وقد حفت وجناته بالشقيق ولفقت فصوص السبج بالعقيق فقال

لى رشأ اصداغه كالاوراق
بل غصن من وشيه فى اوراق
بل قمر من شعره فى اغساق

فقلت

أجفانه مثل جسوم العشاق
وقرطه مثل القلوب خفاق
يرمقنى شزرا فيفنى الارماق

فقال

فى خده ماء الجمال رقراق
عجبت منه شيم دواحراق
يريك خيلا باخيال الاحداق

(قال على بن ظافر) واجتمعنا بالجامع فرأينا غلاما مائس العطف ذابل الطرف قد عانق اقحوان شعره غصن قده وطابق بين مبيض وجهه ومسوده فقلت فيه

يارب ظبى عطر الانفاس
يسكن قلبى بدل الكناس
وجنته تزهر كالنبراس
وشعره فى قده المياس
مثل لواء لبنى العباس

فقال لو شبهته بعلم الخطيب لاسيما اذا ذكرت حلوله بالجامع ثم صنع فقال

يارب غصن أهيف رطيب
أنبته الحسن على كثيب
قام مقام الخاشع المنيب
يفتك فى الجامع بالقلوب
وقده فى شعره الغربيب
يميس مثل علم الخطيب

كالشامة الخضراء فوق الوجنة الحمراء تحت المقلة السوداء

ولابن النبيه دع النوح خلف حدوج الركائب * وسل فؤادك عن كل ذاهب

بيض السوالف حمر المراشف * صفر الترائب سود الذوائب

فما العيش الا اذا ما انتظمت * بثغر الحباب ثنايا الحبائب

ولابن الساعاتي من معشر ويجل قدر علائه * عن أن يقال لمثله من معشر

بيض الوجوه كأن زرق رماحهم * سمر يحل سواد قلب العسكر

ولابن دوقاء العماد من أبيات

أرى العقد في ثغره محكما * يرينا الصحاح من الجوهري

وتكملة الحسن ايضاحها * رويناه عن وجهك الازهر

ومنثور دمعي غدا أحمرا * على آس عارضك الاخضر

وبعت رشادي بغي الهوى * لاجلك يا طلعة المشتري

ولابي الحسن محمد بن القنوع من أبيات

ويخترم الارواح والموت أحمر * بأبيض يتلوه لدى الطعن أزرق

وما أحسن ما قال بعده

ويجري عتاق الخيل قبا شوازبا * تباري هبوب الريح بل هي أسبق

اذا حفرت منها الحوافر في الصفا * محاريب ظلت بالنجيع تخلق

ولابي الفرج الببغاء في قريب من معناه

وكأنما نقشت حوافر خيله * للناظرين أهلة في الجلمد

وما أحسن قوله بعده

وكأن طرف الشمس مطروف وقد * جعل الغبار له مكان الاثمد

ولابي سعيد الرستمي من النفر العالين في السلم والوغى * وأهل المعالي والعوالي والقنا

اذا نزلوا اخضر الثرى من نزولها * وان نازلوا احمر القنا من نزالها

ولابن جابر الاندلسي

تشتكي الصفر من يديه وترضى * السمر من راحتيه عند الحروب

أحمر السيف أخضر السيب حيث الارض غبراء من سواد الخطوب

ولابي القاسم عبد الصمد بن علي الطبري من قصيدة

حمريدي بالكاس فالروض مخضر الربا قبل اصفرار البنان

ولابي بكر الخالدي ومدامة صفراء في قارورة * زرقاء تحملها يد بيضاء

فالراح شمس والحباب كواكب * والكف قطب والاناء سماء

ولنجم الدين البارزي في وصف قلم

ومثقف للخط يحكي فعل سمر الخط الآن هذا أصفر

في رأسه المسود أجروه في المبيض للاعداء موت أحمر

ومن المضحك فيه قول ابن لنكك البصري يهجو أبا رياش وكان نهما شرها على الطعام

يطير الى الطعام أبو رياش * مبادرة ولو وار اه قبر

أصابعه من الحلواء صفر * ولكن الاخادع منه حمر

وكان أبو رياش هذا باقعة في حفظ أيام العرب وأنسابها وأشعارها غاية بل آية في هذه دواوينها وسرد أخبارها مع فصاحة وبيان واعراب واتقان ولكنه كان عديم المروءة وسخ اللبسة كثير التقشف قليل

ثم زدنا فقلت

وشادن ساجي اللحاظ أحور

فقال

أبيض يحكيه قوام الاسمر

فقلت

وقده تحت أثيث الشعر

فقال

من فوق ردف كالكثيب الاعفر فقلت

كعلم الخطيب فوق المنبر

(قال علي بن ظافر) ولما أعرس ابن الامير اياس المصري الاسدي بابنة الامير سيف الدين ايازكوج مقدم الاسدية احتفل الامراء والاجناد وبلغوا في الحشد غاية الاجتهاد وأبرزوا من ضروب آلات الحرب ما يفوق الوصف ويروق الطرف وظهرت من مرد المماليك بدور في سماء الغبار وغصون من زعقهم في غدران ومن سيوفهم بين أنهار يسبون النواظر بالقدود النواضر ويستملكون الخواطر بالثغور العواطر فكانت أوقات ذلك الزفاف مشهورة مشهوده وأيامه في أيام الاعياد المعدومة النظير معدوده فخرجت أنا والشهاب لننظر ذلك الاحتشاد ونتأمل تلك الظباء الظاهرة بزي الآساد فقال

نقبوا بالغبار وجه ذكاء

ثم نابوا عن حسنها بالبهاء

التنظف وفيه يقول أبو عثمان الخالدي

كأنما قل أبي رياش * ما بين صئبان قفاه الفاشي وذاو ذاقد لح في انتفاش * شهدانج يذر في خشخاش

وفيه يقول ابن لنكك وقد ولي عملا بالبصرة

قل للوضيع أبي رياش لا تبل * تِه كل تيهك بالولاية والعمل
ما ازددت حين وليت الا خسة * كالكلب أنجس ما يكون اذا اغتسل

وله فيه أيضا

نبئت أن أبا رياش قد حوى * علم اللغات وفاق فيما يدعي
من مخبري عنه فاني سائل * من كان حنكه بأير الاصمعي

وله فيه أو في غيره من الادباء

يا من تطيب وهو من خرق استه * قلق يكابد كل داء معضل
فشل الصيال وماء هدنا دبره * مذ كان يغسل عن صيال الفيشل
وأراه في الكتب الجليلة زاهدا * لا يستجيد سوى كتاب المدخل
قبلته ولثمت فاه مسلما * لثم الصديق فم الصديق المجمل
فدنا الي على المكان وقال لي * أفديك من متعشق متغزل
ان كنت تلثمني بودّ فاشفني * بلسان بطنك في فمي من أسفل

وقد زاغ القلم وطاش بجريرة أبي رياش وأنا أستغفر الله من ذلك

﴿لا تعجبي يا سلم من رجل * ضحك المشيب برأسه فبكى﴾

البيت لدعبل من قصيدة من الكامل أولها

أين الشباب وأية سلكا * لا أين يطلب ضل بل هلكا

وبعده البيت وبعده

يا سلم ما بالشيب منقصة * لا سوقة يبقى ولا ملكا
قصر الغواية عن هوى قمر * أجد السبيل اليه مشتركا
يا ليت شعري كيف نومكما * يا صاحبي اذا دمي سفكا
لا تأخذا بظلامتي أحدا * قلبي وطرفي في دمي اشتركا

حدث أبو هفان قال قال مسلم بن الوليد

مستعبر يبكي على دمنة * ورأسه يضحك فيه المشيب

فسرقه دعبل فقال وأنشد البيت فجاء به أجود من قول مسلم فصار أحق به منه وحدث أبو المثنى قال كنا في مجلس الاصمعي فأنشده رجل لدعبل لا تعجبي يا سلم البيت فاستحسناه فقال الاصمعي انما سرقه من قول الحسين بن مطير الاسدي

أين أهل القباب بالدهناء * أين جيراننا على الأحساء * فارقونا والارض ملبسة نو
ر الاقاحي تجاد بالانواء * كل يوم بأقحوان جديد * تضحك الارض من بكاء السماء

وروي عن أبي العباس المبرد أنه قال أخذ ابن مطير قوله تضحك الارض من بكاء السماء من قول دكين الراجز

جن النبات في ذراها وزكا * وضحك المزن به حتى بكى

وقال أبو هفان أنشدت يوما بعض البصريين الحمقاء قول دعبل ضحك المشيب برأسه فبكى فجاءني بعد أيام فقال قد قلت أحسن من البيت الذي قاله دعبل فقلت ياهذا وأي شيء قلت فتمنع ساعة ثم قال قهقه في رأسه القتير وقد تداول الشعراء معنى بيت دعبل فمنه قول الراضي القرطبي

ضحك المشيب برأسه * فبكى بأعين كاسه رجل تخونه الزما * ن سوسه وبياسه
فجرى على غلوائه * طلق الجموح بفاسه أخذا بأوفر حظه * لرجائه من يأسه

ومنه أيضا قول ابن نباتة المصري رحمه الله تعالى

فقلت

وأروناه من سحر أعينهم منه

بهم شموسا للنقع في ظلماء

فقال

طاولوا بالقنا السماء اقتدارا

وتبدوا من زعقهم في سماء

فقلت

كل بدر يسير تحت ثريا

مغفر خلف كوكب السمراء

فقال

مل سكني البروج فاعتاض عنها

بسروج على متون ظباء

فقلت

ما تثني في الدرع الا أرانا

غصنا مائسا بجدول ماء

(قال علي بن ظافر) واتفق أن مضى السلطان الملك الاشرف أبقاه الله في أوائل خدمتي له وأوان سنة ثمان وستمائة الى مدينة نصيبين وضرب خيمته على تل بين بساتينها يعرف بتل أبي نواس وهو تل مشرف في غاية العلو مستدير الشكل أحسن استدارة قد استقبل جرية نهر الهرماس حتى اذا وصل النهر اليه تفرق حواليه وتلوى تلوي الحيات من جانبيه والبساتين محيطة به قدم الآن أكثر مرمى البصر وهو في نفسه قد تأزر بالاعشاب واكتسى بغرائب الازهار التي أدناها شقائق النعمان وياسمين الاقحوان وكنت أنا مقيما بالبلد لتدبير أحوالها

تبسم الشيب بذقن الفتى * يوجب سح الدمع من جفنه
حسب الفتى بعد الصباذلة * أن يضحك الشيب على ذقنه

ولمؤلفه رحمه الله تعالى أيضا في هذا المعنى

ضحك الشيب برأسي * فبكت عيني الشبابا

ومن البكاء على الشباب وهو أبكى بيت قيل في فقده وينسب لابي الغصن الاسدى

أتأمل رجعة الدنيا سفاها * وقد صار الشباب الى الذهاب
فليت الباكيات بكل أرض * جمعن لنا فنحن على الشباب

وما أحسن قول أبي العلاء المعرّي فيه أيضا

وقد تعوضت عن كل بشبهه * فما وجدت لايام الصبا عوضا

وقول الآخر

شيآن لو بكت الدماء عليهما * عيناى حتى تؤذنا بذهاب
لم تبلغا المعشار من حقيهما * فقد الشباب وفرقة الاحباب

ولابي بكر بن مجبر

رحل الشباب وما سمعت بعبرة * تجري لمثل فراق ذاك الراحل
قد كنت أزهي بالشباب ولم أخل * ان الشيبة كالخضاب الناصل
ظل صفا لي ثم زال بسرعة * ياويح مغتر بظل زائل

ولابن حمديس في قريب من معناه

ولم أر كالدنيا خؤنا لصاحب * ولا كمصابي بالشباب مصابا
فقدت الصبا فابيض مسودّ لمتي * كأن الصبا للشيب كان خضابا

ولابي الفتح البستي فيه

دع دموعي تسيل سيلا بدارا * وصلوعي يصلين بالوجد نارا
قد أعاد الأسى نهاري ليلا * مذ أعاد المشيب ليلي نهارا

ولعلي بن محمد الكوفي في البكاء من الشيب والبكاء عليه

بكى للشيب ثم بكى عليه * فكان أعز من فقد الشباب
فقل للشيب لا تبرح حميدا * اذا نادى شبابي بالذهاب

ومثله قول مسلم بن الوليد

الشيب كره وكره أن يفارقني * فاعجب لشيء على البغضاء موجود
يمضي الشباب وقد يأتي له خلف * والشيب يذهب مفقودا بمفقود

وقد أعاد مسلم بن الوليد هذا المعنى فقال

لا يرحل الشيب عن دار أقام بها * حتى يرحل عنها صاحب الدار

ويقال أن مسلما أخذ هذا المعنى من قول بعض الاعراب

أستغفر الله واستقيله * ما أنا من شيبه بهوله * أعظم من حاوله وحيله

ومثل قول مسلم قول البحتري

يعيب الغانيات عليّ شيبي * ومن لي أن أمتع بالمشيب
ووجدي بالشباب وان تقضى * حميدا دون وجدي بالمشيب

وما أحسن قول كشاجم الكاتب

تفكرت في شيب الفتى وشبابه * فأيقنت أن الحق للشيب واجب
يصاحبني شرخ الشباب فينقضي * وشيبي الى حين الممات مصاحب

وبديع قول الغزي

وترجيه وجوه أمواهها وأنا أتكرر اليه واغا انقطع المسافة الى الخيام في جنات ذات أنهار وظلال تمنع الحرور وتأذن للنسيم والانوار فعنّ لي أن قلت في بعض خرجاتنا ونحن سائرون على ظهور دوابنا

اجلس بتلّ أبي نواس
ما بين باطية وكاس
وابتع سرورا باعه
منك الزمان بلا مكاس
في ظل غيث ذي ارتجا
ز بالرواعد وارتجاس

واستدعيت من شهاب الدين المذكور المساعدة وهو يسايرني فقال

تلّ تطلع مشرفا
بين المزارع والغراس
بالنهر منتطق على
زهر كوشي اللباس
من قاس ربوة جلق
بذراه أخطأ في القياس

فقلت

أضربته بعصاك يا
موسى فأصبح ذا انبجاس
فالماء يفري الجلسـ
ـف منه مكفوف الدياس
والقصب أمثال القنا
والورد أمثال التراس

فقال

والثم خدود الورد فيـ
ـه فخدّها أصداغ آس
وابن اصطباحك ان أرد
ت من الغبوق على أساس

فقلت

واجمع بذاك الغنى

ذهب الشباب ذهاب سهم مارق * لا يستطاع مع التأسف ردّه
وأتى المشيب بقضه وقضيضه * وأشد من وجدان ذلك فقده
أنا في السرى والسير كالطفل الذى * يجد السكون اذا تحرك مهده
من يقتدح زندا بكف ما لها * زند فكيف تراه يقدح زنده

وبديع أيضا قول حسن بن النقيب رحمه الله تعالى

لا تأسفن على الشباب وفقده * فعلى المشيب وفقده يتأسف
هاذاك يخلفه سواه اذا انقضى * ومضى وهذا ان مضى لا يخلف

وقوله أيضا

عجبت للشيب كيف أكرهه * فاصبح القلب وهو عاشقه
وكنت لا أشتهى أراه وقد * أصبحت لا أشتهى أفارقه

وما أحسن قول الصفى الحلى

لو تيقنت أن شين بياض الشيب يبقى لما كرهت البياضا
غير أنى علمت من ذلك الزا * ئر ما يقتضى وما يتقاضى

ولابى الفتح البستى رحمه الله تعالى فيه

ياشيبتى دومى ولا تترحلى * وتيقنى أنى بوصلك مولع
قد كنت أجزع من حلولك مرة * والآن من خوف ارتحالك أجزع

ولابى اليمن الكندى فيه أيضا

عفا الله عما جره اللهو والصبا * وما مرّ من قال الشباب وقيله
زمان صحبناه بأرغد عيشة * الى أن مضى مستكرها لسبيله
وأعقبنا من بعده غير مشتهى * مشيبا نفى عنا الكرى بحلوله
لئن عظمت أحزاننا بقدومه * فأعظم منها خوفنا من رحيله

وقد خالف ابن الرومى حيث يقول

من كان يبكى الشباب من أسف * فلست أبكى عليه من أسف
كيف وشرخ الشباب عرضنى * يوم حسابى لموقف التلف
لا صوحبت شرة الشباب ولا * عدمت مافى المشيب من خلف

ومثله قول بعضهم

لم أقل للشباب فى دعة الله ولا حفظه غداة استقلا
زائر زارنا أقام قليلا * سود الصحف بالذنوب وولى

ومن الجيد فيه أيضا قول العلوى

لعمرك للشيب على مما * فقدت من الشباب أجل فوتا
تمليت الشباب فصار شيبا * ومليت المشيب فصار موتا

وما أحسن أيضا قول الآخر

والمرء ان حل شيب فى مفارقه * فاما يفارقه أو يرحلان معا

وما أحسن قول المعرى فى مدح الشيب

خبرينى ماذا كرهت من الشيب فلا علم لى بذنب المشيب
أضياء النهار أم وضح اللؤ * لؤ أم كونه كثغر الحبيب
أخبرينى فضل الشباب وماذا * فيه من منظر يسر وطيب
غدره بالخليل أم حبه للغى أم كونه كعيش الأديب

وبالجملة فما أحسن قول الحافظ بن سهل بن غانم الاصفهانى وأصدقه

قد جاء من بعد الاياس
شدوا اذا أدوى القلو
ب أسى فنه لمن اس
فقال
لا تقتنع بالكاس واد
غ الرى من جام وكاس
واكرع فما حق المدا
مة أن تراك وأنت حاسى
فقلت
خذ ها لسان ساورت
عقل الفتى أى افتراس
واترك على الاعراب ما ان
تاره من لبن العساس
فقال
من كف ظبى لين ال
أعطاف صلد القلب قاسى
ظبى ولكن القلو
ب تكنه بدل الكناس
فقلت
يجنى بلا سكر ويكـ
سر جفنه لا من نعاس
يهوى ويذكر وهو سا
ل للذى يهواه ناسى
ثم شغلنا بالوصول واستدعانى
السلطان فدخلت اليه
فعمل الشهاب تمامها وأنا
عنده وكتبها على هذه
الصورة وأنفذها الى
سهل انك لا تثق بطبها
صعب الشكيمة والمراس
لا يستخيب ولا يطيـ
ع ولا يجود ولا يواسى
ما بين ندمان ظرا
ف حين تخبرهم كياس
واشرب براس التل لا
تحفل بهمدان براس
واهنأ بدولة سيف ذى

من شاب قدمات وهو حيّ * يمشي على الارض مشي هالك
لو كان عمر الفتى حسابا * لكان في شيبه فذالك

(والشاهد في البيت) الجمع بين معنيين غير متقابلين عبر عنهما بلفظين يتقابل معنياهما الحقيقيان فانه هنا لا تقابل بين البكاء وظهور الشيب لكنه عبر عن ظهوره بالضحك الذي يكون معناه الحقيقي مضادا لمعنى البكاء ويسمى ايهام التضاد لان المعنيين المذكورين وان لم يكونا متقابلين حتى يكون التضاد حقيقيا لكنهما قد ذكرا بلفظين يوهمان التضاد نظرا الى الظاهر والحمل على الحقيقة ومن الشواهد على ايهام التضاد قول أبي تمام الطائي

وتنظري خبب الركاب ينصها * محيي القريض الى مميت المال

فليس بين محيي ومميت هنا تضاد بالمعنى الاعلى انما يتوهم من اللفظ لان محيي القريض هنا كناية عن مجيده ويعني به نفسه ومميت المال كناية عن مفنيه في الكرم وليس بينهما تضاد ومنه قول الشاعر

يبدي وشاحا أبيضا من سيفه * والجو قد لبس الرداء الاغبرا

فان الابيض ليس بضد الاغبر وانما يوهم بلفظه أنه ضده ودعبل هو ابن علي بن رزين بن سليمان بن تميم الخزاعي ويكنى أبا علي وهو شاعر مطبوع متقدم هجاء خبيث اللسان لم يسلم منه أحد من الخلفاء ولا من وزرائهم ولا من أولادهم ولا ذو نباهة أحسن اليه أو لم يحسن ولا أفلت منه كبير أحد (وحدث) أبو هفان قال قال لي دعبل قال لي أبو زيد الانصاري مم اشتق دعبل قلت لا أدري قال الدعبل الناقة التي معها أولادها (وحدث) محمد بن أيوب قال دعبل اسمه محمد وكنيته أبو جعفر ودعبل لقب لقب به وعن أبي عمرو الشيباني قال الدعبل البعير المسن (وحدث) دعبل قال كنت جالسا مع بعض أصحابنا ذات يوم فلما قمت سأل رجل لم يعرفني أصحابنا عني فقالوا هذا دعبل قال قولوا في جليسكم خيرا كأنه ظن اللقب شتما وقال دعبل صرع مجنون مرة فصحت في أذنه دعبل ثلاث مرات فأفاق وكان سبب خروجه من الكوفة أنه كان يتشطر ويصحب الشطار فخرج هو ورجل من أشجع فيما بين العشاء والعتمة فجلسا على طريق رجل من الصيارفة كان يروح كل ليلة بكيسه الى منزله فلما طلع مقبلا عليهما وثبا عليه وجرحاه وأخذا ما في كيسه فاذا هي ثلاث رمانات في خرقة ولم يكن كيسه معه ليلتئذ ومات الرجل في مكانه واستتر دعبل وصاحبه وجد أولياء الرجل في طلبهما وجد السلطان أيضا في ذلك فطال على دعبل الاستتار فاضطر الى أن يهرب من الكوفة فما دخلها حتى كتب اليه أهله أنه لم يبق من أولياء الرجل أحد (وحدث) أحمد بن أبي كامل قال كان دعبل يخرج فيغيب سنين يدور الدنيا كلها ويرجع وقد أفاد وأثرى وكانت السراة والصعاليك يلقونه فلا يؤذونه ويؤاكلونه ويشاربونه ويبرونه وكان اذا لقيهم وضع طعامه وشرابه ودعاهم اليه ودعا بغلاميه نفنف وشنعف وكانا مغنيين فأقعدهما يغنيان وسقاهم وشرب معهم وأنشدهم فكانوا قد عرفوه وألفوه لكثرة أسفاره وكانوا يواصلونه ويصلونه قال وأنشدني دعبل لنفسه في بعد أسفاره

حللت محلا يقصر البرق دونه * ويعجز عنه الطيف أن يتجشما

(وحدث) محمد بن عمر الجرجاني قال دخل دعبل الري في أيام الربيع فجاءهم ثلج لم ير مثله في الشتاء فجاء شاعر من شعرائهم فقال شعرا وكتبه في رقعة وهو

جاءنا دعبل بثلج من الشعـ * ـر فجادت سماؤنا بالثلوج
نزل الري بعد ماسكن البر * د وقد أينعت رياض المروج
فكسانا ببرده لا كساه الله * ثوبا من كرسف محلوج

وألقى الرقعة في دهليز دعبل فلما قرأها ارتحل عن الري (وحدث) أحمد بن خالد قال كنا يوما عند دار رجل يقال له صالح بن عبد القيس ببغداد ومعنا جماعة من أصحابنا فسقط على كنيسة في سطحها ديك طار من بيت دعبل فلما رأيناه قلنا هذا صيد فأخذناه فقال صالح ما نصنع به قلنا نذبحه فذبحناه وشويناه يومنا وخرج دعبل فسأل عن الديك فعرف أنه سقط في دار صالح فطلبه منا فجحدناه وشربنا يومنا فلما كان من

يزن ودولة ذي نواس
فلقد فضلتهما بمجـ
ـد شامخ وندى وباس
ورواق ملك ثابت الـ
أركان سامي المعرواسي
فالعمر ما تم السرو
ر به كقول أبي فراس
لا زال يخدمك الزما
ن ومن حواه من أناس

* (ومن التمليط الواقع بين ثلاثة من الشعراء مما كان بقسيم لقسيم) *

(روت) المدائني قال خطب أويس القرني رضي الله عنه أم الشماخ ومزرد وجزء بني ضرار وحضر اليهم فقال الشماخ

نبئتها نكحت أويسا

فقال مزرد

يهدي اليها أعنزا وتيسا

فقال جزء

حمقا ترى ذاك بها أم كيسا

فقال أويس لعن الله من يكون رابعكم وما أحسب أويسا رضي الله عنه خطب امرأة قط ولعل غيره أو في الرواية وهم (ومن ذلك) ما رواه أبو الفرج الاصبهاني عن رجاله وتتصل روايته بالحرمازي قال نزل شبيب بن البرصاء المري وأرطاة بن زفر وعويف القوافي برجل من أشجع كثير المال يسمى علقمة فأتاهم بشربة لبن ممذوقة ولم يذبح لهم فلما رأوا ذلك منه قاموا الى مطيهم ورواحلهم فركبوها ثم قالوا انجوهذا الكلب

الغد خرج دعبل فصلى الغداة ثم جلس على باب المسجد وكان ذلك المسجد مجمع الناس يجتمع فيه جماعة من العلماء ونبهاء الناس فجلس دعبل على باب المسجد وقال

أسر المؤذن صالح وضيوفه * أسر الكمى هفا خلال المأقط
بعثوا عليه بناتهم وبنيهم * ما بين ناتفة وآخر سامط
يتنازعون كأنهم قد أوثقوا * خاقان أو هزموا كتائب ناعط
نهشوه فانتزعت له أسنانهم * وتهشمت أقفاؤهم بالحائط

قال فكتبها الناس عنه ومضوا فقال لى أبى وقد رجع الى البيت ويحكم ضاقت عليكم الماء كل فلم تجدوا شيأ تأكلونه سوى ديك دعبل ثم أنشدنا الشعر وقال لى لاتدع ديكا ولا دجاجة تقدر عليها الا اشتريت ذلك لدعبل وبعثت به اليه والا أوقعنا فى لسانه ففعلت ذلك قال وناعط قبيلة من همدان وأصله جبل نزلوا به فنسبوا اليه وقال دعبل كنا يوما عند سهل بن هرون الكاتب البليغ وكان شديد البخل فأطلنا الحديث واضطره الجوع الى أن دعا بغداء له فأتى بقصعة فيها ديك عاس هرم لاتخرقه سكين ولا يؤثر فيه ضرس فأخذ كسرة خبز فخاض بها مرقته وقلب جميع ما فى القصعة ففقد الرأس فبقى مطرقا ساعة ثم رفع رأسه وقال للطباخ أين الرأس فقال رميت به فقال ولم قال ظننتك لاتأكله قال بئس ما ظننت والله انى لأمقت من يرمى برجليه فكيف من يرمى برأسه والرأس رئيس وفيه الحواس الاربع ومنه يصيح ولولا صوته لما فضل وفيه فرقه الذى يتبرك به وفيه عيناه اللتان يضرب بهما المثل فيقال شراب كعين الديك ودماغه عجب لوجع الكليتين ولم ير عظم قط أهش من عظم رأسه أو ما علمت أنه خير من طرف الجناح ومن الساق ومن العنق فان كان قد بلغ من نبلك أنك لاتأكله فانظر أين هو قال لا أدرى والله أين هو رميت به قال لكنى أدرى أين هو رميت به فى بطنك فالله حسيبك (وحدث) ابراهيم بن المدبر قال لقيت دعبل بن على فقلت له أنت أخبر الناس عندى وأقدمهم حيث تقول يعنى فى حق المأمون

انى من القوم الذين سيوفهم * قتلت أخاك وشرفتك بمقعد
رفعوا محلك بعد طول خموله * واستنقذوك من الحضيض الاوهد

فقال لى يا أبا اسحق أنا أحمل خشبتى منذ أربعين سنة فلا أجد من يصلبنى عليها بعد وبات دعبل ليلة عند صديق له من أهل الشأم وبات عندهم رجل من أهل بيت لهيا يقال له حوى بن عمرو السكسكى وكان جميل الوجه فدب اليه صاحب البيت وكان شيخا كبيرا فانيا قد أتى عليه حين فقال فيه دعبل

لولا حوى لبيت لهيان * ما قام ايرالعزب الفانى له دواة فى سراويله * يليقها النازح والدانى

وشاع هذان البيتان فهرب حوى من ذلك البلد وكان الشيخ اذا رأى دعبلا سبه وقال فضحتنى أخزاك الله (وحدث) محمد بن الاشعث قال سمعت دعبلا يقول ما كانت لاحد عندى منة قط الا تمنيت موته وكان دعبل قد مدح محمد بن عبد الملك الزيات فأنشده ما قاله فيه وهو جالس وفى يده طومار قد جعله على فيه كالمتكئ وهو جالس فلما فرغ أمر له بشئ قليل لم يرضه فقال

يا من يقبل طومارا ويلثمه * ماذا بقلبك من حب الطوامير
فيه مشابه من شئ تسر به * طولا بطول وتدويرا بتدوير
لو كنت تجمع أموالا كجمعكها * اذا جمعت بيوتا من دنانير

وقال دعبل فى الفضل بن مروان

نصحت فأخلصت النصيحة فى الفضل * وقلت فسيرت المقالة فى الفضل
ألا ان فى الفضل بن سهل لعبرة * اذا اعتبر الفضل بن مروان بالفضل
وللفضل فى الفضل بن يحيى مواعظ * اذا فكر الفضل بن مروان فى الفضل
فابق جميلا من حديث تفز به * ولا تدع الاحسان والاخذ بالفضل

فقال شبيب
أفى حدثان الدهر أو فى قديمه
تعلمت أن لاتقرى الضيف علقما فقال أرطاة
لبئنا لطو بلا ثم جاء بجذقة
كاء السلى فى جانب القعب أثلما
فقال عويف
فلما رأينا انه شر منزل
رمينا بهن الليل حتى تصرما
(وروى أيضا) أن عقيل بن علقمة المرى خرج هو وابناه جثامة وعلقمة وابنته الجرباء فانتجعوا بنى مروان بالشام ثم قفلوا حتى اذا كانوا ببعض الطريق قال عقيل
قضت وطرا من دير سعد وربما
على عرض ناطحنه بالجماجم
اذا هبطت أرضا يموت غرابها
بها عطشا أعطينه بالخزائم
ثم قال أجز يا علقمة فقال
اذا علم غادرنه بتنوفة
تذارعن بالايدى لآخر طاسم
ثم قال أجز يا جثامة فقال
وأصبحن بالموماة يحملن فتية
نشاوى من الادلاج ميل العمائم
ثم قال أجيزى يا جرباء فقالت
وأنا آمنة قال نعم فقالت
كأن الكرى سقاهم صرخدية
عقارا تمشت فى المطا والقوائم
فقال عقيل شربتها ورب الكعبة لولا الامان لضربت بالسيف ما تحت قرطيك أما وجدت من الكلام غير هذا فقال جثامة وهل أساءت انما أجازت وليس

فانك قد أصبحت للملك قيما * وصرت مكان الفضل والفضل والفضل
ولم أر أبياتا من الشعر قبلها * جميع قوافيها على الفضل والفضل
وليس لها عيب اذا هي أنشدت * سوى ان نصحي الفضل كان من الفضل

فبعث اليه الفضل بدنانير وقال له قد قبلت نصحك فاكفني خيرك وشرك (وحدثني) محمد بن حاتم المؤدب قال قيل للمأمون ان دعبلا قد هجاك فقال وأي عجب في هذا هو يهجو أبا عباد فلا يهجوني أنا ومن أقدم على جنون أبي عباد أقدم على حلمي ثم قال لجلسائه من كان فيكم يحفظ شعره في أبي عباد فلينشده فأنشده بعضهم

أولى الامور بضيعة وفساد * أمر يدبره أبو عباد
خرق على جلسائه فكأنهم * حضروا الملحمة ويوم جلاد
يسطو على كتابه بدواته * فمضمخ بدم ونضح مداد
وكأنه من دير هرقل مفلت * حرد يجر سلاسل الاقياد
فاشدد أمير المؤمنين وثاقه * فأصح منه بقية الحداد

قال وكان بقية هذا مجنونا في المارستان فضحك المأمون وكان اذا نظر الى أبي عباد يضحك ويقول لمن يقرب منه والله ما كذب دعبل في قوله (وحدثني) أبو ناجية قال كان المعتصم يبغض دعبلا لطول لسانه وبلغ دعبلا أنه يريد اغتياله وقتله فهرب الى الجبل وقال يهجوه

بكى لشتات الدين مكتئب صب * وفاض بفرط الدمع من عينه غرب
وقام امام لم يكن ذا هداية * فليس له دين وليس له لب
وما كانت الانباء تأتي بمثله * يملك يوما أو تدين له العرب
ولكن كما قال الذين تتابعوا * من السلف الماضي اذا عظم الخطب
ملوك بني العباس في الكتب سبعة * ولم تأتنا عن ثامن لهم كتب
كذلك أهل الكهف في الكهف سبعة * خيار اذا عدوا وثامنهم كلب
واني لأعلي كلبهم عنك رفعة * لانك ذو ذنب وليس له ذنب
لقد ضاع ملك الناس اذ ساس ملكهم * وصيف واشناس وقد عظم الكرب
وفضل ابن مروان سيثلم ثلمة * يظل لها الاسلام ليس له شعب

ولما مات المعتصم قال ابن الزيات يرثيه

قد قلت اذ غيبوه وانصرفوا * في خير قبر لخير مدفون
لن يجبر الله أمة فقدت * مثلك الا بمثل هرون

فقال دعبل يعارضه

قد قلت اذ غيبوه وانصرفوا * في شر قبر لشر مدفون
اذهب الى النار والعذاب فما * خلتك الا من الشياطين
مازلت حتى عقدت بيعة من * أضر بالمسلمين والدين

(وحدثني) محمد بن جرير قال أنشدني عبد الله بن يعقوب هذا البيت وحده لدعبل يهجو به المتوكل وما سمعت له غيره فيه

ولست بقائل بدعا ولكن * لأمر ما تعبدك العبيد

قال يرميه في هذا البيت بالابنة (وحدثني) محمد بن جرير قال كنت مع دعبل بالصيمرة وقد جاءنا نعي المعتصم وقيام الواثق فقال لي دعبل أمعك ما تكتب فيه قلت نعم وأخرجت قرطاسا فأملى علي بديها

الحمد لله لا صبر ولا جلد * ولا عزاء اذا أهل البلا رقدوا
خليفة مات لم يحزن له أحد * وآخر قام لم يفرح به أحد

وكان المأمون قد تطلب دعبلا وجد في ذلك وهو طائر على وجهه حتى دس اليه قوله

علم وتحكيم وشيب مفارق * تطميس ريعان الشباب الرائق
وامارة في دولة ميمونة * كانت على اللذات أشغب عائق

غيري وغيرك فرماه عقيل بسهم فأصاب ساقه ثم شد عليها وقال لولا يعيرني بنو مرة بعد اليوم ما ذقت الحياة ثم نحر عند جثامة جزورا وتركه وقصد قومه وقال لئن أخبرت أهلك بشأن جثامة أو قلت لهم انه أصابه غير الطاعون أتيت عليك فلما قدموا على أهل أثير وهم بنو القين ندم عقيل على ما فعله بجثامة فقال لهم هل لكم في جزور انكسرت قالوا نعم قال الزموا أثر هذه الرواحل حتى تجدوا الجزور فخرج القوم حتى انتهوا الى جثامة فوجدوه وقد أنزفه الدم فحملوه واقتسموا الجزور وأنزلوه عليهم وعالجوه حتى برأ وألحقوه بقومه فلما احتملوه وقرب من الحي تغنى جثامة يقول

أيعذر لاهينا وتلحين في الصبا * وما هن والفتيان الا شقائق

فقال له القوم انما أفلت من الجراحة التي جرحك أبوك آنفا وقد عاودت ما يكرهه فأمسك عن هذا ونحوه اذا لقيته لئلا يلحقك منه شر فقال انها خطرة عرضت والراكب اذا سار يترنم (وقد) ذكر ابن قتيبة في كتاب الاشربة هذه الحكاية على غير هذه الصفة وذكر لعقيل البيت الاول من بيتيه وجعل بدل علقمة أخاه عملس وأنشد له البيت الاول أيضا

نعوا

نعوا ابن شكلة بالعراق وأهله * فهفا اليه كل أخرق مائق
أنى يكون ولا يكون ولم يكن * يرث الخلافة فاسق عن فاسق
ان كان ابراهيم مضطلعا بها * فلتصلحن من بعده لمخارق

ولما قرأها المأمون ضحك وقال قد صفحت عن كل ما هجانا به اذ قرن ابراهيم بمخارق فى الخلافة وولاه عهده ثم انه كتب الى دعبل أمانا فلما دخل وسلم عليه تبسم فى وجهه وقال أنشدنى مدارس آيات خلت من تلاوة فجزع فقال له لك الأمان فلا تخف وقد رويتها ولكنى أحب سماعها من فيك فأنشده اياها الى آخرها والمأمون يبكى حتى اخضلت لحيته بدمعه ثم انه أحسن اليه وانس به حتى كان أول داخل اليه وآخر خارج من عنده ثم عاد الى خبائته وشاعت له أبيات بعدها أيضا يهجو بها المأمون (وحدث) دعبل قال دخلت على على بن موسى الرضى فقال أنشدنى شيأ مما أحدثت فأنشدته

مدارس آيات خلت من تلاوة * ومنزل وحى مقفر العرصات

حتى انتهيت الى قولى فيها اذا وتروا مدوا الى واتريهم * أكفا عن الاوتار منقبضات

قال فبكى عنده حتى أغمى عليه فأومأ الى خادم كان على رأسه أن اسكت فسكت فمكث ساعة ثم قال لى أعد فأعدت حتى انتهيت الى هذا البيت فأصابه مثل الذى أصابه فى المرة الاولى وأومأ الخادم أيضا الى أن اسكت فسكت ثم مكث ساعة أخرى ثم قال لى أعد فأعدت حتى انتهيت الى آخرها فقال أحسنت أحسنت ثلاث مرات ثم أمر لى بعشرة آلاف درهم مما ضرب باسمه ولم تكن دفعت الى أحد بعد وأمر لى من فى منزله بحلى كثير أخرجه الى الخادم فقدمت العراق فبعت كل درهم منها بعشرة اشتراها منى الشيعة فحصل لى مائة ألف درهم فكان أول مال اعتقدته ثم ان دعبلا استوهب من على بن موسى الرضى رضى الله عنهما ثوبا قد لبسه ليجعله فى أكفانه فخلع جبة كانت عليه فأعطاه اياها وبلغ أهل قم خبرها فسألوه أن يبيعهم اياها بثلاثين ألف درهم فلم يفعل فخرجوا عليه فى طريقه فأخذوها غصبا وقالوا له ان شئت أن تأخذ المال فافعل والا فأنت أعلم فقال لهم انى والله لا أعطيكم اياها طوعا ولا تنفعكم غصبا وأشكوكم الى الرضى فصالحوه على أن أعطوه ثلاثين ألف درهم وفرد كم من بطانتها فرضى بذلك (وحدث) دعبل قال لما هربت من الخليفة بت ليلة بنيسابور وحدى وعزمت على أن أعمل قصيدة فى عبد الله بن طاهر فى تلك الليلة فانى لفى ذلك اذ سمعت والباب مردود على قائلا يقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أألج يرحمك الله فاقشعر بدنى من ذلك ونالنى أمر عظيم فقال لى لا ترع فانى رجل من اخوانك من الجن من ساكنى اليمن طرأ علينا طارئ من أهل العراق فأنشدنا قصيدتك (مدارس آيات) الى آخرها فأحببت أن أسمعها منك قال فأنشدته اياها فبكى حتى خر ثم قال يرحمك الله ألا أحدثك بحديث فى نيتك ويعينك على التمسك بمذهبك قلت بلى قال مكثت حينا أسمع بجعفر بن محمد رحمهما الله تعالى فصرت الى المدينة المنورة فسمعته يقول حدثنى أبى عن أبيه عن جده رضى الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال على وشيعته هم الفائزون ثم ودعنى لينصرف فقلت يرحمك الله ان رأيت أن تخبرنى باسمك فافعل قال أنا ظبيان بن عامر (وحدث) اسحق بن ابراهيم الموصلى قال بويع ابراهيم بن المهدى ببغداد وقد قل المال عنده وكان قد لجأ اليه أعراب من أعراب السواد وغيرهم من أوباش الناس وأوغادهم فاحتبس عليهم العطاء فجعل ابراهيم يسوفهم وهم لا يرون لوعده حقيقة الى أن خرج رسوله اليهم يوما وقد اجتمعوا وضجوا فصرح اليهم بأنه لا مال عنده فقال قوم من غوغاء أهل بغداد أخرجوا الينا خليفتنا ليغنى أهل هذا الجانب ثلاثة أصوات فتكون عطاءهم ولأهل هذا الجانب مثلها قال اسحق فأنشدنى دعبل بعد أيام

ألا معشر الاجناد لا تقنطوا * وارضوا بما كان ولا تسخطوا
فسوف تعطون حنينية * يلتذها الامرد والأشمط
والمعبديات لقوادكم * لا تدخل الكيس ولا تربط

من بنيه ثم ذكر أنه انحنى على ابنته الجرباء يضربها بالسوط فلما رأى ذلك بنوه وثبوا عليه فشلوا وأخذه بسهم فقال

ان بنى زملونى بالدم
من يلق آساد الرجال يكلم
شنشنة أعرفها من أخزم

(وذكر أبو الفرج) هذا الرجز فى حكاية أخرى تتصل بزيد ابن العباس التغلبى والربيع ابن غير قالا عدا عقيل بن علقمة على أفراس له عند بيوته فأطلقها ثم رجع فوجد بنيه وأمهم مجتمعين فشد على علقمة بسيف فحاد عنه وتغنى بقوله

قفى يا ابنة المرى نسألك ما الذى
تريدين فيما كنت منيتنا قبل
نخبرك ان لم تنجزى الوعد أننا
ذوا خلة لم يبق بينهما وصل
فان شئت كان الصرم بينى وبينكم
وان شئت لم تبق المكارم والبذل

فقال عقيل يا ابن اللخناء متى منتك نفسك بهذا وشد عليه بالسيف وكان عملس أخاه لامه فحال بينه وبينه فشد على عملس بالسيف فرماه علقمة بسهم فأصاب ركبته فسقط عقيل وجعل يتمعك فى دمه ويرتجز بالرجز المقدم وبعده قوله

من يلق أبطال الرجال يكلم
ومن يكن ذا أود يقوم

(قال المدائنى) وأخزم فحل

وهكذا يرزق قواده * خليفة مصحفه البربط

ودخل عبدالله بن طاهر على المأمون فقال له أى شئ تحفظ يا عبدالله لدعبل قال أحفظ أبياتاله فى أهل بيت أمير المؤمنين قال هاتها فأنشده عبدالله قوله

سقيا ورعيا لأيام الصبابات * أيام أرفل فى أثواب لذاتى
أيام غصنى رطيب من ليانته * أصبوالى غير جارات وكنات
دع عنك ذكر زمان فات مطلبه * واقذف برجلك عن متن الجهالات
واقصد بكل مديح أنت قائله * نحو الهداة بنى بيت الكرامات

فقال المأمون انه وجد والله مقالا فقال ونال ببعيد ذكرهم مالا يناله فى وصف غيرهم ثم قال المأمون لقد أحسن فى وصف سفر سافره فطال ذلك السفر عليه فقال فيه

ألم يأن للسفر الذين تحملوا * الى وطن قبل الممات رجوع
فقلت ولم أملك سوابق عبرة * نطقن بما ضمت عليه ضلوع
تبين فكم دار تفرق شملها * وشمل شتيت عاد وهو جميع
طوال الليالى صرفهن كما ترى * لكل أناس جدبة وربيع

ثم قال المأمون ما سافرت قط الا كانت هذه الابيات نصب عينى وهجيراى ومسليتى حتى أعود ومن شعره يهجو

رفع الكلب فاتضع * ليس فى الكلب مصطنع
بلغ الغاية التى * دونها كل ما ارتفع
انما قصر كل شئ * اذا طار ان يقع
لعن الله نخوة * صار من بعدها ضرع

ومن شعره يهجو أيضا

سمعت المديح رجالا دون مالهم * رد قبيح وقول ليس بالحسن
فلم أفز منهم الا بحاجات * رجل البعوضة من نخالة اللبن

ومنه قوله فيمن استشفع به فى حاجة فاحتاج الى شفيع يشفع له

يا عجبا للمرتجى فضله * لقد رجا ماليس بالنافع
جيئنابه يشفع فى حاجة * فاحتاج فى الاذن الى شافع

(وحدثت) دعبل قال خرجت الى الجبل هاربا من المعتصم فكنت أسير فى بعض طريقى والمكارى يسوق بى بغلا تحتى وقد أتعبنى تعبا شديدا فتغنى المكارى بقولى

لا تعجبى ياسلم من رجل * ضحك المشيب برأسه فبكى

فقلت له وأنا أريد أن أتقرب اليه لكف ما يستعمله من الحث للبغل لئلا يتعبنى تعرف لمن هذا الشعر يافتى قال لمن ناك أمه وغرم درهمين فما أدرى من أى أموره أعجب أمن هذا الجواب أم من قلة الغرم على عظم الجناية (وحدثت) على بن عبدالله بن مسعدة قال قال لى دعبل وقد أنشدته قصيدة بكر بن خارجة فى عيسى ابن البراء النصرانى

زناره فى خصره معقود * كأنه من كبدى مقدود

والله ما أعلم انى حسدت أحدا كما حسدت بكرا على قوله كأنه من كبدى مقدود وكان بكر هذا ورّاقا ضيقا عيشه معاقرا للشراب فى منازل الخمارين وحاناتهم وكان طيب الشعر مليحا مطبوعا حسنا ماجنا خليعا وكانت الخمرة قد أفسدت عقله فى آخر عمره فصار يهجو ويمدح بالدرهم والدرهمين ونحو هذا فاطرح (وحدثت) بعض الكوفيين قال حضرنا دعوة ليحيى بن أبى يوسف القاضى وبتنا عنده ونمت فما أنبهنى الا صياح بكر يستغيث من العطش فقلت له مالك قم فاشرب فالدار ملأى ماء قال أخاف قلت من أى شئ قال فى الدار كلب كبير فأخاف أن يظننى غزالا فيثب علىّ ويقطعنى ويأكلنى فقلت له خرب الله بيتك أنت والله بالحمار أشبه منك بالغزلان قم فاشرب ان كنت عطشانا فأنت آمن وكان عقله قد فسد من كثرة الشرب (وحدثت) أحمد بن عثمان الطبرى قال سمعت دعبل بن على يقول لما هاجيت أبا سعد المخزومى أخذت معى

رجل كان منجبا فضرب ابل رجل آخر ولا يعلم صاحبه فرأى بعد ذلك من نسله جملا فقال
شنشنة أعرفها من أخزم
فأرسلت مثلا (قال على بن ظافر) ذكر الحريرى فى تفسير بعض مقاماته أن أخزم جد حاتم الطائى وأن جده الادنى سعدا ضربه له مثلا لما رأى من تخلقه بأخلاقه وآثاره والشنشنة الشبه والصحيح ماذكره أبو الفرج وهذه الفعلة من علقمة كانت سبب تعريق عقيل أولاده وطردهم عنه وكانوا يقصدون أذاه بانشاد الغزل بحضرة أخواتهم لانه كان مفرط الغيرة مبالغا فى الظن شديد الرقاعة وهم من شياطين العرب (وذكر أبو الفرج) محمد بن اسحق المعروف بالوراق ابن يعقوب النديم فى كتاب الفهرسة قال صار جياد واسحق بن الجصاص الى أبى غزار العجلى أحد رواة اللغة فقال له جياد اسمع شيأ قلته وأجزه قال قل فقال جياد
فان كنت لا تدرين ما الموت فانظرى
الى دير هند كيف خطت مقابره
فقال اسحق
ترى جثثا قد باد أقضى الله فيهم
وهاتن حتف أوجبته مقادره
فقال أبو غزار
بيوت ترى أثنا لها فوق أهلها

جوزاودعوت الصبيان فأعطيتهم منه وقلت لهم صيحوا به قائلين

يا أبا سعد قوصره * زانى الاخت والمره لو تراه مجيبا * خلته عقد قنطره

أو ترى الاير فى استه * قلت ساق بقنطره

فصاحوا به فغلبته ولابى سعد المخزومى يهجو دعبلا وكان قد دعاه الى بيته وأضافه

لدعبل منة يمن بها * فلست حتى الممات أنساها أدخلنا بيته فأكرمنا * ودس امراته فنكناها

(وحدث) أبو سعد المخزومى واسمه عيسى بن خالد الوليد قال أنشدت المأمون قصيدتى الدالية التى رددت فيها على دعبل قوله ويسومنى المأمون خطة عاجز * أوما رأى بالامس رأس محمد

وأول قصيدتى أخذ المشيب من الشباب الاغيد * والنائبات من الانام بمرصد

ثم قلت له يا أمير المؤمنين ائذن لى أن أجيئك برأسه فقال لا هذا رجل قد فخر علينا فافخر عليه كما فخر علينا فأما قتله فلا حجة فيه وكان الرشيد قد غنى بقول دعبل (لا تعجبى ياسلم من رجل) الابيات فطرب لها وسأل عن قائلها فقيل لدعبل غلام نشأ من خزاعة فأمر له بعشرة آلاف درهم وخلعة من ثيابه ومركب من مراكبه وجهز له ذلك مع خادم من خدمه الى خزاعة فأعطاه الجائزة وأشار عليه بالمسير اليه فلما دخل عليه وسلم أمره بالجلوس فجلس واستنشده الشعر فأنشده اياه فاستحسنه وأمره بملازمته وأجرى عليه رزقا سنيا فكان أول من حرضه على قول الشعر ثم انه ما بلغه ان الرشيد مات حتى كافأه على فعله بأقبح مكافأة وقال فيه من قصيدة مدح بها أهل البيت رضى الله عنهم وهجا الرشيد

وليس حى من الاحياء نعلمه * من ذى يمان ولا بكر ولا مضر

الا وهم شركاء فى دمائهم * كما تشارك ايسار على جزر

قتل وأسر وتحريق ومنهبة * فعل الغزاة بأرض الروم والخزر

أرى أمية معذورين ان قتلوا * ولا أرى لبنى العباس من عذر

أربع بطوس على القبر الزكى اذا * ما كنت تربع من دين على وطر

قبران فى طوس خير الناس كلهم * وقبر شرهم هذا من العبر

ما ينفع الرجس من قبر الزكى ولا * على الزكى بقرب الرجس من ضرر

هيهات كل امرئ رهن بما كسبت * له يداه فخذ ما شئت أو فذر

يعنى قبر الرشيد وقبر موسى الكاظم ولعمرى لقد هذى هذا ولنفسه ظلم وآذى (وحدث) أبو حفص النحوى مؤدب آل طاهر قال دخل دعبل على عبد الله بن طاهر فأنشده وهو ببغداد

جئت بلا حرمة ولا سبب * اليك الا بحرمة الادب فاقض ذمامى فاننى رجل * غير ملح عليك فى الطلب

قال فانتقل عبد الله ودخل الى الحرم ووجه اليه بصرة فيها ألف درهم وكتب اليه معها

أعجلتنا فأتاك عاجل برنا * ولو انتظرت كثيره لم يقلل

فخذ القليل وكن كأنك لم تسل * ونكون نحن كأننا لم نفعل

وكان دعبل قد قصد مالك بن طوق ومدحه فلم يرض ثوابه فخرج عنه وقال فيه

ان ابن طوق وبنى تغلب * لو قتلوا أو جرحوا قصره

لم يأخذوا من دية درهما * يوما ولا من ارشهم بعره

دماؤهم ليس لها طالب * مطلولة مثل دم العذره

وجوههم بيض وأحسابهم * سود وفى آذانهم صفره

وقال فيه أيضا

سألت عنكم يا بنى مالك * فى نازح الارضين والدانيه

طرا فلم نعرف لكم نسبة * حتى اذا قلت بنى الزانيه

قالوا فدع داراء لى جنبة * وتلك ها دارهم ثانيه

وبجمع زور لا يكلم زائره (وذكر محمد بن سنان) مما رواه أبو الفرج أن مطيع ابن اياس وحماد عجرد ويحيى ابن زياد خرجوا فى سفر فلما نزلوا ببعض القرى عرفوا فأنزلوا منزلا وأتوا بطعام وشراب وبينما هم يشربون فى صحن الدار اذ أشرفت عليهم بنت دهقان من سطح لها بوجه مشرق رائق فقال مطيع لحماد عندك يا حماد فقال حماد خذ فيما شئت فقال مطيع

ألا يا أبى الناظر من بينهم ونحوى

فقال حماد

ويا سقيا السطح أشرفت من فوقه حذوى

فقال يحيى

ألا يا ليت فوق الحقو منها الاصق احقوى

(وروى محمد بن خلف المرزبانى) عن بعض شعراء الكوفة قال قال لى محمد بن كناسة قد اشتهت دنانير يعنى جاريته المشهورة جمالا وأدبا أن تنظر الى الحيرة فهل لك أن تساعدنا وكان الزمان ربيعا فقلت نعم فقال تقدمنا لنلحق بك فقصدت الخورنق وجلست فى بعض المواضع المعشبة واذا به قد أقبل على بغلة ومعه دنانير على حمار فنزلا وجلسنا وقد سترت بعض وجهها منى فقلت أداعبها وكان محمد يأنس بى ويسكن الى فقلت

فبلغت الابيات مالكا فطلبه فهرب فأتى البصرة وعليها اسحق بن العباس بن محمد بن على العباسى وكان قد بلغه هجاء دعبل وعبد الله بن عيينة نزارا فأما ابن عيينة فانه هرب منه فلم يظهر بالبصرة طول أيامه وأما دعبل فانه حين دخل البصرة بعث اليه فقبض عليه ودعا بالنطع والسيف ليضرب عنقه فحلف بالطلاق على جحدها وبكل يمين تبرّى من الدم أنه لم يقلها وان عدوّا له قالها اما أبو سعد المخزومى أو غيره ونسبها اليه ليغرى بدمه وجعل يتضرّع اليه ويقبل الارض ويبكى بين يديه فرق له فقال أما اذا أعفيتك من القتل فلابدّ أن أشهرك ثم دعا له بالعصى فضربه حتى سلح وأمر به فألقى على قفاه وفتح فمه فردّ سلحه فيه والمقارع تأخذ رجليه وهو يحلف أن لا يكف عنه حتى يستوفيه ويبلعه أو يقتله فما رفعت عنه حتى بلع سلحه كله ثم خلاه فهرب الى الاهواز وبعث مالك بن طوق رجلا حصيفا مقداما وأعطاه سما وأمره أن يغتاله كيف شاء وأعطاه على ذلك عشرة آلاف درهم فلم يزل يطلبه حتى وجده فى قرية من نواحى السوس فاغتاله فى وقت من الاوقات بعد صلاة العتمة فضرب ظهر قدمه بعكاز لها زج مسموم فمات من الغد ودفن بتلك القرية وقيل بل حمل الى السوس فدفن فيها وكانت ولادته فى سنة ثمان وأربعين ومائة ووفاته فى سنة ست وأربعين ومائتين ولما مات وكان صديق البحترى وكان أبو تمام قد مات قبله رثاهما البحترى بقوله

قد زاد فى كلفى وأوقد لوعتى * مثوى حبيب يوم مات ودعبل

أخوىّ لا تزل السماء مخيلة * تغشاكما بسماء مزن مسبل

جدث على الاهواز يبعد دونه * مسرى النعى ورمسه بالموصل

ودعبل بكسر الدال وسكون العين المهملتين وكسر الباء الموحدة

المقابلة

(ما أحسن الدين والدنيا اذا اجتمعا * وأقبح الكفر والافلاس بالرجل)

البيت من البسيط ويعزى لابى دلامة يحكى أن أبا جعفر المنصور سأل أبا دلامة عن أشعر بيت قالته العرب فى المقابلة فقال بيت يلعب به الصبيان قال وما هو على ذلك قال قول الشاعر وأنشده البيت قال ابن أبى الاصبع لا خلاف فى أنه لم يقل قبله مثله فانه قابل بين أحسن وأقبح والدين والكفر والدنيا والافلاس وهو من مقابلة ثلاثة بثلاثة وكلما كثر عدد المقابلة كانت أبلغ وأحسن من بيت أبى دلامة قول المتنبى

فلا الجود يفنى المال والجدّ مقبل * ولا البخل يبقى المال والجدّ مدبر

ومن المقابلة قول النابغة الجعدى

فتى تم فيه ما يسرّ صديقه * على أن فيه ما يسوء الاعاديا

وقول الفرزدق

وانا لنمضى بالاكف رماحنا * اذا أرعشت أيديكم بالمعالق

وقول عبد الله بن الزبير الاسدى

فردّ شعورهنّ السود بيضا * وردّ وجوههنّ البيض سودا

وقول أبى تمام

يا أمة كان قبح الجور يسخطها * دهرا فأصبح حسن العدل يرضيها

وقول البحترى

فاذا حاربوا أذلوا عزيزا * واذا سالموا أعزوا ذليلا

وقول يزيد بن محمد المهلبى لسليمان بن وهب

فمن كان للآثام والذل أرضه * فأرضكم للاجر والعز معقل

وقول العباس بن الاحنف

اليوم مثل الحول حتى أرى * وجهك والساعة كالشهر

لانّ الساعة من اليوم كالشهر من الحول جزء من اثنى عشر ولمؤلفه من أبيات

لو كان ذا الكشح فى بلدتى * لم يستطع لومضنى ومضا وكنت فى العز سماء له * وكان لى من ذله أرضا

وحسن فى المقابلة قول الشريف الموسوى

ومنظر كان بالسرّاء يضحكنى * يا قرب ما عاد بالضرّاء يبكينى

وقول أبى عبد الله الغوّاص

اغانسترين وجهك عن شيخ فقالت طماح العين قال فضحكا ثم أخذنا ننظر الى رياض الحيرة وبقاعها ونتذكر ما مضى لها من الزمان ونستحسن حمرة الشقائق على ائتلاف تلك الانوار والالوان فأخذ محمد عودا وكتب على الارض

الآن حين تزين القطر أنجاده ووهاده العفر

ثم قال لدنانير أجيزيه فكتبت تحته

بسط الربيع بها الرياض كما بسطت ثياب فى الثرى خضر

فقلت أحسنت وكتبت بتربة فى البحر نابتة يجبى اليها البرّ والبحر فكتبت

وسرى الفرات على مياسرها وجرى على أيمانها النهر

وبدا الخورنق فى مطالعها فردا يلوح كأنه الفجر

كانت منازل للملوك ولم يعمل بها الملك قبر

وقد ذكر أبو الفرج هذه الحكاية ورواها عن عبيد ابن الحسين وعزا جميع أبياتها الا ابن كناسة * قال الاصمعى ما رأيت أثر النبيذ فى وجه الرشيد الا مرة دخلت عليه أنا وأبو حفص الشطرنجى فقال استبقا الى بيت فمن أصاب غرضى فله عشرة آلاف درهم

جهل الرئيس وحق الله يضحكنا * وفعله والله الناس يبكينا

وقول ابن شمس الخلافة طالت الشقوة للمرء اذا * قصر الرزق وطال العمر

وقول السرى الرفاء

وصاحب يقدح لى * نار السرور بالقدح في روضة قد لبست * من لؤلؤ الطل سبح

والجو في ممسك * طرازه قوس قزح يبكي بلا حزن كما * يضحك من غير فرح

وقوله وقد شرب ليلة في زورق

ومعتدل يسعى الى بكاسه * وقد كاد ضوء الصبح بالليل يفتك

وقد حجب الغيم السماء كأنما * يزر عليها منه ثوب ممسك

ظللنا نشب الوجد والكاس دائر * ونهتك أستار الهوى فتهتك

ومجلسنا في الماء يهوى ويرتقى * وابريقنا في الكأس يبكي ويضحك

وقول التمتام الحداد المصري

أما ترى الغيث كلما ضحكت * كمائم الزهر في الرياض بكى

كالصب يبكي لديه عاشقه * وكلما فاض دمعه ضحكا

وما أحسن قول الارجاني وأرشقه

شبت أنا والتحى حبيبي * حتى برغمي سلوت عنه وابيض ذاك السواد مني * واسود ذاك البياض منه

وما أصنع قول الصفي الحلي

مليح يغير الغصن عند اهتزازه * ويخجل بدر التم عند شروقه

فما فيه معنى ناقص غير خصره * ولا فيه شيء بارد غير ريقه

وما أشرق قول الشمس التلمساني

فكم يتجافى خصره وهو ناحل * وكم يتحالى ريقه وهو بارد

وكم يدعي صونا وهذي جفونه * بفترتها للعاشقين تواعد

ومن مقابلة خمسة بخمسة قول المتنبي

أزورهم وسواد الليل يشفع لي * وأنثني وبياض الصبح يغري بي

وقد أخذه بعضهم أخذا مليحا فقال

أقلي النهار اذا أضاء صباحه * وأظل أنتظر الظلام الدامسا

فالصبح يشمت بي فيقبل ضاحكا * والليل يرثى لي فيدبر عابسا

والمتنبي أخذ معنى بيته من مصراع بيت لابن المعتز وهو قوله

لا تلق الا بليل من تواعده * فالشمس نمامة والليل قواد

الا أن ابن المعتز هجن هذا المعنى بذكر نمامة وقواد وأبو الطيب سبكه أحسن سبك وأبدعه فصار أحق به منه

وقال عبد الله بن جيس من شعراء المغاربة

بانت له الاهواء أدهم سابقا * وغدت به الايام أشهب كابي

فأحسن ما شاء لمقابلته الادهم بالاشهب والسابق بالكابي على انه مأخوذ من قول ذي الوزارتين أبي عبد الله بن أبي الخصال رحمه الله تعالى

وقد كنت أسري في الظلام بأدهم * فها أنا أغدو في الصباح بأشهب

وفي بيت كل منهما زيادة على الآخر ومن مقابلة ستة بستة ما أورده الصاحب شرف الدين مستوفي اربل وهو

على رأس عبد تاج عز يزينه * وفي رجل حر قيد ذل يشينه

(حكى) غرس الدين الاربلي ان الصاحب المذكور لما أنشد لغيره هذا البيت قال هو بديها

قال فأشفقت ومنعتني هيبته وبدر الشطرنجي بجراءة العميان فقال

كلما دارت الزجاجة زادته اشتياقا وحرقة فبكاك

فاستحسنه وأجازه فزالت عني الهيبة فقلت

لم ينلك الرجاء أن تحضريني وتجافت أمنيتي عن سوالك

فقال لله درك لك عشرون ألفا ثم أطرق ورفع رأسه وقال أنا والله أشعر منكما وأنشد

فتمنيت أن يغشيني الله نعاسا لعل عيني تراك

(وقد أنبانى التقي) أبو محمد عبد الخالق المسكي عن أبي طاهر الحافظ السلفي قال أنبانا أبو محمد جعفر بن السراج وابن بعلان الكبير قالا أنبانا أبو نصر عبد الله بن سعيد السجستاني الحافظ عن أبي يعقوب النضيري قال حدثنا الازدي عن ابن دريد عن أبي حاتم عن الاصمعي قال دخلت على الرشيد وعنده أبو حفص الاعمى المعروف بالشطرنجي فقال استبقا الى آخره فوقع في نفسي أنه يريد جارية الناطفي فهبته وبدرني أبو حفص فقال

مجلس ينسب السرور اليه لمحب ريحانه ذكراك

فقال قد قاربت ولك العشرة ونهيته فقال

كلما دارت الزجاجة

تسر لشيماكرمات تزينه * وتبكي كريماحادثات تهينه

ومن مقابلة خمسة بخمسة قول القائل فى ذى أبنة

يأتى الى الاحرار يجلس فوقهم * وينام من تحت العبيد ويوثق

ومن مقابلة خمسة بخمسة قول النميرى الغرناطى

هن البدور وتغيرت لما رأت * شعرات رأسى آذنت بتغير

راحت تحب دجى شباب مظلم * وغدت تعاف ضحى مشيب نير

(وأبودلامة) اسمه زند بن الجون وأكثر الناس يصحف اسمه ويقول زيد بالياء التحتية وهو خطأ وانما هو بالنون وهو كوفى أسود مولى لبنى أسد وكان أبوه دلامة عبدا لرجل منهم يقال له قضافض فأعتقه وأدرك آخر أيام بنى أمية ولم يكن له فيها نباهة ونبغ فى أيام بنى العباس فانقطع الى السفاح والمنصور والمهدى وكانوا يقدمونه ويفضلونه ويستطيبون مجالسته ونوادره ولم يصل لاحد من الشعراء ما وصل لابى دلامة من المنصور خاصة وكان أبودلامة فاسد الدين ردىء المذهب مرتكبا للمحارم مجاهرا بذلك وكان يعلم هذا منه ويعرف به فيتجافى عنه للطف محله وكان أول ما حفظ من شعره وأسنيت له الجائزة به قصيدة مدح بها أباجعفر المنصور وذكر قتله أبامسلم وفيها يقول

أبامسلم خوفتنى القتل فانتحى * عليك بما خوفتنى الاسد الورد

أبامسلم ما غير الله نعمة * على عبده حتى يغيرها العبد

وأنشدها المنصور فى محفل من الناس فقال له احتكم فقال له عشرة آلاف درهم فأمر له بها فلما خلا به قال له أما والله لو تعديتها لقتلتك وكان المنصور قد أمر أصحابه بلبس السواد وقلانس طوال تدعم بعيدان من داخلها وان يعلقوا السيوف فى المناطق ويكتبوا على ظهورهم فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم فدخل عليه أبودلامة فى هذا الزى فقال له أبوجعفر ما حالك قال شر حال وجهى فى وسطى وسيفى فى استى وقد صبغت بالسواد ثيابى ونبذت كتاب الله وراء ظهرى فضحك منه وأعفاه وحذره من ذلك وقال له اياك أن يسمع منك هذا أحد وفى ذلك يقول أبودلامة

وكنا نرجى منحة من امامنا * فجاءت بطول زاده فى القلانس

تراها على هام الرجال كأنها * دنان يهود جللت بالبرانس

(وحدث) الجاحظ قال كان أبودلامة واقفا بين يدى المنصور أو السفاح فقال له سلنى حاجتك قال أبودلامة كلب صيد قال أعطوه اياه قال ودابة أتصيد عليها قال أعطوه قال وغلام يقود الكلب قال أعطوه غلاما قال وجارية تصلح لنا الصيد وتطعمنا منه قال أعطوه جارية قال هؤلاء يا أمير المؤمنين عيال فلا بد من دار يسكنونها قال أعطوه دارا تجمعهم قال وان لم يكن لهم ضيعة فمن أين يعيشون قال قد أقطعتك مائة جريب عامرة ومائة جريب غامرة قال وما الغامرة قال ما لا نبات فيه من الارض قال قد أقطعتك يا أمير المؤمنين خمسمائة ألف جريب غامرة من فيافى بنى أسد فضحك وقال اجعلوا المائتين كلها عامرة قال فأذن لى أن أقبل يدك قال أما هذه فدعها فانى لا أفعل قال والله ما منعت عيالى شيأ أقل ضررا عليهم منها قال الجاحظ فانظر الى حذقه بالمسألة ولطفه فيها حيث ابتدأ بكلب فسهل القضية وجعل يأتى بما يليه على ترتيب فكاهة حتى نال ما لو سأله بديهة لما وصل اليه (وحدث) الهيثم بن عدى قال دخل أبودلامة على المنصور فأنشده قصيدته التى أولها

بان الخليط أجد البين فانتجعوا * وزودوك خيالا بئس ما صنعوا

الى أن قال فيها يعوز وجته

لاوالدى يا أمير المؤمنين قضى * لك الخلافة فى أسبابها الرفع

ما زلت أخلصها كسبى فتأكله * دونى ودون عيالى ثم تضطجع

شوهاء

ثم ذكر باقى الحكاية بنحو ما فى الاولى (وحدث) زريق العروضى قال أصبحت مخمورا فتفكرت فيمن آنس به فذكرت عنان فاستأذنت عليها فاذا عندها أعرابى فقالت يا عم قد أتانى الله بك على فاقة ان هذا الاعرابى قصدنى فقال قد بلغنى أنك شاعرة فقولى حتى أجيز وقد أرتج على فقلت لقد قل العزاء وعيل صبرى عشية عيسهم للبين زمت فقال الاعرابى نظرت الى أواثلهن صبحا وقد رفعت لها حدج فخفت فقالت عنان كتمت هواهم فى الصدر منى ولكن الدموع على نمت فقال الاعرابى أنت أنت أشعرنا ولولا أنك حرمة لقبلتك (قال) وروى محمد ابن عيسى بن عبد الرحمن قال خرج ابراهيم بن العباس الصولى ودعبل الخزاعى وأخوه رزين فى نظراء من أهل الادب رجالة الى بعض البساتين فى خلافة المأمون وذلك فى زمن خمول ابراهيم فلقوا جماعة من أهل السواد من جمال الشوك فأعطوهم شيأ وركبوا حميرهم فأنشأ ابراهيم يقول

أعيضت من حمول الشو * ك أجمالا من الحرف

نشاوى لا من الصهبا * ء بل من شدة الضعف

شوهاء مشنية فى بطنها بجل * وفى المفاصل من أوصالها فدع
ذكرتم بكتاب الله حرمتنا * ولم تكن بكتاب الله ترتدع
فاخرنطمت ثم قالت وهى مغضبة * أأنت تتلو كتاب الله يالكع
اخرج لتبغ لنا مالا ومزرعة * كما لجيراننا مال ومزدرع
واخدع خليفتنا عنا بمسألة * ان الخليفة للسؤال ينخدع

فضحك المنصور وقال أرضوها عنه واكتبوا لها بستمائة جريب عامرة وغامرة فقال أنا أقطعك يا أمير المؤمنين أربعة آلاف جريب غامرة فيما بين الحيرة والنجف وان شئت زدتك فضحك وقال اجعلوها كلها عامرة وشهد أبو دلامة لجارة له عند ابن أبى ليلى القاضى على أتان نازعها فيه رجل فلما فرغ من الشهادة قال لابن أبى ليلى اسمع ما قلت قبل أن آتيك ثم اقض بما شئت قال هات فأنشده

ان الناس غطونى تغطيت عنهم * وان بحثوا عنى ففيهم مباحث
وان حفروا بئرى حفرت بئارهم * ليعلم يوما كيف تلك النبائث

فأقبل القاضى على المرأة وقال أتبيعينى الأتان قالت نعم قال بكم قالت بمائة درهم قال ادفعوها اليها ففعلوا وأقبل على الرجل فقال قد وهبتها لك وقال لأبى دلامة قد أمضيت شهادتك ولم أبحث عنك وابتعت ممن شهدت له ووهبت ما لى لمن رأيت أرضيت قال نعم وانصرف ودخل أبو عطاء السندى يوما الى أبى دلامة فاحتبسه ودعا بطعام وشراب فأكلا وشربا وخرجت الى أبى دلامة صبية له فحملها على كتفه فبالت عليه فنبذها عن كتفه ثم قال

بالت على ثوبى لا حييت * فبال عليك شيطان رجيم
فما ولدتك مريم أم عيسى * ولا رباك لقمان الحكيم

ثم التفت الى أبى عطاء فقال له أجز يا أبا عطاء فقال

صدقت أبا دلامة لم تلدها * مطهرة ولا فحل كريم
ولكن قد حوتها أم سوء * الى لباتها وأب لئيم

فقال له أبو دلامة عليك لعنة الله ما حملك على ان بلغت بى هذا كله والله لا أنازعك بيت شعر أبدا فقال له أبو عطاء يكون الذى من جهتك أحب الى ثم غدا أبو دلامة الى المنصور فأخبره بقصة ابنته وأنشده الابيات ثم اندفع فأنشده بعدها

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم * قوم لقيل اقعدوا يا آل عباس
ثم ارتقوا فى شعاع الشمس كلكم * الى السماء فأنتم أكرم الناس
وقدموا القائم المنصور رأسكم * فالعين والأنف والاذنان فى الراس

فاستحسنها وقال بأى شئ تحب أن أعينك على قبح ابنتك هذه فأخرج خريطة قد خاطها من الليل وقال تملأ لى هذه دراهم فوسعت أربعة آلاف درهم ولما توفى أبو العباس السفاح دخل أبو دلامة على المنصور والناس يعزونه فأنشأ أبو دلامة يقول

أمسيت بالأنبار يا ابن محمد * لم تستطع عن غيرها تحويلا
ويلى عليك وويل أهلى كلهم * ويلا وعولا فى الحياة طويلا
فلتبكين لك السماء بعبرة * ولتبكين لك الرجال عويلا
مات الندى اذ مت يا ابن محمد * فجعلته لك فى التراب عديلا
انى سألت الناس بعدك كلهم * فوجدت أسمح من سألت بخيلا
ألشقوتى أخرت بعدك للتى * تدع العزيز من الرجال ذليلا
فلأحلفن يمين حق برة * بالله ما أعطيت بعدك سولا

فأبكى الناس قوله وغضب المنصور غضبا شديدا وقال لئن سمعتك تنشد هذه القصيدة لاقطعن لسانك فقال

فقال رزين
فلو كنتم على ذاك
تميلون الى قصف
تساوت حالكم فيه
ولم تبقوا على خسف
فقال دعبل
واذ فات الذى فات
فكونوا من أولى الظرف
ومروا نقصف اليوم
فانى بائع خفى
ثم باعه وأنفق ثمنه عليهم
(وذكر يزيد بن أبى اليسر الرياضى) فى كتابه الامثال الذى جمعه للمعز بن تميم صاحب القاهرة قال أخبرنى سيبويه قال اجتمع محمد بن مقبل ومحمد بن مجمع وأبو نصر الاشعثى فى بستان لابن مقبل وفى البستان نرجس
تميس به الريح فقال ابن مقبل
شموس وأقمار من الزهر طلع
لذى اللهو فى أكنافها متمتع
فقال محمد بن مجمع
تجاذب أعلاها الرياح فتنثنى
فيلثم بعض بعضها ثم يرجع
فقال الاشعثى
كأن عليها من مجاجة طلها
لآلئ الا أنها هى ألمع
ويحدرها عنها الصبا فكأنها
دموع براها البين والبين يفجع
(وذكر) عبيد الله بن أحمد بن أبى طاهر فى تاريخ بغداد قال اجتمع عند أبى الحسن على بن يحيى بن المنجم أحمد ابن أبى طاهر وأبو هفان

أبو دلامة يا أمير المؤمنين ان أبا العباس كان لى مكرما وهو الذى جاءبى من البدو كما جاء الله عز وجل باخوة يوسف عليه السلام اليه فقل أنت كما قال يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين فسرّى عن المنصور وقال قد أقلناك يا أبا دلامة فسل حاجتك فقال يا أمير المؤمنين قد كان أبو العباس أمر لى بعشرة آلاف درهم وخمسين ثوبا وهو مريض ولم أقبضها فقال المنصور ومن يعلم ذلك قال هؤلاء وأشار الى جماعة ممن حضر فوثب سليمان بن مجالد وأبو الجهم فقالا صدق يا أمير المؤمنين فنحن نعلم ذلك فقال المنصور لأبى أيوب الخازن وهو مغيظ ادفع اليه وسيره الى هذه الطاغية يعنى عبد الله بن على وكان قد خرج بناحية الشام وأظهر الخلاف فوثب أبو دلامة فقال يا أمير المؤمنين أعيذك بالله أن أخرج معهم فانى والله لمشؤم فقال له المنصور امض فان يمنى يغلب شؤمك فاخرج فقال والله يا أمير المؤمنين ما أحب لك أن تجرب ذلك منى على مثل هذا العسكر فانى لا أدرى أيهما يغلب يمنك أو شؤمى الا أنى بنفسى أدرى وأوثق وأعرف وأطول تجربة فقال دعنى من هذا فمالك من الخروج بدّ قال فانى أصدقك الآن شهدت والله تسعة عشر عسكرا كلها هزمت وكنت سببها فان شئت الآن على بصيرة أن يكون عسكرك العشرين فافعل فاستفرغ المنصور ضحكا وأمره أن يتخلف مع عيسى بن موسى بالكوفة (وحدّث) أبو دلامة قال أتى بى الى المنصور أو الى المهدى وأنا سكران فحلف ليخرجنى فى بعث حرب فاخرجنى مع روح بن حاتم المهلبى لقتال الشراة فلما التقى الجمعان قلت لروح أما والله لو أن تحتى فرسك ومعى سلاحك لأثرت فى عدوّك اليوم أثرا ترتضيه منى فضحك وقال والله العظيم لأدفعنّ ذلك اليك ولآخذنك بالوفاء بشرطك ونزل عن فرسه ونزع سلاحه ودفعهما الىّ ودعا له بغيرهما فاستبدل به فلما حصل ذلك فى يدى وزالت عنه حلاوة الطمع قلت له أيها الامير هذا مقام العائذ بك وقد قلت بيتين فاسمعهما فقال هات فأنشدته

اني استجرتك أن أقدّم في الوغى * لتطاعن وتنازل وضراب
فهب السيوف رأيتها مشهورة * فتركتها ومضيت في الهراب
ماذا تقول لمن يجيء ولا يرى * لما درأت الموت في النشاب

فقال دع عنك هذا وستعلم فبرز رجل من الخوارج يطلب المبارزة فقال أخرج اليه يا أبا دلامة فقلت أنشدك الله أيها الامير فى دمى فقال والله لتخرجنّ قلت أيها الامير انه أول يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا وأنا والله جائع ما تنبعث منى جارحة من الجوع فمر لى بشىء آكله ثم أخرج فأمر لى برغيفين ودجاجة فأخذت ذلك وبرزت من الصف فلما رآنى الشارى أقبل نحوى وعليه فرو قد أصابه المطر فابتل وأصابته الشمس فاقفعلّ وعيناه تقدان فأسرع الىّ فقلت على رسلك يا هذا كما أنت فوقف فقلت أتقتل من لا يقاتلك قال لا قلت أفتستحلّ أن تقتل رجلا على دينك قال لا قلت أفتستحل ذلك قبل أن تدعو من يقاتلك الى دينك قال لا فاذهب عنى الى لعنة الله فقلت لا أفعل أو تسمع منى قال قل قلت هل كان بيننا عداوة قط أو ترة أو تعلم بين أهلى وأهلك وترا قال لا والله قلت ولا أنا والله لك الا على جميل وانى لأهواك وأنتحل مذهبك وأدين بدينك وأريد الشرّ لمن أراده لك قال يا هذا جزاك الله خيرا فانصرف قلت ان معى زادا وأريد أن آكله وأريد مواكلتك لتتأكد المودّة بيننا ويرى أهل العسكرين هوانهم علينا قال فافعل فتقدمت اليه حتى اختلفت أعناق دوابنا وجمعنا أرجلنا على معارفها وجعلنا نأكل والناس قد غلبوا ضحكا فلما استوفينا ودّعنى ثم قلت له ان هذا الجاهل ان أقمت على طلب المبارزة ندبنى لك فتتعب وتتعبنى فان رأيت أن لا تبرز اليوم فافعل قال قد فعلت ثم انصرف وانصرفت فقلت لروح أما أنا فقد كفيتك قرنى فقل لغيرى يكفيك قرنه قال ثم خرج آخر يريد البراز فقال أخرج اليه فقلت

اني أعوذ بروح أن يقدّمني * الى القتال فتخزى بي بنو أسد
ان البراز الى الاقران أعلمه * مما يفرق بين الروح والجسد
قد حالفتك المنايا اذ صمدت لها * وأصبحت لجميع الخلق بالرصد

أن

عبد الله بن أحمد العبدى وأبو يوسف يعقوب بن يزيد التمار على نبيذ فقال أبو هفان

بديها أيمدح عليا * وقائل اذ رأى عزمى على الطلب
أتهت أم نلت ما ترجو من الادب * ان ابن يحيى عليا قد تكفل بى
وصان عرضى كصون الدين والحسب

فابتدر التمار فقال

تذكى لزوّاره نار منوّرة * على يفاع ولا تذكى على صبب
من فارس الخيل فى ابيات مملكة * وفى الاكارم من جرثومة النسب

فقال أحمد بن أبى طاهر

له خلائق لم تطبع على طبع * ونائل وصلت أسبابه سببى
كالغيث يعطيك بعد الرىّ نائله * وليس يعطيك ما يعطيك عن طلب

(ومنه) قال اجتمع عند أحمد ابن أبى طاهر أبو الضياء القينى وأبو سليمان النابلسى الضرير فى أيام أبى الصقر على نبيذ فقال أحمد بن أبى طاهر

كأنما التف بريحانه * ثوب من النرجس مشقوق

فقال القينى

أو روضة خضراء نوّارها * بالمزن مصبوح ومغبوق

فقال النابلسى

له نسيم بيننا ساطع

ان المهلب حب الموت أورثكم * وما ورثت اختيار الموت عن أحد
لو أن لى مهجة أخرى لجدت بها * لكنها خلقت فردا فلم أجد

فضحك وأعفانى (وعزم) موسى بن داود على الحج فقال لابى دلامة احجج معى ولك عشرة آلاف درهم فقال هاتها فدفعت اليه فأخذها وهرب الى السواد فجعل ينفقها هناك ويشرب الخمر وطلبه موسى فلم يقدر عليه وخشى فوات الحج فخرج فلما اشارف القادسية فاذا هو بأبى دلامة خارجا من قرية الى قرية أخرى وهو سكران فأمر بأخذه وتقييده وطرحه فى المحمل بين يديه ففعل به ذلك فلما سار غير بعيد أقبل أبو دلامة على موسى وناداه بقوله

يا أيها الناس قولوا أجمعين معا * صلى الاله على موسى بن داود
كأن ديباجتى خديه من ذهب * اذا بدا لك فى أثوابه السود
انى أعوذ بداود وأعظمه * من أن أكلف حجا يا ابن داود
أنبئت أن طريق الحج معطشة * من الشراب وما شربى بتصريد
والله مافى من أجر فتطلبه * ولا الثناء على دينى بمحمود

فقال موسى ألقوه لعنه الله عن المحمل ودعوه فينصرف فألقى وعاد الى قصفه بالسواد حتى نفدت العشرة آلاف (ودخل) أبو دلامة يوما على المنصور فأنشده

رأيتك فى المنام كسوت جلدى * ثيابا جمة وقضيت دينى
وكان بنفسجى الخز فيها * وساج ناعم فأتم زينى
فصدق يا فدتك النفس رؤيا * رأتها فى المنام كذاك عينى

فأمر له بذلك وقال لا تعدن تتحلم على ثانية فاجعل حلمك أضغاثا ولا أحققه ثم خرج من عنده ومضى فشرب فى بعض الحانات فسكر وانصرف وهو يميل فلقيه العسس فأخذ فقيل له من أنت وما دينك فقال

دينى على دين بنى العباس * فأختم الطين على القرطاس
اذا اصطبحت أربعا بالكاس * فقد أدار شربها براسى
فهل بما قلت لكم من باس

فأخذوه ومضوا به فخرقوا أثوابه وساجه وأتوا به الى المنصور وكان يؤتى بكل من أخذه العسس فحبسه مع الدجاج فى بيت فلما أفاق جعل ينادى غلامه مرة وجاريته مرة فلا يجيبه أحد وهو مع ذلك يسمع صوت الدجاج وزقاء الديكة فلما أكثر قال له السجان ما شأنك قال ويلك من أنت وأين أنا قال فى الحبس وأنا فلان السجان قال ومن حبسنى قال أمير المؤمنين قال ومن خرق طيلسانى قال الحرس فطلب منه أن يأتيه بدواة وقرطاس ففعل فكتب الى المنصور

أمير المؤمنين فدتك نفسى * علام حبستنى وخرقت ساجى
أمن صهباء صافية المزاج * كأن شعاعها لهب السراج
وقد طبخت بنار الله حتى * لقد صارت من النطف النضاج
تهش لها القلوب وتشتهيها * اذا برزت ترقرق فى الزجاج
أقاد الى السجون بغير جرم * كأنى بعض عمال الخراج
ولو معهم حبست لكان سهلا * ولكنى حبست مع الدجاج
وقد كانت تخبرنى ذنوبى * بأنى من عقابك غير ناجى
على أنى وان لاقيت شرا * لخيرك بعد ذاك الشر راجى

فدعا به وقال له أين حبست يا أبا دلامة فقال مع الدجاج قال فما كنت تصنع قال أقوقى معهم حتى أصبحت فضحك وخلى سبيله وأمر له بجائزة فلما خرج قال له الربيع انه شرب الخمر يا أمير المؤمنين أما سمعت قوله وقد طبخت بنار الله يعنى الشمس فأمر برده ثم قال له يا خبيث شربت الخمر قال لا قال أفلم تقل طبخت بنار الله

كأنه بالمسك مفتوق
كأنه يا ابن أبى طاهر
من طيب أخلاقك مخلوق

(وذكر أبو حفص عمر بن محمد بن على المطوعى) فى كتاب درك الغرر ودرج الدرر فى محاسن نظم الامير أبى الفضل الميكالى قال سمعت الامير أبا الفضل يقول سمعت أبا القاسم الكرخى يقول كنت ليلة عند الصاحب بن عباد ومعنا أبو العباس الضبى وقد وقف على رؤسنا غلام كأنه فلقة قمر فغاب فقال الصاحب مرتجلا

أين ذاك الظبى أينه

فقال أبو العباس الضبى

شادن فى زى قينه

فقال الصاحب

بلسان الدمع تشكو
أبدا عيناى عينه

فقال أبو القاسم

لى دين فى هواه
ليته أنجز دينه

فزاد الامير أبو الفضل عند انشاد أبى القاسم فقال

لا قضى الله بين
أبدا بينى وبينه

(وأخبرت) أن الامير أبا الفتح ابن أبى حصينة السلمى وأبا محمد عبد الله بن محمد بن سعد الخفاجى الحلبى اجتمعا عند الامير سديد الملك أبى الحسن على بن المقلد بن نصر بن منقذ الكنانى فتماوضوا فى فنون الادب فقال ابن أبى

تعني الشمس قال لا والله ماعنيت الانار الله الموصدة التي تطلع على فؤاد الربيع فضحك وقال خذها يا ربيع ولا تعاود التعرض له (ولما) قدم المهدي من الري دخل عليه أبو دلامة فأنشأ يقول

انى نذرت لئن لقيتك سالما * بقرى العراق وأنت ذو وفر
لتصلين على النبي محمد * ولتملأن دراهما حجري

فقال صلى الله على النبي محمد وسلم وأما الدراهم فلا فقال له أنت أكرم من أن تفرق بينهما ثم تختار أسهلهما فضحك وأمر بأن يملأ حجره دراهم (ودخل) أبو دلامة على أم سلمة زوج السفاح بعد موته فعزاها به وبكى فبكت معه فقالت أم سلمة لم أجد أحدا أصيب به غيري وغيرك يا أبا دلامة قال ولا سواء يرحمك الله لك منه ولد وما ولدت أنا منه قط فضحكت ولم تكن ضحكت منذ مات السفاح الاذلك الوقت وقالت له لو حدثت الشيطان لأضحكته (ودخل) يوما على المهدي وهو يبكي فقال له مالك قال ماتت أم دلامة وأنشد لنفسه فيها

وكنا كزوج من قطا في مفازة * لدى خفض عيش مونق ناضر رغد
فأفردني ريب الزمان بصرفه * ولم أر شيأ قط أوحش من فرد

فأمر له بطيب وثياب ودنانير وخرج فدخلت أم دلامة على الخيزران وأعلمتها أن أبا دلامة قد مات فأعطتها مثل ذلك وخرجت فلما التقى المهدي والخيزران عرفا حيلتهما فجعلا يضحكان لذلك ويعجبان منه (وحدث) المديني قال دخل أبو دلامة على المهدي وعنده جماعة من بني هاشم فقال المهدي له أنا أعطى الله تعالى عهدا لئن لم تهج واحدا ممن في البيت لأضربن عنقك فنظر اليه القوم وغمزوه بأن عليهم رضاه قال أبو دلامة انى وقعت وانها عزمة من عزماته ولا بد منها فلم أر أحدا أحق بالهجاء مني ولا أدعى الى السلامة من هجائي نفسي فقلت

ألا أبلغ لديك أبا دلامه * فليس من الكرام ولا كرامه
اذا لبس العمامة قلت قرد * وخنزيرا اذا وضع العمامه
جمعت دمامة وجمعت لؤما * كذاك اللؤم تتبعه الدمامه
فان تك قد أصبت نعيم دنيا * فلا تفرح فقد دنت القيامه

فضحك القوم ولم يبق منهم أحد الا أجازه (وخرج) المهدي وعلي بن سليمان الى الصيد فسنح لهما قطيع من ظباء فأرسلت الكلاب وأجريت الخيل فرمى المهدي سهما فصرع ظبيا ورمى علي بن سليمان فأصاب كلبا فقتله فقال في ذلك أبو دلامة

قد رمى المهدي ظبيا * شك بالسهم فؤاده
وعلي بن سليما * ن رمى كلبا فصاده
فهنيئا لهما كل * امرئ يأكل زاده

فضحك المهدي حتى كاد يسقط عن سرجه وقال صدق والله أبو دلامة وأمر له بجائزة ولقب علي بن سليمان بصائد الكلب فلزق به (وتوفيت) حمادة بنت عيسى وحضر المنصور جنازتها فلما وقف على حفرتها قال لأبي دلامة ما أعددت لهذه الحفرة قال بنت عمك يا أمير المؤمنين حمادة بنت عيسى يجاء بها الساعة فتدفن فيها فضحك المنصور حتى غلب وستر وجهه (وحدث) الهيثم بن عدي قال حجت الخيزران فلما خرجت صاح أبو دلامة جعلني الله فداك الله الله في أمري فقالت من هذا قالوا أبو دلامة قالت اسألوه ما أمره قال أدنوني من محملها فأدني فقال أيها السيدة اني شيخ كبير وأجرك في عظيم قالت فه قال تهبين لي جارية من جواريك تؤنسني وترفق بي وتريحني من عجوز عندي قد أكلت رفدي وأطالت كدي فقد عاف جلدي جلدها وتمنيت بعدها وتشوقت فقدها فضحكت وقالت سوف آمر لك بما سألت فلما رجعت تلقاها وأذكرها وخرج معها الى بغداد وأقام حتى سئم ثم دخل على عبيدة حاضنة موسى وهرون فدفع اليها رقعة قد كتبها الى الخيزران فيها

أبلغي سيدتي بالله يا أم عبيده * أنها أرشدها الله وان كانت رشيده
وعدتني قبل أن تخرج للحج وليده * فتأنيت وأرسلت بعشرين قصيده

حصينة
قمران غاب عن بصري
فقال الخفاجي
ففؤادي حد مطلعه
فقال ابن أبي حصينة
لست أنسى أدمعي ولها
فقال الخفاجي
خلطت في فيض أدمعه
فقال سديد الملك
قلت زرني قال مبتسما
طمع في غير موضع
(قال علي بن ظافر) أخبرني من أثق به عما معناه قال خرج الوزير أبو بكر بن عمار والوزير أبو الوليد بن زيدون ومعهما الوزير ابن خلدون من اشبيلية الى منظرة لبني عباد بموضع يقال له الغيث تحف به مروج مشرقة الانوار متنسمة النجود والاغوار مبتسمة عن ثغور النوار في زمن ربيع سقت السحب الارض فيه بوسميها ووليها وجلتها في زاهر ملابسها وباهر حليها وأرداف الربا قد تأزرت بالازر الخضر من نباتها وأجياد الجداول قد نظم النور قلائده حول لباتها ومجامر الزهر تعطر أردية النسيم عند هباتها وهناك من البهار ما يزري بمداهن النضار ومن النرجس الريان ما يزري بنواعس الاجفان وقد نووا انفرادهم باللهو والطرب والتنزه في روضتي النبات والادب وبعثوا

كلما اخلقن اخلفت لها أخرى جديده ليس فى بيتى لتمهيد فراشى من قعيده

غير عجفاء عجوز * ساقها مثل القديده وجهها أقبح من حوت طرى فى عصيده

ماحياتى مع أنثى * مثل عرسى بسعيده

فلما قرئت عليها الابيات ضحكت واستعادت قوله وجهها أقبح من حوت الى آخره وجعلت تضحك ودعت بجارية من جواريها فائقة فقالت لها خذى كل مالك فى قصرى ففعلت ثم دعت بخادم وقالت له سلمها الى أبى دلامة فانطلق الخادم بها فلم يصبه فى منزله فقال لامرأته اذا رجع فادفعها اليه وقولى له تقول لك السيدة أحسن صحبة هذه الجارية فقد آثرتك بها فقالت له نعم فلما خرج دخل اليها ابنها دلامة فوجد أمه تبكى فسألها عن خبرها فأخبرته وقالت ان أردت أن تبرّنى يوما من الدهر فاليوم قال قولى ماشئت فانى أفعله قالت تدخل عليها فتعلمها أنك مالكها فتطؤها وتحرمها عليه والاذهبت بعقله وجفانى وجفاك ففعل ودخل على الجارية فوطئها ووافقها ذلك منه وخرج ثم دخل أبو دلامة فقال لامرأته أين الجارية فقالت فى ذلك البيت فدخل اليها شيخ محطم ذاهب فمدّ يده اليها وذهب ليقبلها فقالت له مالك ويلك تنح عنى والا لطمتك لطمة دققت بها أنفك فقال أبهذا أوصتك السيدة فقالت انها بعثت بى الى فتى من حاله وهيئته كيت وكيت وقد كان عندى آنفا ونال منى حاجته فعلم أنه قد دهى من أمّ دلامة وابنها فخرج الى دلامة فلطمه وتلبب به وحلف أنه لا يفارقه الى المهدى فمضى به متلببا حتى وقف على باب المهدى فعرف خبره وأنه قد جاء بابنه على تلك الحالة فأمر بادخاله فلما دخل قال له مالك ويلك قال عمل هذا الخبيث ابن الخبيثة مالم يعمله ولد بأبيه ولا يرضينى الا أن تقتله فقال ويلك فما فعل بك فأخبره الخبر فضحك حتى استلقى على قفاه ثم جلس فقال له أبو دلامة أعجبك فعله فتضحك منه فقال على بالسيف والنطع فقال له دلامة قد سمعت قوله يا أمير المؤمنين فاسمع حجتى قال هات قال هذا الشيخ أصفق الناس وجها وهو ينيك أمى منذ أربعين سنة ماغضبت نكت أنا جاريته مرة واحدة فغضب وصنع بى ماترى فضحك المهدى أشد من ضحكه الاوّل ثم قال دعها له وأنا أعطيك خيرا منها قال على أن تخبأها لى بين السماء والارض والا ناكها والله كما ناك هذه فتعهد المهدى الى أبى دلامة أن لا يعاود دلامة مثل فعله وحلف أنه ان عاود قتله وأمر له بجارية أخرى كما وعده (ودخل) أبو دلامة على المهدى وسلمة الوصيف واقف فقال انى قد أهديت لك يا أمير المؤمنين مهرا ليس لاحد مثله فان رأيت أن تشرّفنى بقبوله فأمر بادخاله اليه فخرج أبو دلامة وأدخل فرسه الذى كان تحته فاذا هو برذون محطم أعجف هرم فقال له المهدى أى شئ ويلك هذا ألم تزعم أنه مهر فقال له أوليس هذا سلمة الوصيف بين يديك قائما تسميه الوصيف وله ثمانون سنة وهو يعد عندك وصيفا فان كان سلمة وصيفا فهذا مهر فجعل سلمة يشتمه والمهدى يضحك ثم قال لسلمة ويحك ان لهذه منه أخوات وان أتى بمثلها فى محفل يفضحك فقال أبو دلامة اى والله يا أمير المؤمنين لأفضحنه فليس فى مواليك أحد الا وقد وصلنى غيره فانى ما شربت له الماء قط قال فقد حكمت عليه أن يشترى نفسه منك بألف درهم حتى يتخلص من يدك قال قد فعلت على أن لا يعاود قال أفعل ولولا أنى ما أخذت منه شيأ قط ما استعملت معه مثل هذا فمضى سلمة فحملها اليه وسلمه اياها (وجاء) دلامة يوما الى أبيه وهو فى محفل من جيرانه وعشيرته جالسا فجلس بين يديه ثم أقبل على الجماعة فقال لهم ان شيخى كما ترون قد كبر سنه ودق عظمه وبنا الى حياته حاجة شديدة ولا أزال أشير عليه بالشئ يمسك رمقه ويبقى قوّته فيخالفنى وانى أسألكم أن تسألوه قضاء حاجة لى أذكرها بحضرتكم فيها صلاح جسمه وبقاء حياته فاسعفونى بمسألته معى فقالوا نفعل وحبا وكرامة ثم أقبلوا على أبى دلامة بألسنتهم فتناولوه بالعتاب حتى رضى ابنه وهو ساكت فقال قولوا لهذا الخبيث فليقل ما يريد فستعلمون أنه لم يأت الا ببلية فقالوا قل فقال ان أبى مايقتله الا كثرة الجماع فتعاونونى عليه حتى أخصيه فلن يقطعه عن ذلك غير الخصاء فيكون أصح لجسمه وأطول لعمره فعجبوا مما أتى به وعلموا أنه أراد أن يعبث بأبيه ويخجله حتى يشيع ذلك عنه ويرتفع له به ذكر فضحكوا منه

صاحبهم خليفة قوم الذمهم وتظام مسرّتهم ليأتيهم بنبيذ يذهبون الهمّ بذهبه فى لجين زجاجه ويرمونه منه بما يقضى بتحريكه للهرب عن القلوب وازعاجه وجلسوا الانتظاره وترقب عوده على آثاره فلما بصروا به مقبلا من الفج بادروا الى لقائه وسارعوا الى نحوه وتلقائه واتفق أن فارسا من الجند ركض فرسه فصدمه ووطئ عليه فهشم أعظمه وأجرى دمه وكسر قمعل النبيذ الذى كان معه وفرّق من شملهم ما كان الدهر قد جمعه ومضى على غلوائه راكضا حتى خفى عن العين خائفا من متعلق به يحين بتعلقه الحين وحين وصل الوزراء اليه تأسفوا عليه وأفاضوا فى ذكر الزمن وعدوانه والخطب وألوانه ودخوله بطوامّ المضرّات على توامّ المسرّات وتكديره الاوقات المنعمات بالآفات المؤلمات فقال ابن زيدون

أنلهو والحتوف بنا مطيفه ونأمن والمنون لنا مخيفه

وقال ابن خلدون

وفى يوم وما أدراك يوم مضى قمعالنا ومضى خليفه

وقال ابن عمار

هما انخار تاراح وروح تكسر نا فشققات وجيفه

(وأخبرنى) الشريف نظر

ثم قالوا لابي دلامة قد سمعت فأجب قال قد سمعتم أنتم وعرفتم أنه لم يأت بخبر قالوا فما عندك في هذا قال قد جعلت أمه حكما بيني وبينه فقوموا بنا اليها فقاموا بأجمعهم ودخلوا اليها وقص أبو دلامة القصة عليها وقال قد حكمتك فأقبلت على الجماعة فقالت ان ابني هذا أبقاه الله قد نصح أباه وبره ولم يأل جهدا وما أنا الى بقاء أبيه بأحوج مني الى بقائه وهذا أمر لم تقع به تجربة ولا جرت بمثله عادة ولا أشك في معرفته بذلك فليبدأ بنفسه أولا فليخص بها فاذا عوفي ورأينا ذلك قد أثر عليه أثرا محمودا استعمله أيضا أبوه فخجل أبوه يضحك منه وخجل ابنه دلامة وانصرف القوم يضحكون ويعجبون من خبثهم جميعا واتفاقهم في ذلك المذهب (وكان) عند المهدي رجل من بني مروان قد جاءه مسلما فأتى المهدي بعلج فأمر المرواني أن يضرب عنقه فأخذ السيف وقام فضربه فنبا عنه فرمى به المرواني وقال لو كان من سيوفنا ما نبا فسمعها المهدي فغاظه حتى تغير وجهه وبان فيه فقام يقطين فأخذ السيف وحسر عن ذراعيه ثم ضرب العلج فرمى برأسه ثم قال يا أمير المؤمنين ان هذه السيوف سيوف الطاعة ولا تعمل الا في أيدي الاولياء ولا تعمل في أيدي أهل المعصية ثم قام أبو دلامة فقال يا أمير المؤمنين قد حضرني بيتان أفأقول قال قل فأنشده

أيهذا الامام سيفك ماض * وبكف الولي غير كهام
فاذا ما نبا بكف علمنا * أنه كف مبغض للامام

فقام المهدي من مجلسه وسري عنه وأمر حجابه بقتل المرواني فقتل (وقال ابن النطاح) دخل أبو دلامة على المهدي فأنشده قصيدته في بغلته المشهورة يهجوها ويذكر معايبها فلما أنشده قوله

أتاني خاطب يستام مني * عريقا في الخسارة والضلال
فقال تبيعها قلت ارتبطها * بحكمك ان بيعي غير غالي
فأقبل ضاحكا نحوي سرورا * وقال أراك سهلا ذا جمال
هلم الي يحاوبني خداعا * وما يدري الشقي لمن يخالي
فقلت بأربعين فقال أحسن * الي فان مثلك ذو سحال
فأترك خمسة منها لعلمي * بما فيه يصير من الخبال

فقال له المهدي لقد أفلت من بلاء عظيم فقال والله يا أمير المؤمنين لقد مكثت شهرا أتوقع صاحبها أن يردها علي قال ثم أنشده

فأبدلني بها يارب طرفا * يكون جمال مركبه جمالي

فقال المهدي لصاحب دوابه خيره بين مركبين من الاصطبل فقال يا أمير المؤمنين ان كان الاختيار الي وقعت في شر من البغلة ولكن مره أن يختار لي فقال اختره له وأخبار أبي دلامة كثيرة وقد أثبتنا منها طرفا صالحا وكانت وفاته سنة احدى وستين ومائة رحمه الله تعالى

﴿كالقسي المعطفات بل الاسـ * ـهم مبرية بل الاوتار﴾

البيت للبحتري من قصيدة من الخفيف يمدح بها أبا جعفر بن حميد ويستوهبه غلاما ومنها قوله

أبكاء في الدار بعد الدار * وسلوا بزينب عن نوار
لا هناك الشغل الجديد بحزوى * عن رسوم برامتين قفار
ما ظننت الاهواء قبلك تمحى * في صدور العشاق محو الديار

الى أن قال منها في وصف النوق

يترقرقن كالسراب وقد خضـ * ـن غمارا من السراب الجاري

وبعده البيت والقصيدة طويلة يقول منها في تشكيه من الغلام الاجير ويسأل ممدوحه في هبته غلاما ويصفه

قد مللتك يا غلام فغاد * بسلام أو رائح أو ساري
سر وأنأى عنى خصوصا فهلا * من عدو أو صاحب أو جار
أنا من ياسر وسعد وفتح * لست من عامر ولا عمار
لا أحب النظير يخرجه الشتم الى الاحتجاج والافتخار
فأدار عتبه بناحية السو * ط على الدبر اعنى بالفرار

الدين أبو البركات العباس بن عبد الله المقدم ذكره قال أخبرني الشيخ تاج الدين أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي قال أخبرني ابن الدهان القرطبي قال مضيت أنا وأبو الفضل البغدادي وابن صلاح الى دار أمين الدولة أبي الحسن هبة الله بن صاعد بن التلميذ فأساء لنا حاجبه قنبر وأفرط في منعنا من الدخول اليه فقال أبو الفضل *

قد بلينا في دار أسعد خلق بعد بر

فقلت

بقصير مطول
مستطيل مقصر

فقال ابن الصلاح

كم تقولون قنبر
قطعوا رأس قنبر

ثم أذن لنا فدخلنا فضحك فسألنا عن سبب ضحكنا فأخبرناه بالسبب فقال أنشدوني الابيات جملة أميز لكم قول كل واحد منكم فأنشدناه

مراعاة النظير

الاول فقال هذا لابي الفضل لانه شاعركم ثم أنشدناه الثاني فقال هذا لك لان فيه شيأ من ألفاظ المهندسين وأنت رجل مهندس ثم قال والثالث لابن الصلاح لانه مخضرم (قال علي بن ظافر) مضيت أنا وشهاب الدين المقدم ذكره والقاضي الاعز بن المؤيد رحمه الله في جماعة من

ما بأرض العـــراق يا قوم حرّ * يشـتريني من خـدمة الاحرار
هـل جواد بأبيض من بني الاصـفر محض الجـدود محض النجار
لم يرم قومـــه السرايا ولم يغـزهم غـــير جحفل جـــرّار
توّجته الرياح أغيـــد مجدو * لا قصـــير الزنار وافي الازار
فوق ضعف الصغار ان وكل الامـر اليـه ودون كبر الكبار
لك من ثغـره وخـــدّيه ما شئت من الاقحـــوان والجلنار
وكأن الدكاء بعث منه * في سواد الامور شـعلة نار
يا أبا جعـــفر وما أنت بالـد * عـو الا لكل أمر كبار
ولعـــمري للجود بالناس للنا * س سواه بالثوب والدينار
وقليـــل الا لديك سهـــذا الشـفع أخذ الغلمان بالاشـعار

ومعنى البيت أنه يصف ابلا أنحلها السرى بحيث صارت من الهزال كالقسيّ بل السهام بل الاوتار وقد تداول الشعراء هذا المعنى وتجاذبوا أطرافه فمن ذلك قول الشريف الموسوي

هنّ القسيّ من النحول فان سما * خطب فهنّ من النجاء الاسهم

وقد أخذه ابن قلاقس فقال أيضا

خوص كأمثال القسيّ نواحلا * واذا سما خطب فهنّ سهام

وقال أيضا

طرحنا الهزع عن أعجاز عيس * نوشحها على الحـزم الحزاما
وندفع بالسرى منها قسـيا * فتقذف بالنوى منها سهاما

وقال ابن خفاجة أيضا

وقد ما برت منها قسيا يد السرى * وفوّق منها فوقها المجد أسهما

وقال ابن النبيه

ان خوض الظلماء أطيب عندي * من مطايا أمست تشكي كلاله
فهي مثل القسيّ شكلا ولكن * هي في السبق أسهم لا محاله

(والشاهد في البيت) مراعاة النظير ويسمى التناسب والتوافق والائتلاف والمؤاخاة وهو جمع أمر وما يناسبه مع الغاء التضاد لتخرج المطابقة فهو هنا قصد المناسبة بالاسهم والاوتار لما تقدم من ذكر القسيّ وهذه المناسبة هنا معنوية لا لفظية كما في قول مهيار

ومدير سيان عيناه والابـريق فتكا ولحظه والمدام

والابريق هنا السيف سمي بذلك لبريقه وكان يصح أن يقال سيان عيناه والحسام أو المهندي فاختار الابريق لمناسبته لفظ المدام اذ الابريق يطلق على اناء الخمر وليس هذا من المعنى في شئ وانما هو مراعاة مجرّد اللفظ ومن أحسن ما ورد في مراعاة النظير قول ابن خفاجة يصف فرسا وهو

وأشقر تضرم منه الوغى * بشعلة من شعلة الباس * من جلنار ناضر خدّه
وأذنه من ورق الآس * تطلع الغرّة في وجهه * حبابة تضحك في الكاس

فالمناسبة هنا بين الجلنار والآس والنضارة وقول ابن الساعاتي من أبيات في وصف الثلج

السحب رايات ولمـع بروقها * بيض الظبى والارض طرف أشهب
والنـدف قسـطله وزهر شموعنا * صم القنا والفحم نبـل مذهب

وما أبدع قول بعضهم في آل النبي صلى الله عليه وسلم

أنتم شـوطـــه ون والضحى * وبنو تبارك والكتاب المحكم
وبنو الاباطح والمشاعر والصـفا * والركن والبيت العتيق وزمزم

فانه أحسن في المناسبة في البيت الاول بين أسماء السور وفي الثاني بين الجهات الحجازية وما أعجب قول

أصحابنا الى الدير المعروف بالقصير اينار النظر تلك الآثار فلما تنزهنا في حسن منظره وقضينا الوطر من نظره تعاطينا القول فيه جريا على عادة خلعاء البلغاء وظرفاء الادباء ومجان الشعراء الذين نبذوا الوقار بالعراء فقطعوا طريق الاعمار بطروق الاغمار وضيعوا العين والعقار في تحصيل العين والعقار فقال الشهاب

سقى الله وحيا دير القصير
قصير الغزالي طويل الذيول
محل اذا الاح لي لم أقف
بصحبي على حومل فالدخول

فقلت

فكم فيه من قمر في دجى
على غصن في كثيب مهيل
بلحظ صحيح وجفن سقيم
وروح خفيف وردف ثقيل

فقال الاعز

قطعت به العيش مع فتية
صباح الوجوه كرام الاصول
بكل كريم قصير المرا
حاز المعالي بباع طويل

وقال الشهاب

اذا قسه سل سيف المدام
فكم من سليب وكم من قتيل

فقال الاعز

وكم من خليع كريم الفعال
يجدد بالجود عهد البخيل

فقلت

يوافيه ذا ذهب جامد
ويفسه في ذائب للشمول
ثم صنع الشهاب فيه على غير

السلامي

أوماترى طرر البروق توسطت * أفقا كأن المزن فيه شنوف
واليوم من خجل الشقيق مضرج * خجل ومن مرض النسيم ضعيف
والارض طرس والرياض سطوره * والزهر شكل بينها وحروف

وقوله في وصف النارنج والسماريات في نهر طلعت عليه الشمس

تنشط للصبوح أباعلي * على حكم المنى ورضى الصديق * بنهر والرياح عليه درع
يذهب بالغروب وبالشروق * اذا اصفرت عليه الشمس صبت * على أمواجه ماء الخلوق
وقفت به فكم خد رقيق * يغازلني على قد رشيق * وجرشب في الاغصان حتى
أضاع الماء في وهج الحريق * فدهم الخيل في ميدان تبر * يصاغ لها كرات من عقيق

وقوله أيضا في وصف الحب

الحب كالدهر يعطينا ويرتجع * لا اليأس يصرفنا عنه ولا الطمع
صحبته والصبا نغري الصبابة بي * والوصل طفل غرير والهوى يمع
أيام لا النوم في أجفاننا خلس * ولا الزيارة من أحبابنا لمع
اذا الشبيبة سيفي والهوى فرسي * ورايتي اللهو واللذات لي شيع

وما أحسن قول السري الرفاء

وغيم مرهفات البرق فيه * عوار والرياض بها كواسي * وقد سلت جيوش القطر فيه
على شهر الصيام سيوف باس * ولاح لنا الهلال كشطر طوق * على لبات زرقاء اللباس

وبديع قول أبي طالب البغدادي النحوي من أبيات

ومهمه سرت فيه والبساط دم * والجو نقع وهامات الرجال ربا

وقول أبي حنيفة الاسترابادي غاية هنا وهو

هل عثرت أقلام خط العذار * في مشقها فالخال نضح العثار
أو استدار الخط لما غدت * نقطته مركز ذاك المدار
وريقه الخمر فهل ثغره * در حباب نظمته العقار

وقوله وهو بديع

أنا الرمي بسهم اللحظ اذ رشقا * فلم تدرع من أصداغه الحلقا

وقول أبي علي الحسن الباخرزي وهو صاحب دمية القصر

وذي زجل والى سهام رهامه * وولى فألقى قوسه في انهزامه
ألم تر خد الورد مدمى لوقعها * وانصالها محصوبة في كمامه

وما أحسن قول الحسين بن علي النميري من قصيدة

روض اذا جرت الرياح مريضة * في زهره استشفت به مرضاها
واذا تقابلت الندامى وسطه * سكر الصحاة كما صحا سكراها

وما أزهر قول بعضهم يرثي فقيها حنفيا

روضة العلم قطي بعد بشر * والسي من بنفسج جلبابا
وهي النائحات منثور دمع * فشقيق النعمان بان وغابا

ولابي العصب الملحي

ذرفت عين الغمام * فاستهلت بسجام
وبكى الابريق في الكا * س بدمع من مدام
فاسقني دمعا بدمع * من مدام وغمام
واعص من لاملتفيه * ليس ذاوقت الملام

ولابي العلاء المعري

دع البراع لقوم يفخرون بها * وبالطوال الردينيات فافتخر
فهن أقلامك اللاتي اذا كتبت * مجدا أتت بمداد من دم هدر

هذا الروي والوزن فقال
علي هو القصير قصرت عمري
وصنت خلاعتي وأزلت وقري
فقال الاعز
ولم أسمع لعمري قول زيد
اذا ما لامني أو قول عمرو
فقلت
ظفرنا فيه من شفة وكاس
بشهر وبين من ريق وخمر
فقال الشهاب
ودافعنا يقين الدين فيه
بظنونين من خمر وخصر
فقال الاعز
كسوت به الكؤس البيض
حمرا
من القمص اشتريناها
بصفر فقلت
وظلت عارق للهو آناو
بهز البيض فيه عناق سمر
(قال علي بن ظافر) وجلسنا
يوما في روض قد ماست
قدوده واخضرت بروده
وتجلى ورده من عيون
نرجسه فاحمرت خدوده
والروض يهدي الى الآناف
طيب عرفه والنسيم يركض
في ميادين الازهار بطرفه
فقلت
بعث النسيم الى الرياض رسولا
يوحي اليه بكرة وأصيلا
فقال الاعز
يدعو الى شرب المدام فليتني
كنت اتخذت مع الرسول
سبيلا فقال الشهاب
ياويلتي ذهب الشباب فليتني
لم أتخذ فيه العفاف خليلا
(وما دروي) في مثل هذا

وما أحسن قول الواوا الدمشقي

سقي القوم غدا قوس الغمام به * والشمس مشرقة والبرق خلاس
كأنه قوس رام والبروق له * رشق السهام وعين الشمس برجاس

وما أبدع قول السلامي وقد خالط الفجر الظلام كما التقى * على روضة خضراء ورد وأدهم
وعهدي بها والليل ساق ووصلنا * عقار وفوها الكأس أو كاسها الفم

ولبعض شعراء الذخيرة بدار سقتها دية اثر دية * فالت بها الجدران شطرا على شطر
فمن عارض يسقي ومن سقف مجلس * يغني ومن بيت يميل من السكر

ومن الغايات في هذا الباب قول البديع الهمداني من قصيدة يصف فيها طول السرى

لك الله من عزم أجوب جيوبه * كأني في أجفان عين الردى كحل
كأن السرى ساق كأن الكرى طلا * كأنا لها شرب كأن المنى نقل
كأنا جياع والمطي لنا فم * كأن الفلا زاد كأن السرى أكل
كأن ينابيع الثرى ثدي مرضع * وفي حجرها مني ومن ناقتي طفل
كأنا على أرجوحة في مسيرنا * لغور بنا نهوي ونجد بنا نعلو

ومنها في المديح ولم يخرج عن حسن المناسبة

كأن في قوس لساني له يد * مديحي له نزع به أملي نبل * كأن دواتي مطفل حبشية
بناني لها بعل ونقشي لها نسل * كأن يدي في الطرس غواص لجة * بها كلمي در به قيمتي تغلو

وله أيضا في قريب منه يمدح الممدوح في القصيدة قبله وهو الملك خلف بن أحمد صاحب سجستان

وليل كذكراه كمعناه كاسمه * كدين ابن عباد كادبار فائق * شققنا بأيدي العيس برد ظلامه
وبتنا على وعد من السير صادق * تزج بنا الاسفار في كل شاهق * وترمي بنا الآمال في كل حالق
كأن مطايانا شفار كأنما * تمد اليهن الفلا كف سارق * كأن نجوم الليل نظارة لنا
تعجب من آمالنا والعوائق * كأن نسيم الصبح فرصة آيس * كأن سراب القيظ لجة وابق

ومن الغريب هنا قول ابن الرومي يصف أينقا

تطوى الفلا وكأن الآل أردية * وتارة وكأن الليل سيجان
كأنها في ضحاضيح الضحى سفن * وفي الغمار من الظلماء حيتان

وما أرشق قول ابن رشيق

أصح وأقوى ما سمعناه في الندى * من الخبر المأثور منذ قديم
أحاديث ترويها السيول عن الحيا * عن البحر عن كف الامير تميم

ومن المستحسن في هذا النوع قول ابن زيلاق في غلام معه خادم يحرسه

ومن عجب أن يحرسوك بخادم * وخدام هذا الحسن من ذاك أكثر
عذارك ريحان وثغرك جوهر * وخدك ياقوت وخالك عنبر

وما أبدع قول ابن مطروح وليلة وصل خلت * فيا عاذلي لا تسل
لبسنا ثياب العناق * مزررة بالقبل

ومثله قول العماد السلماسي شققت عليك يد الاسى * ثوب الدموع الى الذيول

وعجيب قول ابن الخشاب في المستضيء وأجاد

ورد الورى سلسال جودك فارتووا * ووقفت دون الورد وقفة حائم
ظمآن أطلب خفة من زحمة * والورد لا يزداد غير تزاحم

وقول ابن شرف في اجتماع البعوض والذباب والبراغيث في مجلس مخاطبا لصاحبه يستهزئ به

الا أنه روي عن قوم مجاهيل فأخرنا ذكره حتى انتهى الترتيب ولم نر اخلاء الكتاب من ذكره لانه يجري مجرى الملح ما روي أن ثلاثة من الكتاب خرجوا الى منتزه فبينما هم يأكلون طعاما كان معهم اذا بطفيل جلس اليهم وابتدأ في تلقف ما في الطبق مما بين أيديهم فقالوا له هل عرفت منا أحدا قال نعم هذا وأشار الى الطعام فتعاطوا صفته فقال أحدهم

لم أر مثل جذبه ومطه

فقال الآخر

وأكله دجاجة وبطه

فقال الثالث

كأن جالينوس تحت ابطه

فقالا أما نحن فوصفنا من شدة أكله ما عايناه فما معنى كون جالينوس تحت ابطه فقال يلقمه جوارش الكمون لئلا يتخم

(ومن التمليط الواقع بين أربعة من الشعراء)

ما روى الاصبهاني بسند يتصل باسحق الموصلي عن رجاله أن عمر بن أبي ربيعة والحرث بن خالد المخزوميين وأبا ربيعة المصطلقي ورجلا من بني مخزوم وهو ابن أخت الحرث خرجوا يشيعون بعض خلفاء بني أمية فلما انصرفوا نزلوا بسرف فلاح لهم برق فقال الحرث كلنا شعراء فهلموا نصف البرق فقال أبو ربيعة

لك مجالس كملت ستارتنابه * للهو لكن تحت ذاك حديث

غنى الذباب وظل يزمر حوله * فيه البعوض ويرقص البرغوث

ومن النهايات هنا قول القاضي عبد الرحيم الفاضل

فى خده فخ كعطفة صدغه * والخال حبته وقلبى الطائر

وقول مجير الدين بن تميم

لو كنت تشهدنى وقد حمى الوغى * فى موقف ما الموت عنه بمعزل

لترى أنابيب القناة على يدى * تجرى دما من تحت ظل القسطل

وقد أغرب الاديب بدر الدين حسن الزغارى بقوله

كأن السحاب الغر لما تجمعت * وقد فرقت عنا الهموم بجمعها

نياق ووجه الارض قعب وثلجها * حليب وكف الريح حالب ضرعها

والباب واسع ولا بد من مراعاة الاختصار هنا

الارصاد

(اذا لم تستطع شيأ فدعه * وجاوزه الى ما تستطيع)

البيت لعمرو بن معدى كرب الزبيدى من قصيدة من الوافر وأولها

أمن ريحانة الداعى السميع * يؤرقنى وأصحابى هجوع

سباها الصمة الجشمى غصبا * كأن بياض غرتها صديع

وحالت دونها فرسان قيس * تكشف عن سواعدها الدروع

وبعده البيت وبعده

وصله بالزمان فكل أمر * سماك أو سموت له ولوع

وهى طويلة قال المدائنى حدثنى رجل من قريش قال كنا عند فلان القرشى فجاء رجل بجارية فغنته

بالله يا طبى بنى الحارث * هل من وفى بالعهد كالناكث

وغنته أيضا بغناء ابن سريج

يا طول ليلى وبت لم أنم * وسادى الهم مبطن سقمى

فأعجبته واستام مولاها فاشتط عليه فأبى شراءها وأعجبت الجارية بالفتى فلما امتنع مولاها من البيع الا بشطط قال القرشى فلا حاجة لنا فى جاريتك فلما قامت الجارية للانصراف رفعت صوتها تقول * اذا لم تستطع شيأ فدعه * البيت قال فقال الفتى القرشى أما انا لا أستطيع شراءك والله لأشترينك بما بلغت قالت الجارية فذلك أردت قال القرشى انى لا أخيبك وابتاعها من ساعته (والشاهد فيه) الارصاد ويسميه بعضهم التسهيم وهو أن يجعل قبل العجز من الفقرة أو البيت ما يدل على العجز اذا عرف الروى وهو الحرف الذى تبنى عليه أواخر الابيات أو الفقر ويجب تكراره فى كل منها فانه قد يكون منها ما لا يعرف منه العجز لعدم معرفة حرف الروى كقول البحترى

أحلت دمى من غير جرم وحرمت * بلا سبب يوم اللقاء كلامى

فليس الذى قد حللت بمحلل * وليس الذى قد حرمت بحرام

فانه لو لم يعرف أن القافية مثل سلام وكلام لربما توهم أن العجز بمحرم وقول جنوب أخت عمرو ذى الكلاب

وخرق تجاوزت مجهوله * بوجناء حرف تشكى الكلالا

فكنت النهار به شمسه * وكنت دجى الليل فيه الهلالا

والقول فيه كالذى قبله ومما اختير من شواهد هذا النوع قول الراعى

وان وزن الحصى فوزنت قومى * وجدت حصى ضريبتهم وزينا

(وقد حكى) أن عمر بن أبى ربيعة المخزومى جلس الى ابن عباس رضى الله عنهما فابتدأ ينشده * تشط غدا دار جيرانا * فقال ابن عباس رضى الله عنه * وللدار بعد غد أبعد * وكان كذلك ولم يسمع غير الشطر الاول (وكذلك) يحكى عن عدى بن الرقاع أنه أنشد فى صفة الظبية وولدها * تزجى أغن كأن ابرة روقه *

أرقت لبرق فى دجى الليل لامع
جرى من سناه ذو الربى فمتالع
فقال الحرث
أرقت له ليل التمام ودونه
مهامه موماة وأرض بلاقع
فقال ابن أخته
بضيء عضاه الشوك حتى كأنه
مصابيح أو فجر من الصبح ساطع
فقال عمر بن أبى ربيعة
أيا رب لا آلو المودة جاهدا
لاسماء فاصنع بى الذى أنت صانع
ثم قال مالى وللبرق والشوك
(وأنبأنى) الفقيه التقى عبد الخالق المسكى عن السلفى قال أنبأنا أبو محمد جعفر بن أحمد السراج اللغوى وابن بعلان الكبير قالا أنبأنا أبو نصر عبد الله بن سعيد السجستانى الحافظ قال أخبرنى أبو يعقوب يوسف بن يعقوب النجيرمى قال ذكر أبو بكر الصولى أنه وجد بخط ابن خرداذبة أن أبا نواس ومسلم بن الوليد الصريع والحسين بن الضحاك الخليع والعباس ابن الاحنف خرجوا الى متنزه ومعهم يحيى بن معاذ فأدركتهم صلاة المغرب فقدموا ابن معاذ للصلاة فنسى الحمد وأرتج عليه فى قل هو الله أحد فقطعوا الصلاة ثم تعاطوا القول فيه فقال أبو نواس

وغفل الممدوح عنه فسكت وكان جرير حاضرا فقيل له ماتراه يقول فقال جرير * فلم أصاب من الدواة مدادها * وأقبل عليه الممدوح فقال كما قال جرير فلم يغادر حرفا ومنه قول الخنساء

بيض الصفاح وسمر الرماح * فبالبيض ضربا وبالسمر وخزا

وقول دعبل

واذا عاندنا ذو قوة * غضب الروح عليه فعرج
فعلى ايماننا يجرى الندى * وعلى أسيافنا تجرى المهج

ومن جيده قول بعضهم

ولوانني أعطيت من دهرى المنى * وما كل من يعطى المنى بمسدد
لقلت لأيام مضين ألا ارجعى * وقلت لأيام أتين ألا ابعدى

وما أحسن قول البحترى

أبكيكما دمعا ولو أنى على * قدر الجوى أبكى بكيتكما دما

(وحدث) ابراهيم بن أبى محمد اليزيدى قال كنت عند المأمون يوما وبحضرته عريب فقالت له على سبيل الولع ياسلعوس وكانت جوارى المأمون يلقبننى بذلك عبثا فقلت

قل لعريب لاتكونى مسلعسه * وكونى كتعريف وكونى كمؤنسه

فقال المأمون

فان كثرت منك الاقاويل لم يكن * هنالك شئ ان ذا منك وسوسه

فقلت كذا والله ياأمير المؤمنين أردت أن أقول عجبت من ذهن المأمون وطبعه وفطنته ولمؤلفه من أبيات

ليس التقدم بالزمان مقدما * أحدا ولا التأخير فيه يؤخر
ولكل عصر مستجد تبع * ولكل وقت مقبل اسكندر

ومدح أبو الرجاء الاهوازى الصاحب ابن عباد لما ورد الاهواز بقصيدة منها

الى ابن عباد أبى القاسم * الصاحب اسمعيل كافى الكفاه

فاستحسن جمعه بين اسمه ولقبه وكنيته واسم أبيه فى بيت واحد ثم ذكر وصوله الى بغداد وملكه اياها فقال * ويشرب الخندهنيا بها * فقال له ابن عباد أمسك أمسك أتريد أن تقول * من بعد ماء الرى ماء الفراه * فقال هكذا والله أردت وضحك (وعمرو بن معدى كرب) هو أبو عبد الله وقيل أبو ربيعة بن عبد الله بن عمرو ابن عاصم بن عمرو بن زبيد ينتهى نسبه لقحطان ويكنى أباثور وأمه وأم أخيه عبد الله امرأة من جرهم فيما ذكروهى معدودة من المنجبات وعن أبى عبيدة قال عمرو بن معدى كرب فارس اليمن وهو مقدم على زيد الخيل فى الشدة والبأس (وعن) زيد بن قحيف الكلابى قال سمعت أشياخنا يزعمون ان عمرو ابن معدى كرب كان يقال له مائق بنى زبيد فبلغهم أن خثعم تريدهم فتأهبوا لهم وجمع معدى كرب بنى زبيد فدخل عمرو على أخته فقال لها أشبعينى انى غدا آتى الكتيبة فجاء معدى كرب فأخبرته ابنته فقال هذا المائق يقول ذلك قالت نعم قال فسليه مايشبعه فسألته فقال فرق من ذرة وعنز رباعية قال وكان الفرق يومئذ ثلاثة آصع فصنع له ذلك وذبح العنز وهيأ الطعام قال فجلس عمرو عليه فسلته جميعا وأتتهم خثعم الصباح فلقوهم وجاء عمرو فرمى بنفسه ثم رفع رأسه فاذا لواء أبيه قائم فوضع رأسه ثم رفعه فاذا هو قد زال فقام كأنه سرحة محرقة فتلقى أباه وقد انهزموا فقال له انزل عنها فقال اليك يامائق فقال له بنو زبيد خله أيها الرجل ومايريد فان قتل كفيت مؤنته وان ظهر فهو لك فألقى اليه سلاحه ثم ركب فرمى خثعم بنفسه حتى خرج من بين أظهرهم ثم كر عليهم وفعل ذلك مرارا وحملت عليهم بنو زبيد فانهزمت خثعم وقهروا فقيل له يومئذ فارس بنى زبيد وكان من خبر اسلام عمرو بن معدى كرب الزبيدى ماحكاه المدائنى عن أبى اليقظان عن جويرية بن أسماء قال أقبل النبى صلى الله عليه وسلم من غزاة تبوك يريد المدينة فأدرك عمرو بن معدى كرب الزبيدى فى رجال من بنى زبيد فتقدم عمرو ليلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فأمسك عنه حتى أوذن به فلما تقدم ورسول الله يسير قال حياك الهك أبيت اللعن فقال رسول الله صلى الله

أكثر يحيى غلطا
فى قل هو الله أحد
فقال مسلم بن الوليد
قام طويلا ساهيا
حتى اذا أعيا سجد
فقال العباس بن الاحنف
يزحر فى محرابه
زحير حبلى بولد
فقال الحسين بن الضحاك
الخليع
كأنما لسانه
شد بحبل من مسد
قال ابن رشيق فى كتاب
العمدة وأخبرنى بهذه
الحكاية بعض أصحابنا فقلت
وما على أحد لو قال
ونسى الحمد فما
مرت له على خلد
وسمع هذه الحكاية أيضا
العباس بن الحطيئة فقال
ورام شيأ غير ذا
يقرؤه فما وجد
(وذكر) أبو الفرج قال أولم
محمد بن خالد فدعا أبان بن عبد
الحميد اللاحقى وسهل بن عبد
الحميد وعبيد الله بن عمرو
العتبى والحكم بن قنبر وأخر
عنهم الغداء ثم جاء فوقف وقال
مالكم أعزكم الله ألكم حاجة
بما زحهم فقال أبان
حاجتنا فاعجل علينا بها
من الشاوى كل طرو بن
فقال الحكم
ومن خبيص قد حكى عاشقا
صفرته زيدت بتلوين
فقال العتبى
واتبعوا ذاك بابينة
فانكم أصحاب ابين

عليه وسلم ان لعنة الله وملائكته والناس أجمعين على الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر فآمن بالله يؤمنك
الله يوم الفزع الاكبر فقال عمرو بن معدى كرب وما الفزع الاكبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
فزع ليس كما تحسب وتظن انه يصاح بالناس صيحة لا يبقى حي الامات الا ماشاء الله تعالى من ذلك ثم يصاح
بالناس صيحة لا يبقى ميت الا نشر ثم تلج تلك الارض بدوي تهدمنه الارض وتخرمنه الجبال وتنشق
السماء انشقاق القبطية الجديدة ماشاء الله من ذلك ثم تبرز النار فينظر اليها حمراء مظلمة قد صار لها لسان
فى السماء ترمى بمثل رؤس الجبال من شرر النار ولا يبقى ذو روح الا انخلع قلبه وذكر ذنبه أين أنت
يا عمرو فقال انى أسمع أمرا عظيما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عمرو أسلم تسلم فأسلم وبايع لقومه
على الاسلام وذلك منصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك وكانت فى رجب سنة تسع وعن أبى
عبيدة قال لما ارتد عمرو بن معدى كرب مع من ارتد عن الاسلام من مذحج استجاش فروة النبى صلى الله
عليه وسلم فوجه اليهم خالد بن سعيد بن العاص وخالد بن الوليد وقال لهما اذا اجتمعتم فعلى بن أبى طالب
أميركم وهو على الناس ووجه عليا رضى الله عنه فاجتمعوا بكسر من أرض اليمن فاقتتلوا وقتل بعضهم ونجا
بعض فلم تزل جعفى وزبيد وأود بن سعد العشيرة بعدها قبيلة يروى أنه لما بلغ عمرو بن معدى كرب قرب
مكانهم أقبل فى جماعة من قومه فلما دنا منهم قال دعونى حتى آتى هؤلاء القوم فانى لم أسم لاحد قط
الا هابنى فلما دنا منهم نادى أنا أبو ثور أنا عمرو بن معدى كرب فابتدره على وخالد وكلاهما يقول لصاحبه
خلنى واياه ويفديه بأبيه وأمه فقال عمرو اذ سمع قولهما العرب تفزع منى وأرانى لهؤلاء جزرا فانصرف
عنهما ثم رجع الى الاسلام وفى هذا الوجه وقعت الصمصامة الى آل سعيد وكان سبب وقوعها اليهم أن
ريحانة بنت معدى كرب وهى المعنية أول القصيدة سبيت يومئذ فأفداها خالد وأثابه عمرو الصمصامة
فصار الى أخيه سعيد فوجد سعيد جريحا يوم قتل عثمان رضى الله عنه حين حصر (أى فى الدار) وقد ذهب
السيف والغمد ثم وجد الغمد فلما قام معاوية جاءه أعرابى بالسيف بغير غمد وسعيد حاضر فقال سعيد هذا
سيفى فجحد الاعرابى مقالته فقال سعيد الدليل على انه سيفى أن تبعث الى غمده فتغمده فيكون كفاءه
فبعث معاوية الى الغمد فأتى به من منزل سعيد فاذا هو عليه فأقر الاعرابى أنه أصابه يوم الدار فأخذه
سعيد منه وأثابه فلم يزل عندهم حتى أصعد المهدى من البصرة فأرسل الى آل سعيد فيه فقالوا انه للسبيل
فقال خمسون سيفا قاطعا أغنى من سيف واحد فأعطاهم خمسين ألف درهم وأخذه (وعن الشعبى) أن
عمر بن الخطاب رضى الله عنه فرض لعمرو بن معدى كرب فى الفى ألفين فقال له يا أمير المؤمنين ألف
ههنا وأومأ الى شق بطنه الايمن وألف ههنا وأومأ الى شق بطنه الايسر فما يكون ههنا وأومأ الى وسط
بطنه فضحك عمر من كلام عمرو رضوان الله تعالى عليهما وزاده خمسمائة وقال أبو اليقظان قال عمرو
ابن معدى كرب لو سرت بظعينة وحدى على مياه معد كلها ما خفت أن أغلب عليها ما لم يلقنى حراها
وعبداها فأما الحران فعامر بن الطفيل وعتيبة بن الحرث بن شهاب وأما العبدان فأسود بنى عبس يعنى
عنترة والسليك بن السلكة وكلهم لقيت فأما عامر بن الطفيل فسريع الطعن على الصوت وأما عتيبة
ابن الحرث فأول الخيل اذا غارت وآخرها اذا آبت وأما عنترة فقليل النبوة شديد الكلب وأما السليك
فبعيد الغارة كالليث الضارى (وعن قيس) أن عمر رضى الله عنه كتب الى سعد بن أبى وقاص انى قد أمددتك
بألفى رجل عمرو بن معدى كرب وطليحة بن خويلد وهو طليحة الاسدى فشاورهما فى الحرب ولا تولهما
شيأ وعنه قال شهدت القادسية وكان سعد على الناس فجاء رستم فجعل عمرو بن معدى كرب الزبيدى
يمر على الصفوف ويحض الناس ويقول يا معشر المهاجرين كونوا أسدا أغنى عباسا فانما الفارسى تيس
بعد أن يلقى نيزكه قال وكان مع رستم أسوار لا تسقط له نشابة فقيل له يا أبا ثور اتق ذلك فانا لنقول له ذلك
اذ رماه رمية فأصاب فرسه وحمل عليه عمرو فاعتنقه ثم ذبحه وسلبه سوارى ذهب كانا عليه وقباء ديباج
قال غير قيس ورجع بسلبه وهو يقول

فقال سهل
دعنا من الشعر وأوصافه
واعمل علينا بالاخاوين
فأمر باحضار الغداء وخلع
عليهم ووصلهم (ومن ذلك)
ما أنبأنا به العماد أبو محمد
الاصبهانى قال حدثنى
صديقى النجيب محمد بن
مسعود القسام بأصفهان
قال حضرت مجلس مؤيد
الدين أبى على محمد بن
أسبهسلار رئيس جرباذقان
وعنده شمس الدين أحمد بن
شاد الغزنوى ومجد الدين
اسمعيل بن أحمد اليمانى
فأحضر بين يديه ورد أحمر
فابتدر الغزنوى فقال
الورد فاح كأنه
خلق الامير أبى على
فقلت
أوصيته بين الانا
م وذكره فى المحفل
فقال اليمانى
فاحتز من خجل ومن
فضحته دعوى يخجل
فقال مؤيد الدين
فى عمره كعدوه
فى عرفه مثل الولى
فانظم به ورد الثنا
وانثر عليه من عل
* (وأخبرنى) القاضى
الموفق بهاء الدين أبو على
الديباجى قال كنا بالعسكر
المنصور الكاملى أعزه الله
على العماسة وعندى فى
خيمتى القاضى السعيد أبو
القسم بن سناء الملك رحمه

أنا أبو ثور وسيفي ذو النون * أضربهم ضرب غلام مجنون * يا آل زبيد انهم يموتون

وفي رواية عن أبي زيد ان عمرا شهد القادسية وهو ابن مائة وست سنين وقيل بل ابن مائة وعشر ولما اقتتل العلج عبر بنهر القادسية هو وقيس بن مكسوح المرادي ومالك بن الحرث الاشتر وكان عمرو آخرهم وكانت فرسه ضعيفة فطلب غيرها فاتى بفرس فأخذ بعكدة ذنبه وأخلد به الى الارض فاقعى الفرس فرده وأتى بآخر ففعل به مثل ذلك فتحلحل ولم يقع فقال هذا على كل حال أقوى من ذلك وقال لاصحابه اني حامل وعابر الجسر فان أسرعتم بمقدار جزر الجزور وجدتموني وسيفي بيدي أقاتل به تلقاء وجهي وقد عقرني القوم وأنا قائم بينهم وقد قتلت وجردت وان أبطأتم وجدتموني قتيلا بينهم وقد قتلت وجردت ثم انغمس فحمل في القوم فقال بعضهم يا بني زبيد علام تدعون صاحبكم والله ما نرى أن تدركوه حيا فحملوا فانتهوا اليه وقد صرع عن فرسه وقد أخذ برجل فرس رجل من العجم فأمسكها وان الفارس ليضرب الفرس فلا تقدر أن تتحرك من يده فلما غشيناه رمى الاعجمي بنفسه وخلى فرسه فركبه عمرو وقال أنا أبو ثور كدتم والله تفقدونني قالوا أين فرسك قال رمى بنشابة فشب فصرعني وغار (وعن) أبان بن صالح قال قال عمرو بن معدي كرب يوم القادسية الزموا خراطيم الفيلة السيوف فانه ليس لها مقتل الا خراطيمها ثم شد على رستم وهو على الفيل فضرب فيله فجزم عرقوبيه فسقط وحمل رستم على فرس وسقط من تحته خرج فيه أربعون ألف دينار فحازه المسلمون وسقط رستم بعد ذلك عن فرسه فقتله وانهزم المشركون وقيل ان الخرج سقط عليه فقتله (وعن الشعبي) قال جاءت زيادة من عند عمر يوم القادسية فقال عمرو بن معدي كرب لطليحة أما ترى أن هذه الزعانف تزاد ولا نزاد انطلق بنا الى هذا الرجل حتى نكلمه فقال هيهات والله لا ألقاه في هذا أبدا فلقد لقيني في بعض فجاج مكة فقال يا طليحة أقتلت عكاشة فتوعدني وعيدا ظننت انه قاتلي ولا آمنه قال عمرو ولكنني ألقاه قال أنت وذاك فخرج الى المدينة فقدم على عمر رضي الله عنه وهو يغدي الناس وقد جفن لعشرة عشرة فأقعده عمر مع عشرة فأكلوا ونهضوا ولم يقم عمرو فأقعد مع عشرة حتى أكل مع ثلاثين ثم قام فقال يا أمير المؤمنين انه كانت لي مآكل في الجاهلية منعني منها الاسلام وقد صررت في بطني صرتين وتركت بينهما هواء فسده فقال عليك حجارة من حجارة الحرة فسده بها يا عمرو انه بلغني أنك تقول ان لي سيفا يقال له الصمصامة وعندي سيف اسمه المصمم واني ان وضعته بين أذنيك لم أرفعه حتى يخالط أضراسك (وحدث) يونس وأبو الخطاب قالا لما كان يوم فتح القادسية أصاب المسلمون أسلحة وتيجانا ومناطق ورقابا فبلغت مالا عظيما فعزل سعد الخمس ثم فض البقية فأصاب الفارس ستة آلاف والراجل ألفان وبقي مال دثر فكتب الى عمر رضي الله عنه بما فعل فكتب اليه أن فض ما بقي على حملة القرآن فأتاه عمرو بن معدي كرب فقال له سعد ما معك من كتاب الله فقال عمرو اني أسلمت باليمن ثم غزوت فشغلت عن حفظ القرآن قال ما لك في هذا المال نصيب وأتاه بشر بن ربيعة الخثعمي صاحب جبانة بشر فقال ما معك من كتاب الله قال بسم الله الرحمن الرحيم فضحك القوم ولم يعطه شيأ فقال عمرو في ذلك

اذا قتلنا ولا يبكي لنا أحد * قالت قريش الا تلك المقادير

نعطى السوية من طعن له نفذ * ولا سوية اذ تعطى الدنانير

وقال بشر بن ربيعة

أنخت بباب القادسية ناقتي * وسعد بن وقاص علي أمير

وسعد أمير شره دون خيره * وخير أمير بالعراق جرير

وعند أمير المؤمنين نوافل * وعند المثنى فضة وحرير

تذكر هداك الله وقع سيوفنا * بباب قديس والمكر عسير

عشية ود القوم لو أن بعضهم * يعار جناحي طائر فيطير

اذا ما فرغنا من قراع كتيبة * دلفنا لاخرى كالجبال تسير

ترى القوم فيها واجمين كأنهم * جمال بأحمال لهن زفير

الله والمهذب بن الخيمي
وأقبل بعض الشعراء من أصحابنا على اكديش وتحته على السرج خرج مشقوق فتعاطينا العمل فيه فقال ابن سناء الملك رحمه الله
بطن خروج خرجه
عن قربوس سرجه
فقال المهذب بن الخيمي
لا ترجه لصالح
يأتي ولكن ارجه
فقلت
فانما آفاته
من بطنه وفرجه
وأقول قد بقي عليهم من تمام المعنى والقوافي أن يقول أحدهم
فهو كذا في دخله
بفكر لا في خرجه
*(ومن التمليط الواقع بين خمسة) ما ذكره الثعالبي في كتاب اليتيمة بالاسناد المتقدم أن الاستاذ الرئيس أبا الفضل بن العميد جلس يوما وعنده أبو محمد بن هندو وأبو الحسين بن فارس صاحب مجمل اللغة وأبو عبد الله الطبري وأبو الحسن البديهي فجاءه بعض الخدم بأترجة فقال لهم تعالوا نتجاذب أذيال وصفها فقالوا ان رأى سيدنا أن يبدأ أنا نفعل فقال
وأترجة فيها طبائع أربع
فقال ابن هندو
وفيها فنون اللهو للشرب أجمع
فقال ابن فارس

فكتب سعد الى عمر رضى الله عنه بما قال لهما ومارد اعليه وبالقصيدتين فكتب أن اعطهما على بلائهما فأعطى لكل واحد منهما ألفى درهم (وعن ابن قتيبة) ان سعدا كتب الى عمر رضى الله عنه يثنى على عمرو ابن معدى كرب فسأل عمر عمرا عن سعد فقال هو لنا كالاب أعرابى فى نمرته أسد فى تامورته يقسم بالسوية ويعدل فى القضية وينفر فى السرية وينقل الينا حقنا كما تنقل الذرة فقال عمر رضى الله عنه لشدّ ما تقارضتما الثناء (وجاء) رجل وعمرو بن معدى كرب واقف بالكناسة على فرس له فقال لأنظرنّ مابقى من قوة أبى ثور وأدخل يده بين ساقه وبين السرج ففطن عمرو فضمها عليه وحرّك فرسه فجعل الرجل يعدو مع الفرس لا يقدر أن ينزع يده حتى اذا بلغ منه قال يا ابن أخى مالك قال يدى تحت ساقك فخلى عنه وقال يا ابن أخى ان فى عمك لبقية بعد وكان عمرو مع شجاعته ومواقفه مشهورا بالكذب حدّث المبرّد قال كانت الاشراف بالكوفة يخرجون الى ظهرها يتناشدون الاشعار ويتحدّثون ويتذاكرون أيام الناس فوقف عمرو الى جانب خالد بن الصقعب النهدى فأقبل عليه يحدّثه ويقول أغرت على بنى نهد فخرجوا الىّ مسترعفين بخالد بن الصقعب يقدمهم فطعنته طعنة فوقع وضربته بالصمصامة حتى فاضت نفسه فقال له الرجل يا أبا ثور ان مقتولك الذى تذكره هو الذى تحدّثه فقال اللهم غفرا انما أنت محدّث فاستمع انما نتحدّث بمثل هذا وأشباهه لنرهب هذه المعدّية (وقال محمد بن سلام) أبت العرب الا أن عمرا كان يكذب قال وقلت لخلف الاحمر وكان مولى للاشعريين وكان يتعصب لليمانية أكان عمرو يكذب قال كان يكذب باللسان ويصدق بالفعال (وعن زياد مولى سعد) قال سمعت سعدا يقول وبلغه أن عمرو بن معدى كرب وقع فى الخمر وأنه قد دله لقد كان له موطن صالح يوم القادسية عظيم الغناء شديد النكاية للعدوّ فقيل له فقيس بن مكسوح فقال هذا أبذل لنفسه من قيس وان قيسا لشجاع (وعن أبى محمد المرهبى) قال كان شيخ يجالس عبد الملك بن عمير فسمعته يحدّث قال قدم عيينة بن حصن الكوفة فأقام بها أياما ثم قال والله مالى بأبى ثور عهد منذ قدمنا هذا الغائط يعنى بأبى ثور عمرو بن معدى كرب أسرج لى يا غلام فأسرج له فرسا أنثى من خيله فلما قرّبها اليه ليركبها قال له ويحك أرأيتنى ركبت أنثى فى الجاهلية فأركبها فى الاسلام فأسرج لى حصانا فأسرجه فركبه وأقبل الى محلة بنى زبيد فسأل عن محلة عمرو بن معدى كرب فأرشد اليها فوقف ببابه ونادى أى أبا ثور اخرج الينا فخرج اليه مؤتزرا كأنما كسر وجبر فقال أنعم صباحا أبا مالك قال أوليس قد أبدلنا الله بهذا السلام عليكم قال دعنا مما لا نعرف انزل فان عندى كبشا سا فنزل فعمد الى الكبش فذبحه ثم كشط جلده عنه وعضاه وألقاه فى قدر جماع وطبخه حتى اذا أدرك جاء بجفنة عظيمة فثرد فيها وألقى القدر عليها فقعدا فأكلاه ثم قال له أىّ الشراب أحب اليك اللبن أم ما كنا نتنادم عليه فى الجاهلية قال أوليس قد حرّمها الله عز وجل علينا فى الاسلام قال أنت أكبر سنا أم أنا قال أنت قال فأنت أقدم اسلاما أم أنا قال أنت قال فانى قد قرأت ما بين دفتى المصحف فوالله ماوجدت لها تحريما الا أنه قال فهل أنتم منتهون فقلنا لا فسكت وسكتنا فقال له أنت أكبر سنا وأقدم اسلاما فجاء بها فجلسا يتنادمان ويشربان ويذكران أيام الجاهلية حتى أمسيا فلما أراد عيينة الانصراف قال عمرو بن معدى كرب ولئن انصرف أبو مالك بغير حباء انها لوصمة علىّ فأمر بناقة له أرحبية كأنها جبيرة لجين فارتحلها وحمله عليها ثم قال يا غلام هات المرود فجاء بمزود فيه أربعة آلاف درهم فوضعها بين يديه فقال أما المال فوالله لا قبلته قال فوالله انه لمن حباء عمر بن الخطاب رضى الله عنه فلم يقبله عيينة وانصرف وهو يقول

جزيت أبا ثور جزاء كرامة * فنعم الفتى المزدار والمتضيف
قريت فأكرمت القرى وأفدتنا * تحية علم لم تكن قط تعرف
وقلت حلال ان تدير مدامة * كلون انعقاق البرق والليل مسدف
وقدّمت فيها حجة عربية * تردّ الى الانصاف من ليس ينصف
وأنت لنا والله ذى العرش قدوة * اذا صدّنا عن شربها المتكلف

يشبهها الرائى سبيكة عسجد
فقال البديهى
على أنها من فأرة المسك أضوع
فقال الطبرى
وما اصفرّ منها اللون للعشق والهوى
ولكن أراها للمسين تجزع
(وعلى ذكر هذه الحكاية ذكر القزوينى فى كتاب الروضة) قال أبو الفرج وذكر هذه الحكاية وما قال فيها الرئيس أبو الفضل وعمه أبو محمد بن هندو وغيرهم كان الوزراء والصدور فى ذلك الزمان ممن ذكرنا وشرحنا ووصفنا وصرنا الآن الى الزمان المنحرف الهم الذى لا فضل فى أهله ولا افضال وأغوذجه ذلك أنى حضرت ضيافة وزير الرى أبى العلاء اللنكى منصرفى من العراق وقد احتشد لى ليرينى فضل عظمته فى الوزارة بعد مارأيت حاله الاولى وحضر معى الوزير أبو العلاء بن حسول فلما صرنا الى مجلس الانس ودارت الكؤس وأخذت منه الخمر وقد كان انتهى اليه حكاية الرئيس أبى الفضل بن العميد مع عمى فدعا بدواة ودرج وكتب حتى عرق جبينه ولطخ الدرج بكثرة ما سوّد ثم تناول أترجة وقلبها يعلمنا أنه عمل فيها شيأ ثم قال

نقول أبا ثور أحل حرامها * وقول أبى ثور أسدّ وأعرف

وغزا عمرو بن معدى كرب هو وأبى المرادى فأصابوا اغنائم فادّعى أبى أنه قد كان مساندا فأبى عمرو أن يعطيه شيأ وبلغ عمرا أنه يتوعده فقال عمرو فى ذلك قصيدة أوّلها

أعاذل سكتى بدنى ورمحى * وكل مقاص سلس القياد

أعاذل انما أفنى شبابى * وأقرح عاتقى ثقل النجاد

تمنانى ليلقانى أبىّ * وددت وأينما منى ودادى

ولو لاقيتنى ومعى سلاحى * تكشف شحم قلبك عن سواد

أريد حياته ويريد قتلى * عذيرك من خليلك من مراد

وهذا البيت كان يتمثل به علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه اذا أعطى الناس ورأى ابن ملجم قاتله الله وكان سبب موت عمرو بن معدى كرب ما حكاه ابن قتيبة وغيره قالوا كانت مغازى العرب اذ ذاك الرىّ ودمستى فخرج عمرو مع شباب من مذحج حتى نزل الخان الذى دون روذة فتغذى القوم ثم ناموا وقام كل رجل منهم لقضاء حاجته وكان عمرو اذا أراد الحاجة لم يجترئ أحد أن يدعوه وان أبطأ فقام الناس للرحيل وترحلوا الا من كان فى الخان الذى فيه عمرو فلما أبطأ صحنا به يا أبا ثور فلم يجبنا وسمعنا علزا شديدا ومراسا فى الموضع الذى دخله فقصدناه واذا به محمرة عيناه مائلا شدقه مفلوجا فحملناه على فرس وأمرنا غلاما شديد الذراع فارتدفه ليعتدل ميله فمات بروذة ودفن على قارعة الطريق فقالت امرأته الجعفية ترثيه

لقد غادر الركب الذين تحملوا * بروذة شخصا لا ضعيفا ولا غمرا

فقل لزبيد بل لمذحج كلها * فقدتم أبا ثور سنانكم عمرا

فان تجزعوا لا يغن ذلك عنكم * ولكن سلوا الرحمن يعقبكم صبرا

(قالوا اقترح شيأ نجد لك طبخه * قلت اطبخوا لى جبة وقميصا)

البيت من الكامل وقائله أبو الرقعمق يروى أنه قال كان لى اخوان أربعة وكنت أنادمهم أيام الاستاذ كافور الاخشيدى فجاءنى رسولهم فى يوم بارد وليست لى كسوة تحصننى من البرد فقال اخوانك يقرؤن عليك السلام ويقولون لك قد اصطبحنا اليوم وذبحنا شاة سمينة فاشته علينا ما نطبخ لك منها قال فكتبت اليهم

اخواننا قصدوا الصبوح بسحرة * فأتى رسولهم الىّ خصوصا

قالوا اقترح شيأ نجد لك طبخه * قلت اطبخوا لى جبة وقميصا

قال فذهب الرسول بالرقعة فما شعرت حتى عاد ومعه أربع خلع وأربع صرر فى كل صرّة عشرة دنانير فلبست احدى الخلع وسرت اليهم (والشاهد فى البيت) المشاكلة وهى ذكر الشئ بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته تحقيقا أو تقديرا وهى هنا قوله اطبخوا فانه أراد خيطوا فذكر خياطة الجبة والقميص بلفظ الطبخ لوقوعها فى صحبة طبخ الطعام ومثل البيت قول ابن جابر الاندلسى

قالوا اتخذ دهنا لقلبك يشفه * قلت ادهنوه بخدها المتورّد

وذكرت باشتهاء أبى الرقعمق قول بعضهم

قال لى عوّدى غداة أتونى * ما الذى تشتهيه واجتهدوا بى

قلت مغلى فيه لسان وشاة * قطعوه فيه بصنع عجيب

وأضيفت اليه كبد حسود * فقشت فوقها عيون الرقيب

وقول الآخر

عندى لكم يوم التواصل فرحة * يا معشر الجلساء والندماء

أشوى قلوب الحاسدين بها وألسنة الوشاة وأعين الرقباء

ومن أمثلة المشاكلة قول عمرو بن كلثوم فى معلقته

ألا لا يجهلن أحد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

أراد فنجازيه على جهله فجعل لفظة فنجهل موضع فنجازيه لاجل المشاكلة ومثل الاول ما حكى عن

كأنها لون فتى عاشق من برده قد لبس المحملا فالتفت الىّ أبو العلاء بن حسول وقال لى سرّا لا بدّ من اجازة هذا البيت بما يشاكل سخنة عين الوزراء ولو عزلنى عن عملى وقطع ضياعى ثم أقبل عليه كأنه يصل كلامه فقال

أو لون حاجى من خراسان من اسهاله قد ركب المحملا

فتوهم الوزير أنه جد فأخذ يحرّك رأسه مستحسنا لهذه الاجازة ومتعجبا من سرعة البديهة وملكنى وأبا العلاء الضحك حتى تهتكنا ونبه على سخريتنا منه فظهرت منه حركات العربدة فانصرفنا اشفاقا من حال مكروهة تجرى علينا

(الباب الرابع فى بدائع البدائه)

الواقعة على العمل فى مقصود واحد من شاعرين فصاعدا وقد يكون اجتماعهما لشيئين أحدهما أن يكون ذلك لامر ملك أو وزير واقتراح رئيس أو كبير وسؤال صديق أو رفيق والثانى أن يقصدا تبيين فضلهما ان كانا متوافقين أو يقصد أحدهما تعجيز صاحبه ان كانا متنازعين أو متدافعين ويقع ما يصدر عنهما أيضا على وجهين أحدهما أن يكونا فيما نظما متباعدى

عبيد الله بن عبد الله بن طاهر انه كان يشرب فى منتزه وعنده مانى الموسوس فقال عبيد الله

أرى غيما تؤلفه جنوب * وأحسب أن ستأتينا بهطل
فحزم الرأى أن تأتى برطل * فتشربه وتأتينى برطل

فقال ماهكذا قال الشاعر وانما هو

أرى غيما تؤلفه جنوب * أراه على مساءتنا حريصا
فحزم الرأى أن تأتى برطل * فتشربه وتكسونى قميصا

وأبو الرقعمق هو أحمد بن محمد الانطاكى الشاعر المشهور ذكره الثعالبى فى اليتيمة فقال هو نادرة الزمان وجملة الاحسان ممن تصرف بالشعر فى أنواع الجد والهزل وأحرز قصبات الفضل وهو أحد المداح المجيدين والشعراء المحسنين وهو بالشام كابن الحجاج بالعراق ومدح ملوك مصر ووزراءها فمن غرر شعره قوله يمدح الوزير يعقوب بن كلس

قد سمعنا مقاله واعتذاره * وأقلناه ذنبه وعثاره
والمعانى لمن عنيت ولكن * بك عرضت فاسمعى ياجاره

منها

من مبلغ أعرابيّ عن أعرابيّ اذا اكلا ملح عيونه سحاره
ماعلى موثر التباعد والاعـ * ـراض لو آثر الرضى والزياره

وهى طويلة وأكثر شعره جيد على هذا الاسلوب مثل صريع الدلاء والقصار ومن شعره على طريق ابن حجاج قوله

كتب الحصير الى السرير * أن الفصيل بن البعير فلامنعسن حمارتى * سنتين من أكل الشعير
لاهم الا أن تطير * من الهزال مع الطيور ولأحبرنك قصتى * فلقد سقطت على الخبير
ان الذين تصافعوا * بالقرع فى زمن القشور أسفوا على لانهم * حضروا ولم أك فى الحضور
لوكنت ثم لقيل هل * من آخذ بيد الضرير ولقد دخلت على الصديق * ق البيت فى اليوم المطير
متشمرا متبخترا * للصفع بالدلو الكبير فأردت حين تبادروا * دلوى فكان على المدير
يا للسرجال تصافعوا * فالصفع مفتاح السرور هو فى المجالس كالبخو * ر وكالقلائد فى النحور

وله قصيدة طويلة مشهورة أولها

وقوفى وقوفى * هدية فى طبق أما ترون بينكم * تيسا طويل العنق

وكانت وفاته سنة تسع وتسعين وثلثمائة

(شاهد المزاوجة)

(اذا مانهى الناهى فلج بى الهوى * أصاخت الى الواشى فلج بها الهجر)

البيت للبحترى من قصيدة من الطويل فى الفتح بن خاقان أولها

متى لاح برق أو بدا طلل قفر * جرى مستهل لابطىء ولا نزر * وما الشوق الا لوعة بعد لوعة
وغزر من الآماق تتبعها غزر * فلا تذكراعهد التصابى فانه * تقضى ولم يشعر به ذلك العصر

الى أن يقول فيها هل العيش الا أن تساعفنا النوى * بوصل سعاد أو يساعدنا الدهر

الى أن يقول فيها على انها ماعندها لمواصل * وصال ولا عنها لمصطبر صبر

وبعده البيت وهى طويلة يقول منها فى المخلص

لعمرك ما الدنيا بناقصة الجدا * اذا بقى الفتح بن خاقان والقطر

ومعنى أصاخت استمعت والواشى النمام الذى يشى حديثه ويزينه (والشاهد فيه) المزاوجة وهى أن يزاوج المتكلم بين معنيين فى الشرط والجزاء فهنا زاوج بين نهى الناهى واصاختها الى الواشى الواقعين فى الشرط والجزاء فى أن يترتب عليهما لجاج شئ ومثله قوله أيضا

اذا احتربت يوما ففاضت دماؤها * تذكرت القربى ففاضت دموعها

الغرضين مختلفى المقصدين وهو الأكثر والثانى أن يتفقا على معنى واحد وهو الاقل وربما اشتركا فى كثير من الالفاظ واتفقا فى القافية وهذا انما يكون عند اشتراكهما فى جودة طبع وصفاء ذهن وحدة خاطر وقوة فكر وانقياد قريحة وبالجملة أن يكونا واردين على شريعة واحدة * وها أنا أذكر ما مر بى من الاخبار على هذين الوجهين فى فصلين وأبدأ بما وقع الاتفاق فيه فأقول

(الفصل الاول فيما وقع الاتفاق فيه)

(قال على بن ظافر) أكثر ما يقع هذا الاتفاق الغريب والتوارد العجيب اذا ضيق المقترح على الشاعرين بأن يعين الوزن والقافية * ذكر أبو عبد الله بن شرف القيروانى فى كتاب أبكار الافكار قال استدعانى المعز ابن باديس يوما واستدعى أبا على الحسن بن رشيق الازدى وكنا شاعرى حضرته وملازمى ديوانه فقال أحب أن تصنعا بين يدى قطعتين فى صفة الموز على قافية الغين فصنعنا حالا من غير أن يقف أحدنا على ماصنعه الآخر فكان الذى صنعته ياحبذا الموز واسعاده من قبل أن يمضغه الماضغ

فزاوج بين الاحتراب وتذكر القربى الواقعين فى الشرط والجزاء فى ترتب فيضان شئ عليهما ومن المزاوجة قول أبى تمام

وكما جميعا شريكى عنان * رضيعى لبان خليلى صفا

وفى معنى صدر البيت قول أبى نواس

دع عنك لومى فان اللوم اغراء * وداونى بالتى كانت هى الداء

وقول ابن زريق البغدادى

لا تعذليه فان العـــذل يولعه * قد قلت حقا ولكن ليس يسمعه

وقول ابن شرف القيروانى

قل للعذول لو اطلعت على الذى * عاينتـــه أعناك ما يعنينى
أتصـــدنى أم للغرام تردنى * وتلومنى فى الحب أم تغـرينى
دعنى فلست معاقبا بجنايتى * اذ ليس دينك لى ولا لك دينى

وقول الصابى

أيها اللائم المضيق صدرى * لا تلمنى فكثرة اللوم تغرى
قد أقام الغرام حجة عشـق * وأبان العذار فى الحب عذرى

﴿ وقف بالديار التى لم يعفها القدم * بلى وغيرها الارواح والديم ﴾

البيت من البسيط وهو أول قصيدة لزهير بن أبى سلمى يمدح بها هرم بن سنان وبعده

لا الدار غيرها بعد الانيس ولا * بالدار لو كلمت ذا حاجة صمم
دار لاسماء بالغـــمرين ماثلة * كالوحى ليس بها من أهلها أرم

يقول منها فى مدحه

ان البخيل ملوم حيث كان ولـ * ـكن الجواد على عــــلاته هرم
هو الجواد الذى يعطيك نائله * عفوا ويظلم أحيانا فيظطـــلم
فان أتاه خليـــل يوم مسألة * يقـول لا غائب مالى ولا حرم

وهى طويلة والارواح جمع ريح ويجمع على أرياح أيضا ورياح وريح بكسر الراء وفتح الياء والديم جمع ديمة وهى المطر الدائم فى سكون (والشاهد فى البيت) الرجوع وهو العود الى الكلام السابق بالنقض والابطال لنكتة فهنا دل صـدر البيت على أن تطاول الزمان وتقادم العهد لم يعف الديار ثم عاد اليه ونقضه فى عجز البيت بأنه قد غيرتها الرياح والامطار لنكتة وهى هنا اظهار الكآبة والحزن والحيرة والدهش كأنه أخبر أولا بما لم يتحقق ثم رجع اليـه عقله وأفاق بعض الافاقة فنقض كلامه السابق ومثله قول الشاعر

فأف لهذا الدهر لا بل لأهله

وقول ابن الطثرية

أليس قليلا نظـرة ان نظرتها * اليك وكلا ليس منك قليل

وقول أبى البيداء

ومالى انتصار ان غدا الدهر جائرا * علىّ بلى ان كان من عندك النصر

وقول المتنبى

لجنية أم غادة رفع السجف * لوحشية لا ما لوحشية شنف

وما أحسن قول أبى بكر الخوارزمى فى شمس المعالى قابوس بن وشكمير صاحب جرجان

لم يبق فى الارض من شئ أهاب له * ولم أهاب انكسار الجفن ذى السقم
أســـتغفر الله من قولى غلطت بلى * أهاب شمس المعالى أمـــة الامم

وله فيه أيضا

اذا ما ظمئت الى ريقه * جعلت المدامة منه بديلا
وأين المدامة من ريقه * ولكن أعلل قلبا عليلا

وبديع قول السراوندى

كالبدر بل كالشمس بل كليهما * كالليث بل كالغيث هطال الديم

وما ألطف قول ابن سناء الملك

ومليحة بالحسن يسخر وجهها * بالبدر يهزأ ريقها بالقرقف
لا أرتضى بالشمس تشبيها لها * والبدر بل لا أكتفى بالمكتفى

لان الى أن لا تجس له
فالفم ملآن به فارغ
سيان قلنا ما كل طيب
فيه والامشرب سائغ
﴿والذى صنعه ابن رشيق﴾
موز سريع أكله
من قبل مضغ الماضغ
مأكله لآكل
ومشرب لسائغ
فالفم من لين به
ملآن مثل فارغ
يخال وهو بالغ
للحلق غير بالغ
فأمرنا الوقت أن نصنع فيه
على حرف الدال فعملنا ولم
ير أحدنا صاحبه ما عمل
فكان ما عملته
هل لك فى موز اذا
ذقناه قلنا حبذا
فيه شراب وغذا
يريك كالماء القذى
لو مات من تلذذا
به لقيل ذا بذا
﴿وما عمله ابن رشيق﴾
لله موز لذيذ
بعيذه المستعيذ
فواكه وشراب
به يداوى الوقيذ
ترى القذى العين فيه
كما يريها النبيذ
قال ابن شرف فأنت ترى
هذا الاتفاق لما كانت
القافية واحدة والقصد
واحدا ولقد قال من حضر
ذلك اليوم ما ندرى مم نتعجب
أمن سرعة البديهة أم من
غرابة القافية أم من حسن

وهومن قول ابن المعتز والله لا كلمتها ولو أنها * كالبدر أو كالشمس أو كالمكتفى

(اذا نزل السماء بأرض قوم * رعيناه وان كانوا غضابا)

نسب غالب شارحي التلخيص هذا البيت لجرير وهو من قصيدة من الوافر أوّلها

أقلى اللوم عاذل والعتابا * وقولى ان أصبت لقد أصابا
أجدّك لا تذكر عهد نجد * وحيا طالما انتظروا الايابا
بلى فارفض دموعك غير نزر * كما عينت بالشرب الطنابا
وهاج البرق ليلة اذرعات * هوى ماتستطيع له طلابا

وهى طويلة والسماء الغيث ونسبه المفضل فى اختياراته لمعاوية بن مالك بن جعفر معوّذ الحكماء وساقه فى قصيدة طويلة أوّلها أجدّ القلب من سلمى اجتنابا * واقصر بعدما شابت وشابا

وشاب لداته وعدلن عنه * كما انضيت من لبس ثيابا
فان يك نبلها طاشت ونبلى * فقد نرمى بها حقبا صيابا
فتصطاد الرجال اذا رمتهم * واصطاد المخبأة الكعابا

منها

وكنت اذا العظيمة أفزعتهم * نهضت ولا أدبّ لها دبابا
بحمد الله ثم عطاء قوم * يفكون الغنائم والرقابا
اذا نزل السماء بأرض قوم * رعيناه وان كانوا غضابا
بكل مقاص عبل شواه * اذا وضعت أعنتهن سابا

ويدل على ان هذا البيت من هذه القصيدة انه لم يوجد فى قصيدة جرير على اختلاف رواة ديوانه (والشاهد فيه) الاستخدام وهو أن يراد بلفظ له معنيان أحدهما ثم يراد بضميره الآخر أو يراد بأحد ضميريه أحدهما ثم يراد بالآخر الآخر فالاوّل كما فى البيت هنا فانه أراد بالسماء الغيث وبالضمير الراجع اليه من رعيناه البيت (وجرير) هو ابن عطية بن الخطفى وهو لقبه واسمه حذيفة بن بدر بن سلم بن عوف بن كليب بن يربوع ابن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مرّة ينتهى نسبه لنزار ويكنى أبا حزرة بفتح الحاء المهملة وسكون الزاى وفتح الراء وبعدها هاء ساكنة وهى المرّة الواحدة من الحزر وهو والفرزدق والاخطل المقدّمون على شعراء الاسلام الذين لم يدركوا الجاهلية جميعا ومختلف فى أيهم المقدّم ولم يبق أحد من شعراء عصرهم الا تعرّض لهم فافتضح وسقط وكان أبو عمرو يشبه جريرا بالاعشى والفرزدق بزهير والاخطل بالنابغة وقد حكم مروان بن أبى حفصة بين الثلاثة بقوله

ذهب الفرزدق بالفخار وانما * حلو الكلام ومرّه لجرير
ولقد هجا فامض أخطل تغلب * وحوى اللهى بمديحه المشهور
كل الثلاثة قد أبرّ بمدحه * وهجاؤه قد سار كل مسير

فهو كما تراه حكم للفرزدق بالفخار وللاخطل بالمدح والهجاء وبجميع فنون الشعر لجرير وقال أبو العلاء بن جرير العنبرى وكان شيخا قد جالس الناس اذا لم يجئ الاخطل سابقا فهو سكيت والفرزدق لا يجئ سابقا ولا سكيتا وجرير يجئ سابقا ومصليا وسكيتا (وحدّث) مولى لبنى هاشم قال امترى أهل المجلس فى جرير والفرزدق أيهما أشعر فدخلت على الفرزدق فما سألنى عن شئ حتى نادى يا نوار ادركت برنيتك يا نوار قالت قد فعلت أو كادت قال فابعثى بدرهم فاشترى لحما ففعلت وجعلت تشرّحه وتلقيه على النار ويأكل ثم قال هات برنيتك فشرب قدحا ثم ناولنى وشرب آخر ثم ناولنى ثم قال هات حاجتك يا ابن أخى فأخبرته فقال أعن ابن الخطفى تسألنى ثم تنفس حتى انشقت حيازيمه ثم قال قاتله الله فما أحسن ناجيته وأشرد قافيته والله لو تركوه لأبكى العجوز على شبابها والشابة على أحبابها ولكنهم هرّوه فوجدوه عند الهراش نابحا وعند الجدّ قادحا ولقد قال بيتا لأن أكون قلته أحب الىّ مما طلعت عليه

الشمس

الانفاق (قال أبو عبد الله ابن شرف) استخلانا المعز يوما وقال أريد أن تصنعا شعرا تمدحان به الشعر الرقيق الخفيف الذى يكون على سوق بعض النساء فانى أستحسنه وقد عاب بعض الضرائر بعضا به وكلهن قارئات كاتبات فأحبّ أن أريهنّ هذا وأدّعى أنه قديم لاحتج به على من عابه وأسرّ به من عيب عليه فانفرد كل منا وصنع فى الوقت فكان الذى قلت

وبلقيسية زينت بشعر * يسير مثل ما يهب الشحيح
رقيق فى خدلجة رداح * خفيف مثل جسم فيه روح
حكى زغب الخدود وكل خدّ * به زغب فمعشوق مليح
فان يك صرح بلقيس زجاجا * فمن حدق العيون لها صروح

(وكان الذى قال ابن رشيق)

يعيبون بلقيسية أن رأوا بها * كما قد رأى من تلك من نصب الصرحا
وقد زادها التزغيب ملحا كمثل ما * يزيد خدود الغيد تزغيبها ملحا

فانتقد المعز على ابن رشيق قوله يعيبون وقال قد أوجدت خصمها حجة بأن بعض الناس عابه وهذا نقد ما فطنت له (وروى ابن بسام فى كتاب الذخيرة) وهو روايتى عنه بالاسناد المتقدم قال حكى أبو صفوان

الاستخدام

الشمس وهو

اذا غضبت عليك بنو تميم * لقيت القوم كلهم غضابا

وقال اسحق بن يحيى بن طلحة قدم علينا جرير المدينة فحشدنا له فبينا نحن عنده ذات يوم اذ قام لحاجته فجاء الاحوص فقال أين هذا فقلنا قام آنفا ما تريد منه قال أخزيه والله ان الفرزدق لأشعر منه وأشرف فأقبل جرير علينا وقال من الرجل قلنا الاحوص بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبي الافلح قال هذا الخبيث بن الطيب ثم أقبل عليه فقال قد قلت

يقر بعيني ما يقر بعينها * وأحسن شئ ما به العين قرت

فانه يقر بعينها أن يدخل فيها مثل ذراع البكر أفيقر ذلك بعينك قال وكان الاحوص يرمى بالابنة فانصرف وأرسل اليه بتمر وفاكهة وكان راعي الابل الشاعر يقضي للفرزدق على جرير ويفضله وكان راعي الابل قد ضخم أمره وكان من أشعر الناس فلما أكثر من ذلك خرج جرير الى رجال من قومه فقال هل تعجبون لهذا الرجل الذي يقضي للفرزدق عليّ وهو يهجو قومه وأنا أمدحهم قال جرير فضربت رأيي فيه ثم خرج جرير ذات يوم يمشي ولم يركب دابة وقال والله ما يسرّني أن يعلم أحد وكان لراعي الابل والفرزدق وجلسائهما حلقة بالمربد بالبصرة يجلسون فيها قال فخرجت أتعرض اليه لعلي ألقاه على حياله حيث كنت أراه يمرّ اذا انصرف من مجلسه وما يسرّني أن يعلم أحد حتى اذا هو قد مرّ على بغلة له وابنه جندل يسير وراءه على مهر له أحوى محذوف الذنب وانسان يمشي معه يسأله عن بعض السبب فلما استقبلته قلت مرحبا بك يا أبا جندل وضربت بشمالي على معرفة بغلته ثم قلت له يا أبا جندل ان قولك يستمع وأنك تفضل الفرزدق عليّ تفضيلا قبيحا وأنا أمدح قومك وهو يهجوهم وهو ابن عمي دونك ويكفيك عن ذلك اذا ذكرنا أن تقول كلاهما شاعر كريم ولا تحتمل مني ولا منه لائمة قال فبينا أنا معه وهو كذلك واقفا عليّ وما ردّ عليّ بذلك شيأ حتى لحق ابنه جندل فرفع كرمانية معه فضرب بها عجز بغلته ثم قال لا أراك واقفا على كلب من كليب كأنك تخشى منه شرًّا أو ترجو منه خيرا وضرب البغلة ضربة فرمحتني رمحة وقعت منها قلنسوتي فوالله ما عرّج عليّ الراعي فيقول سفيه غوي يعني جندلا ابنه ولكن لا والله ما عاج عليّ فأخذت قلنسوتي فمسحتها ثم أعدتها على رأسي ثم قلت

أجندل ما تقول بنو نمير * اذا ما الاير في است أبيك غابا

فسمعت الراعي قال لابنه أما والله لقد طرحت قلنسوته طرحة مشؤومة قال جرير ولا والله ما القلنسوة بأغيظ أمر لي لو كان عاج عليّ فانصرف جرير غضبان حتى اذا صلى العشاء ومنزله في علية له قال ارفعوا الى باطية من نبيذ وأسرجوا لي فأسرجوا له وأتوه بباطية من نبيذ قال فجعل يهينم فسمعت صوته عجوز في الدار فاطلعت في الدرجة ونظرت اليه فاذا هو يحبو على الفراش عريانا لما هو فيه فانحدرت فقالت ضيفكم مجنون رأيت منه كذا وكذا فقالوا لها اذهبي لطيتك فنحن أعلم به وبما يمارس فما زال كذلك حتى كان السحر ثم اذا هو يكبر قد قالها ثمانين بيتا يهجو بني نمير فلما ختمها بقوله

فغض الطرف انك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

كبر ثم قال أخزيته ورب الكعبة ثم أصبح حتى علم أن الناس قد أخذوا مجالسهم بالمربد وكان يعرف مجلسه ومجلس الفرزدق دعا بدهن فادّهن وكف رأسه وكان حسن الشعر ثم قال يا غلام أسرج لي فأسرج له حصانا ثم قصد مجلسهم حتى اذا كان موقع السلام قال يا غلام ولم يسلم قل لعبيد أبعثتك نسوتك تكسبهنّ المال بالعراق أما والذي نفسي بيده لترجعنّ اليهن بمير تسوءهنّ ولا تسرّهنّ ثم اندفع فيها فأنشدها فنكس الفرزدق وراعي الابل وأرم القوم حتى اذا فرغ منها وسار وثب راعي الابل ساعتئذ فركب بغلته بشرّ وعرّ وخلى المجلس حتى أوفى الى المنزل الذي ينزله ثم قال لاصحابه ركابكم ركابكم فليس لكم هنا مقام فضحكم والله جرير فقال له بعض القوم ذاك شؤمك وشؤم ابنك قال فما كان الا ترحلهم فساروا الى أهلهم سيرا ما ساره أحد وهم بالشريف وهو أعلى دار بني نمير فيحلف بالله راعي الابل انا وجدنا في أهلنا (فغض الطرف انك من نمير) وأقسم بالله ما بلغه انسي قط وان لجرير لأشياعا من الجن فتشاءمت به بنو نمير وسبوه

العتكي قال كان أبو اسحق الحصري يختلف الى بعض مشيخة القيروان وكان ذلك الشيخ كلفا بالمعذرين وهو القائل فيهم

ومعذرين كأن نبت عذارهم * أقلام مسك تستمد خلوقا

قرنوا البنفسج بالشقيق ونظموا * تحت الزبرجد لؤلؤا وعقيقا

(قال) وكان يختلف اليه غلام من أبناء أعيان أهل القيروان وكان به كلفا فبينا هو يوما والحصري جالس عنده وقد أخذا في الحديث اذ أقبل الغلام

في صورة كملت تخال بأنها * بدر السماء لستة وثمان

يغشى العيون ضياؤها فكأنها * شمس الضحى تغشى بها العينان

فقال له الشيخ يا أبا اسحق ما تقول فيمن هام في هذا الغلام وصبا بهذا الخد والقوام فقال الحصري الهيمان به والله غاية الظرف والصبوة اليه من تمام اللطف لاسيما وقد شاب كافور خده هذا المسك الفتيت وهجم على صبحه هذا الليل البهيم والله ما حلت بياضه في سواده الا بياض الايمان في سواد الكفر أو غيهب الظلماء في منبر الفجر فقال صفه يا حصري فقال من ملك رق القول حتى ذلت له صعابه وانقاد له جوحه وسطع له

وابنه فهم يتشاءمون به الى الآن (وحدّث) أبو عبيدة قال التقى جرير والفرزدق بمنى وهما حاجان فقال الفرزدق لجرير

فانك لاق بالمنازل من منى * فخار الخبرني بمن أنت فاخر

فقال له جرير لبيك اللهم لبيك قال فكان أصحابنا يستحسنون هذا الجواب من جرير ويتعجبون منه وعن العتبي قال قال جرير ما عشقت قط ولو عشقت لنسبت نسيبا تسمعه العجوز فتبكي على ما فاتها من شبابها وانى لأروي من الرجز أمثال آثار الخيل في الثرى ولولا أني أخاف أن يستفرغني لأكثرت منه وعن أبي عبيدة قال رأت أم جرير وهي حامل به كأنها ولدت حبلا من شعر أسود فلما خرج منها جعل ينزو فيقع في عنق هذا فيقتله وفي عنق هذا فيخنقه حتى فعل ذلك برجال كثيرين فانتبهت فزعة فأوّلت الرؤيا فقيل لها تلدين غلاما أسود شاعرا ذا شدّة وشرّ وشكيمة وبلاء على الناس فلما ولدته سمته جريرا باسم الحبل الذي رأت أنه خرج منها قال والجرير الحبل (وحدّث) بلال بن جرير أن رجلا قال لجرير من أشعر الناس قال قم حتى أعرّفك الجواب فأخذ بيده وجاء به الى أبيه عطية وقد أخذ عنزا له فاعتقلها وجعل يمص ضرعها فصاح به أخرج يا أبت فخرج شيخ دميم رث الهيئة وقد سال لبن العنز على لحيته فقال أترى هذا قال نعم قال أوتعرفه قال لا قال هذا أبي أفتدري لم كان يشرب لبن العنز قلت لا قال مخافة أن يسمع صوت الحلب فيطلب منه لبن ثم قال أشعر الناس من فاخر بمثل هذا الاب ثمانين شاعرا وقارعهم به فغلبهم جميعا (وحدّث) المدائني قال كان جرير من أعق الناس بأبيه وكان ابنه بلال أعق الناس به فراجع جرير بلالا الكلام فقال له بلال الكاذب مني ومنك نالك أمّه فأقبلت أمّه عليه فقالت له يا عدوّ الله أتقول هذا لأبيك فقال جرير دعيه فوالله لكأني أسمعها وأنا أقولها لأبي (ونظير ذلك) ما حكي عن يونس بن عبد الله الخياط أنه مرّ به رجل وهو يعصر حلق أبيه وكان عاقابه فقال له ويحك أتفعل هذا بأبيك وخلصه من يده ثم أقبل على الاب يعزيه ويسكنه فقال له الأب أخي لا تلمه واعلم أنه ابني حقا والله لقد خنقت أبي في هذا الموضع الذي خنقني فيه فانصرف الرجل وهو يضحك ولابيه يقول

مازال بي مازال بي * طعن أبي في النسب حتى تربيت وحتى ساء ظني بأبي

ونشا ليونس ولد يقال له دحيم فكان أعق الناس به فقال يونس فيه

جلا دحيم عماية الريب * والشك مني والظن في نسبي

مازال بي الظن والتشكك حتى عقني مثل ما عققت أبي

وقال يونس بن عبد الله الخياط جئت يوما الى أبي وهو جالس وعنده أصحاب له فوقفت عليهم لأغيظه وقلت ألا أنشدكم شعرا قلته بالأمس قالوا بلى فأنشدتهم

ياسائلي من أنا أو من يناسبني * أنا الذي لا له أصل ولا نسب

الكلب يختال فخرا حين يصرفني * والكلب أكرم مني حين ينتسب

لو قال لي الناس طرّا أنت ألأمنا * ما وهم الناس في ذاكم ولا كذبوا

قال فوثب الىّ أبي ليضربني وعدوت من بين يديه فجعل يشتمني وأصحابه يضحكون ﴿رجع الى بقية أخبار جرير﴾ حدّث أبو العراف قال قال الحجاج لجرير والفرزدق وهو في قصره بحرين البصرة ائتياني بلباس أبيكما في الجاهلية فلبس الفرزدق الديباج والخز وقعد في قبة وشاور جرير دهاة بني يربوع فقالوا والله ما لباس آبائنا الا الحديد فلبس جرير درعا وتقلد سيفا وأخذ رمحا وركب فرسا للعباد بن الحصين يقال له المنحاز وأقبل في أربعين فارسا من بني يربوع وجاء الفرزدق في هيئته فقال جرير

لبست سلاحي والفرزدق لعبة * عليه وشاحا كرّجي وخلاخله

أعدّوا مع الحلي الملاب فانما * جرير لكم بعل وأنتم حلائله

ثم رجعا فوقف جرير في مقبرة بني حصن ووقف الفرزدق في المربد ونعي الفرزدق الى المهاجر بن عبد الله وجرير عنده فقال

مات الفرزدق بعد ما جدّعته * ليت الفرزدق كان عاش قليلا

فقال له المهاجر بئس لعمر الله ما قلت في ابن عمك أتهجو ميتا أما والله لو رثيته لكنت أكرم العرب

شهابه أقعدني بوصفه فقال صفه فاني معمل فكري في ذلك ثم أطرق كل منهما لحظة فكان الذي صنعه الحصري

أورد قلبي الردى
لام عذار بدا
أسود كالكفر في
أبيض مثل الهدى

فقال الشيخ أتراك اطلعت على ضميري أم خضت بين جوانحي فقال له ولم ذاك أيها الشيخ قال لاني قلت

حركت قلبي فطار
صولج لام العذار
أسود كالليل في
أبيض مثل النهار

(وأنشدني) العماد أبو حامد قال حكى أن شرف الدين أبا المنذر ابن الوزير عون الدين ابن هبيرة نظر الى القمر في بعض الليالي وهو يدخل تحت السحاب تارة وينكشف أخرى فقال للحاضرين ليقل كل منكم في وصفه شيأ (فقال الاديب مقبل)

كأنما البدر حين يبدو
لنا ويستحجب السحابا
خريدة من بني هلال
لاثت على وجهها نقابا

(وقال شرف الدين)

اذا انطلع بدر التمّ من فرج
دون السحاب وحالت دونه سحب
تخاله في رنيث من ملاءته
خرقاء تسفر أحيانا وتنتقب

وقال عمه الاكرم أبو العباس

وأشعرها فقال ان رأى الامير أن يكتمها على فانها سوءة ثم قال من وقته البيتين السابقين فى ترجمة الفرزدق فى شواهد المقدمة ثم بكى وقال أما والله انى لأعلم انى قليل البقاء بعده ولقد كان نجمنا واحدا وكل واحد منا مشغول بصاحبه وقلما مات ضد او صديق الا تبعه صاحبه فكان كذلك مات بعد سنة قال ابن الجوزى مات سنة احدى عشرة ومائة وكانت وفاته باليمامة وعمر نيفا وثمانين سنة وقال ابن قتيبة فى المعارف ان أمه حملت به سبعة أشهر

(فسقى الغضا والساكنيه وان هم * شبوه بين جوانح وقلوب)

البيت للبحترى وهكذا هو فى ديوانه وان كان فى كثير من نسخ التلخيص بل وفى كثير من كتب هذا الفن بلفظ بين جوانحى وضلوعى وهو من قصيدة من الكامل أولها

كم بالكثيب من اعتراض كثيب * وقوام غصن فى الثياب رطيب
تأبى المنازل أن تجيب ومن جوى * يوم الديار دعوت غير مجيب

وبعده البيت وهى طويلة والغضا شجر معروف واحدته غضاة وأرض غضيانة كثيرته (والشاهد فيه) الاستخدام أيضا فانه أراد بأحد الضميرين الراجعين الى الغضا وهو المجرور فى الساكنيه المكان وهو أرض لبنى كلاب وواد بنجد وبالآخر وهو المنصوب فى شبوه النار أى أوقدوا فى جوانحى نار الغضا يعنى نار الهوى التى تشبه نار الغضا وخص الغضا دون غيره لان جمره بطىء الانطفاء وقد استخدم كثير من الشعراء لفظة الغضا فقال ابن أبى حصينة

أما والذى حج الملبون بيته * فمن ساجد لله فيه وراكع
لقد جرعتنى كأس بين مريرة * من البعد سلمى بين تلك الاجارع
وحلت بأكناف الغضا فكأنما * حشت ناره بين الحشى والاضالع

وقال ابن جابر الاندلسى

ان الغضا لست أنسى أهله فهم * شبوه بين ضلوعى يوم بينهم
جرى العقيق بقلبى بعدما رحلوا * ولو جرى من دموع العين لم ألم

وقال ابن قلاقس الاسكندرى

حلت مطاياهم بملتف الغضا * فكأنما شبوه فى الاكباد

وبديع قول البدر بن لؤلؤ الذهبى

أحمامة الوادى بشرقى الغضا * ان كنت مسعدة الكئيب فرجعى
ولقد تقاسمنا الغضا فغصونه * فى راحتيك وجمره فى أضلعى

ولمؤلفه من قصيدة وحقك انى للرياح لحاسد * فى كل حين بالأحبة تخطر

تمر الصبا عفوا على ساكنى الغضا * وفى أضالعى نيرانه تتسعر
فتذكرنى عهد العقيق وأدمعى * تساقطه والشئ بالشئ يذكر
وتورث عينى السفح حتى ترى به * معالم بالاحباب تزهو وتزهر

ومن الاستخدام البديع قول المعرى يرثى فقيها حنفيا

وفقيه ألفاظه شدن للنعـ * ـمان مالم يشده شعر زياد

وقوله أيضا يصف درعا نثرت من ضمامها القنا الخطى عند اللقاء نثر الكعوب

مثل وشى الوليد لانت وان كا * نت من الصنع مثل وشى حبيب
تلك ماذية وما لذباب السيف والصيف عندها من نصيب

فاستخدم لفظ الذباب فى معنييه الاول طرف السيف والثانى الطائر المعروف ولابن جابر الاندلسى فيه

فى القلب من حبكم بدر أقام به * فالطرف يرداد نورا حين يبصره

عبد الواحد بن محمد بن هبيرة
وكأن هذا البدر حين تظله
سحب فيخفى تارة ويئوب
حسناء تبدو من خلال سجوفها
طورا فتنظر نحونا وتغيب
(وقال ابن ظافر) أخبرنى
أبو عبد الله بن المنجم بما معناه
صعدت الى سطوح الجامع
بمصر فى آخر شهر رمضان
مع جماعة فصادفت الاديب
الاعز أبا الفتوح بن قلاقس
وعلى بن مفرج بن المنجم
وابن مؤمن وشجاعا المغربى
فانضفت اليهم فلما غابت
الشمس وفاتت ودفنت فى
المغرب حين ماتت وتطرز
حداد الظلام بعلم هلاله
وتحلى زنجى الليل بخلخاله
اقترح الجماعة على ابن قلاقس
وابن المنجم أن يصنعا فى صفة
الحال فأطرق كل منهما
مفكرا ومبرزا ما قذفه اليه بحر
خاطره من جواهر المعانى
متحيرا فلم يكن الا كرجعة
طرف أو وثبة طرف حتى
أنشد فكان ما صنعه ابن المنجم
وعشاء كأنما الافق فيه
لازورد مرصع بنضار
قلت لما دنت لمغربها الشمـ
ـس ولاح الهلال للنظار
أقرض الشرق صنوه الغرب دينا
راوأعطاه الرهن نصف سوار
(وكان) الذى صنعه ابن قلاقس
لا تظن الظلام قد أخذ الشمـ
ـس وأعطى النهار هذا الهلالا

تشابه العقد حسنا فوق لبته * والثغر منه اذا ما لاح جوهره

ومن ظريف الاستخدام قول السراج الوراق

دع الهوينى وانتصب واكتسب * واكدح فنفس المرء كداحه
وكن عن الراحة في معزل * فالصفع موجود مع الراحه

استخدم الراحة في معنييها الاول من الاستراحة والثاني من اليد وبديع قول الصفي الحلي

لئن لم أبرقع بالحيا وجه عفتي * فلا أشبهته راحتي في التكرم
ولا كنت ممن يكسر الجفن في الوغى * اذا أنا لم أغضضه عن رأي محرم

ومن الاستخدامات البديعة قول ابن نباتة المصري يمدح النبي صلى الله عليه وسلم

اذا لم تفض عيني العقيق فلا رأت * منازله بالقرب تبهى وتبهر
وان لم تواصل غادة السفح مقلتي * فلا عادها عيش بمغناه أخضر

منها

سقى الله أكناف الغضا سائل الحيا * وان كنت أسقى أدمعا تتحدر
وعيشا نضى عنه الزمان بياضه * وخلفه في الرأس يزهو ويزهر
تغير ذاك اللون مع من أحبه * ومن ذا الذي يا عز لا يتغير
وكان الصبا ليلا وكنت كحالم * فيا أسفي والشيب كالصبح يسفر
يعللني تحت العمامة كتمه * فيعتاد قلبي حسرة حين أحسر
وتنكرني ليلى وما خلت أنه * اذا وضع المرء العمامة ينكر

ومن الاستخدام أيضا قول العلامة عمر بن الوردي رحمه الله تعالى

ورب غزالة طلعت * بقلبي وهو مرعاها
نصبت لها شباكا من * لجين ثم صدناها
وقالت لي وقد صرنا * الى عين قصدناها
بذلت العين فاكحلها * بطلعتها ومجراها

ومنه قول ابن مليك رحمه الله تعالى

فكم ردّ من عين وجاد بمثلها * ولولاه ما ضاءت ولم تك تعذب

وقوله من قصيدة أخرى نبوية

كم ردّ من عين وجاد بها وكم * ضلت به وسقى بها من صادي

ومنه قول الرشيد الفارقي

ان في عينيك معنى * حدث النرجس عنه
ليت لي من غصنها سهـ * ـما ففي قلبي منه

وقد أخذه الشهاب محمود ولم يحسن الاخذ فقال

نازعت عيناه قلبي حبة * لم تك تقبل قبل الانقساما
بالقوى هل علمتم قبلها * أن للاعين في القلب سهاما

اللف والنشر

(كيف أسلو وأنت حقف وغصن * وغزال لحظا وقدا وردفا)

البيت من الخفيف وهو منسوب لابن حيوس ولم أره في ديوانه ولعله لابن حيوس الاشبيلي والحقف بكسر الحاء الرمل العظيم المستدير (والشاهد فيه) اللف والنشر وهو ذكر متعدد على التفصيل أو الاجمال ثم ذكر ما لكل واحد من آحاد المتعدد من غير تعيين ثقة بان السامع يرد ما لكل من آحاد المتعدد الى ما هو له ثم الذي على سبيل التفصيل ضربان لان النشر اما على ترتيب اللف واما على غير ترتيبه كما في البيت هنا وهو ظاهر ومما جاء على الترتيب قول ابن الرومي

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم * في الحادثات اذا دجون نجوم
فيها معالم للهدى ومصابح * تجلو الدجى والاخريات رجوم

وقول بعضهم

ألست أنت الذي من ورد نعمته * وورد راحته أجني وأغترف

انما الشرق أقرض الغرب دينا
فأعطاه رهنه خلخالا

وقطعة ابن النجيم أحسن من قطعة الاعز لتصفيه السوار وعلى كل حال فقد أبدعا ولم يتركا للزيادة في الاحسان موضعا (قال ابن ظافر) وقد جرى لي مثل ذلك مع القاضي الاعز بن أبي الحسن علي بن المؤيد رحمه الله وذلك أنا حضرنا في عشية على بستان مجاور للنيل فرأينا فيه بئرا عليها دولابان يتجاذبان قد دارت أفلاكهما بنجوم القواديس ولعبت بقلوب ناظريهما لعب الاماني بالمفالس وهما يئنان أنين أهل الاشواق ويفيضان ماء أغزر من دموع العشاق والروض قد جلا للاعين زبرجده والاصيل قد راقه فنثر عليه عسجده والزهر قد نظم جواهره في أجياد الغصون والسواقي قد أذالت من سلاسل فضتها كل مصون والنبت قد اخضر شاربه وعارضه وطرف النسيم قد ركضه في ميادين الزهر راكضه ورضاب الماء قد استبرد من الطل في لمى وحيات المجاري حائرة تخاف من زمرذ النبات أن يدركها العمى والنهر قد صقل صيقل النسيم درعه وزعفران العشي قد ألقى

وما أبدع قول ابن شرف القيروانى

جاور عليا ولا تحفل بحادثة * اذا ادّرعت فلا تسأل عن الاسل

سل عنه وانطق به وانظر اليه تجد * ملء المسامع والافواه والمقل

وقد أخذه تاج الدين الذهبى فقال

بدر سما للمجتلى ثغر غنا * للمجتنى بحر طما للمجتدى

سل عنه وادن اليه واستمسك تجد * ملء المسامع والنواظر واليد

وما أزهر قول البهاء زهير ولى فيه قلب بالغرام مقيد * له خبر يرويه طرفى مطلقا

ومن فرط وجدى فى لماه وثغره * أعلل قلبى بالعذيب وبالنقا

وما أحلى قول ابن نباتة المصرى مع زيادة التورية

لا تخف عيلة ولا تخش فقرا * يا كثير المحاسن المختاله لك عين وقامة فى البرايا * تلك غزالة وذى عساله

وقوله أيضا سألته عن قومه فانثنى * يعجب من اسراف دمعى السخى

وابصر المسك وبدر الدجى * فقال ذا خالى وهذا أخى

وبديع قول ابن مكنسة والسكر فى وجنته وطرفه * يفتح وردا ويغض نرجسا

وقد جاء اللف والنشر بين ثلاثة فأكثر فنه قول ابن حيوس

ومقرطق يغنى النديم بوجهه * عن كأسه الملأى وعن ابريقه

فعل المدام ولونها ومذاقها * من مقلتيه ووجنتيه وريقه

وقول حمدة الاندلسية ولما أبى الواشون الا فراقنا * ومالهم عندى وعندك من ثار

وشنوا على أسماعنا كل غارة * وقل حماتى عند ذاك وأنصارى

غزوتهم من مقلتيك وأدمعى * ومن نفسى بالسيف والسيل والنار

وقول ابن نباتة وأجاد الى الغاية

عرّج على حرم المحبوب منتصبا * لقبلة الحسن واعذرنى على السهر

وانظر الى الخال فوق الثغر دون لمى * تجد بلالا يراعى الصبح فى السحر

وبديع قول بعضهم وردومسك ودرّ * خدّ وخال وثغر * لحظ وجفن وغنج

سيف ونبل وسحر * غصن وبدر وليل * قدّ ووجه وشعر

ومنه بين أربعة وأربعة قول الشاعر

ثغر وخدّ ونهد واحمرار يد * كالطلع والورد والرمان والبلح

ومثله قول الشاب الظريف محمد بن العفيف

رأى جسدى والدمع والقلب والحشى * فأضنى وأفنى واستمال وتيما

ولابى جعفر الاندلسى الغرناطى بين خمسة وخمسة

ملك يجىء بخمسة من خمسة * لتى الحسود بها فات لبابه * من وجهه ووقاره وجواده

وحسامه بيديه يوم ضرابه * قمر على رضوى تسير به الصبا * والبرق يلمع من خلال سحابه

ولابن جابر الاندلسى بين ستة وستة

ان شئت ظبيا أو هلالا أو دجى * أو زهر غصن فى الكثيب الاملد

فالحظ هاولوجهها ولشعرها * ولخدّها وللقدّ والردف اقصد

ولنجم الدين البارزى بين سبعة وسبعة

يقطع بالسكين بطيخة ضحى * على طبق فى مجلس لأصاحبه

كبدر ببرق قد تشق شمسا أهلة * لدى هالة فى الافق بين كواكبه

في ذيل الجوردعه فاستحوذ علينا ذلك الموضع استحواذا وملأ أبصارنا حسنا وقلوبنا التذاذا وملنا الى الدولابين شاكين أزمرا حين سجعت قيان الطير بألحانها وشدت على عيدانها أم ذكرا أيام نعمى وطابا وكانا أغصانا رطابا فنفياء عنهما لذة الهجوع ورجعا النوح وأفاضا الدموع طلبا للرجوع وجلسنا نتذاكر ما فى تركيب الدواليب من الاعاجيب وتناشدنا ما وصفت به من الاشعار الغالية الاسعار فأفضى بنا الحديث الذى هو شجون الى ذكر الاعمى التطيلى وقوله فى أسد نحاس يقذف الما

أسد ولو أنى أنا

قشه الحساب لقلت صخره

فكأنه أسد السما

يمج من فيه المجره

فقال لى رحمه الله يتولد من هذا معنى فى الدولاب يأخذ بمجامع المسامع ويطرب الرائى والسامع فتأملته فلئت اطرابا وأوسعت اغرابا وأخذ كل منا ينظم ما جاش به غمر بحره وأنبأه به شيطان فكره فلم يكن الا كنقر العصفور الخائف من الناطور حتى كمل ما أردناه من غير أن يقف أحدنا

وسبقه الى ذلك ابن قلاقس فقال

أتانا الغلام ببطيخة * وسكينة أحكموها صقالا
فقسم بالبرق شمس الضحى * وأعطى لكل هلال هلالا

ومثله قول محاسن الشواء وأجاد

وغلام يحز بطيخة في اللون مثلي وفي المذاقة مثله
لأناس غر على طبق في * مجلس مشرق يشابه أهله
قد بدر شمسا بأفق شهدت الليل في هالة ببرق أهله

وقول الآخر

ولما بدا ما بيننا منية النفس * يحزز بالسكين صفراء كالورس
توهمت بدر التم قد أهلة * على أنجم بالبرق من كرة الشمس

وقول الآخر

خلناه لما حز البطيخ في * اطباقه بصقيلة الصفحات
بدرا بقد من الشموس أهلة * بالبرق بين الشهب في الهالات

وقول البديع الدمشقي في غلام يقطع بطيخا بسكين نصابها أسود

انظر بعينك جوهرا متلألئا * سحرا لفرط بيانه وجماله
قد بقد من الشموس أهلة * بظلام هجرته وفخر وصاله

والسابق الى فتح هذا الباب العسكري حيث يقول

وجامعة لاصناف المعاني * صلحن لوقت اكثار وقله
فمن أدم وريحان ونقل * فلم ير مثلها ساذا محله
فنهاما تشبه بدورا * فان قطعتها رجعت أهله

ولابن مقاتل بين ثمانية وثمانية

خدود وأصداغ وقد ومقلة * وثغر وأرياق ولحن ومعرب
وورد وسوسان وبان ونرجس * وكأس وجريال وجنك ومطرب

والصفي الحلي

وظبي بقفر فوق طرف مفوق * بقوس رمى في النقع وحشا بأسهم
كبدر بأفق فوق برق بكفه * هلال رمى في الليل جنا بأنجم

ولبعضهم بين عشرة وعشرة

شعر جبين محيا معطف كفل * صدغ فم وجنات ناظر ثغر
ليل صباح هلال بانة ونقا * آس اقاح شقيق نرجس در

ولابن جابر بين اثني عشر واثني عشر

فروع سنا قد كلام فم لمى * حلى عنق ثغر شذا مقلة خد
دجى قمر غصن جنى خاتم طلا * نجوم رشا در صبا نرجس ورد

وجل القصد هنا أن يكون اللف والنشر في بيت واحد خاليا من الحشو وعقادة التركيب جامعا بين سهولة اللفظ والمعاني المخترعة (وابن حيوس) بحاء مهملة وياء تحتية مشددة مضمومة وواو ساكنة بعدها سين مهملة هو أبو الفتيان محمد بن سلطان بن محمد بن حيوس الملقب بمصطفى الدولة الشاعر المشهور وهو أحد الشعراء الشاميين المحسنين وفحولهم المجيدين وله ديوان شعر كبير لقي جماعة من الملوك والاكابر ومدحهم وأخذ جوائزهم وكان منقطعا الى بني مرداس أصحاب حلب وله فيهم القصائد الفائقة وقضيته مع الامير جلال الدولة وصمصامها نصر بن محمود بن شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس مشهورة فانه كان قد مدح أباه محمودا فأجازه ألف دينار فلما مات وقام مقامه ولده نصر المذكور قصده ابن حيوس المذكور بقصيدة رائية يمدحه بها ويعزيه عن أبيه أولها

كفى الدين عزا ما قضاه لك الدهر * فمن كان ذا نذر فقد وجب النذر

على ماصنعه الآخر فكان الذي قال

حبذا ساعة المجرة والدو لاب يهدي الى النفوس مسره
أدهم لا يزال يعدو ولكن ليس يعدو مكانه قدر ذره
ذو عيون من القواديس تبدي كل عين من فائض الماء عبره
فلك دائر يرينا نجوما كل نجم منها يرينا المجره

(وكان الذي قلت)

ودولاب يئن أنين ثكلى ولا فقد اشتكاه ولا مضره
ترى الازهار في ضحك اذا ما بكى بدموع عين منه ثره
حكى فلكا تدور به نجوم تؤثر في سرائرنا مسره
يظل النجم يغرب بعد نجم ويطلع بعد ما تجري المجره

فهبنا من اتفاقنا وقضى العجب منا سائر رفاقنا (قال ابن ظافر رحمه الله) ومن هذا الاتفاق أيضا ما أخبرني به ابن المؤيد رحمه الله بمعناه قال اجتمعت مع جماعة من أدباء أهل الاسكندرية في بستان لبعض أهلها خلالما روضا تثنت قامات أشجاره وتغنت قينات أطياره وبين أيدينا بركة ماء تحكي سماء أو رقعة مرآة فنثر عليها بعض الحاضرين ياسمينا زان سماءها بزواهر منيره وأهدى الى لجتها جواهر نثيره فتعاطينا

صبرنا على حكم الزمان الذى سطا * على أنه لولاك لم يكن الصبر
غـزانا ببؤسى لايماثلها الاسى * تقارب نعمى لا يقوم بها الشكر
تباعـدت عنكم حرفة لازهادة * وسرت اليكم حين مسنى الضر
فلاقيت ظل الأمن ماعنه حاجز * يصد وباب العز مادونه ستر
وطـال مقامى فى اسار جميلكم * فدامت معاليكم ودام لى الأسر
وأنجز لى رب السموات وعده الـ * ـكريم بأن العسر يتبعه اليسر
فجاد أبو نصر بألف تصرّمت * وانى عليم أن سيخلفها نصر
لقـد كنت مأمورا ترجى لمثلها * فكيف وطوعا أمرك النهى والامر
ومابى الى الالحاح والحرص حاجة * وقد عرف المبتاع وانفصل السعر
وانى بآمالى لديكم مخيم * وكم فى الورى ثاو وآماله سفر
وعهدك ما أبغى بقولى تصنعا * بأيسر ما توليه يستعبد الحر

فلما فرغ من انشادها قال الامير نصر والله لو قال عوض قوله سيخلفها نصر سيضعفها لأضعفتها له وأعطاه ألف دينار فى طبق فضة وكان اجتمع على باب الامير نصر جماعة من الشعراء وامتدحوه وتأخرت صلته عنهم ونزل بعد ذلك الامير نصر الى دار بولص النصرانى وكانت له عادة بغشيان منزله وعقد مجلس الانس عنده فأتت الشعراء الذين تأخرت جوائزهم الى باب بولص وفيهم ابن الدويدة المعرى الشاعر المعروف فكتبوا ثلاثة أبيات اتفقوا على نظمها وقيل بل نظمها ابن الدويدة المعرى المذكور وصيروا الورقة اليه وفيها الابيات وهى

على بابك المحروس منا عصابة * مفاليس فانظر فى أمور المفاليس
وقد قنعت منك الجماعة كلها * بعشر الذى أعطيته لابن حيوس
ومابيننا هـذا التفاوت كله * ولكن سعيد لا يقاس بمنحوس

فلما وقف عليها الامير نصر أطلق لهم مائة دينار وقال والله لو قالوا بمثل الذى أعطيته لابن حيوس لاعطيتهم مثله وكان الامير نصر سخيا واسع العطاء تملك حلب بعد وفاة أبيه محمود سنة سبع وستين وأربعمائة ولم تطل مدته حتى ثار عليه جماعة من جنده فقتلوه ثانى شوّال سنة ثمان وستين وأربعمائة وكان ابن حيوس المذكور قد أثرى وحصلت له نعمة ضخمة من بنى مرداس فبنى دارا بمدينة وكتب على بابها من شعره

دار بنيناها وعشنا بها * فى نعمة من آل مرداس
قوم نفوا بؤسى ولم يتركوا * علىّ للايام من باس
قل لبنى الدنيا ألا هكذا * فليفعل الناس مع الناس

وقيل ان هذه الابيات لابن أبى حصينة الحلبى وهو الصحيح (وحكى) الحافظ ابن عساكر فى تاريخ دمشق قال أنشدنا أبو القاسم على بن ابراهيم العلوى من حفظه سنة سبع وخمسمائة قال أخذ الامير أبو الفتيان ابن حيوس بيدى وقال اروعنى هذا البيت وهو فى شرف الدولة مسلم بن قريش

أنت الذى نفق الثناء بسوقه * وجرى الندى بعروقه قبل الدم

وهذا البيت فى غاية المدح ومن غرر قصائده السائرة قوله

هو ذاك ربع العامرية فاربع * واسأل مصيفا عافيا عن مربع
واستسق للدمن الخوالى بالحمى * غرّ السحائب واعتذر عن أدمعى
فلقد غـدوت أمام دان هاجر * فى قـربه ووراء ناء مزمع
لو تخبر الركبان عنى حدّثوا * عن مقـلة عبرى وقلب موجع
ردّى لنا زمن الكثيب فانه * زمن متى يرجع وصالك يرجع
لو كنت عالمة بأدنى لوعتى * لرددت أقصى نيلك المسترجع
بل لو قنعت من الغرام بمظهر * عن مضمر بين الحشى والاضلع

القول فى تشبيهه وأطرق كل منا لتحريك خاطره وتنبيهه ثم أظهرنا ما حرّرنا ونشرنا ما حبرنا فأنشد العباس بن طريف الخرّاط الاسكندرى

نثروا الياسمين لما جنوه
عبثا فاستقر فوق الماء
فحسبنا زهر الكواكب تحكى
زهر الارض فى أديم السماء

وأنشد الاديب أبو الحسن على بن سيف الدين الحصرى

نثروا الياسمين لما جنوه
فوق ماء أحبب به من ماء
فحكى زهره لنا اذ تبدّى
زهر الشهب فى أديم السماء

(قال وكان الذى صنعته)

نثروا الياسمين فى لجة الما
ء فخلنا النجوم وسط السماء
فكأن السماء فى باطن الار
ض أو الدرّ طف فوق الماء

(قال) وسمع أبو عبد الله بن الزبير النحوى القصة ولم يكن حاضرا معنا فقال

نثر الغلام الياسمين ببركة
مملوءة من مائها المتدفق
فكأنما نثر النجوم بأسرها
فى يوم صحو فى سماء أزرق

(قال على بن ظافر) وسألنى الاعز رحمه الله تعالى أن أصنع فى مثله فصنعت

زهر الياسمين ينثر فى الما
ء أم الزهر فى أديم السماء
أم هما مبسم شنيب شتيت
فى رضاب الخريدة الحسناء
طل يحكى عقود درّ على صد
رفتاة فى حلة زرقاء

اعتبت اثر تعتب ووصلت غب تجنب وبذلت بعد تمنع

ولو انني انصفت نفسي صنتها * عن ان اكون كطالب لم ينجح

اني دعوت ندى الغرام فلم يجب * فلأشكرن ندى أجاب وما دعي

ومن العجائب والعجائب جمة * شكر بطيء عن ندى متسرع

ومن شعره يمدح سابق بن محمود

يزداد ان قصر الخطى عن غرض * طولا ويمضي اذا احد الحسام نبا

حل السماك وما حلت تمائمه * عن جيده وحبا العافين منذ حبا

حوى من الفضل مولودا بلا طلب * أضعاف ما أعجز الطلاب مكتسبا

طلق المحيا اذا ما زرت مجلسه * حزت الغنى والعلا والبأس والأدبا

ومحاسنه كثيرة وكان أحمد بن محمد الخياط الشاعر قد وصل الى حلب سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة وبها يومئذ ابن حيوس المذكور فكتب اليه ابن الخياط يقول

لم يبق عندي ما يباع بدرهم * وكفاك مني منظري عن مخبري

الا بقية ماء وجه صنتها * عن ان تباع وأين أين المشتري

فقال لو قال ونعم أنت المشتري لكان أحسن وكان مولد ابن حيوس سنة أربع وتسعين وثلثمائة بدمشق وتوفي سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة وابن حيوس الاشبيلي ذكره ابن فضل الله فقال لا يخف له ضرع خاطر ولا يجف له نوء سحاب ماطر لو مس بقريحته الصلد لتفجر أو الجهام لانفجر وحسبك من مرمى غرضه البعيد ما ذكره له ابن سعيد وأورد له في المرقص قوله في أشتر العين لا تفارقه الدمعة

شترت فقلنا زورق في لجة * مالت باحدى دفتيه الريح

فكأنما انسان ماء لاحها * قد خاف من غرق فظل يميح

شاهد

(ان الشباب والفراغ والجده * مفسدة للمرء أي مفسده)

البيت لابي العتاهية من أرجوزته المزدوجة التي سماها ذات الامثال يقال ان له فيها أربعة آلاف مثل فمنها

حسبك مما تبتغيه القوت * ما أكثر القوت لمن يموت

الفقر فيما جاوز الكفافا * من اتقى الله رجا وخافا

هي المقادير فلمني أو فذر * ان كنت أخطأت فما أخطا القدر

لكل ما يؤذي وان قل ألم * ما أطول الليل على من لم ينم

ما انتفع المرء بمثل عقله * وخير ذخر المرء حسن فعله

ان الفساد ضده الصلاح * ورب جد جره المزاح

من جعل النمام عينا هلكا * مبلغك الشر كباغيه لكا وبعده البيت وبعده

يغنيك عن كل قبيح تركه * يرتهن الرأي الاصيل شكه

ما عيش من آفته بقاؤه * نغص عيشا كله فناؤه

يارب من أسخطنا بجهده * قد سرنا الله بغير حمده

ما تطلع الشمس ولا تغيب * الا لامر شأنه عجيب

لكل شيء قدر وجوهر * وأوسط وأصغر وأكبر

فكل شيء لاحق بجوهره * أصغره متصل بأكبره

ما زالت الدنيا لنا دار أذى * ممزوجة الصفو بأنواع القذى

الخير والشر بها أزواج * لذا نتاج ولذا نتاج

من لك بالمحض وكل ممتزج * وساوس في الصدر منك تختلج

من لك بالمحض وليس محض * يخبث بعض ويطيب بعض

لكل انسان طبيعتان * خير وشر وهما ضدان

والخير والشر اذا ما عدا * بينهما بون بعيد جدا

انك لو تستنشق الشحيحا * وجدته أنتن شيء ريحا

عجبت حتى غمني السكوت * صرت كأني حائر مبهوت

كذا قضى الله فكيف أصنع * والصمت ان ضاق الكلام أوسع

وهي طويلة جدا وهذا الانموذج كاف منها والجدة الاستغناء والمفسدة الخلة الداعية الى الفساد

(والشاهد

واذا خلته حبابا حسبت السماء طيبا كالقهوة الصهباء

(وهذا) آخر ما وقع لي مما فيه توارد في المعاني وتوافق في المباني (ومما يشبه هذا الباب) أن يتفق الشعراء على نظم معنى مخصوص أنبأنا العماد أبو حامد الاصبهاني اجازة قال صنع الشريف أبو المحاسن ابن الشريف ضياء الدين فضل الله بن علي بن عبد الله الحسني الراوندي القاشاني في تعريب شعر أعجمي

اني لاحسد فيه المشط والنشفه
لذاك فاضت دموع العين مختلفه

هذا يعلق في صدغيه أنمله
وذا يقبل رجليه بألف شفه

قال وتسامع الناس بهذا المعنى فاجتمع على العمل فيه جماعة منهم شمس الدين شاد الغزنوي وكان حينئذ باصبهان فقال

اني أغار على مشط يعالجه
ونشفة حظيت من قربه زمنا

هذا يغازل صدغيه وأسرمه
وذا يقبل رجليه ولست أنا

(وقال أيضا)

المشط والنشفة المحمود شأنهما
كلاهما في الهوى بالسعد ملحوظ

فتلك بالاثم من رجليه فائزة
وذاك بالمسك من صدغيه محظوظ

(وقال فخر الدين القسام)

أغار منه على مشط ومنشفة
حتى أغص بدمع فيه منسجم

(والشاهد فيه) الجمع وهو الجمع بين متعدد في حكم وهو ظاهر في البيت وما أحسن قول الصفي الحلي فيه

آراؤه وعطاياه ونعمته * وعفوه رحمة للناس كلهم

ومنه قول ابن حجة مع تسمية النوع

آدابه وعطاياه ورأفته * سجية ضمن جمع فيه ملتئم

وقول ابن جابر الاندلسي

قد أحرز السبق والاحسان في نسق * والعلم والحلم قبل الدرك للحلم

وأبو العتاهية هو اسمعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان مولى عنزة وكنيته أبو اسحق وأبو العتاهية كنية غلبت عليه لانه كان يحب الشهرة والمجون فكنى لعتوه بذلك وقيل ان المهدي قال له يوما أنت انسان متعته متحذلق فاستوت له من ذلك كنية ويقال للرجل المتحذلق عتاهية وفيه يقول أبو قابوس النصراني وقد بلغه أنه فضل عليه العتابي

قل للمكنى نفسه * متخيرا بعتاهيه والمرسل الكلم القبيح وعنه أذن واعيه

ان كنت سرا سؤتني * أو كان ذاك علانيه فعليك لعنة ذي الجلا * ل وأم زيد زانيه

وأم زيد هي أم أبي العتاهية ومنشأه بالكوفة وكان في أول أمره يتخنث ويحمل زاملة المخنثين ثم كان يبيع الفخار بالكوفة ثم قال الشعر فبرع فيه وتقدم ويقال أطبع الناس بالشعر بشار والسيد الحميري وأبو العتاهية وما قدر أحد قط على جمع شعر هؤلاء الثلاثة بأسره لكثرته وكان غزير البحر كثير المعاني لطيفها سهل الالفاظ كثير الافتنان قليل التكلف الا أنه كثير الساقط المرذول مع ذلك وأكثر شعره في الزهد والامثال وكان قوم من أهل عصره ينسبونه الى القول بمذهب الفلاسفة ممن لا يؤمن بالبعث والنشور ويحتجون بأن شعره انما هو في ذكر الموت والفناء دون ذكر النشور والمعاد (وحدث) الخليل بن أسد النوشجاني قال أتانا أبو العتاهية الى منزلنا فقال زعم الناس أني زنديق والله ما ديني الا التوحيد فقلنا له قل شيأ نتحدث به عنك فقال

ألا اننا كلنا بائد * وأي بني آدم خالد
وبدؤهم كان من ربهم * وكل الى ربه عائد
فيا عجبا كيف يعصى الا * له أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شئ له آية * تدل على أنه واحد

وكان من أبخل الناس مع يساره وكثرة ما جمعه من الاموال (وحدث محمد بن عيسى الخرقي) قال وقف عليه ذات يوم سائل من العيارين الظرفاء وجماعة من جيرانه حواليه فسأله دونهم فقال له صنع الله لك فأعاد السؤال فرد عليه فأعاد الثالثة فغضب وقال له ألست الذي يقول

كل حي عند ميتته * حظه من ماله الكفن

قال نعم قال فبالله عليك أتريد أن تعد مالك كله لثمن كفنك قال لا قال فبالله كم قدرت لكفنك قال خمسة دنانير قال فاعمل على أن دينارا من الخمسة وضيعته قيراط وادفع الي قيراطا واحدا والا فواحدة أخرى قال وما هي قال القبور تحفر بثلاثة دراهم فاعطني درهما وأقيم لك كفيلا بأني أحفر لك به قبرك متى مت وتربح درهمين لم يكونا في حسابك فان لم أحفر رددته على ورثتك أو رده كفيلي عليهم فخجل أبو العتاهية وقال أغرب لعنك الله وغضب عليك وضحك جميع من حضر ومر السائل يضحك فالتفت الينا أبو العتاهية وقد اغتاظ فقال من أجل هذا وأمثاله حرمت الصدقة فقلنا له ومن حرمها ومتى حرمت فما رأيت أحدا ادعى أن الصدقة حرمت قبله ولا بعده وقال قلت لابي العتاهية أتزكي مالك فقال والله ما أنفق على عيالي الا من زكاة مالي فقلت له سبحان الله انما ينبغي لك أن تخرج زكاة مالك للفقراء والمساكين فقال لي لو انقطعت عن عيالي زكاة مالي لم يكن في الارض أفقر منهم (وحدث أيضا) قال كنت جارا لابي العتاهية وكان له جار يلتقط النوى ضعيف سيئ الحال متجمل عليه ثياب فكان يمر بأبي العتاهية طرفي النهار فيقول أبو العتاهية اللهم أعنه على ما هو بسبيله شيخ ضعيف سيئ الحال عليه ثياب متجمل اللهم اصنع له اللهم بارك فيه فبقي على هذا الى

فذا يعقد يديه خوطرته
وذي يقبل فوها صفحة القدم
(قال العماد) وعملت وأنا في سن الصبا وشعري حينئذ لا أرضاه
مشط ومنشفة فيه حسدتهما
دمعي لذا بهما فياض عارضه
فتلك حاظية من مس اخمصه
وذاك مستغرق في مسك عارضه
(وأخبرني بعض أصحابنا المصريين) أن بعض جلساء الصالح بن رزيك أنشد بمجلسه بيتا من الاوزان التي يسميها المصريون الزكالش ويسميها العراقيون كان وكان
النار بين ضلوعي
وانا غريق في دموعي
كني فتيلة قنديل
أموت غريق وحريق
وكان عنده القاضي الجليس أبو المعالي عبد العزيز بن الحباب والقاضي المهذب ابن الزبير فتقدم اليهما بنظم معناه فصنعا بديهما فكان ما صنعه الجليس
هل عاذران رمت خلع عذاري
في شم سالفة ولثم عذار
تتالف الاضداد فيه ولم تزل
في سالف الايام ذات نفار
وله من الزفرات لفح صواعق
وله من العبرات لج بحار
كذبالة القنديل قدر هلكها
ما بين ماء في الزجاج ونار
(وكان) ما صنعه ابن الزبير

أن مات الشيخ نحوا من عشرين سنة لا والله ان تصدق عليه بدرهمين ولا دانق قط وما كان زاده على الدعاء شيأ فقلت له يا أبا اسحق انى أراك تكثر الدعاء لهذا الشيخ وتزعم أنه فقير معيل فلم لا تتصدق عليه بشئ فقال أخشى أن يعتاد الصدقة وهى آخر مكاسب العبد وان فى الدعاء خيرا كثيرا (وقال الجاحظ) حدثنى ثمامة ابن أشرس قال دخلت يوما على أبى العتاهية فاذا هو يأكل خبزا بلا شئ فقلت له كالمنكر كأنك رأيته يأكل خبزا وحده فقال لا ولكنى رأيته يتأدم بلا شئ فقلت وكيف ذلك فقال رأيت قدامه خبزا يابسا من دقاق فطير وقد حافيه حليب فكان يأخذ القطعة من الخبز فيغمسها فى اللبن ويخرجها فلم تتعلق منه بقليل ولا كثير فقلت له كأنك اشتهيت أن تتأدم بلا شئ ومارأيت أحدا قبله تأدم بلا شئ وقال ثمامة أنشدنى أبو العتاهية

اذا المرء لم يعتق من المال نفسه * تملكه المال الذى هو مالكه
ألا انما مالى الذى أنا منفق * وليس لى المال الذى أنا تاركه
اذا كنت ذا مال فبادر به الذى * يحق والا استهلكته مهالكه

فقلت له من أين قضيت بهذا قال من قوله صلى الله عليه وسلم انما لك من مالك ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو أعطيت فأمضيت فقلت أتؤمن بأن هذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه الحق قال نعم قلت فلم تحبس عندك سبعا وعشرين بدرة فى دارك لا تأكل منها ولا تشرب ولا تزكى ولا تقدمها ذخرا ليوم فقرك وفاقتك قال يا أبا معن والله ان ما قلت لحق ولكنى أخاف الفقر والحاجة الى الناس قلت وما يزيد حال من افتقر على حالك وأنت دائم الحزن لا تأكل ولا تشرب منها دائم الجمع شحيح على نفسك لا تشترى اللحم الا من عيد الى عيد فترك جواب كلامى كله ثم قال لى والله لقد اشتريت فى يوم عاشوراء لحما وتوابله وما يتبعه بخمسة دراهم فلما قال لى هذا القول أضحكنى حتى أذهلنى عن جوابه ومعاتبته وأمسكت عنه وعلمت أنه ليس ممن شرح الله صدره للاسلام وقيل له مالك تبخل بما رزقك الله تعالى فقال والله ما بخلت بما رزقنى الله قط قيل له فكيف ذلك وفى بيتك من المال ما لا يحصى قال ليس ذلك رزقى ولو كان رزقى لأنفقته (وحدث) أبو العتاهية قال أخرجنى المهدى معه الى الصيد فوقعنا منه على شئ كثير وتفرق أصحابه فى طلبه وأخذ هو فى طريق آخر غير طريقهم فلم يلتقوا وعرض لنا وادجرار عظيم وتغيمت السماء وبدأت بمطر فتحيرنا وأشرفنا على الوادى واذا فيه ملاح يعبر الناس فلجأنا اليه وسألناه عن الطريق فجعل يضعف رأينا ويعجزنا فى بذل أنفسنا فى ذلك الغيم والمطر للصيد حتى أبعدنا ثم أدخلنا كوخا له وكاد المهدى يموت بردا فقال له أغطيك بجبتى هذه الصوف فقال نعم فغطاه بها فتماسك قليلا ونام وافتقده غلمانه وتبعوا أثره حتى جاؤنا فلما رأى الملاح كثرتهم علم أنه الخليفة فهرب وتبادر الغلمان فنحوا الجبة عنه وألقوا عليه الخز والوشى فلما انتبه قال لى ويحك ما فعل الملاح فوالله لقد وجب حقه علينا فقلت والله هرب خوفا مما خاطبنا به قال انا لله وانا اليه راجعون والله لقد أردت أن أغنيه وبأى شئ خاطبنا نحن والله مستحقون لأضعاف ما خاطبنا به بحياتى عليك الا ما هجوتنى فقلت يا أمير المؤمنين كيف تطيب نفسى بأن أهجوك قال والله لتفعلن فاننى ضعيف الرأى مغرم بالصيد فقلت

يا لابس الوشى على ثوبه * ما أقبح الاشيب بالراح

فقال زدنى بحياتى عليك فقلت

لو شئت أيضا جلت فى خامة * وفى وشاحين وأوضاح

فقال ويلك هذا معنى سوء يرويه عنك الناس وأنا أستأهل زدنى شيأ آخر فقلت أخاف أن تغضب فقال لا والله فقلت

كم من عظيم القدر فى نفسه * قد نام فى جبة ملاح

فقال معى سوء عليك لعنة الله وقمنا فركبنا وانصرفنا (وعن الحسن بن عابد) قال كان أبو العتاهية يحج فى كل سنة فاذا قدم أهدى للمأمون بردا وقطريا ونعلا سوداء ومساويك أراك فيبعث اليه بعشرين ألف درهم فأهدى له مرة كما كان يهدى كل سنة اذا قدم فلم يثبه ولا بعث اليه بالوظيفة فكتب اليه أبو العتاهية يقول

كأنى وقد سالت سيول مدامعى
فأذكت حريقا فى الحشا والترائب
ذبالة قنديل تعوم بمائها
وتشعل فيها النار من كل جانب

(وصنع الصالح)

واذا تشب النار بين أضالعى
قابلتها من عبرتى بسيول
فأنا الحريق بل الغريق أموت فى
هذا وذا كذبالة القنديل

(قال على بن ظافر) أخبرنى الامير الاجل عضد الدين مرهف بن اسامة بن منقذ قال كان لى مملوك اسمه ياقوت فقصدت أنا وابن عمى عبد الرحمن بن محمد نظم المعنى المشهور من أن النار لا تعدو على الياقوت فكان الذى قلته

أسكنته قلبى وأصبح حبه
من دون أقوات البرية قوتى
قالوا وكيف يقيم من أحببته
فى نار قلب بالجوى منعوت
فأجبتهم لا تعجبوا المقامه
د لنار ليس تضر بالياقوت

(وكان الذى قاله ابن عمى)

ياعجبا للذى كلفت به
تدنيه منى ان غاب أفكارى
يسكن قلبا من الجحيم ويز
داد ضراما بدمعى الجارى
لا تعجبوا منه حين يسكنه
فما يبالى الياقوت بالنار

(الفصل الثانى فيما لم يقع فيه توارد)

خبرونى

خبروني ان من ضرب السنه * جددا بيضا وصفرا حسنه

أحدثت لكنني لم أرها * مثل ما كنت أرى كل سنه

قال فأمر المأمون بحمل العشرين ألفا اليه وقال أغفلناه حتى أذكرنا (وحدّث) أبو عكرمة قال كان الرشيد اذا رأى عبد الله بن معن بن زائدة يتمثل بقول أبي العتاهية

أخت بني شيبان ان مرّت بنا * ممشوطة كورا على بغل

وهذا البيت من أبيات لأبي العتاهية يهجو بها عبد الله المذكور وبعده

تكنى أبا الفضل ومن ذا رأى * جارية تكنى أبا الفضل * قد نقطت في وجهها نقطة

مخافة العين من الكحل * ان زرتموها قال حجابها * نحن عن الزوار في شغل

مولاتنا مشغولة عندها * بعل ولا اذن على البعل * يا بنت معن الخير لا تجهلي

وأين تقصير عن الجهل * أتجلد الناس وأنت امرؤ * تجلد في دبرك والقبل

ما ينبغي للناس أن ينسبوا * من كان ذا جود الى البخل * يبذل ما يمنع أهل الندى

هذا لعمري منتهى البذل * ما قلت هذا فيك الا وقد * جفت به الاقلام من قبلي

قال فبعث اليه عبد الله بن معن فأتي به فدعا غلمانا له ثم أمرهم أن يركبوا منه الفاحشة ففعلوا ذلك ثم أجلسه وقال له قد جزيتك على قولك فهل لك بعد هذا في الصلح ومعه مركب وعشرة آلاف درهم أو تقيم على الحرب وما ترى قال بل الصلح قال فأسمعني ما تقوله في معنى الصلح فقال

مالعذالي ومالي * أمروني بالضلال عذلوني في اعتقادي * لابن معن واحتمالي

ان يكن ما كان منه * فبجرمي وفعالي أنا منه كنت أسوا * عبرة في كل حال

مالمن يعجب من حسن رجوعي ومقالي * رب ودّ بعد صدّ * وهوى بعد تقالي

قد رأينا ذا كثيرا * جاريا بين الرجال انما كانت عيني * لطمت مني شمالي

وكان أبو العتاهية في حداثته يهوى امرأة من أهل الحيرة نائحة لها حسن ودمامة وكان ممن يهواها أيضا عبد الله بن معن وكانت مولاة لهم يقال لها سعدى تهواها وكانت صاحبة حبائب وكان أبو العتاهية مولعا بالنساء فقال فيها

ألا يا ذوات السحق في الغرب والشرق * أفقن فان النيك أشهى من السحق

أفقن فان الخبز بالأدم يشتهى * وليس يسوغ الخبز بالخبز في الحلق

أراكنّ ترقعن الخروق بمثلها * وأيّ لبيب يرقع الخرق بالخرق

وهل يصلح المهراس الا بعوده * اذا احتيج منه ذات يوم الى الدق

وقال فيها أيضا قلت القلب اذ طوى وصل سعدى * لهواه البعيدة الاسباب

أنت مثل الذي يفرّ من القطـ * ـر حذار الندى الى الميزاب

فغضب ابن معن لسعدى فضرب أبا العتاهية مائة فقال فيه

جلدتني بكفها * بنت معن بن زائده جلدتني بكفها * بأبي تلك جالده

وتراها مع الخصيّ على الباب قاعده * تتكنى كنى الرجا * ل لعمد مكائده

جلدتني وبالغت * مائة غير واحده أجلديني أجلدي أجلدي * انما أنت والده

وقال في ضربه اياه أيضا ضربتني بكفها بنت معن * أوجعت كفها وما أوجعتني

ولعمري لولا أذى كفها اذ * ضربتني بالسوط ما تركتني

(وحدّث) أحمد بن أبي فنن قال كنا عند ابن الاعرابي فذكر قول يحيى بن نوفل في عبد الملك بن عمير القاضي وهو

اذا كلمته ذات دار لحاجة * فهم بأن يقضي تنحنح أو سعل

وان عبد الملك بن عمير قال تركني والله وان السعلة لتعرض لي في الخلاء فأذكر قوله قال فقلت هذا ابن معن

(فمن ذلك) ما أخبرني الفقيه أبو الحسن علي بن فاضل ابن جمدون الصوري عن الامام الحافظ أبي طاهر السلفي رحمه الله عن أبي غالب شجاع الذهلي قال قال لنا أبو منصور بن أبي الصوء العلوي كنت في قرية يقال لها بشيناو بها أبو محمد الباقي وهناك ناعورتان الزرع فقال فيهما وأنا حاضر

أناعور في شطي بشيناء انني * نظير كما في الوجد والهيمان

أنينكما يحكي أنيني وعبرتي * كأنكما في شدة الجريان

ولا لتماني خفض عيش بعده * أمان من التفريق والحدثان

(وعملت أنا في الحال)

بشيناها ناعورتان كلاهما * تسح بدمع دائم الهملان

مخافة دهر أن يصيب بعينه * لاحداهما يوما فيفترقان

(وذكر أبو علي بن رشيق في كتاب الانموذج) قال كان لمحمد بن حبيب التنوخي معشوق لا يزال يزوره فاذا غاب عن منزله فاذا حضر لم يأته وكثر ذلك منهم فقال لي يوما تعال حتى نصنع في ذلك فصنعت

ما بالنا نجني فلا نوصل * الا خلا فامثل ما تفعل

تأتي اذا غبنا فان لم نغب * جعلت لا تأتي ولا تسأل

كهاجر أحبابه زائر * أطلالهم من بعد أن يرحلوا

(وصنع هو)

ابن زائدة يقول له أبو العتاهية

فصغ ما كنت حليت * به سيفك خلخالا فما تصنع بالسيف * اذا لم تك قتالا

فقال عبد الله ما لبست السيف قط فلمحني انسان الا قلت يحفظ شعر أبي العتاهية فيّ فينظر الىّ بسببه فقال ابن الاعرابى اعجبوا لهذا العبديّ يهجو مولاه وكان أبو العتاهية من موالى بنى شيبان (وحدّث) المدائنى قال اجتمع أبو نواس وأبو الشمقمق فى بيت ابن أذين وجاء أبو العتاهية وكان بينه وبين أبى الشمقمق شرّ فخبأه من أبى العتاهية فى بيت ودخل أبو العتاهية فنظر الى غلام عندهم فيه تأنيث فظنه جارية فقال لابن أذين متى استظرفت هذه الجارية قال قريبا يا أبا اسحق فقل فيها ما حضر فمدّ أبو العتاهية يده اليه وقال

مددت كفى نحوكم سائلا * ماذا تردون على السائل

فلم يلبث أبو الشمقمق حتى ناداه من داخل البيت بهذا البيت

تردفى كفك ذا فيشة * يشفى جوى فى استك من داخل

فقال أبو العتاهية الشمقمق والله وقام مغضبا وقال أبو العتاهية حبسنى الرشيد لما تركت قول الشعر فأدخلت السجن وأغلق الباب علىّ فدهشت كما يدهش مثلى لتلك الحال فاذا أنا برجل جالس فى جانب الحبس مقيد فجعلت أنظر اليه ساعة ثم تمثل وقال

تعوّدت مس الضرّ حتى ألفته * وأسلمنى حسن العزاء الى الصبر

وصيرنى ياسى من الله راجيا * لحسن صنيع الله من حيث لا أدرى

فقلت له أعد أعزك الله هذين البيتين فقال لى ويلك يا أبا العتاهية ما أسوأ أدبك وأقل عقلك دخلت علىّ الحبس فما سلمت تسليم المسلم على المسلم ولا سألت مسئلة الحرّ للحرّ ولا توجعت توجع المبتلى للمبتلى حتى اذا سمعت بيتين من الشعر الذى لا فضل فيك غيره لم تصبر عن استعادتهما ولم تقدم قبل مسألتهما عذرا لنفسك فى طلبهما فقلت يا أخى انى دهشت لهذا الحال فلا تعذلنى واعذرنى متفضلا بذلك فقال والله أنا أولى بالدهش والحيرة منك لانك حبست فى أن تقول الشعر الذى به ارتفعت وبلغت ما بلغت فاذا قلت أمنت وأنا مأخوذ بأن أدل على ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتل أو أقتل دونه ووالله لا أدل عليه أبدا والساعة يدعى بى فأقتل فأينا أحق بالدهش فقلت أنت والله أولى سلمك الله وكفاك ولو علمت أن هذه حالك ما سألتك فقال لا نبخل عليك اذن ثم أعاد البيتين حتى حفظتهما فسألته من هو قال أنا حاضر داعية عيسى بن زيد وابنه أحمد ولم نلبث أن سمعت صوت الاقفال فقام فسكب عليه ماء كان عنده فى جرّة ولبس ثوبا نظيفا ودخل الحرس والجند معهم الشمع فأخرجنا جميعا وقدّم قبلى الى الرشيد فسأله عن أحمد بن عيسى فقال لا تسألنى عنه واصنع ما أنت صانع فلو أنه تحت ثوبى هذا ما كشفت عنه فأمر بضرب عنقه فضربت ثم قال لى أظنك ارتعت يا اسمعيل فقلت دون ما رأيته تسيل منه النفوس فقال ردّوه الى محبسه فرددت وانتحلت البيتين وزدت فيهما

اذا أنا لم أقبل من الدهر كل ما * تكرّهت منه طال عتبى على الدهر

وكان أبو العتاهية مشتهرا بحب عتبة جارية المهدى وأكثر نسيبه فيها فمن ذلك قوله وكتب به الى المهدى يعرّض بها

نفسى بشئ من الدنيا معلقة * والله والقائم المهدى يكفيها

انى لأيأس منها ثم يطمعنى * فيها احتقارك للدنيا وما فيها

فهمّ المهدى بدفع عتبة اليه فخرجت وقالت يا أمير المؤمنين مع حرمتى وخدمتى أتدفعنى الى قبيح المنظر بائع جرار ومكتسب بالعشق فأعفاها وكان قد كتب البيتين على حواشى ثوب مطيب ووضعه فى برنية ضخمة فقال المهدى املؤا له البرنية مالا فقال الكتاب أمر لى بدنانير قالوا ما ندفع اليك ذلك ولكن ان شئت أعطيناك الدراهم الى أن يفصح بما أراد فاختلف فى ذلك حولا فقالت عتبة لو كان عاشقا كما يزعم لم يكن يختلف منذ حول فى التمييز بين الدراهم والدنانير وقد أضرب عن ذكرى صفحا وجلس أبو العتاهية يوما يعذل أبا نواس ويلومه على استماع الغناء ومجالسته لاصحابه فقال له أبو نواس

يا تاركا انى لم أغب زورتى
وزائرى دأبا اذا غبت
وددت أن ودّك لا ينثنى
يزور فقدانى لو مت

(قال على بن ظافر) وذكرت بهاتين القطعتين قول ابن خفاجة الاندلسى فى مثل هذه الواقعة وهو أحسن ما سمعت فيها

صح الهوى منك ولكننى
أعجب من بين لنا يقدر
كأننا فى فلك دائر
فأنت تخفى وأنا أظهر

(قال ابن رشيق) وكان كثيرا ما ينتابنى غلام وضىء الوجه ذو خال تحت لحيه فنظر اليه يوما بعض أصحابى ثم أطرق فعلمت انه يعمل فيه فصنعت بيتين وسكت عنهما خوف الوقوع دونه فلما رفع رأسه قال اسمع وأنشد

يقولون لى من تحت صفحة خدّه
تنزل خال كان مسكنه الخدّ
فقلت رأى ذاك الجمال فهابه
فخط خضوعا مثل ما خضع العبد

فقلت أحسنت ولكن اسمع وأنشدت

حبذا الخال كامنا منه بين
الجيد والخدّ ترقبة وحذارا
رام تقبيله اختلاسا ولكن
خاف من سيف لحظه فتوارى

فقال فضحتنى (وذكر الباخرزى فى كتاب الدمية) انه اجتمع هو وأبو عاصم

أترانى ياعتاهى * تاركا تلك الملاهى
أترانى مفسدا بالنسك عند القوم جاهى

فوثب أبو العتاهية وقال لا بارك الله عليك وجعل أبو نواس يضحك (وحدّث) مخارق قال جاءنى أبو العتاهية يوما فقال لى قد عزمت على أن أتزوّد منك يوما تهبه لى فتى تنشط لذلك فقلت متى شئت قال انى أخاف أن تقطع بى فقلت لا والله ولو طلبنى الخليفة فقال يكون ذلك فى غد فقلت افعل فلما كان من الغد باكرنى رسوله فجئته فأدخلنى بيتا له نظيفا فيه فرش نظيف ثم دعا بمائدة وعليها خبز سميذ وخل وبقل وملح وجدى مشوى قال فأكلنا منها حتى اكتفينا ثم دعا بسمك مشوى فأصبنا منه أيضا ثم دعا بفراخ ودجاج وفراريج مشوية فأكلنا منها حتى اكتفينا ثم أتونا بحلواء فأصبنا منها وغسلنا أيدينا ثم جاؤا بفاكهة وريحان وألوان من الانبذة فقال لى اختر ما يصلح لك فاخترت وشربت وصب قدحا ثم قال غن لى قولى

أحمد قال لى ولم يدر مابى * أتحب الغداة عتبة حقا

فغنيته فشرب أقداحا وهو يبكى أحر بكاء ثم قال غننى فى قولى

ليس لمن ليست له حيلة * موجودة خير من الصبر

فغنيته وهو ينتحب ويبكى ثم قال غننى فديتك فى قولى

خليلىّ مالى لا تزال مضرّتى * تكون مع الاقدار حتما من الحتم

فغنيته اياه ومازال يقترح علىّ كل صوت غنى به فى شعره ويقول غننى به فأغنيه ويشرب ويبكى حتى صارت العتمة فقال لى أحب أن تصبر حتى ترى ما أصنع فجلست فأمر ابنه وغلامه فكسرا كل ما كان بين أيدينا من النبيذ وآلات الملاهى ثم أمر باخراج كل ما كان فى بيته من النبيذ وآلاته فمازال يكسره ويصب النبيذ وهو يبكى حتى لم يبق من ذلك شئ ثم نزع ثيابه واغتسل ولبس ثيابا بياضا من الصوف ثم عانقنى وبكى وقال عليك السلام ياحبيبى وفرحى من الناس كلهم سلام الفراق الذى لا لقاء بعده وجعل يبكى ويقول هذا آخر عهدك بى فى حال تعاشر أهل الدنيا فظننت انها بعض حماقاته فانصرفت فما لقيته زمانا ثم تشوّقته فأتيته فاستأذنت عليه فأذن لى فدخلت فاذا هو قد أخذ قوصرّتين وثقب احداهما وأدخل رأسه ويديه فيها وأقامها مقام القميص وثقب أخرى وأخرج رجليه منها وأقامها مقام السراويل فلما رأيته نسيت ما كان عندى من الغم عليه والوحشة لعشرته وضحكت والله ضحكا ما ضحكت مثله قط فقال لى من أى شئ تضحك لا ضحكت فقلت أسخن الله عينيك هذا أى شئ هو من بلغك عنه انه فعل مثل هذا من الانبياء أو الزهاد أو الصحابة أو التابعين أو المجانين انزع عنك هذا ياسخين العين فكأنه استحيا منى ثم بلغنى عنه انه جلس حجاما فجهدت أن أراه بتلك الحالة فلم أره ثم مرض فبلغنى انه اشتهى أن أغنيه فأتيته عائدا فخرج الىّ رسوله يقول ان دخلت جدّدت لى حزنا وتاقت نفسى الى سماعك والى ما قد غلبتها عليه وأنا أستودعك الله وأعتذر اليك من ترك الالتقاء ثم كان آخر عهدى به وقيل لابى العتاهية عند الموت ما تشتهى فقال أشتهى أن يجئ مخارق فيضع فمه على أذنى ثم يغنيني

ستعرض عن ودّى وتنسى مودّتى * ويحدث بعدى للخليل خليل
اذا ما انقضت عنى من الدهر مدّتى * فان غناء الباكيات قليل

(وحدّث) محمد بن أبى العتاهية قال آخر شعر قاله أبى فى مرضه الذى مات فيه

الهى لا تعذبنى فانى * مقر بالذى قد كان منى
فمالى حيلة الا رجائى * لعفوك ان عفوت وحسن ظنى
وكم من زلة لى فى الخطايا * وأنت علىّ ذو فضل ومنّ
اذا فكرت فى ندمى عليها * عضضت أناملى وقرعت سنى
أجن بزهرة الدنيا جنونا * وأقطع طول عمرى بالتمنى
ولو أنى صدقت الزهد عنها * قلبت لاهلها ظهر المجن

الفضل بن محمد الفضيلى الهروى فى مجلس الامام عبد الله الانصارى قال وكان غاية فى الكلام على المنبر فتعاطينا القول فيه فقال الفضيلى

عيون الناس لا تلقى * من الناس كعبد الله
ولا ينكر هذا غير * من مال عن الله

(فقال الباخرزى) مجلس الاستاذ عبد الله روض العارفينا
ألحق الفخر بنابه * داحتكام العارفينا

(قال على بن ظافر) وذكر الفتح بن خاقان ما معناه قال ركب عبد الجليل بن وهبون المرسى وأبو الحسن الحكم بن محمد المعروف بغلام البكرى زورقا بنهر اشبيلية فى ليلة أظلم من قلب الكافر وأشد سوادا من طرف الظبى النافر ومعهما غلام وضىء قد أطلع وجهه البدر ليلة تمامه على غصن بان من قوامه وبين أيديهم شمعتان قد أزرتا بنجوم السماء وهزمتا رداء الظلماء وموّهتا بذهب نورهما لجين الماء فقال عبد الجليل ارتجالا

كأنما الشمعتان اذ سمتا * حذا غلام محاسن الغيد
وفى حشا النهر من شعاعهما * طريق نار الهوى الى كبدى

يظن الناس بي خيرا وأني * لشر الناس ان لم تعف عني

ومحاسنه كثيرة وكان الاصمعي يستحسن قوله

أنت ما استغنيت عن صا * حبك الدهر أخوه فاذا احتجت اليه * ساعة مجك فوه

(وحدث ابن الانباري أبو بكر) قال أرسلت زبيدة أم الامين الى أبي العتاهية أن يقول على لسانها أبياتا بعد قتل الامين يستعطف بها المأمون فأرسل اليها هذه الابيات

ألا ان صرف الدهر يدني ويبعد * ويمتع بالالاف طورا ويفقد

أصابت بريب الدهر مني يدي يدي * فسلمت للاقدار والله أحمد

وقلت لريب الدهر ان هلكت يد * فقد بقيت والحمد لله لي يد

اذا بقي المأمون لي فالرشيد لي * ولي جعفر لم يفتقد ومحمد

قال فلما قرأها المأمون استحسنها وسأل عن قائلها فقيل له أبو العتاهية فأمر له بعشرة آلاف درهم وعطف على زبيدة وزاد في تكرمتها وقضى حوائجها جميعا (وحدث) عمر بن أبي شيبة قال مر عابد براهب في صومعة فقال له عظني قال أعظك وعليكم نزل القرآن ونبيكم محمد صلى الله عليه وسلم قريب العهد بكم قلت نعم قال فاتعظ ببيت من شعر شاعركم أبي العتاهية حيث يقول

تجرد من الدنيا فانك انما * وقعت الى الدنيا وأنت مجرد

ومن شعر أبي العتاهية قوله

بادر الى اللذات يوما أمكنت * بحلولهن بوادر الآفات

كم من مؤجل لذة قد أمكنت * لغد وليس غد له بمؤات

حتى اذا فاتت وفات طلابها * ذهبت عليها نفسه حسرات

تأتي المكاره حين تأتي جملة * وأرى السرور يجيء في الفلتات

ومنه قول بعضهم أي شيء يكون أعجب أمرا * ان تفكرت من صروف الزمان

عارضات السرور توزن فيه * والبلايا تكال بالقفزان

ومن شعره أيضا قوله

واذا انقضى هم امرئ فقد انقضى * ان الهموم أشدهن الأحدث

ويومي الى هذا المعنى قوله أيضا وهو عجيب في معناه

انما أنت طول عمرك ما عمـ * ـرت في الساعة التي أنت فيها

ومن هذا قول من قال وكما تبلى وجوه في الثرى * فكذا يبلى عليهن الحزن

ومن شعره أيضا قوله كأن عتابكم بيدي محاسنكم * منكم فيمدحكم عندي فيعريني

اني لأعجب من حب يقربني * ممن يباعدني عنه ويقصيني

ومثل الاول قول عروة بن أذينة كأنما عاتبها حاسدا * زينها عندي بتزيين

وكذا قول أبي نواس كأنهم أثنوا ولم يعلموا * عليك عندي بالذي عابوا

وقال أبو العتاهية لابنته رقية في علته التي مات فيها وقومي يا بنية فارثي أباك واندبيه بهذه الابيات فقامت فندبته بقوله

لعب البلا بمعالمي ورسومي * وقبرت حيا تحت ردم همومي

لزم البلا جسمي فأوهى قوتي * ان البلا لموكل بلزومي

وكان مولده سنة ثلاثين ومائة ووفاته في يوم الاثنين لثمان من جمادى الاولى وقيل لثلاث من جمادى الآخرة سنة احدى عشرة ومائتين وقيل سنة ثلاث عشرة ودفن حيال قنطرة الزياتين في الجانب الغربي ببغداد وأمر أن يكتب على قبره ان عيشا يكون آخره الموت لعيش معجل التنغيص

وقيل أوصى أن يكتب عليه أذن حي تسمعي * واسمعي ثم عي وعي

(فقال غلام البكري)
أحبب بمنظر ليلة ليلاء
تجني بها اللذات فوق الماء
في زورق يزهى بغرة أغيد
يختال مثل البانة الغناء
قرنت يداه الشمعتين بوجهه
كالبدر بين النسر والجوزاء
والتاج فوق الماء ضوءهما
كالبرق يخفق في أديم سماء
(وبالاسناد المتقدم) ذكر ابن بسام قال دخل الاديبان أبو جعفر بن هريرة التطيلي المعروف بالاعمى وأبو بكر ابن بقي الحمام فتعاطيا العمل فيه فقال الاعمى
يا حسن حمامنا وبهجته
مرأى من السحر كله حسن
ماء ونار حواهما كنف
كالقلب فيه السرور والحزن
(ثم أعجبه المعنى فقال)
ليس على لهونا مزيد
ولا لحمامنا ضريب
ماء وفيه لهيب نار
كالشمس في ديمة تصوب
وأبيض تحته رخام
كالثلج حين ابتدا يذوب
(وقال ابن بقي)
حمامنا فيه فصل القيظ محتدم
وفيه للبرد صر غير ذي ضرر
ضدان ينعم جسم المرء بينهما
كالغصن ينعم بين الشمس والمطر
(وقال الاعمى) وقد تطرف فيه الى ذي صنيع
هل استمالك جسم ابن الامين وقد
سالت عليه من الحمام أنداء

أنا رهن بمضجعي * فاحذروا مثل مصرعي عشت تسعين حجة * أسلمتني لمضجعي
كم ترى الحيّ ثابتا * في ديار التزعزع ليس زاد سوى التقى * فخذي منه أودعي

ولما مات رثاه ابنه محمد فقال يا أبي ضمك الثرى * وطوى الموت أجمعك
ليتني مت يوم صر * ت الى حفرة معك
رحم الله مصرعك * برّد الله مضجعك

﴿التفريق﴾

﴿ما نوال الغمام وقت ربيع * كنوال الامير يوم سخاء﴾
﴿فنوال الامير بدرة عين * ونوال الغمام قطرة ماء﴾

البيتان لرشيد الدين الوطواط الشاعر من الخفيف والنوال العطاء والبدرة كيس فيه ألف دينار أو عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار والعين هنا المال (والشاهد فيهما) التفريق وهو ايقاع تباين بين أمرين من نوع في المدح أو في غيره فمن ذلك قول بعضهم

حسبت جماله بدرا منيرا * وأين البدر من ذاك الجمال

وقول الآخر قاسوك بالغصن في التثني * قياس جهل بلا انتصاف
هذاك غصن الخلاف يدعى * وأنت غصن بلا خلاف

وما أحسن قول الموصلي مع تسمية النوع

قالوا هو البحر والتفريق بينهما * اذ ذاك غم وهذا فارق الغمم

وقد تلاعب الشعراء بمعنى البيتين المستشهد بهما فللوأواء الدمشقي

من قاس جدواك بالغمام فما * أنصف في الحكم بين شكلين
أنت اذا جدت ضاحكا أبدا * وهو اذا جاد باكي العين

ولبعضهم فيه أيضا وأجاد جدا

من قاس جدواك يوما * بالسحب أخطأ مدحك السحب تعطي وتبكي * وأنت تعطي وتضحك

ولابي الفتح البستي وأجاد ياسيد الامراء يا من جوده * أوفى على الغيث المطير اذا همى
الغيث يعطي باكيا متجهما * ويراك تعطي ناصرا متبسما

ومثله لابي منصور البوشنجي

وذلك ضاحك أبدا بجود * وجودك ليس يمطر غير باكي

وقول الاديب يعقوب النيسابوري في الامير أبي الفضل الميكالي

رأيت عبيد الله يضحك معطيا * ويبكي أخوه الغيث عند عطائه
وكم بين ضحاك يجود بماله * وآخر بكاء يجود بمائه

ولشرف الدين السنجاري في معناه

ما قست بالغيث العطايا منك اذ * يبكي وتضحك أنت اذ تولي الندا
واذا أفاض على البرية جوده * ماء تفيض لنا يمينك عسجدا

وما أبدع قول البديع الهمذاني مع زيادة المعنى والمبالغة في العلو

يكاد يحكيك صوب الغيث منسكبا * لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا
والدهر لو لم يخن والشمس لو نطقت * والليث لو لم يصد والبحر لو عذبا

وقول ابن بابك يمدح نظام الملك

يقولون ان المزن يحكيك صوبه * مجاملة ها قد شهدت وغابا
وكم أزمة عم البرية بؤسها * فهل باب فيها عن نداك مسابا
همت ذهبا فيها يداك عليهم * وضنت يداه أن ترش ذهابا

كالغصن باشر حرّ النار من كثب
فظل يقطر من أعطافه الماء
(قال علي بن ظافر) وذكر لي أن جماعة من الشعراء في أيام الافضل خرجوا متنزهين الى الاهرام ليروا عجائب مبانيها ويقرؤا ما سطره الدهر من العبر فيها فاقترح بعض من كان معهم العمل فصنع أبو الصلت أمية بن عبد العزيز وأنشد

بعيشك هل أبصرت أعجب منظرا
على ما رأت عيناك من هرمي مصر
أنافا بأكناف السماء وأشرفا
على الجو اشراف السماك على النسر
وقد وافيا نشزا من الارض عاليا
كأنهما ثديان قاما على صدر

وصنع أبو منصور ظافر الحداد

تأمل هيئة الهرمين وانظر
وبينهما أبو الهول العجيب
كعماريتين على رحيل
لمحبوبين بينهما رقيب
وفيض النيل عندهما دموع
وصوت الريح بينهما نحيب
وظاهر سجن يوسف مثل صب
تخلف فهو محزون كئيب

(وأخبرني) الشريف فخر الدين أبو البركات العباس ابن عبد الله العباسي الحلبي قال اجتمع مهذب الدين

وقول ابن اللبانة فى المعتمد على الله بن عباد

سألت أخاه البحر عنه فقال لى * شقيقى الا أنه البارد العذب
لنا ديمتا ماء ومال فديمتى * تماسك أحيانا وديمته سكب
اذا نشأت برية فله الندى * وان نشأت بحرية فلى السحب

وينظر الى معانى ما مرّ ولم يكن بعيدا منها قول بعضهم

ياعيون السماء دمعك يغنى * عن قريب وما لدمعى فناء
أنا أبكى طوعا وتبكين كرها * ودموعى دما ودمعك ماء

ولم أقف على ترجمة الوطواط الشاعر لكن رأيت ابن فضل الله ذكره فى المسالك فى معرض تراجم فأثبت ما رأيته قال فى ترجمة الشمس بن دانيال انه كان بينه وبين الوطواط ما يكون بين الادباء ويدب بين الاحباء فعرضت للوطواط رمدة تكثر بها صفيحه وتبكى له فيها صريحه فقيل له لو طلبت ابن دانيال فقال ذاك لا يسمح بذرّة يعنى من كحله فبلغ ابن دانيال فقال فى ذلك

ولم أقطع الوطواط بخلا بكحله * ولا أنا من يعييه يوما تردّد
ولكنه ينبو عن الشمس طرفه * فكيف به لى قدرة وهو أرمد

وقال فى ترجمة شافع بن علىّ بن عباس الكاتب ومن قوله فى الوطواط الشاعر

كم على درهم يلوح حراما * يا لئيم الطباع سرّا تواطى
دائما فى الظلام تمشى مع النا * س وهذا عوائد الوطواط

وقوله فيه

قالوا ترى الوطواط فى شدّة * من تعب الكدّ ومن ويل
فقلت هذا دأبه دائما * يسعى من الليل الى الليل

ثم انى رأيت المرحوم الجلال السيوطى ذكره فى طبقات النحاة فقال محمد بن محمد بن عبد الجليل بن عبد الملك ابن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن يحيى بن مردويه بن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه المعروف بالرشيد الوطواط (قال ياقوت) كان من نوادر الزمان وعجائبه وأفراد الدهر وغرائبه أفضل أهل زمانه فى النظم والنثر وأعلم الناس بدقائق كلام العرب وأسرار النحو والادب طار فى الآفاق صيته وسار فى الاقاليم ذكره وكان ينشئ فى حالة واحدة بيتا بالعربية من بحر وبيتا بالفارسية من آخر ويمليهما معا وله من التصانيف حدائق السحر فى دقائق الشعر أسفاره رسالة بالعربى ورسالة بالفارسى وغير ذلك مولده ببلخ ومات بخوارزم سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة فتبين بهذا أن الذى ذكرناه أوّلا ليس هو ومن رسائله ما كتبه الى العلامة جار الله الزمخشرى يستأذنه فى حضور مجلسه والاستفادات من سؤالاته

لقد حاز جار الله دام جماله * فضائل فيها لا يشق غباره
تجدّد رسم الفضل بعد اندراسه * بأيام جار الله فالله جاره

أنا منذ لفظتنى الاقدار من أوطانى ومعاهد أهلى وجيرانى الى هذه الخطة التى هى اليوم مكان جار الله أدام الله جماله جنة للكرام وجنة من نكبات الايام كانت قصوى منيتى وقصار بغيتى أن أكون أحد الملازمين لسدّته الشريفة التى هى مجثم السياده ومقبل أفواه الساده فمن ألقى بها عصاه حاز فى الدارين مناه ونال فى المحلين مبتغاه ولكن سوء التقصير أو مانع التقدير حرمنى مدّة تلك الخدمه وحرّم علىّ تلك النعمه والآن أظن وظن المؤمن لا يخطئ أن آفل جدّى همّ بالاشراق وذابل ايراقى تحرك للايراق فقد أجد فى نفسى نورا مجدّدا يهدينى الى جنته ومن شوقى داعيا موفقا يدعونى الى عتبته ويقرع سمعى كل ساعة لسان الدولة أن اخلع نعلك واطرح بالوادى المقدّس رحلك ولا تحفل بقصد قاصد وحسد حاسد فان حضرة جار الله أوسع من أن تضيق على راغب فى فوائده وأكرم من أن تستثقل من وطأة طالب لعوائده ومع هذا أرجو اشارة تصدر عن مجلسه المحروس اما بخطه الشريف فان فى

أبو الحسين بن منير والشيخ أبو عبد الله محمد بن صغير القيسرانى الشاعران بحلب فمرّ عليهما صبى سرّاج يسمى يوسف مشهور بالحسن فسئلا القول فيه فصنعا فكان ما صنع ابن منير

ياسمى المتاح فى ظلمة الجـ * ـبّ لمن ساقه القضاء اليها
والذى قطع النساء له الا * يدى ومكّن حبله من يديها
لك وجه مباسم الحسن فيه * صكة تطبع البدور عليها

(وكان ما صنع القيسرانى)

لا تخدعنّ فالحسام المرهف * الا الذى يحويه جفن أوطف
واذا رأيت اللحظ يعمل فى الحشى * عمل الاسنة فالقوام مثقف
ويح المحب اما يخالس نظرة * الا هفا بالقلب ظبى أهيف
بالله يا نفحات أنفاس الصبا * ما بال غصن البان لا يتعطف
يا مسكرى وجد ابخمر جفونه * قل لى أتلك لواحظ أم قرقف
بادر جمالك بالجميل فربما * ذوت المحاسن أو ابلّ المدنف
واسبق عذارك باعتذارك قبل أن * يأتى بعزل هواك منه ملطف
ان جاز أن يرث الملاحة باسمه * أحد فانك يوسف يا يوسف

(قال علىّ بن ظافر) وروى أن الاعز أبا الفتوح بن قلاقس ونشو الملك علىّ بن مفرج ابن المنجم اجتمعا فى منار

ذلك شرفا لى يدوم مدى الدهر والايام وفخرا يبقى على مرّ الشهور والاعوام واماعلى لسان من يوثق بصدق مقالته ويعتمد على تبليغ رسالته من المنخرطين فى سلك خدمته والراتعين فى رياض نعمته ورأيه فى ذلك أعلى وأصوب ﴿وكتب اليه يهنئه بالعيد﴾ الاعياد عرّف الله سيدنا جار الله بركة قدومها وورودها وجعل له الحظ الاكمل والقسط الاجزل من ميامنها وسعودها فرائد قلائد الايام وغرر جبهات الاعوام الكبار احلة لاتقوم وزائلة لاتدوم ولقاء جار الله أدام الله مجده لنامعشر خدمه والمرتضعين درّ فضله وكرمه عيد لازال العيد له كتصحيفه باقية محاسنه دائمة ميامنه يهدى كل ساعة الى أبصارنا نورا والى أرواحنا راحة وسرورا فكيف نهنئ عيدا هذه حاله بعيد لايؤمن زواله

أتى العيد جار الله وهو مجدّد * بخدمته عهد المهيمن تجديدا

فلست بعيد لايدوم مهنئا * لصدر محياه يدوم لناعيدا

(التقسيم)

﴿ولا يقيم على ضيم يراد به * الاالاذلان عير الحىّ والوتد﴾

﴿هذا على الخسف مربوط برمّته * وذا يشج فلا يرثى له أحد﴾

البيتان من البسيط وقائلهما المتلمس من أبيات وهى

ان الهوان حمار الاهل يعرفه * والحرّ ينكره والرسلة الأجد

كونوا كسامة اذ ضنك منازله * اذ قيل جيش وجيش حافظ عتد

شدّ المطية بالانساع فانجردت * عرض التنوفة حتى مسها النجد

كونوا كبكر كما قد كان أوّلكم * ولا تكونوا كعبد القيس اذ قعدوا

يعطون ماسئلوا والبحر محتدهم * كما أكب على ذى بطنه الفهد

وبعده البيتان وبعدهما قوله

وفى البلاد اذاما خفت ثائرة * مشهودة عن ولاة السوء تنتقد

والضيم الظلم والعير بفتح المهملة الحمار وغلب على الوحشى والمناسب هنا الأهلى والخسف النقيصة والاذلال تحميل الانسان مايكره وحبس الدابة بلا علف والرمّة بضم الراء وتكسر قطعة من حبل والشج الكسر والدق والاستثناء فى الاالاذلان استثناء مفرّغ وقد أسند اليه فعل الاقامة فى الظاهر وان كان مسندا فى الحقيقة الى العام المحذوف (والشاهد فيهما) التقسيم وهو ذكر متعدّد ثم اضافة مالكل اليه على التعيين فانه ذكر العير والوتد ثم أضاف الى الاوّل الربط مع الخسف والى الثانى الشج على التعيين ومما ورد فى التقسيم قول زهير بن أبى سلمى السابق فى شواهد الايجاز والاطناب وهو

وأعلم علم اليوم والامس قبله * ولكننى عن علم مافى غد عمى

وقد نقل أبو نواس هذا التقسيم من الجدّ الى الهزل فقال

أمر غدأنت منه فى لبس * وأمس قد فات فاله عن أمس

وانما الشأن شأن يومك ذا * فباكر الشمس بابنة الشمس

وقد نقله بعضهم أيضا فقال

تمتع من الدنيا بساعتك التى * ظفرت بها مالم تعقك العوائق

فلا يومك الماضى عليك بعائد * ولا يومك الآتى به أنت واثق

ومن التقسيم قول بشار بن برد

وراحوا فريق فى الاسار ومثله * قتيل ومثل لاذ بالبحر هاربه

ومثله قول الصفىّ الحلى

أفى جيوش العدا غزوا فلست ترى * سوى قتيل ومأسور ومنهزم

وهو مأخوذ من قول عمر بن الايهم

الجامع ليلة فطر ظهر بها الهلال للعيون وبرز فى صفحة بحر النيل كانون ومعهما جماعة من غواة الادب الذين ينسلون اليه من كل حدب فحين رأوا الشمس فوق النيل غاربه والى مستقرها جارية ذاهبه قد شمرت للمغيب الذيل واصفرّت خوفا من هجوم الليل والهلال فى حمرة الشفق كحاجب الشائب أوزورق الورق اقترحوا عليهما وصف تلك الحال فصنع ابن قلاقس

انظر الى الشمس فوق النيل غاربة

وانظر لما بعدها من حمرة الشفق

غابت وأبقت شعاعا منه يخلفها

كأنما احترقت بالماء فى الغرق

وللهلال فهل وافى لينقذها

فى اثرها زورق قد صيغ من ورق (وصنع نشو الملك)

يارب سامية فى الجو قت بها

أمدّ طرفى فى أرض من الافق

حيث العشية فى التمثيل معركة

اذا رآها جبان مات للفرق

والشمس هاربة للغرب دارعة

بالنيل مصفرّة من هجمة الغسق

وللهلال انعطاف كالسنان بدا

من سورة الطعن ملقى فى دم الشفق

اشربا ماشربتما فهذيل * من قتيل أوهارب أوأسير

ومنه وزعم قوم أنه أفضل بيت وقع فيه تقسيم قول نصيب

فقال فريق القوم لا وفريقهم * نعم وفريق أيمن الله ماندري

وزعم أبو العيناء ان خير تقسيم قول عمر بن أبي ربيعة

تهيم الى نعم فلا الشمل جامع * ولا الحبل موصول ولا القلب مقصر

ولا قرب نعم ان دنت لك نافع * ولا نأيها يسلي ولا أنت تصبر

واختار آخرون قول الحارثي وقالوا انه أفضل

فلا كمدي يفنى ولا لك رقة * ولا عنك اقصار ولا فيك مطمع

وبديع قول الامير السلماني

وصلت فلما أن ملكت حشاشتي * هجرت فجد وارحم فقد مسني الضر

فليت الذي قد كان لي منك لم يكن * وليتك لا وصل لديك ولا هجر

فلا عبرتي ترقا ولا فيك رقة * ولا منك المام ولا عنك لي صبر

وقد ألم بنحو هذا التقسيم الشهاب محمود حيث قال

واني لي تطري نحوها * وقد ودعتني قبيل الفراق

ولا صبر لي فأطيق الهوى * ولا طمع ان نأت في اللحاق

ولا أمل يرتجى في الرجوع * ولا حكم في رد تلك النياق

كمضني يودع روحا غدت * يراها على رغمه في السياق

ومن مليح التقسيم قول داود بن مسلم

في باعه طول وفي وجهه * نور وفي العرنين منه شمم

وكان محمد بن موسى المنجم يحب التقسيم في الشعر وكان معجبا بقول العباس بن الاحنف

وصالكم صرم وحبكم قلا * وعطفكم صد وسلمكم حرب

ويقول أحسن والله فيما اقسم حيث جعل حيال كل شئ ضده والله ان هذا التقسيم لأحسن من تقسيمات اقليدس ومن جيد التقسيم قول أبي تمام

فما هو الا الوحي أوحد مرهف * تميل ظباه اخدعي كل مائل

فهذا دواء الداء من كل عالم * وهذا دواء الداء من كل جاهل

(وذكر الجاحظ) أن قتيبة بن مسلم لما قدم خراسان خطب الناس فقال من كان في يده من مال عبد الله بن حازم شئ فلينبذه وان كان في فمه فليلفظه وان كان في صدره فلينفثه قال فعجب الناس من حسن ما فصل وقسم (ووقف) اعرابي على حلقة الحسن فقال رحم الله من تصدق من سعة أو واسى من كفاف أو آثر من قوت ولقد أجاد ابن حيوس في التقسيم بقوله

ثمانية لم تفترق مذ جمعتها * فلا افترقت ماذب عن ناظر شفر

ضميرك والتقوى وكفك والندى * ولفظك والمعنى وسيفك والنصر

وما أحسن قول أبي ربيعة المخزومي

وهبها كشئ لم يكن أو كنازح * عن الدار أو من غيبته المقابر

وعجيب هنا قول أبي تمام في مجوسي أحرق في النار

صلى لها حيا وكان وقودها * ميتا ويدخلها مع الفجار

وما أعذب قول الشيخ شرف الدين بن الفارض

يقولون لي صفها فأنت بوصفها * خبير أجل عندي بأوصافها علم

(وهذا) لعمري البديع الذي لا يلحظ سواه ولا يحفظ الا اياه (قال علي بن ظافر) والحكاية المشهورة عن ابن قلاقس والوجيه أبي الحسن علي بن الذروي أنهما طلعا منارة الاسكندرية والوجيه يومئذ في عنفوان شبابه وصباه وهبوب شماله في الجمال وصباه وان قلاقس مغرم به مغرى بحبه دئب في تهذيبه مبالغ في تفضيض شعره وتذهيبه ولم تكن وقعت بينهما تلك الهناة ولا استحكمت بينهما أسباب المهاجاة فاقترح عليه ابن قلاقس أن يصف المنارة فقال بديها

وسامية الارجاء تهدي أخا السرى

ضياء اذا ما حندس الليل أظلما

لبست بها بردا من الانس ضافيا

فكان بتذكار الاحبة معلما

وقد ظللتني من ذراها بقبة

ألاحظ فيها من صحابي أنجما

تخيلت أن البحر تحتي غمامة

وأني قد خيمت في كبد السما

(حين) رأى الاعز ما أتى به اشتد سروره وفرحه وقال يصفها ويمدحه

ومنزل جاوز الجوزاء مرتقيا

كأنما فيه للنسرين أوكار

راسي القرارة سامي الفرع في يده

للنون والنور أخبار وآثار

صفاء ولا ماء ولطف ولا هوى * ونور ولا نار وروح ولا جسم

وقول محمد بن درّاج القسطلي وأجاد

عطاء بلا منّ وحكم بلا هوى * وملك بلا كبر وعز بلا عجب

وقول الآخر أيضا بنو جعفر أنتم سماء رياسة * مناقبكم في أفقها أنجم زهر

طريقتكم مثلى وهديكم رضى * ومذهبكم قصد ونائلكم غمر

عطاء ولا منّ وحكم ولا هوى * وحلم ولا عجز وعز ولا كبر

وبديع قول بعضهم أيضا قوس ولا وتر وسهم ولا قود * عين ولا نظر ونحل ولا عسل

وقول بعضهم أيضا تسربل وشيا من خزوز تطرزت * مطارفها طرزا من البرق كالتبر

فوشي بلا رقم ورقم بلا يد * ودمع بلا عين وضحك بلا ثغر

وقول الرستمي فتى حاز رق المجد من كل جانب * اليه وخلى كاهل الشكر ذا ثقل

بعفو بلا كدّ وصفو بلا قذى * ونقد بلا وعد ووعد بلا مطل

وما أشرف قول ابن شرف

لمجتلي الحاجات جمع ببابه * فهذا له فنّ وهذا له فنّ

فللخامل العليا وللمعدم الغنى * وللمذنب العتبى وللخائف الأمن

وقول بعضهم أيضا نرجو سلوا في رسوم بها الاغصان سكرى والحمام متيم

هذي تميل اذا تنسمت الصبا * والورق تذكر شجوها فترنم

ولابن جابر الاندلسي لقد عطفتني على حبها * بوجه تبدّى على عطفه

فهذا هو البدر في أفقه * وهذا هو الغصن في حقفه

ولأبي الحسين الجزار وزير ما تقلد قط وزرا * ولا داناه في مثوى أنام

وجلّ فعاله صادات برّ * صلات أو صلاة أو صيام

ولشيخ شيوخ حماة لنا ملك واجد ما أشتهي * ولكنه لم يجد مثله

ملاذي به ومثولي لديـ * ـه وميلي اليه ومدحي له

ومثله قول بعضهم مجونا

وبديع الجمال معتدل القا * مة كالغصن حنّ قلبي اليه

أشتهي أن يكون عندي وفي بيـ * ـتي وبعضي فيه وكلي عليه

ومن المضحك فيه قول السراج الورّاق

رأت حالي وقد حالت * وقد غال الصبا فوت فقالت اذ تشاجرنا * ولم يخفض لنا صوت

أشيخ مفلس يهوى * ويعشق فاتك الفوت فلا خير ولا مير * ولا أير فذا موت

ولطيف قول بعضهم

وفي أربع مني حلت منك أربع * فما أنا أدري أيها هاج لي كربي

أوجهك في عيني أم الريق في فمي * أم النطق في سمعي أم الحب في قلبي

وقد سمع يعقوب بن اسحق الكندي هذا فقال هو تقسيم فلسفي وقد أخذه الحماني العلوي فجعله خمسة فقال

وفي خمسة مني حلت منك خمسة * فريقك منها في طيب الرشف

ووجهك في عيني ولمسك في يدي * ونطقك في سمعي وعرفك في أنفي

(والمتلمس) اسمه جرير بن عبد المسيح الضبعي وهو أحد الثلاثة المقلين الذين اتفق العلماء بالشعر على أنه أشعرهم وهم المتلمس والمسيب بن علس وحصين بن الحمام ولقب بالمتلمس لقوله

وذاك أوان العرض طنّ ذبابه * زنابيره والازرق المتلمس

أطلقت فيه عنان الفكر فاطردت * خيل لها في بديع الشعر مضمار

ولم يدع حسنا فيه أبو حسن * الا تحكم فيه كيف يختار

حلى المنارة لما حلّ ذروتها * بجوهر الشعر بحر منه زخار

ما زال يذكي بها نار الذكاء الى * أن أصبحت علما في رأسه نار

(وأخبرني) الوجيه أبو الفضل جعفر بن جعفر الحموي وابن شيث من أصحابنا قالا مضى الوجيه علي بن الذروي والنجيب هبة الله ابن وزير في جماعة الى الحمام المعروفة بأبي فروة فجرى بينهما تنازع أدّى الى تناكر فضيلة الادب ثم تراضيا بأن يحكم بينهما الشريف المعروف بابكدودة فحكم بأن يصنعا قطعتين في صفة الحمام على البديهة ثم يقع التفضيل بينهما بقدر التفاوت بين القطعتين فصنع ابن الذروي

ان عيش الحمام عيش هنيء * غير أن المقام فيها قليل

جنة تكره الاقامة فيها * وجحيم يطيب فيه الدخول

فكأن الغريق فيها كليم * وكأن الحريق فيها خليل

(وصنع ابن وزير بعد بطء)

لله يوم بحمام نعمت به * والماء من حوضها ما بيننا جاري

كأنه فوق شفاف الرخام بها * ماء يسيل على أثواب قصار

وكان هو وطرفة بن العبد ينادمان مع عمرو بن هند ملك الحيرة وكان سيئ الخلق شديده وكان قد حرق من تميم مائة رجل فهجوه وكان مما هجاه به المتلمس قوله

ان الخيانة والمغالة والخنا * والغدر تتركه ببلدة مفسد

ملك يلاعب أمه وقطينها * رخو المفاصل بطنه كالمزود

فاذا حللت فدون بيتي غارة * فابرق بأرضك مابدالك وارعد

وهجاه طرفة بما تقدم في ترجمته في شاهد التكميل فاستحيا أن يقتلهما بحضرته وبينه وبينهما ادلال المنادمة فكتب لهما صحيفتين وختمهما الثلابعلما مافيهما وهو أول من ختم الكتاب وقال لهما اذهبا الى عاملي بالبحرين فقد أمرته أن يصلكما بالجوائز فذهبا فمرا في طريقهما بشيخ يحدث ويأكل من خبز بيده ويتناول القمل من ثيابه فيقصعه فقال المتلمس ما رأيت شيخا كاليوم أحمق من هذا فقال الشيخ ما رأيت من حمق أخرج الداء وأدخل الدواء وأقتل الاعداء ويروى أطرح خبيثا وأدخل طيبا وأقتل عدوا أحمق والله مني من يحمل حتفه بيده فاستراب المتلمس بقوله وطلع عليهما غلام من أهل الحيرة من كتاب العرب فقال له المتلمس أتقرأ يا غلام قال نعم ففك حينئذ الصحيفة فاذا فيها اذا أتاك المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حيا فقال لطرفة ادفع اليه صحيفتك فان فيها مثل هذا فقال طرفة كلا لم يكن ليجترئ علي وكان غرا صغير السن فقذف المتلمس بصحيفته في نهر الحيرة وقال

قذفت بها بالثني من جنب كافر * كذلك أقني كل قط مضلل

رضيت لها بالماء لما رأيت مدادها * يجول به التيار في كل جدول

وأخذ نحو الشام وقال ألق الصحيفة كي يخفف رحله * والزاد حتى نعله ألقاها

يريد أنه تخفف للفرار وأتى ما يقل وما لابد للمسافر منه وأما طرفة فانه وصل الى البحرين وقتل كما مر في ترجمته وهلك المتلمس في الجاهلية وقال ابن فضل الله في حقه هو رجل نبيه الذكر معروف بصحة الفكر وهو الذي يضرب المثل بصحيفته ومن شعره

ألم تر أن المرء رهن منية * صريع العافي الطير أو سوف يرمس

فلا تقبلن ضيما مخافة منية * وموتن بها واحيا وجلدك أملس

فمن حذر الاوتار ماحز أنفه * قصير وخاض الموت بالسيف بيهس

وما الناس الا ما رأوا وتحدثوا * وما العجز الا أن يضاموا فيجلسوا

فان تقبلوا بالود نقبل بمثله * والا فانا نحن آبى وأشمس

ومن شعره أيضا تعيرني أمي رجالا ولا أرى * أخا كرم الا بأن يتكرما

أحارث انا لو تساقط دماؤنا * تزيل حتى لا يمس دم دما

لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا * وما علم الانسان الا ليعلما

وما كنت الا مثل قاطع كفه * بكف له أخرى فأصبح أجذما

يداه أصابت هذه حتف هذه * فلم تجد الاخرى عليها مقدما

فأطرق اطراق الشجاع ولو يرى * مساغا لناباه الشجاع لصمما

اذا ما أديم القوم أنهجه البلى * تفرى وان كتنته وتحرما

ومما يتمثل به من شعره قوله وأعلم علم حق غير ظن * لتقوى الله من خير العتاد

وحفظ المال خير من ضياع * وضرب في البلاد بغير زاد

واصلاح القليل يزيد فيه * ولا يبقى الكثير مع الفساد

وهذه الابيات من قصيدة له مطلعها

صبا من بعد سلوته فؤادي * وأسمح للقرينة بالقياد

فانتقد عليه الجماعة تشبيهه الماء بالماء واستبردوا ما أتى به فقال ابن الذروى

وشاعر أوقد الطبع الذكاء له أو كاد يحرقه من فرط اذكاء

أقام يجهد أياما رويته وشبه الماء بعد الجهد بالماء

(وأخبرني) الفقيه شجاع الغزلي رحمه الله قال جلست يوما بالورّاقين على دكان الاديب أبي الفضل جعفر ابن مفضل القرشي المنبوز بشلعلع وبالبناء ذخيرة الملك المشهور خبره المشكور أثره وهو شيخ كان يغني ويلفق كلاما من جنس كلام الحمقى والمعتوهين تلفيقا موزونا على أنه شعر الا أنه بلغ به عند الصالح رزيك ما لم يبلغه الاخطل عند عبد الملك وبنيه وقد اجتمع الناس عليه ووقفوا صفوفا بين يديه وهو يطرفهم بشعره ويملأ آذانهم سعره قال فقربنا ابن وزير فلما رأى الجمع جلس الينا ثم أخذ يقول أنصافا من الشعر وأبياتا متفرقة في مدح ذخيرة الملك تارة والطنز به أخرى يتناهى بها على العوام ويملأ بها قلوب أولئك الطغام ففهم أبو الفضل مقصده وأراد أن يفضحه ويظهر عيبه ويوضحه فقال له ما هذا الفتور والشعر المقذور

وقد ضمنه بعضهم فى الهجاء فقال

يحصن زاده عن كل ضرس * ويعمل ضرسه فى كل زاد * ولا يروى من الاشعار شيأ

سوى بيت لابرهة الايادى * قليل المال تصلحه فيبقى * ولا يبقى الكثير مع الفساد

وشطر هذا البيت رواية فى شطر البيت السابق وأخذه ابن وكيع فقال

مال يخلفه الفتى * للشامتين من العدا خيرله من قصده * اخوانه مسترفدا

ويقال ان حاتما الطائى لما سمع قول المتلمس هذا قال ماله قطع الله لسانه يحمل الناس على البخل والتباخل ألا كان يقول وما البذل يفنى المال قبل فنائه * ولا البخل فى مال الشحيح يزيد * فلا تلتمس فقرا بعيش فانه

لكل غد رزق يعود جديد * ألم تدر أن المال غاد ورائح * وأن الذى يعطيك ليس يبيد

انتهى وقد قال البلغاء فى معنى الاول ان فى اصلاح مالك جمال وجهك وبقاء عزك ونقاء عرضك وسلامة دينك وطيب عيشك وبناء مجدك فاصلحه ان أردت هذا كله وفى المثل احفظ ما فى الوعاء بشد الوكاء يضرب فى الحث على أخذ الامر بالحزم وقيل من أصلح ماله فقد صان الاكرمين الدين والعرض وقيل التدبير يثمر التيسير والتبذير يبرد الكثير ولا جود مع تبذير ولا بخل مع اقتصاد والاعتدال فى الجود أحسن من الاعتداء على الموجود والرزق مقسوم محدود فمرزوق ومحدود والله أعلم بالوجود

﴿فوجهك كالنار فى ضوءها * وقلبى كالنار فى حرها﴾

البيت لرشيد الدين الوطواط من الخفيف (والشاهد فيه) الجمع مع التفريق وهو ادخال شيئين فى معنى والتفريق بين جهتى الادخال فهنا أدخل وجه الحبيب وقلبه فى كونهما كالنار ثم فرق بينهما بأن جهة ادخال الوجه من جهة الضوء وادخال القلب من جهة الحر والاحراق وفى معناه قول بعضهم

فكالنار ضوأ وكالنار حرا * محيا حبيبى وحرقة بالى

فذلك من ضوئه فى اختيال * وهذا لحرقته فى اختلال

وقريب منه قول الصفى الحلى

سناه كالنور يجلو كل مظلمة * والباس كالنار يفنى كل مجترم

ومما يستشهد به على هذا النوع قول الفخر عيسى

تشابه دمعانا غداة فراقنا * مشابهة فى قصة دون قصة

فوجنتها تكسو المدامع حمرة * ودمعى يكسو حمرة اللون وجنتى

وقول مروان بن أبى حفصة

تشابه يوماه علينا فاشكلا * فما نحن ندرى أى يوميه أفضل

أيوم نداه الغمر أم يوم بؤسه * وما منهما الا أغر محجل

وقول البحترى أيضا ولما التقينا والنقى موعد لنا * تعجب رائى الدر منا ولاقطه

فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها * ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه

وقول بعضهم أيضا أرى قمرين قد طلعا * على غصنين فى نسق * وفى ثوبين قد صبغا

صباغ الخد والحدق * فهذى الشمس فى شفق * وهذا البدر فى غسق

وما أحسن قول على بن مليك فى هذا النوع

بالروح أفدى صاحبا لم يزل * محتقرا ذنبى فى عفوه فكفه كالماء فى جوده * وقلبه كالماء فى صفوه

وقد أحسن هنا ابن حجة فى تسمية النوع حيث قال

يمناه كالبرق ان أبدوا طلا موعى * والعزم كالبرق فى تفريق جمعهم

﴿حتى أقام على أرباض خرشنة * تشقى به الروم والصلبان والبيع﴾

﴿للسبى ما نكحوا والقتل ما ولدوا * والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا﴾

التقسيم ع ج

والعجب منك أن تتباهى بالشعر ونحن حضور واستقر الامر على أن يصنع كل منا قطعة فى مدح ذخيرة الملك على روى يختاره أول خارج من الجامع فكان حرف الذال فابتدر جعفر وقال

من كان فى درك الغرام ولم يكن لحشاه من أسر الهوى انقاذ فذخيرة الملك الاجل بشعره توقى القلوب من الهوى وتعاذ واذا بدا متزغا فالله على كل القلوب بشدوه استحواذ

(قال وصنعت)

ذخيرة الملك أنت شاعرنا فكل شعر عداك منبوذ وكل لفظ فمنك مسترق وكل معنى فعنك مأخوذ

قال وأبى ابن وزبر أن ينشد ما عمله بل كتبه فى رقعة وقال انما أنشده بحضرة أبى الحسن بن برى رحمه الله فأتيناه جميعا فأنشدته أنا وجعفر ما صنعنا فأثنى خيرا ثم ناوله ابن وزبر الرقعة فاذا أولها يقول

هذا الفتى ذخيرة الملك نعيذه

فلما قرأه الشيخ جمع وجهه ثم قرأ الثانى فاذا هو

اذا تغنى منشدا

قاوبنا منفوذه

فزاد فى تجمعه ثم قرأ الثالث فاذا هو

من كل هم فيهما يبدو لنا شذوذه

فرمى الرقعة من يده فكأنما

البيتان لابى الطيب المتنبى من قصيدة من البسيط يمدح بها سيف الدولة بن حمدان أوّلها

غيرى بأكثر هذا الناس ينخدع * ان قاتلوا جبنوا أو حدّثوا شجعوا

أهل الحفيظة الا أن تجرّبهم * وفى التجارب بعد الغىّ ما يزع

وما الحياة ونفسى بعد ما علمت * ان الحياة كما لا تشتهى طبع

ليس الجمال بوجه صح مارنه * أنف العزيز بقطع العز يجتدع

أأطرح المجد عن كتفى وأطلبه * وأترك الغيث فى غمدى وأنتجع

والمشرفية لا زالت مشرّفة * دواء كل كريم أو هى الوجع

وفارس الخيل من خفت فوقرها * فى الدرب والدم فى أعطافها دفع

وأوجدته وما فى قلبه قلق * وأغضبته وما فى قلبه فزع

بالجيش يمتنع السادات كلهم * والجيش بابن أبى الهيجاء يمتنع

قاد المقانب أقصى شربها نهل * على الشكيم وأدنى سيرها سرع

لا يكتفى بلد اسراه عن بلد * كالموت ليس له رىّ ولا شبع

وبعده البيتان والقصيدة طويلة فريدة والارباض جمع ربض بفتح الباء وهو سور المدينة وحوشنة بلد بالروم وهى التى تسمى الآن أماضية والبيع جمع بيعة بكسر الباء وهى معبد النصارى واغالم يقل من نكحوا أو من ولدوا ليوافق قوله والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا وللدلالة على اهانتهم وقلة المبالاة بهم حتى كأنهم ليسوا من جنس من يعقل فيخاطبون بخطابه (والشاهد فيهما) الجمع مع التقسيم وهو جمع متعدد تحت حكم ثم تقسيمه أو تقسيم متعدد ثم جمعه تحت حكم فالاوّل كما فى البيتين وهو ظاهر والثانى كما فى البيتين الآتيين بعدهما وهما

﴿قوم اذا حاربوا ضرّوا عدوّهم * أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا﴾

﴿سجية تلك منهم غير محدثة * ان الخلائق فاعلم شرّها البدع﴾

البيتان لحسان بن ثابت الانصارى رضى الله عنه من قصيدة من البسيط قالها حين قدم وفد تميم على النبى صلى الله عليه وسلم وفيهم الاقرع بن حابس والزبرقان بن بدر وعطارد بن حاجب وأرادوا المفاخرة بخطيبهم وهو عطارد وشاعرهم وهو الزبرقان فى خبر طويل والقصيدة أوّلها

ان الذوائب من فهر واخوتهم * قد بينوا سنة للناس تتبع

يرضى بها كل من كانت سريرته * تقوى الاله وبالامر الذى شرعوا

وبعده البيتان وبعدهما

لا يرقع الناس ما أوهت أكفهم * عند الدفاع ولا يوهون ما رقعوا

ان كان فى الناس سباقون بعدهم * فكل سبق لأدنى سبقهم تبع

أعفة ذكرت فى الوحى عفتهم * لا يطبعون ولا يزريهم طبع

ولا يضنون عن جار بفضلهم * ولا يمسهم من مطمع طمع

يسمون للحرب تبدو وهى كالحة * اذا الزعانف من أظفارها خشعوا

لا يفرحون اذا نالوا عدوّهم * وان أصيبوا فلا خور ولا جزع

كأنهم فى الوغى والموت مكتنع * أسود بيشة فى ارساغها فدع

خذ منهم ما أتوا عفوا وما غضبوا * ولا يكن همك الامر الذى منعوا

فان فى حربهم فاترك عداوتهم * سما يخاض عليه الصاب والسلع

أكرم بقوم رسول الله قائدهم * اذا تفرّقت الاهواء والشيع

أهدى لهم مدحتى قلب يؤازره * فيما أراد لسان حاذق صنع

ألقسمه بجرائم ادّعى أننا غير ناسبكه وكتب بذلك محضرا منظوما كتب عليه الشعراء شهاداتهم بقطع من الشعر أنشدنى كثيرا منها من توفى قبل أن أكتبها عنه (وأخبرنى) بهاء الدين أسعد بن يحيى بن منصور ابن عبد العزيز بن وهبان السلمى المعروف بابن السنجارى بحماة وكتبه لى بخطه قال اجتمع عندى جماعة منهم جمال الدين بن رواحة وعلم الدين الشابانى الشاعر المعروف بقماع وضياء الدين سعيد بن حياة المقرى وضياء الدين الحورانى وهو فى ذلك الوقت مشتهر بعشق البهاء على بن محمد الخراسانى المعروف بابن الساعاتى فبينا نحن مجتمعون اذ دخل علينا ابن الساعاتى وهو فى عنفوان شبابه ونهاية حسنه وسنه حينئذ أربع عشرة سنة فدا عيناه لجرد سيفا وجعل يريد ضرب عنق الضياء الحورانى مداعبة له وذلك بعد أن عصب عينيه بطرف عمامته فكشف الضياء عن وجهه وقال أنتم كلكم تدعون أنكم فضلاء الوقت فقولوا فى هذا شيأ فعمل كل منا قطعة وخبأها فى بيقاره فقال الضياء وكانت فيه دعابة أراكم قد عملتم عمل

وانهم أفضل الاحياء كلهم * ان جدّ بالناس جدّ القول أوسمعوا

ولما أنشد حسان رضى الله عنه هذه القصيدة بعد ان خطب ثابت بن شماس خطبته المشهورة قال الاقرع ابن حابس ان هذا الرجل لمؤتى له والله لشاعره أشعر من شاعرنا ولخطيبه أخطب من خطيبنا ولأصواتهم أرفع من أصواتنا أعطنى يا محمد فأعطاه فقال زدنى فزاده فقال اللهم انه سيد العرب وهم الذين أنزل الله فى حقهم ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ومعنى حاولوا راموا وطلبوا والاشياع جمع شيعة بكسر الشين المعجمة وهى الانصار والاتباع والفرقة تقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث والسجية الغريزة وما جبل عليه الانسان والخلائق جمع خليقة وهى الطبيعة هنا والبدع جمع بدعة وهى الحدث فى الدين بعد الكمال والمراد بها هنا مستحدثات الاخلاق لا ما هو كالغرائز فيها (والشاهد فيهما) القسم الثانى من الجمع مع التقسيم فانه قسم فى البيت الاول صفة الممدوحين الى ضرر الاعداء ونفع الاولياء ثم جمعهما فى البيت الثانى فى كونهما سجية وقد أخذ ابن مفرّغ عجز البيت الثانى برمّته فقال من قصيدة

جاور بنى خلف تحمد جوارهم * والاعظمين دفاعا كلما دفعوا * والمطعمين اذا ما اشتوه أزمت
فالناس شتى الى أبوابهم شرع * هم خير أقوامهم ان حدّثوا صدقوا * أوحاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا

وقد أجاد ابن حجة فى قوله هنا مع تسمية النوع

جمع الاعادى بتقسيم يفرّقه * فالحىّ للأسر والاموات للضرم

(ثقال اذا لاقوا خفاف اذا دعوا * كثير اذا شدّوا قليل اذا عدّوا)

البيت للمتنبى من قصيدة من الطويل أوّلها

أقل فعالى بل أكثره مجد * وذا الجدّ فيه نلت أولم أنل جدّ

سأطلب حقى بالقنا ومشايخ * كأنهم من طول ما التثموا مرد — وبعده البيت

وبعده

وطعن كأن الطعن لا طعن عنده * وضرب كأن النار من حرّه برد

اذا شئت حفت بى على كل سابح * رجال كأن الموت فى فمها شهد

أذمّ الى هذا الزمان أهيله * فأعلمهم فدم وأحزمهم وغد

وأكرمهم كلب وأبصرهم عم * وأسهدهم فهد وأشجعهم قرد

ومن نكد الدنيا على الحرّ أن يرى * عدوّاله ما من صداقته بدّ

فهو فى البيت المذكور يصف شدّة وطأتهم على العدا وثباتهم على اللقاء وانهم مسرعون الى الاجابة اذا دعوا الى كفاية مهمّ ومدافعة خطب مدلهمّ وان الواحد منهم يقوم مقام جماعة من غيرهم (والشاهد فيه) مجىء التقسيم على وجه آخر وهو أن تذكر أحوال الشئ مضافا الى كل من تلك الاحوال ما يليق به فانه ذكر أحوال المشايخ وأضاف الى كل منها ما يليق به وهو ظاهر ومن أنواع الجمع مع التقسيم قول الخالدى

فى وجهه كل ريحان تراح له * منا قلوب وأبصار وتهواه

النرجس الغض عيناه وطرّته * بنفسج وجنى الورد خدّاه

ومثله قول ابن قلاقس

حملت من الازهار أشباه الربا * فتساوت الأمثال والأشكال

فالآس صدغ والأقاحى مبسم * والورد خدّ والبنفسج خال

وقول الصاحب بن عباد فى الوزير ابن العميد

قدم الوزير مقدما فى سبقه * فكأنما الدنيا جرت فى طوقه

فجبالها من حلمه وبحارها * من جوده ورياضها من خلقه

ومن بديع الجمع مع التقسيم قول ابن سكرة الهاشمى

جاء الشتاء وعندى من حوائجه * سبع اذا القطر عن حاجاتنا حبسا

القطاط فأنشدونا ما عملتم فقلنا على سبيل الهزؤ لا يتقدّم أحد على علم الدين فجعل الشابانى يصف شعره ويقول قد عملت بيتين ما يقدر أحد أن يعمل مثلهما وزاد فى الدعوى ثم أنشد

قمر عند نابه
نهر جيرون كوثر
لو تراءى لسنجر
قبل الارض سنجر

فجرى بينه وبين الحورانى من المشاغبة ما ضاق به الوقت وقال له ويحك أين هذا مما نحن فيه وأى مناسبة بينه وبين المعنى الذى اقترح عليك وكان جمال الدين بن رواحة فاضلا لطيفا فقال لى بالله عليك الا أنشدت قبلى فقد رأيتك عملت أكثر منى وكنت الى جانبه فانشدت ما قلت وهو

حتام عذلك قد أسرفت فى عذلى
قلبى من الوجد ملآن وأنت خلى
أعاذك الله من وجدى ومن كلفى
ومن غرامى ومن خوفى ومن وجلى
لو كان يا سعد للطوفان ما ذرفت
عيناى ما استعصم المغرور بالجبل

كن وكيس وكانون وكاس طلا * مع الكباب وكس ناعم وكسا

وقد تبع ابن سكرة في جادته هذه التي سلكها جماعة من الادباء فمنهم من جاراه ومنهم من كبا فمن ذلك قول بعضهم

وكافات الشتاء تعد سبعا * ومالي طاقة بلقاء سبع
اذا ظفرت بكاف الكيس كفي * ظفرت بغير فرد يأتي بجمع

وقول الآخر أيضا جاء الشتاء وما الكافات حاضرة * وانما حضرت منهن أبدال
قل وفقر وقلب موجع وقلا * وقادرها جر والقيل والقال

وقول جمال الدين ياقوت الكاتب

جاء الشتاء ببرد لا مرد له * ولم يطق جرقاس يقاسيه
لا الكاس عندي ولا الكانون متقد * كني ظلامي وكيسي قل ما فيه
دع الكباب وخل الكس وأسفا * على كسا أتغطى في دياجيه

ولمؤلفه في قريب منه قلت لذي صبوة بكافا * ت شتوة من عنائه دعني
والهف قلبي على كساء * يرد برد الشتاء عني

ومن باب جاء الشتاء قول الاعرابي

جاء الشتاء وليس عندي درهم * ولقد يصاب بمثل هذا المسلم
وتقسم الناس الجباب وغيرها * وكأنني بفناء مكة محرم

وقول آخر من الاعراب جاء الشتاء ومسنا فقر * وأصابنا في عيشنا ضر
ضر وفقر نحن بينهما * هذا العمر أبيكما الشر

وقول جحظة أيضا جاء الشتاء وما عندي له ورق * مما وهبت ولا عندي له خلع
كانت فبددها جود ولعت به * وللمساكين أيضا بالندى ولع

وقول أبي نصر بن نباتة السعدي

جاء الشتاء وما عندي له عدد * الا ارتعاد وتقريص بأسناني
ولو قضيت لما قد مرت في كفني * هبني قضيت فهبني بعض أكفاني

وقول أبي طالب المأموني في طست الشمع

وحديقة تهتز فيها روضة * لم ينمها ترب ولا أمطار
فصعيدها صفر ونامي غصنها * شمع وما قد أثمرته نار

وقول أبي الفضل الميكالي ومهفهف تهفو بلب المرء منه شمائل
فالردف دعص هائل * والقد غصن مائل والخد نور شقائق * تنقد عنه غلائل
والعرف مثل حدائق * غنت بهن شمائل والطرف سيف ماله * الا العذار حمائل

ولطيف قول منصور الفقيه بنو آدم كالنبت * ونبت الارض ألوان
فمنه شجر الصندل والكافور والبان * ومنه شجر أفضل ما يحمل قطران

وفي معناه قول رجل من عبد القيس

حامل الناس اذا ماجئتهم * انما الناس كأمثال الشجر
منهم المذموم في منظره * وهو صلب عوده حلو الثمر
وترى منهم أثيثا نبته * طعمه مر وفي العود خور

ومثله قول الآخر أيضا الناس كالترب ومنهاهم * من خشن اللمس ومن لين
فلمد تدمى به أرجل * واثمد يوضع في الاعين

وقول الآخر والناس كالناس الا أن تجربهم * وللبصيرة حكم ليس للبصر

أو كنت عاينت ما عاينت من قمري
لكنت أول مشتاق الى أمل
بمهجتي راشق لي قوس حاجبه
كأنما الطرف رام من بني ثعل
يميل عطفاه من سكر الصبا مرحا
كما تمايل عطف الشارب الثمل
ما لاحت الشمس في رأد الضحى وبدا
للشمس الا رماها الطفل بالطفل
يا حامل الصارم الهندي منتصرا
ضع السلاح فقد استغنيت بالكحل
ما يفعل الظبي بالسيف الصقيل وما
ضرب الصوارم مع ضرب من المقل
قد كنت في الناس سنيا فما برحت
بي شيعة الحسن حتى صرت عبد علي
قال فأخرج ابن رواحة رقعته ومزقها وقال من يحسن مثل هذه البديهة لا ينشد معه شعر (وأخبرني) الاديب راج بن اسمعيل الحلي قال خرجنا مع مهذب الدين أبي الحسن علي بن نظيف أيام كتابته للملك المعز اسحق ابن الملك الناصر رحمه الله تعالى الى الاهرام للتنزه ومعه الاديب بهاء

كالا ّ بك مشتبهات فى منابتها * وانما يقع التفضيل فى الثمر
ولابى عبدالله الغواص فى وصف دار

يادار سعد قد علت شرفاتها * بنيت شبيهة قبلة للناس
لورود وفد أولد فع ملمة * أو بذل مال أو ادارة كاس

وما أحسن قول الرستمى

ياابن الذين اذا ابتنوا شادوا وان * أسدوا ياداعادوا وان بعدوا بقوا
ان حاربوا لم يحجموا أو فاربوا * لم ينـدموا أو عاقبوا لم يشـتفوا
ومتى استجيروا أسعفوا ومتى استنيبوا أسرفوا ومتى استعيدوا أضعفوا
ان عاهدوا لم يخفروا أو عاقدوا * لم يغدروا أو ملكوا لم يعسفوا

وبديع قول ابن شمس الخلافة

أناس أبوا غير التلون عادة * فشأنهم فى الحب هون واذلال
وصال وهجر واجتماع وفرقة * وبذل وامساك وحل وترحال
فان سمحوا ضنوا وان عطفوا جنوا * وان عقدوا حلوا وان عهدوا طالوا

وقول ابن هرمة قوم لهم شرف الدنيا وسوددها * صفو على الناس لم يخلط بهم رنق

ان حاربوا وضعوا أو سالموا رفعوا * أو عاقدوا ضمنوا أو حدثوا صدقوا

ومنه قول حسان بن ثابت الانصارى رضى الله عنه يهجو

قوم لئام فلن تلقى لهم شبها * الا التيوس على أكتافها الشعر
ان سابقوا سبقوا أو نافروا نفروا * أو كاثروا أحدا من غيرهم كثروا
قوم لئام أقل الله خيرهم * كما تساقط حول الفقحة البعر
كأن ريحهم فى الناس اذ برزوا * ريح الكلاب اذا ما بلها المطر

(وشوهاء تعدو بى الى صارخ الوغى * بمستلئم مثل الفنيق المرحل)

البيت من الطويل ولا يعرف قائله وشوهاء صفة لفرس وهى الطويلة الرائعة والمفرطة رحب الشدقين والمنخرين والوغى الحرب والمستلئم لابس اللأمة وهو الدرع والفنيق الفحل المكرم لا يؤذى لكرامته على أهله ولا يركب ويجمع على فنق بضم أوله وثانيه والمرحل من رحل البعير أشخصه عن مكانه وأرسله (والشاهد فيه) التجريد وهو أن ينتزع من أمر ذى صفة آخر مثله فيها مبالغة لكمالها فيه وهنا قال تعدو بى ومعى من نفسى لابس درع لكمال استعدادى للحرب فبالغ فى اتصافه بالاستعداد حتى انتزع منه مستعدا آخر لابس درع والله أعلم

(ولئن بقيت لأرحلن بغزوة * تحوى الغنائم أو يموت كريم)

البيت لقتادة بن مسلمة الحنفى من قصيدة من الكامل أولها

بكرت على من السفاة تلومنى * سفها تعجز بعلها وتلوم * لما رأتنى قد رزئت فوارسى
وبدت بجسمى نهكة وكلوم * ما كنت أول من أصاب بنكبة * دهر وحى باسلون جميم
الى أن يقول فيها ومعى أسود من حنيفة فى الوغى * للبيض فوق رؤسهم تسويم
قوم اذا لبسوا الحديد كأنهم * فى البيض والحلق الدلاص نجوم

وبعده البيت والغنائم جمع غنيمة وهى الفوز بالشئ بلا مشقة (والشاهد فيه) التجريد بدون توسط حرف فانه عنى بالكريم نفسه فكأنه انتزع من نفسه كريما مبالغة فى كرمه واذا لم يقل أو أموت

(ياخير من يركب المطى ولا * يشرب كأسا بكف من بخلا)

البيت من المنسرح وقائله الاعشى من قصيدته السابقة فى شواهد المسند (والشاهد فيه) التجريد بطريق

الدين بن الساعاتى والجمال ابن التاج البغدادى والمهذب ابن الخيمى والاوحد الواسطى فاتفق أن كبت به بغلته ثم وثبت ورفعت يديها فتعاطينا القول فى ذلك فبدر بهاء الدين بن الساعاتى فقال

قبل مادت من تحت ذا السيد الار
ض ولم تأتنا له بمثال
هو طود النهى ومن أعجب الاشـ
ياء أرض تميد تحت الجبال

(وقال ابن التاج)

جلست بغلة الامين تربنا
صدق حس كأنه الهام
أظهرت ميزة على النوع اذ أصـ
بح فى الجنس ذا علا لا يرام
نحن فى خدمة قيام اديه
ثم بغلا تناله قيام

(وقال الواسطى)

لم تكب بغلتك الخضراء
من خور
يامن هو اليوم للاسلام
مسعده
لكنها الارض مادت تحتها
طربا
اذ شرفت بك يامن طاب
محتده

(وقال ابن الخيمى)

أقسمت بغلة الرئيس المفدى
حين حطت لعجزها عنه ظهرا
انما رفعت يديها اقنوتا
بعد أن قبلت ثرى الارض
عشرا

الكناية فانه انتزع من الممدوح جوادا يشرب هو الكأس بكفه على طريق الكناية لانه اذا نفى عنه الشرب بكف البخيل فقد أثبته له بكف الكريم ومعلوم أنه شرب بكفه فهو ذلك الكريم

(لا خيل عندك تهديها ولا مال)

قائله أبو الطيب المتنبي وهو أوّل قصيدة من البسيط يمدح بها فاتكا وقد حمل اليه هدية ألف دينار وكان بمصر مقيما وتمامه (فليسعد النطق ان لم تسعد الحال) وبعده

واجز الامير الذى نعماه فاجئة * بغير قول ونعمى الناس أقوال
فربما جزت الاحسان موليه * خريدة من عذارى الحى مكسال
وان تكن محكمات الشكل تمنعنى * ظهور جرى فلى فيهن تصهال
وما شكرت لان المال فرحنى * سيان عندى اكثار واقلال
لكن رأيت قبيحا أن يجاد لنا * وأننا بقضاء الحق بخال

وهى طويلة وأراد بالحال الغنى (والشاهد فيه) التجريد بمخاطبة الانسان نفسه فكأنه انتزع من نفسه شخصا آخر مثله فى فقد الخيل والمال والحال ومثله قول الاعشى

ودع هريرة ان الركب مرتحل * وهل تطيق فراقا أيها الرجل

ومن الامثلة فى التجريد قول التميمى لعبدة بن عامر الحنفى الحارجى

متى تلق الجريش جريش سعد * وعبادا يقودوا الدارعينا
تبين أن أمك لم تورك * ولم ترضع أمير المؤمنينا

ومثله قول ذى الرمة أيضا

وليل كأثناء الدويدى جبته * بأربعة والشخص فى العين واحد
أحم علافى وأبيض صارم * وأعيس مهرى وأروع ماجد

أراد بالاحم العلافى الرحل وهو منسوب الى علاف رجل من قضاعة تنسب اليه الرحال لانه أوّل من عملها وأراد بالاروع الماجد نفسه وهو تجريد ظاهر لان قوله جبته بأربعة ثم عد فيها الاروع الماجد مشعر بأنه شخص آخر وهو معنى التجريد ومنه قول الشاعر

أباحت بنو مروان ظلما دماءنا * وفى الله ان لم ينصفوا حكم عدل

وقول المعرى هاجت غير فهاجت منك ذا لبد * والليث أفتك أفعالا من النمر
وقول الشاعر أيضا وبى ظبية أدماء ناعمة الصلا * تحار الظباء الغيد من افتاتها
أعانق غصن البان من لين قدها * وأجنى جنى الورد من وجناتها
وقول الآخر أيضا ان تلقنى لا ترى غيرى بناظرة * ينسى السلاح ويغزو جبهة الاسد
وقول ابن جابر الاندلسى جزيل الندى ذو أياد غدت * يحدث عنهن فى كل نادى
يلاقيك منه اذا جئته * كثير الرماد طويل النجاد

(فعادى عداء بين ثور ونعجة * دراكا ولم ينضح بماء فيغسل)

البيت لامرئ القيس من قصيدته المشهورة السابقة فى شواهد المقدمة وقبل البيت

فعن لنا سرب كأن نعاجه * عذارى دوار فى ملاء مذيل * فأدبرن كالجزع المفصل بينه
بجيد معم فى العشيرة مخول * فألحقنا بالهاديات ودونه * جواحرها فى صرة لم تزيل
وبعده البيت وبعده فظل طهاة اللحم من بين منضج * صفيف شواء أو قدير معجل
ورحنا يكاد الطرف يقصر دونه * متى ما ترق العين فيه تسهل
فبات عليه سرجه ولجامه * وبات بعينى قائما غير مرسل

والمعنى فى البيت أنه يصف فرسه بأنه لا يعرق وان كثر العدو منه والعداء بالكسر والمد الموالاة بين الصيدين يصرع أحدهما على أثر الآخر فى طلق واحد وأراد بالثور الذكر من بقر الوحش وبالنعجة الانثى منها ومعنى

(الثالثة)

اذ غدت من حباه حاملة طو
دا ومن جود كفه العذب بحرا
(قال وقلت أنا)
وحسام ملك يستضاء برأيه
ويفل حد النائبات بحده
لم تكب بغلته لخون قوائم
تطأ الصفا وترض صفحة
صلده
لكنها جلت مشرع سودد
بذ الاكارم فى امامة مجده
سجدت وقد صلت صفوف
وفوده
من خلفه يتلون آية حمده
(قال على بن ظافر) وقد
رأيت هذه القطعة التى
نسبها الحلى لنفسه فى ديوان
ابن الساعاتى وقد كان الحلى
مع جودته كثير الاغارة
عليه (وأخبرنى) الاديب
أبو القاسم بن نفطويه قال
أنشدنى بعض أصحابنا بيتا
وسألنى أن أضمنه وهو
فليت الشمس لو بقيت قليلا
ففيها كلما بقيت بقائى
(فصنعت بديها)
ولما أن تلاقينا بكينا
بكاء القرب من بعد التنائى
وهمت دوام طيب الوصل منه
فأعرض عند ذاك عن
اقتضائى
وواعدنى اذا ما الشمس غابت
وولت لا سبيل الى اللقاء
فليت الشمس لو بقيت قليلا
ففيها كلما بقيت بقائى
(قال) ثم مر بى القاضى أبو
الحسن على بن النبيه

دراكامتتابعا ويغسل مجزوم معطوف على ينضح والمعنى لم يعرق فيغسل (والشاهد فيه) المبالغة ويسمى التبليغ وهو ادّعاء ممكن عقلا وعادة فانه ادّعى أن فرسه أدرك ثورا وبقرة وحشيين فى مضمار واحد ولم يعرق وهذا ممكن عقلا وعادة وقد استعمل امرؤ القيس هذا المعنى فى شعره كثيرا فقال من قصيدة

وعاديت منه بين ثور ونعجة * وكان عدائى اذ ركبت على بالى

وقال أيضا من أخرى فأقصد نعجة وأعرض ثورها * كفحل الهجان ينتحى للغضيض

ووالى ثلاثا واثنتين وأربعا * وغادر أخرى فى قناة رفيض

وقال أيضا من أخرى فادرك لم يعرق مناط عذاره * يمرّ كخذروف الوليد المثقب

الى أن قال بعد أبيات فغادر صرعى من حمار وخاضب * وتيس وثور كالهشيمة قرهب

وقال من أخرى فصاد لنا عيرا وثورا وخاضبا * عداء ولم ينضح بماء فيعرق

وقد ألمّ المتنبى بهذا المعنى فقال فى وصف جواد أجاد

وأصرع أىّ الوحش قفيته به * وأنزل عنه مثله حين أركب

وينظر الى صدر بيت المتنبى قوله أيضا

وخيل اذا مرّت بوحش وروضة * أبت رعيها الا ومرجلنا يغلى

وقد ألمّ به أبو طاهر الاردستانى بقوله من قصيدة

طمرّ أبى أن يرتع العشب فى الطوى * ولم نغل للاضياف فى الحىّ مرجلا

ومنه قول امرئ القيس أيضا

اذا ما ركبنا قال ولدان بيتنا * تعالوا الى أن يأتى الصيد نحطب

يشير الى سرعة مجيئهم بالصيد وقوة يقينهم بالظفر به ومثله قول ابن المعتز فى وصف البازى

قد وثق القوم له بما طلب * فهو اذا خلى لصيد واضطرب

عدّوا اسكاكينهم من القرب

ومثله قول الآخر فيه (مبارك اذا رأى فقد رزق) رجع الى المبالغة وان لم نخرج عنها قال ابن أبى الاصبع أبلغ شعر سمعته فى باب المبالغة قول شاعر الحماسة

رهنت يدى بالعجز عن شكر برّه * وما فوق شكرى للشكور مزيد

ولو كان مما يستطاع استطعته * ولكنّ ما لا يستطاع شديد

ومن هنا قال أبو نواس لا تسدينّ الىّ عارفة * حتى أقوم بشكر ما سلفا

ومن المبالغة قول النظام توهمه طرفى فآلم خده * فصار مكان الوهم من نظرى أثر

وصافحه كفى فآلم كفه * فمن صفح كفى فى أنامله عقر

ومرّ بفكرى خاطرا فجرحته * ولم أر خلقا قط تجرحه الفكر

يقال أن الجاحظ لما بلغه ذلك قال هذا ينبغى أن لا ينالك الا بأير من الوهم وعجيب فى المبالغة قول السلامىّ فى عضد الدولة أيضا

اليك طوى عرض البسيطة عاجلا * قصارى المطايا أن يلوح لها القصر

فكنت وعزمى فى الظلام وصارمى * ثلاثة أشباه كما اجتمع النسر

وبشرت آمالى بملك هو الورى * ودار هى الدنيا ويوم هو الدهر

وقوله أيضا وأجاد أقبل علىّ وقل ضيفى ومنتجعى * وشاعرى قاصدى راجىّ مختارى

أنت الأنام فمن أدعو وحضرتك الدنيا فأين أقصى بعض أوطارى

ومثله قول المتنبى هى الغرض الاقصى ورؤيتك المنى * ومنزلك الدنيا وأنت الخلائق

وقول القاضى ناصح الدين الارّجانى

ياسائلى عنه لما جئت أمدحه * هذا هو الرجل العارى من العارى

فأنشدته البيت وسألته أن يضمنه فقال بديها

عنى العيس التى ظعنت بسلمى

تعود بها وتنعم باللقاء

تولت بالعشىّ ولا عجيب

مغيب الشمس فى وقت العشاء

فليت الشمس لو بقيت قليلا

ففيها كلما بقيت بقائى

ثم جاء الىّ الاديب أبو المعز الاعجمى فسألته تضمينه فقال بديها

بدت شمس النهار فخيلت لى

بأنك قد رفعت الى السماء

فصرت أذوب وهى تزول عنى

الى أن صرت فى حدّ الفناء

فليت الشمس لو بقيت قليلا

ففيها كلما بقيت بقائى

(قال) ثم مرّ بى الفقيه أبو محمد القلعى فسألته تضمينه فقال بديها

اذا هزم الظلام سنى الضياء

قضى ترحال وصلك بانقضائى

فليت الشمس لو بقيت قليلا

ففيها كلما بقيت بقائى

(واجتمع) يوما شهاب الدين يعقوب والشريف فخر الدين أبو البركات العباس ابن عبد الله العباسىّ على أن يصنعا هجاء فى صبىّ يسمى يونس فصنع الشريف بديها

يونس يا متلفى بهجر

قد لج فيه بلا انتهاء

ان بلع الحوت لابن متى

ثم ألقاه بالعراء

لقيته فرأيت الناس فى رجل * والدهر فى ساعة والارض فى دار

وقول أبى محمد الخوارزمى

أيا سائلى عن كنه علياه انه * لأعطى مالم يعطه الثقلان

فمن يره فى منزل فكأنما * رأى كل انسان وكل مكان

ومن بديع المبالغة قول ابن نباتة السعدى فى سيف الدولة من قصيدة وأجاد

قد جدت لى باللهى حتى ضجرت بها * وكدت من ضجرى أثنى على البخل

ان كنت ترغب فى بذل النوال لنا * فاخلق لنا رغبة أولا فلا تنل

لم يبق جودك لى شيأ أؤمله * تركتنى أصحب الدنيا بلا أمل

وأبلغ منه قول أبى الفرج الببغاء فى سعد الدولة بن سيف الدولة

لا غيث نعماه فى الورى خلب الـ * برق ولا ورد جوده وشل

جاد الى ان لم يبق نائله * مالا ولم يبق للورى أمل

وقريب من هذا المعنى قول ابن بابك فى الصاحب بن عباد

فحسن ظنك بى استوفى مدى أملى * وحسن رأيك بى لم يبق لى أربا

ومن محاسن المبالغة قول ابن اللبانة وقد رأى ابن المعتمد بن عباد صائغا بعد الملك

أذكى القلوب أسى أجرى الدموع دما * خطب وجودك فيه يشبه العدما

وعاد كونك فى دكان قارعة * من بعدما كنت فى قصر حكى ارما

صرفت فى آلة الصواغ أنملة * لم تدر الا الندى والسيف والقلما

يد عهدتك للتقبيل تبسطها * فتستقل الثريا أن تكون فما

يا صائغا كانت العليا تصاغ له * حليا وكان عليه الحلى منتظما

النفخ فى الصور هول ما حكاه سوى * يوم رأيتك فيه تنفخ الفحما

وددت اذ نظرت عينى اليك به * لو أن عينى تشكو قبل ذاك عمى

لح فى العلا كوكبا ان لم تلح قمرا * وقم بها ربوة ان لم تقم علما

وما أبلغ قول السلامى فى جيشه خمسون ألفا كعنتر * وأمضى وفى خزانه ألف حاتم

ولمؤلفه فيها من قصيدة متى لمست كفه معدما * أصاب الغنى وانثنى مسعفا

وان لحت عينه خاملا * غدا نابها قبل أن يطرفا

ومن المبالغة فى المجون قول ابن حجاج

فتاة كالمهاة تروق عينى * مشاهدها وتفتن من رآها

تكاد ترد للمحبوب ايرا * وتحدث للفتى العنين باها

وهو من قول جحظة البرمكى لو مر بالأعمى لأبصر أو بعنين لأنعظ

ولقد أحسن الخالدى وأجاد الى الغاية فى قوله من قصيدة

كأنما من ثناياها ومبسمها * أيدى الغمام سرقن البرق والبردا

وبديع قول السلامى أيضا

تسمت والخيل العتاق عوابس * وأقدمتها والحرب لم تتأجج

فما وطئت الا على خد سيد * ولا عثرت الا برأس متوج

وقد أغرب الوأواء الدمشقى بقوله

متى أرعى رياض الحسن منه * وعينى قد تضمها غدير

ولو نصبت رحى بازاء دمعى * لكانت من تحدره تدور

ومن المبالغة فى البخل قول ابن الرومى

فرب حوت بات اضحى
مكتسيا منك بالخراء
وصنع الشهاب وعرض بالحلى
أدارون الصدغ فى خده
حتى غدا يونس ذا النون
وأنبت الحلى من فوقه
لما علاه أصل يقطين
ثم صنعا فيه هذا البيت وهو
ان بلعت يونس حوت فكم
بلعت يا يونس من حوت
وكنت فى صدر العمر وابتداء
قول الشعر صنعت قطعة
فى صدر نارنج عليه طلع
مفروط وهى
انظر الى النارنج والطلع الذى
جاء الغلام بجمعه متمايلا
فكأنما النارنج قد صاغوه
من
ذهب قناديلا وذاك سلاسلا
(ثم زدت عليه فقلت)
أتانا بصدر واسع لو بدا لمن
تعبد أحيا صبوة المتعبد
حكى طلعه فيه سلاسل فضة
ونارنجه يحكى قناديل عسجد
ثم اختصرته فقلت
أيا حسن صدر فيه مفروط طلعة
يقارن نارنجا به متلالى
لقد أحسن الشخص الذى جمعتهما
يداه وأهدى فيه كل جمال
قناديل تبر فى سلاسل فضة
والاعقيق فى سموط لآلى
(واتفق) انشاد القطع فى
بعض الليالى بالجامع لجماعة
من أصحابنا فيهم ابن الدروى

لوان قصرك يا ابن يوسف ممتل * ابرا يضيق بها فناء المنزل
وأتاك يوسف يستعيرك ابرة * ليخيط قدّ قميصه لم تفعل

ومثله قول كشاجم
يامن يؤمّل جعفرا * من بين أهل زمانه
لوأن فى استك درهما * لاستله بلسانه

وقول دعبل
ان هذا الفتى يصون رغيفا * ماالبه لناظر من سبيل
هو فى سفرتين من أدم الطا * ئف فى سلتين فى منديل
ختمت كل سلة بحديد * وسيور قددن من جلد فيل
فى جراب فى جوف تابوت موسى * والمفاتيح عند اسرافيل

وقول بعضهم أيضا
فتى لوأدخل الحمام حولا * وحولا بعد أحوال كثيره
وألبس ألف فرو بعد ألف * ولحف حشوها قطن الجزيره
وأوقدت الجحيم عليه حتى * تصير عظامه مثل الذريره
لما عرقت أنامله لبخل * بعشر عشير معشار الشعيره

ومنه قول بعضهم
رغيفك فى الجراب عليه قفل * وحرّاس وأبواب منيعه
رأوا فى بيته يوما رغيفا * فقال لضيفه هذا وديعه

ومنه قول عبدان الاصفهانى
رغيفك فى الأمن ياسيدى * يحل محل حمام الحرم
فلله درّك من سيد * حرام الرغيف حلال الحرم

وقول ابن الرومى أيضا
فتى على خبزه ونائله * أشفق من والد على ولده
رغيفه منه حين تسأله * مكان روح الجبان من جسده

ومن المبالغة فى الهجو قول الشريف الناسخ
لست أخشى حرّ الهجير اذا كا * ن حسين الصوّاف فى الناس حيا
فسبيت من شعره أتقى الحرّ وفى ظل أنفه أتفيا

ومنه قول الآخر أيضا
ورب أنف لصديق لنا * تحديده ليس بمعلوم
ليس عن العرش له حاجب * كأنه دعوة مظلوم

وقول البحتري أيضا
شبهت أملك كردكوه بعينها * والفرق بينهما جلىّ المقصد
ان الملاحدة أصبحوا فى قلعة * ورأيت أنفك قلعة فى ملحد

وقول الصابى يهجو أبخر
قد أبصرت عينى العجائب كلها * ما أبصرت مثل ابن نصر أبخرا
ماشمّ نكهته امرؤ متعطر * الاوعاد مخاطه مهما خرا

وقوله فيه أيضا
نطق ابن نصر فاستطارت جيفة * فى العالمين لنتن فيه الفاسد
فكأن أهل الارض كلهم فسوا * متواطئين على اتفاق واحد

ومثله قول ابن زريق الكوفى الكاتب
ولى صاحب أفسى البرية كلها * يشككنى فيه اذا ماتنفسا
تحوّلت الأنفاس منه الى استه * فما أحد يدرى تنفس أم فسا

ولبعضهم وأجاد
أنا عالم من أرض فاس * يجادل بالدليل وبالقياس
ومافاس ببلدته ولكن * فسا بفسو فساء فهو فاسى

وقول ابن درّة الشاعر فى معيان

فقال يتولد من هذا معنى فى صدر فيه نارنجتان وطلع مفروط ويشبه ذلك بنهدين فى صدر عليهما أسماط درّ فاستحسنت المعنى وأطرق كل منا لنظمه ثم أنشدت

وصدر به نارنجتان تبدتا
ومفروط طلع بالملاحة حالى
تخلت بذاك الصدر نهدى خريدة
وقد وشحت زهوا بسموط لآلى

(ثم أنشدهو)

أرسلت لى نارنجتين على صد
ر وحفتهما بطلع نضيد
ثم قالت تسلّ عنى فهذا
مثل صدرى والدرّ فوق نهودى

(ثم ذكر معنى آخر) فأطرقنا لنظمه فصنعت كالمرتجل

ألست ترى النارنجتين وقد بدا
يحفهما طلع نضيد منظم
كخدّى غلام قد تأمّل حسنه
جماعة عشاق له فتبسموا

فلم يصنع فيه شيأ ثم اقترح معنى غيره فنظمت فيه

وطلع بدا للعين وهو مقارنا
لنارنجتين يجتلى الحسن منهما
كدمع جرى من جفن ظبى متيم
وأضحى على الخدين منه منظما

(وصنع هو هذا البيت)

وطلع على نارنجتين كأنه
دموع محب فوق خدّى حبيبه

مدوّر الكعب فاتخذه * لتل ّغرس وتل ّعرش لو رمقت عينه الثريا * أخرجها في بنات نعش

وقد بالغ بعضهم في ملازمة الرقيب بقوله

أنا والحب ما خلونا ولا طر * فة عين الا علينا رقيب
ما اجتمعنا بحيث ان يمكن الدهـ * ـر بأني أقول أنت الحبيب
بل خلونا بقصد وما قلت أنت الشـ * ـمس فوافى فقلت كيم الطبيب

ومن المبالغة نوع يسمى الاستظهار كقول ابن المعتز العباسي لابن طباطبا العلوي أو غيره

فأنتم بنو بنته دوننا * ونحن بنو عمه المسلم

فقوله المسلم استظهار لان العلوية من بني عم ّ النبي صلى الله عليه وسلم أيضا أعني أبا طالب ومات جاهليا فكأن ابن المعتز أشار بحذقه الى ميراث الخلافة وقد أخذه ابن المعتز من قول ابن مروان بن أبي حفصة وكان شديد العداوة لآل أبي طالب حين قال مخاطبا لهم

خلوا الطريق لمعشر عاداتهم * حطم المناكب يوم كل زحام * ارضوا بما قسم الاله لكم به
ودعوا وراثة كل أصيد سامى * أنى يكون وليس ذاك بكائن * لبني البنات وراثة الاعمام

وقد أخذه من مولى لتمام بن العباس بن عبد المطلب قاله لمولى من موالي النبي صلى الله عليه وسلم لما أتى الحسين رضي الله عنه فقال له أنا مولاك يا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم

جحدت بني العباس حق أبيهم * فما كنت في الدعوى كريم العواقب
متى كان أولاد البنات كوارث * يحوز ويدعى والدا في المناسب

ومثله قول الطاهر بن علي بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس في الطالبيين

لو كان جدكم هناك وجدنا * فتنازعا فيه لوقت خصام * كان التراث لجدنا من دونه
حواه بالقربى وبالاسلام * حق البنات فريضة معلومة * والعم أولى من بني الاعمام

(ونكرم جارنا ما دام فينا * ونتبعه الكرامة حيث مالا)

البيت من الوافر وهو لعمرو بن الأهتم التغلبي (والشاهد فيه) الاغراق وهو ادعاء ممكن عقلا لا عادة فانه ادعى أن جاره لا يميل عنه الى جانب الا وهو يرسل الكرامة والعطاء اليه على اثره وهذا ممكن عقلا ممتنع عادة ومن أمثلته قول امرئ القيس

تنورتها من أذرعات وأهلها * بيثرب أدنى دارها نظر عالى

فان أذرعات من الشام ويثرب مدينة النبي صلى الله عليه وسلم ورؤية النار من بعد هذه المسافة لا يمتنع عقلا ويمتنع عادة ومن محاسن ما استشهدوا به على نوع الاغراق قول القائل

ولو أن ما بي من جوى وصبابة * على جمل لم يدخل النار كافر

يريد أنه لو كان ما به من الحب بجمل لنحل حتى يدخل في سم الخياط وذلك لا يستحيل عقلا اذ القدرة صالحة لذلك لكنه يمتنع عادة وقد تفنن الشعراء في المبالغة في النحول فمن ذلك قول المتنبي

روح تردد في مثل الخلال اذا * أطارت الريح عنه الثوب لم يبن
كفى بجسمي نحولا أنني رجل * لولا مخاطبتي اياك لم ترني

وقد أخذه من قول الآخر

برى صنى لم يدع مني سوى شبحي * لو لم أقل ها أنا للناس لم أبن

ومثله قول بعضهم

ها فانظروني سقيما بعد فرقتكم * لو لم أقل ها أنا للناس لم أبن
لو أن ابرة رفاء أكلفها * جريت في ثقبها من دقة البدن

وما ألطف قول الشيخ شرف الدين بن الفارض في هذا المعنى

كأني هلال الشك لولا تأوهي * خفيت فلم تهد العيون لرؤيتي

(وفي هذه الليلة) أمطرت السماء مطرا خفيفا صقل رخام الصحن حتى لمع وجهه وتعارضت أشعة القناديل عليه فتماطينا وصفه فصنعت

انظر الى حسن القناديل التي * لاحت كشهب في متون سماء
والصحن قد أبدى شهاب شعاعه * انصار مصقولا بتر الماء
فكأنما هي أسطر من عسجد * كتبت بظهر صحيفة بيضاء

(ثم صنع ابن الذروي)

أبا حسن جامع مصر وقد * تروّى من الوابل المغدق
وضوء القناديل من فوقه * كأسطر تبر على مهرق

(قال علي بن ظافر) حضرنا يوما عند الصاحب صفي الدين بالمعسكر المنصور على بلبيس عند بروز السلطان اسفرته الثانية حين حوصرت دمشق الحصار الثاني في خيمته بمجلس حفل لم يعدم فيه أحد من مشايخ الدولة ووجوهها وهم اذ ذاك متوفرون لم ينقص لهم عدد ولا فقد منهم أحد فأنشدني ابن أبي حفصة قصيدة عابثه في بعض أبياتها وارتقى الامر الى أن قال أسعد بن الخطير رحمه الله تعالى ان ههنا جماعة كلهم يقول الشعر فلو اقترح عليهم أن يصنعوا شيأ في بعض ما يقع تعيين الصاحب عليه لبان الجري ء الجنان من

ومثله قول نصر السفاقسي أذابه الحب حتى لو تمثله * بالوهم خلق لأعياهم توهمه
لولا الأنين ولوعات تحركه * لم يدره بعيان من يكامه
ومثله قول بعضهم قد سمعتم أنينه من بعيد * فاطلبوا الشخص حيث كان الانين
وقول ابن حجة الحموي وقد تجاوز جسمي حد كل ضنى * وها أنا اليوم في الاوهام تخييل
وما أحسن قول بشار سلبت عظامي لحمها فتركتها * عواري في أجلادها تتكسر
وأخليت منها مخها فتركتها * أنابيب في أجوافها الريح تصفر
خذي بيدي ثم ارفعي الثوب فانظري * ضنى جسدي لكنني أتستر
وليس الذي يجري من العين ماؤها * ولكنها نفس تذوب فتقطر
ومثل البيت الاخير قول ديك الجن
ليس ذا الدمع دمع عيني ولكن * هي نفس تذيبها أنفاسي
وقول ابن دريد أيضا لاتحسبي دمعي تحدر انما * روحي جرت في دمعي المتحدر
ومن الاغراق قول أبي القاسم بن هانئ
ليس الصباح به صبا ما مسفرا * وسقت شمائله السحاب سحابا
وقول المتنبي وثقنا بأن تعطى فلو لم تجد لنا * حسبناك قد أعطيت من قوة الوهم
ولم أقف على ترجمة ابن الاهتم التغلبي قائل البيت

﴿الغلو﴾

﴿ وأخفت أهل الشرك حتى أنه * لتخافك النطف التي لم تخلق ﴾

البيت لابي نواس من قصيدة من الكامل يمدح بها الرشيد أولها
خلق الزمان وشرتي لم تخلق * ورميت في غرض الزمان بأفوق
تقع السهام وراءه وكأنه * اثر الخدو والف طالب لم يلحق
وأرى قواي تكاءدتها ريشة * فاذا بطشت بطشت رخو المرفق
ولقد غدوت بدستبان معلم * صخب الجلاجل في الوظيف منسق
حرصت نعناه لتحسن كفه * عمل الرفيقة واستلاب الاخرق
واستمر في وصف البازي الى أن قال
هذا أمير المؤمنين انتاشني * والنفس بين مخنجر ومخنق
نفسي فداؤك يوم دابق منهما * لولا عواطف حلمه لم أطلق
حرمت من لحمي عليك محللا * وجمعت من شتى الى متفرق
فاقذف برحلك في جناب خليفة * سباق غايات بها لم يسبق
الى أن قال اني حلفت عليك جهد الية * قسما بكل مقصر ومحلق
لقد اتقيت الله حق تقاته * وجهدت فيه فوق جهد المتقي
وبعده البيت وبعده وبضاعة الشعراء ان أنفقتها * نفقت وان أكسدتها لم تنفق
(والشاهد في البيت) الغلو وهو ادعاء ما لا يمكن عقلا ولا عادة فانه ادعى ان النطف غير المخلوقة تخاف من سطوته وهذا ممتنع عقلا وعادة ومن ألطف ما يحكى هنا ان العتابي الشاعر لقي أبا نواس فقال له أما استحييت من الله بقولك وأخفت أهل الشرك البيت فقال له أبو نواس وأنت ما استحييت من الله بقولك
مازلت في غمرات الموت منطرحا * يضيق عني وسيع الرأي من حيلي
فلم تزل دائما تسعى بلطفك لي * حتى اختلست حياتي من يدي أجلي
فقال له العتابي قد علم الله وعلمت ان هذا ليس مثل ذلك ولكنك أعددت لكل ناصح جوابا وقد استعمل أبو نواس معنى البيت ثانيا فقال من قصيدة أخرى

العاجز للجبان ومن جملة من معنا في المجلس ممن يقول الشعر ابن سنا الملك والاسعد أبو القاسم عبد الرحيم بن شيث فاقترح الصاحب أن نعمل في منجنيق الشمعة وكان الهواء عاصفا فقلت
أرى شمعة ضمها المنجنيق
فجاءتك بالمنظر الاعجب
يجول عليها احمرار الغشاء
كما جال برق على كوكب
(وتبعني ابن شيث فقال)
وشمعة في المنجنيـ
ـق وهي فيه تشرق
كأنها من تحته
شمس علاها شفق
ولم يفتح على أحد بكلمة وانتقدوا عليه تشبيهها بالشمس وقالوا النجم أليق ثم قال الصاحب فيها معنى آخر لو نظم لكان مليحا وهو أن يشبه بالروح في الجسد لان انارة الجسد واضاءته بالروح التي في باطنه فارتجلت وقلت
وشمعة في المنجنيـ
ـق تلتظي وتتقد
تنير فيه مثل ما
ينير بالروح الجسد
فاستحسن الجماعة ذلك على حسب الوقت ثم بعد افتراق المجلس صنعت في الشمعة والمنجنيق وباكرت الصاحب به فأنشدته
ومجلس أنس ضم شمل جماعة
تعاطوا من الآداب خير رحيق

حتى الذى فى الرحم لم يك صورة * لفؤاده من خوفه خفقان

ومن الغلو أيضا قول البحترى

ولو أن مشتاقا تكلف فوق ما * فى وسعه لسعى اليك المنبر

ومن هنا أخذ المتنبى قوله لو تعقل الشجر التى قابلتها * مدت محيية اليك الأغصنا الا أن بيت البحترى أحسن وأمكن (حدث) أحمد البلاذرى المؤرخ قال كنت من جلساء المستعين بالله فقصده الشعراء فقال لست أقبل الا ممن قال مثل قول البحترى فى المتوكل ولو أن مشتاقا البيت فرجعت الى بيتى وأتيته وقلت قد قلت فيك أحسن مما قاله البحترى فقال هات وأنشدته

ولو أن برد المصطفى اذ لبسته * يظن لظن البرد أنك صاحبه

وقال وقد أعطيته ولبسته * نعم هذه أعطافه ومناكبه

فقال ارجع الى منزلك وافعل ما آمرك به فرجعت فبعث الى بسبعة آلاف دينار وقال ادخر هذه للحوادث بعدى ولك على الجراية والكفاية ما دمت حيا ومنه قول أبى نواس فى وصف الخمر

لا ينزل الليل حيث حلت * فدهر شرابها نهار

وقول الآخر أيضا منعت مهابتك القلوب كلامها * بالامر تكرهه وان لم تعلم

وقول التمار الواسطى وقيل نصر الخابز

قد كان لى فيما مضى خاتم * واليوم لو شئت تمنطقت به وذبت حتى صرت لو زج بى * فى مقلة النائم لم ينتبه

وقول كشاجم وما زال يبرى جملة الجسم حبها * وينقصه حتى لطفت عن النقص

وقد ذبت حتى صرت اذا ما جئتها * أمنت عليها أن يرى أهلها شخصى

وقول المظفر بن كيغلغ عبدك أمرضته فعده * أتلفه ان لم تكن ترده

ذاب فلو نشت عليه * كمك فى الفرس لم تجده

وقول ابن دانيال أيضا محب غدا جسمه ناحلا * يكاد لفرط الضنى أن يذوبا

ورق فلو حركته الصبا * لصار نسيما وعادت قضيبا

ومن الغلو قول الفرزدق يمدح العذافر بن زيد

لعمرك ما الارزاق حين اكتيالها * بأكثر خيرا من خوان العذافر * ولو ضافه الدجال يلتمس القرى

وحل على خبازه بالعساكر * بعدة يأجوج ومأجوج كلهم * لأشبعهم يوما غداء العذافر

وقال بعض أهل الادب هذا طعام اتخذ فى قدر القائل

وبوأت قدرى موضعا فوضعتها * برابية من بين ميث وأجرع * جعلت لها هضب الرجام وطخفة

وغولا أثافى دونها لم تنزع * بقدر كأن الليل شحمة قعرها * ترى الفيل فيها طافيا لم يقطع

وهذه الابيات للفرزدق أيضا ومن الغلو قول ابن دريد فى النحول

انى امرؤ أبقيت من جسمه * يا متلف الصب ولم يشعر صبابة لو أنها قطرة * تجول فى عينك لم تقطر

وقول بعضهم أيضا ولو شئت فى طى الكتاب لزرتكم * ولم تدر عنى أحرف وسطور

وأزيد منه فى الغلو قول أبى عثمان الخالدى

بنفسى حبيب بان صبرى بينه * وأودعنى الاحزان ساعة ودعا

وأنحلنى بالهجر حتى لو اننى * قذى بين جفنى أرمد ما توجعا

ومثله قول الوزير أبى الفضل بن العميد

فلو ان ما أبقيت من جسمى قذى * فى العين لم يمنع من الاغفاء

وزاد عليه المتنبى بقوله

أراك ظننت السلك جسمى فعقته * عليك بدر عن لقاء الترائب

لدى شمعة فى منجنيق غشاوه
كما أخجل التقبيل خد عشيق
ترى نارها من خلفه كنهارة
تراءت لنا من خلف ثوب شقيق
كما جليت خود بتاج ودونها
معصفر ستر للعيون رقيق
ويحكى عمودا من لجين مقمعا
بتبر بدا فى وسط بيت عتيق
(قال على بن ظافر) ومما يشبه هذا الباب وليس به ما ذكره ابن بسام فى الذخيرة ورويته بالاسناد المتقدم أن المتوكل بن الافطس كان له فرس أدهم أغر محجل على كفله ست نقط بيض فندب المتوكل الشعراء لوصفه فصنع الجبلى أبو الوليد فيه بديها
ركب البدر جوادا سابحا
تقف الريح لادنى مهله
لبس الليل قميصا سابغا
والثريا نقط فى كفله
وغدير الصبح قد خيض به
فبدا تحجيله من بلله
كل مطلوب وان طالت به
رجله من اجله فى اجله
(وصنع ابن اللبانة)
لله طرف جال يا ابن محمد
فحذت به حوباؤه التأميلا
لما رأى أن الظلام أديمه
أهدى لاربعه الهدى تحجيلا
وكأنما فى الردف منه مباسم
تبغى هنالك لرجله تقبيلا
(وقال) فيه عبد الله بن عبد البر الششترينى من قطعة

ولو قام القيت في شق رأسه * من السقم ما غيرت من سطر كاتب

ومن الغلو المفرط قول بعضهم

غرام ووجـد واشتياق وغربة * وماذاق انسان من الحب ماذقت

نحلت فلو علقت في رجل ذرة * لطارت ولم تشعر بأني تعلقت

ولو غت في جفن الذباب معرضا * من السقم لم تشعر بأني قدغت

ولو نفس من أنفها قد أصابني * من الشوق أومن حرّ أحشائها ذبت

ولهـذه الابيات خبر غريب أحببت ذكره (حدّث) الشيخ المقرى الصوفي الواعظ أبو عبد الله بن الخباز قال كنت مع جماعة من أهل التصوّف بأصبهان في رباط هنالك واجتمع أصحابنا ليلة في سماع فلما كان في أثناء ذلك بعد مضيّ جزء من الليل والوقت قد طاب اذ طرق الباب طارق فخرج اليـه من سمع ذلك فوجـد شيخا طويل القامة عظيم الهامة على رأسه كرزية وعليه فرجية وبيده ابريق وعكاز فقال ماهـذا قلنا سماع اجتمع فيه الاصحاب فقال ندخل فدخل فوجد القائل يقول

حلبـلي لاوالله ما القلب سالم * وان ظهرت مني شمائل صاحي

والا فـا بالى ولم أشهـد الوغى * أبيت كأني مثخن بجـــراح

فرمى للمنشد ما كان على رأسه ثم قال له قل فقال

يابانة الجزع لولا رنة الحادي * لما تنقلت من واد الى واد

ولا سلكت بنعمان الاراك ولا * شربت ماء به يانهلة الصادي

ثم قال أيضا

كرّر عليّ حديثهم ياحادي * فحديثهم يطفي لهيب فؤادي

كرّر عليّ حـديثهم فلربما * لان الحديد لضربة الحدّاد

فنزع فرجيته وبقي الشيخ عريانا وقال قل فقال الابيات السابقة قال الشيخ أبو عبد الله بن الخباز فصاح الشيخ صيحة عظيمة وشهق شـهقة قوية فخرجت روحه رحمة الله عليه ولما أصبح الصباح وطلع النهار غسلناه وكفناه وحملناه الى حفرته وتركناه في عظيم رتبتـه (ونظير ذلك) ما حكاه بعض أهل دمشـق قال قال شخص من الفقراء لاخواني أحب اليوم أن تجتمع وأغني لكم قال فاجتمعوا فغنى لهم

سـلي نجوم السما ياطلعة القمر * عن مدمعي كيف يدمي فيك بالسهر

انه يعيشك ماذا أنت صانعـة * من الجميل فهذا آخر العـمـر

ثم شهق ومات رحمه الله تعالى (ومثل ذلك) مارواه ابن القماح قال سمعت الشيخ تقيّ الدين بن دقيق العيد يذكر في مجلس درسـه بجامع ابن طولون أنه حضر سماعا وكان هناك فقـير فغنى مغن بأبيات ابن الخياط الدمشقي وهي حذار من صـــــــا لنجد أما لقلبه * فقـــــد كادرياهـا يطير بلبه

واياكما ذاك النسيـــم فانه * اذا هب كان الموت أيسر خطبه

أغار اذا آنسـت في الحيّ أنة * حذارا وخوفا أن تكون لحبه

وفي الركب مطوي الضلوع على جوى * متى يدعه داعي الغرام يلبه

قال فقال ذلك الفقير لبيك ورفع رأسـه فاذا هو ميت رحمه الله ونفعنا به (ولنرجع) الى ذكر الغلوّ ومراتبه تتفاوت الى أن تؤل بقائلها الى الكفر والعياذ بالله تعالى فمن ذلك قول ابن دريد في المقصورة

مارست من لو هوت الافلاك من * جوانب الجوّ عليـــه ماشكا

قيل لاجل ادعائه في هـذا البيت ابتلاه الله بمرض كان يخاف فيه من الذباب أن يقع عليه ومنه قوله أيضا

ولوجي المقدور منه مهجة * لرامهـــا أو يستبيح ماحمى

تعـدو المنايا طائعات أمره * ترضى الذى يرضى وتأبى ما أبى

ومنه قول أبي الطيب المتنبي

وكأنما عمر على صهواته

قمر تسير به الرياح الاربع

(وأخبرني) بعض أصحابنا أن نشء الملك بن المنجم المقدم ذكره دخل مجلس القاضي الاجل الفاضل رحمه الله تعالى فأنشده لنفسـه في ممسحة القلم

ممسحة نهارها

يجن ليل الظلم

كأنها قد خلقت

منديل كم القلم

(ثم) أمره بالعمل فيها فصنع بديها

وآلة تضمر النهار فما

تبديه الا وافد الظلم

تردع فيها الاقلام فضلة ما

تنفقه في مصالح الامم

وقد وقف القاضي الفاضل على هذه الحكاية في نسخة كان استنسخها من هـذا الكتاب وهو برمته رسالة لاتتجاوز عشرة كراريس لطاف فلم ينكرها

(وأخبرني) صاحبنا فخر القضاة أبو الفرج نصر الله ابن القاضي عز القضاة أبي العز هبـة الله بن بصاقـة الكاتب المعظمي قال ضرط بعض أصحابنا ونحن مجتمعون في لعسكر في بعض منازلات الفرنج وتبعـه آخر فصنع مصاقي الاول وصنع بعضنا فيهما جميعا فصنع بهاء الدين علي بن الساعاتي بديها في الاوّل

كأنى دحوت الارض من خبرتى بها * وكان بنا الاسكندر السدّ من عزمى

وقوله أيضا

لو كان ذو القرنين اعمل رأيه * لما أتى الظلمات صرن شموسا
أو كان صادف رأس عازر سيفه * فى يوم معركة لأعيى عيسى
أو كان لج البحر مثل يمينه * ما انشق حتى جاز فيه موسى

وقوله أيضا

يترشفن من فى رشفات * هنّ فيه أحلى من التوحيد

وقال بعض من اعتذر للمتنبى ان المراد بالتوحيد هنا نوع من التمر وبعض أصلح البيت فقال هنّ فيه حلاوة التوحيد ومنه قول الوزير أبى القاسم المغربى

فارعت الايام منى امرأ * قد علق الحمد بأمراسه
تستنزل الرزق بأقدامه * وتستمدّ العز من باسه
أروع لا يحط عن تيهه * والسيف مسلول على راسه

ومن الغلوّ القبيح قول عضد الدولة بن بويه

ليس شرب الكأس الا فى المطر * وغناء من جوار فى السحر
غانيات سالبات للنهى * ناغمات من تصاعيف الوتر
مبرزات الكأس من مطلعها * ساقيات الراح من فاق البشر
عضد الدولة وابن ركنها * ملك الاملاك غلاب القدر

يروى أنه لم يفلح بعد هذا القول وأخذته علة الصرع ودخل فى غمرات الموت فكان لا ينطق الا بقوله تعالى ما أغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه والمتساهلون فى هذا النوع كثيرون كأبى نواس وابن هانئ الاندلسى والمتنبى وأبى العلاء المعرى وغيرهم من المتأخرين كابن النبيه ومن جرى مجراه والاضراب عن ذكر ذلك أنسب والله أعلم

﴿ تم الجزء الاول ويليه الجزء الثانى أوله ﴾

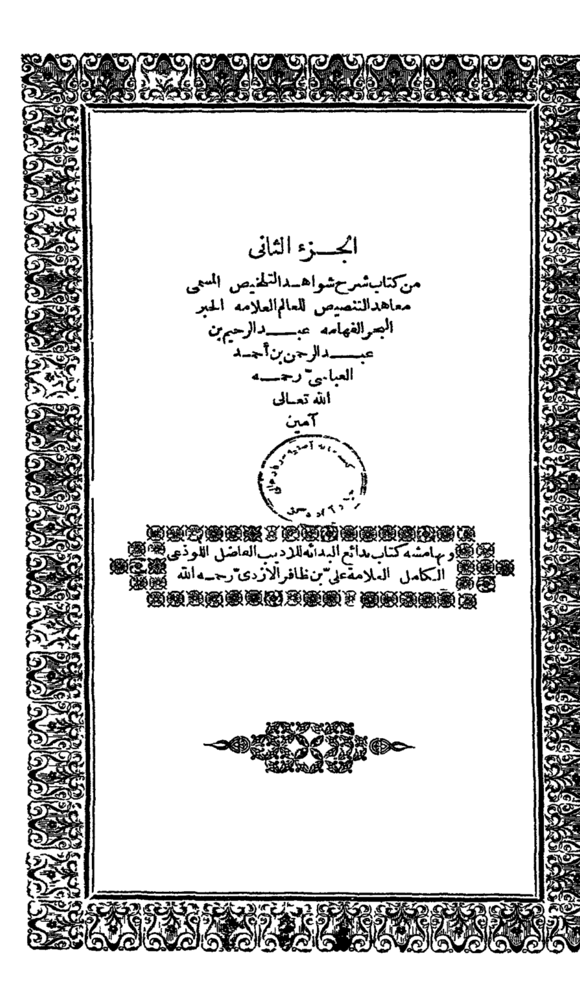
عقدت سنابكها عليها عثيرا * لو تبتغى عنقا عليه أمكنا

(طبع فى صحيفة ٢٧ علم البيان وصوابه علم المعانى)

يامن صبوت الى محا
سنه وأصل الحب صبوه
ان كنت خنتك فى الهوى
ما بين يوم نوى وسوه
فبليت منك بكل ما
أخشاه من صدّ وجفوه
أوشاع سرّى فى الانا
م كضرطة الشرف بن عروه
(وصنع المولى الملك المعظم) الشرف ابن عروة
تحللت عروته
أحمق من ضراطه
تعلمت بغلته
(قال) وللمضرط الآخر فلت
رأيت ابن عروة يتلو الطهير
وقد ضرط الاشتداد الجزع
فقلت أللحوف هذا الضراط
كأن فؤادكما ينتزع
فقالا اذا دهمت غارة
فلابدّ من ضرب بوق الفزع
(وصنع) فيهما شمس الدين اسمعيل بن منكورس وكان ربما عبث بالبيت أو البيتين
قد ضرط الفسلان يوم النوى
عند اشتداد الضنك والضيق
فقلت من عظم ضراطيهما
لابدّ للحرب من البوق

﴿فهرسة الجزء الثاني من كتاب معاهد التنصيص﴾

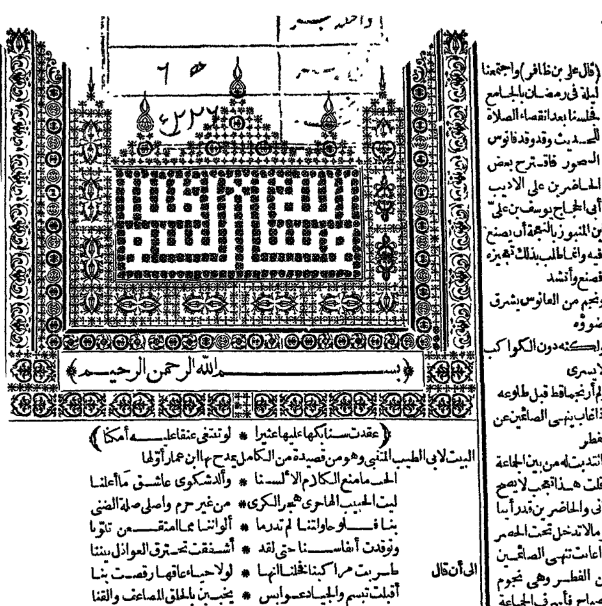
﴿تمت﴾



الجـزء الثانى

من كتاب شرح شواهد التلخيص المسمى
معاهد التنصيص للعالم العلامه الحبر
البحر الفهامه عبـــد الرحيم بن
عبـــد الرحمن بن أحمـد
العباسى رحمـه
الله تعالى
آمين

وبهامشه كتاب بدائع البدائه للاديب الفاضل اللوذعى
الكامل العلامة على بن ظافر الازدى رحمـه الله



(عقدت سنابكها عليها عثيرا * لو تبتغي عنقا عليه أمكنا)

البيت لابي الطيب المتنبي وهو من قصيدة من الكامل يمدح بها ابن عمار أولها

الحب مامنع الكلام الألسنا * وألد شكوى عاشق ماأعلنا
ليت الحبيب الهاجري هجر الكرى * من غير جرم واصلي صلة الضنى
بنا فلو حاولتنا لم تدرنا * ألوانتنا مما امتقعن تلونا
وتوقدت أنفاسنا حتى لقد * أشفقت تحترق العواذل بيننا

الى أن قال

طربت مراكبنا فخلنا أنها * لولا حياء عاقها رقصت بنا
أقبلت تبسم والجياد عوابس * يخببن بالحلق المضاعف والقنا

وبعده البيت وبعده

والامر أمرك والقلوب خوافق * في موقف بين المنية والمنى
فعجبت حتى ماعجبت من الظبى * ورأيت حتى مارأيت من السنا

وهي طويلة
والسنابك جمع سنبك بضم أوله وثالثه وهو طرف الحافر والعثير بكسر أوله التراب والعجاج والعنق محركة سير مستطرد للابل والدابة (والشاهد فيه) الغلو المقبول وهو ماتضمن معنى حسنا من التخييل فانه ادعى ان الغبار المرتفع من سنابك الخيل قد اجتمع فوق رؤسها متراكما متكاثفا بحيث صار أرضا يمكن أن تسير عليها تلك الجياد وهذا ممتنع عقلا وعادة لكنه تخييل حسن وقريب من معناه قول ابن فضال القيرواني

بنيت الارض فوقهم سماء * وقد أجريت من عرق بحارا
فليس تراك ألحاظ الدراري * وأنت حشوت أعينها غبارا

ومنه قول علي بن عاصم الاصبهاني

مدت سنابكه عليك سرادقا * نسجت مضاربه من القسطال
في حومة مااين بين من الوغى * الا هلال من زجرهن وهال

وقول الببغاء أيضا

ليل من الغمرات أنت سراجه * ونجومه هندية وعوالي
كالليل الا ان ثوب ظلامه * من عثير ونجومه من لام

(قال علي بن ظافر) واجتمعنا ليلة في رمضان بالجامع فجلسنا بعد انقضاء الصلاة للحديث وقد وقد فانوس السحور فاقترح بعض الحاضرين على الاديب أبي الحجاج يوسف بن علي ابن المنبوز بالنجمة أن يصنع فيه وأغا الطلب بذلك تعجيزه فصنع وأنشد

ونجم من الفانوس يشرق ضوؤه
ولكنه دون الكواكب لايسري
ولم أر نجما قط قبل طلوعه
اذا غاب ينهى الصائمين عن الفطر

فانتدبت له من بين الجماعة وقلت هذا تعجب لايصح لاني والحاضرين قد رأينا نجوما لاتدخل تحت الحصر اذا غابت تنهى الصائمين عن الفطر وهي نجوم الصباح فأسرف الجماعة بعد ذلك في تقريعه وأخذوا في تمزيق عرضه وتقطيعه فصنع وأنشد

هذا لواء سحور يستضاء به
وعسكر الشهب في الظلماء جرار
والصائمون جميعا يهتدون به
كأنه علم في رأسه نار

فلما أصبحنا سمع من كان غائبا من أصحابنا في ليلتنا ماجرى فصنع الرشيد أبو عبدالله محمد بن منانور رحمه

وقول السرى الرفاء أيضا

في معرك طاف الردى بكماته * عند اختلاف الطعن أي مطاف

فاذا السنابك أنشأت ليلا به * بعث الصباح لها سنا الاسياف

وقول البحترى أيضا في نهار من السيوف مضيء * تحت ليل من مستثار الصعيد

وقد تقدم طرف من ذلك في شواهد التشبيه

﴿ يخيل لي أن سمر الشهب في الدجى * وشدت بأهدابي اليهن أجفاني ﴾

البيت للقاضي الارجاني من قصيدة من الطويل يمدح بها شمس الملك عثمان بن نظام الملك أولها

أأجفان بيض هن أم بيض أجفان * فواتك لا تبقي على الدنف العاني

صوارم عشاق يقتلن ذا الهوى * ومن دونها أيضا صوارم فرسان

مررت بنعمان فما زلت واجدا * الى الحول نشر المسك من بطن نعمان

سوافر في خضر الملاء سوائر * كما ماس في الاوراق أعطاف أغصان

وقد أطلعت وردا لخدود نواضر * ومن دونها شوك القنا للجاني

الى أن قال

وقفت بها صحبا أناشد معشري * وأنشد أشعاري وأنشد اخواني

ولما توسمت المنازل شاقني * تذكر أيام عهدت واخوان

مضت ومضوا عني فقلت تأسفا * قفا نبك من ذكرى أناس وأزمان

تأوبني ذكر الاحبة طارقا * والليل في الآفاق وقفة حيران

وأرقني والمشرفي مصاحبي * سنا بارق أسرى فهيج أحزاني

ثلاثة أجفان ففي طي واحد * غرار وحال من غرار بهما اثنان

وبعده البيت وبعده نظرت الى البرق الملفي كأنه * حديث مضاع بين سر واعلان

وبات له مني وقد طنب الدجى * كلوء الليالي طرفه غير وسنان وهي طويلة

(والشاهد في البيت) ادخال شيء على الغلو يقربه الى الصحة مع تضمنه نوعا حسنا من التخييل فانه يقول يوقع في خيالي أن الشهب محكمة بالمسامير لا تزول عن مكانها وان أجفان عيني قد شدت بأهدابها الى الشهب لطول سهري في ذلك الليل وعدم انطباقها والتقائها وهذا ممتنع عقلا وعادة ولكنه تخييل حسن ولفظ يخيل مما يقربه الى الصحة ومن المقبول في الغلو أيضا قول أبي العلاء المعري

تكاد قسيه من غير رام * تمكن في قلوبهم النبالا تكاد سيوفه من غير سل * تجد الى رقابهم انسلالا

وما أبدع قوله في هذه الابيات وهو مما نحن فيه

يذيب الرعب منه كل عضب * فلولا الغمد يمسكه لسالا

وفي معناه قول ابن المعتز

يكاد يجري من القميص من النعمة لولا القميص يمسكه

وقوله أيضا يصف فرسا يكاد أن يخرج من اهابه * اذا تدلى السوط لولا اللبب

ومنه قول أبي الشيص لولا التمنطق والسوار معا * والحجل والدملوج في العضد

لتزايلت من كل ناحية * لكن جعلن لها على عمد

وقد أخذه ابن النبيه فقال

لها معصم لولا السوار يصده * اذا انحسرت أكمامها لجرى نهرا

ومثله قول بعضهم أيضا لها من الليل البهيم طرة * على جبين واضح نهاره

ومعصم يكاد يجري رقة * وانما يعصمه سواره

ولعز الدين بن عبد الرزاق في معناه

الله تعالى وأنشدني فيه

أحبب بفانوس غدا صاعدا

وضوؤه دان من العين

يقضي بصوم و بفطر معا

فقد حوى وصف الهلالين

(وصنع) الفقيه أبو محمد القلعي

وكوكب من ضرام الزند مطلعه

تسرى النجوم ولا يسرى اداراقبا

يراقب الصبح خوفا أن يفاجئه

فان بدا طالعا في أفقه غربا

كأنه عاشق وافى على شرف

يرعى الحبيب فان لاح الرقيب خبا

(ثم صنعت بعد حين)

ألست ترى شخص المنار وعوده

عليه لفانوس السحور لهيب

كحامل منظوم الانابيب اسمر

عليه سنان بالدماء خضيب

ترى بين زهر الزهر منه شقيقة

لها العود غصن والمنار كثيب

وتبدو نجوما أحمر والدجى لها

بدا فيه ثغر للنجوم شنيب

كأن نجي الدجى من لهيبه

ومن خفقه قلبا عراه وجيب

تراه براعي الصبح ليلا فان دنا

طلوع صباح حان منه غروب

فهل كان يرعاه المشوق ففرقاد

ترى أن رومي الصباح قريب

(وقلت) في اختصار هذا المعنى

قالت وقد صرت كطيف الخيال * كيف ترى فعل الدمى بالرجال * وسددت سهما الى مقتلى
تقول هل فيك لدفع النصال * رقيقة الجسم فلولا الذى * يمسكه من قسوة القلب سال
وما ألطف قول شرف الدين الحلاوى يصف كأسا من أبيات
رق فلولا الاكف تمسكه * سال مع الجرحين ترشفه
ومنه قول ابن حمديس فى وصف فرس
يجرى فلمع البرق فى آثاره * من كثرة الكبوات غير مفيق
ويكاد يخرج سرعة من ظله * لو كان يرغب فى فراق رفيق
ومثله قول شمس الدولة بن عبدان
أبت الحوافر أن تمس بها الثرى * فكأنه فى جريه متعلق
وكأن أربعه تراهن طرفه * فتكاد تسبقه الى ما يرمق
وقول الآخر أيضا كم سابح أعددته فوجدته * عند الكريهة وهو نسر طائر
لم يرم قط بطرفه فى غاية * الا وسابقه اليها الحافر
وقول الظاهر الجزرى وأدهم كالليل البهيم مطهم * فقد عز من يعلو بساحة عرفه
يفوت هبوب الريح سبقا اذا جرى * تراه ترى رجلاه مواقع طرفه
وقول جمال الدين الصوفى
وأدهم اللون فاق البرق وانتظره * فغارت الريح حتى غيبت أثره
فواضع رجله حيث انتهت يده * وواضع يده أنى رمى بصره
سهم تراه يحاكى السهم منطلقا * وماله غرض مستوقف خبره
يعفر الوحش فى البيداء فارسه * ويمشى وادعا لم يستتر غبره
وقد أبدع أبو القاسم بن هانى فقال
عرفت بسرعة سبقها لا أنها * علقت بها يوم الرهان عيون
وأجل علم البرق فيها أنها * مرت بجانحتيه وهى ظنون
ومثله قول ابن نباتة السعدى
لا تعلق الالحاظ من أعطافه * الا اذا كفكفت من غلوائه
وما أبلغ قول ابن الخطيب الاندلسى مع التورية المرشحة
يعتد بها الشهم * لو رام بها الشعرى سبقا أو عارضها بالبرق كبا * أو أورد عين الشمس سقا
وأبدع امرؤ القيس بقوله
كأن غلامى اذ علا حال متنه * على ظهر طير فى السماء محلق
هكذا قيل والرواية فى ديوانه بلفظ باز بدل طير وأجاد معاوية بن مرداس بقوله أيضا
يكاد فى شأوه لولا أسكنه * لو طار ذو حافر من سرعة طارا
ومثله لبعض الاعراب أيضا فلو طار ذو حافر قبلها * لطارت ولكنه لم يطر
وما أبدع قول ابن المعتز فكأنه موج يذوب اذا أطلقته فاذا حبست جمد
وهو مأخوذ من قول العكوك
مضرج يرتج فى أقطاره * كالماء جالت فيه ريح فاضطرب
وما أحسن قول أبى العلاء المعرى
ولما لم يسابقهن شئ * من الحيوان سابقن الظلالا
وللمؤيد الدين الطغرائى

انظر الى المنار والفانوس فيه يرفع
كحامل رمحا سنانا
نحذ ضيب يلمع
(وقلت أيضا)
ألست ترى حسن المنار وضوءه
يرفع من جنح الدجنة أستارا
تراه اذا جن الظلام مراقبا
له مضمر مافى قلب فانوسه نارا
كصب بخود من بنى الزنج سامها
وصالا وقد أبدى لترغب دينارا
(وقلت فيه)
وليلة صوم قد سهرت بجنحها
على أنها من طولها تعدل الدهرا
حكى الليل فيها سقف ساج مسمرا
من الشهب قد أضحت مساميره تبرا
وقام المنار المشرق اللون حاملا
لفانوسه والليل قد أظهر الزهرا
كما قام رومى بكأس مدامة
وحيا بها زنجية وشحت درا
(قال) ولما صنعت هذه القطع
ندبت أصحابنا العمل فصنع
شهاب الدين يعقوب
رأيت المنار وجنح الظلام
من الجو يسدل أستاره
وحلق فى الجو فانوسه
فذهب بالنور أقطاره
فقلت المحلق قد شب فى

سبقت حوافرها النواظر فاستوى * سبق الى غاياتها وسكون
لولا ترامى الرايتين لأقسم الرائون ان حراكها تسكين
وتكاد تشبهها البروق لو أنها * لم تعتقها أعين وظنون

وبالغ ابن الحجاج فى مرثية فرس له فقال

قال له البرق وقالت له الريح جميعا وهما ماهما
أأنت تجرى معنا قال لا * ان شئت أضحكتكما منكما
هذا ارتداد الطرف قدفته * الى المدى سبقا فمن انتما

وبديع قول الصلاح الصفدى

ياحسنه من أشقر قصرت * عنه بروق الجو فى الركض
لاتستطيع الشمس من جريه * ترسمه ظلا على الأرض

ومن الغلو المقبول قول الفرزدق فى على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم

يكاد يمسكه عرفان راحته * ركن الحطيم اذا ماجاء يستلم

(والقاضى الارجانى) هو أحمد بن محمد بن الحسين بن على بن ناصح الدين وهو منسوب الى أرجان بتشديد الراء المفتوحة والجيم وهى من كور الاهواز من بلاد خوزستان وأكثر الناس يقولونها بالراء المخففة واستعملها المتنبى فى شعره كذلك وكان القاضى المذكور أحد أفاضل الزمان كامل الاوصاف لطيف العبارة غواصا على المعانى اذا ظفر بالمعنى لايدع فيه لمن بعده فضلا قال أبو القاسم هبة الله بن الفضل الشاعر كان الغزى صاحب معنى لا لفظ وكان الأبيوردى صاحب لفظ لامعنى وكان القاضى أبو بكر صاحب لفظ ومعنى قال ابن الخشاب والامر كما قال وأشعارهم تصدق هذا الحكم اذا تؤملت وكان فى عنفوان شبابه بالمدرسة النظامية بأصبهان وكان ينوب فى القضاء ببلاد خوزستان تارة بتستر وتارة بعسكر مكرم ومن شعره فى ذلك

ومن النوائب أننى * فى مثل هذا الشغل نائب
ومن العجائب ان لى * صبرا على هذى العجائب

وكان فقيها شاعرا ولذلك قال

أنا أفقه الشعراء غير مدافع * فى العصر لا بل أشعر الفقهاء
شعر اذا ماقلت دونه الورى * بالطبع لابتكلف الالقاء
كالصوت فى قلل الجبال اذا علا * للسمع هاج تجاوب الاصداء

وقد قدم الارجانى بغداد مرات ومدح الامام المستظهر وغيره ومن شعره وهو غريب

أنى لى وقد ساويته فى نحوله * خيال لما لم يكن لى راحم
فدلس بى حتى طرقت مكانه * وأوهمت الفى أنه بى حالم
وبتناولم تشعر بنا الناس ليلة * أنا ساهر فى جفنه وهو نائم

وله قصيدة يصف فيها الشمعة وقد أحسن فيها كل الاحسان واستغرق سائر الصفات ولم يكد يخلى لمن بعده فيها فضلا وانذكر طرفا منها فأولها

نمت بأسرار ليل كان يخفيها * وأطلعت قلبها للناس من فيها
قلب لها لم يرعها وهو مكتمن * ألاترى فيه نارا من تراقيها
سفيهة لم يزل طول اللسان لها * فى الحى يجنى عليها حذف هاديها
غريقة فى دموع وهى تحرقها * أنفاسها بدوام من تلظيها
تنفست نفس المهجور اذ ذكرت * عهد الخليط فبات الوجد يذكيها
يخشى عليها الردى مهما ألم بها * نسيم ريح اذا وافى يحييها

ظلام الدجى للقرى ناره
وخلت الثريا يداوالنجوم ورقاعدا البدر قسطاره
وخلت المنار وفانوسه
فتى قام يصرف ديناره
(وأنشدنى) القاضى أبو الحسن بن النبيه لنفسه
حبذا فى الصيام مئذنة الجامع والليل مسبل أذياله
خلتها والفانوس اذ رفعته
صائدا واقفا لصيد الغزاله
(وأنشدنى ابن نفطويه)
ياحبذا رؤية الفانوس فى شرف
لمن أراد سحورا وهو يتقد
كأنما الليل والفانوس متقد
فى الجو أعور زنجى به رمد
(وأنشدنى أيضا لنفسه)
نصبوا اللواء للسحور وأوقدوا
فى رأسه نار المنى يترصد
فكأنه سبابة قد فمت
ذهبا وقامت فى الدجى تتشهد
(وأنشدنى) الفقيه أبو يحيى السولى رحمه الله تعالى لنفسه
وليلة ملئت أشداقها العسا
واستوضحت غرر من ثغرها شنبا
ولاح كوكب فانوس السحور على
انسان مقلتها النجلاء واشتهبا
حتى كأن دجاها وهو ملتهب
زنجية جاءت فى كفها ذهبا
(وصنع) الاديب أبو العز مظفر الاعمى وكتب بها عنه الى وقد كان سمع جميع المقاطيع فأخذ معانيها وقال

بدت كنجم هوى فى أثر عفرية * فى الارض فاشتعلت منه نواصيها
كأنها غرة قد ساد شادخها * فى وجه دهماء يزهاها تجليها
أو ضرة خلقت للشمس حاسدة * فكلما حجبت قامت تحاكيها
وحيدة بشباة الرمح هازمة * عساكر الليل ان حلت بواديها
ماطنبت قط فى أرض مخيمة * الا وأقمر للابصار داجيها
لها غرائب تبدو من محاسنها * اذا تفكرت يوما فى معانيها
فالوجنة الورد الا فى تناولها * والقامة الغصن الا فى تثنيها
قد أثمرت وردة حمراء طالعة * تجنى على الكف ان أهويت تجنيها
ورد تشاك به الايدى اذا قطفت * وما على غصنها شوك يوقيها
صفر غلائلها حمر عمائمها * سود ذوائبها بيض لياليها
منها وصيفة لست منها قاضيا وطرا * ان أنت لم تكسها تاجا يحليها
صفراء هندية فى اللون ان نعتت * والقد واللين ان أتممت تشبيها
فالهند تقتل بالنيران أنفسها * وعندها ان ذاك القتل يحييها
منها غراء فرعاء ماتنفك خالية * تقص لمتها طورا وتفليها
شيباء شعثاء لاتكسى غدائرها * لون الشبيبة الا حين تبليها
يلهافى سواد الليل مسعدة * اذا الهموم دعت قلبى دواعيها
لولا اختلاف طبائعنا بواحدة * والطباع اختلاف فى مبانيها
بأنها فى سواد الليل مظهرة * تلك التى فى سواد القلب أخفيها
وبيننا عبرات ان هم نظروا * غيضتها خوف واش وهى تجريها
ماعاندتها الليالى فى مطالبها * ولا عدتها العوادى فى مباغيها
ولا رمتها ببعد من أحبتها * كما رمتنى وقرب من أعاديها
ولا تكابد حسادا أ كابدها * ولا تداجى بنى دهر أداجيها

وعلى ذكر الشمعة فما أحسن قول الصنوبرى فيها أيضا

مجدولة تحكى لنا * فى قدها قد الاسل كأنها عمر الفتى * والنار فيها كالاجل

ومنه قول ابن شبل وساعدتنى على الظلماء مشبهتى * هيفاء حاف عليها السقم والارق
النضل فى وفيها النار نفعهما * لغيرنا وكلانا فيه يحترق

وهو من قول العباس بن الاحنف

أحرم منكم بما أقول وقد * نال به العاشقون من عشقوا
حتى كأنى ذبالة نصبت * تضىء للناس وهى تحترق

ومن شعر القاضى ناصح الدين الارجانى قوله

تقول للبدر فى الظلماء طلعته * بأى وجه اذا أقبلت تلقانى
وجه السماء لى مرآة أطالعها * والبدر وهنا خيال فيه لاقانى
لم أنسه يوم أبكانى وأضحكه * وقوفنا حيث أرعاه ويرعانى
كل رأى نفسه فى عين صاحبه * فالحسن أضحكه والحزن أبكانى
ومنه تمتعتما ياناظرى بنظرة * فأوردتما قلبى أمر الموارد
أعيناى كفا عن فؤادى فانه * من البغى سعى اثنين فى قتل واحد
ومنه اقرن برأيك رأى غيرك واستشر * فالحق لايخفى على اثنين

أرى عملا للناس فى الصوم ينصب
على جامع ابن العاص أعلاه كوكب
وما هو فى الظلماء الا كأنه
على رمح زنجى سنان مذهب
ومن عجب أن الثريا سماؤها
مع الليل تلهى كل من يترقب
فطورا نحييه بباقة نرجس
وطورا نحييها بكاس تلهب
وما الليل الا قانص لغزالة
بفانوس نار نحوها يتطلب
ولم أر صيادا على البعد قبله
اذا قربت منه الغزالة يهرب
(وأنشدنى) الشريف أبو الفضل جعفر
كأنما الفانوس فى
صاريه لما اتقدا
لواء نصر مذهب
فى رأس رمح عقدا
(وكان) الملك العزيز رحمه الله تعالى قد غنى بين يديه دوبيت بالعجمية معناه انه جعل الليل بردادارا للحبيب ليحجب الشمس فاستحسن المعنى وأرسل الى وزيره الاجل نجم الدين أبى الفتح يوسف بن المجاور رحمه الله تعالى يأمره أن يصنع المعنى فى شعر وأن يأمر الشعراء بالعمل فى ذلك فصنع بديها وأرسله اليه
قال له الليل انصرف راشدا
فانه استخدمنى بردار
ثم صنعوا بعده فى مرو وباده (وأخبرنى) الاسعد

المرء مرآة تريه وجهه * ويرى قفاه بجمع مرآتين

ومنه
شاور سواك اذا نابتك نائبة * يوما وان كنت من أهل المشورات

فالعين تلقى كفاحا ما نأى ودنا * ولا ترى نفسها الا بمرآة

وبالجملة فمحاسنه كثيرة ولطائفه غزيرة وشعره كثير والذى جمع منه لا يكون عشره ويقال انه كان له فى كل يوم ثمانية أبيات ينظمها على الدوام وكانت ولادته سنة ستين وأربعمائة ووفاته بتستر فى ربيع الاول سنة أربع وأربعين وخمسمائة

(أسكر بالأمس ان عزمت على الشرب غدا ان ذا من العجب)

البيت من المنسرح ولا أعلم قائله (والشاهد فيه) اخراج الغلو مخرج الهزل والخلاعة وهو ظاهر ومنه قول أبى نواس

فلما شربناها ودب دبيبها * الى موضع الاسرار قلت لها قفى

مخافة أن يسطو على شعاعها * فتطلع ندمانى على سرى الخفى

ومنه قول ابن لنكك البصرى

قد بنت لو علمت ببعض مابى * الجرعتنى الاحسمط بحسبك أن كرمانى جوارى * أمر ببابه فأكاد أسقط

وقوله أيضا
قرأت عهدة كرم * فأسكرتنى سنينا

وقول أبى الحسن أحمد بن المؤمل

وقائلة لى مالك الدهر طافحا * وأنت مسن لا يليق بك السكر

فقلت لها أفكرت فى الخمر مرة * فأسكرنى ذاك التوهم والفكر

ومنه قول السراج الوراق

ومرة من طول ما عمرت * كنى ابليس أبا مره

ترى الندامى حول حيطانها * صرعى وما ذاقوا ولا قطره

وقول بعضهم يهجو أخشن من قنفذ ومن حسك * ومن عظام تكون فى السمك

ويدعى ضيقه وأسفله * يصلح طوقا لدارة الفلك

وهو ينظر الى قول ابن الرومى فى معناه

أوسع من وقت العشاء الآخره * أو لخفيه كالقناة العابره * كأن ابرى نقطة فى الدائره

وهو على اساءة أدبه محقق فى المعنى وظريف قول ابن سناء الملك

ان قلت ما أحسنه شادنا * فانما قصدى ما أخشنه دطل أرى ضاتعا فى استه * كأنه المغزل فى الرونه

وقول ابن حجاج
فتى له عزم اذا كلت الأسياف مثل المرهف الصارم

وراحة لو صفعت حاتما * تعلم الجود قفا حاتم

وقول النفرى البغدادى

وصديق جاء فى يسألنى ماذا لديك قلت عندى بحر خمر * حوله آجام نيك

(حلفت فلم أترك لنفسك ريبة * وليس وراء الله للمرء مطلب)

(لئن كنت قد بلغت عنى خيانة * لمبلغك الواشى أغش وأكذب)

(ولكننى كنت امرأ لى جانب * من الارض فيه مستراد ومذهب)

(ملوك واخوان اذا ما مدحتهم * أحكم فى أموالهم وأقرب)

(كفعلك فى قوم أراك اصطفيتهم * فلم ترهم فى مدحهم لك أذنبوا)

الابيات للنابغة من قصيدته السابقة فى أواخر الفن الاول وقبلها

أتانى وعيد والتنائف بيننا * مضاويه توا غائط المتصوب

أبو المكارم أسعد بن الخطير قال كنت عند الفاضل رحمه الله تعالى اذ دخل الوزير نجم الدين فأخبره بما طلب السلطان وأنشده ما صنع فقال الفاضل هذا معنى كنت نظمته قديما الا أنى استخدمت الليل بوابا فقلت بتنا على حال تسوء العدا وربما لا يمكن الشرح بوابنا الليل وقلنا له ان غبت عنا هجم الصبح (قال الاسعد) ولم أكن صنعت شيأ فصنعت بديها

قلت لليل عند ما زارنى البد ر وأوحست خيفة للرواح

أنت يا ليل برد دار حبيبى فتأهب لدفع صدر الصباح

قال فاستحسن الوزير القسيم الثانى فقلت برددار المولى نعم منه حسن الخلق يقول انصرف راشدا وهذا البردار فظ غليظ يدفع فى الصدر

(وأخبرنى) أبو الحسن بن النبيه قال دخلت على الاجل نجم الدين الوزير رحمه الله تعالى وأمرنى بالعمل فيما رسمه السلطان فاستمهلته فأبى فصنعت وأنشدت

قلت لليل اذ حبانى حبيبا وغناء يسبى النهى وعقارا

أسلطان مجلسى فاتح والصبح وكن أنت يا دجى برددارا

وأنشدنى القاضى السعيد أبو القاسم هبة الله بن سنا

(الله الكافى)

فبت كأن العائدات فرشنني * هراسا به يعلى فراشي ويقشب

والريبة التهمة والمستراد موضع يتردد فيه لطلب الرزق ومنتجع من راد الكلأ ومنى أقرب يجعلونني حكما في أموالهم مقربا منهم رفيع المنزلة عندهم (والشاهد فيها) المذهب الكلامي وهو ايراد حجة للمطلوب على طريقة أهل الكلام وهو أن تكون المقدمات بعد تسليمها مستلزمة للمطلوب فهو هنا يقول لا تلمني ولا تعاتبني على مدح آل جفنة وقد أحسنوا الى كما لا تلوم قوما مدحوك وقد أحسنت اليهم فكما ان مدح أولئك لك لا يعد ذنبا كذلك مدحي لمن أحسن الى وهذه الحجة على صورة التمثيل الذي تسميه الفقهاء قياسا ويمكن رده الى صورة قياس استثنائي بأن يقال لو كان مدحي لآل جفنة ذنبا لكان مدح أولئك القوم لك أيضا ذنبا لكن اللازم باطل فكذا الملزوم وآل جفنة كانوا ملوك الشام كما ان آل النعمان كانوا ملوك الحيرة ومن المذهب الكلامي قول الفرزدق

لكل امرئ نفسان نفس كريمة * وأخرى يعاصيها الهوى فيطيعها
ونفسك من نفسيك تشفع للندى * اذا قل من أحرارهن شفيعها

وقول ابراهيم بن العباس

وعلمتني كيف الهوى وجهلته * وعلمكم صبري على ظلمكم ظلمي
وأعلم مالي عندكم فيميل بي * هواي الى جهلي فأعرض عن علمي

وقول ابراهيم بن المهدي يعتذر للمأمون من وثوبه على الخلافة

البر بي منك وطا العذر عندك لي * فيما فعلت فلم تعذل ولم تلم
وقام علمك بي فاحتج عندك لي * مقام شاهد عدل غير متهم

وقول ابن المعتز

أسرفت في الكتمان * وذاك مني دهاني
كتمت حبك حتى * كتمته كتماني
فلم يكن لي بد * من ذكره بلساني

وقوله أيضا

كيف لا يخضر شاربه * ومياه الحسن تسقيه

وقول قابوس

يا ذا الذي بصروف الدهر عيرنا * هل عاند الدهر الا من له خطر
أما ترى البحر تطفو فوقه جيف * وتستقر بأقصى قعره الدرر
وفي السماء نجوم لا عداد لها * وليس يكسف الا الشمس والقمر

وقول أبي عبد الرحمن العطوي

فوحق البيان يعضده البر * هان في مأقط ألد الخصام
ما رأينا سوى الحبيبة شيأ * جمع الحسن كله في نظام
هي تجري مجرى الاصابة في الرأ * ي ومجرى الارواح في الاجسام

وقول ابن رشيق

فيك خلاف لخلاف الذي * فيه خلاف لخلاف الجميل
وغير من أنت سوى غيره * وغير من غيرك غير البخيل

وقول الآخر أيضا

محاسنه هيولى كل حسن * ومغناطيس أفئدة الرجال

وقول مالك بن المرحل الاندلسي

لو يكون الحب وصلا كله * لم تكن غايته الا الملل * أو يكون الحب هجرا كله
لم تكن غايته الا الكلل * انما الوصل كمثل الماء لا * يستطاب الماء الا بالعلل

البيتان الاولان قياس شرطي والثالث قياس فقهي فانه قاس الوصل على الماء فكما أن الماء لا يستطاب الا بعد العطش فالوصل مثله لا يستطاب الا بعد حرارة الهجر يروى أن أبا دلف قصده شاعر تميمي فقال له ممن أنت قال من تميم فقال

الملك لنفسه

أباحني الليل وصل طيف
عهدته منه لا يباح
وغيب العالمين عني
فلا غدو ولا رواح
يا ليل أمسيت برد داري
اياك أن يهجم الصباح

(وأنشدني) شهاب الدين يعقوب ابن أخت نجم الدين رحمه الله تعالى لنفسه

قلت اذ زار من أحب وجنح الل
يل روض أبدى النجوم نهارا
ملك الحب زاره ملك الحس
ن فزادا على الحسود اقتدارا
فافرشوا الورد أطلسا حين
يمشي
واجعلوا عسجد الكؤوس
نثارا
واصرفوا حاجب الهلال فقد تم
بسري الى العيون سرارا
واحجبوا قيصر الصباح وقولوا
لنجاشي الظلام كن برد دارا

(وأنشدني) القاضي الاسعد عبد الرحيم بن شيث ناظر القدس الشريف لنفسه

زار وقد آنس للقلب نار
وليس الا وجهه اذ أنار
طيف وقل ضيف كما أنني
أبحته قلبي قرى أو قرار
لم أنسه خاض الى الدجى
وجاب من شوق الى القفار
فانشق قلب الصبح غيظا به
وغار نجم الافق منه فغار
وذات قد كالقضيب انثنى
وأين منها الغصن لولا الثمار
بديعة كم لي بها غرة
وكم لها في مهجتي من غرار

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا * ولو سلكت سبل المكارم ضلت

فقال له التميمي نم بتلك الهداية جئت اليك فافحمه بدليل جلي ألزمه فيه ان المجيء اليه ضلال وظريف قول ابن لنكك تعستم جميعا من وجوه لبلدة * تكنفهم جهل ولؤم فافرطا

أراكم تعيبون اللئام وانني * أراكم بطرق اللؤم أهدى من القطا

ومن المذهب الكلامي قول ابن جابر الاندلسي

لو قضى الله ان قلبي يسلو * ما حكى لحظه الغزال التفاتا

لكن اللحظ قد حكاه فقلبي * قد قضى نحبه زمانا وماتا

وقول أبي جعفر الاندلسي

لو كنت تعلم ما عيناك قد صنعا * لما بخلت على المشتاق بالأمل

لكن بخلت فلم تعلم بما صنعت * في مهجتي لحظات الاعين النجل

حسن التعليل

(لم يحك نائلك السحاب وانما * حمت به فصبيبها الرحضاء)

البيت للمتنبي من قصيدة من الكامل ذكر أولها في شواهد التشبيه وبعده قوله

لم تلق هذا الوجه شمس نهارنا * الا بوجه ليس فيه حياء

فبأي ما قدم سعيت الى العلا * أدم الهلال لأخمصيك حذاء

ولك الزمان من الزمان وقاية * ولك الحمام من الحمام فداء

لو لم تكن من ذا الورى الذ منك هو * عقمت بمولد نسلها حواء

والنائل العطاء والرحضاء العرق أثر الحمى (والشاهد فيه) حسن التعليل لصفة لا يظهر لها في العادة علة وقد علل لها بأن عرق حماها الحادثة بسبب عطاء الممدوح ويقرب من معنى البيت قول أبي القاسم الزعفراني

رأى المزن ما تعطي فضم على الاسى * فؤادا كأن البرق فيه لهيب

وما أحسن قوله بعده وكم لاح برق وابتسمت لشائم * فكنت صدوق الوبل وهو كذوب

(ما به قتل أعاديه ولكن * يتقي اخلاف ما ترجو الذئاب)

البيت للمتنبي من قصيدة من الرمل قالها في بدر بن عمار ارتجالا وهو على الشراب

انما بدر بن عمار سحاب * هطل فيه ثواب وعقاب * انما بدر رزايا وعطايا

ومنايا وطعان وضراب * ما يجيل الطرف الا حمدته * جهدها الايدي وذمته الرقاب

وبعده البيت وبعده فله هيبة من لا يرتجى * وله جود مرجى لا يهاب

طاعن الفرسان في الاحداق شزرا * وعجاج الحرب للشمس نقاب

باعث النفس على الهول الذي * ليس لنفس وقعت فيه اياب

بأبي ريحك لا نرجس ناذا * وأحاديثك لا هذا الشراب

ليس بالمنكر ان برزت سبقا * غير مدفوع عن السبق العراب

(والشاهد فيه) ظهور علة لصفة غير علتها الحقيقية فلا يكون من حسن التعليل فان قتال الاعداء في العادة انما يكون لدفع مضرتهم لا لما ذكره من أن طبيعة الكرم قد غلبت عليه ومحبة تصديق رجاء آمليه بعثته على قتل أعدائه لما علم أنه لما غدا للحرب غدت الذئاب ترجو سعة الرزق من قتلاه وهذا مبالغة في وصفه بالجود ويتضمن المبالغة في وصفه بالشجاعة على وجه تخييلي أي تناهى في الشجاعة حتى ظهر ذلك للحيوانات العجم من الذئاب وغيرها فاذا غدا للحرب رجت أن تنال من لحوم أعدائه ويتضمن أيضا مدحه بأنه ليس ممن يسرف في القتل طاعة للغيظ والحنق أي ليست قوته الغضبية متصلة برذيلة الافراط ويتضمن أيضا قصور أعدائه عنه وفرط أمنه منهم وانه لا يحتاج الى قتلهم واستئصالهم ومثله أيضا قول أبي طالب المأموني مغرم بالثناء صب بكسب الـ * مجد يهتز للسماح ارتياحا

ورب ليل طاب لي وصلها
به فلولا وصلها قلت طار
رأيتها ليلا وصبحا فما
عرفت بالليل ولا بالنهار
بتنا ضجيعي عفة ما درت
منا يد ما يحتويه ازار
يسكرني لثمي لأصداغها
فهي عناقيد ولثمي اعتصار
يحجب عنا الصبح ستر الدجا
كأنما الليل لنا بردار
وبعدها فليطل الليل ما
شاء على رغم الليالي القصار
(وبرز) أمر الملك العزيز رحمه
الله تعالى الى وزيره الاجل
نجم الدين رحمه الله أن يصنع
غزلا في جارية صنعت على
خدها بالمسك صورة حية
وعقرب فصنع بديها
فديتها من غادة
مخلوقة من طرب
سألتها في قبلة
في خدها المذهب
فجاوبت معجمة
بكفها المخضب
وابابي وابابي
من عظم هذا المطلب
وليس هذا ممكنا
على ممر الحقب
روضة خدي حرست
بحية وعقرب
من رام أن يلثمها
فليرقها بالذهب
وليشرب الدرياق من
رضاب ثغري الشنب
(وصنع أيضا)
جعل العذول يقول لي لما بدت
كالشمس في بعدو في احراق

لا يذوق الاغفاء الا رجاء * أن يرى طيف مستميح رواحا
وأصله من قول الآخر وانى لأستغنى ومابى نعسة * لعل خيالا منك يلقى خياليا

((ياواشيا حسنت فينا اساءته * نجى حذارك انسانى من الغرق))

البيت لمسلم بن الوليد من قصيدة من البسيط لم أقف منها الا على هذه الابيات

انى أصدذ دموعا لج سائقها * مطروفة العين بالمرضى من الحدق
ايه فان النوى وافت مصيبته * مولع القلب بين الشوق والقلق
ما كل عاذلة تصغى لها أذنى * وقد سمعت على الاكراه فانطلق
فما سلوت الهوى جهلا بلذته * ولا عصيت الله الحلم عن خرق

والمراد بالانسان هنا انسان العين (والشاهد فيه) اثبات صفة ممكنة لموصوف فان استحسان اساءة الواشى شئ ممكن لكن لما خالف الناس فيه عقبه بأن حذاره منه نجى انسان عينه من الغرق فى الدموع حيث ترك البكاء خوفا منه وقد تشبث القاضى السعيد بن سناء الملك بأذيال مسلم بن الوليد وأحسن اتباعه بقوله

علمنى بهجرها الصبر عنها * فهى مشكورة على التقبيح

وهو من قول القائل أعتقنى سوء ما صنعت من الرق فيا بردها على كبدى
فصرت عبد السوء فيك وما * أحسن سوءا قبلى الى أحد

ومنه قول أسامة بن منقذ ولم أدر أيهما أخذ من الآخر

قل للملول الذى تجنى * وخان من بعد ملك رقى أحسن بى لا عن اعتماد * غدرك اذ جاد لى بعتق

ومنه قول الشاعر أهلا وسهلا بالمشيب فانه * سمة العفيف وحلية الزهاد

ومنه قول بعضهم جزى الله الشدائد كل خير * وان جرعتنى غصصى بريقى
وماشكرى لها الا لأنى * عرفت بها عدوى من صديقى

وقول الآخر عداتى لهم فضل على ومنة * فلا أذهب الرحمن عنى الاعاديا
هم بحثوا عن زلتى فاجتنبتها * وهم نافسونى فاكتسبت المعاليا

(ومسلم بن الوليد) هو صريع الغوانى وأبوه مولى أبى أمامة أسعد بن زرارة الخزرجى ومسلم شاعر متقدم من شعراء الدولة العباسية منشأه ومولده بالكوفة وهو فيما زعموا أول من قال الشعر المعروف بالبديع وهو لقب هذا الجنس بالبديع واللطيف وتبعه فيه جماعة وأشهرهم فيه أبو تمام الطائى فانه جعل شعره كله مذهبا واحدا فيه ومسلم كان متفننا متصرفا فى شعره (وقال محمد بن يزيد) كان مسلم شاعرا حسن النمط جيد القول فى الشراب وكثير من الرواة يقرنه بأبى نواس فى هذا المعنى وهو أول من عقد هذه المعانى اللطيفة الظريفة واستخرجها (وحدث) محمد بن القاسم بن مهرويه قال سمعت أبى يقول أول من أفسد الشعر مسلم بن الوليد جاء بهذا المعنى الذى سماه الناس بالبديع ثم جاء الطائى بعده فتحير الناس واجتمع أصحاب المأمون عنده يوما فأفاضوا فى ذكر الشعر والشعراء فقال له بعضهم أين أنت يا أمير المؤمنين من مسلم بن الوليد حيث يقول قال ماذا قال قال حيث يقول وقد رثى رجلا

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه * فطيب تراب القبر دل على القبر

وحيث مدح رجلا بالشجاعة فقال

يجود بالنفس ان ضن الجواد بها * والجود بالنفس أقصى غاية الجود

وهجا رجلا بقبح الوجه والاخلاق فقال

قبحت مناظره فحين خبرته * حسنت مناظره لقبح المخبر

وتغازل فقال هوى يجد وحبيب يلعب * أنت لقى بينهما معذب

فقال المأمون هذا أشعر من خضتم اليوم فى ذكره (وحدث) أبو القاسم الفقيه الموصلى قال حاربت ابن

لا تطمعن بوصلها وبلثمها
هذى مذيبة أنفس العشاق
تفاح خديها حمته بعقرب
وبحية خوفا من الاحداق
بحذار ثم حذار يا عشاقها
فلديغها ما ان له من راق
قالت أتنذ هذى وتلك تولدا
فى ماعنى حتما أثر رقراق
والله لا خوف على بلثمها
ما دام خمر رضابها در باقى
ثم أمر الناس بالعمل
فأكثروا (وصنع) ابن مماتى
قطعا كثيرة تزيد على
العشرين من أحسنها قوله
نقشت حية على
ورد خد من خوف
فبدت آية الكليم
على وجه يوسف
(وقال أيضا)
فى خدها عقرب وحيه
وأنت يا نفس بعد حيه
قد جال ماء الشباب فيه
وأرسل الصدغ فيه فيه
(وقال ابن سنا الملك)
صفا العيش فى ملك العزيز
ابن يوسف
فلم يبق فيه للشوائب باق
فلا عقرب الا بخد مليحة
ولا جور الا فى ولاية ساق
(وقال أيضا)
ظهرت معجزات ملك العزيز
فهى فى وقته ذوات بروز
حية تحت عقرب فوق خد
أحمر كاللجين والابريز
فهما مثل قبضة بحسام
ركبوها فى صارم مهزوز

فراس الكاتب بحضرة القاسم بن عبيد الله فى شئ من أشعار المحدثين فاعتقد تفضيل أبى نواس واعتقدت تفضيل مسلم بن الوليد وطال الخطاب فى ذلك حتى دخل أبو العباس محمد بن يزيد المبرد فتحاكمنا اليه فقال قال لى عبد الصمد بن المعذل ومارأيت أغرب معرفة منه بالشعر وقد سألته عنهما والله ما جرى أبو نواس قط فى ميدان مسلم ولا تسمو انفسه الى أن يفاضل بينهما الا أن له حظا من الشهرة والذكر ليس لمسلم مثله وكان مسلم منقطعا الى البرامكة ثم اتصل بعد ذلك بالفضل بن سهل وقرب من قلبه وحظى عنده حتى قلده أعمالا بجرجان اكتسب فيها ألف ألف درهم فلما حصل المال عنده لزم منزله وكان كريما سمحا فأتلف جميع ما اكتسبه ثم صار الى الفضل بن سهل بعد ذلك مستجديا فقال له ألم أغنك قال ما غناى فى ألف ألف وألف ألف وألف ألف ولا هى قدرك ولا قدرى فقال له الفضل ان بيوت الاموال لا تقوم على هذا الفعل ثم قلده الضياع بأصبهان وضم اليه رجلا يأخذ مرافق العمل ويطلق له منها شيأ يحتاج اليه بقدر نفقته ويبتاع له بالباقى ضياعا فاكتسب منها أيضا ألف ألف ابتيع له بها ضياع فلما قتل الفضل بن سهل لزم منزله ولم يمدح أحدا حتى مات (وحدثت) رابعة البرمكية قالت كنت يوما وأنا وصيفة على رأس مولاى الفضل بن يحيى ابن خالد البرمكى وبيدى مذبة أذب بها عنه اذ استؤذن لمسلم بن الوليد الانصارى فأذن له فلما دخل عليه أعظمه وأكرمه واستنشده قالت ثم خلع عليه وأجازه وانصرف فما قلت انه جاز الستر حتى استؤذن لابى نواس فامتنع من الاذن له حتى سأله بعض من كان فى المجلس أن يأذن له ففعل على تكره منه فلما دخل سلم عليه فما علمت أنه رد عليه ولا أمره بالجلوس ولا رفع اليه رأسه فلما طال عليه الوقوف قال معى أبيات أفأنشدها قال افعل وهو فى غاية التكره والثقل فأنشده اياها

طرحتم على الترحال أمرا فغمنا * ولو قد فعلتم صبح الموت بعضنا

فلما بلغ الى قوله سأشكو الى الفضل بن يحيى بن خالد * هواك لعل الفضل يجمع بيننا

قطب وجهه وقال امسك عليك لعنة الله اعزب قبحك الله وأمر باخراجه محروما فاخرج والتفت الفضل الى أنس بن أبى شيخ وقال ما رأيت مثل هذا الرجل ولا أقل تمييزا فى كلامه منه فقال أنس ان اسمه كبير فقال عند من ويلك هل هو الا عند سقاط مثله وخلق يشاكلونه فقال له وأين هو من مسلم فقال الفضل وقد غضب والله لاحجبنك ثلاثا ولا كلمتك سبعا اذ كان هذا مبلغ عقلك ونهاية معرفتك والله ان مسلما ليفضل عند ذى الطبقة المتقدمة أو يساويهم فلا أرينك ثلاثا (وحدث) حماد بن اسحق عن أبيه قال لقى مسلم بن الوليد أبا نواس فقال له ما أعرف لك بيتا الا فيه سقط قال ما تحفظ من ذلك قال قل أنت ما شئت حتى أريك سقطه فيه فأنشده ذكر الصبوح بسحرة فارتاحا * وأمله ديك الصباح فصاحا

فقال مسلم فلم أمله وهو الذى اذكره وبه ارتاح فقال أبو نواس فانشدنى أنت شيأ من شعرك ليس فيه خلل فأنشده مسلم عاصى الشباب فراح غير مفند * وأقام بين عزيمة وتجلد

فقال له أبو نواس قد جعلته رائحا مقيما فى حالة فتشاغبا وتسابا ساعة وكلا البيتين صحيح المعنى (وقال يزيد ابن مزيد) أرسل الى الرشيد يوما فى وقت لا يرسل فيه الى مثلى فأتيته لابسا سلاحى مستعدا الامر ان أراده فلما رآنى ضحك الى ثم قال يا يزيد خبرنى من الذى يقول فيك

تراه فى الامن فى درع مضاعفة * لا يأمن الدهر أن يدعى على عجل

لله من هاشم فى أرضه جبل * وأنت وابنك ركنا ذلك الجبل

فقلت لا أعرفه يا أمير المؤمنين فقال سوءة لك من سيد قوم يمدح بمثل هذا الشعر ولا يعرف قائله وقد بلغ أمير المؤمنين فرواه ووصل قائله وهو مسلم بن الوليد فانصرفت فدعوت به ووصلته ووليته (وحدث) ذو الهدمين قال دخل يزيد بن مزيد على الرشيد فقال له يا يزيد من الذى يقول فيك

لا يعبق الطيب خديه ومفرقه * ولا يمسح عينيه من الكحل

قد عود الطير عادات وثقن بها * فهن يتبعنه فى كل مرتحل

(وأخبرنى) بهاء الدين حسن ابن الخزستانى المعروف بابن الساعاتى قال اقترح على السلطان أن أصنع فيهما بديها على وزن قطعة كانت تغنى فى ذلك الوقت فصنعت

أمعنفى فيمن هويت جهالة انظر بعين العدل فيمن تعذل

أرأيت درياقا كبرد رضابها بعث الصدى وهو الرحيق السلسل

وكنية وكعقرب فى خدها أبدا تسىء فعالها وتقبل

تحيى اذا ما باشرت فم عاشق واذا تقابل من بعيد تقتل

(قال ثم صنعت)

وخريدة بيضاء ليلة هجرها من شعرها وجبينها من وصلها

رقت مواشطها على وجناتها صورا تعبدنى الغرام لاجلها

أو ما عجبت لحية فى جنة دونى تفوز بمائها وبظلها

لحذار منها ما استطعت فقبلها مكرت بآدم أختها فى مثلها

(قال ثم صنعت أيضا)

يا صرة القمرين فى شرفيهما من أى شئ منك لم أتعجب

أقبلت مثل الشمس فى غسق الدجا وجلت صبحا ضاحكا عن كوكب

من حيث لا ماء الشباب مكدر كلا ولا برق السلاف بخلب

كتبت بخديك المواشط فتنة عمت عموم هوى الذى لم يكتب

وكأنما رقم الجمال بكفه وجه الضحى بحريرة من غيهب

فقال لا أعرف قائله يا أمير المؤمنين فقال له أيقال فيك مثل هذا الشعر ولا تعرف قائله فخرج من عنده خجلا فلما صار الى منزله دعا حاجبه فقال له من بالباب من الشعراء قال مسلم بن الوليد فقال وكيف حجبته عني فلم تعلمني بمكانه قال أخبرته انك مضيق وانه ليس في يدك شيء تعطيه اياه وسألته الامساك والمقام أياما الى أن تتسع قال فأنكر ذلك عليه وقال أدخله الي فأدخله اليه فأنشده قوله

أجررت حبل خليع في الصبا غزل * وشمرت همم العذال عن عذلي

ردّ البكاء على العين الطموح هوى * مفترق بين توديع ومرتحل

أما كفى البين أن أرمى بأسهمه * حتى رماني بسهم الأعين النجل

مما جنت لي وان كانت مني صدقت * صبابة خلس التسليم بالمقل

فقال له قد أمرنا لك بخمسين ألف درهم فاقبضها واعذر فخرج الحاجب فقال لمسلم قد أمرني أن أرهن ضيعة من ضياعه على مائة ألف درهم خمسون ألفا منها لك وخمسون ألفا لنفقته فأعطاه اياها وكتب صاحب الخبر بذلك الى الرشيد فأمر له بمائتي ألف وقال اقض الخمسين ألفا التي أخذها الشاعر وزده مثلها وخذ مائة ألف لنفقتك فافتك ضيعته وأعطى مسلما خمسين ألفا أخرى (وحدّث) مسلم قال كنت يوما جالسا في دكان حياط بازاء منزلي اذ رأيت طارقا ببابي فقمت اليه فاذا هو صديق لي من أهل الكوفة قد قدم من قم فسررت به وكأن انسانا لطم وجهي حيث لم يكن عندي درهم واحد أنفقه فقمت فسلمت عليه وأدخلته منزلي وأخذت خفين كانا لي أتجمل بهما فدفعتهما الى جاريتي وكتبت معها رقعة الى بعض معارفي في السوق أسأله أن يبيع الخفين ويشتري لحما وخبزا فمضت الجارية وعادت الي وقد اشترى لها ما حدّدته له وقد باع الخفين بتسعة دراهم فكأنها انما جاءت الي بخفين جديدين فقعدت أنا وضيفي نطبخ وسألت جارا لي أن يسقينا قارورة نبيذ فوجه بها الي وأمرت الجارية بأن تغلق باب الدار فانا لجالسان نطبخ اذ طرق طارق الباب فقلت لجاريتي انظري من هذا فنظرت من شق الباب فاذا رجل على جواد عليه سواد وشاشية وقطيفة ومعه شاكري فخبرتني بموضعه فأنكرت أمري ثم رجعت الى نفسي فقلت لست بصاحب دعارة ولا للسلطان علي سبيل ففتحت الباب وخرجت اليه فنزل عن دابته وقال أنت مسلم بن الوليد قلت نعم قال كيف لي بمعرفتك قلت الذي دلك على منزلي يصحح لك معرفتي فقال لغلامه امض الى الخياط فسله عنه فمضى فسأله عني فقال نعم هو مسلم بن الوليد فأخرج الي كتابا من خفه وقال هذا كتاب الامير يزيد بن مزيد يأمرني أن لا أفضه الا عند لقائك فاذا فيه اذا لقيت مسلم بن الوليد فادفع اليه هذه العشرة آلاف درهم تكون له في منزله وادفع له أيضا ثلاثة آلاف درهم نفقة ليتحمل بها الينا فأخذت الثلاثة آلاف والعشرة آلاف ودخلت الى منزلي والرجل معي فأكلنا ذلك الطعام وازددت فيه وفي الشراب واشتريت فاكهة واتسعت ووهبت لصاحبي من الدراهم ما يهدي به هدية لعياله وأخذت في الجهاز ثم ما زلت معه حتى صرت الى الرقة الى باب يزيد بن مزيد فدخل الرجل واذا هو أحد حجابه فوجده في الحمام فخرج الي فجلس معي قليلا ثم خبرني الحاجب بأنه قد خرج من الحمام فادخلني اليه فاذا هو جالس على كرسي وعلى رأسه وصيفة وبيدها غلاف مرآة ومشط يسرح به لحيته فقال لي يا مسلم ما الذي أبطأ بك عنا فقلت أيها الامير قلة ذات اليد قال فأنشدني فأنشدته قصيدتي التي مدحته بها فلما صرت الى قولي منها

لا يعبق الطيب خديه ومفرقه * ولا يمسح عينيه من الكحل

وضع المرآة في غلافها وقال للجارية انصرفي فقد حرّم علينا مسلم الطيب فلما فرغت من القصيدة قال لي يا مسلم أتدري ما حدانى الى أن وجهت اليك قلت لا والله ما أدري قال كنت عند الرشيد منذ ليالي أغمز رجليه اذ قال يا يزيد من القائل فيك

سل الخليفة سيفا من بني مطر * يمضي فيخترم الاجساد والهاما

كالدهر لا ينثني عما يهم أبدا * قد أوسع الناس انعاما وارغاما

جاء الكليم بآية من حية
وأراك جئت بحية وبعقرب
وصنع شهاب الدين ابن أحمد الوزير الضم من قصيدة
وأنشدنيها لنفسه
خود جلا غرتها شعرها
بدر بهي في ظلام بهيم
يطيب ذكر الشعر من لفظها
كأنما ذاك النسيب النسيم
قد رقت وجنتها أرقا
بالمسك في مذهب ثوب طميم
ماذاق من قابله غفوة
واعجبا من ساهر بالرقيم
مرسلة بالحسن قد أظهرت
في نار ابراهيم آي الكليم
(وصنع) القاضي أبو العباس أحمد بن القطرسي وأنشدنيه
وغادة زينت بافعي
مسك على خدها المصون
فقلت يغنيك سحر لحظ
أتقذ سهما من المنون
قالت رأيت القلوب ليست
تطيق ما فيه من فتون
فصاغها الحسن فوق خدي
تلقف السحر من جفوني
(وأنشدني) القاضي أبو الحسن بن النبيه لنفسه
وغادة قالت وفي خدها
حية مسك قد سبتني المنام
حمرة خدي اذا قارنت
سواد أصداغي هام الهوام
أما ترى الحية تسعى الى النـ
ـنار اذا ما أضرمت في الظلام
(وأنشدني أيضا لنفسه)
في ورد خديك بدت عقرب
وحية تلسع جانيها

فقلت لا والله ما أدرى فقال لى الرشيد يا سبحان الله أنت مقيم على أعرابيتك يقال فيك مثل هذا الشعر ولا تدرى من قائله فيك فسألت عنه فأخبرت انك هو فقم حتى أدخلك على أمير المؤمنين ثم قام فدخل على الرشيد فما علمت حتى خرج على الاذن فأذن لى فدخلت على الرشيد فأنشدته مالى فيه من الشعر فأمر لى بمائتى ألف درهم فلما انصرفت الى يزيد بن مزيد أمر لى بمائة وتسعين ألفا وقال لا يجوز أن أعطيك مثل ما أعطاك أمير المؤمنين وأقطعنى اقطاعات تبلغ غلتها مائتى ألف درهم قال مسلم ثم أفضت بى الامور بعد ذلك الى أن أغضبنى فهجوته فشكانى الى الرشيد فدعانى وقال لى أتبيعنى عرض يزيد قلت نعم فقال لى بكم فقلت برغيف خبز فغضب حتى خفته على نفسى وقال قد كنت أرى أن أشتريه منك بمال جسيم ولست أفعل ولا كرامة فقد علمت احسانه اليك وأنا نفى عن أبى والله ثم والله لئن بلغنى انك هجوته لأنزعن لسانك من بين فكيك فأمسكت عنه بعد ذلك ولا ذكرته بخير ولا شر (وحدث) أبو توبة قال كان مسلم بن الوليد جالسا بين يدى يزيد بن مزيد فأتاه كتاب فيه مهم له ثم أراد القيام فقال له مسلم بن الوليد

الحزم تحريقه ان كنت ذا حذر * وانما الحزم سوء الظن بالناس

لقد أتاك وقد أدى أمانته * فاجعل صيانته فى بطن ارماس

قال فضحك يزيد وقال صدقت لعمرى وخرق الكتاب وأمر باحراقه (وحدث) الحسن بن سعيد عن أبيه قال كان داود بن يزيد بن حاتم المهلبى يجلس للشعراء فى السنة مجلسا واحدا فيقصدونه لذلك اليوم وينشدونه فوجه اليه مسلم بن الوليد براويته بشعره الذى يقول فيه

جعلته حيث ترتاب الرياح به * وتحسد الطير فيه أضبع البيد

فقدم عليه يوم جلوسه للشعراء ولحقه بعقب خروجهم عنه فتقدم الى الحاجب وحسر لثامه عن وجهه ثم قال له استأذن لى على الامير قال ومن أنت لقد انصرم وقتك وانصرف الشعراء وهو على القيام فقال له ويحك قد وفدت على الامير بشعر ما قالت العرب مثله قال وكان مع الحاجب أدب يفهم به ما يسمع فقال هات حتى أسمع فان كان الامر كما ذكرت أوصلتك اليه فأنشده بعض القصيدة فسمع شيأ يقصر الوصف عنه فدخل على داود فقال له قد قدم على الامير شاعر بشعر ما قيل فيه مثله فقال أدخل قائله فلما مثل بين يديه سلم وقال قد قدمت على الامير أعزه الله بشعر يسمعه فيعلم به تقدمى على غيرى ممن امتدحه فقال هات فلما افتتح القصيدة فقال لا تدع بى الشوق انى غير معمود * نهى النهى عن هوى البيض الرعاديد

استوى جالسا وأطرق حتى أتى الرجل على آخر الشعر ثم رفع رأسه اليه فقال أهذا شعرك قال نعم أعز الله الامير قال فى كم قلته قال فى أربعة أشهر أبقاك الله قال لو قلته فى ثمانية أشهر لكنت محسنا وقد اتهمتك لجودة شعرك وخمول ذكرك فان كنت قائل هذا الشعر فقد أنظرتك أربعة أشهر فى مثلها وأمرت بالاجراء عليك فان جئتنا بمثل هذا الشعر وهبت لك مائة ألف درهم والا حرمتك فقال أو الاقالة أعز الله الامير قال قد أقلتك قال الشعر لمسلم بن الوليد وأنا راويته والوافد عليك بشعره قال أنا ابن حاتم انه لما افتتحت شعره فقلت * لا تدع بى الشوق انى غير معمود * سمعت كلام مسلم بن الوليد ينادى فأجبت نداءه واستويت جالسا ثم قال يا غلام أعطه عشرة آلاف درهم واحمل الساعة الى مسلم بن الوليد مائة ألف درهم (وحدث) محمد بن عبد الله التميمى قال دخل مسلم بن الوليد على الفضل بن سهل لينشده شعرا فقال له أيها الكهل انى أجلك عن الشعر فسل حاجتك قال بل تستتم اليد على بأن تسمع فأنشده

دموعها من حذار البين تنسكب * وقلبها مغرم من حرها يجب

جد الرحيل بها عنه ففارقه * لبينها اللهو واللذات والطرب

يهوى المسير الى مرو ويحزنه * فراقها فهو ذو نفسين يرتقب

فقال له الفضل انى لأجلك عن الشعر قال فاغننى بما أحببت من عملك فولاه البريد بجرجان (وحدث) محمد ابن عمرو بن سعيد قال خرج دعبل الخزاعى الى خراسان لما بلغه حظوة مسلم بن الوليد عند الفضل بن سهل

يقول من بات سليمابها
يا عيش من أصبح حاويها
(وصنع) الخاص أبو العباس أحمد ابن بنت الفقيه أبى الطاهر بن عوف وأنشدنيه
جت وردة خدتيها بأفعى وعقرب
فردت يدى جانيه عن جلناره
أليس محياها المزخرف جنة
فلا غرو ان حفت لنا بالمكاره
(وقال أيضا رحمه الله تعالى)
سألتها تصفح عن هفوة
من عاشق أقسم أن لا يعود
فصورت ملغزة حية
وعقربا من فوق ورد الخدود
فكان تصحيف الذى ألغزت
خيفة أن فهم عنها الحسود
غفرت ما أسلف فلتهنه
جنة وصلى بعد نار الصدود
(وأنشدنى) الرضى بن أبى حفصة الاحدب لنفسه
قالوا ترى عقربا قد قابلت أفعى
فى حد طيبة أنس قط ما رعى
فقلت لما بدا سحر الجفون لها
جاءت له حية فى خدها تسعى
وتلك عقرب خديها فلا برحت
لأنها العقرب المؤذى بها طبعا
فانظر الى حية مع عقرب ظهرت
بروض وجنتها لم يقتلا شرعا
وزاد تاحسنها نفعا فواعجبا
من أهل ضر لها قد أظهروا النفعا
لو لم يكن ريقها الترياق ما سلمت
وكان لا شهالا يأمن اللسعا

فصار الى مرو وكتب الى الفضل بن سهل

لاتعبأن بابن الوليد فانه * يرميك بعد ثلاثة بملال

ان الملول وان تقادم عهده * كانت مودته كفيء ظلال

قال فدفع الفضل الرقعة الى مسلم وقال انظر يا ابن الوليد رقعة دعبل فيك فلما قرأها قال له هل عرفت لقب دعبل وهو غلام أمرد يفسق به قال لا قال كان يلقب بمياس ثم كتب اليه يقول

مياس قل لى أين أنت من الورى * لا أنت معلوم ولا مجهول

أما الهجاء فدق عرضك دونه * والمدح عنك كما علمت جليل

فاذهب فانت طليق عرضك انه * عرض عززت به وأنت ذليل

وكان مسلم استاذ دعبل وعنه أخذ ومن بحره استقى (وحدث) الحسين بن دعبل قال سمعت أبى يقول بينا أنا جالس بباب الكرخ اذ مرت جارية لم أر أحسن منها وجها ولا قدا تتثنى فى مشيها وتنظر فى أعطافها فقلت متعرضا لها

دموع عينى بها انبساط * ونوم عينى به انقباض

فأجابتنى مسرعة فقالت وذا قليل لمن دهته * بلحظها الأعين المراض

فأدهشتنى وأعجبتنى فقلت

فهل لمولاة عطف قلب * وللذى فى الحشى انقراض

فأجابتنى غير متوقفة وقالت

ان كنت تهوى الوداد منا * فالود فى ديننا قراض

قال فما دخل فى أذنى كلام قط أحلى من كلامها ولا رأيت أنضر وجها منها فعدلت بها عن ذلك الوجه وقلت أترى الزمان يسرنا بتلاق * ويضم مشتاقا الى مشتاق

فأجابتنى بسرعة فقالت ما للزمان وللتحكم بيننا * أنت الزمان فسرنا بتلاق

قال فمضيت أمامها أؤم بها دار مسلم بن الوليد وهى تتبعنى فصرت الى منزله فصادفته على عسرة فدفع الى منديلا وقال اذهب فبعه وخذ لنا ما نحتاج اليه وعد فمضيت مسرعا فلما رجعت وجدت مسلما قد خلا بها فى سرداب فلما أحس بى وثب الى وقال عرفك الله يا أبا على جميل ما فعلت ولقاك ثوابه وجعله أحسن حسنة لك فغاظنى قوله وطنزه بى وجعلت أفكر أى شيء أعمل به فقال بحياتى يا أبا على اخبرنى من الذى يقول

بت فى درعها وبات رفيقى * جنب القلب طاهر الاعطاف

فقلت من له فى حرامه ألف قرن * قد أنافت على علو مناف

وجعلت أشتمه وأثب عليه فقال لى يا أحمق منزلى دخلت ومنديلى بعت ودراهمى أنفقت على من تحرد أنت وأى شيء سبب حردك يا قواد فقلت له مهما كذبت على فيه من شيء فما كذبت فى الحمق والقيادة (ولقى) محمد ابن أبى أمية مسلم بن الوليد وهو يمشى وطويلته مع بعض أصحابه ورواته فسلم عليه ثم قال قد حضرنى شيء فقال هاته فقال على انه مزاح ولا تغضب قال هاته ولو كان شتما فانشده

من رأى فيما خلا رجلا * تيهه أربى على جدته * يتمشى راجلا وله * شاكرى فى قلنسيته

فسكت عنه مسلم ولم يجبه وضحك ابن أبى أمية وافترقا (وكان) لمحمد بن أبى أمية برذون يركبه فنفق فلقيه مسلم وهو راجل فقال له ما فعل برذونك قال نفق قال فجازيك اذا على ما أسلفتنا ثم أنشده

قل لابن مى لا تكن جازعا * لن يرجع البرذون بالليت

طامن احشاءك فقدانه * وكنت فيه عالى الصوت

وكنت لا تنزل عن ظهره * ولو من الحش الى البيت

ما مات من سقم ولكنه * مات من الشوق الى الموت

(وعن) الحسين بن أبى السرى قال قيل لمسلم بن الوليد أى شعرك أحب اليك قال ان فى شعرى لبيتا أخذت

معناه

فقل لمن سامنى ترك الغرام بها
لم أسلها والذى قد أخرج الورقا
(قال على بن ظافر وصنعت)
قضيب قدك هذا الرطب من هصره
وخمر ريقك هذا العذب من عصره
وأطلس الخد من بالمسك صورقه
شحرة حية بالمسك مقتدره
يا حسنه افعوانا لا يعض وان
أضحى على عضه العاشقين شره
فلا تظنه رقشاء لاسعة
تساب من وجهها فى روضة نضره
بل نمت ألحاظها بالسحر خيل ثعـ
بانا على خدها يلهى الذى نظره
ياليت شعرى مع أنى الكاتم هوى
لم أظهرت آيتى ألحاظها السحره
(قال وقلت أيضا)
وغادة رقت فى خدها صورا
لتسلب الناس ألبابا وأذهانا
هل عقرب الصدغ خافت فتك أعينا
فاستنجدت عقربا أخرى وثعبانا
أم العقارب والحيات قد ألفت
من وجنتيها بحكم الطبع بستانا

﴿الباب الخامس فى بقية بدائع البدائه﴾

معناه من التوراة وهو قولى

دلت على عيبها الدنيا وصدقها * ما استرجع الدهر مما كان أعطانى

قال الحسين وحدثنى جماعة من أهل جرجان أن راوية مسلم جاءه بعد ان تاب ليعرض عليه شعره فتغافل مسلم ثم أخذ منه الدفتر الذى فى يده فقذف به فى البحر فلهذا قل شعره فليس فى أيدى الناس منه الا ما كان بالعراق وما كان فى أيدى الممدوحين من مدائحه (وحدث) الحسين بن دعبل قال قال أبى لمسلم بن الوليد ما معنى قولك * لاتدع بى الشوق انى غير معمود * قال لاتدعنى صريع الغوانى فانى لست كذلك وكان يلقب هذا اللقب وكان له كارها (وحدث) محمد بن المهنا قال كان العباس بن الاحنف مع اخوان له على الشراب فذكروا مسلم بن الوليد فقال بعضهم صريع الغوانى فقال العباس ذلك ينبغى أن يسمى صريع الغيلان لا صريع الغوانى وبلغ ذلك مسلما فقال يهجوه

بنو حنيفة لاترضى الدعى بهم * فاترك حنيفة واطلب غيرها نسبا
فاذهب فأنت طليق الحلم مرتهن * بسورة الجهل مالم أملك الغضبا
ارجع الى عرب ترضى بنسبتهم * انى أرى لك خلقا يشبه العربا
منيت منى وقد جد الجزاء بنا * بغاية منعتك الصوت والطلبا

وكانت وفاته بجرجان وهو يتقلدها عملا (يروى) أنه لما احتضر نظر الى نخلة لم يكن بجرجان مثلها فقال

ألا يانخلة بالسفح من أكناف جرجان * ألا انى واياك بجرجان غريبان

ثم مات عند آخرهما رحمه الله تعالى

﴿لولم تكن نية الجوزاء خدمته * لما رأيت عليها عقد منتطق﴾

البيت من البسيط وهو مترجم من الفارسية والجوزاء برج فى السماء والانتطاق شد المنطقة ونطاق الجوزاء كواكب حولها (والشاهد فيه) اثبات صفة غير ممكنة لموصوف فنية الجوزاء خدمة الممدوح صفة غير ممكنة قصد اثباتها له ومثله قول التهامى

لولم يكن اقحوانا ثغر مبسمها * ماكان يزداد طيبا ساعة السحر

وقوله أيضا لولم تكن ريقته خمرة * لما انثنى غصنه وهو صاح

وقول الامير مجير الدين بن تميم فى مليح وقاد

لاموا على الوقاد فى حسنه * وحبه باللوم يزداد لولم يكن فى حسنه كوكبا * ما كان أمسى وهو وقاد

وقول السرى الرفاء موقف لولم يكن نارا اذا * لم تكن زرق عواليه شرر

وقول أبى اسحق ابراهيم الغرناطى

لعمرك ما ثغره باسم * ولكنه حبب لاعب ولولم يكن ريقه مسكرا * لما دار من حوله الشارب

وقوله وكتب به على الكتاب المسمى بتاج المفرق

ان الامام أبا البقاء الاوحدا * عجب يعز بمغرب وبمشرق
لولم تكن دررا لنا كلماته * مانظمت حليا بتاج المفرق

وما أحسن قول محمد بن هانئ

قد طيب الأفواه طيب ثنائه * من أجل ذا تجد الثغور عذابا

وقول الآخر أيضا قد قلت اذ أبصرتها حاسرا * عن ساقها افاضل سربالها
لولم تكن من برد ساقها * لاحترقت من نار خلخالها

﴿كأن السحاب الغر غيبن تحتها * حبيبا فما ترقا لهن مدامع﴾

البيت لابى تمام الطائى من قصيدة من الطويل يمدح بها قومه طيا أولها

ألا صنع البين الذى هو صانع * فان تك مجزاعا فما البين جازع

وفيه فصلان أحدهما ما كان من البديهة باقتراح مقترح وثانيهما ماليس باقتراح مقترح

﴿الفصل الاول﴾
فيما كان باقتراح مقترح

(فمن ذلك ماروى) أن جبلة ابن الايهم آخر ملوك آل جفنة قال لحسان ان حب المدامة قد استحوذ على فبغضها الى فصنع حسان ارتجالا

ولولا ثلاث هن فى الكاس لم يكن
لها ثمن من شارب حين يشرب
لها نزق مثل الجنون ومصرع
دنى وان العقل ينأى ويذهب

فقال حرمتنى لذتها فحببها الى فارتجل وقال

ولولا ثلاث هن فى الكاس أصبحت
من اكسد شئ يستفاد ويجلب
أمانيها والنفس يظهر طيبها
على حزنها والهم ينأى ويذهب

فأمر له جبلة بجائزة وحلة من حاله (ومن ذلك) ماروى أن الفرزدق دخل على عبد الملك فى بعض وفاداته عليه فامتدحه فحباه وأكرمه وأحسن جائزته فلما خرج من عنده ركب راحلته وأنشد

ماحملت ناقة من معشر رجلا
مثلى اذا الريح ألقتنى على الكور

هو العام من أسماء والعام رابع * له بلوى خبت فهل أنت رابع

ألا ان صدرى من عزائى بلقع * عشية شاقتنى الديار البلاقع

وبعده البيت وبعده ربا شفعت ريح الصبا رياضها * الى الغيث حتى جادها وهو هامع

فبشر الضحى غدوا لهن مضاحك * وجنب الندى ليلا لهن مضاجع

كساك من الانوار أبيض ناصع * وأصفر فقاع وأحمر ساطع

لئن كان أمسى شمل وحشك جامعا * لقد كان لى شمل بأنسك جامع

وهى طويلة والسحاب الغر جمع أغر وهى الماطرة الغزيرة الماء والضمير فى تحتها راجع للديار فى البيت الذى قبله (والشاهد فيه) التعليل على سبيل الشك فانه علل شاكا نزول المطر من السحاب بأنها غيبت تحت تلك الربى حبيبا فهى تبكى عليه ومنه قول محمد بن أبى زرعة

كأن صبين بأنا طول ليلهما * يستمطران على غدرانها المقلا

ومنه قول أبى الطيب المتنبى

وكأن كل سحابة وقفت بها * تبكى بعينى عروة بن حزام

ومنه قوله أيضا رحل العزاء برحلتى فكأننى * أتبعته الانفاس للتشييع

ومنه قول بعضهم وقد مات صديق له فى يوم ماطر

بروحى الذى جاء الغمام يعوده * فصادفه نحو المنية قد سرى

فما زال يبدى حرقة وتنهدا * ويبكى الى أن بل من دمعه الثرى

وقريب منه قول ابن رشيق وقد غاب المعز صاحب أفريقية عن حضرته وكان العيد ماطرا

تجهم العيد وانهلت بوادره * وكنت أعهد منه البشر والضحكا

كأنما جاء يطوى الارض من بعد * شوقا اليك فلما لم يجدك بكى

وبديع قول الوزير الاديب أبى الاصبع بن رشيد وقد هطلت باشبيلية سحابة بقطر أحمر فى يوم السبت الثالث عشر من صفر عام أربعة وستين وخمسمائة

لقد آن للناس أن يقلعوا * ويمشوا على المنهج الاقوم * متى عهد الغيث يا غافلا

كلون العقيق أو العندم * أظن الغمائم فى جوها * بكت رحمة للورى بالدم

ولنذكر طرفا من محاسن حسن التعليل فمما جاء من ذلك قول البحترى

ولو لم يكن ساخطا لم أكن * أذم الزمان وأشكو الخطوبا

وقول أبى هفان أيضا ولو لم تصافح رجلها صفحة الثرى * لما كنت أدرى علة للتيمم

وقد أخذه ابن رشيق فقال

سألت الارض لم كانت مصلى * ولم كانت لنا طهرا وطيبا

فقالت غير ناطقة لانى * حويت لكل انسان حبيبا

وقول مسلم بن الوليد ان يقعدوا فوقى لغير نزاهة * وعلو مرتبة وعز مكان

فالنار يعلوها الدخان وربما * يعلو الغبار عمائم الفرسان

وللمؤلف فى معناه ان يقعد الجاهل فوقى ولم * يرع ذمام العلم والاصل

فالشمس يعلو زحل فوقها * وهى على الغاية فى الفضل

ومن لطيف حسن التعليل قول ابن المعتز

قالوا اشتكت عينه فقلت لهم * من كثرة الفتك نالها وصب

حمرتها من دماء ما قتلت * والدم فى النصل شاهد عجب

وقد أخذه ابن المعتز من قول الواثق بالله

فأنهى ذلك الى عبد الملك فأرسل وراءه من رده فلما دخل عليه قال ايه يا فرزدق أنت الذى تقول ما حملت ناقة البيت قال نعم يا أمير المؤمنين قال لتخرجن منها يا ابن اللخناء أو لأبين عليك فقال مرتجلا

الا فر بشا فان الله فضلها * مع النبوة بالاسلام والخير

ترى وجوه بنى مروان مشرقة * يوم الندى كمشوفات الدنانير

فقال عبد الملك أولى لك ورضى عنه (ومن ذلك) ما روى أن أبا الخطاب عمر ابن عامر السعدى المعروف بابن الاشد أنشد موسى الهادى

يا خير من عقدت كفاه حجزته * وخير من قلدته أمرها مصر

فقال له الهادى الا من فقال واصلا

الا النبى رسول الله ان له * فخرا وأنت بذاك الفخر تفتخر

فظن الهادى والحاضرون أن البيت مستدرك ونظر فى صحيفته فلم يجده فأضعف صلته (وروى) أن على بن جبلة الاعمى العكوك لقى طاهر بن الحسين وهو فى حراقة له فقال له طاهر انك قد قلت فى أبى دلف

انما الدنيا أبو دلف * بين مبداه ومحتضره

فاذا ولى أبو دلف * ولت الدنيا على أثره

لى حبيب قد طال شوقى اليه * لا أسميه من حذارى عليه
لم تكن عينه لتجحد قتلى * ودمى شاهد على وجنتيه

ولابى خلف العكبرى فى مثله وقيل لابى محمد الباقى الشافعى

لم تستعر عينه من وردوجنته * الاخضابا وحاشاها من الوصب
تبينت من محب كان يألفها * شواهد الغدر فاجترت من الغضب

ومثله قول بعض الاندلسيين أيضا

قالوا الحبيب شكا جعلت فداءه * رمدا أضر بعينه كالعندم
فأجبتهم مازال يفتك لحظه * فى مهجتى حتى تلطخ بالدم

وقول أبى الفرج الببغاء

بنفسى ما يشكوه من راح طرفه * ونرجسه مما ازها حسنه ورد
أراقت دمى ظلما محاسن وجهه * فأضحى وفى عينيه آثاره تبدو
غدت عينه كالخد حتى كأنما * سقى عينه من ماء توريده الخد
لئن أصبحت رمداء مقلة مالكى * لقد طالما استشفت بها مقل رمد

ومن بديع حسن التعليل قول ابن نباتة السعدى فى فرس أدهم محجل القوائم ذى غرة

وأدهم يستمد الليل منه * وتطلع بين عينيه الثريا
سرى خلف الصباح يطير زهوا * ويطوى خلفه الافلاك طيا
فلما خاف وشك الفوت منه * تشبث بالقوائم والمحيا

وفى معناه وهو جيد الى الغاية

وكأنما لطم الصباح جبينه * فاقتص منه نخاض فى أحشائه

وقد أخذه ابن الشهيد الاندلسى وقصر عنه بقوله

وأغر قد لبس الدجى * بردا فراقك وهو فاحم * يحكى بغرته هلا
ل الفطر لاح لعين صائم * وكأنما خاض الصبا * ح فجاء مبيض القوائم

ولطيف قول ابن قلاقس فيه أيضا

وأدهم كالغراب سواد لون * يطير مع الرياح ولا جناح
كساه الليل شملته وولى * فقبل بين عينيه الصباح

وما أحسن قول ابن القصار البغدادى فيه

أدهم كالليل ذو حجول * قد غورت صبحه بليله * كأنما البرق خاف منه * فجاء مستمسكا بذيله

وما ألطف قول التهامى أيضا

لو لم يكن ريقها خمرا لما انتطقت * باؤلؤ من حباب الثغر مبتسم

وبديع قول الارجانى فى التعليل

أبدى صنيعك تقصير الزمان فنى * وقت الربيع طلوع الورد من خجل

وقول أبى طالب المأمونى يصف دارا من أبيات

وتراها من عنبر شيب بالمسـ * ـك فان هبت الصبا فيه فاحا
ما بكاء الرياض بالطل الا * خجلا من رياضها وافتضاحا

وقوله أيضا يمدح

وما جارالك صوب المزن لما * جرى وجرى نداك وما حكاكا
ولكن الغمام غنى محمودا * على وجه الثرى لما رآكا

وما أحسن قول الصلاح الاربلى مع الاعدم نزول المطر بأرض مصر غالبا

فاصنع فى مثلهما اولاك بكل بيت ألف فصنع بديها
عجبت لحراقة ابن الحسين كسيف تعوم ولا تغرق
وبحران من تحتها واحد ومن فوقها آخر مطبق
وأعجب من ذاك أعوادها وقد مسها كيف لا تورق
فأمر له بثلاثة آلاف درهم فأخذها وانصرف (وذكر الصولى فى كتاب الوزراء) قال حدثنا عيسى بن حماد قال شرب الحسن بن وهب عند عبد الله بن طاهر فعرضت سحابة فأبرقت ثم أمطرت فقال بعض من حضر المجلس قل فى هذا شيأ فقال

هطلتنا السماء هطلا دراكا
عارض المرزمان فيه السماكا
قلت للبرق اذ توقد فيها
يا زناد السماء من أوراكا
أحبيبا نأيته خفاكا
فهو دا العارض الذى أبكاكا
أم تشبهت بالامير أبى العبـ
ـاس فى جوده فلست هناكا

(وذكر ابن المثنى) قال قلت لخالد الكاتب أخبرنى عن قولك

هذا حبيبك مطوى على كمده
حرى مدامعه تجرى على جسده
له يد تسأل الرحمن راحته
مما به ويد أخرى على كبده
يا من رأى كلفا مستعبدا دنفا
كانت منيته فى عينه ويده

ماقصر الغيث عن مصر وتربتها * طبعا ولكن تعداكم من الخجل
ولا جرى النيل الا وهو معترف * بسبقكم فلذا يجرى على مهل

ويقرب منه قول ابن رشيق القيرواني

وأهوى الذي أهوى له البدر ساجدا * ألست ترى في وجهه أثر الترب

ومن بديع حسن تعليل دنو السحاب من الارض قول أبي العباس بن حديدة اللخمي

يارب مثقلة تنوء بثقلها * تسقي البلاد بوابل غيداق
مرت فويق الارض تسحب ذيلها * والريح تحملها على الاعناق
ودنت فكاد الترب ينهض نحوها * كنهوض مشتاق الى مشتاق
فكأنها جاءت تقبل تربها * أو حاولت منها لذيذ عناق

وما أحسن تعليل أبي العلاء المعري في قوله

وما كلف البدر المنير مذمة * ولكنه في وجهه أثر الدم

ومن حسن التعليل ما أنشده عبد الملك بن ادريس الحريري بديها وكان بين يدي المنصور أبي عامر في ليلة يبدو فيها القمر تارة ويختفي بالسحاب تارة وهو

أرى بدر السماء يلوح حينا * ويبدو ثم يلتحف السحابا
وذاك لانه لما تبدى * وأبصر وجهك استحيى وغابا

ومثله ما حكى أن أبا الحسن النوبختي كان مع جماعة من أهله على سطح ابن سهل النوبختي في ليلة من الليالي يشربون ومعهم ابراهيم بن زرزر المغني وكان أمرد حسن الوجه وكان في السماء غيم ينجاب مرة ويتصل أخرى فانجاب الغيم عن القمر فانبسط فقال أبو الحسن النوبختي وأقبل على ابراهيم

لم يطلع البدر الا من تشوقه * اليك حتى يوافي وجهك النضرا

ثم لما غاب القمر تحت الغيم قال

ولا تغيب الا عند خجلته * لما رآك فولى عنك واستترا

ومن رقيق حسن التعليل قول ابن عمار حين أخرج من الاندلس

على مثلها الاما بكاء الغمائم * وفي مثلها الاما صياح الحمائم
وعن ثأر الرعد صرخة طالب * لثار وهز البرق صفحة صارم
وهل لبست زهر النجوم حدادها * لمثلي أو قامت له في المآتم
وهل شققت هوج الرياح جيوبها * لغيري أو حنت حنين الروائم

وما أرشق قول بعضهم لولم أعاذ من أحب بروضة * أحداق نرجسها الينا تنظر
ماشق جيب شقيقها حسدا ولا * بات النسيم بذيله يتعثر

ولبعضهم فيه أيضا ولما اضا وجه الربيع بقابه * وفاحت بأطراف الرياض النسائم
فطارت عقول الطير لما رأينه * وقد هتكت من بينهن الحمائم
وخفن جنونا بالرياض وحسنها * فصدحن وفي أعناقهن التمائم

ومنه قول وجيه الدين الانصاري

روحي معشوق الجمال فماله * شبيه ولا في حبه لي لائم
تثنى فبات الغصن من حسده له * ألم تره ناحت عليه الحمائم

ومنه قول بعضهم في الآذريون ويسمى المنثور الرومي وهو ينضم ليلا وينفتح نهارا

عيون تبرك أنها سرقت * سواد أحداقها من الغسق
فان دجا ليلها تطلبه * ضممن من خوفها على السرق

ألا قلت كما قال أبو نواس
سماه مولاه لا ستملاحه سمجا
فاختال عجبا بهذا الاسم وابتهجا
ظبي كأن الثريا دون مفرقه
والمشتري وضياء الشمس والسرجا
يحكم الطرف يدمى سيف ناظره
اذا انتضاه لفتك قال لا حرجا
لا فرج الله عني ان مددت يدي
اليه أسأله من حبه فرجا
(فصنع بديها)
قل لظبي كله حسن
ارثلى من فلك السمج
عينه سفاكة المهج
من دمي في أحرج الحرج
أسهرتني وهي راقدة
باحورار الطرف والدعج
لا أتاح الله لي فرجا
يوم أدعو منك بالفرج
(وروي) أن أبا تمام لما أنشد أحمد بن المعتصم في حياة أبيه بحضرة يعقوب بن الصباح الكندي فيلسوف العرب قصيدته التي أولها
ما في وقوفك ساعة من باس
نقضي رسوم الاربع الادراس
وانتهى الى قوله
اقدام عمرو في سماحة حاتم
في حلم أحنف في ذكاء اياس
قال له الكندي ما زدت أن شبهت الامير بصعاليك العرب ومن هؤلاء الذين

وما أحسن قول بعضهم أيضا

ورياض من الشقائق أضحت * يتهادى بها نسيم الرياح * زرتها والغمام يجلد منها
زهرات تفوق لون الراح * قلت ما ذنبها فقال مجيبا * سرقت حمرة الخدود الملاح

وما أظرف قول بعضهم أيضا

ومعذر رقت حواشي وجهه * فقلوبنا وجدا عليه رقاق
لم يكس عارضه السواد وانما * نفضت عليه سوادها الاحداق

وقول غوث الدين بن العجمي في العذار وفي الخال

لهيب الخد حين بدا لعيني * هوى قلبي عليه كالفراش
فأحرقه فصار عليه خالا * وها أثر الدخان على الحواشي

وقول مظفر الاعمى فيه

لا تحسبوا شامة في خده طبعت * على صحيفة خد راق منظره
وانما خده الصافي تخال به * سواد عينك خالا حين تنظره

وما ألطف قول ابن رشيق في تعليل حمرة الخد

همت عذاراه بتقبيله * فاستل من عينيه سيفين فذلك الحمر من خده * دماء ما بين الفريقين

ومنه قول ابن حمديس الصقلي في الخال

يا سالبا قمر السماء جماله * ألبستني في الحب ثوب سمائه
أشعلت قلبي فارتمى بشرارة * علقت بخدك فانطفت في مائه

ومن لطيف حسن التعليل في حال تحت الحنك ما حكاه ابن رشيق قال كنت أجالس محمد بن حبيب وكان كثيرا ما يجالسنا غلام مليح ذو خال تحت لحيته فنظر الى ابن حبيب وما وأشار الى الخال ثم أطرق ساعة قال ففهمت منه أنه يصنع شيأ فيه فصنعت بيتين وأمسكت عنهما خوف الوقوع دونه فلما رفع رأسه قال اسمع وأنشد

يقولون لم من تحت صفحة خده * تنزل خال كان منزله الخد
فقلت رأى من سر الجمال فهابه * فحط خضوعا مثل ما خضع العبد

فقلت أحسنت أحسن الله اليك ولكن اسمع قال أوصنعت شيأ قلت نعم وأنشدته

حبذا الخال كاشفا منه بين الشعـ * ـر والجيد رقبة وحذارا
رام تقبيله اختلاسا ولكن * خاف من لحظ طرفه فتوارى

فقال فضحتني قطع الله لسانك ولابي سعيد المغربي وأجاد

ان المجبة في قلبي هوى * لم يكن عندي الوجه الجميل * يرقص الماء بها من طرب
ويميل الغصن للظل الطليل * وتود الشمس لو باتت بها * فلذا تصفر أوقات الرحيل

ومثله قول بعضهم أيضا

تهديهم بحسنه من لم يهم * ويعيد فيها شعر من لم يشعر
ما اصفر وجه الشمس عند غروبها * الا لفرقة حسن ذاك المنظر

ولعله سرقه من قول ابن الرومي

أماذ كاء فلم تصفر اذ جنحت * الا لفرقة ذاك المنظر الحسن

وما ألطف قول عبد الله بن القاسم البستي

ووجه غزال رق حسنا جماله * يرى الصب فيه وجهه حين ينظر
تعرض لي عند اللقاء بمرشا * تكاد الحيا من محياه تقطر
ولم يتعرض كي أراه وانما * أراد يريني أن وجهي أصفر

وما أحسن قول بعضهم في مليح يطيل حمل الكاس وقد تشاغل بشم الآس

حبيبي وعدت الكاس منك بقبلة * وأعقب ذاك الوعد منك نفار

ذكرت وما قدرهم فأطرق أبو تمام يسيرا ثم أنشد

لا تعجبوا ضربي له من دونه * مثلا شرودا في الندى والباس
فالله قد ضرب الاقل لنوره * مثلا من المشكاة والنبراس

فعجب الحاضرون استحسانا مما أتى به وأجزل أحمد صلته ولما خرج قال ابن الصباح ان هذا الفتى قصير العمر لانه ينحت من قلبه فكان كذلك (وروى) حماد بن أحمد الكندي قال كان علي بن الجهم يقع في مروان ابن أبي الجنوب حسدا له على قربه ومنزلته عند المتوكل فقال له المتوكل يوما أيكما أشعر يا علي وأراد أن يغري بينهما فقال علي أنا أشعر منه فقال ما تقول يا مروان فقال كل أحد أشعر مني واذا أصيب عرضي في أمير المؤمنين لا أبالي فقال المتوكل هذا عدول عن الجواب قد زعم انه أشعر منك فان كان صادقا فقدماء عليك وان لا فرهن عن نفسك فقال مروان يا علي أنت أشعر مني قال أوتشك في هذا قال لشدة ما شككت قال فالناس يعلمون صدقي قال فأمير المؤمنين بيننا قال انه يميل اليك فقال المتوكل هذا من عملك يا علي ثم التفت الى حمدون بن عيسى وقال له

فأوقفتها تحت الرجاء وقلبها * به خوف خلف الوعد منك شرار
وما كان هذا لونها غير أنها * علاها لطول الانتظار اصفرار

وما أحلى قول ابن نباتة هنا لم يزل جوده يجور على الما * ل الى أن كسا النضار اصفرارا
ولابن الدهان الموصلى

تردى الكتائب كتبه فاذا انبرت * لم تدر أنفذ أسطرا أم عسكرا
لم يحس الاتراب فوق سطورها * الالأن الجيش يعقد عثيرا

ومن لطيف حسن التعليل ما أنشده الملك الاشرف شاه أرمن موسى فى مملوك له جميل وقعت عليه شمعة فأصابت شاربه

وذى هيف زارنى ليلة * فأمسى به الهم فى معزل
فمالت لتقبيله شمعة * ولم تخش من ذلك المحفل
فقلت لصحبى وقد حكمت * صوارم لحظيه فى مقتلى
أتدرون شمعتنا لم هوت * لتقبيل هذا الرشا الاكحل
درت أن ريقته شهدة * فمالت الى الفها الاول

ومن المضحك فيه قول ابن قلاقس فى أصفر الوجه ذى لحية حمراء

لئن زاد فى دقنه حمرة * بما زاد فى الوجه من صفرته
فمن كثرة الصفع فى رأسه * تصفى له الدم فى لحيته

ومن ظريف حسن التعليل قول ابن النبيه وقد دخل على الصاحب صفى الدين بن شكر فى مرضه فوجده قد حم بقشعريرة تبا لحمى التى * أصلت فؤادى ولها هل سألتك حاجة * فأنت تهتز لها
فكانت جائزة هذين البيتين استخدامه على ديوان أوقاف الجامع المعمور بدمشق المحروسة بجراية وافرة وجار موفور ومنه قول المتنبى مخاطبا لسيف الدولة وقد وقعت عليه الخيمة

رأت لون نورك فى لونها * كلون الغزالة لا يغسل
وان لها شرفا باذخا * وان الخيام بها تخجل
فلا تنكرن لها صرعة * فمن فرح النفس ما يقتل

ولصاحب الدوح شاعر الحاكم وقد زلزلت مصر فى أيامه

بالحاكم العدل أضحى الدين معتليا * نجل العلا وسليل السادة النجبا
ما زلزلت مصر من كيد يرادبها * وانما رقصت من عدله طربا

ولشرف الدين التيفاشى فى مثله

أماترى الارض من زلزالها عجبا * تدعو الى طاعة الرحمن كل تقى
أضحت كوالدة خرقاء مرضعة * أولادها در ثدى حافل غدق
قد مهدتهم مهادا غير مضطرب * وأفرشتهم فراشا غير ما قلق
حتى اذا أبصرت بعض الذى كرهت * مما يشق من الاولاد من خلق
هزت بهم مهدهم شيأ تنبههم * ثم استشاطت وآل الطبع للخرق
فصكت المهد غضبى وهى لافظة * بعضا على بعضهم من شدة النزق

ومثله أيضا قول الخطيرى يقول لى حين وافى * قد نلت ما ترتجيه * فما لقلبك قد جا
بخفقة تعتريه * فقلت وصلك عرس * والقلب يرقص فيه

وفى معناه قول بهاء الدين زهير

لا تنكروا خفقان قلبى والحبيب لدى حاضر * ما القلب الادار دقت له فيها البشائر

وما ألطف تعليل خفقان القلب فى قول ابن رشيق

ومهفهف يحميه عن نظر الورى * غيران سكنى الملك تحت قبابه

اقض بينهما قال مالى ولما صغى الاسد فقال المتوكل قد أبحت كلا منكما هجاء صاحبه فليبن عن نفسه فقال على انه قد كظنى النبيذ فما أقدر على قول الشعر حتى أفيق فقال مروان لكننى أقدر يا أمير المؤمنين قال قل وعجل فقال
ان ابن جهم فى المغيب يعيبنى
ويقول لى حسنا اذا لاقانى
ويكون حين أغيب عنه شاعرا
ويضل عنه الشعر حين يرانى
واذا خلونا نال شعرى شعره
ونراعلى شيطانه شيطانى
عظمت حواياه وأربى بطنه
فكأنما فى بطنه ولدان
ان ابن جهم ليس يرحم أمه
لو كان يرحمها لما هاجانى
فضحك المتوكل والندامى وانخذل ابن الجهم فقال المتوكل بحياتى زدما حضرك فقال
بنت جهم ياعليه
صرت بعدى قرشيه
قلت ماليس بحق
اسكتى ياحلقيه
اسكتى يابنت جهم
اسكتى يانبطيه
فجعل المتوكل يضحك ويضرب الارض برجله فقال ابن الجهم لعمرى ان هذا الشعر يشبه قائله فقال مروان صدقت انه لهزل ولكننى أجدبك ثم قال
لعمرك ماجهم بن بدر بشاعر
وهذا على نجله يدعى الشعرا

أوهى الى أن ائتنى فأتيته * والفجر يرمق من خلال نقابه
وضممته للصدر حتى استوهبت * منى ثيابى بعض طيب ثيابه
فكأن قلبى من وراء ضلوعه * طرباً يخبر قلبه عما به

ومن لطيف حسن التعليل وهو قريب من هذا المعنى قول ابن بقى الاندلسى

بأبى غزالاً غازلته مقلتى * بين العذيب وبين شطى بارق
وسألت منه زيارة تشفى الجوى * فأجابنى منها بوعد صادق
بتنا ونحن من الرجا فى خيمة * ومن النجوم الزهر تحت سرادق
عاطيته والليل يسحب ذيله * صهباء كالمسك الفتيق الناشق
وضممته ضم الكمى لسيفه * وذؤابتاه حمائل فى عاتقى
حتى اذا مالت به سنة الكرى * زحزحته شيأ وكان معانقى
أبعدته عن أضلع تشتاقه * كى لا ينام على وساد خافق

وقد ناقض ابن عيال اللبيب البيت الاخير والذى قبله بقوله

ان كان لابد من رقاد * فأضلعى هالة كالوساد
فنم على خفقها هدوّا * كالطفل فى هزة المهاد

وقد تعصب لابن بقى قوم ولابن عيال آخرون وقالوا ان بيتى ابن بقى عليهما اعتراضان الاوّل الحاشه العبارة بقوله أبعدته وكان ينبغى أن يقول أبعدت عنه أضالعا والثانى ماذكره ابن عيال فقال المتعصبون لابن بقى أما الاعتراض الاول فسلم وأما الثانى فممنوع فان شعر ابن بقى يدل على ان خفقانه لكثرة قوته مما يمنع النوم بخلاف ماذكره ابن عيال فان تشبيهه بتحريك المهد يقتضى أنه يسير ضعيف ويدل عليه قوله هدوّا فقول ابن بقى أدل على قوة المحبة والشفقة على المحبوب والرفق به وقد سئل ابن فضل الله عن فصل الحكومة بينهما فأجاب بقوله

قول ابن بقى عليه مأخذ * لكنه قول المحب الوامق
يكفيه فى صدق المحبة قوله * زحزحته شيأ وكان معانقى
وأراد شيأ ما الهدأ فى الكرى * كى لا ينام على وساد خافق
ماحبه كذب كدعوى غيره * ما الكاذب الدعوى نظير الصادق
تالله ماهذا فؤاد متيم * كلا ولا هذا المقال بلائق
ولقول من قد قال ان ضلوعه * خفقانها كالمهد غير موافق
ما الحب الا بذل ماله الحشا * وبره يهدا فؤاد العاشق

وقد ردّ الصلاح الصفدى على ابن بقى بقوله

أبعدته من بعد ما زحزحته * ما أنت عند ذوى الغرام بعاشق
هذا يدل الناس منك على الجفا * ادليس هذا فعل صب وامق
ان شئت قل أبعدت عنه أضالعى * ليكون فعل المستهام الصادق
أو قل فبات على اضطراب جوانحى * كالطفل مضطجعاً بمهد خافق

ومن بديع حسن التعليل فى العذار قول ابن عبدربه

ياذا الذى خط العذار بخده * خطين هاجا لوعة وبلابلا
ما كنت أقطع أن لحظك صارم * حتى رأيت بعارضيك حمائلا

ومثله فى الحسن قوله أيضاً فى العذار

ومعذر نقش الجمال بخطه * خداً له بدم القلوب مضرّجا
لما تيقن أن عضب جفونه * من نرجس جعل النجاد بنفسجا

وينظر الى البيتين الاوّلين قول على بن حسن الاشبيلى

ولكن أبى قد كان جار الائمه
فلما ادّعى الاشعار أوهمنى أمرا
ففضحه فى ذلك المجلس
ولم يحر جواباً الا انه قال بعد
ذلك بيتين يعنيهما وهما
بلاء ليس يشبهه بلاء
عداوة غير ذى حسب ودين
يبيحك منه عرضاً لم يصنه
ويرتع منك فى عرض مصون
(قال على بن ظافر) ولما قدم
مؤيد الدولة بن ركن الدولة
أبى على الحسن بن بويه
الديلمى الى بغداد فى حياة
والده وعمه معز الدولة أبى
الحسين أحمد بن بويه ليعقد
على ابنته زبيدة قدم معه
الصاحب أبو القاسم بن
عباد وهو يومئذ فى حداثة
سنه وريعان عمره وفى هذه
السنة كتب كتاب
الروزنامجة الى الاستاذ
الرئيس أبى الفضل بن
العميد وفى فصل منه
ما معناه انه حضر عند
الاستاذ أبى محمد المهلبى فى
ليلة طلعت نحوس سعدها
وأصحرت بها سحب المسرّة
صادقة وعدها وألاحت
الكؤس خاطف برقها
وأسمعت المثانى حنين
رعدها جعلوا يتنقلون فى
شجون الحديث ويعقدون
نكاح ابن الغدير على ابنة
الزرجون فاقترح عليه
المهلبى أن يصنع شعراً فى
صفة هذا الحال فقال بديهاً

غزال كحيل له ريقة * يشاب بها المسك والقرقف   كأن العذار على خده * نجاد ومقلته مرهف

ومثله قول ابن رشيق أيضا

وأسمر اللون عسجدي * يكاد يستمطر الجهاما * ضاق بحمل العذار ذرعا
كالمهر لا يعرف اللجاما * ونكس الرأس اذ رآني * كأنه وا كتسى احتشاما
وظن أن العذار مما * يزيح عن قلبي الغراما * وما درى أنه نبات
أنبت في حسمي السقاما * وهل ترى عارضيه الا * حمائلا حملت حساما

ومثله قول ابن حكينا البغدادي

تبرم بالعذار وظن أني * أقاطعه وأخرج من يديه
وخافت عارضاه خلاص قلبي * من التبريح فانغلقت عليه

وما أحسن قول ابن الشقاق أيضا

بخد أحمد للابصار معتبر * عذار مسك جرى في صفحتي برد
كأن وجنته من حسنه خجلت * واسود عارضه من شدة الحسد

ولطيف قول ابن الخباز في العذار والخال

ولي كاتب أضمرت في القلب حبه * مخافة حسادي عليه وعذالي
له صنعة في خط لام عذاره * ولكن سهى اذ نقط اللام بالخال

وما أبدع تعليل ابن اللبانة للعذار بقوله

بداعلى خده عذار * عثله يعذر المحب * وليس ذاك العذار شعرا
لكنما سره غريب * لما أراق الدماء ظلما * بدت على خده الذنوب

وهذا كقول عبد الجليل المرسي أيضا

فطوقه الزمان عما جناه * وعلق في عذاريه الذنوبا

ومن لطيف حسن التعليل قول ابن رشيق في العذار

خط العذار له لاما بصفحته * من أجلها يستغيث الناس باللام

وقد تفنن الشعراء في تشبيه العذار باللام وقد عكس ابن غالب وأبدع وأبعد حيث قال

سأصنع في ذم العذار بدائعا * فمن شاء يقضي بالدليل كما أقضي
الا انه كاللام واللام شأنها * اذا اتصلت بالاسم آل الى الخفض

فاجعله محتملا لما شئت من الذم ان شئت وجهت الخفض لانخفاضه للعمل المطلوب منه وان شئت جعلته انخفاض حاله (رجع الى حسن التعليل) ومن لطيف حسن التعليل ما جاء فيه قول السراج الوراق في العذار

وفتك يجرح سيف لحظه * مجردا من جفنه ومغمدا
خاف على خديه من لحاظه * فبات في عذاره مزردا

ومنه قول ابن حكينا البغدادي

عيناك ترمي قلبي بأسهمها * فما لخديك تلبس الزردا
ربقته الشهد والدليل على * ذلك غل بخده صعدا

وما أحسن قول ابن معد القيرواني فيه

أطلع الحسن من جبينك شمسا * فوق ورد من وجنتيك أطلا
فكأن العذار خاف على الور * د ذبولا فمد بالشعر ظلا

وللامير سيف الدين المشد أيضا

يا من عذاره وأصداغه * حدائق همت بأزهارها   لو لم يكن خدك لي كعبة * لما تعلقت بأستارها

تركت لساقي الريح بانة عرعرا
وزرت لصافي الراح حانة عكبرا
وقلت لعلجي بعيد الراح زدها
مشعشعة قد شاهدت عهد قيصرا
فأوسعني آساً ووردا ونرجسا
وأسمعني نايا وطبلا ومزهرا
هنالك أعطيت البطالة حقها
وألفيت هتك الستر كنزا ومفخرا
كأني الصباح جريا الى حومة الصبا
أتاني صباح من جليد مؤزرا
فعانقته والراح قد أعبقت بنا
وكررت تقبيلا وقد أقبل الكرى
وصد عن العينين النعاس وصدني
الى أن تصدى الصبح يلمع مسفرا
وهبت شمال نظمت شمل نعتي
فطارت بها عني الشمول تطيرا
وكان الذي لولا الحيا لأذعته
ولا عيش يصفو للفتى ان تسترا
(ذكر) القاضي أبو علي التنوخي في كتاب النشوان
قال حدثني أبو طاهر محمد العزيز بن حامد الواسطي الملقب سيدوك قال كنت بالبصرة بعض الرؤساء في مجلس شراب فرمى الي نارنجة نصفها أخضر ونصفها أصفر وقال قل في هذه شيأ فارتجلت
وطينة الشمر مسكة
من صنعة بالحيا الاطياب

ولابى هلال العسكرى فى حسن التعليل أيضا

ومهفهف قال الاله لحسنه * كن فتنة للعالمين فكانه

زعم البنفسج أنه كعذاره * حسدا فسلوا من قفاه لسانه

وابعضهم أتتنى تؤنبنى بالبكا * فأهلا بها وبتأنيبها * تقول وفى قولها حشمة

أتبكى بعين تراى بها * فقلت اذا استحسنت غيركم * أمرت الدموع بتأديبها

ولابن الخازن أيضا لو فاخرت ذات العماد بيوتها * عادت مقوصة بغير عماد

لاتكذبن فمالها دارادا * أنصفتنى الاصم فؤادى

فلذاك لاتسقى السحائب أرضها * الا يزدن حرارة الأكباد

ولابن قلاقس فى بركة عليها قبة مذهبة

فسقية نصبت عليها قبة * تزهو بارير لها متوقد

لولم يكن ملك على أرجائها * ماشرفت بمظلة من عسجد

ولابن الساعاتى أيضا لاتعجبن لطالب بلغ المنى * كهلا وأخفق فى الشباب المقبل

فالخمر تحكم فى العقول مسنة * وتداس أول عصرها بالارجل

ولبعضهم يرثى ابن البواب الكاتب

استشعر الكتاب فقدك سالفا * وقضت بصحة ذلك الايام

فلذاك سودت الدوى كآبة * أسفا عليك وشقت الاقلام

والصدر فى جارية سوداء علقتها سوداء مصقولة * سواد قلبى صفة فيها

ما انكسف البدر على تمه * ونوره الا ليحكيها

لاجلها الازمان أوقاتها * مؤرخات بلياليها

وبديع فى معناه قول ابن رشيق أيضا

دعا بك الحسن فاستجيبى * يامسك فى صبغة وطيب تيهى على البيض واستطيلى * تيه شباب على مشيب

ولا يرعك اسوداد لون * كمقلة الشادن الربيب فانما النور عن سواد * فى أعين الناس والقلوب

وقد أخذه ابن قلاقس فقال

رب سوداء وهى بيضاء معنى * نافس المسك فى اسمها الكافور

مثل حب العيون تحسبه النا * س سوادا وانما هو نور

والاصل فى هذا المعنى قول الوزير المهلبى

وسموه مع القربى غريبا * كنور العين سموه سوادا

وما أحسن تعليل اليغمورى بقوله

أنا مرآة فان أبصرتم * حسنا أنتم بها ذاك الحسن

أو تروا ماليس يرضيكم فقد * صدئت اذ لم تروها من زمن

وفى معناه قول ابن اللبانة

زادوا جفاء فانتقصت مودة * ومن الزيادة موجب النقصان

أنا مثل مرآة صقيل صفحها * ألقى الوجوه بمثل ماتلقانى

ومن لطيف حسن التعليل قول الصفى الحلى

وعدت جميلا فأخلفته * وذلك بالحر لايجمل

وقلت بأنك لى ناصر * اذا نابنى الجحفل الجحفل

وكم قد نصرتك فى كرة * تكسر فيها القنا الذبل

فأصفر فى لون شمس السما

وأخضر فى لون قوس السحاب

فلون كوجنة معشوقة

ولون كاثر نصول الخضاب

فهذا كصفحة خد الحبيب

وذاك كما عل صرف الشراب

(قال) وكنت أنا وأبو الفرج

الببغاء نشاهد بركة ملئت

وجعل فوقها ورد وبهار

وشقائق حتى غطى أكثر

الماء وحضر أبو على الهائم

فسأل أبا الفرج أن يعمل

فى ذلك شيأ فعمل بحضرتنا

وأنشد

خجل الورد من حوار البهار

فتشى باحمراره فى اصفرار

وحكى الماء فيه ما احمر اليا

قوت حسنا من صبغ نصار

جمعا بالكمال فى بركة تم

تع حسنا نواظر الحضار

أضرم الماء بالشقيق بها النا

ر وعهدى بالماء ضد النار

فوحق الأخلاق سيدنا الزه

ر دكانت تربى على الازهار

طالت منه ومن ندامه الانفا

س بدء الشموس والاقمار

(قال) وكنت بحضرة عضد

الدولة فى مجلس أنس فى

عشية من العشايا فغنى له

من وراء ستارة الخاصة

صوت وهو

نحن قوم من قريش

مالهم بالفرار

وبعده أبيات ركيكة فقال

أتعرفون لمن هذه فقال

أبو عبد الله بن المنجم يغنى

ولست آمن بغضـلى عليـك فأجب بالقول اذأجل

كماقاله البازفى عزة * بمحـين فانحوه البلبـل

وقال أراك جليس الملو * ك ومن فوق أيديهم تحمل

وأنت كما علموا صامت * وعن بعض ماقلته تنكل

وأحبس مع انى ناطـق * وحالى عنـدهم مهـمل

فقـال صـدقت ولكنهم * بذاعرفوا أينـا الاكمـل

لانى فعلت وماقلت قط * وأنت تقول ولاتفـعل

ولابن القيسرانى أيضا هذا الذى سلب العشاق نومهم * أماترى عينه ملأى من الوسن

وللعباز البلدى أيضا ليل المحبين مطوى جوانبه * مشمر الديل منسوب الى القصر

اذا الحبيبان باتا تحت جانبه * غابت أوائـله فى آخر السحـر

مادالك الالان الصبح نم بنا * فاطلع الشمس من غيظ على القمر

ولصدر الدين بن الوكيل لم يصلب الراووق الاعندما * قطع الطريق على الهموم وساقها

وهو من قول سيف الدين المشدّ فى مليح نصرانى

يصبوا الحباب الى تقبيل مبسمه * وتكتسى الراح من خديه أنوارا

من أجله أصبح الراووق منعكفا * على الصليب وشدّ الكاس زنارا

وما أحسن قول صدر الدين بن الوكيل أيضا

أرقت دم الراووق حـلا لانى * رأيت صليبا فوقه وهو مشرك

وزوّجت بنت الكرم لابن غمامة * فصح على التعليق والشرط أملك

وما أحسن قول ابن دانيال فيما نقش على مشراط حجام وضمنه المثل الذى أتى به صدر الدين بن الوكيل حيث قال أنا لا أكلم واصبا * الا باذن منه علك شرطى شفاء الهالكيـن من الاذى والشرط أملك

وقد كررت هذين البيتين بيتين قلتهما وقد عاوها

بى من الحبش عادة * وصفها اليس يدرك ملك القلب شرطها * وكذا الشرط أملك

رجعنا الى حسن التعليل ولابن سناء الملك فيه

بأبى من ذكره فى الحشا * صيفى وذكرى فى الحشا ضيفه

لاتحسبونى ناعسا انما * سهدت لما مرّ بى طيفه

* الشاهد الرابع *

﴿أحلامكم لسقام الجهل شافية * كما دماؤكم تشفى من الكلب﴾

البيت للكميت الشاعر من قصيدة من البسيط أوّلها

هل للشباب الذى قد فات من طلب * أم ليس عاره الماضى بمنقلب

دع البكاء على مافات مطلبه * فالدهر يأتى بألوان من العجب

والاحلام جمع حلم بالكسر وهو الاناة والعقل والكلب جنون الكلاب المعترى من أكل لحم انسان وشبه جنونها فالمعترى للانسان من عضها أو هو داء لا يصبر الانسان معه عن الاكل ساعة واحدة ولا دواء له أنجع من شرب دم ملك (قال ابن الاعرابى) كانت العرب تقول من أصابه الكلب والجنون لا يبرأ منه الا أن يسقى من دم ملك فهو يقول ان ممدوحيه أرباب العقول الراجحة ملوك وأشراف ومثله قول الحماسى وهو القاسم ابن حنبل المزنى حيث قال بنات مكارم وأساة كلم * دماؤكم من الكلب الشفاء

وقول عبد الله بن الزبير الاسدى فى عبد الله بن زياد

من خير بيت علمناه وأكرمه * كانت دماؤهم تشفى من الكلب

وقريب من معناه قول العباس بن مرداس

أن الشعر للطبيع لله والحن له فقال لى اصنع أبياتا على وزنها وقافيتها ليكون هذا اللحن المليح فى شعر جيد فتباعدت عن المجلس واستدعيت دواة ودرجا وعملت

أيهذا القمر الطا لع من دار القمارى

رائحا من حيلاء الـ حسن فى أبهى ازار

والذى يحنى ولا يسـ مع دنبا باعتذار

أوضح العذر عذارا لك على خلع العذار

أترى هجرك فى بعـ دعلى قرب مزار

(واستحسنها جدا وأنشد)

نحن قوم نحفظ العهـ دعلى بعد المزار

وغير السحب سحبا من أكف كالبحار

أبدا ننصر للصيـ ف بدورا من نضار

(وبلغنى) عن بعض أهل المجلس انه أمر الستارة بنقل اللحن الى هذا الشعر فنقل وغنى به وبعد هذا تممت أبيات القصيدة وامتدحته بها (قال على ابن ظافر) وبالاسناد المتقدم ذكر صاحب اليتيمة مامعناه أن أبا الحسن السلامى الشاعر دخل على الامير عز الدولة أبى تغلب فضل الله بن ناصر الدولة

وانى من القوم الذين دماؤهم * شفاء لطلاب التراث من الوغم

وقول البحتري مهنئا من افتصد

ليهنك البرء مما كنت تألمه * وليهنك الأجر عقبى صائب الوصب

لئن فصدت ابتغاء البرء من سقم * فقد أرقت دما يشفي من الكلب

(والشاهد في البيت) التفريع وهو اثبات حكم لمتعلق أمر بعد اثباته لمتعلق له آخر على وجه يشعر بالتفريع والتعقيب فههنا فرع على وصفهم بشفاء أحلامهم اسقام الجهل وصفهم بشفاء دمائهم من الكلب ومن التفريع قول الشريف الرضي

اذا فات شيء سمعه دل أنفه * وان فات عينيه رأى بالمسامع

وقول ابن المعتز أيضا كلامه أخدع من لحظه * ووعده أكذب من طيفه

فبيناهو يصف خدع كلامه فرع خدع لحظه وبيناهو يصف كذب وعده فرع كذب طيفه وقوله أيضا يصف ساقي كأس حيث قال

فكأن حمرة لونها من خده * وكأن طيب نسيمها من نشره

حتى اذا صب المزاج تبسمت * عن ثغرها فحسبته من ثغره

ومن التفريع الجيد قول الصنوبري

ما أخطأت نوناته من صدغه * شيأ ولا ألفاته من قده

وكأنما أقلامه من شعره * وكأنما قرطاسه من جلده

وشتان ما بين هذا الوصف وقول الآخر يهجو كاتبا أنشده الصولي في أبيات

كأن دواته من ريق فيه * تلاق فنشرها أبدا كريه

ومنه قول ابن النطاح يصف البحر

يا مادح البحر وهو يجهله * مهلا فاني قتلته علما مكسبه مثل قعره بعدا * ورزقه مثل مائه طعما

وذكرت بهذين البيتين قول ابن رشيق في ذم البحر وركوبه

البحر صعب المرام مر * لا جعلت حاجتي اليه أليس ماء ونحن طين * فما عسى صبرنا عليه

(قال ابن حمديس) اجتمعت مع أبي الفضل الكاتب جعفر بن المقترح بسبتة فذكر لي بيتي ابن رشيق ثم قال لي أتقدر على اختصار هذا المعنى قلت نعم أقدر على ذلك وأنشدته

لا أركب البحر خوفا * علي منه المعاطب طين أنا وهو ماء * والطين في الماء ذائب

فاستحسن ذلك اذ كان على الحال وأقام عني أياما ثم اجتمعت به فأنشدني لنفسه في المعنى

ان ابن آدم طين * والبحر ماء يذيبه لولا الذي فيه يتلى * ما جاز عندي ركوبه

فأنشدته لي فيه وأحصر لولا آية ما ركبته * ولله تصريف القضاء عجائبا

أقول حذارا من ركوب عبابه * أيا رب ان الطين قد ركب الماء

ومن التفريع قول كشاجم

شيخ لنا من مشايخ الكوفه * نسبته للمريض موصوفه

لو حسد الله قلبه غما * ما لمع الكلب منه في صوفه

ومن المستحسن فيه قول الخوارزمي

سمح البديهة ليس يمسك لفظه * فكأنما ألفاظه من ماله * وكأنما عزماته وسيوفه

من حده ن خلق من اقباله * متبسم في الخطب تحسب أنه * تحت العجاج ملثم بفعاله

ومثله قول ابن جابر كريم شكت أمواله من سماحه * كما قد شكت أعداؤه من سنانه

فلو لم يبد جمع العداة برمحه * لأغرقهم بحر الندى من بنانه

ابن عبد الله بن حمدان وبين يديه درع كأنما جمعت من عيون الدبى أو غدير غضنت وجهه الصبا فقال له صفها فارتجل

يا رب سابغة حبتني نعمة * كافأتها بالسوء غير مفند

أضحت تصون عن المنايا مهجتي * وغدوت أبذلها لكل مهند

فاستحسن بديهته وأحسن جائزته (وذكر) ما معناه أن السلامي سافر في صباه الى الموصل وبه جماعة من الشعراء فلما أنشدهم شعره اتهموه واستصغروا سنه واستعظموه فقال لهم أبو عثمان الخالدي أنا أكفيكم أمره ثم صنع دعوة وجمعهم بها فلما اجتمعوا أخذوا في سبر صناعته والبحث عن قدر بضاعته فاتفق أن أمطرت السماء مطرا أشبه الثغور في لونها وبردها وجانس بمنثوره منظوم عقدها فبادر الخالدي فألقى عليه نارنجا كأنه كرات ذهب أو شعل لهب ثم قال بأصحابنا صفوا هذا فارتجل السلامي

لله در الخالد * ي الاوحد الندب الخطير

أهدى لنا المزن عند * جوده نار السعير

حتى اذا صدر العتا * ب اليه عن حنق الصدور

وقوله أيضا

يزين منها الخصر لطف ورقة * كرقة معناها ولطف جوابها
وتسمعنا حلو الجواب كأنما * قد امتزجت ألفاظها برضابها

وقوله أيضا

خضبت أناملها الخلال أنها * مخصوبة من حمرة فى خدها
ويكون قائم نهدها رمانة * حققت أن الغصن مشبه قدها

ولابى جعفر الاندلسى أيضا

وكيف يكون الصبر عنها العاشق * وقد حكمت ألحاظها فى فؤاده
اذا أرسلت سود الغدائر خلتها * صبغن بما فى طرفها من سواده

ومن التفريع أيضا قول العسجدى

رأيته ممتطيا أشهبا * يحمل بازا حل فقازه وطرفه أسبق من طرفه * ولحظه أصيد من بازه

ومنه قول المتنبي على غير هذا النظام

أسير الى اقطاعه فى ثيابه * على طرفه من داره بحسامه
وما مطرتنيه من البيض والقنا * وروم العبدى هاطلات غمامه

وهذا التفريع تناوله من قول أبى تمام

وقالوا فيا أولاك صف بعض فعله * فقلت لهم من عنده كل ما عندى

وأصله قول أبى نواس يصف كلب صيد

أنعت كلبا أهله فى كده * قد سعدت جدودهم بجده
وكل خير عندهم من عنده * وكل رفد عندهم من رفده

وأخبث ما سمع فى باب التفريع قول ابن الرومى يهجو رجلا

له سائس ماهر * يحول على متنه ويطعن فى دبره * أفا ين من طعنه
بأطول من قرنه * وأغلظ من ذهنه

﴿والكميت﴾ هو ابن زيد الاسدى شاعر مقدم عالم بلغات العرب خبير بأيامها فصيح من شعراء مضر وألسنتها والمتعصبين على القحطانية المقارين المقارعين لشعرائهم العلماء بالمثالب والايام المفاخرين بها وكان فى أيام بنى أمية ولم يدرك الدولة العباسية ومات قبلها وكان معروفا بالتشيع لبنى هاشم مشهورا بذلك وقصائده الهاشميات من جيد شعره ومختاره (قال ابن قتيبة) وكان بين الكميت والطرماح خلطة ومودة وصفاء لم يكن بين اثنين حتى ان راوية الكميت قال أنشدت الكميت قول الطرماح

اذا قبضت نفس الطرماح أخلقت * عرى المجد واسترخى عنان القصائد

فقال الكميت أى والله وعنان الخطابة والرواية قال وهذه الاحوال بينهما على تفاوت المذاهب والعصبية والديانة وكان الكميت شيعيا عصبيا عدنانيا من شعراء مضر متعصبا لاهل الكوفة والطرماح خارجيا صفريا قحطانيا عصبيا لقحطان من شعراء اليمن متعصبا لاهل الشام فقيل لهما ففيم اتفقتما هذا الاتفاق مع سائر اختلاف الاهواء فقال اتفقنا على بغض العامة (وحدث) محمد بن أنس السلامى الاسدى قال سئل معاذ الهراء من أشعر الناس قال من الجاهليين أم من الاسلاميين قالوا بل من الجاهليين قال امرؤ القيس وزهير وعبيد بن الابرص قالوا فمن الاسلاميين قال الفرزدق وجرير والاخطل والراعى فقيل له يا أبا محمد ما رأيناك ذكرت الكميت فيمن ذكرت قال ذاك أشعر الاولين والآخرين (وحدث) محمد بن النوفلى قال لما قال الكميت بن زيد الشعر كان أول ما قال الهاشميات فسترها ثم أتى الفرزدق فقال له يا أبا فراس انك شيخ مضر وشاعرها وأنا ابن أخيك الكميت بن زيد الاسدى قال له صدقت أنت ابن أخى فما حاجتك قال نفث على لسانى فقلت شعرا فأحببت أن أعرضه عليك فان كان حسنا أمرتنى باذاعته وان كان قبيحا أمرتنى بستره وكنت أول من ستره على فقال له الفرزدق أما عقلك فحسن وانى لأرجو أن يكون شعرك على قدر عقلك

بعث اليه بعذره
عن خاطرى أيدى السرور
لا تعـــذلوه فانه
أهدى الخدود الى الثغور
فاعترفوا بفضله وعرفوا عند
ذلك مقدار علمه وعقله
(وأخبرنى) الشيخ الفقيه
أبو الحسن على بن الفضل
المقدسى قال أخبرنى الامام
الحافظ السلفى الاصبهانى
رحمه الله تعالى قال أخبرنى
الرئيس أبو سعد محمد بن
عقيل بن عبد الواحد
الدسكرى فى سنة ست
وتسعين وأربعمائة قال
حدثنى القاضى التنوخى
قال أصعد أبو الفرج الببغاء
الى سيف الدولة بن حمدان
هو وجماعة من الشعراء
الكبار عند حونه فأخرج
من خازنه قدحا من ياقوت
أزرق فملأ ماء وتركه
يتشعشع فقال له أبو الفرج
يا مولانا ما رأيت أحسن
من هذا فقال قل فيه شيأ
وهو ذلك فقال أبو الفرج
فى الحال

كم منة للظلام فى عنق
بجمع شمل وضم معتنق
وكم صباح للراح أسلى
من فلق ساطع الى فلق
فعاطنيها بكرا مشعشعة
كأنها فى صفائها خلق
فى أزرق كالهواء يخرقه الـ
لحظ وان كان غير منخرق
كأن أجزاءه مركبة
حسنا ولطفا من زرقة الحدق

فأنشدني ماقلته فأنشدته طربت وماشوقا الى البيض أطرب

فقال لي ففيم تطرب يا ابن أخي فقلت ولا لعبا مني وذو الشوق يلعب فقال يا ابن أخي فالعب فانك في أوان اللعب فقلت

ولم تلهني دار ولا رسم منزل * ولم يتطربني بنان مخضب

وقال مايطربك يا ابن أخي فقلت

ولا السانحات البارحات عشية * أمر سليم القرن أم مر أعضب

فقال أجل لم تتطير فقلت

ولكن الى أهل الفضائل والنهى * وخير بني حواء والخير يطلب

فقال من هؤلاء ويحك فقلت

الى النفر البيض الذين بحبهم * الى الله فيما نابني أتقرب

فقال أرحني ويحك من هؤلاء فقلت

بني هاشم رهط النبي فانني * بهم ولهم أرضى مرارا وأغضب

خفضت لهم مني جناحي مودة * الى كنف عطفاه أهل ومرحب

وكنت لهم من هؤلاء وهؤلا * مجنا على اني أذم وأقصب

وأرمى وأرمي بالعداوة أهلها * واني لأوذى فيهم وأؤنب

فقال له الفرزدق يا ابن أخي أذع ثم أذع فأنت والله أشعر من مضى ومن بقي (وحدث) ابراهيم بن سعد الاسدي قال سمعت أبي يقول رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقال لي من أي الناس أنت قلت من العرب قال أعلم فمن أي العرب أنت قلت من بني أسد قال من أسد بن خزيمة قلت نعم قال أهلالي أنت قلت نعم قال أتعرف الكميت بن زيد قلت يارسول الله عمي ومن قبيلتي قال أتحفظ من شعره شيأ قلت نعم قال أنشدني طربت وماشوقا الى البيض أطرب قال فأنشدته حتى وصلت الى قوله

فمالي الا آل أحمد شيعة * ومالي الا مشعب الحق مشعب

فقال لي اذا أصبحت فاقرأ عليه السلام وقل له قد غفر الله لك بهذه القصيدة (وحدث) نصر بن مزاحم المنقري أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم ورجل بين يديه ينشده من لقلب متيم مستهام قال فسألت عنه فقيل لي هذا الكميت بن زيد الاسدي قال فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول جزاك الله خيرا وأثنى عليه (وحدث) محمد بن سهل صاحب الكميت قال دخلت مع الكميت على أبي عبد الله جعفر ابن محمد في أيام التشريق فقال له جعلت فداك ألا أنشدك فقال انها أيام عظام قال انها فيكم قال هات وبعث أبو عبد الله الى بعض أهله فقرب فأنشده فكثر البكاء حتى أتى على هذا البيت

يصيب به الرامون عن قوس غيرهم * فيا آخرا أسدى له الغي أول

فرفع أبو عبد الله رحمه الله تعالى يديه فقال اللهم اغفر للكميت ماقدم وما أخر وما أسر وما أعلن وأعطه حتى يرضى (وحدث) صاعد مولى الكميت قال دخلنا على أبي جعفر محمد بن علي فأنشده الكميت قصيدته التي أولها من لقلب متيم مستهام وأمر له بمال وثياب فقال الكميت والله ما أحببتكم للدنيا ولو أردت الدنيا لأتيت من هي في يديه ولكنني أحببتكم للآخرة فأما الثياب التي أصابت أجسامكم فأنا أقبلها لبركتها وأما المال فلا أقبله فرده وقبل الثياب (قال) ودخلنا على فاطمة بنت الحسين رضي الله عنهم فقالت هذا شاعرنا أهل البيت وجاءت بقدح فيه سويق فحركته بيدها وأسقته الكميت فشربه ثم أمرت له بثلاثين دينارا ومركب فهملت عيناه وقال لا والله لا أقبلها اني لا أحبكم للدنيا وكان خالد بن عبد الله القسري قد أنشد قصيدة الكميت التي يهجو فيها اليمن وهي التي أولها ألا حييت عنا يامدينا فقال بعلها والله لأقتلنه ثم اشترى ثلاثين جارية بأغلى ثمن وتخيرهن نهاية في الحسن والكمال والادب فرواهن الهاشميات ودسهن مع نخاس الى هشام بن عبد الملك فاشتراهن جميعا فلما أنس بهن واستنطقهن رأى منهن فصاحة وأدبا

مازلت منه منادما كعبا
مذ أسكرتها المدام لم تفق
تختال قبل المزاج في أزرق الـ
فجر وبعد المزاج في شفق
أدهشها سكرا فان يكن الـ
صمت حديثا فذاك عن فرق
تغرق في أبحر المدام فيسـ
تنقذها شربنا من الغرق
ونحن باللهو بين مصطبح
يمرح أمنا وبين مغتبق
فلو ترى راحتي وصبغتها
من لونها في معصفر شرق
لقلت ان الهواء لاطفني
بالشمس في قطعة من الافق
فاستحسنها سيف الدولة وأعطاه اياه (وذكر) أن السري الرفاء الموصلي دخل على أبي الحسن باروخ بن عبد الله صاحب ناصر الدولة ابن حمدان وبين يديه ستارة تستر من يحلس برسم الغناء فأمره أن يصنع مايكتب عليها فصنع بديها

تبين لي سبق الامير الى العلا
ومازال سباقا الى الفضل منعما
وصيرني بين القيان اذا شدت
وبين ندامايه حجابا مكرما
لاظهر من حسن الغناء محللا
وأستر من حسن الوجوه محرما

(وذكر العميد الباخرزي في كتاب دمية القصر) أن أبا الحسن أحمد بن علي البستي أمره بهاء الدولة أن يعمل مايكتب على تكة

فاستقرأه من القرآن فقرأ ثم واستنشده من الشعر فأنشده قصائد الكميت الهاشميات فقال هشام ويلكم من قائل هذا الشعر قال الكميت بن زيد الأسدى قال وفي أي بلد هو قال بالعراق ثم بالكوفة فكتب الى خالد عامله في العراق ابعث الى برأس الكميت بن زيد فلم يشعر الكميت الا والخيل محدقة بداره فأخذ وحبس في الحبس وكان أبان بن الوليد عاملا على واسط وكان الكميت صديقه فبعث اليه بغلام على بغل وقال له أنت حر ان لحقته والبغل لك وكتب له أما بعد فقد بلغني ما صرت اليه وهو القتل الا أن يدفع الله عز وجل وأرى لك أن تبعث الى حبى يعنى زوجة الكميت وكانت ممن يتشيع أيضا فاذا دخلت عليك تنقبت نقابها ولبست ثيابها وخرجت فاني أرجو الا وبه لك قال فركب الغلام البغل وسار بقية يومه وليلته من واسط الى الكوفة فصبحها فدخل الحبس متنكرا وخبر الكميت بالقصة فبعث الى امرأته وقص عليها القصة وقال لها أى ابنة عم ان الوالى لا يقدم عليك ولا يسلمك قومك ولو خفت عليك ما عرضتك له فألبسته ثيابها وازارها وخمرته وقالت له أقبل وأدبر ففعل فقالت ما أنكر منك شيأ الا يبسا في كتفيك فاخرج على اسم الله تعالى وأخرجت معه جاريتين لها فخرج وعلى باب السجن أبو الوضاح حبيب بن بدير ومعه فتيان من أسد فلم يؤبه له ومشى الفتيان بين يديه الى سكة شبيب بناحية الكناس فمر بمجلس من مجالس بنى تميم فقال بعضهم رجل ورب الكعبة وأمر غلامه فاتبعه فصاح به أبو الوضاح يا كذا وكذا أراك تتبع هذه المرأة منذ اليوم وأومى اليه بنعله فولى العبد مدبرا وأدخله أبو الوضاح منزله ولما طال على السجان الامر نادى الكميت فلم يجبه فدخل ليعرف خبره فصاحت به المرأة وراءك لا أم لك فشق ثوبه ومضى صارخا الى باب خالد فأخبره الخبر فأحضر المرأة فقال لها يا عدوة الله احتلت على أمير المؤمنين وأخرجت عدو أمير المؤمنين لأنكلن بك ولأصنعن ولأفعلن فاجتمعت بنو أسد عليه وقالوا له ما سبيلك على امرأة منا خدعت فخافهم فخلى سبيلها وسقط غراب على الحائط ونعب فقال الكميت لابى الوضاح انى لمأخوذ وان حائطك لساقط فقال سبحان الله هذا ما لا يكون ان شاء الله تعالى وكان الكميت خبيرا بالزجر فقال له لا بد أن تحولنى فخرج به الى بنى علقمة وكانوا يتشيعون فأقام فيهم ولم يصبح حتى سقط الحائط الذى سقط عليه الغراب قال المستهل وأقام الكميت مدة متواريا حتى اذا أيقن أن الطلب خف عنه خرج ليلا فى جماعة من بنى أسد على خوف ووجل وفيمن معه صاعد غلامه وأخذ الطريق على القطقطانة وكان عالما بالنجوم مهتديا بها فلما صار سحيرا صاح بنا هوموا يا فتيان فهومنا وقام فصلى قال المستهل فرأينا شخصا فتضعضعت له فقال ما لك قلت أرى شخصا مقبلا فنظر اليه فقال هذا ذئب قد جاء يستطعمكم فجاء الذئب فربض ناحية فأطعمناه يد جزور فتعرقها ثم أهوينا له باناء فيه ماء فشرب منه فارتحلنا وجعل الذئب يعوى فقال الكميت ماله ويله ألم نطعمه ونسقه وما أعرفنى بما يريد هو يدلنا انا لسنا على الطريق تيامنوا يا فتيان فتيامنا فسكن عواؤه فلم نزل نسير حتى جئنا الشأم فتوارى فى بنى أسد وبنى تميم وأرسل الى أشراف قريش وكان سيدهم يومئذ عنبسة بن سعيد بن العاص فقال يا أبا خالد هذه مكرمة أتاك بها الله تعالى هذا الكميت بن زيد لسان مضر وكان أمير المؤمنين قد كتب فى قتله فجاء حتى تخلص اليك والينا قال مروه أن يعوذ بقبر معاوية بن هشام بدير حنيناء فمضى الكميت فضرب فسطاطه عند قبره ومضى عنبسة فأتى مسلمة بن هشام فقال له يا أبا شاكر مكرمة أتيتك بها تبلغ الثريا ان اعتقدتها فان علمت انك تفى بها والا كتمتها عنك قال وما هى فأخبره الخبر وقال انه قد مدحكم عامة واياك خاصة بما لم يسمع بمثله فقال على خلاصه فدخل على أبيه هشام وهو عند أمه فى غير وقت دخول فقال له هشام أجئت لحاجة قال نعم قال هى مقضية الا أن تكون الكميت فقال ما أحب أن تستثنى على فى حاجتى وما أنا والكميت فقالت أمه والله لتقضين حاجته كائنة ما كانت قال قد قضيتها ولو أحاطت بما بين قطريها قال هى الكميت يا أمير المؤمنين وهو آمن بأمان الله عز وجل وأمان أمير المؤمنين وأمانى وهو شاعر مضر وقد قال فينا قولا لم يقل مثله قال قد أمنته وأجزت أمانك له فاجلس له مجلسا ينشدك فيه ما قال فينا فعقد مجلسا وعنده الابرش الكلبى فتكلم بخطبة ارتجلها ما سمع بمثلها قط وامتدحه بقصيدته

ابريسم فقال ارتجالا
لم لا أتيه ومضجعى
بين الروادف والخصور
واذا نسجت فاننى
بين الترائب والنحور
ولقد نشأت صغيرة
بأكف ربات الخدور
(ومن ذلك) ماروى ابن بسام فى كتاب الذخيرة ورويته بالاسناد المتقدم ورواه لى أيضا جماعة من الاندلسيين متفرقا أن أبا الفضل صاعدا اللغوى دخل على المنصور بن أبى عامر المعافرى كفيل المؤيد هشام بن الحكم بن الناصر الاموى والمتغلب على دولته فأهدى الى المنصور وردة منطبقة فى غير أوانها فقال لصاعد قل فيها شيأ فارتجل
أتتك أبا عامر وردة
يحاكى لك المسك أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصر
فغطت بأكمامها راسها
فأفرط المنصور فى استحسانهما فحسده ابن العريف وقال انهما ليساله وقد أنشدنيهما بعض البغداديين بمصر لنفسه وهما عندى على ظهر كتاب بخطه فقال المنصور أرنيه فخرج ابن العريف وركب وجعل يحث حتى أتى مجلس ابن بزيد وكان أحسن أهل وقته بديهة فوصف له ماجرى فقال هذه الابيات

الرائية ويقال انه قالها ارتجالا وهي قوله قف بالديار وقوف زائر فمضى فيها حتى انتهى الى قوله

ماذا عليك من الوقو * ف بها وانك غير صاغر درجت عليك الغاديا * ت الرائحات من الأعاصر

وفيها يقول فالآن صرت الى أميـ * ـة والامور الى المصائر

فجعل هشام يغمز مسلمة بقضيب في يده فيقول له اسمع ثم استأذنه في مرثية ابنه معاوية فأذن له فيها فأنشده قوله

سأبكيك للدنيا وللدين انني * رأيت يد المعروف بعدك شلت

أدامت عليكم بالسلام تحية * ملائكة الله الكرام وصلت

فبكى هشام بكاء شديدا فوثب الحاجب فسكته ثم جاء الكميت الى منزله آمنا فحشدت له المضرية بالهدايا وأمر له مسلمة بعشرين ألف درهم وأمر له هشام بأربعين ألف درهم وكتب الى خالد بأمانه وأمان أهل بيته وانه لا سلطان له عليهم قال وجمعت له بنو أمية فيما بينها مالا كثيرا وفي رواية أنه لما أجاره مسلمة بن هشام وبلغ هشاما دعا به وقال له أتجير على أمير المؤمنين بغير أمره فقال كلا ولكني انتظرت سكون غضبه قال أحضرنيه الساعة فانه لا جوار لك فقال مسلمة للكميت يا أبا المستهل ان أمير المؤمنين قد أمرني باحضارك قال أتسلمني يا أبا شاكر قال كلا ولكني أحتال لك ثم قال له ان معاوية بن هشام قد مات قريبا وقد جزع عليه جزعا شديدا فاذا كان من الليل فاضرب رواقك على قبره وأنا أبعث اليك بنيه يكونون معك في الرواق فاذا دعا بك تقدمت عليهم أن يربطوا ثيابهم بثيابك ويقولون هذا استجار بقبر أبينا ونحن أحق باجارته قال فأصبح هشام على عادته متطلعا من قصره الى القبر فقال ما هذا فقالوا لعله مستجير بالقبر فقال يجار من كان الا الكميت فانه لا جوار له فقيل فانه الكميت فقال يحضر أعنف احضار فلما دعا به ربط الصبيان ثيابهم بثيابه فلما نظر هشام اليهم اغرورقت عيناه واستعبر وهم يقولون يا أمير المؤمنين استجار بقبر أبينا وقد مات ومات حظه من الدنيا فاجعله هبة له ولنا ولا تفضحنا فيمن استجار به فبكى هشام حتى انتحب ثم أقبل على الكميت فقال له يا كميت أنت القائل

والا تقولوا غيرنا تتعرفوا * نواصيها تردي بنا وهي تشرب

فقال لا والله ولا أتان من أتن الحجاز وحشية ثم خطب فحمد الله تعالى وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال أما بعد فاني كنت أتدهدى في غمرة جهالة وأعوم في بحر غواية أخنى علي خطلها واستفزني وهلها فتحيرت في الضلالة وتسكعت في الجهالة مهرعا عن الحق جائرا عن القصد أقول الباطل ضلالا وأفوه بالبهتان وبالا وهذا مقام العائذ مبصر الهدى ورافض العمى فاغسل يا أمير المؤمنين الحوبة بالتوبة واصفح عن الزلة واعف عن الجرم ثم قال

كم قال قائلكم لعا * لك عند عثرته لعاثر وغفرتم لذوي الذنو * ب من الأكابر والأصاغر

أبني أمية انكم * أهل الوسائل والأوامر ثقتي لكل ملمة * وعشيرتي دون العشائر

أنتم معادن للخلا * فة كابرا من بعد كابر بالتسعة المتتابعيـ * ـن خلائفا وبخير عاشر

والى القيامة لا تزا * ل لشافع منكم وواتر

وقطع الانشاد وعاد الى خطبته فقال اغضاء أمير المؤمنين وسماحته وصباحته ومناط المنتجعين من لا يحل حبوته لاساءة المذنبين فضلا عن استشاطة غضبه لجهل الجاهلين فقال له ويلك يا كميت من زين لك الغواية ودلاك في العماية قال الذي أخرج أبانا من الجنة وأنساه العهد فلم يجد له عزما قال فقال له أيه يا كميت ألست القائل فيا موقدا نارا لغيرك ضوءها * ويا حاطبا في غير حبلك تحطب

فقال بل أنا القائل الى آل بيت أبي مالك * مناخا هو الارحب الاسهل

نمت بأرحامنا الداخلا * ت من حيث لا ينكر المدخل

بمرة والنضر والمالكيـ * ـن رهط هم الأنبل الأنبل

وجدنا قريشا قريش البطا * ح على ما بنى الأول الأول

ودس فيها بيتي صاعد
عشوت الى قصر عباسة
وقد جدل النوم حراسها
فقالت أسار على هجعة
فقلت نعم فرمت كاسها
ومدت يديها الى وردة
يحاكي لك المسك أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصر
فغطت بأكمامها راسها
وقالت خف الله لا تفضحـ
ـن في ابنة عمك عباسها
فوليت منها على غفلة
ولا خنت ناسي ولا ناسها
فسار ابن العريف وعلقها
على ظهر كتاب بخط مشرقي
وتحيل حتى غير المداد
ودخل بها على المنصور فلما
رآها اشتد غيظه على صاعد
وقال للحاضرين غدا أمتحنه
فان فضحه الامتحان لم يقم
في مكان لي فيه سلطان فلما
أصبح طلبه فحضر وأحضر
جميع الندماء فدخل به
وبهم الى مجلس حفل قد
أعد فيه طبقا عظيما فيه
سقائف مصنوعة من
جميع النوار عليها لعب من
ياسمين في شكل الجواري
وتحتها بركة ماء قد ألقى فيها
لؤلؤ مثل الحصباء وفيها
حية تسبح فقال لصاعد
بلغنا أنك تكذب في شعرك
وقد وقفنا على حقيقة ذلك
وهذا يوم اما أن تسعد فيه
عندنا واما أن تشقى وهذا
طبق ما أظنه حضر بين

بهم صلح الناس بعد الفسا * دوغيض من الفتق مارعبلوا

قال له وأنت القائل لا كعبد المليك أو كوليد * أو سليمان بعده أو هشام

من يمت لا يمت فقيدا ومن يحـ * ـي فلا ذو إل ولا ذو ذمام

ويلك يا كميت جعلتنا ممن لا يرقب في مؤمن إلا ولا ذمة فقال بل أنا القائل يا أمير المؤمنين

فالآن صرت الى أميـ * ـة والامور الى المصاير والآن صرت بها المصيـ * ـب كمهتد بالامس حائر

يا ابن العقائل للعقا * ئل والجحاجحة الاخاير من عبد شمس والاكا * بر من أمية فالاكابر

ان الخلافة والالا * ف برغم ذي حسد وواغر دلفا من الشرف التليـ * ـد اليك بالرفد المواقر

فحللت معتلج البطا * ح وحل غيرك بالظواهر

قال إيه فأنت القائل فقل لبني أمية حيث كانوا * وان خفت المهند والقطيعا

أجاع الله من أشبعتموه * وأشبع من بجوركم أجيعا

بمرضي السياسة هاشمي * يكون حيا لأمته ربيعا

فقال لا تثريب يا أمير المؤمنين ان رأيت أن تمحو عني قولي الكاذب قال بماذا قال بقولي الصادق

أورثته الحصان أم هشام * حسبا ثاقبا ووجها نضيرا * وتعاطى به ابن عائشة البد

ر فأمسى له رقيبا نظيرا * وكساه أبو الخلائق مروا * ن سناء المكارم المأثورا

لم تجهم له البطاح ولكن * وجدتها له معانا ودورا

وكان هشام متكئا فاستوى جالسا وقال هكذا الشعر فليكن يقولها لسالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنهم وكان الى جانبه ثم قال قد رضيت عنك يا كميت فقبل يده وقال يا أمير المؤمنين ان رأيت أن تزيد في تشريفي فلا تجعل لخالد علي امارة قال قد فعلت وكتب بذلك وأمر له بأربعين ألف درهم وثلاثين ثوبا شامية وكتب الى خالد أن يخلي سبيل امرأته ويعطيها عشرين ألف درهم وثلاثين ثوبا ففعل وللكميت مع خالد هذا أخبار عند قدومه الكوفة بالعهد الذي كتب له منها أنه مر يوما وقد تحدث الناس بعزله عن العراق فلما جاز تمثل الكميت وقال أراها وان كانت تحب كأنها * سحابة صيف عن قليل تقشع

فسمعه خالد فرجع وقال أما والله لا تنقشع حتى يغشاك منها شؤبوب برد ثم أمر به فجرد وضرب مائة سوط ثم خلى عنه ومضى رواه ابن حبيب (وحدث) السلامي قال كان هشام بن عبد الملك مشغوفا بجارية له يقال لها صدوف مدنية اشتريت له بمال جزيل فعتب عليها ذات يوم في شيء وهجرها وحلف أن لا يبدأها بكلام فدخل عليه الكميت وهو مغموم بذلك فقال مالي أراك مغموما يا أمير المؤمنين لا أغمك الله وأخبره هشام بالقصة فأطرق الكميت ساعة ثم أنشأ يقول

أعتبت أم عتبت عليك صدوف * وعتاب مثلك مثلها تشريف * لا تقعدن تلوم نفسك دائما

فيها وأنت بحبها مشغوف * ان الصريمة لا يقوم بمثلها * الا القوي بها وأنت ضعيف

فقال هشام صدقت والله وقام من مجلسه فدخل اليها ونهضت اليه فاعتنقته وانصرف الكميت فبعث اليه هشام بألف دينار وبعثت اليه بمثلها (وحدث) حبيش بن الكميت قال وفد الكميت على يزيد بن عبد الملك فدخل عليه يوما وقد اشتريت له سلامة النفس فأدخلت اليه والكميت حاضر فقال له يا أبا المستهل هذه جارية تباع أفترى أن نبتاعها فقال أي والله يا أمير المؤمنين وما أرى أن لها مثيلا في الدنيا فلا تفوتنك قال فصفها لي في شعر حتى أقبل رأيك فقال الكميت

هي شمس النهار في الحسن الا * انها فضلت بقتل الظراف * غصة بضة رخيم لعوب

وعثة المتن مخنفة الاطراف * زانها دلها وثغر نقي * وحديث مرتل غير جاف

خلقت فوق منية المتمني * فاقبل النصح يا ابن عبد مناف

قال فضحك يزيد وقال قد قبلنا نصحك يا أبا المستهل فأمر له بجائزة سنية (وحدث) ابن قتيبة قال مر الفرزدق

بالكميت

يدي ملك قبلي فصفه حالا فقال صاعد بديها

أبا عامر هل غير جدواك واكف * وهل غير من يخشاك في الارض خائف

يسوق اليك الدهر كل غريبة * وأغرب ما يلقاه عندك واصف

وشائع نور صاغها امر الحيا * عليها فهاعبقر ورفارف

ولما تناهى الحسن فيها تقابلت * عليها بأنواع الملاهي الوصائف

كمثل الظباء المستكنة كنسا * نظللها بالياسمين السقائف

وأعجب منها أنهن نواظر * الى بركة ضمت اليها الطرائف

حصاها اللآلي سابح في عبابها * من الرقش مسموم العرانين راجف

ترى ما تشاء العين في جنباتها * من الوحش حتى بينهن السلاحف

فاستغربت له يومئذ تلك البديهة في مثل ذلك الموضع وكتبها المنصور بخطه وكان الى ناحية من تلك السقائف سفينة فيها جارية من الجوار تجذف بمجاذيف من ذهب لم يرها صاعد وقال له المنصور أجدت الا أنك لم تصف هذه الجارية فارتجل

وأعجب منها غادة في سفينة * مكللة تصبو اليها المهاتف

بالكميت وهو ينشد والكميت يومئذ صبي فقال له الفرزدق ياغلام أيسرك انى أبوك فقال لا ولكن يسرني أن تكون أمي فخجل الفرزدق وأقبل على جلسائه فقال مامرّ بي مثلها قط (وقال محمد بن مسلمة) كان مبلغ شعر الكميت حين مات خمسة آلاف ومائتين وتسعة وثمانين بيتا وكانت ولادته أيام مقتل الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما وذلك سنة ستين ووفاته سنة ست وعشرين ومائة في خلافة مروان بن محمد وكان سبب موته ماحكاه حجر بن عبد الجبار قال خرجت الجعفرية على خالد القسري وهو يخطب على المنبر ولا يعلم بهم فخرجوا في التبابين ينادون لبيك جعفر لبيك جعفر وعرف خالد خبرهم وهو يخطب فدهش بهم فلم يعلم مايقول فزعا فقال أطعموني ماء ثم خرج الناس اليهم فاخذوا فجعل يجيء بهم الى المسجد ويؤخذ طن قصب فيطلى بالنفط ويقال للرجل منهم احتضنه ويضرب حتى يفعل ثم يحرق فحرقهم جميعا فلما عزل خالد عن العراق ووليه يوسف بن عمر دخل عليه الكميت وقد مدحه بعد قتله زيد بن علي رضي الله عنهما فانشده قوله فيه

خرجت لهم تمشي البراح ولم تكن * كمن حصنه فيه الرتاج المضبب
وما خالد يستطعم الماء فاغرا * بعدلك والداعي الى الموت ينعب

قال والجند قيام على رأس يوسف بن عمر وهم يمانية فتعصبوا لخالد فوضعوا ذبال سيوفهم في بطن الكميت فوجؤه بها وقالوا أتنشد الامير ولم تستأمره فلم يزل ينزف الدم حتى مات (وحدث) المستهل بن الكميت قال حضرت أبي عند الموت وهو يجود بنفسه وأغمي عليه ثم أفاق ففتح عينيه ثم قال اللهم آل محمد اللهم آل محمد اللهم آل محمد ثلاثا ثم قال يابني وددت أني لم أكن هجوت نساء كلب بهذا البيت وهو

مع العصروط والعسفاء ألقوا * براذعهن غير محصنينا

فعممتهن قذفا بالفجور والله ماخرجت بليل قط الا خشيت أن أرمى بنجوم السماء لذلك ثم قال يابني انه بلغني في الروايات أنه يحفر بظهر الكوفة خندق ويخرج فيه الموتى من قبورهم وينبشون منها فيحولون الى قبور غير قبورهم فلا تدفني في الظهر ولكن اذا مت فامض بي الى موضع يقال له مكران فادفني فيه فدفن في ذلك الموضع وكان أول من دفن فيه وهو مقبرة بني أسد الى الساعة والله تعالى أعلم

((ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب))

البيت للنابغة الذبياني من قصيدة من الطويل يمدح بها عمرو بن الحرث الاصغر ابن الحرث الاعرج ابن الحرث الاكبر حين هرب من النعمان بن المنذر اللخمي من الحيرة وأولها

كليني لهم ياأميمة ناصب * وليل أقاسيه بطيء الكواكب
تطاول حتى قلت ليس بمنقض * وليس الذي يرعى النجوم بآيب
وصدر أراح الليل عازب همه * تضاعف فيه الحزن من كل جانب
علي لعمرو نعمة بعد نعمة * لوالده ليست بذات عقارب
حلفت يمينا غير ذي مثنوية * ولا علم الا حسن ظن بصاحب
لئن كان للقبرين قبر بجلق * وقبر بصيداء الذي عند حارب
وللحارث الجفني سيد قومه * ليلتمسن بالجيش دار المحارب

ومنها

فهم يتساقون المنية بينهم * بأيديهم بيض رقاق المضارب
يطير فضاضا بينها كل قونس * ويتبعها منهم فراش الحواجب

وبعده البيت وبعده

تورثن من أزمان يوم حليمة * الى اليوم قد جربن كل التجارب

الى أن قال فيها

لهم شيمة لم يعطها الله غيرهم * من الجود والاحلام غير عوازب
محلتهم ذات الاله ودينهم * قويم فما يرجون غير العواقب
رقاق النعال طيب حجزاتهم * يحيون بالريحان يوم السباسب

والفلول جمع فل وهو الثلم وقراع الكتائب مضاربة الجيوش (والشاهد فيه) تأكيد المدح بما يشبه الذم

اذا راعها موج من الماء تتقي
بسكانها ماأنذرته الرواجف
متى كانت الحسناء ربات مركب
يقلب في الكفين منها المجادف
ولم ترعيني في البلاد حديقة
وشتها أزاهير الربا والزخارف
ولا غروان أنشت معاليك روضة
تقلبها في الراحتين الوصائف
فأنت امرؤ لو رمت نقل متالع
ورضوى ذرتها من سطاك العواصف
اذا رمت قولا أوطلبت بديهة
فكاني لها انى لجدك واصف
فأمر له المنصور بألف دينار ومائة ثوب وأجرى عليه في كل شهر ثلاثين دينارا وألحقه في ديوان الندماء (وروى) انه خرج معه يوما الى الزهراء فمد المنصور يده الى شيء من الريحان المعروف بالترنجان فرمى به اليه وأشار اليه أن يقول فيه فارتجل

لم أدر قبل ترنجان عبثت به
أن الزمرد أغصان وأوراق
من طيبه سرق الاترج نكهته
ياقوم حتى من الازهار سراق
كأنما الحاجب المنصور علمه
فعل الجميل فطابت منه أخلاق

كأنه قال ولا عيب في هؤلاء القوم أصلا الا هذا العيب وهو فلول أسيافهم من المقارعة والمضاربة وهذا ليس بعيب بل هو نهاية المدح فهو تأكيد المدح بما يشبه الذم لان قوله غير ان سيوفهم يوهم أن ما يأتي بعده ذم فاذا كان مدحا فقد تأكد المدح (ويروى) أن عروة بن الزبير رضي الله عنه سأل عبد الملك بن مروان أن يرد عليه سيف أخيه عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما فأخرجه اليه في سيوف منتضاة فأخذه عروة رضي الله عنه من بينها فقال له عبد الملك بم عرفته فقال بقول النابغة وأنشده البيت ومن مليح هذا النوع قول أبي هفان

ولا عيب فينا غير ان سماحنا * أضر بنا والبأس من كل جانب
فافنى الردى أرواحنا غير ظالم * وأفنى الندى أموالنا غير عائب

وقول الآخر

ولا عيب فيه غير ما خوف قومه * على نفسه أن لا يطول بقاؤها

وقول الشاعر

ولا عيب فيكم غير أن ضيوفكم * تعاب بنسيان الاحبة والوطن

ومثله قول ابن نباتة المصري

ولا عيب فيه غير أني قصدته * فأنستني الايام أهلا وموطنا

وقول الصفي الحلي

لا عيب فيهم سوى ان النزيل بهم * يسلو عن الاهل والاوطان والحشم

ولمؤلفه رحمه الله تعالى فيمن ألف الكتاب باسمه الكريم

لا عيب فيه سوى مكارمه التي * نسبت لحاتم بخل كل بخيل

وقوله أيضا في غيره

لا عيب فيه غير أن يمينه * تدع العديم مهنأ بيساره

وما أحسن قول بعضهم أيضا

ولا عيب في معروفهم غير أنه * يبين عجز الشاكرين عن الشكر

وقول ابن الرومي أيضا

ليس به عيب سوى أنه * لا تقع العين على شبهه

وما أحسن قول ابن الحجاج

أتوني فعابوا من أحب جهالة * وذلك على سمع المحب خفيف
فما فيه عيب غير أن جفونه * مراض وأن الخصر منه ضعيف

وقول أبي جعفر القرشي

فتى لم تسافر عنه آمال آمل * وليس لها الا اليه إياب
ولا عيب فيه لامرئ غير أنه * تعاب له الدنيا وليس يعاب

وما أبدع قول ابن نباتة يمدح الملك الافضل صاحب حماة من قصيدة

لا عيب فيه سوى عزائم قصرت * عنها الكواكب وهي بعد تحلق

وقوله

ليس فيه عيب سوى ان احسا * ن يديه يستعبد الاحرارا

وقوله

لا عيب فيه أدام الله دولته * الا عزائم مجد عند دهن شره

وقوله

ولا عيب فيها غير سحر جفونها * وأحبب بها سحارة حين تسحر

وقوله

وتتابع المنن التي ما عيبها * الا رجوع الوصف عنها قاصرا

وبديع قول الآخر أيضا

عيب تلك الخلال ان لم يعوذ * ن بعيب يكون فيهن خالا

وظريف قول بعضهم

ولا عيب في هذا الرشا غير أنه * له معطف لدن وخد منعم

وما أحسن قول بعضهم وهو من باب تأكيد الذم بما يشبه المدح عكس هذا الباب

بيض المطابخ لا تشكو ولائدهم * طبخ القدور ولا غسل المناديل
لا تأكل النار في مغنى بيوتهم * الا فتائل سرج أو قناديل

وتقدم ذكر النابغة في شواهد الايجاز والاطناب

﴿هو البدر الا انه البحر زاخرا * سوى أنه الضرغام لكنه الوبل﴾

البيت لبديع الزمان الهمذاني من قصيدة من الطويل يمدح بها خلف بن أحمد السجستاني أولها

من ليس يقعده عن سودد قدم
ولا تقوم له في سوأة ساق

(وروى أيضا) قال دخل صاعد اللغوي على بعض أصحابه في مجلس شراب فملأ الساقي قدحا من ابريق فتكونت قطرة من الراح في فم الابريق ووقفت ولم تبرح فاقترح عليه الحاضرون وصف ذلك فقال بديها

وقهوة من فم الابريق ساكبة
كدمع مفجوعة بالف مغيار
كأن ابريقنا والراح في فمه
طير ترقق ياقوتا بمنقار

وقد أخذه من قول الشريف أبي البركات علي بن الحسن العلوي

كأن ريح الروض لما أتت
فتت علينا مسك عطار
كأنما ابريقنا طائر
يحمل ياقوتا بمنقار

(وذكر) ابن بسام أيضا أن أبا عامر بن شهيد حضر ليلة عند الحاجب أبي عامر المظفر ابن المنصور بن أبي عامر بقرطبة فقامت تسقيهم وصيفة صغيرة ظريفة الخلق ولم تزل تسهر في خدمتهم الى أن هم جند الليل بالانهزام وأخذ في تقويض خيام الظلام وكانت تسمى اسماء فعجب الحاضرون من مكابدتها السهر طول ليلها على صغر سنها فسأله المظفر وصفها

سماء

سماء الدجى ماهذه الحدق النجل * أصدر الدجى حال وجيد الضحى عطل

وفيها يذكر أباه بهمذان واستقباله الحجيج للسؤال عن خبره والبحث عن وطنه ووطره حيث قال

يذكرني قرب العراق وديعة * لدى الله لا يسليه مال ولا أهل

اذا ورد الحجاج وافى رفاقهم * بمقلتي دمع همها النجل والسبل

يسائلهم أين ابنه أين داره * الى م انتهى لم لم يعد هل له شغل

أضاقت له حال أطالت له يد * أأخره نقص أقدمه فضل

يقولون وافى حضرة الملك الذى * له الكنف المأمول والنائل الجزل

وفاضت عليه ديمة خلفية * بها الغوادى عن ولا يتهاء نزل

يذكرهم بالله ألا صدقتموا * لدى أجد ما تقولون أم هزل

صبوا بالقياك الملوك وانما * يمثلك عن أمثالهم مثلنا يسلو

ولما تلوناكم تلونا مديحكم * فياطيب ماتبلو ويا صدق ماتتلو

فدى لك من أبناء دهرك من غدا * فلا قوله عدل ولا فعله عدل

أياملكا أدنى مناقبه العلا * وأيسر مافيه السماحة والبذل

وبعده البيت وبعده محاسن يبديها العيان كما ترى * وان نحن حدثنا بها دفع العقل

وهي طويلة وقد مضى طرف منها فى مراعاة النظير والضرغام الاسد والوبل المطر الشديد الضخم القطر ومثله الوابل (والشاهد فيه) أن الاستدراك الدال عليه لفظ لكن فى باب تأكيد المدح بما يشبه الذم كالاستثناء فى افادة المراد فالاولان استثنا آن وقوله لكنه استدراك يفيد مايفيده هذا الضرب من الاستثناء لانه استثناء منقطع والا فيه بمعنى لكن ومثله قول ابن قلاقس

هو الثغر الا انه العجر طالعا * على انه الكافور لكنه البدر

وقول بعضهم أيضا يسعى به البرق الا انه فرس * من فوقه الموت الا انه رجل

وقول السرى الرفاء أيضا

أما ترى الثلج قد خاطت أناملة * ثوبا يزر على الدنيا بأزرار

نارا ولكنها ليست بمحرقة * نورا وماء ولكن ليس بالجارى

وقول التنوخى غصن تأود فوق دعص من نقا * ليل تبلج عن صباح مسفر

كالشمس الا انه متنفس * عن مسكة متبسم عن جوهر

وقوله أيضا وجوه كأكباد المحبين رقة * ولكنها يوم الهياج صخور

وقوله وأجاد وراح من الشمس مخلوقة * بدت لك فى قدح من نهار

هواء ولكنه ساكن * وماء ولكنه غير جارى

وما أحسن ماقال بعدها وهو من بديع التشبيه

كأن المدير لها باليمين * اذا قام للسقى أو باليسار تدرع ثوبا من الياسمين * له فرد كم من الجلنار

وهذا المعنى من قول بعضهم

وكرّ شربناها على الورد بكرة * فكانت لنا ورد الى ضحوة الغد

اذا قام مبيض الثياب يديرها * توهمته يسعى بكم مورد

ولابى القاسم الطبرى

قضيب ولكن مبسم النور ثغرها * وبدر ولكن الحالك بخصرها

ولابن جابر الاندلسى أيضا

ولم ترعينى مثل جنة خدها * ولكن حماها اللحظ بالصارم العضب

فصنع ارتجالا
أفدى اسيماء من نديم
ملازم للكؤس راتب
قد عجبوا فى السهاد منها
وهى لعمرى من العجائب
كيف تجافى الرقاد عنها
فقلت لا ترقد الكواكب
(وذكر) ابن بسام أيضا انه
كان يوما مع جماعة من الادباء
عند القاضى ابن ذكوان
فجىء بباكورة باقلاء فقال
ابن ذكوان لا ينفرد بها
الا من وصفها فقال ابن شهيد
أنا لها وارتجل
ان لا لبك أحدثت صلفا
فاتخذت من زمرد صدفا
تسكن ضراتها البحور وذى
تسكن للحسن روضة أنفا
هامت بلحف الجبال فاتخذت
من سندس فى جنانها لحفا
شبهتها بالثغور فى لطف
حسنك هذا من رمز من
لطفا
حاز ابن ذكوان فى مكارمه
حدود كعب ومابه وصفا
قدم در الرياض منتخبا
منه لا فراس مدحه علفا
أكل طريف وطعم ذى أدب
والقول يهواه كل من طرفا
وخص فيه شيخ له حسب
فكان حسبى من المنى وكفى
(قال ابن بسام) وحكى أن
جماعة من أصحاب ابن شهيد
قالوا له يا أبا عامر انك لآت
بالعجائب وجاذب بذوائب
الغرائب ولكنك شديد

مورّدة الخدّين معسولة اللمى * سوى أنها تفترّ عن لؤلؤ رطب

وما أحسن قول بعضهم فى شكوى الزمان

ولى فرس من نسل أعوج سابق * ولكن على قدر الشعير يحمحم

وأقسم ماقصرت فيما يزيدنى * علوّا ولكن عندمن أتقدّم

﴿وبديع الزمان﴾ هو أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد الهمذانى قال فى حقه صاحب اليتيمة هو بديع الزمان ومعجزة همذان ونادرة الفلك وبكر عطارد وفرد الدهر وغرّة العصر ومن لم يلف نظيره فى ذكاء القريحة وسرعة الخاطر وشرف الطبع وصفاء الذهن وقوّة النفس ولم يدرك قرينه فى طرف النثر وملحه وغرر النظم ونكته ولم يروأن أحدا بلغ مبلغه من لب الادب وسرّه وجاء بمثل اعجازه وسحره فانه كان صاحب عجائب وبدائع وغرائب فمنها أنه كان ينشد القصيدة التى لم يسمعها قط وهى أكثر من خمسين بيتا فيحفظها كلها ويؤدّيها من أوّلها الى آخرها لا يخرم منها حرفا وينظر فى الاربع والخمس الاوراق من كتاب لم يعرفه ولم يره نظرة واحدة خفيفة ثم يهذها عن ظهر قلبه ويسردها سردا وهذه حاله فى الكتب الواردة وغيرها وكان يقترح عليه عمل قصيدة أو انشاء رسالة فى معنى بديع وباب غريب فيفرغ منها فى الوقت والساعة والجواب عنها فيها وكان ربما يكتب الكتاب المقترح عليه فيبتدئ بآخر سطوره ثم هلم جرّا الى الاوّل ويخرجه كأحسن شئ وأملحه ويوشح القصيدة من قبله بالرسالة الشريفة من انشائه فيقرأ من النظم النثر ويروى من النثر النظم ويعطى القوافى الكثيرة فيصل بها الابيات الشريفة ويقترح عليه كل عويص وعسير من النثر والنظم فيرتجله فى أسرع من الطرف على ريق لا يبلعه ونفس لا يقطعه وكلامه كله عفو الساعة وفيض القريحة ومسارقة القلم ومسابقة اليد وجرات الحدة وثمرات المدة ومجاراة الخاطر للناظر ومباراة الطبع للسمع وكان يترجم ما يقترح عليه من الابيات الفارسية المشتملة على المعانى الغريبة بالابيات العربية فيجمع فيها بين الابداع والاسراع الى عجائب كثيرة لا تحصى ولطائف يطول أن تستقصى وكان مع هذا كله مقبول الصورة خفيف الروح حسن العشرة ناصع الظرف عظيم الخلق شريف النفس كريم العهد خالص المودّة حلو الصداقة مرّ العداوة فارق همذان سنة ثلاثين وثلثمائة وهو مقتبل الشبيبة غض الحداثة وقد درس على أبى الحسين ابن فارس وأخذ عنه جميع ما عنده واستنفد علمه واستنزف بحره وورد حضرة الصاحب فتزوّد من ثمارها وحسن آثارها ثم قدم جرجان وأقام بها مدّة على مداخلة الاسماعيلية والتعيش فى أكنافهم والاقتباس من أنوارهم ثم قصد نيسابور فنشر بها بزه وأظهر طرزه وأملى بها أربعمائة مقامة نحلها أبا الفتح الاسكندرى فى الجدّ وغيره وضمنها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين من لفظ أنيق قريب المأخذ بعيد المرام وسجع رقيق المطلع والمقطع كسجع الحمام وجدّ يروق فيملك القلوب وهزل يشوق فيسحر العقول فمن ذلك قوله ﴿المقامة السادسة عن أبى الفتح الاسكندرى﴾ قال حدّثنا عيسى بن هشام قال اشتهيت الازاذ وأنا ببغداذ وليس معى عقد على نقد فخرجت أنتهز محاله حتى أحلنى الكرخ فاذا أنا بسوادىّ يسوق بالجهد حماره ويطرف بالعقد ازاره فقلت ظفرنا والله بصيد وحياك الله أبا زيد من أين أقبلت وأين نزلت ومتى وافيت فهلمّ الى البيت فقال لست بأبى زيد وانما أنا أبو عبيد فقلت لعن الله الشيطان أنسانيك طول العهد كيف أبوك أشاب كعهدى أم شاب بعدى فقال قد نبت المرعى على دمنته فقلت إنا لله ونفسى فى سبيل الله ولا حول ولا قوّة الا بالله ومددت يد البدار الى الصدار أحترك زيقه وأريد تمزيقه فقبض السوادىّ على خصرى بجمعه وقال أنشدتك الله لا مزقته فقلت فهلمّ الى البيت نصيب غداء أو الى السوق نشترى شواء والسوق أقرب وطعامه أطيب فاستفزته حمية القرم وعطفته عاطفة اللقم وطمع ولم يدر أنه وقع ثم أتينا شوّاء يتقاطر شواؤه عرقا وتتسايل جوانبه مرقا فقلت له زن لابى زيد من هذا الشواء ثم زن له من تلك الحلواء واختر له من تلك الاطباق

الاعجاب بما يأتى منك هاز لعطفك عند النادر يتاح لك ونحن نريد منك أن تصف لنا مجلسنا هذا وكان الذى طلبوه منه زبدة التغنيت لان المغنى اذا كان جلفا ثقيلا على النفس قبيح الصورة عند الحس كلت الفكرة عنه وان كانت ماضية وأساءت القريحة فى وصفه وان كانت محسنة وكان فى المجلس باب مخلوع معترض على الارض ولبد أحمر مبسوط قد صففت نعالهم عند حاشيته فقال مسرعا

وفتية كالنجوم حسنا
وكلهم شاعر نبيل
متقد الجانبين ماض
كأنه الصارم الصقيل
راموا انصرافى عن المعالى
والحد من دونها كليل
فالشدّ فى أمرها فسيح
كل كثير له قليل
فى مجلس زانه التصابى
وطاردت وصفه العقول
كأنما بابه أسير
نعرض من دونه النصول
يرادمنه المقال قسرا
وهو على ذاك لا يقول
ينظر من لبده لدينا
بحر دم تحتنا يسيل
كأن انحفافنا عليه
مراكب ما لها دليل
ضلت فلم تدر أين تجرى
فهى على شطه تقيل
(فعجب) القوم من أمره ثم

وأنضدعليه ورقامن الرقاق وشيأمن ماء السماق ليأكله أبوزيدهنيأ فانحنى الشوّاء بساطوره على زبدة تنوره فجعلها كالكحل سحقا والطين دقا ثم جلس وجلست ومابنس ومابنست حتى استوفيناه فقلت لصاحب الحلوى زن لابى زيدمن هذا اللوزنيج رطلين فهو أجرى فى الحلوق وأسرى فى العروق وليكن ليلى العمريومى النشور رقيق الجلد كثيف الحشو لؤلؤى الدهن كوكبى اللون يذوب كالصمغ قبل المضغ فوزنه وقعد وقعدت وجوّد وجوّدت حتى استوفيناه ثم قلت يا أبازيد ما أحوجنا الى ماء يشعشع بثلج ليقمع هذه الصارّة ويفثأ هذه اللقم الحارّة اجلس يا أبازيد حتى آتيك بسقاء يجيئنا بشربة ماء وخرجت وجلست بحيث أراه ولا يرانى أنظر مايصنع به فلما أبطأت عليه قام السوادى الى حماره فاعتلق الشوّاء بازاره وقال أين ثمن ما أكلت فقال أكلته ضيفا فقال هاك وهالك متى دعوناك زن يا أخا القحبة عشرين والا أكلت ثلاثا وتسعين فجعل السوادى يبكى ويمسح دموعه بأردانه ويحل عقده بأسنانه ويقول كم قلت لذلك القريد أنا أبو عبيد وهو يقول أنت أبوزيد وأنشأ يقول

أعمل لرزقك كل آله ✽ لا تقعدنّ بذلّ حاله وانهض لكل عظيمة ✽ فالمرء يعجز لا محاله

ثم نصر بينه وبين أبى بكر الخوارزمى ما كان سببا لهبوب ريح الهمذانى وعلوّ أمره وقرب نجمه وبعد صيته اذ لم يكن فى الحسبان والحساب ان أحدا من الادباء والكتاب ينبرى لمباراته ويجترئ على مجاراته فلما تصدّى الهمذانى لمساجلته وتعرض للتحكك به وجرت بينهما مكاتبات ومباداهات ومناظرات ومناضلات وأفضى العنان الى العنان وقرع النبع بالنبع وغلب هذا قوم وذاك آخرون وجرى بينهما من الترجيح مايجرى بين الخصمين المتحاكمين والقرنين المتصاولين طار ذكر الهمذانى فى الآفاق وارتفع مقداره عند الملوك والرؤساء وظهرت أمارات الاقبال على أموره وأدرّ الله تعالى له أخلاف الرزق وأركبه أكتاف العز وأجاب الخوارزمى رحمه الله تعالى داعى ربه عز وجل فخلا الجوّ للهمذانى وتصرّفت به أحوال جميلة وأسفار كثيرة ولم يبق من بلاد خراسان وسجستان وغزنة بلدة الا دخلها وجنى ثمرها واستفاد خيرها وميرها ولا بقى ملك ولا أمير ولا رئيس ولا وزير الا استمطر منه بنوء وسرى معه فى ضوء ففاز برغائب النعم وحصل على غرائب القسم وألقى عصاه بهراه واتخذها دار قراره ومجمع أسبابه ومازال يرتاد للوصلة بيتا يجمع الاصل والنصل والطهارة والفضل والقديم والحديث حتى وفق للتوفيق كله وخار الله عز وجل له فى مصاهرة أبى على الحسين بن محمد الخشنامى وهو الفاضل الكريم الاصيل الذى لا يزداد اختبارا الا زيد اختيارا فانتظمت أحوال أبى الفضل بصهره وتعرّف القرّة فى عينه والقوّة فى ظهره واقتنى بمعونته ومشورته ضياعا فاخرة وأثل معيشة صالحة ومروءة طاهرة وعاش عيشة راضية وحين بلغ أشده وأربى على أربعين سنة ناداه الله تعالى فلباه وفارق دنياه فى سنة ثمان وتسعين وثلثمائة فى حادى عشرة جمادى الاخيرة وقيل مات مسموما وقيل عرض له داء السكتة فعجل دفنه وانه أفاق فى قبره وسمع صوته بالليل وانه نبش فوجد وقد قبض على لحيته من هول القبر وقد مات فقامت نوادب الادب وانثلم حدّ القلم وفقدت عين الفضل قرّتها وجبهة الدهر غرّتها ورثته الافاضل مع الفضائل وبكته المكارم مع الاكارم على انه مامات من لم يمت ذكره ولقد خلد من بقى على جبهة الايام نظمه ونثره والله تعالى يتولاه بعفوه وغفرانه ويحييه بروحه وريحانه وأنا أذكر من طرف ملحه ولقط غرره ماهو غذاء القلب ونسيم العيش وقوت النفس ومادّة الانس فأقول ﴿فصل﴾ من رقعة للخوارزمى وهو أوّل ما كاتبه به أنا لقرب دار الاستاذ كطرب النشوان مالت به الخمر ومن الارتياح للقائه كما انتفض العصفور بلله القطر ومن الامتزاج بولائه كما التقت الصهباء والبارد العذب ومن الابتهاج لمراره كما اهتز تحت البارح الغصن الرطب ﴿فصل﴾ ورد للخوارزمى كتاب يتقلب فيه على جنب الحرد ويتقلى على جمر الضجر ويتأوّه من حمار الخجل ويذكر ان الخاصة قد علمت الفلج لأينا كان فقلت است البائن أعلم والاخبار المتظاهرة أعدل والآثار الظاهرة أصدق وحلبة السباق

خرج من عندهم فمرّ على بعض معارفه من الطوّافين وبين يديه زنبيل ملآن خرشفا فجعل يده فى لجام بغلته وقال لا أتركك حتى تصف الخرشف فقد وصفه صاعد فلم يحسن فقال له ابن شهيد ويحك أعلى مثل هذه الحال قال نعم فثنى رجله ثم قال

هل أبصرت عيناك يا خليلى
قنافذا تباع فى زنبيل
كأنها أنياب بنت الغول
لو نخست فى است امرئ ثقيل
لقفز ته نحو أرض النيل
ليس يرى طىّ حشا منديل
نقل السخيف المائق الجهول
وأكل قوم نازحى العقول
أقسمت لا أطعمها أكيلى
ولا طعمتها على شمول

(وأنبأنى) الشيخ الفقيه النبيه أبو الحسن بن المقدسى عن أبى قاسم مخلوف بن على القيروانى عن السرقسطى عن الحميدى قال ذكر أبو عامر بن سلمة أن اسحق بن اسمعيل المنادى حضر مجلسا من أهل الادب فدخل عليهم فتى جميل يكنى أبا الوليد وبيده تفاحة غضة فتنافسوا فيها وجعل كل يستهديها فقال لا يستحقها بالاصالة الا من وصفها فأحسن وصفها فقال المنادى هاتها فأنا زعيم

أشهد والعودان نشط أجد ومتى استزادزدنا وان عادت العقرب عدنا وله عندى اذا شاء كلما سا
ولن يعدم اذا أراد نقدا يطير فراخه ويقفا يصم صماخه وما كنت أظنه يرتقى بنفسه الى طلب مساماتى
بعد ما سقيته نقيع الحنظل وأطعمته الخراء بالخردل فان كان الشقاء قد استهواه والجبن قد استغواه
فالنفس منتظرة والعين ناظرة والنعل حاضرة وهو منى على ميعاد وأناله بمرصاد ﴿فصـــل﴾
حضرته التى هى كعبة المحتاج لا كعبة الحجاج ومشعر الكرم لا مشعر الحرم ومنى الضيف لا منى
الخيف وقبلة الصلات لا قبلة الصلاة ﴿فصـــل﴾ من كتاب الى أبيه الشيخ لذة فى العتب والسب
وطيبة فى العنف والعسف فاذا أعوزه من يغضب عليه فأنا بين يديه واذا لم يجد من يصونه فأنا زبونه
والولد عبد ليس له قيمة والظفر به عزيمة والوالد مولى أحسن أم أساء فليفعل ماشاء ﴿فصـــل﴾
من رقعة الى خلف سمعت منشدا ينشد

لحى الله صعلوكا مناه وهمه * من العيش أن يلقى لبوسا ومطعما

فقلت أنا معنى بهذا البيت لانى قاعد فى البيت آكل طيب الطعام وألبس لين الثياب ويفاض على
نزل ولا يفوض الى شغل ويملأ لى وطب ولا يدفع بى خطب هذا والله عيش العجائز والزمن العاجز
وماء الرأس أيدك الله كثير الخيوط والضيف كثير التخليط وصب هذا الماء خير من شربه وبعد هذا
الضيف أولى من قربه وكأنى بالامير يقول اذا قرئت عليه هذه الفصول الهمذانى رأى بهذه الحضرة
من الانعام مالم يره فى المنام فكف عن الآثام ولعله أنشأ هذا الكتاب سكران فعدل به عادل السكر
عن طريق الشكر وكأنه نسى مورده الذى أشبه مولده وانما رفع لحنه حين أشبع بطنه واللئيم اذا
جاع ابتغى واذا شبع طغى والهمذانى لو ترك بجلدته يرقص تحت رعدته ماتربع فى قعدته ولا تجشأ
من معدته ولكنه حين لبس الحله وركب البغله وملك الخيل والخول تمنى الدول ورأس اليتيم يحتمل
الوهن ولا يحتمل الدهن وظهر الشقى يحتمل عدلين من الفحم ولا يحتمل رطلين من الشحم ولولا
الشعير مانهق الحمير ولو لم تتسع حاله لم يتسع مجاله وكذا الكلب يزمن حين يسمن ولا يتبع حين
يشبع وعند الجوع يهم بالرجوع ﴿رقعة﴾ له الى مستميح عاوده مرارا وقال له لم لا تديم الجود بالذهب
كما تديمه بالادب عافاك الله مثل الانسان فى الاحسان كمثل الاشجار فى الاثمار سبيله اذا أتى بالحسنه
ان يرفه الى سنه وأنا كما ذكرت لا أملك عضوين من جسدى وهما فؤادى ويدى أما الفؤاد فيعلق
بالوفود وأما اليد فتولع بالجود لكن هذا الخلق النفيس لا يساعده الكيس وهذا الطبع الكريم
ليس يحتمله الغريم ولا قرابة بين الذهب والادب فلم جمعت بينهما والادب لا يمكن ثرده فى قصعة ولا
صرفه فى ثمن سلعة ولى مع الادب نادره جهدت فى هذه الايام بالطباخ أن يطبخ من جيمية الشماخ
لونا فلم يفعل وبالقصاب أن يسمع أدب الكتاب فلم يقبل وأنشدت فى الحمام ديوان أبى تمام فلم ينفد
ودفعت الى الحجام مقطعات اللحام فلم يأخذ واحتيج فى البيت الى شئ من الزيت فأنشدت من شعر
الكميت ألفا ومائتى بيت فلم يغن ولو وقعت أرجوزة العجاج فى توابل السكباج ماعدمتها عندى
ولكن ليست تقع فما أصنع فان كنت تحسب اختلافك الى افضالا على فراحتى أن لا تطرق ساحتى
وفرحى أن لا تجيء والسلام ﴿فصل﴾ ان هذا الدين لذو تبعات الصوم والفطام شديد والحج والمرام بعيد
والصلاة والمنام لذيذ والزكاة والمال عزيز وصدق الجهاد والرأس لا ينبت بعد الحصاد والصبر الحامض
والعفاف اليابس والجد الخشن والصدق المر والحق الثقيل والكظم وفى اللقمة العظم ﴿رقعة﴾
يا شبر ماهذا الكبر ويا فتر ماهذا الستر ويا قرد ماهذا البرد ويا أجوج ماهذا الخروج ويا فقاع
بكم تباع ويا فتران متى ترانى ويا لقمة الجمل نحن ببابك ويا بيضة البقلة من لنابك ويا دبة ويا حبه
ويا من فوق المكبه ويا من قرنه المذبه ويا من حلفه المسبه ويا دمل ما أوجعك ويا قل لا حديث معك
ان رؤيت أوذيت والسلام ﴿فصـل﴾ اعجوبه ولكنها محبوبه حين تصلى على النبى تنساط وتنزل

بما أردته فيها فأعطاه اياها
فقال

مجال العين فى ورد الخدود
يذكر طيب جنات الخلود
وأطيب ماتمنى النفس الف
يجدد وصله بعد الصدود
وآرجة من التفاح تزهو
بطيب النشر والحسن الفريد
فقلت لها فضحت المسك طيبا
فقالت لى بطيب أبى الوليد

(روى) ابن بسام فى كتاب الذخيرة ورويناه بالاسناد المتقدم قال حدث أبو عبد الله الصفار الصقلى قال كنت ساكنا بصقلية وأشعار ابن رشيق ترد على فكنت أتمنى لقائه حتى قدم الروم علينا فخرجت فارا بمهجتى تاركا لكل ماملكت يدى وقلت أجتمع بأبى على فبرقة شمائله وطيب مشاهدته سيذهب عنى بعض ما أجد من الحزن على مفارقة الاهل والوطن فجئت القيروان ولم أقدم شيأ على الدخول الى منزله فاستأذنت ودخلت فقام الى وهو ثانى اثنين فأخذ بيدى وجعل يسألنى فأخبرته بأمرى فارتمض وبعد ان تمكن أنسى بمجالسته قال لى يوما يا أبا عبد الله ان ههنا بالقيروان غلاما قد سلب كبدى واستولى هواه على خلدى منذ عشرة أعوام فانهض بنا اليه فان أنت ساعدتنى عليه قدمت

عن

عن قيراط ياهى صبرا ياخبيث اليك يساق الحديث ان عشنا وعشت رأيت الاتان تركب الطحان روح ولا جسد وصوت ولا أحد والعود أحمق ومتى فرزندت يابيدق ياأسخف من ناقد على راقد وشر دهرك آخره أياعجبا أيلد الاغتر البهيم وولد آزر ابراهيم

يا أيها العام الذى قد رابنى * أنت الفداء لذكر عام أولا

وما أفدى العام لكن الانعام ولا أشكو الايام ولكن اللئام عام أول عدمان والعام هذا العريان لنا فى كل أوان أمير بلا بطنه والجار جائع ويحفظ ماله والعرض ضائع

تبدلت الاشياء حتى لخلتها * ستبدى غروب الشمس من حيث تطلع

كانت السيادة فى المطابخ فصارت فى المباطخ أشهد لئن كثرت مراعكم لقد قلت مشارعكم ولئن سمنت أقفيتكم لقد أمحلت أفنيتكم

رأيتكم لا يصون العرض جاركم * ولا يدر على مرعاكم اللبن

﴿فصل من كتاب الى ابن فارس﴾ نعم أيد الله تعالى الشيخ انه الحمأ المسنون وان ظنت الظنون والناس ينسبون لآدم وان كان العهد قد تقادم وتركبت الاضداد واختلط الميلاد والشيخ يقول قد فسد الزمان أفلا يقول متى كان صالحا أفى الدولة العباسية فقد رأينا آخرها وسمعنا بأولها أم فى المدة المروانية وفى أخبارها لاتكسع الشول بأغبارها أم السنين الحربية

والسيف يغمد فى الطلى * والرمح يركز فى الكلى ومبيت حجر فى الفلا * والحرتان وكربلا

أم البيعة الهاشمية والعشرة راس من بنى فراس أم الايام الاموية والنفير الى الحجاز والعيون الى الاعجاز أم الامارة العدوية وصاحبها يقول وهل بعد البزول الا النزول أم الخلافة التيمية وصاحبها يقول طوبى لمن مات فى نأنأة الاسلام أم على عهد الرسالة ويوم الفتح قيل اسكتى يافلانه فقد ذهبت الأمانه أم فى الجاهلية ولبيد فى خلف كجلد الاجرب أم قبل ذلك وأخو عاد يقول

بلادبها كنا وكنا نحبها * اذ الناس ناس والزمان زمان

أم قبل ذلك ويروى عن آدم عليه السلام تغيرت البلاد ومن عليها أم قبل ذلك وقد قالت الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء مافسد الناس انما اطرد القياس ولا أظلمت الايام انما امتد الظلام وهل يفسد الشئ الا عن صلاح ويمسى المرء الا عن صباح ﴿ومنه﴾ اثنان قلما يجتمعان الخراسانية والانسانيه وان لم أكن خراسانى الطينه فانى خراسانى المدينه والمرء من حيث يوجد لا من حيث يولد والانسان من حيث يثبت لا من حيث ينبت فاذا انضافت الى خراسان ولادة همذان ارتفع القلم وسقط التكليف فالجرح جبار والجانى حمار ولا جنة ولا نار فلتحملنى على هناتى أليس صاحبنا يقول

لا تلمنى على ركاكة عقلى * اذ تيقنت أننى همذانى

﴿فصل﴾ مثل الشيخ فى التماس الخل كمثل المكدى فى التماس الخل تقدم الى الخلال فقال يامسكوح العيال صب قليلا من هذا الخل فى هذا الاناء فقال الخلال قبح الله الكسل هلا التمست بهذا اللفظ العسل ﴿فصل﴾ حج البيت مخنث فسئل عما رأى فقال رأيت الصفا والحجون وقوما يعوحون وكعبة ترف عليها الستور وترفرف حولها الطيور وبيتا كبيتى ولكن سل عن البخت لا عن البيت ﴿فصل﴾ جرجان وما أدراك ما جرجان أكلة من التين وموتة فى الحين ونظرة الى الثمار وأخرى الى الحفار ونجار اذا رأى الخراسانى نجر التابوت على قده وأسلف الحفار على لحده وعطار بعد الحنوط برسمه وبها للغريب ثلاث فتحات أولها لكراء البيوت والثانية لابتياع القوت والثالثة لثمن التابوت ﴿فصل من رقعة الى وارث﴾ ما للعزاء عن الاعزة رشد كأنه الغى وقد مات الميت فليحى الحى فاشدد على مالك بالخمس فأنت اليوم غيرك بالامس كان ذلك الشيخ وكيلك تضحك ويبكى لك وسيجم الشيطان عودك فان استلانه رماك بقوم يقولون خير المال متلفه بين الشراب والشباب ومنفقه بين

عندى يد الا يعدلها الارضاه فقلت سمعا وطاعة وسرت معه حتى جئنا صاغة الجوهريين فاذا غلام كأنه بدر تمام صافى الاديم عطر النسيم كأنما يبسم عن در ويسفر عن بدر قد ركب كافور عارضيه مسك صدغيه على بياض يجرحه الوهم بخاطره ويدميه الطرف بناظره فلما رآنا الغلام علته خجلة سلبت وجه أبى على ماءه فأنشدته قول الصنوبرى

انه من علامة العشاق

اصفرار الوجوه عند التلاقى

وانقطاع يكون من غير عى

وولوع بالصمت والاطراق

فقال لى والله ماواجهته قط قبل يومى هذا الا غشى على ولكنى أنست بك وشغلت بعذوبة لفظك مع أنى لم أرو طرفى من وجه القمر ولا متعته بقده الثمر لتنكيسه رأسه عند طلوعى اليه فقلت ولم ينكس رأسه فوالله ما رأيت أشبه بالبدر منه خدا وبالغصن قدا ولا بالدر ثغرا ولا بالمسك شعرا فقال ياأباعبد الله ما أبصرك بمحاسن الغلمان لاسيما من فضضت كف الجمال صفحته وذهبت وجنته وخافت على تفاح خده العيون فوكلت به الجفون ياأباعبد الله ينكس رأسه لانى علقته

الحباب والاحباب والعيش بين القداح والاقداح ولولا الاستعمال ماأريد المال فان أطعتهم فاليوم فى الشراب وغدا فى الخراب واليوم واطربا الكاس وغدا واحربا من الافلاس يامولاى هذا المسموع من العود يسميه الجاهل نقرا ويسميه العاقل فقرا وذلك الخارج من الناى هو اليوم فى الآذان زمر وهو غدا فى الاثواب جمر والعمر مع هذه الآلات ساعه والقنطار فى هذا العمل بضاعه ﴿فصول قصار وألفاظ وأمثال﴾ المرء لايعرف ببرده كالسيف لايعرف بغمده الحذق لايزيد الرزق والدعة لاتحبس السعة ان للتعة حدّا وللعارية ردّا ما كل مائع ماء ولا كل سقف سماء ولا كل بيت بيت الله ولا كل محمد رسول الله الخبر اذا تواتر به النقل قبله العقل انما يحذب السيف على الكلب لاعلى القلب والراجع فى شيئه كالراجع فى قيئه وهذه ملح وغرر من شعره فى كل فنّ فمن ذلك قوله من قصيدة فى أبى القاسم بن ناصر الدولة

غضى جفونك ياريا * ض فقد فتنت الحور غمزا
واقنى حياءك ياربا * ح فقد كددت الغصن هزا
وارفق بجفنك ياغما * م فقد خدشت الورد وخزا
خلع الربيع على الربى * وربوعها خزا وبزا
ومطارفا قد نقشت * فيها يد الامطار طرزا
أسر المطىّ الى المدا * م على جنىّ الورد جمزا
أوما ترى الاقطار قد * أخذت من الامطار عزا
أوليس عجزا أن يفو * تك حسنها أوليس عجزا
حانت عزاليها السما * ء فعادت البيداء نزا
وكأنّ أمطار الربيـ * ـع الى ندى كفيك تعزى

وله من أخرى

خرج الامير ومن وراء ركابه * غيرى وعز علىّ أن لم أخرج
أصبحت لا أدرى أأدعو طغمشى * أم يكتكينى أم أصيح بتزبجى
وبقيت لا أدرى أأركب أبرشى * أم أدهمى أم أشهبى أم ديزجى
ياسيد الامراء مالى حيمة * الا السماء الى ذراها ألتجى
كتفى بعيرى ان ظعنت ومفرشى * كمى وجنح الليل مطرح هودجى

وله من قصيدة فى أبى عامر بن عدنان

ليل الصبا ونهاره سكران * حدثان لم يعركهما حدثان
يازفرة لى لايكاد أزيزها * يسع الصلوع اليك ياهمذان
قسما لقد فقد العراق بى امرأ * ليست تجود بردّه البلدان
يادهر ان تك لامحالة مزعجى * عن خصلتى ولكل دهر شان
فاعمد براحلتى هراة فانها * عدن وان رئيسها عدنان

وله من قصيدة فى الامير أبى علىّ وهو بمرو

علىّ أن لا أريح العيس والقتبا * وألبس البيض والظلماء واليلبا
وأترك الخود معسولا مقبلها * وأهجر الكاس يعرو شربها طربا
حسبى الفلا مجلسا والبوم مطربة * والسير يسكرنى من مسه تعبا

ومنها

وطفلة كقضيب البان منعطفا * اذا مشت وهلال الشهر منتقبا
تطل تنثر من أجفانها حببا * دونى وتنظم من أسنانها حببا
قالت وقد علقت ذيلى تودّعنى * والوجد يخنقها بالدمع منسكبا
لادرّ درّ المعالى لايزال لها * برق يسوقك لاهونا ولا كثبا

وخدّه هلالى وطرفه غزالى وفرعه ظلامى ولحظه بابلىّ وقدّه قضيبى وردفه كثيبى وخصره ساجى وصدره عاجى فكان طرفى يشوب كافوره بالعقيق فيحرج لذلك صدر العشيق حتى بدا عذاره فأبدى من غمه نشاعلى فضىّ أديمه فتوهم ذلك الطاهر الاعراق الطيب الاخلاق أن ذلك مما يضعف قوىّ محبته ويمحو رسوم مودّته فقلت له بحق عليك ياأباعلى الاقلت فى هذا المعنى شيأ فأطرق قليلا ثم أنشد

وأسمر اللون عسجدىّ
يكاد يستمطر الجهاما
ضاق بحمل العذار ذرعا
كالمهر لايعرف اللجاما
ونكس الرأس اذ رآنى
كآبة واكتسى احتشاما
وظنّ أن العذار مما
يزيح عن قلبى الغراما
ومادرى انه نبات
أنبت فى جسمى السقاما
وهل ترى عارضيه الا
حمائلا حملت حساما

﴿وهذا كما قال ابن المعتز﴾

ومستحسن وصلى جعلت وصاله
شعارى فما أنفك دأبا أواصله
كأن بعينيه اذا ما أدارها
حساما صقيلا والعذار حمائله

(قال على بن ظافر) وذكر أن أباعلى حسن بن رشيق دخل

يامشرعا للمنى عذبا موارده * بيناه مبتسم الارجاء اذ نضبا
أطلعت لى قمرا سعدا منازله * حتى اذا قلت يجلو ظلمتى غربا
كنت الشبيبة أبهى ماخبت درجت * وكنت كالورد أذكى ما أتى ذهبا
استودع الله عينا تنتحى دفعا * حتى تؤوب وقلبا يرتمى لهبا
وطاعنا أحذت منه النوى وطرا * من قبل يقضى الهوى من حكمه أربا
غضى عليك قناع الصبر ان لنا * اليك أوبة مشتاق ومنقلبا

ومنها

أبى المقام بدار الذل لى كرم * وهمة تصل التخويد والخببا
وعزمة لا تزال الدهر ضاربة * دون الامير وفوق المشترى طنبا

ومنها

ياسيد الامراء افخر فما ملك * الا تمناك مولا واشتهاك أبا
يامن تراه ملوك الارض فوقهم * كما يرون على أبراجها الشهبا
لاتكذبن فخير القول أصدقه * ولا تهابن فى أمثالها العربا
فما السموءل عهدا والخليل قرى * ولا ابن سعد ندى والشنفرى غلبا
من الامير بعشار اذا اقتسموا * ما آثر المجد فيما أسلفوا نهبا
ولا ابن حجر ولا ذبيان يعثرنى * والمازنى ولا القيسى منتدبا
هذا لرغبته أوذا لرهبته * أوذا اذا طربا

والقصيدة كلها غرر وتقدم شئ منها فى شواهد التفريق وله من قصيدة أخرى ميكالية

اذهب الكاس فعرف الفجر قد كاد يلوح * وهو للناس صباح ولدى الرأى صبوح
لا يغرنك جسم صادق الحسن وروح * انما نحن الى الآجال نغدو ونروح
بينما أنت صحيح الجسم اذ أنت طريح * فاسقنيها مثل ما يلفظه الديك الذبيح

وله من أخرى فى الملك المعظم يمين الدولة محمود بن سبكتكين

تعالى الله ماشاء * وزاد الله ايمانى
أأفريدون فى التاج * أم الاسكندر الثانى
أم الرجعة قد عادت * الينا بسليمان
أطلت شمس محمود * على أنجم سامان
وأمسى آل بهرام * عبيدا لابن خاقان
اذا ما ركب الفيل * لحرب أو لميدان
رأت عيناك سلطانا * على منكب شيطان

وله من قصيدة فى جماعة من العمال حبسوا

مالى أرى الحر ذا هادمه * ولا أرى النذل ذاهبا ذهبه * أراحنا الله منك يازمنا
أرعى يصطاد صقره خربه * ياساغبا جائع الجوارح لا * يسكن الا بفاضل سغبه
ياخير مافى الانام منتقدا * والجود والمجد والنهى حطبه * ياخاطبا ما أتاك وليس سوى
نعى فتى أو فتوه خطبه * ياصاعدا والعلا فريسته * وباهبا والجمال منتهبه
ياسادتى لا تكن عظامكمو * لعضة الدهر ان يمسح كلمه * فالدهر لوبان لا يدوم على
حال سريع بالناس منقلبه * أتى بشر لم نرتقبه كذا * يأتى بخير وليس نرتقبه

ومحاسنه كثيرة وقد أوردنا منها ما فيه مقنع رحمه الله

الاستتباع

(نهبت من الاعمار مالو حويته * لهنئت الدنيا بأنك خالد)

البيت لابى الطيب المتنبى من قصيدة من الطويل تقدم ذكر مطلعها وطرف منها فى شواهد المقدمة ومنها قبل البيت

أخو غزوات لا تغب سيوفه * رقابهم الا وسيحان جامد
فلم يبق الا من حماها من الظبا * لمى شفتيها والثدى النواهد
تبكى عليهن البطاريق فى الدجى * وهن لدينا ملقيات كواسد

على المعز بن باديس يوما وفى يده أترجة كأنها واسطة ذهب أو جذوة لهب فأشار الى وصفها فارتجل

أترجة سبطة الاطراف ناعمة * تلقى النفوس بحظ غير منحوس
كأنما بسطت كفا لخالقها * تدعو بطول بقاء لابن باديس

(وذكر) ابن رشيق فى كتاب الانموذج أن كتاب الخراج بالقيروان اجتمعوا فى الديوان يوما فوقعت بينهم جرادة فوضعها بعضهم فى يده وقال من يصفها فقال عبد الكريم بن ابراهيم النهشلى قد علمتم أنى امرؤ مروّ ولست بصاحب بديهة فبدرهم يعلى بن ابراهيم الاريسى وهو أصغرهم سنا اذ ذاك فقال

وخيفانة صفراء مسودة القرا * أتتك بلون أسود تحت أصفر
وأجنحة حمر كأمثال ردنة * تقاصر عن أطراف برد محبر

(وروى) أن الشيخ أبا الحسن على بن عبد الرحمن الصقلى دخل على بعض الرؤساء وبين يديه طبق قد ملئ وردا أحمر وأبيض فاستدعى منه وصفه فقال بديها

كأنما الورد الذى نشره * يعبق من طيب معانيكا
دماء أعدائك مسفوكة * قد قارنت بيض أياديكا

(وذكر صاحب الدمية

بذا قضت الايام ما بين أهلها * مصائب قوم عند قوم فوائد
ومن شرف الاقدام انك فيهم * على القتل موموق كأنك شاكد
وان دما أجريته بك فاخر * وان فؤادا رعته لك حامد
وكل يرى طرق الشجاعة والندى * ولكن طبع النفس للنفس قائد

وبعده البيت وبعده فأنت حسام الملك والله ضارب * وأنت لواء الدين والله عاقد

(والشاهد فيه) الاستتباع وهو المدح بشئ يستتبع المدح بشئ على وجه آخر فانه وصفه بالشجاعة على وجه استتبع مدحه بكونه سببا لصلاح الدنيا حيث جعلها مهنأة بخلوده وفيه وجهان آخران أحدهما انه نهب الاعمار دون الاموال وهذا ينبئ بعلو الهمة كما قال الشاعر

ان الاسود أسود الغاب همتها * يوم الكريهة فى المسلوب لا السلب

والثانى انه لم يكن ظالما فى قتلهم اذ لو كان كذلك لما كان لاهل الدنيا سرور بخلوده ومثله قول المتنبى فى سيف الدولة الى كم ترد الرسل عما أتوا به * كأنهم فيما وهبت ملام

فانه مدحه بالشجاعة والعز فى رد الرسل عما أتوا به وصدهم عن مطلوبهم والتهاون برسلهم واستتبع فى باقى البيت مدحه بالكرم لعصيان الملام فى الهبات وعجيب هنا قول أبى بكر الخوارزمى المستشهد به فى التفريع وهو سمح البديهة ليس يملك لفظه * فكأنما ألفاظه من ماله

فانه مدحه بذلاقة اللسان على وجه استتبع الكرم ومن شواهده قول بعض العراقيين يهجو بعض القضاة وقد شهد عنده برؤية هلال الفطر فلم يقبل شهادته

ان قاضينا لاعمى * أم تراه يتعامى
سرق العيد كأن العيد أموال اليتامى

ورأيت فى اليتيمة هذين البيتين منسوبين للصاحب بن عباد وذكر معهما بيتين آخرين فى معناهما وان لم يكونا مما نحن فيه وهما يا قاضيا بات أعمى * عند الهلال السعيد أفطرت فى رمضان * وصمت فى يوم عيد

ومن الاستتباع قول زكى الدين بن أبى الاصبع

تخيل ان القرن وافاه سائلا * فقابله طلق الاسرة ذا بشر
ونادى فرند السيف دونك نحره * فأحسن ما تهدى اللآلى الى النحر

وقد أخذ ابن نباتة المصرى نكتة النحر فقال

تهنأ بعيد النحر وابق ممتعا * بأمثاله سامى العلا نافذ الامر
تقلدنا فيه قلائد أنعم * وأحسن ما تبدو القلائد فى النحر

{الادماج}

(أقلب فيه أجفانى كأنى * أعد بها على الدهر الذنوبا)

البيت لابى الطيب المتنبى من قصيدة من الوافر يمدح بها على بن سيار بن مكرم التميمى أولها

ضروب الناس عشاق ضروبا * فأعذرهم أشفهم حبيبا
وما سكنى سوى قتل الاعادى * فهل من زورة تشفى القلوبا
تظل الطير منها فى حديث * ترد به الصراصر والنعيبا
وقد لبست دماؤهم عليهم * حدادا لم تشق لها جيوبا
أدمنا طعنهم والقتل حتى * خلطنا فى عظامهم الكعوبا
كأن خيولنا كانت قديما * تسقى فى قحوفهم الحليبا
فمرت غير نافرة عليهم * تدوس بنا الجماجم والتريبا

الى أن قال فى وصف الليل

أعزمى طال هذا الليل فانظر * أمنك الصبح يفرق أم يؤبا
كأن الفجر حب مستزار * يراعى من دجنته رقيبا

الباخرزى) أن الشريف محمد بن على بن الحسين الهمدانى قال دخلت على عمى الرئيس أبى الحسن وقد دخل عليه غلام فحياه بنرجسة فقال لى قل فيه شيأ أصفه به فقلت

ومكحل بالسحر أحور شادن
حيا بنرجسة أوان بكور
فكأنه وكأنها فى كفه
بدر يريك التبر فى الكافور
وتركبت فوق الزبرجد خلقة
تحكى فتور اللحظ من مخمور

(قال على بن ظافر) وبالاسناد المتقدم عن ابن بسام فى كتاب الذخيرة ان أبا الفضل محمد بن عبد الواحد الدارمى البغدادى حضر مجلس المعز بن باديس يوما وبالمجلس ساق وسيم قد مسك عذاره ورد خديه وعجزت الراح أن تفعل فى الندمان فعل عينيه فأمر المعز بوصفه فقال بديها

ومعذر نقش الجمال بمسكه
خدا له بدم القلوب مضرجا
لما تيقن أن سيف جفونه
من نرجس جعل النجاد بنفسجا

(قال على بن ظافر) ذكر ابن خاقان فى كتاب قلائد العقيان ما معناه قال حضر الاستاذ أبو محمد عبد الله بن السيد البطليوسى عند المأمون ابن ذى النون ببعض منتزهاته فى يوم طاب

كأن نجومه حلى عليه * وقد حذيت قوائمه الجبوبا
كأن الجو قاسى ما أقاسى * فصار سواده فيه شحوبا
كأن دجاه يجذبها سهادى * فليس تغيب الا أن يغيبا

وبعده البيت وبعده وما ليل بأطول من نهار * يظل بلحظ حسادى مريبا
وما موت بأبغض من حياة * أرى لهم معى فيها نصيبا
عرفت نوائب الحدثان حتى * لو انتسبت لكنت لها نقيبا

وهى طويلة وقريب من معنى البيت قول القاضى الفاضل

وقد خفقت راياته فكأنها * أنامل فى عمر العدو تحاسبه

ويضارعه أيضا قول ابن سناء الملك يرثى

أوسعت الدهر فيه عتبا مؤلما * فأجابنى بالبهت والبهتان
قلبى يحاسبه على اجرامه * ويعدّها بأنامل الخفقان

وقول عكاشة بن عبد الصمد القمى فى وصف عوّادة

وكأن يمناها اذا نطقت به * تلقى على يدها الشمال حسابا

وقوله أيضا اذا ما حكت بالعود درج لسانها * رأيت لسان العود عن كفها يملى

وقول ابن قلاقس كأن دموعى اذ تكاثر وقعها * تعدّ على الدنيا من المساويا

ولطيف قول ابن الحيمى فى سبحة

وسبحة مسودّة لونها * يحكى سواد القلب والناظر
كأننى وقت اشتغالى بها * أعدّ أيامك يا هاجرى

(والشاهد فيه) الادماج وهو أن يضمن كلام سيق لمعنى مدحا كان أو غيره معنى آخر فهنا ضمن وصف الليل بالطول الشكاية من الدهر ومنه قول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر لعبيد الله بن سليمان بن وهب حين وزر للمعتضد وكان عبد الله قد احتلت حاله فكتب الى ابن سليمان يقول

أبى دهرنا اسعافنا فى نفوسنا * وأسعفنا فيمن نحب ونكرم
فقلت له نعماك فيهم أتمها * ودع أمرنا ان المهم المقدّم

ففطن ابن سليمان لمراده ووصله واستعمله وقول الصاحب بن عباد يمدح الوزير أبا الفضل بن العميد

ان خير المداح من مدحته * شعراء البلاد فى كل ناد

فادمج الافتخار فى أثناء المدح وانما ألم به من قول يزيد بن محمد المهلبى لابن مدبر حيث قال

ان أكن مهديا لك الشعر انى * لابن بيت تهدى له الاشعار

ومثله قول مؤلفه رحمه الله تعالى

ففخرا بشعر من فتى كان أهله * يهادبهمو بالشعر من كان يشعر

وقوله أيضا ولا زال كل رفيع الذرى * يصوغ الجواهر فى المدح لك

ومنه قول ابن المعتز فى وصف الحيرى

قد نقض العاشقون ما صنع الـ * ـهجر بألوانهم على ورقه

وقول ابن نباتة السعدى ولا بدّ لى من جهلة فى وصاله * فهل من حليم أودع الحلم عنده

وقول وجيه الدولة فيه أفدى الذى زارنى بالسيف مشتملا * ولحظ عينيه أمضى من مضاربه

فما خلعت نجادا فى العناق له * حتى لبست وشاحا من ذوائبه
وبات أسعدنا حظا بصاحبه * من كان فى الحب أشقانا بصاحبه

وقول العفيف التلمسانى وأعد لى حديثه فلسمعى * فرط وجد باللؤلؤ المنثور

نسيمه ونسرت بالسعود
نجومه والروض قد أجاد
وشيه راقه والماء قد جرت
بين الاعشاب أراقه وثم
بركة مملوءة كأنها مرآة مجلوّة
قد اتخذت سباع الطير
بشاطئها غابا ومجت بها
من سائغ الماء لعابا لا تزال
تقذف الماء ولا تفتر وتنظم
لآلئ الحباب بعدما تنثر
فأمره بوصف ذلك الموضع
الذى تحب اليه ركاب
القلوب وتوضع فقال بديها
يا منظرا ان نظرت بهجته
ذكرنى حسن جنة الخلد
تراب مسك وجوّ عنبرة
وغيم ندّ وطل ماورد
والماء كالازورد قد نظمت
فيه اللآلى فواغر الاسد
كأنما جائل الحباب به
يلعب فى جانبيه بالنرد
تراه يزهو اذا يحل به الـ
ـمأمون زهو الفتاة بالعقد
تخاله ان بدا به قمرا
تمابدا فى مطالع السعد
كأنما ألبست حدائقه
ما حاز من شيمة ومن مجد
كأنما جادها وأمطرها
بوابل من يمينه رغد
(وأخبرنى) الشيخ الفقيه
أبو الحسن على بن الفضل
المقدسى قال أخبرنى أبو
محمد عبد الله بن مروان بن
أبى الجاج بن على القصاعى
قال اقترحت على أبى محمد
عبد الجبار بن أبى بكر بن

ثم صف لى ذؤابة منه طالت * ودجت فهى ليلة المهجور
وقول بعض الاندلسيين وحقك لارضيت بذا الانى * جعلت وحقك القسم الجليلا

التوجيه

(ليت عينيه سواء)

قيل ان قائله بشار بن برد وهو من الرمل وقبله خاط لى عمرو قباء وبعده
قلت شعرا ليس يدرى * أمـــديح أم هجاء

يروى أنه فصل قباء عند خياط أعور اسمه عمرو أو زيد كما فى تحرير التحبير فقال له الخياط على سبيل العبث به سآتيك به لا تدرى أهو قباء أم دواج فقال له ان فعلت ذلك لأنظمن فيك بيتا لا يعلم أحد ممن سمعه أدعوت لك أم عليك ففعل الخياط فقال هذا البيت ومثله ما حكاه ميمون بن هرون قال تقدم جعيفر بن الموسوس الى يوسف الاعور القاضى بسر من رأى فى حكومة فى شئ كان فى يده من وقف له فدفعه عنه وقضى عليه فقال له أرانى الله أيها القاضى عينيك سواء فأمسك عنه وأمر برده الى داره فلما رجع أطعمه ووهب له دراهم ثم دعا به فقال له ماذا أردت بدعائك أردت أن يرد الله على من بصرى ما ذهب فقال له والله لئن كنت وهبت لى هذه الدراهم لأستحى منك انك لأنت المجنون لا أنا أخبرنى كم من أعور رأيته عمى قال كثير قال فهل رأيت أعور صح قط قال لا قال فكيف توهمت على الغلط فضحك منه وصرفه (والشاهد فى البيت) التوجيه وهو ايراد الكلام محتملا لوجهين مختلفين فهذا يحتمل تمنى العوراء صحيحة وعكسه ومن شواهده قول الشاعر فى الحسن ابن سهل حين تزوج المأمون بابنته بوران
بارك الله للحسن * ولبوران فى الختن يا ابن هرون قد ظفر * ت ولكن ببنت من
فلم يعلم ما أراد بقوله ببنت من فى الرفعة أو فى الحقارة ومنه أيضا قول ابن هانئ الاندلسى
لا يأكل السرحان شلو طعينهم * مما عليه من القنا المتكسر
فانه يحتمل المدح ويكون المقتول منهم والرماح المتكسرة رماح أعدائهم ويحتمل الذم ويكون المقتول من أعدائهم والرماح لهم ومنه أيضا قول المتنبى فى كافور الاخشيدى
ولله سر فى علاك وانما * كلام العدا ضرب من الهذيان
ومن محاسن التوجيه قول الوداعى
من أم بابك لم تبرح جوارحه * تروى أحاديث ما أوليت من منن
فالعين عن قرة والكف عن صلة * والقلب عن جابر والسمع عن حسن
فان هذا البيت يصدق على المعنى الواحد وهو أسماء الاعلام من رواة الحديث وعلى المعنى الآخر وهو المناسبة بين العين والقرة والكف والصلة والقلب والجبر والسمع والحسن وقول السراج الوراق
يخاف التبر سطوة راحتيه * ولون الخائف المرتاع أصفر
فنعماهم لدى نعماه تكفر * له فصل لنا منه ربيع * وبحر ندى ولا أرضى بجعفر
وقول ابن نباتة المصرى خليلى كم روض نزلت فناءه * وفيه ربيع للنزيل وجعفر
وفارقته والطير صافرة به * وكم مثلها فارقتها وهى تصفر
ومثله قول القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر يصف نهرا صافيا فى روض نزيه
اذا فاخرته الريح ولت عليلة * بأذيال كثبان الربى تتعثر
به الفضل يبدو والربيع وكم غدا * به الروض يحيى وهو لا شك جعفر
ومثله قول مؤلفه وهو مما كتب به على تربة بجوار قبر الامام الشافعى رضى الله عنه وأرضاه وهو
بأبواب الكرام وضعت رحلى * لكى يروى بفيض الجود محلى
ومن أضحى نزيل الحديبى * بجعفر فضله السامى المحل
وقوله من قصيدة وهو بحر لا يقاس بفضله * ربيع وكم يحيى اذا جاء جعفر

جديس الصقلى الازدى وقد وقف ليودعنى وكنت عازما على سفر أن يصنع لى أبياتا غزلية فى الوداع فصنع فى الحال وقال
ولما رأت طير الفراق نواعبا * وقدهم بالتوديع كل مودع
شكت ما شكا المحزون من غربة النوى * وأبكت لها عينى غزال مروع
ولم أر فى خدر تررقملها * من الغيد شمسا فى غمامة برقع
وقد سفرت عن برقع عبرالاسى * لعينى بها عن وجد قلب مفجع
وأقبل در البحر من فوق نحرها * يصافحه من خدها در مدمعى
فيارب ان البين أخنت صروفه * على وما لى من معين فكن معى
على قرب عذالى وبعد أحبتى * وأمواه أجفانى ونيران أضلعى
(قال على بن ظافر) وبالاسناد المتقدم روى ابن بسام فى كتاب الذخيرة ما معناه قال دخل الوزير أبو العلاء زهر ابن الوزير أبى مروان عبد الملك بن زهر على الامير عبد الملك بن رزين فى مجلس أنس وبين يديه ساق يسقى خمرين من كاسه ولحظه ويبدى درين من حبابه ولفظه وقد بدا عذاره فى صفحة خده وكمل حسنه باجتماع الضد مع ضده فكأنه بسحر لحظه أبدى

وقول

وقول عمر بن الوردي رحمه الله تعالى

هويت اعرابية ريقها * عذب ولي فيه عذاب مذاب
رأسي بهاشيبان والطرف من * نبهان والعذال فيها كلاب

ومنه قول ابن النقيب أيضا يهجو

أرح ناظري من عابس الوجه يابس * له خلق صعب ووجه مقطب
أقول له اذ أيأستني صفاته * وان قيل اني في المطامع أشعب
متى يظفر الآتي اليك بسؤله * وينجح من مسعاه قصد ومطلب
ولؤمك سيار وشرك ياسر * ووجهك عباس وخلقك مصعب

ومما جاء في التوجيه في قواعد العلوم قول القاضي شرف الدين المقدسي في شيء من قواعد الفقه وتلطف ما شاء

أقبح الى الزهر لتحظى به * وارم جمار الهم مستنفرا
من لم يطف بالزهر في وقته * من قبل أن يحلق قد قصرا

ومنه في الحديث قول ابن جابر الاندلسي

قالت أعندك من أهل الهوى خبر * فقلت اني بذاك العلم معروف
مسلسل الدمع من عيني مرسله * على مدمع ذاك الخد موقوف

وقوله أيضا

عارضوا امرسل الظلام بقول * مسند عن حسان تلك الىروع
عدلوا في رواية الحب جفني * مع جرح الدموع عند الهموع
عنعنوا النقل لوعتي عن دموعي * عن جفوني عن قلبي الموجوع

ومن التوجيه في أسماء السور قول السراج الوراق

كل قلب على كالصخر مالا * ن وهيهات أن تلين الصخور
مغلق الباب ما تلا سورة الفتـ * ـح وقاف من دونه والطور

وقول أبي الحسين الجزار

أشكو لعدلك جور دهر جائر * فصلت به فضلاء الجهال
منعت به عقلاؤه اذ قسمت * بالجور في أنعامه الانفال

وقول المولى الفاضل علي بن مليك

ألا يا بني الروم القتال فدونكم * فما نذر عنا الحديد الى الحشر
ولا زال آي الفتح تتلو رماحنا * وأسيافنا تتلو بها سورة النصر

ومثله قول مؤلفه رحمه الله تعالى من أبيات

وزلزلة كادت تهد بعزمها * أقاليم لا يبقى لها أبدا أثر * وواقعة قد صار منها تغابن
على الروم لا تنفك أو يحصل الحشر * لقد سمعوا وقع الحديد فلا ترى * لهم همة نحو القتال ولا كر

وله أيضا في وقعة مصر

فدموعهم في الذاريات ووجههم * في النازعات وكربهم لا يقدر
لا معقلا يلقونه كلا ولا * كهفا ولو لجأوا لقاف لاحصروا
شمس السعادة عنهم وقد كورت * وعلى قدرهم وغد ابتقهقر
والملك طلقهم طلاقا باتا * مادام عصر في الورى يتكرر
لما أبو التحريم ما قدسنه * وأتى به المزمل المدثر

ومنه في أسماء القراء قول السراج الوراق

يا جواد اله القرى والقرا * آت وفيه من كل نفع وخير

ليلا في شمس وجعل يومه
في الحسن أحسن من أمس
فسأله ابن رزين أن يصنع
فيه فقال بديها
تضاعف وجدي اذ تبدى
عذاره
وتم لخان القلب مني
اصطباره
وقد كان ظني أن سيمحق ليله
بدائع حسن هام فيها نهاره
فأظهر ضد ضده اذ وشت به
بعنبره في صفحة الخد ناره
وزاد بجفنيه ذبولا بنرجس
زها فيه لما أتمه جلناره
(واستزاده فقال بديها)
محيت آية النهار فأضحى
بدر تم وكان شمس نهار
كان يغشي العيون نورا الى أن
شغل الله خده بالعذار
(ثم استزاده فقال)
عذار ألم فأبدى لنا
بدائع كنا لها في عمى
ولو لم يحن لنهار الطلا
م لم يستبن كوكب في السما
(ثم استزاده فقال)
تمت محاسن وجهه وتكاملت
لما استدار به عذار مونق
وكذلك البدر استنار جماله
في أن تكنفه غمام أزرق
(وأنبأني) العماد أبو حامد
قال ذكر لي صفوة الدين
النابلسي أن الامير أبا
الحسن علي بن منقذ كان
راكبا في جماعة منهم ابن
حيوس فنزلوا بروضة غناء
فيها شقائق وأقحوان

ان مددت العطاء مدّة ورش * ليس هذا على بالمقصور
دمت لى نافعا كما أنا راج * عاصما لى من بجأة المحذور

ومن التوجيه فى النحو قول أمين الدين على السليمانى

أضيف الدجى معنى الى لون شعره * فطال ولولا ذاك ماخص بالجر
وحاجبه نون الوقاية ماوقت * على شرطها فعل الجفون من الكسر

وكان بالعراق عاملان أحدهما اسمه عمرو والآخر اسمه أحمد فعزل عمرو عن ولايته واستقر مكانه أحمد عال وزنه فقال فيه بعض الشعراء

أيا عمر استعدّ لغير هذا * فأحمد فى الولاية مطمئن
فتصدق فيك معرفة وعدل * وأحمد فيه معرفة ووزن

ومثله قول كال الدين الشريشى فى قاض عزل اسمه أحمد

يا أحمد الرازى قم صاغرا * عزلت عن أحكامك المسرفه
مافيك الا الوزن والوزن لا * يمنعك الصرف بلا معرفه

ومثله قول ابن عنين فيمن عزل عن وظيفته وكانت سيرته غير مشكورة

شكى ابن المؤيد من عزله * وذم الزمان وأبدى السفه
فقلت له لا تذم الزما * ن فتظلم أيامه المنصفه
ولا تغضبن اذا ماصرفت * فلا عدل فيك ولا معرفه

وقول بدر الدين الاسعردى فى بعض مدرّسى العجم

يقولون ان المجد بالقصف مولع * فقلت لهم ما اعتاد شيأ سوى القصف
فقالوا أسا علما ولفظا بمجلس * فلم منعوا عن صرفه راغم الانف
فقلت لتأنيث به ولعجمة * فقالوا لقد تلجى الضرورات للصرف
ولا بد من تقطيعه عند قبصه * فقد زاد بسط الكف فى جهة الوقف

ورشيق قول شرف الدين بن ريان

أتيت حانة خمار وصاحبها * محارف متقن للنحو ذولسن
وحوله كل هيفاء منعمة * وكل علق رشيق أهيف حسن
فقال لى اذ رأى عينى قد انصرفت * الى البناء كلام الحاذق الفطن
أنث وركب وصف واعدل بمعرفة * واجمع وزد واسترح من عجمة وزن

وما أحسن قول بعضهم خط ولا حظ وشعر ماله * سعر أأنثر فيهما أم أنظم
كم جهدا أرفع قصتى ويحطها * حظى وأنصب والحوادث تجزم

وبديع قول الشهاب التلعفرى

واذا الثنية أشرقت وشممت من * أرجائها أرجا كنشر عبير
سل هضبها المنصوب أين حديثه الـ * ـمرفوع من ذيل الصبا المجرور

وله فى معناه أيضا قل للصبا اسحر فان لها شذا * يصحى بما يفضى اليه مذيعا
يا ذيلها المجرور عن هضب الحمى الـ * ـمنصوب هات حديثها المرفوعا

وقول الصفى الحلى يصف رياض الميطور

ان جزت بالميطور مبتهجا به * ونظرت باطن دوحه الممطور
وأرتك بالآصال خفق هوائه الـ * ـممدود تحريك الهوى المقصور
سل بانه المنصوب أين حديثه الـ * ـمرفوع من ذيل الصبا المجرور

وذكرت بالمقصور والممدود هنا بيتين قلتهما وهما من هذا الباب الذى نحن بصدده

رب من جاء نحونا بالفجور * لا تجره من شر صرف الدهور

واضعه

فاستحسنوها وقالوا انتظم فيها شعرا وقالوا للامير ابدأ أنت فقال فى الحال

كأن الشقائق والاقحوان
خدود تقبلهن الثغور
فهاتيك يخجلهن الحياء
وهاتيك يضحكهن السرور

(قال العماد) وذكر لى أن معز الدولة قال على بن ظافر يعنى ثمال بن صالح الكلابى صاحب حلب جالس على نهر قويق زمن المدّ وقد خيم به فذكر ابن النوت الشاعر وهو الرضى عبد الواحد بن الفرج بن النوت المعرى وذكر سرعة بديهته واقتداره على الارتجال فأرسل اليه على البريد فحضر فقال بديها

رأيت قويقا اذ تجاوز حدّه
له زجل فى جريه وضجيج
وكان ثمال جالسا بشفيره
فشبهته بحر اليه خليج

فقال معز الدولة قد زعم الحلبيون ان هذا ليس بشعرك وكان فيهم ابن سنان الخفاجى فان قلت بديهة أعطيتك جوائزهم ثم نظر الى غرابين على نشز فقال صفهما فقال

يا غرابين أتما سبب البيـ
ـن فكيف اجتمعتما بمكان
اغتدو وقفتما فى خلو
فى فراق الاحباب تشتوران
فاحذرا أن تفرقا بين الفيـ
ـن فما تدريان ما يلقيان

وأضفه الى المنايا سريعا * لنراه الممدود فى المقصور

وظريف قول بعضهم أيضا عرّج بنا نحو طلول الحمى * فلم تزل آهلة الاربع

حتى نطيل اليوم وقفا على الساكن أو عطفا على الموضع

وقول أبى الفتح البستى أيضا

عزلت ولم أذنب ولم أك جانيا * وهذا لانصاف الوزير خلاف

حذفت وغيرى مثبت فى مكانه * كأنى نون الجمع حين تضاف

وقوله أيضا وبصير بمعانى الشعر والاعراب جدّا قال لى لما رآنى * طالبا مالا ورفدا

ان مالى يا حبيبى * لازم لا يتعدّى

وقوله أدرجت فى أثناء نسيانكم * حتى كأنى ألف الوصل

وقوله أيضا أفدى الغزال الذى فى النحو كلمنى * مناظرا فاجتنيت الشهد من شفته

وأورد الحجج المقبول شاهدها * محققا يبرينى فضل معرفته

ثم افترقنا على رأى رضيت به * الرفع من صفتى والنصب من صفته

وما ألطف قول السراج الورّاق

كم أناديك مفردا علما أر * فعه عالما بشرط المنادى وجوابى ملغى يحاكى للولا * خبر الو أتى به ما أفادا

وظريف قول الشاب الظريف محمد بن العفيف

ياساكنا قلبى المعنى * وليس فيه سواه ثانى لأىّ معنى كسرت قلبى * وما التقى فيه ساكنان

(قال الصلاح الصفدى) وهذا المعنى فيه نقص لانّ القلب ظرف لاجتماع الساكنين وحينئذ يكون الساكنان غير القلب والكسر انما وقع على القلب لا على أحد الساكنين ومن تأمله حق التأمل ظهر له هذا الايراد موجها وقد ذكرت ذلك لجماعة من كبار المتأدبين وما رأيت فيهم من تنبه له وقد نظم الفقير مؤلف الكتاب بيتين راجيا سلامتهما من هذا الايراد وهما

قلبى من الهجر فى اضطراب * ياساكنا فيه دون ثانى فكيف عاملته بكسر * وما التقى فيه ساكنان

وفى معناه قول شرف الدين القيروانى فى رجل عجز عن افتصاص عرسه ليلة البناء وهو

كم ذكر فى الورى وأنثى * أولى من اثنين باثنتين ان الليالى أتت بلحن * بجمعها بين ساكنين

وقول السراج الورّاق ياساكنا قلبى ذكرتك قبله * أرأيت قبلى من بدا بالساكن

وجعلته وقفا عليك وقد غدا * متحركا بخلاف قلب الآمن

وبذا جرى الاعراب فى نحو الهوى * فاليك معذرتى فلست بلاحن

وما أحسن قول ابن ساتة المصرى

بكيت وما يجدى البكاء عن المعانى * ولكن تشتت الاحبة أشجانى

كأن زمانى ضاق لحنا فلم يكن * ليجمع بين الساكنين بأوطانى

ولمحاسن الشوّاء أيضا أرسل فرعا ولوى هاجرى * صدغا فأعيى بهما واصفه

فخلت هاتا حية خلفه * تسعى وها عقربا واقفه

ذا ألف ليست لوصل وذا * واو ولكن ليست العاطفه

وللسليمانى أيضا نصبت على التمييز انسان مقلتى * أشاهد قدّامه نصبا على الظرف

أأخشى فراقا بعدها أو قساوة * وقد جاؤا والصدغ للجمع والعطف

ومثله لمؤلفه تطمعنى فى الوصل أصداغه * حين ترى أحرف العطف

ومن لطائف البهاء زهير قوله من هذا الباب

يقولون لى أنت الذى سار ذكره * فمن صادر يثنى عليه ووارد

(قال على بن ظافر) وكان أبو سعد الخير البلدى الشاعر كثير الذهول مفرط النسيان ظاهر التغفل على جودة نظمه ورطوبة طبعه وكان كثيرا ما يسلك سكة الخفافين على بغلته فاتخذت البغلة النفور من أطراف الادم وفضلات الجلود الملقاة فى السكة عادة لها فمر بالسكة يوما مع أصحابه راجلا فلما رأى الجلود الملقاة نفر ونكص على عقبيه فقال له أصحابه ماهذا أيها الاستاذ فقال البغلة نفرت بى فعجبوا من تغفله كيف ظنّ مع ما يقاسيه من ألم المشى أنه راكب وأن حركته الاختيارية منه هى حركة البغلة الاضطرارية له فكان تغفله رعا أوقعه فى تخمة عند من لا يعرفه واقترح عليه بعض الامراء أن يصنع بيتين أوّل أحدهما كتاب وآخره ذيب وأوّل الثانى جوارح وآخره أنابيب فصنع بديها

كتائب تجمع لاح فى حومة الوغى * وقارنه نسر هنالك وذيب

جوارح أهليه حروف وربما * نزلته من نقط الطعان أنابيب

(قال على بن ظافر) وذكر لى بعض أصحابنا مامعناه أن القاضى الموفق محمود

هبونى كما قد تزعمون أنا الذى * فأين صلاتى منكمو وعوائدى

ونظير ذلك ما اتفق لابن عنين وهو أنه مرض فكتب الى الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب صاحب دمشق انظر الىّ بعين مولى لم يزل * يولى الندا وتلاف قبل تلافى

أنا كالذى أحتاج ما يحتاجه * فاغنم دعائى والثناء الوافى

فعاده الملك المعظم ومعه خمسمائة دينار وقال أنت الذى وأنا العائد وهذه الصلة ومثله قول جعفر الاديب المصرى وافيت نحوكمو لأرفع مبتدا * شعرى وأنصب خفض عيش أغبرا

حاشا كمو أن تقطعوا صلة الذى * أو تصرفوا من غير شئ جعفرا

وقول الامير أمين الدين السليمانى

وانى الذى أضنيته وهجرته * فهل صلة أو عائد منك للذى

ولابن أبى حجلة قطع الاحبة عادتى من وصلهم * فكأن قلبى بالتواصل ماغذى

فاذا سمعتم فى النحاة بعاشق * منعوه من صلة له فأنا الذى

وقول الآخر لا تهجروا من لا تعود هجركم * فهو الذى بلبان وصلكمو غذى

ورفعتم مقداره بالابتدا * حاشا كمو أن تقطعوا صلة الذى

وقول الآخر لما رأت عيناك أنى كالذى * أبدو فينقصنى السقام الزائد

وافيتنى ووفيت لى بمكارم * فندالك لى صلة وأنت العائد

ولابن أبى حجلة أيضا ومستتر من سنا وجهه * بشمس لها ذلك الصدغ فى

كوى القلب منى بلام العذا * رفعترفنى أنها لام كى

وما ألطف قول محاسن الشواء

وكنا خمس عشرة فى التئام * على رغم الحسود بغير آفه

فقد أصبحت تنوينا وأضحى * حبيبى لا تفارقه الاضافه

وقوله أيضا لنا صديق له خلال * تعرب عن أصله الاخس

أضحت له مثل حيث كف * وددت لو أنها كأمس

ومثله قول أبى محمد الواسطى لنا صديق فيه انقباض * ونحن بالبسط نستلذ

لا يعرف الفتح فى يديه * الا اذا ما أتاه أخذ

فكفه أين حين يعطى * شيأ وبعد العطاء منذ

وقول عمر بن الوردى رحمه الله

قلت لنحوى اذا اعترضا * له باوقات الرضا أعرضا

يا حب لو أصبح باب الرضا * كيف لما كنت كأمس مضى

وقول ابن دعمور فى المجون ومليح يعلم الصويحكى * مشكلات له بلفظ وجيز

ما تميزت حسنه قط الا * قام أيرى نصبا على التمييز

وقول ابن الاردخل ومعناه الجيد فى البناء

أير أنام الليل وهو يقوم * حامى الاهاب كأنه محموم

مغرى بطول الجر الا أنه * مازال مفتوحا به المصموم

وقول السراج الوراق ومجل بالمال قلت له له * يندى وظنى فيه ظن مخاف

جمع الدراهم ليس جمع سلامة * فأجابنى لكنه لا يصرف

وقوله أيضا كم يريد الخباز يرفع رطلى * وأرجى بالنصب مشى أمورى

والى كم شراى بالجزمنه * وانصرافى بخاطر مكسور

ابن قادوس دخل على الامير فرج الظهير فعرض عليه دبوس صينى الحديد عديم النظير والنديد لا تحصن منه خودة ولا نثره ولا تقال لضربته عثره تجفل لصولته آساد الحرب اجفال الانعام وتتصاءل لهيبته البيض حتى تعود أوهى من بيض النعام فأمره بوصفه فقال على لسانه

ماضر من كنت فى الهيجاء عدته

أن لا يعوج على بيض ولا أسل

اذ لا تحصن منى البيض لابسها

ولا الدروع ولا مستأخر الاجل

(قال على بن ظافر) ودخل أبو خالد بن صغير القيسرانى على الامير تاج الملوك أبى سعيد نورى بن أتابك طغتكين صاحب دمشق وبين يديه بركة فسيحة الفناء صحيحة البناء قد راق ماؤها وصفا وجر النسيم عليها مارق من أذياله وضفا فهو تارة يرشف رضابها ويجعد ثيابها وتارة يسبكها مبردا ويحبكها مسردا فأمره بوصفها فقال

أوما ترى طرب الغدير الى النسيم اذا تحرك

بل لو رأيت الماء يلعب فى جوانبه لسرك

ومن التوجيه فى العروض والنحو قول السباسكونى يهجو عروضيا نحويا

لا تنكروا اما ادّعى فلان من الشعر اذا قال انه شاعر * فالنحو ثم العروض قد شهدا
له على الشعر انه قادر * يقصر ممدوده و ينصبه * فى الجر نصب الغرمول فى الآخر
يريك وهو البسيط دائرة * تجمع بين الطويل والوافر

ومن التوجيه فى علم العروض قول نصر الله بن الفقيه المصرى

وبقلبى من الجفاء مديد * وبسيط ووافر وطويل
لم أكن عالما بذاك الى أن * قطع القلب بالفراق الخليل

ولابن سارة فيه أيضا

وبى عروضى سريع الجفا * وجدى به مثل جفاه طويل
قلت له قطعت قلبى أسى * فقال لى التقطيع دأب الخليل

وللسليمانى فيه أيضا

لا تعذلنى فى العرو * ض وان رأيت القصد جائر
دارت على دوائر * فجهدت فى فك الدوائر

ومنه قول الآخر

تقاطع صاحباى على هناة * جرت بعد التصافى والتصافى
ودام الايضمهما مكان * كأنهما معاقبة الزحاف

ومن التوجيه فى صناعة الكتابة قول ابن الساعاتى

لله يوم فى سيوط وليلة * حلف الزمان بمثلها الا يغلط
بتنا وعمر الليل فى غلوائه * وله بنور البدر فرع أشمط
والطل فى سلك الغصون كلؤلؤ * رطب يصافحه النسيم فيسقط
والطير يقرأ والغدير صحيفة * والريح يكتب والغمام ينقط

ومنه قول ابن لنكك المصرى

قف انظر الى در السحاب كأنه * نثار وأحداق القرارات تلقطه
اذا كتبت أيدى الرياح على الثرى * بنور فأيدى الغيم بالقطر تنقطه

وقول أبى زهير مهلهل بن نصر بن حمدان

أخا الفوارس لو رأيت مواقفى * والخيل من تحت الفوارس تنحط
لقرأت منها ما تخط يد الوغى * والبيض تشكل والأسنة تنقط

وقول الصاحب بن عباد يصف الوحل

انى ركبت وكف الارض كاتبة * على ثيابى سطورا ليس تنكتم
والارض محبرة والحبر من لثق * والطرس ثوبى ويمنى الاشهب القلم

وقول حازم فى مقصورته يصف ماء

اذا علا انشيشه عودما * حز من النبت الجميم ودحا
ونفث الفضة ذوبا وغدا * يخط ما كان الزمان قد محا

وهو مأخوذ من قول أبى اسحق بن خفاجة

وعشى أنس أضجعتنى نشوة * فيه تمهد مضجعى وتدمث
خلعت على به الاراكة ظلها * والغصن يصغى والحمام يحدث
والشمس تجنح للغروب مريضة * والرعد يرقى والغمامة تنفث

ومثله قول ابن قاضى ميله

وجون من الرعد يستن ودقه * ترى برقه كالحية الصل تطرف
كأنى اذا ما لاح والرعد معول * وجفن السحاب الجون بالماء يذرف

واذا الصبا هبت عليه أتاك فى ثوب مفرك

(وأخبرنى) الشريف فخر الدين أبو البركات العباس ابن عبد الله العباسى الحلبى الكاتب قال أخبرنى القاضى كمال الدين أبو محمد عبد القاهر بن المهنا التنوخى المعرى المعروف بخصى البغل قال كنت بحماة فأتيت حانوت رجل يعرف بالحكيم أبى الخير فصادفت عنده رجلا يعرف بالسديد فطلبت منه برنية وردمرى فقال لن تراها حتى تقول فى شعرا فقلت له أما المدح فلا وأما الهجاء فنعم فقال هات فقلت

أبو الخير أبا الخير
فلا خير ولا مير
ضئيل ناحل الجسم
ولكن كله اير

فقال أصنع فى السديد وكان كبير الانف فقلت

كأن سديد الدين أنف بس لا غير
تراه بين عينيه
كناقوس على دير

فقال وفيك أيضا فقلت

تخذها من خصى البغل
كمثل البرق فى السير

(قال على بن ظافر) دخل الاعز أبو الفتوح بن قلاقس على بلال بن مدافع بن بلال الفزارى فعرض عليه سيفا قد نظم الفرند فى صفحته جوهره وأذكى الدهر ناره

سليم وصوت الرعد راق ودقه * كنفث الرقى من سوء ما أتكاف

وما أحسن قول ابن عبد الظاهر

مفرد في جماله ان تبدّى * جلت منه جملة الاقمار
كيف أرجو الوفاء منه وعاملـ * ـت غريما من لحظه ذا انكسار
ذو حواش تلوح من قلم الريـ * ـحان في خدّه لخلّ البارى
فيه وجدى محقق وسلوّى * وكلام العذول مثل الغبار
فلسانى فى وصفه قلم الشعـ * ـرور فى المكتوب بالطومار

وبديع قول ابن جابر وذكر الاقلام السبعة

تعليق ردفك بالخصر الخفيف له * ثلث الجمال وقد وفته أجفان
خدّ عليه رقاع الروض قد خلعت * وفى حواشيه للصدغين ريحان
خط الشباب بطومار العذار به * سطرا فضاحه للناس فتان
محقق نسخ صبرى فى هواه ومن * توقيع صدمعى المنثور برهان
يا حسن ما قلم الاشعار خط على * ذاك الجبين فلا يسلوه انسان
أقسمت بالمصحف السامى وأحرفه * ما مرّ بالبال يوما عنك سلوان
ولا غبار على حبى فعندك لى * حساب شوق له فى القلب ديوان

ولمؤلفه رحمه الله تعالى من أبيات

وبطومار الوفا ينسخ ما * وقع القلب به اذ يجبر ويشم القلب ريحان الرضا * ليس فيه لغبار أثر
فرحانى فيه قد حققه * عادة الجود التى لا تنكر فلكم لى فى حواشى مدحه * من رقاع عدّه لا يحصر

وله رحمه الله تعالى من أبيات أخرى

يا صاحب الانشاء ما * سواك عنه يخبر عسى بطومار الوفا * توقيع سعدى يزبر
وأجتنى ريحانه * دون غبار يحجر ومن حواشى مجده * أنسم ما يكرر
ففى محقق الرجا * منك الرقاع تسطر

ولابن مليك فيه أيضا فالخدّ بان الورد فيه محققا * والصدغ فيه مسلسل ريحانه

وما أبدع قوله بعده وان لم يكن مما نحن فيه

والخال حين به تبدّى أسودا * أيقنت أن شقيقه نعمانه

وقوله أيضا وردى خدّ قد ذكا نشره * عليه لما صاع دار العذار
أقسم بالفضاح من عبرتى * ريحانه ليس عليه غبار

وما أبدع قوله بعده أيضا فاترجفن بارد ريقه * بينهما القلب من الوجد حار

وهذه الابيات من قصيدة بديعة مطلعها

ما كنت أدرى قبل نبت العذار * أن يطلع الريحان فى الجلنار

ومن التوجيه فى علم الرمل قول البهاء زهير

تعلمت علم الرمل لما هجرتنى * لعلى أرى شكلا يدل على الوصل
فقالوا طريق قلت يا رب للقا * وقالوا اجتماع قلت يا رب للشمل

وقول جمال الدين بن مطروح

حلا ريقه والدرّ فيه منضد * ومن ذا رأى فى العذب درّا منضدا
رأيت بخدّيه بياضا وحمرة * فقلت لى البشرى اجتماع تولدا

ومن التوجيه فى علم الهندسة قول ابن جابر أو العلوى الاديب المصرى فى مليح مهندس وأجاد

وجدنهره وألبسه من جلد الافاعى رداء وجسمه ردى أوداء لا يمنع من برقه بدر مجن ولا ثريا مغفر ولا يسلم من حدّه من ثبت ولا ينجو لطوله من فر وهو يبكى النقاف ويضحك ويرعد للغيظ ويفتك فأمره بصفة شانه فقال بديها على لسانه

أروق كما أروع فان تصفنى
فانى رائق الصفحات رائع
تدافع بى خطوب الدهر حتى
نقلت الى بلال عن مدافع

(وقال أيضا)

رب يوم له من النقع سحب
ماله غير سائل الدم ودق
قد جلته يمنى بلال بحدّى
فكأنى فى راحة الشمس برق

(وقال فيه)

أنا فى الكريهة كالشهاب الساطع
من صفحة تبدو وحدّ قاطع
فكأنما استعليت تلك وهذه
من وصف كف بلال بن مدافع

(وقال أيضا)

انظر لاطراد المياه بصفحتى
وللنار حدّى كم لها من صال
قد عاد شدّى فى المضايق شيمتى
كبلال بن مدافع بن بلال

(وسأله) صاحب له وصف مشط عاج قد أشبه الثريا شكلا ولونا وشق ليلا من الشعر جونا فقال

ومتيم بالآبنوس وجسمه
عاج ومن أدهانه شرفاته

يحيط بأشكال الملاحة وجهه * كأن به اقليدسا يتحدث
فعارضه خط استواء وخاله * به نقطة والصدغ شكل مثلث

وقول ابن النبيه في صبي يشتغل بالهندسة

وبي هندسي الشكل يسبيك لحظه * وخال وخد بالعذار مطرز
ومذ خط بيكار الجمال عذاره * كقوس علمنا أن الخال مركز

وقول ابن التلميذ أو أبي علي المهندس المصري

تقسم قلبي في محبة معشر * بكل فتى منهم هواي منوط
كأن فؤادي مركز وهم له * محيط وأهوائي اليه خطوط

وظريف قول بعضهم لما انثنى وهو البسيط تبينت * لي منه دائرة لحلقة خاتم
ورأيت في الشكل المدور نقطة * خالت مركزها بخط قائم

وقول ابن فلاس النحوي ان الرميلي فتى راويه * للطب والفلسفة العاليه
حاز المساحات فأضحى بها * يستنبط الماء بلا ساقيه
كأنما ينزل مخروطه * على عمود قائم الزاويه

وقول هشام بن أحمد الرقشي

قد بينت فيه الطبيعة أنها * ببديع أعمال المهندس ماهره
عنيت بجسمه فخطت فوقه * بالمسك قوسا من محيط الدائره

ومنه في علم النجوم قول ابن جابر

يا حسن ليلتنا التي قد زارني * فيها فأنجز ما مضى من وعده
قومت شمس جماله فوجدتها * في عقرب الصدغ الذي في خده

ومنه في علم الموسيقى قول البدر بن لؤلؤ الذهبي

وبمهجتي المتحملون عشية * والركب بين تلازم وعناق
وحداتهم أخذت حجازا بعدما * غنت وراء الركب في العشاق

ومن التوجيه اللطيف قول ابن نباتة المصري في أسماء منتزهات دمشق

يا حبذا يومي بوادي جلق * ونزهتي مع الغزال الحالي
من أول الجبهة قد قبلته * مرتشفا الآخر الخلخال

ومحاسن التوجيه كثيرة فلنقتصر على هذه النبذة والله أعلم

(اذا ما تميمي أتاك مفاخرا * فقل عد عن ذا كيف أكلك للضب)

البيت لأبي نواس من قصيدة من الطويل يهجو تميما وأسدا ويفتخر بقحطان أولها

ألا حي أطلالا لسيحان فالعذب * الى مرج فالبشر فبر أبي رغب
تمشي بها غير الظباء كأنها * أحاريد من روم تقسمن في نهب
عليها من المرجان طل كأنه * هد الليل ليل غير منصرم الحب
تلاعب أبكار الغمام وتنتمي * الى كل زحلوق زحالقة صعب
منازل كانت من جذام وفرتنا * وترهم ما هند ودماهيك من ترب

(وبعده البيت وبعده)

تفاخر أبناء الملوك سفاهة * وبولك يجري فوق ساقك والكعب
اذا ابتدر الناس المعالي فخذ عصا * ودعدع عنزي يا ابن صالعة الزرب
فنحن ملكنا الارض شرقا ومغربا * وشيخك ماش في التراب والصلب

كتمت دياجي الشعر منه بدرها
فوشت به للعين عيوقاته
(وقال فيه)
وأبيض ليل الآبنوس اذا سرى
تفرق عن صبح من العاج باهر
وان غاص في بحر الشعور رأيته
تبشرنا أطرافه بالجواهر
(وقال فيه)
ومشرق يشبه لون الضحى
حسنا ويسري في الدجى الفاحم
وكلما اقلب في لمة
أضحكها عن ثغر باسم

(قال) وجلس بمصر في دار الانماط يوما مع جماعة فمرت بهم امرأة تعرف بابنة أمين الملك كشمس تحت سحاب النقاب وغصن في أوراق الشباب فحدقوا اليها تحديق الرقيب الى الحبيب والمريض الى الطبيب فجعلت تتلفت تلفت ظبي مذعور أفرقه القانص فهرب وتثني تثني غصن ماور عانقه النسيم فاضطرب فسألوه وصفها فقال هذا يصلح أن يعكس فيه قول ابن القطان الازدي القيرواني

اعرضن لما أن عرضن فان يكن
حذرا فأين تلفت الغزلان
(ثم صنع فقال)

لها ناظر فى ذرى ناضر
كما ركب السن فوق القناة
لوت حين ولت لنا جيدها
فاى حياة بدت من وفاة
كاذعر الظبى من قانص
فر وكر وفى الالتفات
(ثم صنع بديها)
ولطيفة الالفاظ لكن قلبها
لم أشك منه لوعة الاعنا
كملت محاسنها فود البدر أن
يحظى ببعض صفاتها أو بنعتا
قد قلت لما أعرضت وتعرضت
يا مؤيسا يا مطمعا قل لى متى
قالت أنا الظبى الفريد وانما
ولى وأوحش نبوة فتلفتا
(قال على بن ظافر) وحضر
يوما عند بنى خليف بظاهر
الاسكندرية فى قصر رسا
بناؤه وسما وكاد يعزق أثواب
السما قد ارتدى جلابيب
السحائب ولاث عمائم
الغمائم وابتسمت ثناياشرفاته
واتسمت بالحسن حنايا
غرفاته وأشرف على سائر
نواحى الدنيا وأقطارها
وحبته السحائب بما اتسمت
عليه من ودائع أمطارها
والرمل بفنائه قد نثر تبره فى
زبرجد كرومه والجو قد
بعث اليه لطيمة نسيمه والنخل
قد أظهرت جواهرها
ونثرت غدائرها والطل ينثر
لؤلؤه فى مسارب النسيم
ومساحبه والبحر يرعد
غيظا من عبث الرياح به
فسئل وصف ذلك الموضع
الذى تمت محاسنه وغبط به
ساكنه فخاشت لذلك لجج

وهى طويلة (والشاهد فيه) الهزل الذى يراد به الجد فان سؤال التميمى عن أكله الضب فى معنى الاستهزاء وإذا تأملته فى الحقيقة فهو جد لان تميما يكثرون من أكل الضب ويعيرون به وكان الحيص بيص الشاعر تميميا فقال أبو القاسم بن الفضل أو الرئيس على بن الاعرابى يهجوه

كم تبارى وكم تطول طرطو * رك مافيك شعرة من تميم
فكل الضب واقرض الحنظل الاخـ * ـضر واشرب ماشئت بول الظليم
ليس ذا وجه من يضيف ولا يقـ * ـرى ولا يدفع الأذى عن حريم

ومن شواهده ما أنشده ابن المعتز لابى العتاهية

أرقيك أرقيك باسم الله أرقيكا * من بخل نفسك علّ الله يشفيكا
ما سلم كفك الا من يناولها * ولا عدوك الا من يرجيكا

والفاتح لهذا الباب امرؤ القيس بقوله

وقد علمت سلمى وان كان بعلها * بأن الفتى يهذى وليس بفعال

قال ابن أبى الاصبع ما رأيت أحسن من قوله ملتفتا وان كان بعلها ومنه قول ابن جابر

تزعم يا ظبى مساواتها * ولست أبدى لك تفنيدا
ان كان ما تزعم عارض لنا * مقلتها واحك لنا الجيدا

وقول ابن دانيال قل لغصن الاراك ويحك تحكى * قد محبوبتى ولم تخش منى
أنا لولا غفلت عنها فاست * ما تعلت أنت منها التثنى

وقول ابن نباتة المصرى سلبت محاسنك الغزال صفاته * حتى تحير كل ظبى فيكا
لك جيده ولحاظه ونفاره * وغدا لنا بقرونه لأبيكا

وقول أبى جعفر الغرناطى

عارض البدر وجنتيها فقلنا * عد عن ذا وقل لنا عن محاقك
أو ثقتنى بحبها ثم قالت * لى بالله كيف حال وثاقك

ولابن حجة الحموى فيه أيضا وصاحب تسمح لى نفسه * بغدوة لكن اذا ما انتشى
يضحكنى للغدا عنده * لكننى أقلع ضرسى العشا

وقريب من معناه قول الاديب الاسطرلابى

لنا صاحب نهوى محل قنائه * ولا يهتدى ضيف محل قنائه
نزلت عليه مرة فأضافنى * ولكن الى الاقصى أتى بغدائه

وقريب من معناه قول بعضهم

نزلت على أبى سعد فحيا * وهيأ عنده فرش المقيل * وقال على بالطباخ حتى
يزيد من النوادر والبقول * فغذانى برائحة الامانى * وعشانى بميعاد جميل

وقول القاضى كمال الدين بن النبيه

ألا يا رب هب لى منك عمرا * كليلة كل ضيف بات عنده
فكم أعطى كدهن اللوز لفظا * وكم محض الكلام نعير زبده
وسففنى سفوف الريح منه * ولعقنى لعوق الماء عنده

(أيا شجر الخابور مالك مورقا * كأنك لم تجزع على ابن طريف)
البيت لليلى بنت طريف الشيبانى ترثى أخاها الوليد بن طريف من أبيات من الطويل أولها

نشل نبا تا رسم قبر كأنه * على علم فوق الجبال منيف
تضمن جودا حاتميا ونائلا * وسورة مقدام وقلب حصيف

ورأيت

ورأيت في تاريخ ابن خلكان هذا البيت على غير هذا الوضع وهو

تضمن مجداً عصامياً وسودداً * وهمة مقدام ورأي حصيف

(وبعده البيت وبعده)

فتى لا يحب الزاد إلا من التقى * ولا المال إلا من قنا وسيوف

ولا الذخر إلا كل جرداء صلدم * معاودة للكر بين صفوف

كأنك لم تشهد هناك ولم تقم * مقاماً على الأعداء غير خفيف

ولم تستلم يوماً لورد كريهة * من السرد في خضراء ذات لفيف

ولم تسع يوم الحرب والحرب واقع * وسمر القنا يهززنها بأنوف

حليف الندى ما عاش يرضى به الندى * فإن مات لم يرض الندى بحليف

فقدناك فقدان الشباب وليتنا * فديناك من فتياننا بألوف

وما زال حتى أزهق الموت نفسه * شجى لعدو أو لجا لضعيف

ألا يا لقومي للحمام وللبلى * وللأرض همت بعده برجيف

وللبدر من بين الكواكب قد هوى * وللشمس لما أزمعت لكسوف

ولليث كل الليث إذ يحملونه * إلى حفرة ملحودة وسقيف

ألا قاتل الله الردى حيث أضمرت * فتى كان للمعروف غير عيوف

فإن يك أرداه يزيد بن مزيد * فرب زحوف لفها بزحوف

عليه سلام الله وقفاً فإنني * أرى الموت وقاعاً بكل شريف

وكان الوليد بن طريف هذا رأس الخوارج وأشدهم بأساً وصولة وأشجعهم وكان من بالشماسية لا يأمن طروقه واشتدت شوكته وطالت أيامه فوجه إليه الرشيد يزيد بن مزيد الشيباني فجعل يخاتله ويماكره وكانت البرامكة منحرفة عن يزيد بن مزيد فأغروا به الرشيد وقالوا إنه يتجافى عنه للرحم وإلا فشوكة الوليد يسيرة وهو يواعده وينتظر ما يكون من أمره فوجه إليه الرشيد كتاب مغضب يقول فيه لو وجهت أقل الخدم لقام بأكثر مما تقوم به أنت ولكنك مداهن متعصب وأمير المؤمنين يقسم بالله لئن أخرت مناجزة الوليد ليوجهن إليك من يحمل رأسك إلى أمير المؤمنين فلقي الوليد عشية خميس في شهر رمضان فيقال إن يزيد جهد عطشاً حتى رمى بخاتمه في فيه وجعل يلوكه ويقول اللهم إنها شدة شديدة فسهلها وقال لأصحابه فداكم أبي وأمي إنما هي الخوارج ولها حملة فاثبتوا لهم تحت التراس فإذا انقضت حملتهم فاحملوا فإنهم إذا انهزموا لم يرجعوا وكان كما قال حملوا حملة فثبت يزيد ومن معه من عشيرته وأصحابه ثم حمل عليهم فانكشفوا واتبع يزيد الوليد بن طريف فلحقه بعد مسافة بعيدة فاحتز رأسه وكان الوليد خرج إليهم حين خرج وهو يرتجز ويقول أنا الوليد بن طريف الشاري * قسورة لا يصطلى بناري * جوركم أخرجني من داري فلما وقع فيهم السيف وأخذ رأس الوليد صبحتهم أخته ليلى بنت طريف مستعدة عليها الدرع والجوشن فجعلت تحمل على الناس فعرفت فقال يزيد دعوها ثم خرج إليها فضرب بالرمح قطاة فرسها ثم قال لها اغربي غرب الله عليك فقد فضحت العشيرة فاستحيت وانصرفت وهي تقول الأبيات وكان ذلك في سنة تسع وسبعين ومائة ولما انصرف يزيد بالظفر حجب برأي البرامكة وأظهر الرشيد السخط عليه فقال وحق أمير المؤمنين لأصيفن وأشتون على فرسي أو أدخل فارتفع الخبر بذلك فأذن له فدخل فلما رآه أمير المؤمنين ضحك وسر وأقبل يصيح مرحباً بالأعرابي حتى دخل وأجلس وأكرم وعرف بلاؤه ونقاء صدره ومدحه الشعراء بذلك وكان أحسنهم مدحاً مسلم بن الوليد فقال فيه قصيدته التي أولها

أجررت حبل خليع في الصبا غزل * وقصرت همم العذال عن عذلي

هاج البكاء على العين الطموح هوى * مفرق بين توديع ومرتحل

بحره فألقت إليه جواهرها لترصيع لبسة ذلك القصر ونحره فقال

قصر بعدوجة النسيم تحدثت * فيه الرياض بسرها المستور

خفض الخورنق والسدير سموه * وثنى قصور الروم ذات قصور

لاث الغمام عمامة مسكية * وأقام في أرض من الكافور

غنى الربيع به محاسن وجهه * فافتر عن نور يروق ونور

فالروض يسحب حلة من سندس * تزهو بلؤلؤ طله المنثور

والنخل كالغيد الحسان تقرطت * بسباتك المنظوم والمنثور

والرمل في حبك النسيم كأنما * أبدى غصون سوالف المذعور

والبحر يرعد متنه فكأنه * درع يشن بعطفي مقرور

وكأننا والقصر يجمع شملنا * في الأفق بين كواكب وبدور

وكذاك دهر بني خليف لم يزل * يثني المعاطف في حبير حبور

(وأخبرني) الفقيه أبو الحسن علي بن الطوسي المعروف بابن السيوري الإسكندري النحوي بما هذا معناه قال كنت مع الأعز بن قلاقس في جماعة فمر بنا أبو الفضائل بن فتوح المصري وهو عائد من المكتب ومعه دواته وهو في تلك الأيام قرة العين ظرفاً وجمالاً وراحة القلب قرباً

كيف السلو لقلب بات مختبلا * يهذى بصاحب قلب غير مختبل

الى أن يقول فيها

يفتر عند افترار الحرب مبتسما * اذا تغير وجه الفارس البطل

موف على مهج فى يوم ذى رهج * كأنه أجل يسعى الى أمل

ينال بالرفق ما تعيى الرجال به * كالموت مستعجلا يأتى على مهل

الى أن يقول

والمارق ابن طريف قد دلفت له * بعارض للمنايا مسبل هطل

لو أن غير شريكى أطاف به * فاز الوليد بقدح الناضل الخصل

ما كان جمعهم لما دلفت لهم * الا كمثل جراد ريع منجفل

ولليلى أخت الوليد بن طريف فيه مراث كثيرة منها قولها

ذكرت الوليد وأيامه * اذا الارض من شخصه بلقع

فأقبلت أطلبه فى السما * كما يبتغى أنفه الاجدع

أضاعك قومك فليطلبوا * اعارة مثل الذى ضيعوا

لو أن السيوف التى حدها * يصيبك تعلم ما تصنع

نبت عنك أو جفلت هيبة * وخوفا لصولك لا تقطع

والخابور نهر بين رأس عين والفرات يصب اليه (والشاهد فى البيت) تجاهل العارف وسماه السكاكى سوق المعلوم مساق غيره لنكتة وهى هنا التوبيخ فانها تعلم أن الشجر لا يجزع على ابن طريف لكنها تجاهلت واستعملت كأن الدالة على الشك والله أعلم

(ألمع برق سرى أم ضوء مصباح * أم ابتسامتها بالمنظر الضاحى)

البيت للبحترى وهو من أول قصيدة من البسيط يمدح بها الفتح بن خاقان وبعده

يا بؤس نفس عليها جذ آسفة * وشجو قلب اليها جد مرتاح

يهتز مثل اهتزاز الغصن أتعبه * مرور غيث من الوسمى سحاح

ويرجع الليل مبيضا اذا ابتسمت * عن أبيض خصر السمط بين لماح

وجدت نفسك من نفسى بمنزلة * هى المصافاة بين الماء والراح

أثنى عليك بأنى لم أجد أحدا * يلحى عليك وما داء بزعم اللاحى

وليلة القصر والصهباء قاصرة * للهو بين أباريق وأقداح

حييت خديك بل حييت من طرب * وردا بورد وتفاحا بتفاح

وهى طويلة ومنها فى المخلص

كم نظرة فى جبال الشام لو نظرت * روت غليل فؤاد منك ملتاح

والعيس ترمى بأيديها على عجل * فى مهمه مثل ظهر الترس رحراح

نهدى الى الفتح والنعمى بذاك له * مدحا يقصر عنه كل مداح

والضاحى الظاهر (والشاهد فى البيت) تجاهل العارف للمبالغة فى المدح فانه بالغ فى مدح ابتسامها بحيث لم يفرق بينه وبين لمع البرق وضوء المصباح كما هو ظاهر

(أقوم آل حصن أم نساء)

هو من الوافر وصدره وما أدرى وسوف أخال أدرى وقائله زهير بن أبى سلمى من قصيدة طويلة قالها فى هجاء بيت من كلب من بنى عليم وكان بلغه عنهم شئ وكان رجل من بنى عبد الله بن غطفان أتى بنى عليم فأكرموه لما نزل بهم وأحسنوا جواره وواسوه وكان رجلا مولعا بالقمار فنهوه عنه فأبى الا المقامرة فقمر مرة فردوه عليه ثم قمر أخرى فردوه عليه ثم قمر الثالثة فلم يردوه عليه فترحل عنهم وشكى ما صنع به الى زهير والعرب حينئذ يتقون الشعراء اتقاء شديدا فقال القصيدة وأولها

ووصالا كل عين الى وجهه محدقه وللشهد خديه بخلوق الخجل مخلقه فاقترحنا عليه أن يتغزل فيه فصنع بديها علقته متعلقا

بالخط منعكفا عليه * حمل الدواة ولا دوا

ء لعاشق يرجى لديه * فدماء حبات القلو

ب تلوح صبغا فى يديه * لم أدر ما أشكو اليـ

ـه أهجره أم مقلتيه * والحب يخرسنى على

أنى ألكع سيبويه * مالى اذا قابلتـه

شغل سوى نظرى اليه

(وأخبرنى) الشيخ أبو عبد الله محمد بن على البحصى القرمونى بدمشق قال اصطحبت أنا والوزير أبو عبد الله محمد ابن الشيخ الاجل أبى الحسن بن عبد ربه حفيد صاحب كتاب العقد فى مركب الى الاسكندرية فلما قربنا منها هاج علينا البحر حتى أشرفنا على الغرق فلاح لنا ونحن على هذا الحال منار الاسكندرية فسررنا برؤيته وطمعنا فى السلامة فقال لى لا بد أن أعمل فى المنار شيأ فقلت له أعلى مثل هذا الحال الذى نحن فيه فقال نعم فقلت فاصنع فأطرق ثم عمل

لله در منار اسكندرية كم * يسمو اليه على بعد من الحدق

عفامن آل فاطمة الجواء * فيمن فالقوادم فالحساء
فذوهاش فبيت عريتنات * عفتها الريح بعدك والسماء
فلما ان تحمل آل ليلى * جرت بيني وبينهمو ظباء
جرت سعافقات لها أخبرتني * نوى مشمولة فمتى اللقاء
كأن أوابد الثيران فيها * هجائن فى مغانيها الطلاء
لقد طالبتها ولكل شئ * اذا طالت لجاجته انتهاء
وقد أغدو على شرب كرام * نشاوى واجدين لما نشاء
لهم راح وراووق ومسك * تعل به جلودهم وماء
أمشى بين قتلى قد أصيبت * دماؤهم ولم تقطر دماء
يجرون البرود وقد تمشت * حميا الكاس فيهم والغناء

وبعده البيت وبعده

فان تكن النساء مخبآت * فحق لكل محصنة هداء

وكان زهير يقول ماخرجت قط فى ليلة ظلماء الاخفت أن يصيبنى الله عز وجل بعقوبة لهجائى قوما ظلمتهم (والشاهد فى البيت) تجاهل العارف للمبالغة فى الذم وفيه دلالة على ان لفظ القوم لا يطلق الا على الرجال خاصة

(بالله ياظبيات القاع قلن لنا * ليلاى منكن أم ليلى من البشر)

البيت من قصيدة من البسيط واختلف فى نسبته فنسب للمجنون ولذى الرمة وللعرجى وللحسين ابن عبد الله الغزى ونسبه الباخرزى فى دمية القصر لبدوى اسمه كامل المتقى والاكثرون على أنه للعرجى وأول قصيدة كامل المتقى

انسانة الحى أم أدماءة السمر * بالنهى رقصها لحن من الوتر
ياما أميلح غزلانا شدن لنا * من هوليائكن الضال والسمر

وقال ابن داود فى الزهرة قال بعض الاعراب

ياسرحة الحى أين الروح واكبدى * لهفا ندوب وبيت الله من حسر
ما أنت بعجماء عما قد سئلت فما * بال المنازل لم تنطق ولم تحر
ياقاتل الله غادات قرعن لنا * حب القلوب بما استودعن من حور
عنت لنا وعيون من براقعها * مكنونة مقل الغزلان والبقر

وبعده ياما أميلح البيت والقاع أرض سهلة قد انفرجت عنها الجبال والآكام وتجمع على قيع وقيعة وأقواع وأقوع والبشر الانسان ذكرا كان أو أنثى واحدا أو جمعا وقد يثنى وقد يجمع (والشاهد فى البيت) تجاهل العارف التدله فى الحب وهو التحير والدهش ومنه قول ذى الرمة

أياظبية الوعساء بين جلاجل * وبين النقا آأنت أم أم سالم

وما ألطف قول المتنبى أتراها لكثرة العشاق * تحسب الدمع خلقة فى المآقى

وقول القاضى الفاضل يمدح الملك العادل أبا بكر بن أيوب رحمه الله تعالى

أهذه سير فى المجد أم سور * وهذه أنجم فى السعد أم غرر
وأنمل أم بحار والسيوف لها * موج وافرندها فى لجها درر
وأنت فى الارض أم فوق السماء وفى * يمينك البحر أم فى وجهك القمر

وقوله أيضا فيه وأجاد

أهذى كفه أم غوث غيث * ولا بلغ السحاب ولا كرامه * وهذا بشره أم لمع برق
ومن للبرق فينا بالاقامه * وهذا الجيش أم صرف الليالى * ولا بلغت حوادثها زحامه

من شامخ الانف فى عرنينه شمم
كأنه باهت فى دارة الافق
يكسر الموج منه جانبى رجل
مشمر الذيل لاينجو من الغرق
لا يبرح الدهر من ورد على سفن
ما بين مصطبح منها ومغتبق
للمنشآت الجوارى عند رؤيته
كموقع النوم من أجفان ذى أرق
تهوى اليه وعنه الفلك طائرة
بمثل أجنحة صيغت من الخرق
كأنه وعليه الفلك حائمة
برج الحمام فمن آت ومنطلق
(وأخبرنى) القاضى الاسعد قال أمرنى الملك العزيز رحمه الله تعالى أن أصنع له فى فرس أشهب قطعة أشبهه فيها بالقمر فى لونه وسرعته وقال رحمه الله ان الناس شبهوه بالشهاب والقمر أسرع فصنعت فى الحال
وأشهب يقطع عر
ض الارض فى لمح البصر
ما مثله فى لونه
وجريه الا القمر
(وأخبرنى) القاضى الاسعد أبو القاسم عبد الرحيم بن شيث قال اجتمعنا ليلة عند القاضى محيى الدين ولد قاضى القضاة صدر الدين بن درباس رحمه الله تعالى فتذاكرنا البديهة فاقترح

وهــذا الدهر أم عبد لديه * يصرّف عن عزيمته زمامه * وهذا النصل غمد أم هلال
اذا أمسى كنون أم قلامه * وهـــذا الترب أم خدّ لثمنا * وآثار الشفاه عليه شامه

وقوله أيضا وإذا قلت أين دارى وقالوا * هى هذى أقول أين زمانى

وقول مهيار الديلمى

سلا ظبية الوادى وما الظبى مثلها * وان كان مصقول الترائب أكحلا
أأنت أمرت البدر أن يصدع الدجى * وعلمت غصـــن البان أن يتميلا

وقول ابن نباتة السعدى

فوالله ما أدرى أكانت مدامة * من الكرم تجنى أم من الشمس تعصر

ومن البديع فى هذا الباب قول ابن هانئ الاندلسى فى المعز لدين الله بانى القاهرة

ابنى العوالى السمهرية والموا * ضى المشرفية والعديد الاكثر
من منكم الملك المطاع كأنه * تحت السوابغ تبع فى حمير

يحكى أنه لما أنشدها ترجل العسكر كله ولم يبق راكب سوى المعز فلا يعلم بيت شعر كان جوابه نزول عسكر جرار غيره وما أجود قول التهامى يشكو السهر

قصرت جفونى أم تباعد بينها * أم مقلتى خلقت بلا أشفار

وما أبدع قول الشيخ شرف الدين بن الفارض قدّس الله سرّه

أوميض برق بالابيرق لاحا * أم فى ربا نجد أرى مصباحا
أم تلك ليلى العامرية أسفرت * ليلا فصيرت المساء صباحا

وما أحسن قول الباخرزى

قالت وقد فتشت عنها كل من * لاقيته من حاضر أو بادى
أنا فى فؤادك فارم لحظك نحوه * ترنى فقلت لها وأين فؤادى

وفى معناه قول المولى الفاضل ابن مليك ربى والده

يا مكان الفؤاد أين فؤادى * أتراه منهم على ميعادى

وقول العميد أبى سهل محمد بن الحسن

يا دهرنا أينا أشجى بينهـــم * أأنت أم أنا أم ربا أم الدار * ياليت شعرى ما ألوى بجدتها
هوج الرياح وصوب الغيث مدرار * أم صوب دمعى وأنفاسى فهن لها * بعد الاحبة أرواح وأمطار

وقول ابن المنير الطرابلسى

من ركب البدر فى صدر الردينى * وموّه السحر فى حدّ اليمانى * وأنزل النير الاعلى الى فلك
مـداره فى القباء الخسروانى * طرف رنا أم قراب سل صارمه * وأغيد ماس أم أعطاف خطى

وقول أبى نصر سعيد بن الشاه

أظاعن أم مقيم أنت يا خلدى * فاننى أوّل الغادين بعد غـــد

وما أحسن ما قال بعده أيضا

غـدا أودّع قوما أودعوا كبدى * نارا وعهدى بهم بردا على الكبد
أبدى التجلـد أحيانا فينهـزنى * ريق يجف وخدّ بالدموع ندى
لا أنس يوم تنازعنا حديث نوى * وقولها وهى تبكى خاننى جلدى
فـدمعها برد فوق العقيق جرى * وريقـها ضرب قد شيب بالبرد
كنا الى الوصـل قدملنا فنغصـه * هذا الرحيل الذى ما دار فى خلدى

وقول الوزير أبى سعد منصور بن الحسين الآبى

على أن أصنع له فى شمعة كانت بين أيدينا فصنعت
وأنيسة باتت تساهر مقلتى * تبكى وتبدى فعل صب عاشق
سرقت دموعى والتهاب جوانحى * فغدا لها القط قطع السارق

(وأخبرنى) الشريف أبو الفضل جعفر الشاعر المنبوز بالقرطم قال لقيت النفيس أبا العباس أحمد ابن عبد الغنى القطرسى وأنا عائد من الحمام ومعى سطل نحاس أجر فتربنا بعض الشعراء فسألتهما أن يصنعا شعرا فى صفة السطل فصنع النفيس بديها

أنا كافل للرى ان بخل الحيا * ومهدى الجمام مراشف اللعس
اذا حملتنى راحة فكأننى * هلال منير حامل كرة الشمس

(قال على بن ظافر) دخلت مع جماعة من أصحابنا على صديق لنا نعوده وبين يديه بركة قد راق ماؤها وصحت سماؤها وقد رص تحت دساتيرها نارنج فتن قلوب الحضار وملا بالمحاسن عيون النظار فكأنما رفعت صوالج فضة على كرات من النضار فأشار الحاضرون الى وصفها فقلت بديها

أبدعت يا ابن هلال فى فسقية * جاءت محاسنها بما لم يعهد

أيا ربع علوة بالمنحنى * أأنت بها مغرم أم أنا   ويا طلل الحى ما بالنا * لبست البلى ولبست الضنى

وما أحسن قوله بعدهما أيضا   أناشدك الله فى قربنا * وأنى ومن أين لى قربنا

بشرقى سلمى لنا منزل * رفيع القواعد عالى البنا

أتتنى فقالت لأثراها * لنعم الفتى ان ثوى عندنا

فقلت لها أين مغناكم * ونحن بحذوى فقالت هنا

ولكن من دوننا باسلا * يغار علينا اذا زرتنا

فشاور اذا جئت جنح الظلا * م فاما علينا واما لنا

فلما امتطيت اليها الدجى * دفعت الى تربها موهنا

فقامت تجر فضول الردا * وتسفر للوصل ما بيننا

تبعت الى خدرها تربها * فصدت وقد رابها أمرنا

وقالت أترضى بغير الرضا * بكونك يا ضيف يا ضيفنا

ومن المعجب هنا قول بعضهم   أقول له علام تميل عجبا * على ضعفى وقدك مستقيم

فقال تقول عنى فى ميل * فقلت له كذا نقل النسيم

ومن ظريف ما سمع فيه قول الصورى

بالذى ألهم تعذيـ * ـبى ثناياك العذابا   والذى صير حظى * منك هجرا واجتنابا

والذى ألبس خديـ * ـك من الورد نقابا   ما الذى قالته عينا * ك لقلبى فأجابا

ولاحمد بن حديس   أبروق تلألأت أم ثغور * وليال دجت لنا أم شعور

وغصون تأودت أم قدود * حاملات رمانهن الصدور

ولابن شمس الخلافة   أشعرك أم ليل ووجهك أم قمر * ونشرك أم مسك وثغرك أم درر

وخدك أم ورد وريقك أم طلى * وجسمك أم ماء وقلبك أم حجر

شككنا على علم ومن غلب الهوى * على قلبه غطى على السمع والبصر

(ولمؤلفه رحمه الله تعالى فيه)

ألؤلؤ نظم هذا الثغر أم حبب * وقرقف طعم ذاك الريق أم ضرب * وما أراه بروض الخد ورد ربا

أم جنة بدم العشاق تختضب * وفى لحاظك سحر يستطال به * على القلوب أم المسنونة القضب

(ومن مجونه فيه قول بعضهم)

ولم أدر اذ رق النسيم وعيشنا * وصوت مغنينا وصهباء قرقف

أعيشى أم صوت المغنى أم الصبا * أم الكاس أم دينى أرق وأضعف

وهو من قول الآخر   اسقنى خمرة كرقة دينى * أو كعقلى ولا أقول كحالى

خيفة من توهم الناس أنى * قلت هذا فى معرض لسؤال

ولطيف قول الشيخ صلاح الدين الصفدى

أقول لهم قد رق عيشى والصبا * وعقلى وكاسانى وصوت الذى غنى

فقال الذى أهوى وخصرى نسيته * فقلت له والله قد جئت فى المعنى

﴿والعرجى﴾ هو عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس وانما لقب بالعرجى لانه كان يسكن عرج الطائف وقيل بل سمى بذلك لماء كان له ومال كان عليه بالعرج وكان من شعراء قريش وممن شهر بالغزل منهم ونحا نحو عمر بن أبى ربيعة فى ذلك وتشبه به وأجاد وكان مشغوفا باللهو والصيد حريصا عليهما قليل المبالاة بأحد فيهما ولم تكن له نباهة فى أهله وكان أشقر أزرق جميل الوجه وكان من الفرسان المعدودين مع مسلمة بن عبد الملك بن مروان بأرض الروم وكان له معه بلاء حسن ونفقة كثيرة

عجبا لامواه الدساتير التى فاضت على نارنجها المتوقد فكأنهن صوالج من فضة رفعت لضرب كرات خالص عسجد

(قال) ومن أعجب ما دهيت به ورميت الا أن الله بفضله نصر وأعطى الظفر وأعان خاطرى الكليل حتى مضى مضاء السيف الصقيل أنى كنت فى خدمة مولانا العادل خلد الله ملكه بالاسكندرية سنة احدى وستمائة مع من ضمته حاشية العسكر المنصور من الكتاب ودخلت سنة اثنتين ونحن مقيمون بالخدمة مرتضعون لافاويق النعمه فحضرت مع من حضر للهناء من الفقهاء والعلماء والمشايخ والكبراء وجماعة الديوان والامراء فى يوم من أيام الجلوس للاحكام والعرض لطوائف الاجناد بالتمام فلم يبق أحد من أهل البلد ولا من العسكر الاحضر مهنيا ومثل شاكرا وداعيا فلما غص المجلس بأهله وشرق بجمع الناس وحفله وخرج مولانا السلطان خلد الله ملكه الى محله واستقر فى دسته أخرج كتابا ناوله الى الصاحب الاجل صفى الدين أبى محمد عبد الله بن على وزير دولته وكبير جملته وهو مفضوض

وباع أموالا عظيمة وأطعم منها في سبيل الله تعالى حتى نفد كل ذلك وكان قد اتخذ غلامين فاذا جاء الليل نصب قدوره وقام الغلامان يوقدان فاذا نام أحدهما قام الآخر فلا يزالان كذلك حتى يصبحا يقول لعل طارقا يطرق (وحدث) مصعب قال كانت حبشية من مولدات مكة المشرفة طريفة صارت الى المدينة المنورة فلما بلغها موت عمر بن أبي ربيعة اشتد جزعها وجعلت تقول من لمكة وشعابها وأباطحها ونزهها ووصف نسائها وحسنهن وجمالهن فقيل لها خفضي عليك فقد نشأ فتى من ولد عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه يأخذ مأخذه ويسلك مسلكه فقالت أنشدوني من شعره شيأ فأنشدوها فقالت الحمد لله الذي لم يضيع حرمه ومسحت عينيها وقال مسلمة بن ابراهيم بن هشام كنت عند أيوب بن مسلمة ومعنا أشعب فذكرنا قول العرجي

أين ما قلت مت قبلك أينا * أين تصديق ما عهدت الينا
فلقد خفت منك أن تصرمي الحبـ * ـل وان تجمعي مع الصرم بينا
ما تقولين في فتى هام اذها * م عن لا يبالي جهلا ومينا
فاجعلي بيننا وبينك عدلا * لا تحيفي ولا يحيف علينا
واعلمي أن في القضاء شهودا * ويمينا فأحضري شاهدينا
خلتي لو قدرت منك على ما * قلت لي في الخلاء حين التقينا
ما تحرجت من دمي علم الله * ولو كنت قد شهدت حنينا

قال فقال أيوب لأشعب ما تظن انها وعدته قال أخبرك يقينا الا ظنا وعدته أن تأتيه في شعب من شعاب العرج يوم الجمعة اذا نزل الرجال الى الطائف للصلاة فعرض لها عارض شغل فقطعها عن موعده قال فمن كان الشاهدان قال كسير وعوير وكل غير خير فند أبو زيد مولى عائشة بنت سعد وزرّ العذق مولى الانصار قال فمن الحكم العدل قال حصين بن غرير الحميري قال فما حكم به قال أدت اليه حقه فسقطت المؤنة عنه قال يا أشعب لقد أحكمت صناعتك قال سل علامة عن علمه (وحدث) محمد بن مخارق قال واعد العرجي ذات هوى له الى شعب من شعاب عرج الطائف اذا نزل رجالها يوم الجمعة الى مسجد الطائف فجاءت على أتان لها معها جارية لها وجاء هو على حمار له ومعه غلام له فواقع هو المرأة وواقع الغلام الجارية وورا الحمار على الأتان فقال العرجي هذا يوم قد غاب عذاله (وحدث) الزهري وغيره أن العرجي خرج الى جنبان الطائف يوما متنزها فتربط ن النقيع فنظر الى أم الاوقص وهو محمد بن عبد الرحمن المخزومي القاضي وكان يتعرض لها فاذا رآها رمت نفسها وتسترت منه وهي امرأة من بني تميم فبصر بها في نسوة جالسة وهن يتحدثن فعرفها وأحب أن يتأملها من قرب فعدل عنها ولقي أعرابيا من بني نصر على بكر له ومعه وطبان من لبن فدفع اليه دابته وثيابه وأخذ قعوده ولبنه ولبس ثيابه ثم أقبل فمر على النسوة فصحن به يا أعرابي أمعك لبن قال نعم فمال اليهن وجعل يتأمل أم الاوقص وتواثب من معها الى اللبن وجعل العرجي يلحظها وينظر أحيانا الى الارض كأنه يطلب شيأ وهن يشربن اللبن فقالت امرأة منهن أي شيء تطلب يا أعرابي في الارض أضاع منك شيء قال نعم قلبي فلما سمعت التميمية كلامه نظرت اليه وكان أزرق فعرفته فقالت العرجي ورب الكعبة ووثبت وسترها نساؤها وقلن له انصرف عنا لا حاجة بنا الى لبنك فمضى منصرفا وقال في ذلك

أقول لصاحبي ومثل ما بي * شكاه المرء ذو الوجد الاليم * الى الاخوين مثلهما اذا ما
تأوبه مؤرقة الهموم * لحيني والبلاء لقيت ظهرا * بأعلى النقع أخت بني تميم
فلما أن رأت عيناي منها * أسيل الخد في خلق عظيم * وعيني جؤذر خشف وثغرا
كلون الاقحوان وجيد ريم * حنا أترابها دوني عليها * حنو العائدات على السقيم

(وحدث) مصعب بن عبد الله عن أبيه قال أتاني أبو السائب المخزومي ليلة بعد ما رقد الناس فأشرفت عليه فقال سهرت وذكرت أخا لي استمتع به فلم أجد سواك فلو مضينا الى العقيق وتناشدنا وتحدثنا فمضينا فأنشدته في بعض ذلك بيتين للعرجي وهما

الختام مفكوك الفدام

فاذا فيه قطعة وردت من المولى الملك المعظم أبقاه الله كتبها اليه يتشوقه ويستعطفه لزيارته ويرققه ويستحث عود ركابه الى الشام لشاغرة بها وقع عدوها ويعرض بذكر مصر وشدة حرها ووقد جرها وذلك بعد أن كان وصل الى خدمته بالثغور ثم رجع

اروي رماحك من دماء عداكا
وانهب بخيلك من أطاع سواكا
واركب خيولا كالسعالي شزبا
واضرب بسيفك من يشق عصاكا
واجلب من الابطال كل سميذع
يفري بعزمك كل من يشناكا
واسترعف السمر اللدان وروها
واسق المنية سيفك السفاكا
وسر الغداة الى العداة مبادرا
بالضرب في هام العدو دراكا
وانكح رماحك للثغور فانها
مشتاقة أن تبتني بعلاكا
فالعز في نصب الخيام على العدا
تردي الطغاة وترفع الملاكا
والنصر مقرون بهمتك التي
قد أصبحت فوق السماك سماكا
فاذا عزمت وجدت من هو طائع
واذا نهضت وجدت من يخشاكا
والنهر في الاعداء يوم كريهة
أحلى من الكأس الذي روّاكا

يا نابأنعم ليلة حتى بدا * صبح تلوح كالاغر الاشقر
فتلازما عند الفراق صبابة * أخذ الغريم بفضل ثوب المعسر

فقال أعده على فأعدته فقال أحسن والله امرأته طالق ان نطق بحرف غيره حتى يرجع الى بيته قال فلقينا عبد الله بن حسن فلما صرنا اليه وقف بنا وهو منصرف من ماله يريد المدينة المنورة فسلم ثم قال كيف أنت يا أبا السائب فقال له فتلازما عند الفراق صبابة * أخذ الغريم بفضل ثوب المعسر

فالتفت الى وقال متى أنكرت صاحبك فقلت منذ الليلة فقال انا لله وأى كهل أصيبت به قريش ثم مضينا فلقيه محمد بن عمران التميمى قاضى المدينة يريد مالا على بغلة له ومعه غلامه على عنقه مخلاة فيها قيد البغلة فسلم عليه ثم قال له كيف أنت يا أبا السائب فقال (فتلازما عند الفراق صبابة) وذكر البيت فالتفت الى وقال متى أنكرت صاحبك فقلت كما قلت آنفا فلما أراد المضى قلت أفتدعه هكذا والله لا آمن أن يتهور فى بعض آبار العقيق قال صدقت يا غلام قيده بقيد البغلة فوضعه فى رجليه وهو ينشد البيت ويشير بيده اليه يرى انه يفهم عنه قصته ثم نزل الشيخ وقال لغلامه احمله على بغلتى وألحقه بأهله فلما كان بحيث علمت انه قد فاته أخبرته بخبره فقال قبحك الله ماجنا فضحت شيخا من مشايخ قريش وغررتنى وكان العرجى يشبب بجيداء وهى أم محمد بن هشام بن اسمعيل المخزومى ليفضح ابنها لا لمحبة كانت بينهما فكان محمد بن هشام يقول لامه أنت غضضت منى لانك أمى وأهلكتنى وقتلتنى فتقول له ويحك وكيف ذلك فيقول لو كانت أمى من قريش ما ولى الخلافة غيرى وكان العرجى فى خلال ذلك يهجو محمد بن هشام فلم يزل مضطغنا عليه متطلبا سبيلا عليه حتى وجده فيه فأخذه وقيده وضربه وأقامه للناس على البلس ثم حبسه وأقسم أن لا يخرج من السجن ما دام له سلطان فمكث فى حبسه نحوا من تسع سنين حتى مات فيه (وروى) أن السبب فى حبس محمد بن هشام العرجى انه لاحى مولى لامية فأمضه العرجى فأجابه المولى بمثل ما قاله له فأمهله حتى اذا كان الليل أتاه مع جماعة من مواليه وعبيده فهجم عليه فى منزله فأخذه فأوثقه كتافا ثم أمر عبيده أن ينكحوا امرأته بين يديه ففعلوا ثم قتله وأحرقه بالنار فاستعدت امرأة المولى عليه محمد بن هشام فحبسه وقيل ان العرجى كان وكل بحرمه مولى له يقوم مقامه بامورهن فبلغه أنه يختلف اليهن فلم يزل يرصده حتى وجده يحدث بعضهن فقتله وأحرقه بالنار فاستعدت عليه امرأة المولى محمد بن هشام المخزومى وكان واليا على مكة المشرفة فى خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان فضربه وأقامه على البلس وسجنه (وروى) أن أشعب كان حاضرا العرجى وهو يشتم مولاه هذا وأنه طال شتمه اياه فلما أكثر رد المولى عليه فاختلط العرجى من ذلك وقال لاشعب اشهد على ما سمعت فقال أشعب وعلى م أشهد وقد شتمته ألفا وشتمك واحدة والله لو ان أمك أم الكتاب وأمه حمالة الحطب ما زاد على هذا شيأ ولما أخذ العرجى أخذ معه الحصين بن غرير الحميرى وكان صديقا له وخليطا فخلدا وصب الزيت على رؤسهما وأقيما على البلس بمكة فجعل العرجى ينشد

سينصرنا الخليفة بعد ربى * ويغضب حين يخبر عن مساقى
على عباءة بلقاء ليست * مع البلوى تغيب نصف ساقى
وتغضب لى بأجمعها قصى * قطين البيت والدمث الرقاق

ثم يصيح يا غرير أجيادا يعنى به الحصين بن غرير المحاود معه فيقول له ألا تدعنا ألا ترى ما نحن فيه من البلاء (ومر) رجل على العرجى وهو واقف على البلس هو ورفيقه والناس مجتمعون ينظرون اليهما وكان الرجل صديقا للعرجى وكان فأفاء فوقف عليه وأراد أن يتوجع لما ناله ويدعو له فطلع لما كان فى لسانه كما يفعل الفأفاء فقال ابن غرير لا فرجت من فيك أبدا فقال له الرجل وكانك اذا لا برحت منه أبدا (ومر به) صبيان يلتقطون النوى فوقفوا ينظرون اليه فالتفت ابن غرير الى العرجى وقال له ما أعرف فى الدنيا شيئين أشأم منى ومنك ان هؤلاء الصبيان لاهليهم عليهم فى كل يوم على كل واحد منهم مد نوى فقد تركوا لقطهم للنوى ووقفوا ينظرون الى واليك وينصرفون بغير شئ فيضربون فيكون شؤمنا قد لحقهم وكانت

والعجز أن تمسى بمصر مخيما
وتحل من تلك العراص عراكا
فأرح حشاشتك الكريمة من لظى
مصر لكى تحظى الغداة بذاكا
فلقد غدا قلبى عليك بحرقة
شغفا ولا حر البلاد هناكا
وانهض الحراجى لقالك مسارعا
فمناى من كل الامور لقاكا
وابرد فؤاد المستهام بنظرة
وأعد عليه العيش من رؤياكا
واشف الغداة عليل صب هائم
أضحى مناه من الحياة مناكا
فسعادتى بالعادل الملك الذى
ملك الملوك وقارن الاملاكا
فبقيت لى يا مالكى فى غبطة
وجعلت فى كل الامور فداكا

(فلما) تلا الصاحب على الحاضرين محكم آياتها وجلا منها العروس التى حازت من المحاسن أبعد غاياتها أخذوا فى استحسان نظامها وتناسق غريب التئامها والثناء على الخاطر الذى نظم محكم أبياتها وأطلع من مشرق فكره آياتها فقال السلطان خلد الله ملكه نريد من يجيب عنها أبيات على قافيتها فالتفت مسرعا الى وأنا على يمينه وقال يا مولانا لو كان علان هو فارس هذا الميدان والمعتاد للتخاص فى مضايق هذا الشان ثم قطع وصلا من درج كان بين يديه وألقاه

وفاة العرجي سنة (بياض بالاصل) ولما ولى الوليد بن زيد الخلافة كان مضطغنا على محمد بن هشام المخزومي أشياء كانت تبلغه عنه في حياة هشام فقبض عليه وعلى أخيه ابراهيم بن هشام وأشخصا اليه الى الشام ثم دعا لهما بالسياط فقال له محمد أسألك بالقرابة قال وأي قرابة بيني وبينك وهل أنت الا من أشجع قال فأسألك بصهر عبد الملك قال لم تحفظه قال يا أمير المؤمنين قد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يضرب قرشي بالسياط الا في حد قال ففي حد أضربك وقود أنت أول من سن ذلك على العرجي وهو ابن عمي وابن أمير المؤمنين عثمان رضي الله تعالى عنه فما رعيت حق جده ولا نسبه بهشام ولا ذكرت حينئذ هذا الخبر وأنا ولي ثاره اضرب يا غلام فضربهما ضربا مبرحا وأثقلا بالحديد ووجههما الى يوسف بن عمر بالكوفة وأمره باستصفائهما وتعذيبهما حتى يتلفا وكتب اليه احبسهما مع ابن النصرانية يعني خالدا القسري ونفسك نفسك ان عاش أحد منهم فعذبهم عذابا شديدا وأخذ منهم مالا عظيما حتى لم يبق فيهم موضع للضرب وكان محمد بن هشام مطروحا فاذا أرادوا أن يقيموه أخذوا بلحيته وجذبوه بها ولما اشتدت عليهما الحال تحامل ابراهيم لينظر وجه أخيه محمد فوقع عليه فماتا جميعا ومات خالد القسري معهما في يوم واحد وقال الوليد بن يزيد لما حملهما الى يوسف بن عمر هذه الابيات

قد راح نحو العراق مشتلبه * قصاره السجن بعده الخشبه

يركبها صاغرا بلا قتب * ولا خطام وحوله جلبه

فقل لدعجاء ان مررت بها * لن يعجز الله هارب طلبه

قد جعل الله بعد غلبتكم * لنا عليكم بأمره الغلبه

لست لهاشم ولا الى أسد * ولا الى نوفل ولا الحجبه

لكنما أشجع أولئك سل السكاكي لا ما زوق الكذبه

(وحدث) اسحق قال غنيت الرشيد يوما في عرض الغناء (أضاعوني وأي فتى أضاعوا) فقال لي ما كان سبب هذا الشعر حتى قاله العرجي فأخبرته بخبره من أوله الى أن مات فرأيته يتغيظ كلما مر منه شيء فأتبعته بحديث مقتل ابني هشام فجعل وجهه يسفر وغيظه يسكن فلما انقضى الحديث قال لي يا اسحق لولا ما حدثتني به من فعل الوليد لما تركت أحدا من أماثل بني مخزوم الا قتلته بالعرجي وسيأتي خبر هذا الشعر في التضمين ان شاء الله تعالى

(القول بالموجب)

﴿قلت ثقلت اذ أتيت مرارا * قال ثقلت كاهلي بالايادي﴾

البيت من الخفيف وبعده

قلت طولت قال لا بل تطولت * وابرمت قال حبل ودادي

والبيتان منسوبان لابن حجاج ولم أرهما في ديوانه ونسبهما سبط ابن الجوزي صاحب مرآة الزمان لمحمد ابن ابراهيم الاسدي والكاهل الحارك أو مقدم أعلى الظهر مما يلي العنق وهو الثلث الأعلى وفيه ست فقر أو هو ما بين الكتفين وموصل العنق في الصلب والايادي جمع يد وهي النعمة وفي معنى البيتين قول ابن الخازن

لئن سميت ابراما وثقلا * زيارات بهن رفعت قدري

فما أبرمت الا حبل ودي * وما أثقلت الا ظهر شكري

وقول ابن البغدادي

جئت اليه والعذول يحجبني * عليه فكان العذل زنة حادي

فأحرمت لكن مقلتي سنة الكرى * وطفت ولكن حوله بودادي

(والشاهد فيهما) القول بالموجب ويسمى اسلوب الحكيم وهو على ضربين أحدهما أن تقع صفة في كلام الغير كناية عن شيء أثبت له حكم فتثبت تلك الصفة لغير ذلك الشيء من غير تعرض لثبوته له أو نفيه عنه والثاني حمل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعلقه وهذا هو القسم المستعمل بين الناس ونظمه الشعراء ومما يستشهد به عليه قول الارجاني

الي وعمد الى دواته فأدارها بين يدي فقال السلطان خلد الله ملكه على مثل هذه الحال قال نعم أنا جربته فوجدته متقد الخاطر حاضر الذهن سريع اجابة الفكر فقال السلطان وعلى كل حال قم الى ههنا لتنكف عنك أبصار الناظرين وتنقطع غاغاء الحاضرين وأشار الى مكان عن يمين البيت الخشب الذي هو منفرد به فقمت وقد فقدت رجلي انخزالا وذهني اختلالا لهيبة المجلس في صدري وكثرة من حضره من المترقبين لي المنتظرين حلول فاقرة الشماتة بي فما هو الا أن جلست حتى ثاب الي خاطري وانثال الشعر على ضمائري فكنت أرى فكري كالبازي الصيود لا يرى كلمة الا أنشب فيها منسره ولا معنى الا شك فيه ظفره فقلت في أسرع وقت

وصلت من الملك المعظم تحفة * ملأت بفاخر درها الاسلاك

أبيات شعر كالنجوم جلالة * فلذا حكت أوراقها الافلاك

عجبا وقد جاءت كمثل الروض اذ * لم تذوها بالحر نار ذكاك

جلت الهموم عن الفؤاد كمثل ما * تجلو بغرتك وجهك الاحلاك

كقميص يوسف اذ شفت يعقوب ريـ * ـياه شفتني مثله رياكا

غالطتني اذ كست جسمي ضنى * كسوة أعرت من اللحم العظاما
ثم قالت أنت عندي في الهوى * مثل عيني صدقت لكن سقاما

وقد أخذه ابن نقادة أخذا قبيحا فقال

غالطتني حين حاكى خصرها * جسمي المرض وجدا وغراما
ثم قالت أنت عندي ناظري * ولعمري صدقت لكن سقاما

وقد أخذه آخر أيضا فقال شكوت صبابتي يوما اليها * وما قاسيت من ألم الغرام
فقالت أنت عندي مثل عيني * لقد صدقت ولكن في السقام

وقد وقع لمؤلفه رحمه الله تعالى هذا المعنى في عروض قصير فقال

غالطتني حين قالت * والجوى يبدي العظاما أنت عندي مثل عيني * صدقت لكن سقاما

ووقع له في هذا النوع أيضا وهي واقعة حال فقال

طابت خصما فلا ذمني * بظالم سفلة معاب وقال ذا في حمى كليب * يصدق لكن من الكلاب

وما أصدق قول ابن أبي حجلة

رؤساؤنا من جاءهم بقصيدة * كانت جوائزهم عليها شكره
واذا طلبت وظيفة من حاكم * فاشرفقدولاك لكن ظهره

وقوله أيضا شكوت الى الحبيبة سوء حظي * وما ألقا من ألم البعاد
فقالت أنت حظك مثل عيني * فقلت نعم ولكن في السواد

ولابي عامر الجرجاني فيه

عذيري من شاطر أغضبوه * بجرد لي من هفا فاتكا
وقال أنا لك يا ابن الحسين * وهل لي رجاء سوى ذلكا

ومثله قول صدر الدين بن الوكيل

وبي من قسا قلبا ولان معاطفا * اذا قلت أدناني يضاعف تبعيدي
أقرّ برق اذ أقول أنا له * وكم قالها يوما ولكن لتهديدي

وللسراج الورّاق أيضا

قالوا وقد ضاعت جميع مصالحي * لهموم دهري ليت لا حملتها
قد كان عندك يا فلان صريمة * فأجبتهم بعت الحمار وبعتها

وله أيضا رحمه الله متمارض جعل التغا * شي من خبائثه سبب
ويقول ما أنا طيب * صدق اللعين وما كذب

وله أيضا وسائل يسأل مني وقد * أنشدت شعرا يشبه الشعري
يقول ان كنت لدى معشر * قد عبدوا البيضاء والصفرا
ما حصلت دائرة بينهم * قلت نعم بطيخة خضرا

وله أيضا لقنته العذر عن تر * ك حاجتي لو تصوّر فقلت أنسيتها والنسيان أمر مقدّر
فقال لست بناس * فقلت مولاي أخبر

وله أيضا وقائل قال لي لما رأى قلقي * لطول وعد وآمال تمنينا
عواقب الصبر فيما قال أكثرهم * محمودة قلت أخشى أن تخرينا

وله أيضا قالت جمعت لفاقة كسلا * فانهض وقم وادأب لهم العائله
فأجبت هل تدري لهم سببا * قالت ولا وتدا وهذي الفاصله

ولابن سناء الملك لهفي على عشاقك الطرش * العمي في عشقك لا العمش

قد أعجزت شعراء أهل زماننا
حسنا فلم لا تعجز الاملاكا
ما كان هذا الفضل يمكن مثله
أن يحتويه من الانام سواكا
لم لا أغيب عن الشآم وهل له
من حاجة عندي وأنت هناكا
أم كيف أخشى والبلاد جميعها
محمية في جاه طعن قناكا
يكفي الاعادي حز بأسك
فيهمو
أضعاف ما يكفي الولي ندا كا
ما زرت مصر لغير ضبط
ثغورها
فلذا صبرت فديت عن رؤياكا
أتم البلاد علا عليها قدرها
لا سيما مذ شرّفت بخطاكا
طابت وحق لها ولم لا وهي قد
حوت المعلي في الفخار أخاكا
أنا كالسحاب أزور أرضا ساقيا
حينا وأمنح غيرها سقياكا
مكثي جهاد للعدو لانني
أغزوه بالرأي السديد دراكا
لولا الرباط وفضله لقصدت بالـ
سير الحثيث اليك نيل رضاكا
ولئن أتيت الى الشآم فانما
يحثني شوقي الى لقياكا
اني لأمنحك المحبة جاهدا
وهواي فيما نشتهيه هواكا
فافخر فقد أصبحت بي
وبباسك الـ
حامي وكل ممالك يخشاكا
لا زلت تقهر من يعادي ملكنا
أبدا ومن عاداك كان فداكا
وأعيش أنظر ابنك الباقي أبا
وتعيش تخدم في السعود أباكا
(ثم عدت الى مكاني) وقد بيضتها

عاشقك القش ولاغروأن * تلتهب النيران فى القش
قالوا لقد أحدث من بعدنا * مالا يرى قلت على الفرش

والشمس الدين محمد التلمسانى اسم حبيبى ومايعانى * قدشغلا خاطرى ولبى
قالوا على فقلت قدرا * قالوا كوافى فقلت قلبى

وما أحسن قول بعضهم
قلت للاهيف الذى فضح الغصن كلام الوشاة ماينبغى لك
قال قول الوشاة عندى ريح * قلت أخشى ياغصن أن يستميلك

ولبعضهم فى معناه وان لم يكن من هذا الباب
تثنى عطفه خطرات دل * اذالم تثنه نشوات راح يميل مع الوشاة وأى غصن * رطيب لايميل مع الرياح

وقدألم به ابن سناء الملك فقال
ياعاطل الجيد الامن محاسنه * عطلت فيك الحشى الامن الحزن
فى سلك جسمى در الدمع منتظم * فهل لجيدك فى عقد بلاثمن
لاتخش منى فانى كالنسيم ضنى * وما النسيم بخشى على الغصن

وقول ابن نباتة هنا غاية وهو
ومليحة فى الحب لما أن رأت * أثر السقام بعظمى المنهاض
قالت تغيرنا فقلت لها نعم * أنا بالسقام وأنت بالاعراض

ولعله من قول السراج الوراق
قال صديق ولم يعدنى * وعارض السقم فى أثر لقد تغيرت ياصديقى * و يعلم الله من تغير

وما أبدع قول ابن نباتة أيضا
أتاركة بالحزن قلبى مقيدا * ودمعى على الخدين وهو طليق
يقولون قد أخلقت جفنك بالبكا * نعم ان جفنى بالبكاء خليق
دعوا الدمع للجفن القريح مؤاخيا * فانى فقدت الخد وهو شقيق

وقوله أيضا مقبل الوجه أدار الطلا * وقال لى فى شربها عاتبى
عن أحمر المشروب ماتنتهى * فقلت ولاعن أخضر الشارب

ولابن الصائغ أيضا عارضنى العذال فى عارض * قالوا بلطف بعد ما أطنبوا
ما آن بالعارض أن تنتهى * قلت ولا بالشيب لاتتعبوا

والشهاب محمود رأتنى وقد نال منى النحول * وفاضت دموعى على الخد فيضا
فقالت بعينى هذا السقام * فقلت صدقت وبالخصر أيضا

ولمحاسن الشواء وهو من أحسن ماوقع فى هذا النوع
ولما أتانى العاذلون عدمتهم * ومافيهم الا للحمى قارض
وقد بهتوا لما رأونى شاحبا * وقالوا به عين فقلت وعارض

ومن هنا أخذ ابن النقيب قوله
ومابى سوى عين نظرت لحسنها * وذاك لجهلى بالعيون وغرتى
وقالوا به فى الحب عين ونظرة * نعم صدقوا عين الحبيب ونظرتى

وأصله من قول الاول وجاؤا اليه بالتعاويذ والرقى * وصبوا عليه الماء من ألم النكس
وقالوا به من أعين الجن نظرة * ولو صدقوا قالوا به نظرة الانس

ولابن الدويدة المعرى من أبيات يخاطب بها من أودع قاضيا مالا فادعى ضياعه فقال

وجليت بزهرها ساحة القرطاس الابيض ورقمتها فلما رآنى السلطان خلد الله ملكه قد عدت قال أحملت شيأ ظنا منه أن العمل فى تلك المدة متعذر وبلوغ الغرض فيها غير متصور فقلت نعم فقال أنشدنا فصمت الناس وحدقت الابصار وأصاخت الاسماع وظن الناس بى الظنون وتراقبوا منى مايكون فاتوالى انشادى حتى صفقت الايدى اعجابا وتغامزت الاعين استغرابا وحين انتهيت الى ذكر مولانا الكامل بأنه المعلى اذا ضربت قداحهم وسردت أمداحهم اغرورقت عيناه لذكره وبان منه مخفى المحبة فأعلن بسره وحين انتهيت الى آخرها فاض دمعه ولم يمكنه دفعه فمد يده مستدعيا للورقة فناولتها الى يد الصاحب فناوله اياها ثم نهض واتحامل الصاحب على هذا الفعل الذى غرربى فى التعريض له أمور كان يقترحها على فأنفذها بين يديه ويخف الامر منها على لذاتى عليه منها أننى كنت معه فى سنة تسع وتسعين وخمسمائة بدمشق فورد كتاب من الملك المنصور محمد ابن الملك المظفر تقى الدين صاحب حماه وقد بعث

ان قال قد ضاعت فيصدق انها * ضاعت ولكن منك يعنى لو تعى
أو قال قد وقعت فيصدق أنها * وقعت ولكن منه أحسن موقع

ومثله قول على بن فضالة أو ابن الرومى

واخوان حسبتهم دروعا * فكانوها ولكن للاعادى
وخلتهم سهاما صائبات * فكانوها ولكن فى فؤادى
وقالوا قد صفت منا قلوب * لقد صدقوا ولكن من ودادى
وقالوا قد سعينا كل سعى * لقد صدقوا ولكن فى فسادى

وما ألطف قول السراج الوراق

شكى رمدا فقلت عساه كلت * لواحظه من الفتكات فينا
وقالوا سيف مقلته تصدى * فقلت نعم لقتل العاشقينا

وللصلاح الصفدى فى القول بالموجب

ولقد أتيت لصاحبى وسألته * فى قرض دينار لامر كانا
فأجابنى والله دارى ما حوت * عينا فقلت له ولا انسانا

وله أيضا رحمه الله

وصاحب لما أتاه الغنى * تاه ونفس المرء طماحه
وقيل هل أبصرت منه يدا * تشكرها قلت ولا راحه

وللنور الاسعردى أيضا

سألت الوزير أتهوى النسا * أم المرد جار واعلى مهجتك
فقال وأبدى انخلاعات لى * كذا وكذا قلت من زوجتك

وله عندما عمى فى آخر عمره

سألت الله يختم لى بخير * فجمله ولكن فى عيونى

وعلى ذكر عماه فما أعذب قوله

ياسائلى لما رأى حالتى * والطرف منى ليس بالمبصر لست أحاشيك ولكننى * سمحت بالعينين للاعور

وهو يشبه قول الجمال بن نباتة

يقولون من وطئ النساء خف العمى * فقلت دعوا قصدى فما فيه من شين
اذا كان شفر العين دون محلها * فعندى أنا الاشفار خير من العين

وقال الصلاح الصفدى

صدق خلى نسمات الصبا * فيما روت عنكم وما شكا
وقال لا أخبر منها بما * جاءت به قلت ولا أزكى

وله أيضا رحمه الله

بدا فى انخد عارضه فأضحى * عليه معنفى باللوم يغرى
وحاول أن يرى منى سلوا * وقال لقد تعذر قلت صبرى

وله

تقول صحى اذا أتى منكم * مشرف بالغت فى شكره
هل يلتقى أكرم من طيبه * قلت ولا أطيب من نشره

وللنور الاسعردى مداعبا للزين الاسعردى

قلت يوما للزين هل تثبت البعث وتنفى انكارهم للحشر
قال اثبت فقلت دفنك فى أستى * قال أدنى فقات فى وسط بحرى

وهو مأخوذ من قول الآخر

جاء فلان الدين فى وجهه * أنف له كاد يواريه قلت له ماذا القضا قال لى * ذا منخرى قلت أنا فيه

ومثله قول الوداعى

وذى دلال أحور أغيد * أصبح فى عقد الهوى شرطى
طاف على القوم بكاساته * وقال ساقى قلت فى وسطى

وحذاق البديع أخلوا هذا النوع من لفظة لكن وخصوا بها نوع الاستدراك ليحصل الفرق بينهما

صحبته نسخة من ديوان شعره فتشاغل بتسويد كتابة جوابه فلما كتب بعضه التفت الى وقال أصنع أبياتا أكتبها اليه فى صدر الجواب واذكر فيها اشعره فقلت له على مثل هذا الحال قال نعم فقلت بقدر ما أنجز بقية النسخة

أيا ملكا قد أوسع الناس نائلا
وأغرقهم بذلا وعمهم عدلا
فدينك ذهب للناس فضلا يزينهم
فقد حزت دون الناس كلهم الفضلا
ودونك فامنعهم من العلم والحجا
كما منعتهم كفك الجود والبذلا
اذا حزت أوفى الفضل عفوا فما الذى
تركت لمن كان القريض له شغلا
وماذا عسى من ظل بالشعر قاصدا
لبابك أن يأتى به قل أو جلا
فلا زلت فى عز يدوم ورفعة
تحوز ثناء يملأ الوعر والسهلا

(قال) وكنت عند المولى الملك الاشرف أبقاه الله تعالى فى سنة ثلاث وستمائة بالرها وقد وردت اليه فى رسالة فأنزلنى بين سمعه وبصره فى بعض دوره بالقلعة بحيث يقرب عليه حضورى فى وقت طلبتى أو ارادة الحديث معى فلم أشعر فى

*ولنذكر طرفا من ترجمة من نسب البيت اليه {وأما ابن الحجاج} فهو أبو عبد الله الحسن بن أحمد البغدادى قال الثعالبى فى حقه هو من سحرة الشعراء وعجائب العصر وفرد الزمان فى فنه الذى شهر به ولم يسبق الى طريقته ولم يلحق شأوه فى نمطه ولم ير كاقتداره على ما يريد من المعانى التى تقع فى طرزه مع سلاسة الالفاظ وعذوبة المعانى وانتظامها فى سلك الملاحة وان كانت مفصحة عن السخافة مشوبة بلغات المحدثين والمولدين وأهل الشطارة لكنه على علاته يتفكه الفضلاء بثمار شعره ويستملح الكبراء بنات فكره ويستخف الادباء أرواح نظمه ويحتمل المحتشمون فرط رفثه وقذعه ومنهم من يغلو فى الميل الى مايضحك ويمتع من نوادره ولقد مدح الملوك والامراء والرؤساء فلم يخل قصيدة فيهم عن سفائح هزله ونتائج فحشه وهو عندهم مقبول الجملة غالى مهر الكلام موفور الحظ من الاكرام والانعام مجاب الى مقترحه من الصلات الجسام والاعمال المجدية التى ينقلب منها الى خير حال وكان طول عمره يعيش فى أكنافهم عيشة راضية ويستثمر نعمة طافية صافية فمن نظمه قوله يصف نفسه

حدث السن لم يزل يتلهى * علمه بالمشايخ العلماء
خاطر يصفع الفرزدق بالشعـ * ـر ونحو ينيك أم الكسائى

وقوله
ترانى سا كنا حانوت عطر * فان أنشدت ثار لك الكنيف

وقوله
شعرى الذى أصبحت فيـ * ـه فضيحة بين الملا
لا يستجيب لخاطرى * الا اذا دخل الخلا

ومن ملحه أنه دعا يوما مغنية وكانت قبيحة المنظر فلما دارت الكؤس تساكرت عليه وتناومت وهو جالس فقال

خطت البظراء لما * عاينت مفتاح ديرى
ورجت منى خيرا * قلت لا ترجين خيرى
اقعدى عنى وهذا * فافعليه مع غيرى
أنت فى دعوة أذنى * لست فى دعوة أيرى

(وحضر) يوما مع صديق له يكنى أبا الحسين فى دار رجل بخيل فالتمس أبو الحسين العشاء بعد الغداء فقال

ياسيدى ياأبا الحسين * أنت رقيع بنقطتين
ياكلب الضرس لن يداوى * ضرسك الا بكلبتين
ويحك قل لى جننت حتى * تلتمس الخبز مرتين
فى دار من خبزه عليه * ألف رقيب بألف عين

(وحضر) فى دعوة رجل آخر فأخر الطعام الى المساء فقال

ياصاحب البيت الذى * ضيفانه ماتوا جميعا
حصلتنا حتى نمو * ت بدائنا عطشا وجوعا
مالى أرى فلك الرغيـ * ـف لديك مشترفا رفيعا
كالبدر لا نرجو الى * وقت المساء له طلوعا

وصار صاحب الدعوة يجىء ويذهب فى داره فقال

ياذاهبا فى داره جائيا * لغير ما معنى ولا فائده
قد جن أضيافك من جوعهم * فاقرأ عليهم سورة المائده

وكان بعض أصحاب الدواوين يطالبه بحساب ناحية قد كان وليها فكتب اليه

أيا من وجهه قمر منير * يضىء لناظر تحته سحاب
اذا حضر الحساب أعدت ذكرى * وتنسانى اذا حضر الشراب
أجبنى بالقانى والمثانى * ووجهك انه نعم الجواب
وكلنى فى الحساب الى اله * يسامحنى اذا وضع الحساب

وكان له صديق له ابن يكنى أبا جعفر وكان مشتهرا بالقحاب فسأله أن يعاتبه ويشير عليه بالتزوج فكتب اليه

اياك والعفة اياكا * اياك أن تفسد معناكا
أنت بخير ياأبا جعفر * مادمت صلب الأير نياكا
فنك ولو امك واصفع ولو * أباك ان لامك فى ذاكا

وكان الرئيس أبو الفضل والوزير أبو الفرج قد دخلا الديوان لعقوبة أصحاب الوزير المهلبى عقب موته وأمرا بأن تلوث ثياب الناس بالنفط ان قربوا من الباب وكان المهلبى قد فعل مثل هذا فحضر ابن الحجاج فحجب وخاف من النفط فانصرف وقال

الصفع بالنفط فى الحجاب * مالم يكن قط فى حسابى
ليس يقوم الوصول عندى * مقام خطين من ثيابى

بعض الليالى وأنا نائم فى فراشى الا وهو قائم على رأسى والسكر قد غلب عليه والشموع تزهو بين يديه وقد حفت به مماليكه كأنهم الاقمار الزواهر فى ملابس كرياض ذات أزاهر فقمت مسرعا فأمسكنى وبادر بالجلوس الى جانبى ومنعنى من القيام عن الوساد وأبدى من جميله ما أبدلنى بالنفاق بعد الكساد ثم قال غلبنى الشوق اليك ولم أرد بازعاجك التثقيل عليك ثم استدعى من بمجلسه من المغنين فحضروا وأخذوا من الغناء فيما يملأ المسامع التذاذا ويجعل القلوب من الوجد جذاذا وكان له فى ذلك الوقت مملوكان هما نيرا سماء ملكه وواسطتا درّ سلكه وقطبا فلك طربه وزهوه وركنا بيت سروره ولهوه وكانا يتناوبان فى خدمته فحضر أحدهما فى تلك الليلة وغاب الآخر وكان كثيرا ما يداعبنى فى شأنهما ويستدعى منى القول فيهما والكلام فى التفضيل بينهما فصنعت فى الوقت

ياما لكا لم يحك سيرته * ماض ولا آت من البشر
اجمع لنا تفدك أنفسنا * فى الليل بين الشمس والقمر

(فطرب) وأمر فى الحال باستدعاء الغائب منهما

يارب

يارب من كان سنّ هذا * فزده ضعفا من العذاب

وكان ابن شيرزاد قد صارع السبع فقتله ثم عاد لمثله فكتب اليه ابن الحجاج يقول

يامن الى مجده انقطاعى * ومن به أخصبت رباعى
قد زاد خوفى عليك جدّا * وعظم الأمر فى ارتياعى
فى كل يوم سبع جديد * ينفر من ذكره استماعى
تغدو اليه بلا احتشام * ولا انقباض ولا امتناع
وليس قتل السباع مما * يدرك بالختل والخداع
ان صراع السباع عندى * حاشاك ضرب من الصراع
اعدل الى الكأس والندامى * والاكل والشرب والسماع
وأمرد جامع لشرط الـ * ـعناق والبوس والجماع
بلى أجمع لى السباع واطرح * خصمى فى بركة السباع

وقلده الوزير ناحية فخرج اليها يوم الخميس وتبعه كتاب الصرف يوم الاحد فكتب اليه

يامن اذا نظر الهلا * ل الى محاسنه سجد واذا رأته الشمس كا * دت أن تموت من الحسد
يوم الخميس بعثتنى * وصرفتنى يوم الاحد فالناس قد غنوا على * كما رجعت الى البلد
ما قام عمرو فى الولا * ية ساعة حتى قعد

ومن شعره فى بوّاب أعور حجبه عن رئيس

سمعت فيمن مات أو من بقى * بقبح بوّابه أعور
واللوزة المرّة ياسيدى * يفسد فى الطعم بها السكر

ومنه أيضا

انى ابتليت بأقوام مواعدهم * تزيد فوق الذى ألقاه من محن
ومن يذق لسعة الافعى وان سلمت * منها حشاشته يفزع من الرسن

وقال

فقر وذل وخمول معا * أحسنت ياجامع سفيان

وكتب الى أبى أحمد بن ثوابة وقد شرب دواء مسهلا

ياأبا أحمد بنفسى أفديـ * ـك وأهلى من سائر الاسواء
كيف كان انحطاط جعصك فى طا * عة شرب الدواء يوم الدواء
كيف أمسى مسال مبعرك النذ * ل خضيبا بالمرّة الصفراء
ياأبا أحمد ونعصك عندى * واجب للاخاء فاحفظ اخاءى
رب ريح يوم الدواء دور * شوّشت فى عصاعص الاغنياء
قدّروها فساوقد كمن الجعـ * ـص لهم فى مهب ذاك الفساء
فاذا الفرش فى خليج سلاح * ذائب فى قوام جسم الماء
فاتق الله ان تغترك ريح * عصفت فى جوانب الاحشاء
لا تنفس خناق سرمك عنها * أو تخلى سبيله فى الخلاء
والغداء الغداء فاحذر بأن تفـ * ـسو فوق الفراش بعد الغداء
احترس انها نصيحة كهل * حنكته تجارب الآراء
غير انى أصبحت أضيع فى القو * م من البدر فى ليالى الشتاء

وقال يعاتب أبا الفضل أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن على قبوله دعوى من ادّعى عنده أنه هجاه وأبو الفضل يومئذ بشيراز وابن الحجاج ببغداد

ياسامع الزور وبهتانه * ودافع الحق وبرهانه

فحضر والنوم قد زاد أجفانه تفتيرا ومعاطفه تكسيرا فقلت بين يديه بديهيا فى صفة المجلس

سقى الرحمن عصرا قد مضى لى * بأكناف الرها صوب الغمام
وليلا باتت الانوار فيه * تعاون فى مدافعة الظلام
فنور من شموع أو ندامى * ونور من سقاة أو مدام
يطوف بأنجم الكاسات فيه * سقاة مثل أقمار التمام
ترى لك به الكؤس جمود ماء * فتحسب راحها ذوب الضرام
يميل به غصونا من قدود * غناء مثل أصوات الحمام
فكم من موصلىّ فيه يشدو * فينسى النفس عادية الحمام
وكم من زلزل للضرب فيه * وكم للزمر فيه من زنام
كذا موسى بن أيوب المرجى * اذا ماضن غيث بانسجام
ومن كمظفر الدين المليك الـ * أجل الاشرف الندب الهمام
فاشمس تقاس الى نجوم * تحاكى قدره بين الكرام
فدام مخلدا فى الملك يبقى * اذا ماضن دهر بالدوام

(فلما) أنشدتها قام فوضع فرجية من خاص ملابسه كانت عليه على كتفى ووضع شربوشه بيده على رأس مملوك صغير كان لى (قال) ومررت أيضا عليه وقد أنفذنى السلطان خلد الله تعالى ملكه فى رسالة الى

عجبت من رأيك فىّ الذى * أنكرنى من بعد عرفانه
فكيف تخشى ذمّ من مدحه * فيك يرى أوّل ديوانه
ومن له فى شعره مذهب * ذكرك منه نور بستانه
تمضى لياليه وأيامه * وسرّه فيك كاعلانه
ولست بالساكن فى منزل * ينبو ولو يوما بسكانه
ولا الذى يرهب فى الحق من * سلطان ذى عز لسلطانه
قل للذى حهز فى السعى بى * تجارة عادت بخسرانه
ياذا الذى لا بدّ من صنعه * ألفاو من تعريك آذانه
لا تغترر أنك من فارس * فى معدن الملك وأوطانه
لو حدّثت كسرى بذا نفسه * صفعته فى جوف ديوانه

وقال يهجو بخيلا

وذى همة فى حضيض الكنيف * وقرنين فى فلك المشترى
دخلت عليه انتصاف النهار * على غفلة حين لم يشعر
وبين يديه رغيفان مع * سكرجة كأن فيها مرى
فلما قعدت فسافسوة * فلم تخط عصفتها منخرى
وأقبل يضرط فى اثرها * فقلت أقوم والا خرى

وقريب منه قول الآخر

تغير اذ جئته للسلام * وأرعد لما رآنى دخلت
فقلت له لا يرعك الدخول * فلا جئت والله حتى أكلت

وقال فى صديق عاتبه على هفوة فاستدركها بشرّ منها

لى صديق جنى علىّ مرارا فأكثرا * ثم لما عتبته * غسل البول بالخرا

وقال فى انسان مات بالقولنج

يا أيها الثاوى الذى * أفلح لو كان خرا * لمثل ذا اليوم يقا * ل من خرى فقد برا

ومن مجونه الحسن أيضا قوله

قالت وقد قامت اعبثى لى به * يوما وقد قامت وقد ناما * لو كان اسرافيل فى راحتى * ينفخ فى أيرك ما قاما

ومثله قوله أيضا فى المحون

تقول لى وهى غضبى من تدللها * وقد دعتنى لشئ ربما كانا
ان لم تنكنى نيك المرء زوجته * فلا تلمنى اذا أصبحت قربانا
كأن أيرك شمع فى رخاوته * فكلما عركته راحتى لانا

وقد تبعه السراج الورّاق فقال

طوت الزيارة اذ رأت * عصر المشيب طوى الزيارة
ثم انثنت لما انثنى * بعد الصلابة كالحجاره
وبقيت أهرب وهى تسأل * حارة من بعد جاره
وتقول يا ستى استرحت * نا لا سراج ولا مناره

وقال أيضا

اذا يئس المرء من ايره * رأت عرسه اليأس من خيره
ومن كان فى سنه طاعنا * فقد عدم الطعن فى غيره

وقال أيضا

ياقوم عالجت أيرى * بالحشو لما تكعك * ولم يصح ودادى * من غادة مذ توعك

وقال أيضا

قام فلما دنوت منها * نام وما مثل ذاك حجله
وكل كفى لفرط جذبى * له وما للجبان حمله

الموصل فى سنة سبع وستمائة فلما عدت أمسكنى عنده نحو شهر بالرها وجرت لى عنده بدائه كثيرة من جملتها أنه غنى بين يديه بشعر أعجمى ليس على أوزان العروض فأعجبه واقترح علىّ أن أصنع له على وزنه ليغنى له به ما يفهمه وأرسل الىّ بذلك فعملت فى الوقت بالمعنى الذى اقترحه

مالذة المعنى
الامدامته
ووصل من عليه
قامت قيامته
ظبى صريعه
ما ترجى سلامته
وال على غرامى
دامت ولايته
فى السلم لينه
وفى الهيجا صرامته
كالسيف مقلتاه
كالرمح قامته
كالبدر وجهه
والاصداغ هالته
كالغصن حين تز
هو به غلالته
كالليث حين تبـ
دو عليه لامته
وليس مثل قلـ
ـبى تحنى سآمته
ان الوفاء منه
والصبر عادته
ولا غى عليه
بانت لآمته
كالريح لم تؤثر
عندى ملامته

واصبعى

واصبعي لاتزال جنبا * له ولاهمة لسفله
فزحزحت وانثنت وقالت * قوموا انظروا عاشقا وصله
فقلت هذا لفرط حبي * قالت دع الترهات بالله
قلت أقيم الدليل قالت * لو قام ما احتجت للأدله

وقال الشهاب بن جلنك

وعلق من بني الاتراك ألمى * له عينان وكلتا بهتكي
ظفرت به على غزّ الليالي * فلم يدخل وأكثر في الشكي
يقول حميرة ادفعني عليه * ولا تجزع وهان على صكي
فلم أدفع عليه فظل ابري * يقبل باب مفساه ويبكي

وقال آخر

ورب علق قال لي مرّة * يريد توبيخي على ظنه
ايرك هذا مات قلت انحني * كرامة الميت في دفنه

وعكس ذلك ملغزا فيه

وصاحب مازلت دهري له * كل مليح أتمناه
يعجبني الشئ فاختاره * له بجهد علم الله
ان مات لا يمكنني دفنه * وان يعش يوما دفناه

وقال الصلاح الصفدي مضمنا

لي أير ينام لوما وشوما * ان أتانك من حبيب وصالا
واذا ما غدوت في البيت فردا * طلب الطعن وحده والنزالا

وللسراج الوراق مضمنا أيضا

عهدي بأيري وهو فيه تيقظ * كم قام منتصبا اذا نبهته
والآن كالطفل الصغير بعهده * يزداد نوما كلما حركته

وقال غيره أيضا

تعقف فوق الخصيتين كأنه * رشاء على رأس الركية ملتف
كفرخ له يومان يرفع رأسه * الى أبويه ثم يسقطه الضعف

(ولنرجع الى شعر ابن الحجاج) ومنه وهو من هذه المادة

أسوّ عليه ممددا فوق الخصى * شبه العليل فديته من نائم
طمع الغواني في انتظار قيامه * طمع الروافض في انتظار القائم

وقال وهو في غاية الحكمة لما رأته قائما صعقت * كذلك الناس مع القائم

وقال من قصيدة وقد راوده بعض الوزراء على الخروج للقتال

أهوى انحداري والحزم يكرهه * وتارك الحزم يركب الغررا
لانني عاقل ويعجبني * لوم بيتي وأكره السفرا
الخيس نصف النهار يعجبني * والماء في الكوز باردا حصرا
والشرب في روشني أقول به * كأرى الشمس منه والقمرا
ولا أقود الخيل العتاق بلى * أسوق وسط الازقة البقرا
من كل جاموسة يقبلها * رأس بقرنيه يقلع الحجرا
قد نفخ الشحم بطنها فغدا * كأنه بطن ناقة عشرا
أحسن في الحرب من صفوفكم * عندي قعودي أصفف الطررا
هيهات أن أحضر القتال وأن * ترى بعينيك فيه لي أثرا
بل الذي لا يزال يعجبني الـ * ـتدبيب في الليل خائفا حذرا
آتي الى تلك وهي نائمة * وذا الى ذاك بعد ما سكرا

فقم أدر شرابا
لذت مرارته
قد جعلت الدياجي
عنا انارته
فما السرور عندي
الا ادارته
وأنفذته اليه وهو في مجلس أنسه مع مملوك لي للوقت فعاد مخلوعا عليه خلعة خاصة

﴿الفصل الثاني فيما وقع من بدائع البداءة من غير اقتراح﴾

(روى) أن مرة بن محكان السعدي سعد تميم قدم بين يدي مصعب بن الزبير أيام ولايته العراق لاخيه عبد الله بن الزبير وأظن ذلك بعد وقعة الحفرة ودخول مصعب البصرة فأمر رجلا من بني أسد بقتله فقال مرة ابن محكان بديها

بني أسد ان تقتلوني تحاربوا
تميما اذا الحرب العوان اشمعلت
ولست وان كانت الي حبيبة
بباك على الدنيا اذا ما تولت

(وذكر الطبري) أن الوليد ابن عبد الملك أو سليمان مضى الى الحج فلما وصل الى المدينة أتى له بجماعة من

وضجة النيك كلما اضطرطت * واحدة تحت واحد نخرا

وقول بعض المميزين وقد * خش فساا بأنفه سحرا

فى جحص هذا فطوره وأرى * ان خراذاك بعدما اختمرا

الدف يوم الصبوح يعجبنى * والبوق والناى كلما زمرا

وحربتى كلما رميت بها * مقتل سرم خضبتها بخرا

هذا اعتقادى وهكذا أبدا * أرى لنفسى فأنت كيف ترى

ومن شعره قوله أيضا

قد وقع الصلح على غلتى * فاقنسموه كارة كاره

لا يدبر البقال الا اذا * تصافح السنور والفاره

وهذا مثل العوام يقولون فى مصالحة السنور والفار خراب بيت العطار وقال من أخرى

فديت بى ياسيدى وحدى * وعشت ألفى سنة بعدى

قد رحل النرجس فاشرب على * محاسن المنثور والورد

من لى بها عندك مشمولة * قد أصبحت معدومة عندى

عزجها لى رشأ أغيد * بريقه أحلى من الشهد

نهاية الحر بجس استه * وريقه فى غاية البرد

جنى من البستان لى وردة * أحسن من انجازه وعدى

فقال والوردة فى كفه * مع قدح أذكى من الند

اشرب هنيأ لك ياعاشق * ريقى من كفى على خدى

وقال أيضا

فتاة ماعر فناقط منها * بحمد الله الا كل خير

فاتهوى سوى آيار شهرا * وليس أمامها غير الزبير

وقال من أخرى

صبية بظرها بجنبى * يبيت مثل الصبى المخضب

مفعول باب استها بار الشفاعل فوق الفراش ينصب

وسرمها أمس كان غرّا * لم يتفقه ولا تأدب

فاليوم قد صار منذ قاسى * أيور أهل الزنا وجرّب

اذا رأى الاير من بعيد * بوق فى وجهه ودبدب

وديوان شعره كبير جدا وفيما أوردناه منه مقنع وكانت وفاته يوم الثلاثاء السابع والعشرين من جمادى الاخيرة عام احدى وتسعين وثلاثمائة بالنيل وهو نهر وبلد معروف بأرض العراق مخرجه من الفرات وعليه قرى كثيرة حفره الحجاج بن يوسف وسماه باسم نيل مصر ثم حمل ابن الحجاج الى بغداد ودفن عند مشهد موسى بن جعفر الصادق وأوصى بان يدفن عند رجليه وأن يكتب على قبره وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد وكان من كبار الشيعة المغالين فى حب أهل البيت قال أبو الفضل بن الخازن رأيت أبا عبد الله بن حجاج فى المنام بعد موته فسألته عن حاله فأنشدنى

أفسد حسن مذهبى * فى الشعر سوء المذهب وحملى الجذع على * ظهر حصان اللعب

لم يرض مولاى على * سبى لأصحاب النبى وقال لى ويلك يا * أحمق لم لم تتب

من سب قوم من رجا * ولاءهم لم يخب رمت الرضى جهلا بما * أصلاك نار اللهب

قال هبة الله بن الدباس أنشدنا ابن الخازن هذه الابيات بحضر جماعة من أهل الادب فقالوا والله انها لنفس ابن حجاج وكتبوها عنه ولما مات رثاه الشريف الرضى الموسوى بقصيدة منها

نعوه على حسن ظنى به * فلله ماذا نعى الناعيات

رضيع ولاء له شعبة * من القلب مثل رضيع اللبان

أسرى الروم ففرقهم على أشرافها ليقتلوهم فأعطى عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم أسيرا منهم ليقتله فقام وحسر عن ساعديه وطلب سيفا فلم يجسر أحد أن يعطيه سيفا فناوله بعض الحرس سيفا كليلا فضرب به الاسير ضربة أطارت رأسه وبعض كتفه فعجب الناس وقالوا ماقطعها الا حسبه ثم أعطى أسيرا لجرير فقام اليه فدس اليه بعض بنى عبس سيفا صارما فضرب به الاسير فأطار رأسه ثم أعطى أسيرا للفرزدق فدس اليه بعض بنى عبس سيفا كهاما فلما ضرب به الاسير نبا فضحكوا وخجل الفرزدق ثم قال ياأمير المؤمنين هبه لى ففعل فأعتقه ثم قال مرتجلا يعتذر ويعير بنى عبس

فان يك سيف خان أوقدر نبا
لتأخير نفس حينها غير شاهد
فسيف بنى عبس وقد ضربوا به
نبا بيدى ورقاء عن رأس خالد
كذاك سيوف الهند تنبو ظباتها
وتقطع أحيانا مناط القلائد

وما كنت أحسب أن الزمان * يفل مضارب ذاك اللسان
بكيتك للشرد السائرات * تعنق ألفاظها بالمعانى
ليبك الزمان طويلا عليك * فقد كنت خفة روح الزمان

وأما محمد بن ابراهيم الاسدى فقد ذكره العماد الكاتب فقال هو من أهل مكة لقى أبا الحسن التهامى فى صباه ومولده بمكة المشرفة ومنشأه بالحجاز وتوجه الى العراق وخدم الوزير أبا القاسم المغربى ثم بلغ خراسان وعمر الى أن بلغ حد المائة ولقى القرن بعد القرن والفئة بعد الفئة وتوفى بغزنة سنة خمسمائة ومن شعره

كفى حزنا انى خدمتك برهة * وأنفقت فى مدحيك شرخ شبابى
فلم يرلى شكر بغير شكاية * ولم يرلى مدح بغير عتاب

(الطراد)

﴿ان يقتلوك فقد ثللت عروشهم * بعتيبة بن الحرث بن شهاب﴾

البيت من الكامل وهو لربيعة من بنى نصر بن قعين يرثى ذؤابا ابنه ويقال قائله داود بن ربيعة الاسدى وبعد البيت

باجبهم فقصدا الى أعدائه * وأشدهم فقدا على الاصحاب

والثل الهدم يقال ثل الله عروشهم أى هدم ملكهم ويقال للقوم اذا ذهب عزهم وتضعضع حالهم قد ثل عرشهم والمعنى ان تبجعوا بقتلك وصاروا يفخرون به فقد أثرت فى عزهم وهدمت أساس مجدهم بقتلك رئيسهم عتيبة بن الحرث وكان من خبر قتله ما حكاه أبو عبيدة (والشاهد فيه) الاطراد وهو أن يأتى الشاعر باسم الممدوح أوغيره وأسماء آبائه على ترتيب الولادة من غير تكلف ومنه قوله عليه الصلاة والسلام الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم ومن شواهده الشعرية قول دريد بن الصمة يرثى أخاه عبد الله

قتلنا بعبد الله خير لداته * ذؤاب بن اسماء بن زيد بن قارب

(يروى) أن سبرة بن عياض الجشمى أنشد عبد الملك بن مروان قصيدة دريد التى منها هذا البيت فلما وصل اليه قال كاد يبلغ به آدم ولما وصل الى قوله منها

ولولا سواد الليل أدرك رهطنا * بذى الرمث والارطى عياض بن ناشب

قال عبد الملك ليت الليل أمهله ساعة أو قال وددت انه كان بقى عليه فواق من النهار ومنه قول الاعشى

أقيس بن مسعود بن قيس بن خالد * وأنت امرؤ ترجو بقاءك وائل

وقول الحرث بن دوس الايادى

وشباب حسن أوجههم * من اياد بن نزار بن معد

وقول أبى تمام الطائى

مناسب تحسب من سردها * منازلا للقمر الطالع
كالدلو والحوت واشراطه * والبطن والنجم الى التالع
نوح بن عمرو بن حوى بن عمرو بن حوى ابن الفتى المانع

فأتى ببستة وقابلها بستة لولا أنه نغص بذكر الفتى فى سادس جد ولم يرد فتى السن وانما أراد الفتوة ولكنه موهم والتالع الدبران كأنه تلع جيده أى مده وقوله أيضا وهو ظاهر التكلف الذى يأباه الاطراد

عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب بن سعد سكهم لا يفهم

وقال الآخر

من يكن رام حاجة بعدت عنه وأعيت عليه كل العياء
فلها أحمد المرجى بن يحيى بن معاذ بن مسلم بن رجاء

وقال ابن دريد وجمع ثمانية أسماء فى بيت واحد

فنعم أخو الجلى ومستنبط الندا * وملجأ محزون ومفزع لاهث
عباد بن عمرو بن الحليس بن عامر بن زيد بن مذكور بن سعد بن حارث

وقول بعضهم فى تهنئة الصاحب بن عباد

غيرهم بنبو سيف ورقاء بن زهير بن جذيمة عن رأس خالد بن جعفر الكلابى قاتل أبيه زهير وقد كان ضربه عدة ضربات وهو ملق نفسه على زهير فلم يصنع شيأ وفى ذلك يقول جرير يهجو الفرزدق

بسيف أبى رغوان سيف مجاشع * ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم

(فاجابه الفرزدق بقوله)

ولا نقتل الاسرى ولكن نفكهم * اذا أثقل الاعناق حمل المغارم

(وروى) أنه سكر يوما فتكشف فمرت به امرأة فسخرت منه فأنشأ يقول

وأنت لو باكرت مشمولة * صهباء مثل الفرس الاشقر
عدت وفى رجليك ما فيهما * وقد بدا اهنك من المئزر

(وروى أبو العراف) قال ان الحجاج قال لجرير والفرزدق وهو فى قصره بجزيرة البصرة ائتيانى فى لباس آبائكما فى الجاهلية فلبس الفرزدق الديباج والخز وقعد فى قبة وشاور جرير دهاة بنى يربوع

تهى ابن عباد بن عباس بن عبد الله نعمى بالكرامة تردف

وقول الاديب يعقوب بن أحمد النيسابورى فى السيد أبى القاسم على بن موسى الموسوى

يقولون فى هل للمكارم والعلا * قوام ففيه لو علمت دوامها
فقلت لهم والصدق حلق ألفته * على بن موسى الموسوى قوامها

وقوله فيه أيضا
يقول صديق ألا دلنى * على برمك الجود أو حاتم
فقلت وأقسمت رب العلا * على بن موسى أبو القاسم

وقول الباخرزى من قصيدة يمدح بها أبا الحسن محمد بن الحسين بن طلحة

أبا الحسن السيد الاريحى * محمد بن الحسين بن طلحه

وقول أمية فى القاضى منصور بن محمد الازدى

قالت تفتش عن أولى الجد * من فى الانام لطالب الرفد
فأجبت قاضينا وسيدنا * منصور بن محمد الازدى

وقول الاديب أبى الحكم مالك بن المرحل يمدح الفقيه الفاضل أبا عبد الله بن يربوع

صحبت فى عمرى ناسا أولى حسب * حازوا الثناء بموروث ومطبوع
فلم أجد فاضلا فيما صحبت سوى * محمد بن أبى العيش بن يربوع

وقول ابن باتلين من أبيات

لاموا على ظماى اليك فادروا * فى ماء خدك ما حلاوة موردى
طورا أحيى بالاقاح وتارة * فى الخد بالريحان والورد الندى
وجه كاسفر الصباح وحوله * حسنى بقايا جنح ليل أسود
وكأنما خاف العيون فألبست * وجناته زرد المخافة معتدى
أنى يخاف من استجار بمحبة * بمحمد بن على بن محمد

وقول السراج الوراق فى ولد هذا الممدوح وهو أكمل مما قبله

فله الجمال غدا بغير منازع * ولى الجوى فيه بغير قسيم
وكذا العلا لمحمد بن محمد بن حسن على بن محمد بن سليم

وقول ابن أبى الاصبع
أجل ملك الى العلياء منسوب * محمد بن أبى بكر بن أيوب

ولمؤلفه فيمن ألف الكتاب باسمه الكريم

فاق جميع الاقران * وساد كل الاعيان
ولم يفته فضل * بل زاد فوق الاحسان
أبو البقاء بن يحيى بن حسن شاكر بن الجيعان

ومنه ما كتبه مجد الدين بن الظهير الحنفى على اجازة

أجاز ما قد سألوا * بشرط أهل السند
محمد بن أحمد بن حسن عمرو بن أحمد

ولابى جعفر الاندلسى فى مثله أيضا

أذنت أن يرووا جميع ما به * حدثنى كل امام سالك
يقول ذا متبعا لشرطه * أحمد بن يوسف بن مالك

ومن البديع فيه قول ابن معابا الشاعر يمدح الخليفة بالاندلس ادريس بن حمود من أبيات

وكأن الشمس لما أشرقت * فانثنت عنها عيون الناظرين
وجه ادريس بن يحيى بن على بن حمود أمير المؤمنين

وكان هو فى حالة الانشاد وراء الحجاب على عادة خلفائهم فى ذلك فلما بلغ الى قوله

انظرونا نقتبس من نوركم * انه من نور رب العالمين

أمر برفع الحجاب حتى نظر اليه ومن المجون فيه قول ابن مهدى الكسروى فى ضرطة وهب بن سليمان

وشيوخهم فقالوا ما البأس آباؤنا الا الحديد فلبس درعا وتقلد سيفا وتأبط رمحا وركب فرس العباد بن الحصين الحبطى وأقبل فى أربعين فارسا من بنى يربوع وجاء الفرزدق فى هيئته فقال جرير

لبست سلاحى والفرزدق لعبة
عليه وشاحا كرج وخلاخله
أعدوا مع الخز الملاب فانما
جرير لكم بعل وأنتم حلائله

ثم رجعا فوقف جرير فى مقبرة بنى حصين ووقف الفرزدق وقد أبن جرير عليه (وروى) أن الحجاج لما أتى بالحكم بن المنذر الجارود وقال أنت الذى قال فيك الشاعر

ياحكم بن المنذر الجارود
سرادق العز عليك ممدود

قال نعم قال والله لأجعلن سرادقك السجن فقال الحكم مرتجلا

متى ما أكن فى السجن فى حبس ماجد
فانى على ريب الزمان صبور
فلو كنت خفت النكث والغدر لم أجب
دعاك ولو منك الأمان غرور

ان وهب بن سليما * ن بن وهب بن سعيد حمل الضرطة الرى على ظهر البريد
فى مهمات أمور * منه بالركض الشديد استه تنطق يوم الجحـ * فل بالامر الرشيد
لم يجد فى القول فاحتا * ج الى دبر مجيـــد

وضرطة وهب هذا ذاع أمرها وشاع ذكرها وأكثر شعراء عصره من النظم فيها بما الاعراض عن ذكره أليق والاضراب عن نشره أنسب (ذكر) على بن يحيى قال ما رأيت أظرف من سليمان بن وهب ولا أحسن أدبا خرجنا نتلقاه عند قدومه من الجبل مع موسى بن بغاء فقال هات الآن حدثنى يا أبا الحسن بعجائبكم وما أظنك تحدثنى بأعجب من خبر ضرطة وهب بحضرة القاضى وما سير من خبرها وما قيل فيها ومن العجائب أنها بشهادة القاضى فليس يزيلها الانكار وجعل يضحك وسليمان بن وهب هذا تنقلت به الاحوال الى أن استوزره المهتدى ثم قبض عليه الموفق أخو المعتمد وعلى ابنه عبيد الله بعد ان استكتبهما فنكبهما ومات سليمان فى محبسه ورثاه الشعراء بمراث كثيرة والله أعلم

شاهد الجناس المستوفى

﴿ماما مات من كرم الزمان فانه * يحيى لدى يحيى بن عبد الله﴾

البيت لابى تمام من قصيدة من الكامل يمدح بها أبا الغريب يحيى بن عبد الله أولها

احدى بنى عمرو بن عبد مناه * بين الكثيب الفرد فالامواه
ألق النصيف فأنت خاذلة الهوى * أمنية الخالى ولهو اللاهى
ريا يعارض خصرها أردافها * وتطيب نكهتها بلا استنكاه
عرضت لنا يوم اللوى فى خرد * كالسرب حولى ولعس شفاه
بيض يلوح الحسن فى وجناتها * والملح بين نظائر أشباه
لم تجتمع أمثالها فى موطن * لولا صفات فى الكتاب الناهى
ومفنـــد لو اقمة نهنهته * عن ملفظ لعـــدوه نجاه
ومؤنب لى كى أفيق واننى * لاصم عن ياه وعن يهياه
دعنى أقم أود الشباب بوصلها * ان الشفاه بها لغير شفاه
فاذا انقضت أيام تشييع الصبا * أظهرت توبة خاشع أواه
ومعاود للبيـــد لا يهفو به * هاف ولا يزهاه فيها زاه
مهـــد لالطاف الثناء الى فتى * كالبدر لا صلف ولا تياه
لابى الغريب غرائبا من مدحتى * فى غير تعقيد ولا استكراه

وبعده البيت وبعده كالسيف ليس بزمل شهدارة * يوما ولا معضوبة جباه

وهى طويلة والزمل بضم الزاى وتشديد الميم الجبان الضعيف والشهدارة بالكسر الفاحش والنمام المفسد بين الناس والقصير والغليظ (والشاهد فيه) الجناس المستوفى وهو أن يكون اللفظان المتفقان من نوعين كاسم وفعل ومن الشواهد الشعرية عليه قول محمد بن عبد الله بن كناسة الاسدى الكوفى وهو ابن أخت ابراهيم بن أدهم رحمهما الله

وسميته يحيى ليحيى فلم يكن * الى رد أمر الله فيــه سبيل
تفاءلت لو يغنى التفاؤل باسمه * وما خلت فألا قبل ذاك يفيل

ومن ملح هذا النوع قول ابن الرومى

للسود فى السود آثار تركن بها * وقعا من البيض يثنى أعين البيض

وقول أبى الفتح البستى فى السلطان يمين الدولة

بسيف الدولة اتسقت أمور * رأيناها مبددة النظام
سما وحمى بنى سام وحام * فليس كمثله سام وحام

وقوله أيضا

قلت لطرف الطبع لما ونى * ولم يطع أمرى ولا زجرى

لقد كنت دهرا لا أخوف بالتى
أخاف ولا يسطو على أمير
فقال الحجاج لله أبوك ان زعارة العرب لبينة فيك خلوا سبيله (وروى عن عبد الاعلى الشيبانى) أن حماد عجرد ومطيع بن اياس اجتمعا فى مجلس محمد بن خالد وهو أمير الكوفة للسفاح فتمازحا فقال حماد

يا مطيع يا مطيع
أنت انسان رقيع
وعن الخير بطىء
والى الشر سريع

(فقال مطيع)

ان حماد اللئيم
سفلة الاصل عديم
لا تراه الدهر الا
بين العير يهيم

فقال له حماد ويحك أترمينى بدائك والله لولا كراهتى لتمادى الشر ولجاج الهجاء لقلت لك قولا يبقى ولكن لا أفسد مودتك ولا أكافئك الا بالمدح ثم قال

كل شىء فداء
لمطيع بن اياس
رجل مستملح فى
كل لين وشماس

مالك لاتجرى وأنت الذى * تجرى مدى العلياء اذ تجرى
فقال لى دعنى ولا تؤذنى * الى متى أجرى بلا أجر

وقول على بن أحمد الحلبى البديهى الملقب بنقيب الشعراء من أبيات وهى

فعاطنى قهوة صهباء صافية * بها تطاير عن قلبى الجوى شفقا
من كف ساق اذا ماجاء ناقسق * دعى الى حبه أهواء من فسقا

وقول الغزى أيضا لم تلق غيرك انسانا تلوذ به * فلا برحت لعين الدهر انسانا

وقول الصفى الحلى فى مطلع قصيدة امتدح بها الملك الناصر حسنا وهو

أسبلن من فوق النهود ذوائبا * فتركن حبات القلوب ذوائبا

ومثله قول الامام أبى الحسن نصر المرغينانى

ذوائب سود كالعناقيد أسبلت * فمن أجلها منا النفوس ذوائب

وقول ابن نباتة فى مطلع قصيدة امتدح بها الملك الافضل صاحب حماة

مابت فيك بدمع عينى أشرق * الا وأنت من الغزالة أشرق

ولمؤلفه رحمه الله تعالى فى مطلع قصيدة مهنئا بالشفاء لمن ألف هذا الكتاب باسمه الكريم

بدر المنا بشفاء ذاتك أشرقا * وأغص من يجفو علاك وأشرقا

وما ألطف قول بعضهم القلب منى صب * والدمع منى صب

وقد أخذه ابن نباتة وحصر المعنيين فى ركن واحد فقال

دمعى عليك مجانس قلبى * فانظر على الحالين فى الصب

ومثله قول مجير الدولة بن عبد الظاهر ملغزا فى كوز

وذى أذن بلا سمع * له قلب بلا قلب اذا استولى على صب * فقل ماشئت فى الصب

وما أحسن قول ابن شرف يا ناويا فى معشر * قد اصطلى بنارهم

ان تبك من شرارهم * على يدى شرارهم أو ترم من أحجارهم * وأنت فى أحجارهم
فابقيت جارهم * فى هواهم جارهم وأرضهم فى أرضهم * ودارهم فى دارهم

وقول ابن فضالة المجاشعى القيروانى وقيل ابن شرف

ان تلقك الغربة فى معشر * قد أجمعوا فيك على بغضهم
فدارهم مادمت فى دارهم * وأرضهم مادمت فى أرضهم

(اذا ملك لم يكن ذاهبه * فدعه فدولته ذاهبه)

جناس التركيب

البيت لابى الفتح البستى من المتقارب (والشاهد فيه) جناس التركيب وهو المتفق لفظا وخطا وما أحسن قول الشاعر فيه عضنا الدهر بنابه * ليت ما حل بنا به

وقول شمسويه المصرى فى غلام يبيع الفرانى

قلت للقلب ما دهاك أجبنى * قال لى بائع الفرانى فرانى
ناظراه فيما جنى ناظراه * أودعانى أمت بما أودعانى

وقول أبى الحسن المرغينانى صار متى مثل قوس * نزعت مذ صار متى

وقول الحاكم أبى حفص عمر المطوعى

ألا يا سيدا خلقت يداه * لثروة معدم أو يسر عانى
مضى العسر الذى قاست فاعدل * الى يسر بن نحوك يسرعانى

وقول بعض المغاربة وأجاد لبس البرنس المليح فتاها * ودرى أننى محب فتاها
لو رأته زليخة حين وافى * لتمنته أن يكون فتاها

ومثله

عدل روحى بن جذ
بى وعينى وراسى
غرس الله له فى
كبدى أوفى غراس
ذاك انسان له فض
ل على كل الاناس
(وروى اسحق الموصلى)
أن يحيى بن زياد الحارثى قال
لمطيع بن اياس امض بنا الى
فلانة صديقتى فان بينى
وبينها مغاضبة لتصلح بيننا
ولكن والله بئس المصلح أنت
فدخلا اليها وجعلا
يتعاتبان ومطيع ساكت
حتى اذا أكثرا قال له يحيى
ما يسكتك أسكت الله نامتك
فقال مطيع
أنت معتلة عليه وما زا
ل مهينا لنفسه فى رضاك
فأعجب يحيى ما سمع وهش
فقال مطيع
فدعيه وواصلى ابن اياس
جعلت روحه الفداة فداك
فقام يحيى بوسادة فى البيت
فمازال يصدع بها رأسه
ويقول ألهذا جئت بك يا ابن
الزانية ومطيع يغوث
والجارية تضحك منهما
(وروى) أن أبا دلامة تاب
وعزم على الحج فلما صار

ومثله قول بعضهم أيضا ربّ سهل على فتانى فتاتى * لترى هل سلى فتاها فتاها
علّمته جفونها آى سحر * ما تلاهى عن حبها مذ تلاها

وقول الباخرزى أيضا قد ملئت زورن من سادة * لهم نفوس بالعلى عارفات
ما اغتدى الا ومن عندهم * عارفة عندى أو عارفات
قد بقى الفخر بهم والندى * والبأس والبخل مع العارفات

ومثله قول أبى بكر البوسفى وردت مالبن فألفيتها * رمانة حباتها المكرمات
أصيع من ظرف سجاياهم * عاش الوفاء المحض والمكرمات

وقول أبى الفضل الميكالى
تفرّق الناس فى أرزاقهم فرقا * فلابس من ثراء المال أو عارى
كذا المعائش فى الدنيا وساكنها * مقسومة بين أدمات وأعارى
من ظنّ بالله جورا فى قضيته * افترّ عن مأثم فى الدين أوعار

وقوله يهجو
لئن أنت ناصبت بدر الدجى * ونازعت شمس الضحى أوجها
لما كنت أفضل فى حالة * من الكلب عندى ولا أوجها

وقول شمس الدين محمد بن عبد الوهاب
حار فى سقمى من بعدهم * كل من فى الحى داوى أورقى
بعدهم لا ظل وادى المنحنى * وكذا بان الحى لا أورقا

وقول الشمس الجندى امام المسجد الشريف النبوى
حسبى جوار محمد وكفى به * دفعا لما ألقاه من أوصابى
لم أخش ضيما فى حماه ولا أذى * انى وجبرائيل قد أوصى بى

وقول الصلاح الصفدى فيه يا من اذا ما أتاه * أهل المودّة أولم
أنا محبك حقا * ان كنت فى القوم أولم

﴿والبستى﴾ هو أبو الفتح على بن محمد الكاتب قال الثعالبى رحمه الله تعالى فى حقه هو صاحب الطريقة الانيقة فى التجنيس الانيس البديع التأسيس وكان يسميه المتشابه ويأتى فيه بكل ظريفة ولطيفة وقد كان يبلغنى شعره العجيب الصنعه البديع الصبغه
من كل معنى يكاد الميت يعشقه * حسنا ويعبده القرطاس والقلم
مما أراه فأرويه وأحفظه فأحفظه وأسأل الله تعالى بقاه حتى أرزق لقاه وأتمنى قربه كما تتمنى الجنه وان لم تتقدم لها الرؤيه حتى وافقت الامنية حكم القدر وطلع على نيسابور طلوع القمر فزاد العين على الاثر والاختبار على الخبر ورأيته يغترف فى الادب من البحر وكأنما يوحى اليه فى النظم والنثر مع ضربه فى سائر العلوم بالسهم الغائر وأخذه منها بالحظ الوافر وجمعته وإياى لحمة الادب التى هى أقوى من قرابة النسب فما زلت فى قدماته الثلاث بنيسابور بين سرور وأنس مقيم ومن حسن معاشرته وطيب مذاكرته ومحاضرته فى جنة ونعيم أجتنى ثمر الغرائب من فوائده وأنظم العقود من فرائده ولم تكن تغبنى كتبه فى غيبته ولا أكاد أخلو من آثار ودّه وكرم عهده (ومن خبره) أنه كان فى عنفوان أمره كاتبا لبايتوز صاحب بست فلما افتتحها الامير ناصر الدولة أبو منصور سبكتكين وأسفرت الوقعة بينه وبين بايتوز عن استمرار الكشفة به أعيت أبا الفتح صحبته فتخلف ودل الامير عليه فاستحضره ومناه واعتمده لما كان قبل معتمدا له اذ كان محتاجا الى مثله فى آلته وكفايته ومعرفته وهدايته وحنكته ودرايته قال فحدثنى أبو النصر العتبى قال حدثنى أبو الفتح قال لما استخدمنى الامير سبكتكين وأحلنى محل الثقة الامين عنده فى مهمات شانه وأسرار ديوانه وكان بايتوز بعد حيا وحسادى يلوون ألسنتهم بالقدح

تطير تابا اذ القيه علج من الخمارين الذين كان يألفهم اسمه أبو بشر فدعاه الى منزله وأضافه وأحضر له نبيذا فامتنع أبو دلامة منه وأخبره بتوبته وما عزم عليه فقال العلج انه مطبوخ فشرب منه فلم يلبث أن دبت فيه سورته فرفع عقيرته وأنشد
سقانى أبو بشر من الراح شربة * لها سورة ماذقتها لشراب
وما طبخوها غير أن غلامهم * مشى فى نواحى كرمها بشهاب
(وروى) أنه كان منحرفا على على بن سليمان بن على ابن عبد الله بن العباس فاتفق أن خرج المهدى الى الصيد ومعه على وأبو دلامة فرمى المهدى ظبيا عن له فأنفذ مقاتله ورمى على بن سليمان فأصاب كلبا من كلاب الصيد فارتجل أبو دلامة
قد رمى المهدى ظبيا * شك بالسهم فؤاده
وعلى بن سليما * ن رمى كلبا فصاده
فهنيئا لهما كل * امرئ يأكل زاده
فخجل على بن سليمان وضحك

فى" والجرح لموضع الثقة بى ليا أشفقت لقرب العهد بالاختبار من أن يعلق بقلبه شئ من تلك الاقوال ويقرطس غرض القبول بعض تلك النبال فحضرته ذات يوم وقلت ان همة مثلى من أرباب هذه الصناعة لا ترتقى الى أكثر مما رآنى الامير أهلا له من اختصاصه واستخلاصه وتقريبه واختياره لمهمات أموره وأسراره غير ان حداثة عهدى بخدمة من كنت به موسوما واهتمام الامير بنقض ما بقى من شأنه يقتضيان أن أسأله الاعتزال فى بعض أطراف مملكته ريثما يستقر هذا الامر فى نصابه فيكون ما أليه من هذه الصناعة أسلم من التهمة وأقرب الى السداد وأبعد من كيد الحساد فارتاح لما سمعه وأوقعه من الاحماد موقعه فأشار على" بناحية الرخج وحكمنى فى أرضها أتبوّأ منها حيث أشاء الى أن يأتينى الاستدعاء فتوجهت نحوها فارغ البال رافه العيش والحال سليم اللسان والقلم بعيد القدم من محاضات التهم وكنت أدلجت ذات ليلة وذلك فى فصل الربيع أوّم منزلا أمامى فلما أصبحت نزلت فصليت وسبحت ودعوت وقت للركوب ففتح ضياء الشروق طرفى على قرية ذات عنة محفوفة بالخضر معمومة بالنور والزهر وأمامها أرض كأنها قد فرشت ببساط من الزبرجد منجد بالدر" والمرجان مرصع بالعقيق والعقيان يتسلسل منها أمواه كأنها بطون الحيات فى صفاء ماء الحياة وقد فعمنى من نسيم هوائها عرف المسك السحيق بالعنبر الفتيق فاستطبت المكان وتصورت منه الجنان وفزعت الى كتاب أدب كنت أستصحبه لاخذ الفال على المقام والارتحال فكشف أوّل سطر من الصفحة عن بيت شعر وهو

وإذا انتهيت الى السلا * مة فى مداك فلا تجاوز

فقلت والله هذا هو الوحى الناطق والفال الصادق وتقدمت بعطف ضبنتى اليها وعشت ستة أشهر بها فى أنعم عيش وأرخاه وأهنى شرب وأمراه الى أن أتانى كتاب الامير فى استدعائى الى حضرته بتبجيل وتأهيل وترتيب وترحيب فنهضت اليها وحظيت بما حظيت منها الى يومى هذا (قال) فكان اختياره ذلك أحد ما استدل" به الامير على عقله وجودة رأيه وتدبيره ورزانته ودرج به الى محله ومكانته وصار من بعده ينظم بأقلام منثور الآثار عن حسابه وينسج بعباراته وشى فتوحه ومقاماته وهلم" جرّا الى زمن السلطان المعظم يمين الدولة وأمين الملة محمود بن سبكتكين فقد كتب له عدة فتوح قال فى أحد كتبه كتبت وقد هبت ريح النصرة من مهبها والارض مشرقة بنور ربها الخ واستمر الى أن زحزحه القضاء عن خدمته وبذه الى ديار الترك عن غير قصده وارادته فانتقل بها الى جوار ربه عز وجل فى سنة أربعمائة من الهجرة النبوية (ولنذكر) من مليح نثره ونظمه ما رق له وراق وحلا فى الاذواق (فمن فصوله القصار) وأمثاله التى انتشر فصلها وسار من أصلح فاسده أرغم حاسده من أطاع غضبه أضاع أربه عادات السادات سادات العادات من سعادة جدّك وقوفك عند حدّك أفحش الاضاعة الاذاعة الرشوة رشاء الحاجة اشتغل عن لذاتك بعمارة ذاتك اذا بقى ما فاتك فلا تأس على ما فاتك ربما كانت الفطنة فتنه والمحنة منحه من حصن أطرافه حسن أوصافه أحصن من الجنه لزوم السنه الردّ الهائل خير من الوعد الحائل طلوع العقوق أفول الحقوق الحدّة والندامة فرسا رهان والجود والشجاعة شريكا عنان والتوانى والخيبة رضيعا لبان الفكر رائد العقل نعم الشفيع الى عدوّك عقله مسلك الحزن حزن الخلاف غلاف الشر" المراء يهدم المروءة رضى المرء عن نفسه دليل تخلفه ونقصه عسى تحظى فى غدك برغدك ربما أغنت المداراة عن المباراة لا ضمان على الزمان من لم يسلم السلم ليكن قرينك من يزينك افراط السخاوة رخاوه ربما كانت العظية خطية لا يعدم الصرعة ذو السرعه لكل حادث حديث البشر نور الاصحاب ما كل خاطر بعاطر ما لخرق الرقيع مرقع ان لم يكن لنا مطمع فى درك درّك فأعفنا من شرك شرّك الغيث لا يخلو من العيث ومن شعره فى الغزل وغيره

يا يوسف الحسن ليلى بعد فرقتكم * يحكى سنى يوسف طولا وتعذيبا
والشأن فى أننى أرمى لأجلكم * بمثل ما قد رمى اخوانك الذيبا

المهدى وأمر له بجائزة (وذكر دعبل بن على") قال كان لابى الشمقمق على بشار مائتا درهم فى كل سنة فأتاه أبو الشمقمق فى بعض السنين فقال هلم" الجزية يا أبا معاذ فقال ويحك أوجزية هى قال نعم هو ما تسمع فقال له بشار يمازحه أنت أفصح أو أحكم منى قال لا قال فلم أعطيك قال لئلا أهجوك قال لئن هجوتنى لأهجونك قال أبو الشمقمق أو هكذا هو قال نعم فقل ما بدا لك فقال أبو الشمقمق

انى اذا ما شاعر هاجانيه
ولج فى القول له لسانيه
أدخلته فى است امه علانيه
بشار يا بشار

وأراد أن يقول يا ابن الزانيه فوثب اليه بشار وأمسك فاه ثم قال أراد والله أن يشتمنى ثم دفع اليه مائتى درهم وقال لا يسمع هذا منك الصبيان (وروى) أن أبا نواس لما وفد على الخصيب قال له مرة يمازحه وهما بالمسجد الجامع أنت غير مدافع فى قول الشعر ولكنك لا تخطب فقام من

ومنه قالت وقد راودتها عن قبلة * تشفي بها قلبا كئيبا مغرما * قدّم يدا من قبل أن تدني يدا
ومبرّة من قبل أن تدني فما * ان الغرام غرامة فتى تكن * بي مغرما فلتحملن لي مغرما

ومنـــه أرأيت ما قد قال لي بدر الدجى * لما رأى طرفي يديم سهودا
حتى م ترمقني بطرف ساهر * أقصر فلست حبيبك المفقودا

ومنـــه رب يوم للأنس فيه فراغ * ولكاس السرور فيه مساغ
بيننا البخور غيم والما * ورد طش وللغوالي رداغ

ومنـــه يوم له فضـل على الايام * مزج السحاب ضياءه بظلام
فالبرق يخفق مثل قلب هائم * والغيم يبكي مثل طرف هامي
وكأن وجه الارض ختمتيم * وصلت دموع سحابه بسجام
فاطلب ليومك أربعا هنّ التي * وبهن تصـفو لذة الايام
وجه الحبيب ومنظرا مستشرفا * ومغنيا غردا وكأس مدام

ومنه في وصف الكتب والخط والبلاغة

كتابك سيدي جلي همومي * وجلّ به اغتباطي وابتهاجي
كتاب في سرائره سرور * مناجيه من الاحزان ناجي
فكم معنى لطيف درج لفظ * هناك تراوجا أيّ ازدواج
كراح في زجاج بل كروح * سرى في جسم معتدل المزاج

ومنه أيضا بنفسي من أهدى الي كتابه * فأهدى لي الدنيا مع الدين في درج
كتاب معانيه حلال سطوره * لآلي في درج كواكب في برج

ومنـــه لما أتاني كتاب منك مبتسم * عن كل برّ وفضل غير محدود
حكت معانيه في أثناء أسطره * آثارك البيض في أحوالي السود

ومنـــه ما ان سمعت بنوّار له ثمر * في الوقت يمتع سمع المرء والبصرا
حتى أتاني كتاب منك مبتسم * عن كل لفظ ومعنى يشبه الدررا
فكان لفظك من لالائه زهرا * وكان معناه في أثنائه ثمرا
تسابقا فأصابا القصد في طلق * لله من ثمر قد سابق الزهرا

ومنـــه اذا أحببت أن تحظى بسحر * فلا تخـتر على لفظي وشعري
فأحسن من نظام الدرّ نظمي * وأبهى من نثار الورد نثري

ومنه في الفقهيات عليك بمطبوخ النبيذ فانه * حلال اذا لم يخطف العقل والفهما
ودع قول من قد قال ان قليله * يعين على الاسكار فاستو باحكما
فليس لما دون النصاب قضية النصاب وان كان النصاب به تما

ومنه في معناه معاشر الناس أصغوا قد نصحت لكم * في الراح حكم مليح غير ممقوت
قليلها مستباح والكثير حمى * كغرفة فردة من نهر طالوت

ومنـــه في الطبيبات والفلسفيات

لا يغترك أنني ألين المس * س فعزمي اذا انتضيت حسام
أنا كالورد فيه راحة قوم * ثم فيه لآخرين زكام

ومنـــه خف الله واطلب هدى دينه * وبعدهما فاطلب الفلسفه
لئلا يغرك قوم رضوا * من الدين بالزور والسفسفه
ودع عنك قوما يعيبونها * ففلسفة المرء كل السفه

فوره وصعد المنبر وأنشد مرتجلا
محضتكمو يا أهل مصر نصيحتي
ألا فخذوا من ناصح بنصيب
رماكم أمير المؤمنين بحية
أكول لحيات البلاد شروب
فان يك باق سحر فرعون فيكمو
فان عصا موسى بكف خصيب
(ثم) التفت اليه وقال لا يأتي بها والله خطيب مصقع فاعتذر اليه وحلف انه انما كان يمازحه (وروى) انه كان تنزه مرة مع عيسى ابن الرشيد بالقفص في أواخر شعبان فلما كان في اليوم الموفي ثلاثين قيل لابي نواس هذا يوم شك وبعض الناس يصومه احتياطا فقال ليس الشك حجة على اليقين حدثنا أبو جعفر يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته ثم التفت الى عيسى وارتجل
لو شئت لم نبرح من القفص
نشربها حمراء كالفص
نسرق هذا اليوم من شهرنا
فالله قد يعفو عن اللص

ومنه في النجوميات قد غض من أملي أني أرى عملي * أقوى من المشتري في أول الحمل
واني راحل عما أحاوله * كأنني أستدر الحظ من زحل
ومنه اذا غدا ملك باللهو مشتغلا * فاحكم على ملكه بالويل والحرب
أما ترى الشمس في الميزان هابطة * لما غدا برج نجم اللهو والطرب
ومنه لا تعجبن لدهر ظل في صبب * أشرافه وعلى في أوجه السفل
وانظر لاحكامه أني تقادمها * فالمشتري السعد عال فوقه زحل
ومنه سل الله الغني تسأل جوادا * أمنت على خزائنه النفادا
وان أدناك سلطان لفضل * فلا تغفل ترقبك البعادا
فقد تدني الملوك لدى رضاها * وتبعد حين تحتقد احتقادا
كما المريخ في التثليث يعطي * وفي التربيع يسلب ما أفادا
ومنه شرف الوغد بوغد مثله * مثل ما فيه زبيع وزال
ودليل الصدق فيما قلته * شرف المريخ في بيت زحل
ومنه في الاخوانيات لقاؤك يدني مني المرتجى * ويفتح باب الهوى المرتج
فأسرع الينا ولا تبطين * فانا صيام الى أن تجي
ومنه عندي فديتك سادة أحرار * وقلوبهم شوقا اليك حرار * وشرابنا شرب العلوم ور ضنا
نزه الحديث ونقلنا الاشعار * فامنن علينا بالبدار فانما * أعمار أوقات السرور قصار
ومنه لا تطلبن بي وبر البحي * أن شكري كشكر غيري موات
أنا أرض وراحتاك سماء * والايادي وبل وشكري نبات
ومنه من شاء عيشا رخيا يستفيد به * في دينه ثم في دنياه اقبالا
فلينظرن الى من فوقه أدبا * ولينظرن الى من دونه مالا
ومنه أقد طبعك المكدود بالجد راحة * قليلا وعلله بشئ من المزح
ولكن اذا أعطيته ذاك فليكن * بمقدار ما يعطى الطعام من الملح
ومنه اذا ما اصطفيت امرأ فليكن * شريف النجار زكي الحسب
فنذل الرجال كنذل النبات * فلا للثمار ولا للحطب
ومنه عفاء على هذا الزمان فانه * زمان عقوق لا زمان حقوق
فكل رفيق فيه غير موافق * وكل صديق فيه غير صدوق
ومنه كأنني فرس الشطرنج ليس له * في ظل رابطه ماء ولا علف
ومنه قوله في المشاورة خصائص من تشاوره ثلاث * فخذ منها جميعا بالوثيقه
وداد خالص ووفور عقل * ومعرفة بحالك في الحقيقه
فمن حصلت له هذي المعاني * فتابع رأيه والزم طريقه
وقوله أيضا ان كنت تطلب رتبة الاحرار * فاعمد لحلم راجح ووقار
وحذار من سفه يشينك وصفه * ان السفاه بذي المروءة زاري
ان السفيه اذا تصدى لامرئ * متصلم ونهاه بالاضرار
فالماء يطفي وهو لين مسه * عذب مذاقته لهيب النار
ومنه وما استوفى شروط الحزم الا * فتى في خلقه سهل وحزن
ومثله قول ابن شمس الخلافة
فليس كمال المرء ما لخير وحده * اذا لم يكن في المرء شئ من الشر

(وذكر) يزيد بن أبي اليسر الرياضي في أمثاله قال حدثنا أبو سهل الحاسب ونحن معه في بعض حوانيت الفسطاط قال كان أكثر قعود الحسن بن هانئ في هذا الحانوت فتربه في بعض الايام ابن عبد الحكم وكان في يده سوط فسلم عليه به فقال الحسن
سلم السوط اذ مررت علينا * فعلى السوط لا عليك السلام
فقال ابن الحكم لمن معه من هذا فقال هذا الحسن بن هانئ فرجع اليه ونزل واعتذر فقبل الحسن بن هانئ عذره وألطفه

(وذكر) أبو الفرج في كتاب القيان والمغنين انه كان بالكرخ مغن يقال له أبو عمير وكان له قيان حسان وكان عبد الله بن محمد أظنه التميمي قد عشق جارية منهن يقال لها عبادة فكان يغشى منزله وينفق فيه ثم أضاق اضاقة شديدة حملته على الانقطاع عنهم وكره أن يقصر عما كان عليه من برهم ثم نازعته نفسه الى لقائها وزيارتها فأتاها

ومحاسن أبي الفتح البستي كثيرة رحمه الله تعالى وفيما أوردناه كفاية

(كلكم قد أخذ الجا * م ولا جام لنا ما الذي ضر مدير الـ * ـجام لو جاملنا) شاهد التجنيس المفروق

البيتان من مجزوء الرمل وهما لابي الفتح البستي أيضا (والشاهد فيهما) الجناس المفروق وهو المتفق لفظا لاخطا كقول المعتمد بن عباد يحكي قول جارية له في محنته

قالت لقد هنا هنا * مولاي أين جاهنا قلت لها الهنا * صيرنا الى هنا

وقول المطوعي أمير كله كرم سـدنا * يا حبذا المجد عنه واقتباسه
يحاكي النيل حين يروم نيلا * ويحكي باسلا في وقت باسه

وقوله أيضا لا تعرضن على الرواة قصيدة * ما لم تبالغ قبل في تهذيبها
فمتى عرضت الشعر غير مهذب * عدوه منك وساوسا تهذي بها

وقول ابن أسد الفارقي غدونا بآمال ورحنا بخيبة * أماتت لنا أفهامنا والقرائحا
فلا تلق منا غاديا نحو حاجة * لتسأله عن حاله والقى رائحا

وقول أبي الفتح البستي ان سل أقلامه يوما ليعملها * أنساك كل كمي هز عامله
وان أقر على رق أنامله * أقر بالرق كتاب الأنام له

وقوله أيضا الى حتفي سعى قدمي * أرى قدمي أراق دمي فكم أنقد من ندم * وليس بنافع ندمي

وقوله كم من أخ قد هدمت أخلاقه * في آخر ما قد بنى في الاول * نسي الوفاء ولست أنسى عهد ما
شاهدت منه في الزمان الاطول * يرمي سهاما ان أسر المقت لي * بالكيد لا يقصدن غير المقتل

وقوله أيضا جعلنا أجنبيين * بلا جرم ولا تبل وأقصينا وما حتنا * وما زغنا عن العدل
فقل لي يا أخا السود * دو الهمة والفضل الى كم نحن في ضيق * وفي عزل وفي أزل
أما تنشط أن تملي * على الكتاب أنتم لي

وقوله لا يسوأنك ان برا * في دهر فلم يرش أنت عش سالما فانـ * ـك ان عشت أنتعش

وقول العميد بن سهل
عجمت من الاقلام لم تند خضرة * وباشرن منه كفه والأناملا
لو ان الورى كانوا كلاما وأحرفا * لكان نعم منها وكان الأنام لا

وقول أبي بشر المأموني ابن علي الخوارزمي مهنئا بعض أصحابه بزفاف
بدر دجى أصحبوه شمس ضحى * بارك رب السماء فيها له
ضمتهما هالة الوصال معا * من ذا رأى النيرين في هاله

وقول أبي بكر اليوسي يصف أقلاما وهي
قصبات فصل قد جرت قصباتها * مجرى موافي كبوة وعثار
يكتبن في القرطاس أخبار النهى * بلعاب منقارلها مـن قار

وقول صدر الدين الخجندي
أنفق حورا واسترق العلا * ولا تخف خشية املاق
الناس أكفاء اذا قوبلوا * ان فاق شخص فبالانفاق

وما ألطف قول ابن نباتة قمر اراه أم مليحا أمردا * ولحاظه بين الجوانح أم ردى

وسبقه الى ذلك الامير أبو الفضل الميكالي فقال
يامن دهاه شعره * وكان غصنا أمردا سيان نابا أمردا * في الخد شعر أم ردى

ولابي الفضل في هذا أيضا قوله
لنا صديق تجيد لقما * راحتنا في أذى قفاه ماذاق من كسبه ولكن * أذى قفاه أذاق فاه

فأصاب عندها جماعة ممن كان يألف منزل مولاها فرحبت به الجارية وسيدها واستبطؤا زيارته وعاتبوه على تأخره عنهم فجعل يجمجم في عذره ولا يصرح فلما سكر رفع عقيرته منشدا
لو تشكى أبو عمير قليلا
لأتيناه من طريق العياده
وقصينا من الزيارة حقا
ونظرنا المقلتي عباده
فقال له أبو عمير مالي ولك يا ابن أخي انظر الى مقلتي عبادة كيف شئت بل نكها ولا تتمن لي المرض (وذكر) أيضا فيه برواية تتصل بعلي ابن هشام قال قدمت على جدتي ساهك من خراسان فقالت لي اعرض علي جواريك فعرضتهن عليها ثم جلسنا على الشراب ومتيم تغني فأطالت جدتي الجلوس عندنا فلم أنبسط للجواري اجلالا لها فأخذت الدواة وصنعت في الحال وكتبت به رقعة ورميت بها الى متيم
أنبقى على هذا وأنت قريبة
وقد منع الزوار بعض التكلم
سلام عليكم لا سلام مودع
ولكن سلام من محب متيم

وله أيضا لناصديق ان رأى * مهفهفا لاطفه وان يكن في دهرنا * ذوأبنة لاط فهو

وله أيضا لقد راعني بدر الدجى بصدوده * ووكل أجفاني برعي كواكبه
فيا جزعي مهلا عساه يعود لي * ويا كبدي صبرا على ما كوى به

وللشهاب محمود فيه ولم أر مثل نشر الروض لما * تلاقينا وبنت العامرى
جرى دمعي وأومض برق فيها * فقال الروض في ذا العام ربي

ولابن جابر الاندلسي قدسبى قلبي غزال فاتن * سل به كيف اعتدى في سلبه
أنا لا أعتبه فيما جرى * صفح الله عن ذنبه

وقوله أيضا أيها العاذل في حبي لها * خل نفسي في هواها تحترق
ما الذي ضرك مني بعد ما * صار قلبي من هواها تحترق

وقول الشاب الظريف محمد بن العفيف
أسرع وسر طالب المعالي * بكل واد وكل مهمه
وان لحى عاذل جهول * فقل له يا عذول مه مه

وقوله رحمه الله تعالى ان الذي منزله * من مصب عيني أمرعا
لم أدر من بعدي هل * ضيع عهدي أم رعى

وقول قاضي القضاة بهاء الدين السبكي
كن كيف شئت عن الهوى لا أنتهي * حتى تعود لي الحياة وأنت هي

ومثله قول أبي نصر القشيري
تقبيل خدك أشتهي * أمل اليه أنتهي * ان نلت ذلك لم أبل
بالروح مني أنت هي * دنياي لذة ساعة * وعلى الحقيقة أنت هي

الشاهد الخامس والاربعون بعد المائتين

(يعدون من أيد عواص عواصم)

هو صدر بيت من الطويل وتمامه تصول بأسياف قواض قواضب وقائله أبو تمام من قصيدة يمدح بها أبا دلف العجلي أولها على مثلها من أربع وملاعب * أذيلت مصونات الدموع السواكب وهي طويلة وما أحسن قوله في مخلصها

اذا العيس لاقت بي أبا دلف فقد * تقطع ما بيني وبين النوائب * هنالك تلقى الجود في حيث قطعت
تمائمه والمجد وافي الذوائب * تكاد عطاياه تجن جنونها * اذا لم يعوذها بنعمة طالب

وهذا البيت مما انتقد به على أبي تمام حتى قال بعضهم وماباله ينسبها الى الجنون ويلتمس لها العوذ والرقى هلا فك أسارها وعجل خلاصها ولم ينتظر بها نعمة الطالب ففعل كما قال أبو الطيب المتنبي
وعطاء مال لو عداه طالب * أنفقته في أن تلاقي طالبا

وقد تداول الناس هذا المعنى فقال مسلم
أخ لي يعطيني اذا ما سألته * وان لم أعرض بالسؤال ابتدانيا

وقال أبو العتاهية وانا اذا ما تركنا السؤال * فمعروفه أبدا يبتدينا
وان نحن لم نبغ معروفه * فمعروفه أبدا يبتغينا

وقال أبو تمام الطائي فأضحت عطاياه نوازع شردا * تسائل في الآفاق عن كل سائل

وقال أيضا ورأيتني فسألت نفسك سيبها * لي ثم جدت وما انتظرت سؤالي

وقد زاد أبو الطيب عليهم بقوله المتقدم أنفقته في أن تلاقي طالبا (ولنرجع الى شعر أبي تمام) ومن محاسن قصيدته هذه قوله يرى أقبح الاشياء أوبة آمل * كسته يد المأمول حلة خائب
وأحسن من نور يفتحه الندى * بياض العطايا في سواد المطالب

فأخذته ثم نهضت الى الصلاة وعادت وقد صنعت لحنا فغنته فغنت جدتي وقالت أظن أننا ثقلنا عليكم وأمرت الخدم فحملوا محفتها وأمرت للجواري بصلات وأمرت لمتيم بثلاثين ألف درهم (أنبأني) الفقيه النبيه أبو الحسن المفضل علي بن الحسين المقدسي عن الفقيه أبي القاسم مخلوف بن علي القيرواني عن أبي عبد الله محمد بن أبي سعيد السرقسطي عن أبي عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي الحافظ قال أخبرنا أبو العباس البغدادي قال حدثنا أبو البركات محمد بن عبد الواحد الزبيري حدثنا أبو سعيد الحسن بن عبد الله ابن المرزبان السيرافي قال حدثنا أبو اسحق ابراهيم بن السري الزجاج قال حدثنا أبو العباس محمد بن يزيد المبرد قال لما وصل المأمون الى بغداد وقربها قال ليحيى ابن أكثم وددت لو وجدت رجلا مثل الاصمعي ممن يعرف أخبار العرب وأيامها وأشعارها فيصحبني كما صحب

وهذا البيت من أحسن الشواهد على المقابلة وهو مأخوذ من قول الاخطل

رأينا بياضا في سواد كأنه * بياض العطايا في سواد المطالب

(ويحكى) أن أبا تمام لما أنشد أبا دلف قوله على مثلها من أربع وملاعب قال من أراد بكته لعنه الله والملائكة والناس أجمعين وهذا نوع من البديع يسمى التوليد فان هذا القائل ولد من الكلام كلاما يناقض غرض أبي تمام من وجهين أحدهما خروج الكلام عن السبب الى الهجاء بسبب ما انضم اليه من الدعاء والثاني خروج الكلام من أن يكون بيتا من الشعر الى أن صار قطعة من النثر ومن لطيف التوليد قول بعض العجم وهو توليد المتكلم ما يريد من لفظ نفسه

كأن عذاره في الخد لام * ومبسمه الشهي العذب صاد وطرة شعره ليل بهيم * فلا عجب اذا سرق الرقاد

فانه ولد من تشبيه العذار باللام وتشبيه الفم بالصاد لفظة لص وولد من معناها ومعنى تشبيه الطرة بالليل ذكر سرقة النوم وهذا من أغرب توليد سمع (رجع الى الكلام على البيت) عواص جمع عاصية من عصاه ضربه بالسيف أو العصا وعواصم من عصمه حفظه ووجاه وقواض من قضى عليه حكم وقواضب من قضبه قطعه (والشاهد فيه) الجناس الناقص المطرف ومن الشواهد عليه قول البحتري

فان صدفت عنا فربة أنفس * صواد الى تلك الوجوه الصوادف

وما أنشده الشيخ عبد القاهر وهو

وكم سبقت منه الي عوارف * ثنائي على تلك العوارف وارف

وكم غرر من بره ولطائف * فشكري على تلك اللطائف طائف

وقول الآخر عذيري من دهر موار موارب * له حسنات كلهن ذنوب

وقول البهاء زهير أشكو وأشكر فعله * فاعجب لشاك منه شاكر

ومنها طرفي وطرف النجم فيك * كلاهما ساه وساهر

يهنيك بدرك حاضر * ياليت بدري كان حاضر

حتى يبين لناظري * من منهما زاه وزاهر

وقول المعتمد بن عباد وقد كتب به الى صاحب له يدعوه الى مجلس أنس وهو

أيها الصاحب الذي فارقت عيـ * ـني ونفسي منه السنا والسناء

نحن في المجلس الذي يهب الرا * حة والمسمع الغنى والغناء

نتعاطى التي تنسي من اللذة والرقة الهوى والهواء

فأته تلق راحة ومحيا * قد أعدا لك الحيا والحياء

وقول ابن جابر الاندلسي منازل قلبي ليس فيهن نازل * سواك ولي شوق للقياك دائم

فيا راكب الوجناء هل أنت عالم * فداؤك نفسي كيف تلك المعالم

وقول أبي جعفر الغرناطي

أرى أناسا من أرادا الرضى * منهم رجاما ليس بالممكن

سيان أن يعطوا وأن يمنعوا * قد ضاع منهم كرم المحسن

وما أحسن قول ابن شرف الماردي من قصيدة

هلال في بروج السعد سار * غزال في مروج العز سارح

الجناس المذيل

(ان البكاء هو الشفا * ء من الجوى بين الجوانح)

البيت من مجزوء الكامل المرفل وقائلته الخنساء من قصيدة ترثي بها أخاها صخرا وأولها

ياعين جودي بالدمو * ع المستهلات السوافح

فيضا كما فاضت غرو * ب المترعات من النواضح

الاصمعي الرشيد فقال يحيى ههنا شيخ يعرف هذه الاخبار يقال له غياث بن ورقاء الشيباني قال أحضره فلما حضر قال له يحيى ان أمير المؤمنين يرغب في حضورك مجلسه فقال أنا شيخ كبير لا طاقة لي بذلك لانه قد ذهب مني الاطيبان فقال له المأمون لا بد من ذلك فقال الشيخ فاسمع ما حضرني وأنشد اقتضابا

أبعد شيبي أصبو
والشيب للمرء حوب
شيب وسن واثم
أمر لعمرك صعب
يا ابن الامام فهلا
أيام عودي رطب
واذ شفاء الغواني
مني حديث وقرب
واذ مشيبي قليل
ومنهل العيش عذب
والآن حين رأى بي
عواذلي ما أحبوا
آليت أشرب راحا
ما حن لله ركب

فقال المأمون اكتبوها بالذهب وأمر له بجائزة وتركه (وبهذا الاسناد عن الجيدي) قال أخبرنا أبو

وبعده البيت وبعده وابكى لصخر اذ ثوى * بين الضريحة والصفائح
رمسا الذى جدث تذيـع تربه هوج النوافح
والسيد الجحجاح وابـن السادة الشم الجحاجح
(والشاهد فيه الجناس المذيل) وهو ما كان بأكثر من حرف ومنه قول حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه
وكنا متى يغزو النبى قبيلة * نصل جانبيه بالقنا والقنابل
وقول النابغة أيضا لها نار جن بعد انس تحولوا * وزال بهم صرف النوى والنوائب
وقول الآخر فى رثاء فيالك من حزم وعزم طواهما * جديد الردى تحت الصفا والصفائح
ولابن جابر الاندلسى فيه
بين الجوانح لو علمت من الجوى * نار عليها اسكب دمعى يصنع
فدع المدامع فى مدى جريانها * فالدمع بعد فراقهم لا يمنع
﴿تتمـة﴾ قد ذكر المصنف رحمه الله تعالى بقية أقسام الجناس ولم يذكر لها شواهد شعرية فلنذكر منها شيأ تتميما للفائدة ﴿فمن شواهد الجناس المشتق﴾ قول أبى تمام
وأنجدتم من بعد اتهام داركم * فيا دمع انجدنى على ساكنى نجد
وقول محمد بن وهيب
قسمت صروف الدهر بأساونائلا * فمالك موتور وسيفك واتر
وقول الصاحب بن عباد وقائلة لم عرتك الهموم * وأمرك ممتثل فى الامم
فقلت ذرينى على غصتى * فان الهموم بقدر الهمم
ولابن جابر الاندلسى فيه قد نعمنا بسفح نعمان لكن * عقنى البعد والعقوق قبيح
قل لاهل الخيام أما فؤادى * فجريح لكن حبى صحيح
ولبعضهم وهو بالجناس المطلق أشبه
اذا أعطشتك أكف اللئام * كفتك القناعة شبعا ورىا
فكن رجلا رجله فى الثرى * وهامة همته فى الثريا
وما أحسن قول كشاجم فى خادم اسود مشهور بالظلم
يا مشبها فى لونه فعله * لم تعد ما أوجبت القسمه فعلك من لونك مستخرج * والظلم مشتق من الظلمه
ولطيف قول بعضهم أيضا
على بابك المعمور لازال عاليا * مطيات آمال البرية واقفه
فجودك موجود وطولك طائل * وعرفك معروف وكفك واكفه
وما أحسن قول بعض المتأخرين فى هذا النوع أيضا
عاينت طيف الذى أهوى وقلت له * كيف اهتديت وجنح الليل مسدول
فقال آنست نارا من جوانحكم * يضيء منها الذى السارين قنديل
فقلت نار الجوى معنى وليس لها * نور يضيء فهذا القول مقبول
فقال نسبتنا فى الامر واحدة * أنا الخيال ونار الشوق تخييل
وقد نبه على الاشتقاق فى قوله نسبتنا فى الامر واحدة
﴿ومن الجناس المطلق﴾ ويفرق بينه وبين المشتق بأن معنى المشتق يرجع الى أصل واحد والمطلق كل ركن منه يباين الآخر قول الشاعر
عرب تراهم أعجمين عن القرى * متنزلين عن الضيوف النزل
فأقمت بين الازد غير مزود * ورحلت عن خولان غير مخول

محمد على بن أحمد قال أخبرنا عبد الله بن ربيع التميمى قال حدثنا أبو على اسمعيل ابن القاسم البغدادى قال حدثنى أبو معاذ عبدان الخوبى المتطبب قال دخلنا يوما بسر من رأى على عمرو بن بحر الجاحظ نعوده وقد فلج فلما أخذنا مجالسنا أتى رسول المتوكل اليه فقال وما يصنع أمير المؤمنين بشق مائل ولعاب سائل ثم أقبل علينا فقال ما تقولون فى رجل له شقان أحدهما لو غرز بالمسال ما أحس والشق الآخر يمر به الذباب فيغوث وأكثر ما أشكوه الثمانون ثم أنشدنا بيتا من قصيدة عوف بن محلم الحرانى قال أبو معاذ وكان سبب هذه القصيدة أن عوفا دخل على عبد الله ابن طاهر فسلم عليه عبد الله فلم يسمع فأعلم بذلك فزعموا أنه ارتجل هذه القصيدة وأنشد
يا ابن الذى دان له المشرقان طرا وقد دان له المغربان
ان الثمانين وبلغتها قد أحوجت سمعى الى ترجمان

وقول الآخر أيضا بجانب الكرخ من بغداد عنّ لنا * ظبي ينفره عن وصلنا نفر
صغيرتاه على قتلى تظافرتا * يا من رأى شاعرا أودى به الشعر
وقال أبو فراس الحمداني
فما السلاف ازدهتني بل سوالفه * ولا الشمول دهتني بل شمائله
ومثله قول البهاء زهير يا من لعبت به شمول * ما ألطف هذه الشمائل
وللبحتري فيه أيضا وإذا ما رياح جودك هبت * صار قول الوشاة فيها هباء
وظريف قول ابن العفيف أراك فيمتلي قلبي سرورا * وأخشى أن تشط بك الديار
بجور واهجر وصد ولا تصلني * رضيت بأن تجور وأنت جار
ولشيخ شيوخ حماة تولى شبابي فولى الغرام * ولازم شيبي لزوم الغريم
ولو لم يصدني بازيه * لما صار مثني مهاة الصريم
(ومن شواهد الجناس المحرف) قول أبي تمام
هنّ الحمام فان كسرت عيافة * من حائهن فانهن حمام
وقول أبي العلاء المعري
لغيري زكاة من جمال فان تكن * زكاة جمال فاذكري ابن سبيل
وقول الحريري لله من ألبسني فروة * أضحت من الرعدة لي جنه
ألبسنيها واقيا مهجتي * وقي شر الانس والجنه
سيكتسي اليوم ثنائي وفي * غد سيكسي سندس الجنه
وقول الآخر قلب وقلب في يديك معذب ومنعم ظمآن يطلب قطرة * تشفي صداه ونعم
وبديع قول السلطان بلنسية أبي عبد الملك بن مروان بن عبد الله بن عبد العزيز وهو يعالج سكرات الموت
وقد أشرف على الفوت إله الخلق هب لي منك عفوا * تحط به وتغفر من ذنوبي
وسعت الخلق إجمالا ولطفا * فهل لي في نوالك من ذنوب
وما أبدع قول ابن الفارض
هلا نهاك نهاك عن لوم امرئ * لم يلف غير منعم بشقاء
وقول شيخ شيوخ حماة لعيني كل يوم فيك عبره * تصيرني لأهل العشق عبره
وقول ابن النقيب لا أجازي حبيب قلبي بظلمه * أنا أحنى عليه من قلب أمه
جوره مثل عدله عند من يهواه مثلي وظلمه مثل ظلمه
وقول البهاء زهير زهي ورد خديك لكنه * بغير النواظر لم يقطف
وقد زعموا انه مضعف * وما علموا انه مصعفي
وقول ابن جابر الاندلسي حل عقد الصبر مني عقدها * اذ سبت قلبي بما في قلبها
تحسب الدر على لبتها * أنجما قد حلي البدر بها
(ومن شواهد الجناس المضارع) وهو ما أبدل من أحد ركنيه حرف من مخرجه أو قريب منه قول
الشريف الرضي لابد كر الرمل الاحن مغترب * له الى الرمل أوطار وأوطان
وقول ابن نباتة رق النسيم كرقتي من بعدكم * فكأننا من حبكم نتغاير
ووعدت بالسلوان واش عابكم * فكأننا في كذبنا نتخاير
وقول ابن جابر الاندلسي سلب القلب غزال قده * قد حكى البان لما والسلما
نون صدغيه اذا أبصره * كاتب ألقى اليه القلما
وقوله أيضا أمر الشباب قضيب معطفها * فهما فنالت من دمي أملا
أسر الهوى مهج الانام لها * اذ هز من أعطافها أسلا

وبدلتني بالشطاط الحنا
وكنت كالصعدة تحت السنان
وأبدلتني من زماع الفتى
وهمه هم الجبان الهدان
وقاربت مني خطا لم تكن
مقاربات وثنت من عنان
وأنشأت بيني وبين الورى
غمامة ليست كنسج العنان
ولم تدع في لمستمتع
سوى لساني وبحسبي لسان
أدعو به الله وأثني به
على الامير المصعبي الهجان
فقربانى بأبي أنتما
من وطني قبل اصفرار البنان
وقبل منعاي الى نسوة
أوطانها حران والرقتان
(وذكر) أن تميم بن جميل
التغلبي عاث ببعض الاعمال
فحمله مالك بن طوق الى
المعتصم فلما قدم بين يديه
وأحضر السيف والنطع
لقتله رآه المعتصم جميلا
وسيما فأحب أن يعلم كيف
منطقه فقال له تكلم فقال
بعد أن حمد الله تعالى ودعا
للمعتصم ان الذنوب تخرس
الالسنة وتعمي الافئدة
وقد عظمت الجريرة وساء
الظن ولم يبق الا العفو
أو الانتقام وأرجو أن يكون

(ومن شواهد الجناس اللاحق) وهو عكس المضارع قول البحتري في مطلع قصيدة

هل لما فات من تلاف تلافي * أم لشاك من الصبابة شافي

يقول فيها وهو من المستشهد به على هذا النوع

عجب الناس لاعتزالي وفي الاطـ * ـراف تلفى منازل الاشراف

وقعودي عن التقلب والار * ض لمثلي رحيبة الاكناف

لست عن ثروة بلغت مداها * غير اني امرؤ كفاني كفافي

وقول أبي هلال العسكري

أراعي تحت حاشية الدياجي * شقائق وجنة سقيت مداما

وان ذكرت لواحظ مقلتيه * حسبت فلو بنا مطرت سهاما

وان مالت بعطفيه شمول * سقانا من شمائله سقاما

وقول الآخر نظرت الكثيب الاجرع الفرد مرة * فرد الى الطرف يدمى ويدمع

وقول ابن جابر بادر الحسن الذي منحت * فاسترق من خدها نظرا

قهر الاغصان معطفها * حين وافى حاملا قرا

(ومن شواهد الجناس اللفظي) وهو ما تماثل ركناه وتجانسا خطا وخالف أحدهما الآخر في حرف فيه مناسبة لفظية كما يكتب بالضاد والظاء ويلحق به ما يكتب بالتاء والهاء أو بالنون والتنوين وهذا نوع قليل حذا قال الارجاني وبيض الهند من وجدي هواز * باحدى البيض من عليا هوازن

وقال ابن العفيف أحسن خلق الله وجها وفما * ان لم يكن أحق بالحسن فمن

(ومن شواهد الجناس المقلوب) ويسمى جناس العكس وهو الذي يشتمل كل واحد من ركنيه على حروف الآخر من غير زيادة ولا نقص ويخالف أحدهما الآخر في الترتيب قول العباس بن الاحنف

حسامك فيه للاحباب فتح * ورمحك فيه للاعداء حتف

وقول القاضي أبي بكر البستي

حكاني بهار الروض لما ألفته * وكل مشوق للبهار مصاحب

فقلت له ما بال لونك شاحبا * فقال لاني حين أقلب راهب

وزاد على هذا المعنى ابن رشيق فقال

ياحسن ما سمي البهار به * لو تركته عيافة العايف قلبته راهبا فأشعرني * خوفا وتأويل راهب خايف

ومنه قول أبي عبد الله الغواص

من عذيري من عذولي في قمر * قامر القلب هواه فقمر

قمر لم يبق مني حبه * وهواه غير مقلوب قمر

ومثله قول قمر الدولة بن دواس

اجلي باجل اني * رجل ما فيه قلبه أو بكس ذالك فاني * قمر ما فيه قلبه

وقول بعضهم وتحت البراقع مقلوبها * تدب على ورد خدندي

تسالم من وطئت خده * وتسلب قلب الشجي الابعد

وقول الآخر فقالت ترى ماذا الذي أنت قانع * به من هوانا قلت مقلوب قانع

وقول ابن العفيف مع زيادة التورية

أسكرني باللحظ والمقلة الكحـ * ـلاء والوجنة والكاس

ساق يريني قلبه قسوة * وكل ساق قلبه قاس ي

ومثله قول الصلاح الصفدي

أقول وهما ما ألتقيهما بالك ثم ارتحل

أرى الموت بين النطع والسيف كامنا

يلاحظني من حيثما أتلفت

وأكثر ظني انك اليوم قاتلي

ومن ذا الذي مما قضى الله يفلت

وأي امرئ يدلي بعذر وحجة

وسيف المنايا بين عينيه مصلت

يعز على الاوس بن تغلب موقف

يسل على السيف فيه وأسكت

وما جزعي أني أموت واني

لاعلم أن الموت أمر موقت

ولكن خلفي صبية قد تركتهم

وأكبادهم من حسرة تتفتت

كأني أراهم حين أنعى اليهم

وقد خمشوا تلك الوجوه وصوتوا

فان عشت عاشوا سالمين بغبطة

أذود الردى عنهم وان مت موتوا

وكم قائل لا يبعد الله داره

وآخر جذلان يسر ويشمت

(فعفا عنه المعتصم) وقلده عملا

وهذه بديعة لو وقعت لمرؤ

ثابت الجأش مع طول المدة

وحصول الامن لكانت

قلب الدنيء من أحب فاضحت * نفحة الندّ من محياه تهدي

قال لي اعجب فقلت ماذا عجيب * كل دنّ قلبته صار ندّا

وقول أبي نصر أحمد بن الحسين الباخرزي

من عاذري من عاذل قال لي * ويحك كم تعشق يا مغرم

وآلم القلب ولا غرو اذ * كل ملوم قلبه مولم

وقول النيلي

اذا رأيت الوداع فاصبر * ولا يهمنك البعاد

وانتظر العود عن قريب * فان قلب الوداع عادوا

وما أحسن قول الوداعي في مليح ينتف

تعشقت ظبيا ناعس الطرف ناعما * الى ان تبدّى الشعر والعشق ألوان

وقالوا أفق من حبه فهو ناتف * فقلت عكستم انما هو فتان

وما أبدع قول ابن نباتة في الامير بهرام

قيل كل القلوب من * رهب الحب تضطرب قلت هذا محترص * قلب بهرام مارهب

ومن الغايات فيه قول عبد الله بن رواحة يمدح النبي صلى الله عليه وسلم وقيل انه أمدح بيت قالته العرب وهو

تحمله الناقة الادماء معتجرا * بالبرد كالبدر جلى نوره الظلما

وقال ابن أبي الاصبع رأيت في بعض الكتب ان هذا البيت أحد بيتين مجرورين لكعب بن زهير وهما

تحمله الناقة الادماء معتجرا * بالبرد كالبدر جلى ليلة الظلم

وفي عطافيه أو أثناء بردته * ما يعلم الله من دين ومن كرم

(أقول) ورأيت في حماسة أبي تمام نسبة البيت الذي ذكره ابن أبي الاصبع لابي دهبل الجمحي في الازرق المخزومي يرثيه في أبيات أخر وما ألطف قول القائل

وألفيتهم يستعرضون حوائجا * اليهم ولو كانت عليهم جوائحا

ومثله قول الآخر

ان بين الضلوع مني نارا * تتلظى فكيف لي أن أطيقا

فبحقي عليك يا من سقاني * أرحيقا سقيتني أم حريقا

وقول الآخر

قلت لما لاح لي منها شعاع وبريق

أشقيق أم عقيق * أم حريق أم رحيق

وقول الآخر وهو من الغايات هنا

لبق أقبل فيه هيف * كلما أملك ان غنى هبه

وأحسن ما في هذا النوع أن يكون أول البيت كلمة مقلوبها قافيته كقول الشاعر

رقت شمائل قاتلي * فلذاك روحي لا تقرّ رد الحبيب جوابه * فكأنه في اللفظ درّ

ومثله قول الصلاح الصفدي

رضت فؤادي غادة * ما كنت أحسبها تضرّ ردّت رسولي خائبا * فدامعي أبدا تدرّ

وما ألطف قول ابن جابر الاندلسي

بين نعمان وسلع ملأ * ليس منهم لمحب أمل

كلفي منهم ببدر حلّ في * فلك العلياء فاعرف من هم

وقوله

قد بان عذري في مليح له * لحظ رشا يحفظ عن ذعر

اني على الهجر مطيع له * ممتثل في السرّ والجهر

وقوله

أبدا أبسط خدّي أدبا * لكمو يا أهل ذاك العلم

أملي أني أرى ربعكمو * فبه يذهب عني ألمي

عظيمة فكيف بالبديهة في هذه الساعة التي يحول فيها الجريض دون القريض وحسبك بحال لم يقدر عبيد بن الابرص فيها على الرواية * وكذلك علي بن الجهم قال ارتجالا وقد صلب

لم ينصبوا بالشاذياخ عشية * لاثنين معلولا ولا مجهولا

نصبوا بحمد الله ملء عيونهم * حسنا وملء قلوبهم تبجيلا

ماضره ان بز عنه ثيابه * فالسيف أهول ما يرى مسلولا

وهذا من أحسن شعره وأبدعه (وروى) عن خالد الكاتب أنه قال دخلت الدير يوما فاذا أنا بشاب مغلول مربوط الى سارية فملت اليه وسلمت عليه فقال من تكون قلت خالد الكاتب قال صاحب المقطعات قلت نعم قال أنشدني فأنشدته

ترشفت من شفتيه عقارا * وقبلت من خده جلنارا

وعانقت منه قضيبا رطيبا * وردفا مهيلا وبدرا أنارا

وعاينت من حسنه في الظلام * اذا ما تبدى نهارا جهارا

فأطرق ثم أنشد

((ومن شواهد الجناس الملفق)) وهو أن يكون كل من الركنين مركبا من كلمتين قول المطوعي

وكم لجباه الراغبين اليه من * مجال سجود في مجالس جود

ومثله قول الصلاح الصفدي

وساق غدا يسعى بكأس وطرفه * يجرد أسيافا لغير كفاح

اذا جرح العشاق قالوا أقمت في * مدارج راح أم مدار جراح

ولطيف قول القاضي أبي على عبد الباقي بن أبي حصين وقد ولى قضاء المعرة وهو ابن عشرين سنة وأقام في الحكم خمس سنين وهو

وليت الحكم خمسا وهي خمس * لعمري والصبا في العنفوان

فلم تضع الاعادي قدر شاني * ولا قالوا فلان قد رشاني

وما أعذب قول ابن عنين هنا خبروها بأنه ما تصدى * لسلو عنها ولو مات صدا

((ومن أنواع التجنيس جناس الاشارة)) وهو أن لا يظهر التجنيس باللفظ بل بالاشارة كقول الشاعر

حلقت لحية موسى باسمه * وبهرون اذا ما قلبا

ومثله قول الاديب نصر بن أحمد الخزارزي

لقد عمرت في وجه صبان لحية * وما عمرت الا وفي العقل تخريب

فليت اسم موسى فوقها متمكن * وان غاب موسى فاسم هرون مقلوب

ومثله قول أبي روح الهروي

حقيق لك ان تطعم عفصا وهو معكوس * وان يلبس جنبالك الذي مقلوبه طوس

ثم التجنيس انما يستحسن اذا كان سهلا لا أثر للكلفة عليه وأما ان خرج عن هذا الحد فانه معيب عند أهل النقد ويذهب بهجة الشعر وحسنه وهذا وقع في أكثر شعر المتأخرين وقد حكى صاحب الحديقة أن ابن جديس أخبره أن عبد الله بن مالك القرطبي عمل قصيدة يقول فيها

وحييت انحييت حادي عيسهم * فكان عيسى من حداة العيس

فقال فيه بعض الشعراء

ثقلت بالتجنيس خفة روحها * ما كان أغناها عن التجنيس

ولحبك التجنيس جئت ببدعة * فجعلت عيسى من حداة العيس

﴿التصدير﴾

((سريع الى ابن العم يلطم وجهه * وليس الى داعي الندى بسريع))

البيت من الطويل وبعده

حريص على الدنيا مضيع لدينه * وليس لما في بيته بمضيع

وقائلهما الاقيشر الشاعر وكان شريبا للخمر متهتكا به لا يدخل في يده شيء الا أنفقه فيه وكان له ابن عم موسر فكان يسأله فيعطيه حتى كثر ذلك فمنعه وقال له الى كم أعطيك مالي وأنت تنفقه في شرب الخمر والله لا أعطيك شيأ أبدا فتركه حتى اجتمع قومه في ناديهم وهو فيهم ثم جاء فوقف عليهم فشكاه اليهم وذمه فوثب اليه ابن عمه فلطمه فقالهما (والشاهد فيه) رد العجز على الصدر وسماه المتأخرون التصدير وهو أن يكون أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بهما في آخر البيت واللفظ الآخر في صدر المصراع الاول أو حشوه أو آخره أو صدر المصراع الثاني ومن شواهده قول بعضهم

تمنت سليمى أن أموت صبابة * وأهون شيء عندنا ما تمنت

ومثله قول الآخر سكران سكر هوى وسكر مدامة * انى يفيق فتى به سكران

وقول أبي نواس وحياة رأسك لا أعود * لمثلها وحياة راسك

وقول ابن جابر جمال هذا الغزال سحر * يا حبذا ذلك الجمال

رب ليل أمد من نفس العا
شق طولا قطعته بانتحاب
ونعيم ألذ من وصل معشو
ق تبدلته بيوم عتاب
(قال خالد) فوالله اني منذ ثلاثين سنة لا أحسن اجازتهما (وروى) أبو الفرج أن شحنة بغداد كسر نبيذا كثيرا حتى ملأ الطريق فمر به بكر بن خارجة فلما رآه جلس يبكي فمر عليه بعض أصحابه فسأله عن سبب بكائه فقال بديها

يا لقومي لما جنى السلطان
لم يكن للذي أهان هوان
صبها في الطريق من حلب الكر
م عقارا كأنها زعفران
صبها في مكان سوء لقد أد
رك سعد السعود ذاك المكان

(قال الكرماني) أنشدتها الجاحظ فقال ان من حق الفتوة والمروءة أن لا أكتبها الا قائما فعمدته لانه كان مفلوجا حتى كتبها (وذكر) أن العباس بن ابراهيم الصولي كان قد ولى بعض النواحي للمتوكل فأخرج عليه أحمد بن المدبر جملة كبيرة وجلسا للمناظرة بين يدي المتوكل ولم يكن

هلال خدّيه لم يغب * عني وان غيب الهلال غزال أنس يصيد أسدا * فاعجب لما يصنع الغزال
دلاله دلّ كل مشوق * عليه اذ زانه الدلال كماله لا يخاف نقصا * دام له الحسن والكمال
نباله قد رمت فؤادي * لا أخطأت تلكم النبال حلال وصلي له حرام * وحكم قتلي له حلال
زلال ذاك اللمى حياتي * وأين لي ذلك الزلال قتاله لا يطاق لكن * يعجبني ذلك القتال

وقول أبي جعفر الغرناطي

منازل ليلى ان خلت فلطالما * بها عمرت في القلب مني منازل
وسائل شوقي كل يوم تزورها * وما ضيعت عند الكرام الوسائل

وقول أبي الفتح البستي

سحبان من غير مال باقل حصر * وباقل في ثراء المال سحبان

(والاقيشر) اسمه المغيرة بن عبد الله ينتهي نسبه لمضر بن نزار ويكنى أبا معرض وعمر طويلا ولقب بالاقيشر لحمرة وجهه وكان يغضب من هذا اللقب (اجتاز) يوما على مجلس لبني عبس فناداه أحدهم يا أقيشر فزجره الاشياخ ثم عاد الاقيشر ومعه رجل وقال له قف معي فاذا أنشدت بيتا فقل ولم ذاك ثم أتى مجلس القوم وقد عرف الشاب فأقبل عليه وقال

أتدعوني الاقيشر ذاك اسمي * وأدعوك ابن مطفئة السراج

فقال له الرجل ولم ذاك فقال

تناجي خدنها في الليل سرّا * ورب الناس يعلم ما تناجي

وقال محمد بن سلام كان الاقيشر كوفيا خليعا ماجنا مدمنا للخمر وهو الذي يقول لنفسه

فان أبا معرض اذ حسا * من الراح كاسا على المنبر
خطيب لبيب أبو معرض * اذا ليم في الخمر لم يصبر
أحلّ الحرام أبو معرض * فصار خليعا على المكبر
يحب اللئام ويلحى الكرام * وان أقصروا عنه لم يقصر

وكان الاقيشر عنينا لا يأتي النساء وكان يصف ضد ذلك من نفسه فجلس يوما رجل من قيس فأنشده الاقيشر

ولقد أروح بمشرف ذي منعة * عسر المكرّة ماؤه يتفصد
مرح يطير من المراح لعابه * ويكاد جلد اهابه يتقدّد

ثم قال للرجل أتبصر الشعر قال نعم قال فما وصفت قال فرسا قال أفكنت لو رأيته ركبته فقال اي والله وأثني عطفه فكشف الاقيشر عن ايره وقال هذا وصفت فقم فاركبه فوثب الرجل عن مجلسه وهو يقول قبحك الله من جليس (وشرب) الاقيشر يوما في بيت فيه خياط مقعد ورجل أعمى وعندهم مخنث يغنيهم فطرب الاقيشر فسقاهم من شرابه فلما انتشوا قام الاعمى يسعى في حوائجهم وقفز الخياط المقعد يرقص على ظلعه ويجهد في ذلك جهده فقال الاقيشر

ومقعد قوم قد مشى من شرابنا * وأعمى سقيناه ثلاثا فابصرا
شرابا كريح العنبر الورد ريحه * ومسحوق هندي من المسك أذفرا

(وحدث) رجل من بني أسد قال سمعت عمة الاقيشر تقول له يوما اتق الله وقم فصلّ فقال لا أصلي فأكثرت عليه فقال قد أبرمتني فاختاري خصلة من خصلتين اما أن أصلي ولا أتطهر واما أن أتطهر ولا أصلي قالت قبحك الله فان لم يكن غير هذا فصلّ بلا وضوء فقام فصلى بغير وضوء (وقال أبو أيوب المدايني) حدثت أنه شرب يوما في بيت خمار بالحيرة فجاءه شرطي من شرط الامير ليدخل عليه فأغلق الباب فناداه الشرطي اسقني نبيذا وأنت آمن فقال والله أنت ما آمنك ولكن هذا ثقب في الباب فاجلس عنده وأنا أسقيك منه ثم وضع له أنبوبا من قصب في الثقب وصب فيه نبيذا من داخل والشرطي يشرب من خارج حتى سكر فقال الاقيشر

من رجال أحمد في كتابة الخراج ولا أحد من رجاله في البلاغة والشعر فكاد يفتضح فوقعت قضية للمتوكل أوجبت أن ارتجل

صدّ عني وصدّق الاقوالا
وأطاع الوشاة والعذالا
أتراه يكون شهر صدود
وعلى وجهه رأيت الهلالا

فنمر المتوكل طربا وأقره على عمله وسوّغه ما عليه (وذكر) أبو الفرج في كتاب القيان والمغنين أنه كان بدمشق جارية لبعض الهاشميين يقال لها أمل فدعا اخوانا له من أجلاء الكتاب ودعاها ودعا قيانا غيرها فحضروا وتأخرت فتنغص عليه يومه من أجلها ثم جاءت فسرّي عنه وطرب وشرب وكتب ارتجالا

ألم تريا يومنا اذ نأت
فلم تأت من بين أترابها
وقد غمرتنا دواعي السرو
ر بالهائها وباطرابها
ومدّت علينا خيام النعيم
وكان المنى بعض أطنابها
ونحن فتور الى أن دنت
وبدر الدجى بين أثوابها

سأل الشرطي أن نسقيه * فسقيناه بأنبوب القصب
انما نشرب من أموالنا * فاسأل الشرطي ماهذا الغضب

(وعن الهيثم بن عدي) قال كان قيس بن محمد بن الاشعث ضرير البصر وكان يتنسك فأتاه الاقيشر فسأله فأمر قهرمانه فأعطاه ثلاثمائة درهم فقال لا أريدها جملة ولكن مر القهرمان أن يعطيني كل يوم ثلاثة دراهم حتى تنفد فأمره بذلك فكان يأخذها فيجعل درهما للطعامه ودرهما للشرابه ودرهما للدابة تحمله الى بيوت الخمارين فلما نفدت الدراهم أتاه الثانية فسأله فأعطاه وفعل بها مثل ذلك ثم أتاه الثالثة فأعطاه وفعل بها مثل ذلك ثم أتاه الرابعة فسأله فقال له قيس لا أبالك كأنك قد جعلت هذا خراجا علينا فانصرف وهو يقول

ألم تر قيس الاكمه ابن محمد * يقول ولا تلقاه للخير يفعل
رأيتك أعمى العين والقلب ممسكا * وما خير أعمى القلب والعين يبصل
فلوصم تمت لعنة الله كلها * عليه وما فيه من الشر أفضل

فقال قيس لو نجى أحد من الاقيشر لنجوت منه (واختصم) قوم بالكوفة في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم فقالوا نجعل بيننا أول من يطلع علينا فطلع الاقيشر عليهم وهو سكران فقال بعضهم لبعض انظروا من حكمنا فقالوا يا أبا معرض قد حكمناك قال فيماذا فأخبروه فمكث ساعة ثم أنشأ يقول

اذا صليت خمسا كل يوم * فان الله يغفر لي فسوقي
ولم أشرك برب الناس شيأ * فقد أمسكت بالحبل الوثيق
وهذا الحق ليس به خفاء * فدعني من بنيات الطريق

(وقال ابن الكلبي) كان الاقيشر يأتي الحيرة ليشرب الخمر فلما دخل شهر رمضان منعه ابن عم له يقال له أسيد من الخروج اليها والشرب فيها فلقيه صاحب له وقد شحب لونه وهزل فقال له مالي أراك متغير اللون يا أبا معرض فقال

أما تراني قد هلكت فانما * رمضان أهلكني ودين أسيد
هذا يصرّدني فلست بشارب * وأخ يورّقني مع التصريد

قال وشرب الاقيشر من حانوت خمار حتى أنفد ما معه ثم شرب ثيابه حتى غلقت فلم يبق عليه شئ وجلس في تبن في جانب البيت الى حلقه مستدفئا به فمر عليه رجل ينشد ضالة فقال اللهم اردد عليه واحفظ علينا فقال له الخمار سخنت عينك أي شئ يحفظ عليك ربك فقال هذا التبن لا آمن أن تأخذه فأموت من البرد فضحك الخمار ورد عليه ثيابه وقال له اذهب فاطلب ما تشرب به ولا تجئني بثيابك فاني لا أسترهنها أبدا بعد هذا (وحكي) عنه أنه أتى يوما من الايام بيت الخمار الذي كان يأتيه فلم يجده وانتظره فدخلت امرأة عبادية فقال لها ما فعل فلان قالت مضى لحاجته وأنا امرأته وقيل ان الخمار كان اسمه حنينا وان المرأة قالت له أنا أم حنين فما تريد قال نبيذا قالت بكم قال بدرهمين فقالت له هلم درهميك وانتظرني قال لا بل أكون معك قالت أنت وذاك فمضت وتبعها فدخلت دارا لها بابان فخرجت من أحدهما وجلس هو ينتظر فلما طال جلوسه خرج بعض أهل الدار فقال ما يحبسك فأخبره القصة فقال تلك امرأة محتالة من العباديين يقال لها أم حنين فعلم أنه خدع فقال

لا تغرّن ذات خف سوانا * بعد أخت العباد أم حنين
وعدتنا بدرهمين شواء * وطلاء معجلا غير دين
ثم ألوت بالدرهمين جميعا * يالقومي لضيعة الدرهمين
عاهدت زوجها وقد قال اني * سوف أغدو لحاجتي ولديني
فدعت كالحصان أبيض جلدا * وافر الايرمرسل الخصيتين
قال ما أجر ذا هديت فقالت * سوف أعطيك أجره مرتين
فابدأ الآن بالسفاح فلما * ساحته أرضته بالأجرتين
تلها للجبين ثم امتطاها * عارم الأير أفحج الحالبين
بيماذاك منهما وهي تحوى * ظهره بالبنان والمعصمين

فلما نأت كيف كنالها
ولما دنت كيف صرنا بها
وقرئت عليها الابيات
فقالت ليس الامر كذلك
قد كنتم قبلي في لذة وانما
تحملتم بهذا لما حضرت فقال

يا من حنيني اليه
ومن فؤادي لديه
ومن اذا غاب من بي
نهم أسفت عليه
من غاب غيرك منهم
فاذنه في يديه

فرضيت عنهم وأتموا يومهم (وحكي) أن علي بن الجهم قال كنت بين يدي المتوكل وقد أتاه رسول برأس اسحق ابن اسمعيل فقام علي بن الجهم يخطر بين يدي الرسول وهو يرتجز

أهلا وسهلا بك من رسول
جئت بما يشفي من الغليل
برأس اسحق بن اسمعيل

فقال المتوكل التقطوا هذا الجوهر لا يضيع (قال علي بن ظافر) اسحق بن اسمعيل هذا مولى لبني أمية خرج بتفليس في سنة سبع وثلاثين ومائتين حين وثب أهل أرمينية بعاملهم من جهة المتوكل يوسف بن محمد بن

جاءها زوجها وقد شيم فيها * ذو انتصاب موثق الاخدعين
فتأسى وقال ويلا طويلا * لحنين من عار أم حنين

قال فجاء حنين الحمار فقال يا هذا ما أردت الا هجائى وهجاء أمى قال أخذت منى درهمين ولم تعطنى شرابا فقال لا والله لا تعرفك أمى ولا أخذت منك شيأ قط فانظر الى أمى فان كانت صاحبتك غرمت لك الدرهمين قال لا والله لا أعرف غير أم حنين وما أهجو الا أم حنين وابنها فان كانت أمك فاياها أعنى وان كانت أم حنين أخرى فاياها أعنى قال فاذا الا يفرق الناس بينهما فقال ما على أترى أن درهمى يضيعان على فقال هلم اذا أغرمهما لك لا بارك الله لك فيهما (وحكى) أنه تزوج بابنة عم له يقال لها الرباب على أربعة آلاف درهم فأتى قومه فسألهم فلم يعطوه شيأ فأتى ابن رأس البغل وهو دهقان الصين وكان مجوسيا فسأله فأعطاه الصداق كاملا فقال

كفانى المجوسى مهر الربا * ب فداء المجوسى خال وعم
شهدت عليك بطيب الارو * م وأنك بحر جواد خضم
وانك سيد أهل الجحيم * اذا ماتردّيت فيمن ظلم
تجاور هامان فى قعرها * وفرعون والمكتنى بالحكم

فقال المجوسى ويحك سألت قومك فلم يعطوك شيأ وجئتنى فأعطيتك فجزيتنى هذا القول ولم أفلت من شرك فقال أوما ترضى أن جعلتك مع الملوك وفوق أبى جهل ثم جاء الى عكرمة بن ربعى التميمى فسأله فلم يعطه شيأ فقال

سألت ربيعة من شرها * أبا ثم أما فقالوا لمه
فقلت لأعلم من شركم * وأجعل للسب فيكم سمه
فقالوا العكرمة المخزيات * وماذا يرى الناس فى عكرمه
فان يك عبدا زكا ماله * فما غير ذا فيه من مكرمه

ومن شعر الاقيشر قوله

يا أيها السائل عما مضى * من علم هذا الزمن الذاهب
ان كنت تبغى العلم أو أهله * أو شاهدا يخبر عن غائب
فاختبر الارض بأسمائها * واعتبر الصاحب بالصاحب

وكان الاقيشر مولعا بهجاء عبد الله بن اسحق ومدح أخيه زكرياء فقال عبد الله لغلمانه ألا تريحونى منه فجمعوا بعرا وقصبا بظهر الكوفة وجعلوه فى وسط ارة وأقبل الاقيشر وهو سكران من الحيرة على بغل أبى المضاء رجل مكار فأنزلوه عن البغل ففار وأخذوا الاقيشر فشدوه رباطا ثم وضعوه فى تلك الارة وألهبوا النار فى ذلك القصب والبعر وجعلت الريح تسفع وجهه وجسمه بتلك النار فأصبح ميتا ولم يدر من قتله وكان ذلك فى حدود الثمانين من الهجرة المشرفة

(تمتع من شميم عرار نجد * فما بعد العشية من عرار)

البيت للصمة القشيرى من أبيات من الوافر وهى

أقول لصاحبى والعيس تهوى * بنا بين المنيفة فالضمار

وبعده البيت وبعده

ألا يا حبذا نفحات نجد * وريا روضه بعد القطار
وأهلك اذ يحل الحى نجدا * وأنت على زمانك غير زار
شهور ينقضين وما شعرنا * بأنصاف لهن ولا سرار
فأما ليلهن فخير ليل * وأقصر ما يكون من النهار

وقيل الابيات لجعدة بن معاوية بن حزم العقيلى (ومن ظريف) ما يحكى هنا أن على بن عيسى الربعى النحوى وكان يرمى بالجنون مر يوما بسكران ملقى على قارعة الطريق فحل الربعى سراويله وجلس على أنف السكران وجعل يضرط ويشمه ويقول

تمتع من شميم عرار نجد * فما بعد العشية من عرار

يوسف وتولى قتل اسحق هذا بغا الكبير فى سنة سبع وثلاثين ولم يكن بين اغتباط المتوكل بعلى هذا الاغتباط وبين نفيه الا نحو سنة لانه نفاه الى خراسان فى سنة ثمان وثلاثين (وذكر) ابن أبى طاهر فى أخبار بغداد عن محمد بن عبدوس الفارسى أنه قال سرت يوما الى على ابن الجهم فأنشدنى لنفسه فى الفراق

ولم أنس ليلا ضمنا بعد فرقة
وأدنى فؤادا من فؤاد معذب
وبتنا جميعا لو تراق زجاجة
من الراح فيما بيننا لم تسرب

فانقدح زندى لا براه مثله فأطرقت وقلت بديها

لا والمنازل من نجد وليلتنا
بغيداذ جسدانا فى الهوى جسد
كم رام فينا الكرى من لطف مسلكه
سرا فما انفك لا أخذ ولا عضد
ما أنصفونى دعونى فاستجبت لهم
حتى اذا قربونى منهم بعدوا

(أبانى) المقدسى عن القيروانى عن السمرقسطى عن الحميدى قال حكوا أن

وعلى ذكره فانه كان مبتلى بالكلاب سأل يوما أولادا لا كابر الذين كانوا يحضرون عنده أن يمضوا معه الى كلوا اذا فطنوا لذلك لحاجة عرضت له فركبوا خيولا وخرجوا وجعل هو يمشى بين أيديهم فسألوه الركوب فأبى عليهم فلما صار بخرابها أوقفهم على تل وأخذ كساء وعصا ومازال يعدو الى كلب هنالك والكلب يثب عليه تارة ويهرب منه أخرى حتى أعياه فعاونوه عليه حتى أمسكوه له فأخذ يعض على الكلب بأسنانه عضا شديدا والكلب يستغيث ويزعق فما تركه حتى اشتفى وقال هذا عضنى منذ أيام وأردت أن أخالف قول الاول

شاتمنى كلب بنى مسمع * فصنت عنه النفس والعرضا

ولم أجبه لاحتقارى له * ومن يعض الكلب ان عضا

وهذان البيتان أنشدهما أبو عمرو بن العلاء عن ثعلب فى المبرد ومنه أخذ الناجم

عذيرى من أخى سفه رمانى * بجافيه فقلت له سلاما

أبالى أن أجيبك ان قدرى * أبى لى أن أنازعك الكلاما

(ومن عجيب ما يحكى فى التطير) أن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب لما خرج من القاهرة الى جهة البلاد الشامية أقام ظاهر البلد لتجتمع العساكر وعنده الاعيان من الدولة والعلماء والادباء فأخذ كل واحد يقول شيأ فى الوداع والفراق وكان فى الحاضرين معلم أولاده فأخرج رأسه من بين الحاضرين وأشار الى السلطان منشدا

تمتع من شميم عرار نجد * فما بعد العشية من عرار

فانقبض السلطان والناس وتطير وامس ذلك وكان الامر على ما قال فانه لم يعد الى مصر بعدها واشتغل بالبلاد الشرقية وفتوح القدس والسواحل الى أن مات رحمه الله تعالى وهذه الواقعة لا يستغرب مثلها من معلم أطفال فان لهم نوادر يعجز يحى عن حدها ويقصر هبنقة عن شأوها (فمن ذلك ما حكاه بعضهم) قال عبرت على معلم وهو يملى على غلام بين يديه فريق فى الجنة وفريق فى الشعير فقلت له يا هذا ان الله لم يقل الا فريق فى الجنة وفريق فى السعير فقال أنت تقرأ على حرف أبى عاصم بن العلاء الكسائى وأنا أقرأ على حرف أبى حمزة بن عاصم المدنى فقلت له معرفتك بالقراء أعجب الى من معرفتك بالقرآن وانصرفت (وقال آخر) مررت بخربة واذا معلم واقف على أربع ينبح نبح الكلاب فجعلت أنظر اليه واذا صبى قد رفع سترا وخرج فقبض المعلم عليه فقلت للمعلم عرفنى خبرك قال نعم هذا صبى أؤدبه وهو يبغض التأديب ويفر منه فيدخل الى داخل فلا يخرج فاذا طلبته بكى ويؤذيهم وله كلب يلعب به فأنبح له فيظن انه كلبه فيخرج الى فآخذه (وقال آخر) لبعض المعلمين مالى لا أرى لك عصا قال لا أحتاج اليها انما أقول من لم يرفع صوته بالهجاء فأمه زانية فيرفعون أصواتهم وهذا أبلغ من العصا وأسلم (ورأى) معلما رائحة الفساء فصاح بالصبيان ويلكم تخرجون الريح فجحدوا جميعا فصاح واحد منهم يا معلم فعله أخى فقال المعلم أترانى لا أعلم أنها فسوته ولكن أعلل نفسى بالاباطيل (وقال صبى) للصبيان هل لكم فى أن نغلب اليوم معلما قالوا نعم قال تعالوا حتى نشهد عليه انه مريض فجاء واحد وقال أراك ضعيفا وأظنك ستحم فلو أتيت المنزل فاسترحت وقت أنا مقامك فقال يا فلان زعم فلان أنى عليل فقال صدق والله وهل يخفى هذا على جميع الصبيان ان سألتهم أخبروك فسألهم فشهدوا فقال انصرفوا اليوم وتعالوا غدا (وضرب) معلم صبيا فقيل له ما ذنبه قال أنا أضربه قبل أن يذنب لئلا يذنب (وقال بعضهم) رأيت صبيا تعلق بآخر وأحضره بين يدى معلم وقال يا أستاذى هذا عض أذنى فقال والله ما عضها وانما هو عض أذن نفسه فقال المعلم يا ابن الخبيثة هو صار جملا حتى يعض أذن نفسه (وقال الجاحظ) رأيت معلما يبكى فقلت له ما يبكيك قال سرق الصبيان خبزى (وقرأ صبى) على معلم هم الذين يقولون لا تنفقوا الامى عند رسول الله فقال المعلم من عند أبيك القرنان أولى فانه كثير المال يا ابن الفاعلة أتلزم النبى صلى الله عليه وسلم نفقة لا تجب عليه أعجبك كثرة ماله (وقال معلم) لصبى ما هجاء حمار فقال حاء راء ميم كاف فقال المعلم يا ابن الفاعلة أقول لك هجاء حمار وتقول هجاء حر أمك ونوادرهم كثيرة فلا حاجة الى الاطالة بها وما أحسن قول بعض المعلمين ببلخ وقد جلس حديث عهد بتعليم الصبيان

عبد الرحمن بن عاصم صاحب الشرطة كان أديبا شاعرا سريع البديهة كثير النوادر من جلساء الامير عبد الرحمن ذكره غير واحد وحكوا أنه دخل عليه فى يوم غيم وبين يديه غلام حسن المحاسن جميل الزى لين الاخلاق فقال له ما يصلح ليومنا هذا فقال عقار تنفر الدنان وتؤنس الغزلان وحديث كقطع الروض قد سقطت فيه مؤنة التحفظ وأرخى عليه عنان التبسط يديرها هذا الاغيد المليح فضحك ثم أمر بالغناء وآلات الصهباء فلما دارت الكؤس واستمطر الامير نوادره أشار الى الغلام أن يلح عليه فلما أكثر رفع رأسه اليه وقال على البديهة

يا حسن الوجه لا تكن صلفا * ما لحسان الوجوه والصلف

تحسن أن تحسن القبيح ولا * ترثى لصب متيم دنف

فاستبدع الامير بديهته وأمر له ببدرة ويقال انه خيره بينها وبين الوصيف فاختارها نفيا للظنة عنه (وذكر) أن الخليع حضر

ماطار بين الخافقين أقل عقلا من معلم * ولقد دخلنا فى الصنا عة من قريب رب سلم

ولنرجع الى الكلام على البيت المستشهد به على النوع وقد ضمنه أبو جعفر الاندلسى فقال

لقد كثر العذار بوجنتيه * كما كثر الظلام على النهار
فغابت شمس وجنته وجاءت * على مهل عشيات العرار
فقلت لناظرى لما رآها * وقد خالط السواد بالاحمرار
تمتع من شميم عرار نجد * فما بعد العشية من عرار

والشميم مصدر كالشم والعرار بفتح العين بهار البر واحدته بهاء وهو ورد ناعم أصفر طيب الرائحة (والشاهد فى البيت) مجىء اللفظ الآخر فى حشو المصراع الاول ومنه قول جرير

سقى الرمل جون مستهل غمامة * وماذاك الاحب من حل بالرمل

وقول زهير كذلك خيمهم ولكل قوم * اذا مستهم الضراء خيم

وقول أبى تمام ولم يحفظ مضاع المجد شئ * من الاشياء كالمال المضاع

وقول الخليع الشامى خذيا غلام عنان طرفك فاثنه * عنى فقد ملك الشمول عنانى

وقول أبى الفتح البستى أشفق على الدرهم والعين * تسلم من الغيبة والدين
فقوة العين بانسانها * وقوة الانسان بالعين

وقول أبى جعفر البصاث وقد حلم بخيال حبيب له فنبهه ذلك الحبيب

يامن ينبهنى عن رقدة جمعت * بينى وبين خيال منه مأنوس
دعنى فانك محروس ومرتقب * وخلنى وخيالا غير محروس

وقول الغزى فلو سمح الزمان بها لضنت * ولو سمحت لضن بها الزمان

ولابن جابر فيه بين تلك الخيام أكرم قوم * ضربت للندى عليهم خيام
قد أقاموا بين العقيق وسلع * فحياة النفوس حيث أقاموا

وله أيضا خجلت عند ما نظرت اليها * وانثنت وهى بين تيه ومنع
فما وردخدها ازرع طرفى * حين يرنو فكيف أحرم زرعى

﴿والصمة﴾ هو ابن عبد الله بن الطفيل بن قرة بن هبيرة القشيرى شاعر اسلامى بدوى مقل من شعراء الدولة الاموية ولجده قرة بن هبيرة صحبة مع النبى صلى الله عليه وسلم وهو أحد وفود العرب عليه وكان الصمة يهوى ابنة عم له يقال لها ذئبة أو ثرعليه فى تزويجها غيره لان عمه لوم فى السماح بالمهر وكان قد اشتط فيه ولوم أبوه فى اكماله فأنف الصمة من فعلهما وخرج الى طبرستان فأقام بها الى أن مات ﴿وحكى﴾ ابن دأب أن الصمة هوى امرأة من بنى عمه يقال لها العامرية بنت عطيف فخطبها الى أبيها فأبى أن يزوجه بها وخطبها عامر ابن بشر الجعفرى فزوجه اياها فلما نقلها زوجها وجد بها وجدا شديدا فزوجه أهله امرأة منهم يقال لها جبرة فأقام معها يسيرا ثم رحل الى الشام غضبا على قومه وقال

لعمرى لئن كنتم على النأى والقلى * بكم مثل مابى انكم لصديق
اذا زفرات الحب صعدن فى الحشى * رددن ولم ينهج لهن طريق

وقال أيضا اذا ما أتتنا الريح من نحو أرضكم * أتتنا برياكم فطاب هبوبها
أتتنا بريح المسك خالط عنبرا * وريح الخزامى باكرتها جنوبها

(قال) وخرج الصمة فى غزو الى الديلم فمات بطبرستان (وحكى) عن رجل من أهل طبرستان قال بينما أنا أمشى فى ضيعة لى فيها ألوان من الفاكهة والزعفران اذا انسان مطروح عليه أثواب خلقان فدنوت منه فاذا هو يتحرك ويتكلم فأصغيت اليه فاذا هو يقول بصوت خفى

تعز بصبر لا وربك لا ترى * سنام الحمى أخرى الليالى الغوابر

مجلس المتوكل فى جملة الندماء وقد كبر سنه وضعف جسمه وبين يديه شفيع خادمه بنضد ورد وعليه قراطق موردة ولم يكن فى عصره خادم أحسن منه فأمره المتوكل أن يحييه بوردة ويغمزيده ليحرك خاطره ففعل فارتجل

وكالوردة البيضاء حيا بوردة * من الجوعشى فى قراطق من ورد
سقانى بعينيه وكفيه شربة * فأذكرنى ماقدنسيت من العهد
له عبثات عندكل تحية * بكفيه تستدعى الخلى الى الوجد
سقى الله دهرا لم أبت فيه ليلة * من الدهر الا من حبيب على وعد

(قال على بن ظافر) وهذه الحكاية تشبه حكاية ذكرها الفتح بن خاقان فى قلائد العقيان أوردتها ههنا قاطعا ترتيب الحكايات طلبا للمجانسة حتى اذا نجزت عدنا لترتيب الاخبار على ترتيب الاعصار قال الفتح بن خاقان أخبرنى الوزير أبو

كأن فؤادي من تذكره الحمى * وأهل الحمى يهفو به ريش طائر

فما زال يردد هذين البيتين حتى فاضت نفسه فسألت عنه فقيل لي هذا الصمة بن عبد الله القشيري

(ومن كان بالبيض الكواعب مغرما * فما زلت بالبيض القواضب مغرما)

البيت لأبي تمام من قصيدة من الطويل يمدح بها محمد بن يوسف الطائي أولها

عسى وطن يدنو بهم ولعلما * وأن تعقب الايام فيهم فربما
لهم منزل قد كان بالبيض كالدمى * فصيح المغاني ثم أصبح أعجما
وردّ عيون الناظرين مهانة * وقد كان مما يرجع الطرف مكرما
تبدّل غاشيه بريم مسلم * تردّى رداء الحسن طيفا مسلما
ومن وشي خزّ لم ينمنم فرنده * معالم يذكرن الكتاب المنمنما
وبالحلي ان قامت ترنم فوقها * حماما اذا لاقى حماما ترنما
وبالخدلة الساق المخدمة الشوى * قلائص يتلون القسيّ المخدّما
لقد أصبح الثغران سدّين بعدما * رأوا سرعان الذل فذا وتوأما
وكنت لناشيهم أبا ولكهلهم * أخا ولذي التقويس والكبرة ابنما

وبعده البيت وبعده ومن تيمت سمر الحسان وأدمها * فما زلت بالسمر العوالي متيما

وهي طويلة بديعة والكواعب جمع كاعب وهي الناهدة الثدي والبيض القواضب السيوف القواطع (والشاهد في البيت) مجيء اللفظ الآخر في آخر المصراع الاول ومنه قول أبي الاسود الدؤلي

وما كل ذي لب بمؤتيك نصحه * وما كل مؤت نصحه بلبيب

وقول أبي تمام وجوه لو ان الارض فيها كواكب * توقد للساري لكانت كواكبا

وقول ابن الرومي ريحانهم ذهب على درر * وشرابهم درر على ذهب

وقول ابن جابر لك نفسي اذا بدت لك نجد * فلقد سرّني الزمان بنجد

فلتلك الخيام عندي عهد * وأبى الله أن أضيع عهدي

وما أبدع قول البديع الهمذاني في معنى بيت أبي تمام المستشهد به هنا وهو من شواهد البيت قبله

وهواي للبيض الصبا * ح هواك للبيض الصفاح

(وان لم يكن الا معرج ساعة * قليلا فاني نافع لي قليلها)

البيت لذي الرمة من قصيدة من الطويل قالها في صاحبته مية أولها

خليليّ عدّا حاجتي من هواكما * ومن ذا يواتي النفس الا خليلها
ألما على الدار التي لو وجدتما * بها أهلها ما كان وحشا مقيلها

وبعده البيت وبعده لقد أشربت قلبي لمي مودّة * تقضي الليالي وهو باق وسيلها
مهفهفة الكشحين روّد شبابها * مبتلة خود نبيل حجولها
وقد تيمت قلبي فليس بنازع * وقد شفه هجرانها ومطولها

(روي) عن سليمان بن عباس قال أخبرني أبي قال مررت في أرض بني عقيل فرأيت جارية بيضاء تدافع في مشيها تدافع الفرس المختال تنظر عن عينين نجلاوين بأهداب كقوادم النسور لم أر أكمل جمالا منها فوقفت لا كلمها فقالت لي عجوز بفناء منزلها مالك ولهذا الغزال النجدي الذي لا حظ لك فيه سوى قول القائل

ومالك منها غير أنك نائك * بعينيك عينيها وأيرك خائب

فقالت لها الفتاة دعيه يا أماه يكن كما قال ذو الرمة

وان لم يكن الا معرج ساعة * قليلا فاني نافع لي قليلها

ومنه قول يزيد بن الطثرية

عامر بن شغير أنه حضر مجلس القائد أبي عيسى بن لبون في يوم سفرت فيه أوجه المسرات ونامت عنه أعين المضرات وأظهر سقاته غصونا تحمل بدورا وتطوف من المدام بنار مازجت من الماء نورا وشموس الكاسات تشرق في أكف سقاتها كالورد في السوسان وتغرب بين أقاحي نجوم الثغور فتبدل نرجس الاجفان وعنده الوزير أبو الحسن بن الحاج اللورقي وهو يومئذ قد بذل الجهد في التحلي بالزهد فأمر القائد ساقيه أن يعرض عليه ذهب كاسه ويحييه بزبرجد آسه ويغازله بطرفه ويميل عليه بعطفه ففعل ذلك عجلا فأنشدني أبو الحسن مرتجلا

ومهفهف مزج الفتور بشدّة * وأقام بين تمدّل وتمنع
يثنيه من فعل المدامة والصبا * سكران سكر طبيعة وتطبع
أومى الي بكاسه فرددتها * وربما فشفعها بلحظ مطمع
والله لولا أن يقال هوى الهوى * منه بفضل عزيمة وتورع

أليس قليلا نظرة ان نظرتها * اليك ولكن ليس منك قليل

وقول أبي اسحق الموصلي ان ما قل منك يكثر عندي * وكثير ممن تحب قليـــل

وقول الخوارزمي اذا ما لكم فلا تتيهوا * وان حكمتم فلا تجوروا

تعطفوا وارحموا محبا * قليلكم عنده كثير

وقول المتنبي وجودك بالمقام ولو قليلا * فما فيما تجود به قليل

وقول أبي نصر أحمد الميكالي

قليل منك يكفيني ولكن * قليلك لا يقال له قليل

وقد ألم بهذا المعنى شرف السادة محمد بن عبيد الله الحسيني البلخي بقوله من قصيدة طويلة

ولو عاسمع البكي بدره * وشفي الغليل تعلل بقليل

والتعريج الاقامة على الشيء وحبس المطي على المنزل والمعنى ان لم يكن المسامحة أي نزولكما القليل بالدار الا تعريج ساعة فان قليلها ينفعني ويشفي غليل وجدي (والشاهد فيه) مجيء اللفظ الآخر في صدر المصراع الثاني وما أحسن قول ابن جابر

صفحوا عن محبهم وأقالوا * من عثار النوى ومنوا بوصل

لست أستوجب الوصال ولكن * أهل تلك الديار أكرم أهل

﴿وذو الرمة﴾ هو أبو الحرث غيلان بن عقبة ينتهي نسبه لنزار الشاعر المشهور أحد فحول الشعراء (يقال) انه كان ينشد شعره في سوق الابل فجاء الفرزدق فوقف عليه فقال له ذو الرمة كيف ترى ما تسمع يا أبا فراس قال ما أحسن ما تقول قال فمالي لا أذكر مع الفحول قال قصر بك عن غايتهم بكاؤك في الدمن ووصفك الابعار والعطن (قال أبو عمرو بن العلاء) ختم الشعر بذي الرمة والرجز برؤبة بن العجاج فقيل له ان رؤبة حي فقال نعم ولكنه ذهب شعره كما ذهب مطعمه وملبسه ومنكحه فقيل له فهؤلاء الآخرون فقال مرقعون مهتدمون اتاهم كل على غيرهم وذو الرمة أحد عشاق العرب المشهورين بذلك وصاحبته مية ابنة مقاتل ابن طلبة بن قيس بن عاصم المنقري وقيس بن عاصم هو الذي قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد بني تميم فأكرمه وقال له أنت سيد أهل الوبر وكان ذو الرمة كثير التشبيب بها في شعره واياها عنى أبو تمام الطائي في قصيدته البائية بقوله

ما ربع مية معمورا يطيف به * غيلان أبهى ربا من ربعها الخرب

(وقال ابن قتيبة) قال أبو ضرار الغنوي رأيت مية واذا معها بنون لها فقلت صفها لي فقال مسنونة الوجه طويلة الخد شماء الانف عليها وسم جمال قلت أكانت تنشدك شيئا مما قال فيها ذو الرمة قال نعم ومكثت مية زمانا تسمع شعر ذي الرمة ولا تراه فجعلت لله عليها أن تنحر بدنة اذا رأته فلما رأته رأت رجلا دميما أسود وكانت من أهل الجمال فقالت واسوأتاه وابؤساه فقال ذو الرمة

على وجه مي مسحة من ملاحة * وتحت الثياب العار لو كان باديا * ألم تر أن الماء يخبث طعمه

وان كان لون الماء أبيض صافيا * فيا ضيعة الشعر الذي لج فانقضى * بمي فلم أملك ضلال فؤاديا

ومن شعره السائر فيها

اذا هبت الارواح من نحو جانب * به أهل مي هاج قلبي هبوبها

هوى تذرف العينان منه وانما * هوى كل نفس أين حل حبيبها

وكان ذو الرمة يشبب بخرقاء أيضا وهي من بني البكاء بن عامر بن صعصعة وسبب تشبيبه بها أنه مر في سفر ببعض البوادي فاذا خرقاء خارجة من خباء فنظر اليها فوقعت في قلبه فخرق اداوته ودنا منها يستطعم كلامها فقال اني رجل على ظهر سفر وقد تخرقت اداوتي فأصلحيها لي فقالت والله ما أحسن العمل واني لخرقاء والخرقاء التي لا تعمل شيئا لكرامتها على أهلها فشبب بها ذو الرمة وسماها خرقاء واياها عنى بقوله

لاخذت في تلك السبيل عأخذي
فيما مضى ونزعت فيها منزعي
(أخبرنا) المسكي عن السلفي عن جعفر بن أحمد بن السراج وابن بعلان الكبير قالا أنبأنا أبو نصر عبيد الله ابن سعيد السجستاني قال أخبرنا أبو يعقوب النجيرمي حدثنا أبو الجود العروضي عن جحظة البرمكي قال حدثنا أبو عبادة البحتري الشاعر وكان المتوكل أدخله في ندمائه قال دخلت على المتوكل يوما فرأيت في يديه درتين ما رأيت أشرق من نورهما ولا أنقى بياضا ولا أكبر فأدمت النظر اليهما ولم أصرف طرفي عنهما ورآني المتوكل فرمى الي التي كانت في يده اليمنى فقبلت الارض وجعلت أفكر فيما يضحكه طمعا في الاخرى فعن لي أن قلت
بسر من را امام
تغرف من كفه البحار
خليفة يرتجى ويخشى
كأنه جنة ونار
الملك فيه وفي بنيه
ما اختلف الليل والنهار

وماشئتاخرقاء واهية الكلى * سقى بهماساق فلم يتبللا

بأضيع من عينيك للدمع كلما * تذكرت ربعاأو توهمت منزلا

(وقال المفضل الضبى) كنت أنزل على بعض الاعراب اذاحججت فقال لى هل لك فى أن أريك خرقاء صاحبة ذى الرمة فقلت ان فعلت فقد بررتنى فتوجهنا جميعا نريدها فعدل بنا عن الطريق بقدر ميل ثم أتينا أبيات شعر فاستفتح بيتا ففتح له وخرجت علينا امرأة طويلة حسانة بهاقوة والحسانة أشد حسنا من الحسناء فسلمت وجلست فتحدثنا ساعة ثم قالت هل حججت قط قلت غير مرة قالت فما منعك من زيارتى أما علمت أنى منسك من مناسك الحج قلت وكيف ذاك قالت أما سمعت قول عمك ذى الرمة حيث يقول

تمام الحج ان تقف المطايا * على خرقاء واضعة اللثام

وكان ذوالرمة كثير المدح لبلال بن أبى بردة بن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه وفيه يقول مخاطبا ناقته صيدح وكان هذا الاسم علما عليها بقوله

رأيت الناس ينتجعون غيثا * فقلت لصيدح انتجعى بلالا

وبقوله اذا ابن أبى موسى بلالا بلغته * فقام بفاس بين عينيك جازر

وقد أخذه من قول الشماخ فى عرابة الاوسى يخاطب ناقته

اذا بلغتنى وحملت رحلى * عرابة فاشرقى بدم الوتين

وجاء بعدهما أبونواس فكشف هذا المعنى وأوضحه بقوله فى الامين محمد بن الرشيد

واذا المطى بنا بلغن محمدا * فظهورهن على الرجال حرام

والاصل فى هذا المعنى قول الانصارية المأسورة بمكة وقد كانت نجت على ناقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما وصلت اليه قالت له يارسول الله انى نذرت ان نجوت عليها أن أنحرها فقال صلى الله عليه وسلم بئس ماجزيتها ومعنى الابيات الثلاثة أنى لست أحتاج أن أرحل الى غيرك فقد كفيتنى وأغنيتنى الا أن الشماخ وعد ناقته بالذبح وذوالرمة دعا أيضا عليها بالذبح وأبونواس حرّم الركوب على ظهرها وأراحها من الكد فى الاسفار فهو أتمّ فى المقصود لكونه أحسن اليها فى مقابلة احسانها اليه حيث أوصلته الى الممدوح وقد نظم أبونواس هذا المعنى أيضا اتباعا على الشماخ قوله

أقول لناقتى اذ بلغتنى * لقد أصبحت منى باليمين

فلم أجعلك للغربان نحلا * ولا قلت اشرقى بدم الوتين

وكان لذى الرمة اخوة هشام وأوفى ومسعود فمات أوفى ثم مات ذوالرمة بعده فقال مسعود يرثيهما هكذا قال ابن قتيبة وقال فى الحماسة فى المراثى خلاف ذلك والابيات التى قالها مسعود هى

تعزيت عن أوفى بغيلان بعده * عزاء وجفن العين ملآن مترع

ولم ينسنى أوفى المصيبات بعده * ولكن رأيت القرح بالقرح أوجع

فى جملة أبيات قالها وأخبار ذى الرمة كثيرة والاختصار أولى والرمة بالضم قطعة من حبل وتكسر ولقب بذلك لقوله فى الوتد (أشعث باقى رمة التقليد) ولما حضرته الوفاة قال أنا ابن نصف الهرم أنا ابن أربعين سنة وأنشد يا قابض الروح عن نفسى اذا احتضرت * وغافر الذنب زحزحنى عن النار

وكانت وفاته سنة سبع عشرة ومائة رحمه الله تعالى

﴿دعانى من ملامكما سفاها * فداعى الشوق قبلكما دعانى﴾

البيت للأرّجانى من قصيدة من الوافر يمدح بها الوزير سعد الملك أوّلها

اذا لم تقدرا أن تسعدانى * على شجنى فسيرا واتركانى

وبعده البيت وبعده وأين من الملام لقى همــوم * يبيت ونضوه ملقى الجران

أميــل عن السلوّ وفيه برء * وأعلق بالغــرام وقد بلانى

يداه فى الجود ضرّتان
هذى على هذه تغار
وليس تأتى اليمين شيأ
الا أتت مثله اليسار
فرمى بالدرّة التى كانت فى يده اليسار وقال خذها يا عيار (وحكى النميرى) قال كنت عند الامير عبد الله بن المعتز وعنده قينة قبيحة الصورة فجعلت أتبرّم بها وجعل يظهر شغفا بها وعشقا لها ليغايظنى بذلك فلما اشتدّ غيظى منه خلوت به فقلت له نشدتك الله أيها الامير أعشقتها فقال مضاحكا نعم فقلت ألست ترى قبح وجهها وسماجة خلقها فارتجل
قلبى وثاب الى ذا وذا
ليس يرى شيأ فيأباه
يهيم بالحسن كما ينبغى
ويرحم القبح فيهواه
فسكت عنه تعجبا من سرعة بديهته (وروى) أنه جاء يوما الى أبى العباس ثعلب أحمد ابن يحيى وهو فى المسجد الجامع ليسلم عليه فقام اليه هو والحاضرون وأجلسه مكانه فداس قلما فكسره فقال

وأعجب من حنيني في التنائي * وأعجب من صدودك في التداني
ألا الله ماصنعت بعقلي * عقائل ذلك الحي اليماني
نواعم ينتقبن على شقيق * يرف ويبتسمن بأقحوان
دنون عشية التوديع مني * ولي عينان بالدم تجريان
فلم يمسحن أكرامًا جفوني * ولكن رمن تخضيب البنان

وهي طويلة والسفاه والسفه والسفاهة خفة الحلم وتثلث سينه وقيل هو نقيضه أو الجهل (والشاهد فيه) وقوع أحد اللفظين المتجانسين في آخر البيت والآخر في صدر المصراع الاول وهما دعاني الاولى بمعنى اتركاني ودعاني الثانية من الدعاء ولمؤلفه فيه

ناظراه اذا تذكرتيها * في الذي أورث الحشى ناظراه

(واذا البلابل أفصحت بلغاتها * فانف البلابل باحتساء بلابل)

البيت للثعالبي من الكامل والبلابل الاولى جمع بلبل وهو الطائر المعروف والثانية جمع بلبال وهو البرحاء في الصدر والثالثة جمع بلبلة وهي قناة الكوز التي يصب منها الماء والاحتساء الشرب (والشاهد فيه) مجيء المتجانس الآخر في حشو المصراع الاول والثعالبي هو أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسمعيل النيسابوري والثعالبي نسبة الى خياطة جلود الثعالب وعملها قيل له ذلك لانه كان فراء (قال ابن بسام في حقه) كان في وقته راعي تلعات العلم وجامع أشتات النثر والنظم رأس المؤلفين في زمانه والمصنفين بحكم أقرانه سار ذكره سير المثل وضربت اليه آباط الابل وطلعت دواوينه في المشارق والمغارب طلوع النجم في الغياهب وتآليفه أشهر مواضع وأبهر مطالع وأكثر من أن يستوفيها احد أو يوصف أو يوفي حقوقها نظم أو رصف (وقال في حقه الباخرزي صاحب دمية القصر) هو جاحظ نيسابور وزبدة الاحقاب والدهور لم تر العيون مثله ولا أنكرت الاعيان فضله وكيف ينكر وهو المزن يحمد بكل لسان أو كيف يستر وهو الشمس لا تخفى بكل مكان وكنت وأنا فرخ أزغب في الاستضاءة بنوره أرغب وكان هو والدي لصيقي دار وقريني جوار فكم جلت كتبا تدور بينهما في الاخوانيات وقصائد يتقارضان بها في المجاوبات ومازال بي رؤفا وعلي حانيا حتى ظننته أبا ثانيا رحمة الله عليه كل صباح تخفق رايات أنواره ومساء تتلاطم أمواج تياره ومن شعره ما كتبه الى الامير أبي الفضل الميكالي يعاتبه

يا سيدا بالمكرمات ارتدى * وانتعل العيوق والفرقدا
مالك لا تجري على مقتضى * مودة طال عليها المدى
ان غبت لم أطلب وهذا سليـ * ـمان بن داود نبي الهدى
تفقد الطير على شغله * فقال مالي لا أرى الهدهدا

ومنه

وسائل عن دمعي السائل * وحال لوني الكاسف الحائل
قلت له والارض في ناظري * أوسع منها كفة الحابل
بليت والله بمملوكة * في مقلتيها ملك بابل
فان لحاني عاذلي في الهوى * يوما لحا العاذل بالعاذل

ومنه

لا كان في عيني جمال السنه * وجعلت عرضي عرضة للالسنه
ان ذقت طعم العيش بعدك ساعة * ورأيت يوم البين الا كالسنه

ومنه

هذه ليلة لها بهجة الطا * ووس حسنا واللون لون الغداف
رقد الدهر فانتهبنا وسارقـ * ـناه حظا من السرور الوافي
بمدام صاف وخل مصاف * وحبيب واف وسعد موافي

ومنه

طالع سعدي غير منحوس * فأسقني يا طارد البوس

لكني ونو عند دجلي لانها
أثارت قتيلا ما الأعظمه جبر
فعبوا من بديهته وحسنها
(قال) يزيد الرياحي في كتابه في الامثال سمعت أبا الطيب الكاتب يقول ذكر المازري أنه كان في مجلس ابن المعتز وغلام على رأسه يذب فوقعت المذبة على رأس بعض الجلساء فقال ابن المعتز
قل لمن ذب ذب نفسك عنا
حسبنا منك أو حسبك منا
(حدثنا) المسكي بالاسناد المتقدم عن النحيرمي قال حدثنا العروضي عن الصولي وذكره وبهذا الاسناد عن أبي الحسن بندقة قال أنشدنا عبد الله ابن المعتز بيتي أبي نواس في الخمر وهما
وعاشق دنف نبهته سحرا
فقام للكاس والصهباء فاصطبحا
ودارت الكاس من صهباء صافية
فاحسا قدحا الا بكى قدحا
فاستمد فكتب
وقهوة كشعاع الشمس صافية
مثل السراب يرى من دقة شبحا

كأساً كعين الديك في روضة * كأنها حلة طاووس

ومنه

ويوم سعد حسن البشر * عذب السجايا طيب النشر

لم تقذعني بأذاه ولم * يطرق فؤادي بيد الذعر

ولم يرعني لا ولا ساءني * كعادة الايام في الشر

شبهته منتزعا من يد الأحداث ذات الشر والضر

بالابن السائغ ذاك الذي * من بين فرث ودم يجري

(وكتب) الى أبي نصر سهل بن مرزبان وقد لسعته عقرب على قدمه فلما وجدت وقلت زال الوجع وحصل الشفاء المرتجع

يا عمدة الامراء والوزراء * يا عدة الادباء والشعراء

يا غرة الزمن البهيم وناظر الشكر الصميم وواحد الفضلاء

أرأيت همة عقرب دبت الى * قدم بها تخطو الى العلياء

لما ارتقت للسع أعظم مرتقى * أخذت عليها رتبة العظماء

ان ذقت ضراء العقارب فاستعن * بعقارب الاصداغ في السراء

يا طيب لسعة عقرب در يا قها * ريق الحبيب بقهوة عذراء

(وقال الثعالبي) قال لي سهل بن مرزبان ان من الشعراء من شلشل ومنهم من سلسل ومنهم من قلقل ومنهم من بلبل فقال الثعالبي اني أخاف أن أكون رابع الشعراء أراد قول الشاعر

الشعراء فاعلمن أربعه * فشاعر يجري ولا يجرى معه

وشاعر من حقه أن ترفعه * وشاعر من حقه أن تسمعه

وشاعر من حقه أن تصفعه

وأراد بقوله منهم من شلشل قول الأعشى

وقد أروح الى الحانات يتبعني * شاو مشل شلول شلشل شول

وأراد بقوله منهم من سلسل قول مسلم بن الوليد

سلت وسلت ثم سل سليلها * فأتى سليل سليلها مسلولا

وأراد بقوله منهم من قلقل قول المتنبي

فقلقلت بالهم الذي قلقل الحشى * قلاقل عيس كلهن قلاقل

قال الثعالبي ثم اني قلت بعد ذلك بحين

واذا البلابل أفصحت بلغاتها * فانف البلابل باحتساء بلابل

وللثعالبي يصف فرساً أهداه له ممدوحه

يا واهب الطرف الجواد كأنما * قد أنعلوه بالرياح الأربع

كالجاحم المشبوب أو كالهاطل المصبوب أو كالباشق المتسرع

لا شيء أسرع منه الا خاطري * في شكر ذاك اللطيف الموقع

ولو انني أنصفت في اكرامه * لجلال مهديه الكريم الالمعي

أقضمته حب الفؤاد لحبه * وجعلت مربطه سواد الادمع

وخلعت ثم قطعت غير مضيق * برد الشباب لجله والبرقع

وله سقى الدهر سروري * والعيش بين السراري * اذ طير سعدي جوار * مع امتلاك الجواري

وغيم لهوي مطير * وزند أنسي واري * أيام عيشي كعودي * وقد ملكت اختياري

أجري بغير عذار * أجني بغير اعتذار

وله في الشكوى ثلاث قد رميت بهن أضحت * لنار القلب مني كالاثافي

اذا تعاطيتها لم تدر من دهش
واحا بالاقدح أعطيت أم قدحا

(قال) يزيد الرياضي حدثنا أبو عبد الله الكرماني قال حدثنا الصولي قال ذكر المرادي أنه كان في بعض الايام عند ابن المعتز على شراب فأكثر القوم كلامهم فقال

اذا فتح القوم أفواههم
لغير شراب ولا مطعم
فلا خير فيهم لشرب المدام
فدعهم بناموا مع النوم

(قال) وذكر المرادي أنه دخل اليه يهنيه ببرء من علة فقال

أتاني برء أكن واثقا به
بكل أسير فك بعد وثاقه

وكان لاحد بني المنجم جارية صفراء مولدة فبلغ به الوجد بها الى أن مرض ونحل فدخل عليه الطبيب يجسه فقال هذا الفتى قد أحرقته الصفراء فقال أصبت وأحسنت من حيث لا تشعر واستدعى دواة وكتب في الحال

قال الطبيب وقد تبين سحنتي
قد أحرقت هذا الفتى الصفراء
فعجبت منه اذ أصاب وما دري
والحق أبلج ليس فيه مراء

دون أنقضت ظهري وجور * من الايام شاب له غدافي
وفقدان الكفاف وأي عيش * لمن يمني بفقدان الكفاف

(وللثعالبي تآليف كثيرة) منها فقه اللغة وسر البراعة ومن غاب عنه المطرب ومؤنس الوحيد وأجلها وأحسنها يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر وفيها يقول ابن قلاقس

أبيات أشعار اليتيمه * أبكار أفكار قديمه
ماتوا وعاشت بعدهم * فلذاك سميت اليتيمه

وشعره مدون وكانت ولادته سنة خمسين وثلثمائة ووفاته سنة تسع وعشرين وأربعمائة رحمه الله تعالى

(فمشغوف بآيات المثاني * ومفتون برنات المثاني)

هو من الوافر وقائله أبو عبد الله محمد القاسم الحريري من أبيات أولها

بها ماشئت من دين ودنيا * وجيران تنافوا في المعاني

وبعده البيت وبعده

ومضطلع بتلخيص المعاني * ومطلع الى تخليص عاني
وكم من قارئ فيها وقار * أضر بالجفون وبالجفان
وكم من معلم للعلم فيها * ونادللندى حلو المجاني
ومغنى ماتزال تغن فيه * أغاريد الغواني والأغاني
فصل ان شئت فيها من يصلي * وان ماشئت فادن من الدنان
ودونك صحبة الأكياس فيها * أو الكاسات منطلق العنان

والمثاني الاولى القرآن أوما ثنى منه مرة بعد مرة أو الحمد لله أو من البقرة الى براءة أو كل سورة دون الطوال ودون المائتين وفوق المفصل والمثاني الثانية من أوتار العود التي بعد الاول واحدها مثنى (والشاهد فيه) مجيء المتجانس الآخر في آخر المصراع الاول ومثله قول ابن جابر

زرت الديار عن الاحبة سائلا * ورجعت ذا أسف ودمع سائل
ونزلت في ظل الاراكة قائلا * والربع أخرس عن جواب القائل

(والحريري) هو أبو عبد الله محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان البصري الحرامي صاحب المقامات كان أحد أئمة عصره ورزق الحظوة التامة في عمل المقامات وفضلها أكثر من أن يحصر وأشهر من أن يذكر ومن عرفها حق معرفتها استدل بها على فضل هذا الرجل وغزارة مادته وكثرة اطلاعه وكان سبب وضعها ماحكاه ولده أبو القاسم عبد الله قال كان أبي جالسا بمسجد بني حرام فدخل شيخ ذو طمرين عليه أهبة السفر رث الحال فصيح الكلام حسن العبارة فسأله الحاضرون من أين الشيخ فقال من سروج فاستخبروه عن كنيته فقال أبو زيد فعمل أبي المقامة المعروفة بالحرامية وهي الثامنة والاربعون وعزاها الى أبي زيد المذكور واشتهرت فبلغ خبرها الوزير شرف الدين أبا نصر أنوشروان بن خالد بن محمد القاشاني وزير الامام المسترشد بالله فلما وقف عليها أعجبته وأشار على والدي أن يضم اليها غيرها فأتمها خمسين مقامة وقد وجدت نسخ كثيرة من المقامات بخط مصنفها وفيها بخطه أيضا أنه صنفها للوزير جلال الدين بن عميد الدولة أبي علي الحسن بن أبي العز علي بن صدقة وزير المسترشد أيضا قال ابن خلكان ولا شك أن هذا أصح من الرواية الاولى لكونه بخط المصنف وأما تسميته الراوي لها بالحارث بن همام فانما عنى به نفسه وهو مأخوذ من قوله صلى الله عليه وسلم كلكم حارث وكلكم همام فالحارث الكاسب والهمام الكثير الاهتمام وقد بسطت الكلام على ما يتعلق بذلك في شرحي على المقامات ويقال ان الحريري كان عملها أربعين مقامة وحملها من البصرة الى بغداد وادعاها فلم يصدقه في ذلك جماعة من أدباء بغداد وقالوا انها ليست من تصنيفه بل هي لرجل مغربي من أهل البلاغة مات بالبصرة ووقعت أوراقه اليه فادعاها فاستدعاه الوزير الى الديوان وسأله عن صناعته فقال أنا رجل منشئ فاقترح عليه انشاء رسالة في واقعة عينها فانفرد في ناحية من الديوان وأخذ الدواة والورقة ومكث زمانا كثيرا فلم يفتح الله سبحانه وتعالى عليه بشيء في ذلك فقام خجلا وكان في جملة

(ومثل هذه الحكاية ماروى) من أن العباس الفارسي كان يهوى مدام الشاعرة الكوفية وكان مداوما للشرب فاعتل واشتدت حماه فدخل عليه صديق له طبيب يكنى بأبي بشر فجس يده فوجد حماه حادة فقال له ما يتلفك الا مداومتك مدامك فقال للوقت

عجبت من قول أبي بشر * وقوله ضرب من السحر
مدامك الهالك فلا تكثرن * منها وأني لي بالكثر
أصاب في اللفظ ولكنه * أخطأ في المعنى ولم يدر

(قال القاضي علي التنوخي) في كتاب النشوان أخبرني أبي قال حدثني المعوج الرقي قال كبا الفرس بدر الجمالي فافتصد فدخلت عليه فأنشدته أبياتا عملتها في الحال وهي

لاذنب للطرف ان زلت قوائمه * وليس يلحقه من عائب دنس
حملت بأسا وجودا فوقه وندى * وليس يقوى لهذا كله الفرس
قالوا افتصدت فاعقل العلا معها * حوفا عليك ولا نفس بها نفس

من أسكر دعواه أبو القاسم على بن أفلح الشاعر المشهور فلما لم يعمل الرسالة المقترحة عليه أنشد فيه بيتين وقيل هما لابن جكينا البغدادى وهما

شيخ لنا من ربيعة الفرس * ينتف عثنونه من الهوس
أنطقه الله بالمشان كما * رماه وسط الديوان بالخرس

وكان الحريرى يزعم أنه من ربيعة الفرس وكان مولعا بنتف لحيته عند الفكرة وكان يسكن فى مشان البصرة وهو بضم الميم وفتح الشين المعجمة وبعدها ألف ونون بلدة فوق البصرة كثيرة النخل موصوفة بشدة الوخم وكان أصله منها ويقال أنه كان له بها ثمانية عشر ألف نخلة وانه كان من ذوى اليسار ولما رجع الى بلده عمل عشر مقامات وسيرهن واعتذر من عيه وحصره بالديوان لما لحقه من المهابة ويقال انه كان قذرا فى نفسه وشكله ولبسه قصيرا دميما بخيلا مولعا بنتف لحيته فنهاه أمير البصرة وتوعده على ذلك وكان كثير المجالسة له فبقى كالمقيد لا يتجاسر أن يعبث بلحيته فتكلم فى بعض الايام بكلام أعجب الامير فقال له سلنى شيأ حتى أعطيك فقال تقطعنى لحيتى قال قد فعلت وجاءه شخص غريب يزوره ويأخذ عنه شيأ فلما رآه استزرى شكله ففهم ذلك عنه فلما التمس منه أن يملى عليه قال له اكتب

ما أنت أول سار غره قمر * ورائد أعجبته خضرة الدمن
فاختر لنفسك غيرى اننى رجل * مثل المعيدى فاسمع بى ولا ترنى

فخجل الرجل وانصرف عنه (وقال القاضى جابر بن هبة الله) قرأت المقامات على الحريرى فى سنة أربع عشرة وخمسمائة فقرأت قوله

يا أهل ذا المغنى وقيتم شرا * ولا لقيتم ما بقيتم ضرا
قد دفع الليل الذى اكفهرا * الى ذراكم شعثا مغبرا

فقرأته سغبا معترا وكنت أظنه كذلك ففكر ثم قال لقد أجدت فى التصحيف وانه لاجود فرب شعث مغبر غير محتاج والسغب المعتر موضع الحاجة ولولا أنى قد كتبت خطى الى هذا اليوم على سبعمائة نسخة قرئت على لغيرته كما قلت (وللحريرى) تآليف حسان منها درة الغواص فى أوهام الخواص ومنها ملحة الاعراب فى النحو وشرحها أيضا وله ديوان رسائل وشعر كثير غير شعره الذى فى المقامات فمن ذلك قوله

قال العواذل ما هذا الغرام به * أما ترى الشعر فى خديه قد نبتا
فقلت والله لو أن المفند لى * تأمل الرشد فى عينيه ما ثبتا
ومن أقام بأرض وهى مجدبة * فكيف يرحل عنها والربيع أتى

وقوله كم ظباء بحاجر * فتنت بالمحاجر ونفوس نفائس * حذرت بالمحاذر
وشجون تظافرت * عند كشف الظفائر وتثنى لخاطر * هاج وجدا بخاطرى
وعذار لاجله * عاذلى عاد عاذرى

وله أيضا لا تخطون الى خطء ولا خطأ * من بعد ما الشيب فى فوديك قد وخطا
وأى عذر لمن شابت ذوائبه * اذا سعى فى ميادين الصبا وخطا

ومن ألغازه ميم موسى من نون نصر ففتش * أيها ذا الامير ماذا عنيت

معنى ميم أصابه الموم وهو البرسام ويقال هو أثر الجدرى والنون السمكة يعنى أكل سمكة نصر فأصابه الموم

ومنها باء بكر بلام ليلى فما ينفك منها الابعين وهاء

البكر الجمل وباء أقر به واللام الزرع فلازمته ليلى فما ينفك منها مما تلطمه فى وجهه الابعين واهية من اللطم وله قصائد استعمل فيها التجنيس كثيرا ذكرت منها طرفا فى شرحى على المقامات وكانت ولادته سنة ست وأربعين وأربعمائة وتوفى فى سنة عشر وقيل خمس عشرة وخمسمائة بالبصرة فى سكة بنى حرام نسبة الى طائفة من العرب سكنوا فى هذه السكة وخلف ولدين هما نجم الملك عبد الله وقاضى قضاة البصرة ضياء

كفا الطبيب دعا كفا نقبلها
ونطلب الرزق منها حين يحتبس

(قال) وحدثنى أبو الفتح أحمد بن على بن هرون المنجم قال حدثنى أبى قال كنا فى دعوة أبى على الحسن بن مروان الكاتب وحضر فيها الوزير أبو محمد الحسن ابن محمد المهلبى وهو اذ ذاك يخلف أبا جعفر الصيمرى على الامر ببغداد فغنت الرقية زوج أبى على صوتا من وراء الستارة أحسنت فيه فاخذ المهلبى الدواة فكتب فى الحال البديهة وأنشدنا لنفسه

ذات غنى فى الغناء من نغم
تنفق فى الصوت منه اسرافا
كأنها فارس على فرس
ينظر فى الجرى منه أعطافا

(وروى) أن نصر بن أحمد الخبزرزى دخل على أبى الحسن بن المثنى فى أثر حريق المربد فقال له هل قلت فى هذا شيأ فقال ما قلت ولكنى أنشدك ارتجالا

أتتكم شهود الهوى تشهد
فما تستطيعون أن تجحدوا
جرى نفسى صعدا بينكم
فأحرق من ذلك المربد

الاسلام عبيد الله رحمهم الله تعالى

(أملتهم ثم تأملتهم * فلاح لى أن ليس فيهم فلاح)

البيت للارجانى من السريع من قصيدة يمدح بها شمس الملك بن نظام الملك أولها

صوت حمام الايك عند الصباح * جددت تذكارى عهد الصباح
علمتنا التصبو فيما من رأى * عجماً يعلمن رجالا فصاح
ألحان ذات الطوق فى غصنها * مذكرتى أيام ذات الوشاح
لا أشكر الطائر ان شاقنى * على نوى من سكنى وانتزاح
وانما أشكوه لو أنه * أعارنى أيضا اليه جناح

الى أن يقول فى مديحها يا كعبة للجود ما أهوله * اذا غدا الوفد اليها وراح

يفديك قوم حاولوا ضلة * تناول المجد بأيد شحاح
معاشر أموالهم فى حمى * وعرضهم من لومهم مستباح

والقصيدة طويلة وفلاح الثانية الفوز والنجاة والبقاء فى الخير (والشاهد فيه) مجىء المتجانس الآخر فى صدر المصراع الثانى ومثله قول الامير أبى الفضل الميكالى

انى فى الهوى لسانا كتوما * وفؤادا يخفى حريق هواه
غير أنى أخاف دمعى عليه * ستراه يبدى الذى ستراه

(ضرائب أبدعتها فى السماح * فلسنا نرى لك فيها ضريبا)

البيت نسبه للبحترى غالب شراح التلخيص وليس الامر كذلك وانما هو للسرى الرفاء وقد سرق معناه من بيت البحترى فلذا سبق الوهم الى نسبته اليه وبيت البحترى لفظه

بلونا ضرائب من قد نرى * فما ان رأينا للفتح ضريبا

وهو من قصيدة من المتقارب يمدح بها الفتح بن خاقان أولها

لوت بالسلام بنانا خضيبا * ولحظا يشوق الفؤاد الطروبا
وزارت على عجل فاكتسى * لزورتها أبرق الحى طيبا
فكان العبير بها واشيا * وجرس الحلى عليها رقيبا

وهى طويلة وبيت السرى الرفاء من قصيدة يمدح بها أبا الفوارس سلامة بن فهد أولها

تعنفنى أن أطلت النحيبا * وأسبلت للعين دمعا سكوبا
وأوفى المحبين فى نحبه * محب بكى يوم بين حبيبا
دعا دمعه ودعت دمعها * فبلل منها ومنه الجيوبا
غداة رمته بسهم الجفون * ومدت اليه بنانا خضيبا
فعاين منها غزالا ربيبا * وبدرا منيرا وغصنا رطيبا
وعهدى بها الاديم الصدود * ولا تتجنى على الذنوبا
ليالى لا وصلنا خلسة * نراقب للخوف فيها الرقيبا
ولا برق لذاتنا خلب * اذا ما دعونا الوصل خلوبا
وكم لى والبين من موقف * يميت بلحظ العيون القلوبا
اذا ما انتضى اللحظ أسيافه * تدرعت للصبر بردا قشيبا

ومنها فى المديح

فكم لك من سودد كالعبير * أصاب من المدح ريحا جنوبا
ورأى يكشف ليل الخطوب * ضياء اذا الخطب أعى اللبيبا
ومشتمل بنجاد الحسام * يحل شبا الحرب بأسا مهيبا

وهاجت رياح حنينى لكم
فظلت بها ناره توقد
ولولا جرت أدمعى لم يكن
حريقكم أبدا يخمد

(ومثل هذا ما رويناه بالاسناد المتقدم) عن ابن بسام فى كتاب الذخيرة قال ذكر سليمان بن محمد الصقلى قال كان بسوسة افريقية رجل ظريف يهوى غلاما جميلا واشتد به كلفه فتجنى الغلام عليه فبيناهو ذات ليلة يشرب منفردا وقد غلب عليه السكر خطر بباله أن يأخذ قبس نار فيحرق به داره ففعل ووضع النار فى الباب فاحترق فاتفق أن رآه بعض الجيران فخرج أهل الدار فأطفؤا الحريق ولما أصبحوا حملوه الى القاضى فسأله لم فعلت فأنشأ يقول

لما تمادى على بعادى
وأضرم النار فى فؤادى
ولم أجد من هواه بدا
ولا معينا على السهاد
حملت نفسى على وقوفى
ببابه حملة الجواد
فطار من بعض نار قلبى
أقل من لمعة الزناد

ملأت جوانبه رهبة * فأطرق والقلب يبدى وجيبا
كسوت المكارم ثوب الشباب * وقد كن ألبسن فينا المشيبا
وبعده البيت وبعده تخلصتنى من يد النائبات * وأحللتنى منك ربعا خصيبا
وملكت مدحى كما ملكت * بنو هاشم بردها والقضيبا
وانى لوارد بحر القريض * اذا ورد الماد حون القليبا
ولست كمن يسترد المديح * اذا ما كساه الكريم المشيبا
يحلى بمدحته غيره * فيمسى محلى ويضحى سليبا
وقد استعمل السرى معنى البيت المستشهد به فقال يمدح ابن فهد أيضا
سمت بأبى الفوارس فى المعالى * ضرائب ماله فيها ضريب
والضرائب جمع ضريبة وهى الطبيعة التى ضرب الرجل وطبع عليها والضريب المثيل (والشاهد فيه) مجىء الملحق بالمتجانس الآخر فى صدر المصراع الاول ومثله قول عبد الرحيم بن محمد بن يوسف السنهورى الخطيب تبدى ضروب محاسن لسنا نرى * بين الورى يوما لهن ضريبا
ومنه قول بعضهم ثلبك أهل الفضل قد دلنى * انك منقوص ومثلوب
(والسرى) هو أحمد الكندى المعروف بالرفاء (قال الثعالبى فى حقه) السرى وما أدراك ما السرى سرى كاسمه صاحب سر الشعر الجامع بين نظم عقود الدر والنفث فى عقد السحر ولله دره ما أعذب بحره وأصفى قطره وأعجب أمره وقد أخرجت من شعره ما يكتب على جبهة الدهر ويعلق فى كعبة الظرف وكتبت من ذلك محاسن وملحا وبدائع وطرفا كأنها أطواق الحمام وصدور البزاة البيض وأجنحة الطواويس وسوالف الغزلان ونهود العذارى الحسان وغمزات الحدق الملاح بلغنى انه أسلم صبيا فى الرفائين بالموصل فكان يرفو ويطرز الى أن قضى باكورة الشباب وتكسب بالشعر ومما يدل على ذلك ما قرأته بخطه ذكر أن صديقا كتب اليه يسأله عن خبره وهو بالموصل فى البزاز بن بطرز فكتب اليه يقول
يكفيك من جملة أخبارى * يسرى من الحب واعسارى
فى سوقة أفضلهم مرتد * نقصا ففضلى بينهم عارى
وكانت الابرة فيما مضى * صائنة وجهى وأشعارى
فأصبح الرزق بها ضيقا * كأنه من ثقبها جارى
(قال) ولم يزل السرى فى ضنك من العيش الى أن خرج الى حلب واتصل بسيف الدولة واستكثر من المدح له فطلع سعده بعد الافول وبعد صيته بعد الخمول وحسن موقع شعره عند الامراء من بنى حمدان ورؤساء الشام والعراق ولما توفى سيف الدولة ورد السرى بغداد ومدح الوزير المهلبى وغيره من الصدور فارتفق بهم وارتزق منهم وصار شعره فى الآفاق ونظم حاشيتى الشام والعراق ومن ملحه قوله من قصيدة
عليلة أنفاس الرياح كأنما * يعل بماء الورد نرجسها الندى
يشق جيوب الورد فى شجراتها * نسيم متى ينظر الى الماء يبرد
ويادر بها الشرقى لازال رائح * يحل عقود المزن فيك ويغتدى
وقال تلك المكارم لا أرى متأخرا * أولى بها منه ولا متقدما
عفو أطل ذوى الجرائم ظله * حتى لقد حسد المطيع المجرما
وهو من قول أبى تمام وتكفل الايتام عن آبائهم * حتى وددنا أننا أيتام
وقال من قصيدة أيضا لياليناً بأحناء الغميم * سقيت ذهاب مذهبة الهموم
مضت بك رأفة الايام فينا * وغفلة ذلك الزمن الحليم
وكنا منك فى جنات عيش * وفت حسنا بجنات النعيم

فأحرق الباب دون علمى ولم يكن ذلك فى مرادى فاستظرفه القاضى واستلطفه وغرم عنه ارش ما أتلفه (أنبأنى) الشيخ الفقيه النبيه أبو الحسن على المقدسى عن أبى القاسم مخلوف بن على القيروانى عن عبد الله محمد بن أبى سعيد عن أبى عبد الله الحافظ الحميدى قال أخبرنى أحمد ابن قاسم جار كان لنا بالمغرب أن عبد الملك بن ادريس الجزيرى كان ليلة بين يدى المنصور بن أبى عامر والقمر يبدو تارة ويخفيه السحاب تارة أخرى فارتجل
أرى بدر السماء يلوح حينا * فيبدو ثم يلتحف السحابا
وذلك أنه لما تبدى * وأبصر وجهك استحيا فغابا
مقال لو نمى عنى اليه * لراجعنى بتصديق جوابا
(وبهذا الاسناد) قال الحميدى حضر عقيل بن نصر مجلسا فيه أحداث من الكتاب فاحتلفوا فى شئ من الآداب الى أن أفضى ذلك بهم الى السباب فقال عقيل على البديهة وأنشدنيها بعض

رياض محاسن وسنا شموس * وظل دسا كروجنى كروم
وأجفان اذا لحظت جسوما * خلعن سقامهن على الجسوم

وانما أخذ هذا المثال من قول أبي تمام

فيا حسن الرسوم وما تمشى * اليها الدهر فى صور البعاد
وأذطير الحوادث فى رباها * سواكن وهى غناء المراد
مذاكى حلبة وشروب دجن * وسامر فتية وقدور صاد
وأعين ربرب كحلت بسحر * وأجساد تضمخ بالجساد

وممن أخذ هذا المثال مع ركوب هذه القافية القاضى أبو الحسن على بن عبد العزيز حيث قال

وأجفان تروّى كل شئ * سوى قلب الى الاحباب صاد
بذاك جزيت اذ فارقت قوما * لبست لبينهم ثوبى حداد
معادن حكمة وغيوث جدب * وأنجم حيرة وصدور ناد

وقال السرى الرفاء

وفتية زهر الآداب بينهمو * أبهى وأنضر من زهر الرياحين
مشوا الى الراح مشى الرخ وانصرفوا * والراح تمشى بهم مشى الفرازين

وقال فى معناه أيضا راحوا عن الراح وقد أبدلوا * مشى الفرازين بمشى الرخاخ

وقال فى قلب معناه ووصف الشطرنج

يبدى لعينك كلما عاينته * قرنين جالا مقدما ومحاتلا
فكأن ذا صاح يسير مقوما * وكأن ذا نشوان يخطر مائلا

ومحاسنه كثيرة وقد ضمنت هذا المؤلف منها ما فيه مستمتع ان شاء الله تعالى ومن شعره

وأيتك تبنى للصديق نوافذا * عدوك من أوصابها الدهر آمن
وتكشف أسرار الاخلاء مازحا * ويارب مزح عاد وهو ضغائن
سأحفظ ما بينى وبينك صائنا * عهودك ان الحر للعهد صائن
فألقاك بالبشر الجميل مداهنا * ولى منك خل ما علمت مداهن
أنم بما استودعته من زجاجة * ترى الشئ فيها ظاهرا وهو باطن

(اذا المرء لم يخزن عليه لسانه * فليس على شئ سواه بخزان)

البيت لامرئ القيس من قصيدة من الطويل أولها

قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان * ورسم عفت آياته منذ أزمان
أتت حجج بعدى عليها فأصبحت * كخط زبور فى مصاحف رهبان
ذكرت بها الحى الجميع فهيجت * عقابيل سقم من ضمير وأشجان
فسحت دموعى فى الردى فكأنها * كلى من شعيب ذات سح وتهتان

وبعده البيت وبعده فاما تريني فى رحالة جابر * على حرج كالقر تخفق أكفانى

فيارب مكروب كررت وراءه * وعان فككت القد عنه ففدانى
وفتيان صدق قد بعثت بسحرة * فقاموا جميعا بين عاث ونشوان
وخرق بعيد قد قطعت نياطه * على ذات لوث سهوة المشى مذعان

(ومعنى البيت) اذا لم يخزن المرء لسانه على نفسه ولم يحفظه مما يعود ضرره اليه فلا يخزنه على غيره ولا يحفظه مما لا ضرر له فيه (والشاهد فيه) مجئ الملحق الآخر فى حشو المصراع الاول

(لو اختصرتم من الاحسان زرتكمو * والعذب يهجر للافراط فى الخصر)

الرؤساء ولم يعلم قائلها
تعس الزمان لقد أتى بعجائب
ومحا رسوم الفضل والآداب
وأتى بكتاب لو انبسطت يدى
فيهم رددتهم الى الكتاب
(أخبرنى) الفقيه أبو الحسن على بن فاضل بن صمدون الصورى عن الامام الحافظ السلفى عن أبى غالب شجاع ابن فارس الزملى عن أبى منصور محمد المالكى البصرى عن أبى محمد عبد الله بن محمد الاكفانى البصرى قال خرجت مع عمى أبى عبد الله الاكفانى وأبى الحسين بن لنكك وأبى عبد الله المفجع وابن الحسين السباك فى بطالة العيد فمشوا حتى انتهوا الى نصر بن أحمد الخبزرزى وهو جالس يخبز على طائفة فجلسوا عنده ثم قاموا عند تزايد الدخان فقال نصر لابن لنكك متى أراك يا أبا الحسين فقال له أبو الحسين اذا اتسخت ثيابى وكانت ثيابهم جددا قد لبسوها للتجمل بها فى العيد فمشينا فى سكة بنى سمرة حتى انتهينا الى دار أحمد بن المثنى

البيت لابي العلاء المعرّي من قصيدة من البسيط يمدح بها أبا الرضاء المصيصي أولها

ياساهر البرق أيقظ ساهر السمر * لعلّ بالجزع أعوانا على السهر
وان بخلت على الاحياء كلهم * فاسق المواطن حيا من بني مطر
ويا أسيرة حجليها أرى سفها * حمل الحلي لمن أعيي عن النظر
ماسرت الا وطيف منك يصحبني * سرى أمامي وتأويبا على أثري
لو حط قدري فوق النجم رافعه * ألفيت ثم خيالا منك منتظري
يودّ أن ظلام الليل دام له * وزيد فيه سواد القلب والبصر

وبعده البيت وبعده أبعد حي تناجي الشوق ناجية * هلا ونحن على عشر من العشر
كم بات حولك من ريم وجؤذرة * يستجديان لك حسن الدلّ والحور
فما وهبت الذي يعرفن من خلق * لكن سمعت بما ينكرن من درر
وما تركت بذات الضال عاطلة * من الظباء ولا عارا من البقر
قلدت كل مهاة عقد غانية * وفزت بالشكر في الآرام والعفر
وربّ ساحب وشي من جآذرها * وكان يرفل في ثوب من الوبر
حسنت نظم كلام توصفين به * ومنزلا بك معمورا من الخفر
فالحسن يظهر في شيئين رونقه * بيت من الشعر أو بيت من الشعر

وهي طويلة ومنها ماجت غيرفهاجت منك ذا لبد * والليث أفتك أفعال من النمر
هم أقاموا فلما شارفوا وقفوا * كوقفة العير بين الورد والصدر
وأضعف الرعب أيديهم فطعنهم * بالسمهرية دون الوخز بالابر
تلقى الغواني حفيظ الدرّ من جزع * فيها وتلقى الرجال السرد من خور
فكم دلاص على البطحاء ساقطة * وكم جمان مع الحصباء منتثر

والخصر محركة البرد والمعنى أن يعدي عنكم انما هو لكثرة انعامكم عليّ (والشاهد فيه) مجيء أحد الملحقين في آخر البيت والآخر في حشو المصراع الاوّل ومعنى البيت مأخوذ من قول البحتري السابق في ترجمته وهو هذا

أخجلتني بندى يديك فسوّدت * ما بيننا تلك اليد البيضاء
وقطعتني بالوصل حتى أنني * متخوّف أن لا يكون لقاء

وفي معناه قول دعبل الخزاعي

أصلحتني بالبر بل أفسدتني * وتركتني أتسخط الاحسانا

وقول عبد الجليل بن وهبون المرسي

قل للرشيد وقد هبت عوارفه * أسرفت بادية المعروف فاقتصد
أشكو اليك الندى من حيث أشكره * لو فاض فيضا على البحرين لم يزد

وهو من قول البحتري أيضا

تنضب البرق مختالا فقلت له * لوجدت جود بني يزداد لم تزد

وهو معنى مطروق تداوله الشعراء وأكثروا من استعماله فنهم من يستوفيه ومنهم من يقتصر فيه وقد ضمن السراج الورّاق عجز بيت أبي العلاء المعرّي هذا فقال

لكم أياد عذاب لي مواردها * الوفد منهن بين الورد والصدر
والبرد يمنعني منها على ظمأي * والعذب يهجر للافراط في الخصر

ورأيت في بعض كتب الادب أن ابن عمار اجتاز على أكرم أهل زمانه وأعلم وقته وأوانه الوزير أبي محمد ابن القاسم الفهري فما عرج عليه فعتب عليه بسبب ذلك فكتب اليه

فجلس أبو الحسين بن لنكك وقال يا أصحابنا ان نصرا لا يخلي هذا المجلس الذي مضى لنا معه من شئ يقوله ونحن نبدؤه قبل أن يبدأنا واستدعى بدواة وكتب اليه

لنصر في فؤادي فرط حب * يزيد به على كل الصحاب
قصدناه فصيرنا بخورا * من السعف المدخن للثياب
فقال متى أراك أبا حسين * فقلت له اذا اتسخت ثيابي

وأنفذ الابيات الى نصر فأملى جوابها في الحال فقرأناه فاذا هو قد أجاب

منحت أبا الحسين صميم ودّي * فداعبني بألفاظ عذاب
أتى وثيابه كقتير شيب * فعدن له كريعان الشباب
وقلت متى أراك أبا حسين * فجاوبني اذا اتسخت ثيابي
فان يكن التقذر فيه فخر * فلم يكني الوصي أبا تراب

(وذكر الباخرزي) في كتاب دمية القصر قال حدّثني أبو محمد الحسن بن علي الجوهري ببغداد قال أنشدت أبا القاسم الضروري بيتين كان أبو

لم يثن عنك عنانى سلوة خطرت * على فؤادى ولا سمعى ولا بصرى
وقصرك البيت لو أنى قضيت به * حجى وكفك منه موضع الحجر
لكن عدتنى عنكم خجلة سلفت * كفانى القول فيها قول معتذر
لو اختصرتم من الاحسان زرتكمو * والعذب يهجر للافراط فى الخصر

(فدع الوعيد فما وعيدك ضائرى * أطنين أجنحة الذباب يضير)

البيت من الكامل ولا أعرف قائله ونسبه صاحب الدر الفريد لعبد الله بن محمد بن عيينة المهلبى قال وكان على بن محمد بن جعفر بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه دعا عبد الله هذا الى نصرته حين ظهرت المبيضة فلم يجبه فتوعده على فقال عبد الله

أعلى انك جاهل مغرور * لا ظلمة لك لا ولا لك نور
أبعثت توعدنى أن استبطأتنى * انى بحربك ما حييت جدير

وبعده البيت وبعده

واذا ارتحلت فان نصرى للأولى * أبواهمو المهدى والمنصور
بنيت عليه لحومنا ودماؤنا * وعليه قدر سعينا المشكور

والضير الضرر (والشاهد فيه) مجىء الملحق الآخر فى آخر المصراع الاول وفى معنى البيت قول أبى فراس الحمدانى

وربّ كلام مرّ فوق مسامعى * كما طنّ فى لوح الهجير ذباب

ولبعض الاعراب

أو كلما طنّ الذباب زجرته * ان الذباب اذن على كريم

ولبعضهم أيضا

فما كل كلب نابح يستفزنى * ولا كل ما طنّ الذباب أراع

(وقد كانت البيض القواضب فى الوغى * بواتر وهى الآن من بعده بتر)

البيت لابى تمام من قصيدة من الطويل يرثى بها محمد بن حميد وتقدم ذكر مطلعها فى شواهد التذييل ومنها قبل البيت

فتى سلبته الخيل وهو حمى لها * وبزته نار الحرب وهو لها جمر
قضى طاهر الاثواب لم تبق بقعة * غداة ثوى الا اشتهت أنها قبر

والبواتر السيوف القواطع والبتر جمع أبتر وهو المقطوع والمعنى لم يبق بعده من يستعملها استعماله (والشاهد فيه) مجىء الملحق الآخر فى صدر المصراع الثانى والله أعلم

(تجلى به رشدى وأثرت به يدى * وفاض به ثمدى وأورى به زندى)

البيت لابى تمام أيضا من قصيدة من الطويل يمدح بها نصر بن منصور بن بسام الكاتب وأولها

أأطلال هند طالما اعتضت من هند * أقايضت حور العين بالعور والرمد
اذا شئن بالالوان كن عصابة * من الهند والآذان كن من العقد
أعجنا عليك العيس بعد معاجها * على البيض أترابا على النؤى والوتد
فلا دمع أو يقفو على اثره دم * ولا وجد ما لم تعى عن صفة الوجد

ومنها فى وصف الممدوح

فتى جوده طبع وليس بحافل * أفى الجور كان الجود منه أو القصد
اذا طرقته الحادثات بنكبة * تمخض سقاء منه ليس بذى زبد
ونهن مثل السيف لو لم تسله * يدان لسلته ظباه من الغمد
سأحمد نصرا ما حييت واننى * لأعلم ان قد جل نصر عن الحمد

وبعده البيت وبعده

فان يك أربى عفو شكرى على ندى * أناس فقد أربى نداه على جهدى

والرشد الهداية والثروة كثرة العدد من الناس والمال والثمد بسكون الميم وتحرك الماء القليل لا مادة له

عبد الله محمد بن يحيى ادّعاهما لنفسه فى مجلس المهلبى الوزير فأنكر أبو الفرج الاصبهانى ذلك وأخرجهما فى أناشيد ثعلب وهما
أقول لها اذ بت فى أسر قومها * وجامعتى عن منكبى تضيق
لما سرّنى ان بت عنى بعيدة * وأنى من هذا الاسار طليق
(ثم قلت له) أيهما أحسن أم بيتان عملتهما فى المعنى وهما
أقول لها والحى قد نذروا بنا * ومالى من أسر المنون براح
أساءنى ان وشحتنى سيوفهم * وأنك لى دون الوشاح وشاح
فأمسك ساعة ولم يجب ثم عمل فى الحال وأنشدنيه
ألا من حبا بالاسر يا أم مالك * وجامعتى والقد منه قرينى
اذا كنت فى كسر الخباء قريبة * تحسين منى لوعتى وأنينى
وعمل أيضا فى الحال وأنشدنيه
أقول وقد هز القنا لى قوامها * ومالى من بين الاسنة مذهب
ألا ليت نحرى للاسنة ملعب * وكفى فى نحر ابنة القوم يلعب
(قال) وجلس أبو اسحق الصيرى عند كافور

أومايبقى فى الجلد أومايظهر فى الشتاء ويذهب فى الصيف والرواية فى ديوانه بلفظ بحرى بدل غمدى ومعنى أورى به زندى صار ذا ورى وهو عبارة عن الظفر بالمطلوب (والشاهد فيه) مجىء السجع فى النظم ومن الشواهد عليه قول أبى الطيب المتنبى

فنحن فى جذل والروم فى وجل * والبرّ فى شغل والبحر فى خجل

التشطير

(تدبير معتصم بالله منتقم * لله مرتقب فى الله مرتغب)

البيت لابى تمام أيضا من قصيدة من البسيط يمدح بها المعتصم بالله حين فتح عمورية أوّلها

السيف أصدق أنباء من الكتب * فى حدّه الحدّ بين الجدّ واللعب
بيض الصفائح لاسود الصحائف فى * متونهنّ جلاء الشك والريب
والعلم فى شهب الارماح لامعة * بين الخميسين لافى السبعة الشهب
أين الرواية أوأين النجوم وما * صاغوه من زخرف فيها ومن كذب
تخرصا وأحاديثا ملفقة * ليست بنبع اذا عدّت ولاغرب
عجائبا زعموا الايام مجفلة * عنهنّ فى صفر الاصفار أورجب
وخوّفوا الناس من دهياء داهية * اذا بدا الكوكب الغربىّ ذوالذنب
وصيروا الابرج العليا مرتبة * ماكان منقلبا أوغير منقلب
يقضون بالامر عنها وهى غافلة * مادار فى فلك منها وفى قطب
لو بينت قط أمرا قبل موقعه * لم يخف ماحلّ بالاوثان والصلب
فتح الفتوح تعالى أن يحيط به * نظم من الشعر أونثر من الخطب
فتح تفتح أبواب السماء له * وتبرز الارض فى أثوابها القشب

وهى طويلة بديعة وأشار بمطلعها الى كذب المنجمين فانهم كانوا أجمعوا على أنها لاتفتح فى تلك الغزاة فنسر الله تعالى ذلك وأكذبهم والمرتغب فى الله الراغب فيما يقربه من رضوانه والمرتقب المنتظر الثواب الخائف العقاب (والشاهد فيه) التشطير وهو جعل كل من شطرى البيت سجعة مخالفة لاختها وهو ظاهر فيه ومنه قول مسلم بن الوليد فى قصيدته السابقة فى تجاهل العارف

موف على مهج فى يوم ذى رهج * كأنه أجل يسعى الى أمل

وقول ذى الرمّة

كحلاء فى برج صفراء فى نعج * كأنها فضة قدمسها ذهب

وقول كشاجم

هلال فى اضاءته حياء * شهاب فى سماحته اتقاد

وقول ديك الجن

حرّ الاهاب وسيمه برّ الايا * ب كريمه محض النصاب صميمه

وقول الصفىّ الحلى

بكل منتصر للفتح منتظر * وكل معترم بالحق ملتزم

وقول ابن جابر

ياأهل طيبة فى مغنا كموفر * يهدى الى كل محمود من الطرق
كالغيث فى كرم والليث فى حرم * والبدر فى أفق والزهر فى خلق

التطريز

(مها الوحش الا أن هاتا أوانس * قنا الخط الا أن تلك ذوابل)

البيت لابى تمام من قصيدة من الطويل يمدح بها الوزير محمد بن عبد الملك الزيات أوّلها

متى أنت عن ذهلية الحىّ ذاهل * وقلبك منها مدّة الدهر آهل
تطل الطلول الدمع فى كل موقف * وتمثل بالصبر الديار المواثل
دوارس لم يجف الربيع ربوعها * ولامرّ فى اغفالها وهو غافل
فقد سحبت فيها السحائب ذيلها * وقد أخملت بالنور منها الخمائل
تعفين من زاد العفاة اذا انتحى * على الحىّ صرف الازمة الماحل
لهم سلف سمر العوالى وسامر * وفيهم جمال لايغيض وجامل

الاخشيدى فدخل عليه أبو الفضل بن عياش فقال أدام الله أيام مولانا وكسر الميم فتبسم كافور الى أبى اسحق ففطن لذلك فقال ارتجالا

لاغروان لحن الداعى لسيدنا * وغص من دهش بالريق والبهر
فمثل سيدنا حالت مهابته * بين الاديب وبين القول بالحصر
وان يكن خفض الايام من دهش * فى موضع النصب لامن قلة البصر
فقد تفاءلت من هذا لسيدنا * والفال ماثوره عن سيد البشر
بأن أيامه خفض بلانصب * وأن دولته صفو بلا كدر

فأمر له بثلثمائة دينار وللنحيرمى بمائتين (وذكر صاحب اليتيمة) وقد ذكرنا الاسناد اليه فيما سبق من الكتاب أنه قدم الى عضد الدولة جام بحطة بيضاء عليها الوزمنصف وكان ينادمه رجل من أهل الادب فلما يحضر شئ على المائدة الاقال فيه شعرا لله

ليالى أضللت العزاء وخذلت * بعسقلان آرام الظباء الخواذل
من الهيف لوان الخلاخل صيرت * لهاوشحاجالت عليها الخلاخل

وبعده البيت وبعده

هوى كان خلسا ان من أحسن الهوى * هوى جلت فى أفنائه وهو خامل

وهى طويلة ومها الوحش بفتح الميم بقره والخط هنا بفتح الخاء المعجمة وتكسر مرفأ السفن بالبحرين واليه تنسب الرماح الخطية لانها تباع به لالانه منبتها (والشاهد فيه المماثلة) وهى أن يكون مافى أحد الفقرتين أوشطرى البيت مثل مايقابله من الاخرى فى الوزن دون التقفية وقد تأتى ألفاظ المماثلة من غير قصد كقول امرئ القيس السابق فى التشبيه

كأن المدام وصوب الغمام * وريح الخزامى ونشر العطر

ومن شواهد المماثلة على أصل الباب فى التزام الوزن دون التقفية قول الشاعر

صفوح كريم رصين اذا * رأيت العقول بداطيشها
نداه سحوح على أنفس * به أخضر لماسقى عيشها

والبيت الاول أردت ومن أمثلة المماثلة قول البحترى

فأحجم لما لم يجد فيك مطمعا * وأقدم لما لم يجد عنك مهربا

وقول ابن هانئ الاندلسى فاذا عفا لم يلف غير مملك * واذا سطا لم يلق غير معفر
وقول أحمد بن المغلس ان يواجه فطود حلم ركين * أويفاوض فبحر علم غزير
أو يجد دواهبا فغيث مطير * أو يصل واثبا فليث هصور

وقول العمانى أيضا

سلسل خطوطك ماغدا متسلسلا * شاطى الجمام الزرق بالاغصان
واسجع بشمرك ماغدا متصلصلا * شادى الحمام الورق بالالحان

وقول الباخرزى من قصيدة نظامية

وافرح فمابلى لسدك هادم * وامرح فمابلى لحدك ثالم
فاذا سخوت فان سيبك عارض * واذا سطوت فان سيفك عارم
فلذاك تخشى من قناك مطاعن * ولذاك تغشى من قراك مطاعم

وقول الوزير محمد بن على بن حسول فى شكاية الايام

أأسلت ني وذنبى * للشيب فيه افتراق من الظباء العواطى * الى الضباع العوافى

وقول ابن جابر الاندلسى

جاءت تجرفروعاخلف ذى هيف * وبلغت صبها من لثمها الاملا
فأرسلت غسقا وأطلعت قمرا * وألثمت بردا وأرشفت عسلا

وقوله أيضا تبسمت فتباكى الدر من وجل * وأقبلت فتولى الغصن ذا عجب
تفتر عن حبب يبدو على ذهب * يهدى لك من شنب ضربا من الضرب

شاهد

(مودته تدوم لكل هول * وهل كل مودته تدوم)

البيت للارجانى من قصيدة من الوافر يمدح بها نجم الدين أباعبد الله الفضل بن محمد بن الفضل بن محمود أولها

لأى وميض بارقة أشيم * ومرعى الفضل فى زمنى هشيم
أشب وخذليل الشعر منى * بكف الصبح من شيبى لطيم
وضم الى أفكارى جناحى * فلى فى عش مطرحى جثوم
فعذرا ان تغير عهد شعرى * وقد يغضى على الزلل الحليم

أولغيره فاستدعى منه عضد الدولة أن يصفها فارتج عليه فارتجل عضد الدولة

مهطة تعجز عن وصفها
يامدعى الاوصاف بالزور
كأنها فى الجام اذ زينت
لآلى فى ماء كافور

(وشرب) السرى الموصلى يوما مع جماعة من أصحابه بالقفص فى حانة لبعض الخمارين فأقاموا نهارهم يديرون من الكؤس شعلا يلهبها الماء ويزول برشفها الظماء وبين أيديهم أسد قد نظم من الورد فقال السرى بديها

رب أيام على القفص لنا
لانرى أمثالها طول الابد
غيضة ريحاننا الغض بها
أسد من غابة الورد ورد
مارأى الناس ندامى قبلنا
شربوا الراح على وجه الاسد

(قال على بن ظافر) ذكرت بهذا قول ابن الخياط الدمشقى بديها فى مثله

لنا أسد ورد سبانا به الهوى
وما كان يهوى قبله الاسد الورد
له وردة حمراء فى فيه غضة
يرى عاديا منها وان كان لا يعدو

وما أصبرت عن شأو ولكن * سقيم كلما انتظم السقيم
الى ان قال
أحب المرء ظاهره جميل * لصاحبه وباطنه سليم
يؤول دعوتي ويجيب طوعا * اذا ما عن لي شرف مروم
وفي الفتيان كل رحيب جاش * يرى حرب الزمان ولا يخيم

وبعده البيت (والشاهد فيه) القلب ويسمى المقلوب والمستوى وسماه الحريري ما لا يستحيل بالانعكاس وهو أن يكون عكس البيت أو عكس شطره كطرده وغايته أن يكون رقيق الالفاظ سهل التركيب منسجما في حالتي النظم والنثر وقد انعقد الاجماع على ان أبلغ الشواهد عليه هذا البيت لما حوى من رقة الالفاظ وانسجام المعاني قال أبو جعفر الاندلسي وأسهل منه قول بعض المتأخرين

نال سر العلا بما قد حواه * أو حد قام بالعلا رسلان

وفيه نظر لا يخفى ومن الشواهد المقبولة عليه قول الشاعر أيضا

عج تنم قربك دعد آمنا * انما دعد كبرق منتجع

وقول بعضهم أيضا أراهن نادمنه ليل لهو * وهل ليلهن مدان نهارا

وقول الحريري من أبيات المقامات

اس ارملا اذا عرا * وارع اذا المرء أسا أسند أخا نباهة * ابن اخاء دنسا
أسل جناب غاشم * مشاغب ان جلسا أسر اذا هب مرا * وارم به اذا رسا
أسكن تقو فعسى * يسعف وقت نكسا

ومن القلب قول سيف الدين بن المشد

ليل أضاء هلاله * أنى يضيء بكوكب

وقول الآخر أرانا الاله * هلالا أنارا

وقول الصيرفي المغربي قلقت فيك هذه * هذه كيف تقلق
قرفت بين ميسة * هي من مي تفرق
فترى لحن مقتف * فتق من حل برتق

وقول الصفي الحلي أيضا

بلذ لي نضو * لو ضن بي لذ لي يلم بي لحسن * ان سح لي لم بي

وقول الحسن النظيري النحوي الملقب بذي اللسانين

لسيدنا الامام أبي المطهر * فضائل أربع كالزهر تزهر
ضياء فائض ورأي عيار * عطاء ساطع رهط مطهر

وقول ابن خروف النحوي

واشربوا كل صباح لبنا * واشربوا كل أصيل عسلا
واعكسوا اذاك الى أعدائكم * من قسي النبع أورقش الفلا

وقول بعض المغاربة قد أقبل الشهر واقباله * يأتي بما أجرى ترتيبه
فوجه البر فقاوبه * يجزيك عن برك مقلوبه

وقول سيف الدين بن المشد ملغزا في هاروت

مالسم اذا صحفته * فهو نبي مرسل وهو اذا عكسته * كتابه المنزل

ومن القلب نوع آخر يقال له قلب الكلمات كقول الشاعر

عدلوا فما ظلمت لهم دول * سعدوا فما زالت لهم نعم
بذلوا فما شحت لهم شيم * رفعوا فما زالت لهم قدم

كليث قريب بالفريسة عهده
فباقي دم المفروس في فيه يبدو
(وحكى أبو الفضل الهمداني قال) قال الصاحب يوما لجلسائه وأنا فيهم وقد جرى ذكر أبي فراس لا يقدر أحد أن يزور على أبي فراس شعرا فقلت ومن يقدر أن يزور عليه وهو الذي يقول وارتجلت
رويدك لا تصل يدها بباعك
ولا تغر السباع على رباعك
ولا تعن العدو على اني
يمين ان قطعت فمن ذراعك
فقال الصاحب صدقت فقلت أيد الله مولانا قد فعلت (وروى) ابن الصابي في كتاب الوزراء قال كان في مجلس الصاحب متكلم يعرف بابن الحضيري فغلبه النوم يوما في المجلس فكانت منه فلتة فعلم بها فقام خجلا فقال فيه الصاحب ارتجالا
يا ابن الحضيري لا تذهب على خجل
من ضرطة أشبهت نايا على عود

فهو دعاء لهم ومدح فاذا انقلبت كلماته صار دعاء عليهم وهجوا بأن يقال

نعم لهم زالت فما سعدوا * دول لهم ظلمت فما عدلوا

قدم لهم زلت فما رفعوا * شيم لهم شحت فما بذلوا

(يا خاطب الدنيا الدنية انها * شرك الردى وقرارة الاكدار)

البيت للحريري من الكامل وبعده

دار متى ما أضحكت * في يومها * أبكت غدا * تبا لها من دار

واذا أظل سحابها * لم ينتقع * منه صدا * لجهامه الغرار

غاراتها ما تنقضي * وأسيرها * لا يفتدى * بجلائل الاخطار

كم مزدهٍ بغرورها * حتى بدا * متمردا * متجاوز المقدار

قلبت له ظهر المجن وأولغت * فيه المدى * وتزت لاخذ الثار

فاربأ بعمرك ان يمرّ مضيعا * فيها سدا * من غير ما استظهار

واقطع علائق حبها * وطلابها * تلق الهدى * ورفاهة الاسرار

وارقب اذا ما سالمت * من كيدها * حرب العدا * ووثوب الغدار

واعلم بأن خطوبها * تفجا ولو * طال المدى * ودنت سرى الاقدار

والدنية الخسيسة وشرك الردى حبالة الهلاك وقرارة الاكدار مقر الهموم والاوصاب المكدرة للعيش (والشاهد فيه) التشريع وسماه ابن أبي الاصبع التوأم وهو بناء البيت على قافيتين يصح المعنى عند الوقوف على كل منهما فهذا البيت وما بعده اذا أنشد على هيئته كان من ثاني الكامل واذا أسقطت الجزئين الاخيرين منه كان من ثامنه فتبقى صورته

يا خاطب الدنيا الدنية انها شرك الردى

ومن الواقع من كلام العرب في هذا النوع قول بعضهم

واذا الرياح مع العشي تناوحت * هوج الرئال * تكبهن شمالا

ألفيتنا نقرى العبيط لضيفنا * قبل القتال * ونقتل الابطالا

فهذان البيتان اذا أنشدا تامين كانا من الضرب التام المقطوع من الكامل واذا اقتصرت على الرئال والقتال كانا من الضرب المجزوء المرفل منه ولا شك ان هذا النوع لا يتأتى الا بتكلف زائد وتعسف فانه راجع الى الصناعة لا الى البلاغة والبراعة وأوسع البحور في هذا النوع الرجز فانه قد استعمل تاما ومجزوا ومشطورا ومنهوكا ومن أمثلته قول الارجاني

صب مقيم سائر * فؤاده * طوع الهوى * مع الخليط المنجد

غائب قلب حاضر * وداده * لمن نأى * في عهدهم والمعهد

له جوى مخامر * يعتاده * اذا اشتكى * طيف الكرى في العود

لصبره مكابد * ايقاده * حشو الهوى * بعد الحسان الخرد

ودمعه مكاثر * اسداده * خوف النوى * يقول الهم ابعد

وقول الحريري أيضا

جودي على المتصبر الصب الجوى * وتعطفي بوصاله * وترحمي

ذا المبتلى المتفكر القلب الشجي ثم اكتفي * عن * حاله * لا تظلمي

وقول ابن جابر الاندلسي

يرنو بطرف فاتر * مهما رنا * فهو المنى * لا أنتهي عن حبه

يهفو كغصن ناضر * حلو الجنى * يشفي الضنى * لا صبر لي عن قربه

فانها الريح لا تستطيع تحبسها
اذ أنت لست سليمان بن داود
(وأنبأني) ذو النسبتين الحافظ أبو الخطاب بن دحية عن الاستاذ المقيد أبي بكر محمد بن خير بقراءته عليه عن الحافظ أبي القاسم خلف بن يوسف الشنتريني عرف بابن الابرش بقراءته على أبي الحسن علي بن بسام قال كان أبو العلاء صاعد اللغوي البغدادي كثيرا ما يمدح بلاد العراق بمجلس المنصور بن أبي عامر كفيل المؤيد هشام صاحب الاندلس فكتب الوزير أبو مروان عبد الملك بن شهيد والد الوزير أبي عامر أحمد صاحب الغرائب الماضية في هذا الكتاب الى المنصور في يوم برد وكان أخص وزرائه

أما ترى برد يومنا هذا
صيرنا للكمون أفذاذا
قد فطرت صحة الكبود به
حتى لكادت تعود أفلاذا
فادع بنا للشمول مصطليا
نغذ سيرا اليك اغذاذا

لو كان يوماً زائري * زال العنا * بحلولنا * في الحب أن نسمى به
أنزلته في ناظري * لما دنا * قد سرّنا * اذ لم يحل عن صبه

وقوله أيضا
من لي بآنسة تنا * م لحاظها * من غير نوم * بل تتيه وتفتن
قالت ألست تخاف حيث * ن تزورني * سطوات قومي * كم تبوح وتعلن
فأجبتها في نيل وصـ * لك لم أكن * لا خاف لومي * فهو عندي هين

وقول أبي جعفر الغرناطي
يا راحلا يبغي زيارة طيبة * نلت المنى * بزيارة الاخيار
حيّ العقيق اذا وصلت وصف لنا * وادي منى * يا طيب الاخبار
واذا وقفت لدى المعترف داعيا * زال العنا * وظفرت بالاوطار

وقول الرشيد النابلسي
لم الحشى معذب * موجع * على المدى * صب الفؤاد مغرم
بناره ملتهب * ملذع * ما خمدا * أواره والضرم
حكم فيه أشنب * ممنع * من الفدا * فهو الاسير المسلم
مبتعد مجتنب * مودع * تعمدا * وهو الغريب الامم
زمانه تعتب * وولع * قدا كدا * من عز فهو يحكم
ما الحب الاهب * ومدمع * تجددا * ولوعة وسقم
ياهل اليه سبب * ممنع * يولي يدا * من لبه محترم
ما أنا الا أشعب * أو أطمع * فيما عدا * فما اليه سلم

وقول ابن نقاده
جرغرامي واقد * يحكي لظى * شراره * في القلب ليس ينطفي
ودمع عيني شاهد * على الهوى * مدراره * والوجد مالا يختفي
والنوم عني شارد * لا يرتجى * مزاره * فيا الصب مدنف
هل في الهوى مساعد * لما عني * اعذاره * في حب ظبي أهيف
مائل قد مائد * اذا انثنى * خطاره * كالغصن المهفهف
فلحظه لي صائد * اذ ينتضي * بتاره * هل في الجفون مشرفي
قلبي عليه واجد * لما نأى * مزاره * بين الاسى والاسف
أرغب وهو زاهد * وهو المنى * اختاره * من لي به فأشتفي
أسهر وهو راقد * لما جفا * نفاره * عرضني للتلف
وجدي عليه زائد * من الجوى * اسعاره * بين الدموع الذرّف

وقول صلاح الدين القوّاس ويقال ان هذه القصيدة تقرأ على ثلثمائة وستين وجها
داء ثوى * بفؤاده شفه سقم * لحنتي * من دواعي الهمّ والكمد
بأضلعي * لهب تذكو شرارته * من الضنى * في محل الروح والجسد
يوم النوى * طال في قلبي به ألم * وحرقتي * وبلائي فيه بالرصد
توجعي * من جوى شبت حرارته * مع العنا * قدرني لي فيه ذو الحسد
أصل الهوى * ملبسي وجدا به عدم * لمهجتي * من رشا بالحسن منفرد
تتبعي * وجه من تزهو نضارته * لما جني * مورثي وجدا الى الابد

وهذا القدر من هذا النوع كاف

وادع المسمى بها وصاحبه
تدع نبيلا وتدع أستاذا
ولا تبالي أما العلا عزها
بخمر قطربل وكلوا اذا
ما دام من أرملاط مشربنا
دع دير عمي وطيرناباذا
وكان المنصور في ذلك اليوم
قد عزم على الانفراد بحرمه
فأمر باحضار من جرى
رسمه من الوزراء والندماء
وأحضر ابن شهيد في محفة
لنقرس كان يعتاده وأخذوا
في شأنهم فقرلهم يوم لم
يعهدوا مثله وعلا الطرب
وسمابهم حتى تهايجوا
ورقصوا بالنوبة حتى
انتهى الدور الى ابن شهيد
فأقامه الوزير ابو عبد الله
ابن عباس فجعل يرقص
وهو متوكئ عليه وارتجل
قائلا
هاك شيخا قاده عذر لكا
قام في رقصته مستهلكا
لم يطق يرقصها منتصبا
فغدا يرقصها مستمسكا
عاقه عن هزها منفردا
نقرس أخنى عليه فاتكا
من وزير فيهم رقاصة
قام للسكر يناغي ملكا



لزوم ما لا يلزم

(سأشكر عمراً ان تراخت منيتي * أيادي لم تمنن وان هي جلت)

(فتى غير محجوب الغنى عن صديقه * ولا مظهر الشكوى اذا النعل زلت)

(رأى خلتي من حيث يخفى مكانها * فكانت قذى عينيه حتى تجلت)

الابيات من الطويل وقائلها عبد الله بن الزبير الاسدي في عمرو بن عثمان بن عفان رضي الله عنهما وكان سببها ما حكاه أبو غسانة قال بلغني أن أول من أخذ نسيئة في الاسلام عمرو بن عثمان بن عفان أتى عبد الله بن الزبير الاسدي فرأى عمرو تحت ثيابه ثوبا رثا فدعا وكيله وقال له اقترض مالا فقال هيهات ما يعطينا التجار شيأ قال فأربحهم ما شاؤا فاقترض له ثمانية آلاف درهم باثني عشر ألفا فوجه بها اليه مع تخت ثياب فقال عبد الله بن الزبير الابيات (ويحكى) أن رسول سيف الدولة بن حمدان ورد على أبي الطيب المتنبي برقعة فيها البيت الاخير من هذه الابيات وسأله اجازته فأثبت في الرقعة تحته

لنا ملك ما يطعم النوم همه * ممات لحي أو حياة لميت

ويكبر أن تقذى بشيء جفونه * اذا ما رأته خلة بك فرت

جزى الله عني سيف دولة هاشم * فان نداه الغمر سيفي ودولتي

ومعنى لم تمنن لم تقطع ولم تخلط بمنة وان عظمت وقوله اذا النعل زلت كناية عن نزول الشر وامتحان المرء يقال زلت القدم وزلت النعل به والخلة بالفتح الحاجة والفقر والخصاصة وفي المثل الخلة تدعو الى السلة أي السرقة والقذى ما يقع في العين وفي الشراب (والشاهد فيها) لزوم ما لا يلزم وهو هنا مجيء اللام المفتوحة المشددة قبل حرف الروي وهو التاء وذلك ليس بلازم في مذهب السجع لتحققه بدونه وفيها نوعان من لزوم ما لا يلزم أحدهما التزام الحرف والثاني فتحه وقد يكون الاول بدون الثاني وبالعكس ومن شواهده قول امرئ القيس

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع * فألهيتها عن ذي تمائم محول

اذا ما بكى من خلفها انحرفت له * بشق وتحتي شقها لم يحول

وما يقع من هذا الباب للمتقدم فهو غير مقصود منه وأما المتأخرون فقصدوا عمله وأكثروا منه حتى ان أبا العلاء المعري عمل من ذلك ديوانا كاملا منفردا عن ديوان شعره المعروف بسقط الزند ومنه قوله

لك الحمد أمواه البلاد بأسرها * عذاب وخصت بالملوحة زمزم

هو الحظ عير الوحش يستاف أنفه * خزامى وأنف العود بالعود يخرم

ومن هذا المعنى قول أبي تمام الطائي

والحظ يعطاه غير طالبه * ويحرز الدر غير مجتلبه

تلك بنات المخاض راتعة * والعود في كوره وفي قتبه

وقول الآخر

أيا دهر ويحك ماذا الغلط * لئيم علا وكريم هبط

حمار يسيب في روضة * وطرف بلا علف يرتبط

وقول الآخر

رب عير يرعى ويعلف في المصـ * ـر وليث يجوع في صحراء

وحشيش يروى على ضفة النهـ * ـر ونبع يظما على غير ماء

وقول الهيثم النخعي

قد يرزق الاحمق المأفون في دعة * ويحرم الاحوذي الارحب الباع

كذا السوام تصيب الارض مرعة * والاسد مرتعها في غير امراع

ولطيف قول الشيخ بدر الدين بن الصاحب

رزق الضعيف بعجزه * فاق القوي الاغلبا فالنسر يأكل جيفة * والنحل يأكل طيبا

رجع الى شعر أبي العلاء المعري في لزوم ما لا يلزم ومنه قوله

أنا صائم طول الحياة وانما * فطري الممات فعند ذاك أعيد

أنا لو كنت كما تعهدني قمت اجلالا على رأسي لكا
قهقه الابريق مني ضاحكا ورأى رعشة رجلي فبكى

وهذه قطعة مطبوعة وطرفها الاخير واسطتها وكان قد حضرهم ذلك اليوم رجل بغدادي يعرف بالكلك كان حسن النادرة سريعها وكان ابن شهيد أحضره الى المنصور فاستطبعه وارتبطه فلما رأى ابن شهيد يرقص قائما مع ألم المرض الذي كان منعه من الحركة قال لله درك ياوزير ترقص قائما وتصلي قاعدا فضحك المنصور وأمر لابن شهيد بمال جزيل ولسائر الجماعة وللكلك (وبالاسناد أيضا) قال ابن بسام ودخل صاعد اللغوي يوما على المنصور وعليه ثياب جدد وخف فمشى على جانب البركة لازدحام الحاضرين في الصحن فزهقت رجله فسقط في الماء فضحك المنصور وأخرج وقد كاد البرد يأتي عليه فلما نظر اليه أمر له بثياب وأدنى

لونان من صبح وليـــل شيبا * رأسي وأضعفني الزمان الأيد
قالوا فلان جيد لصديقه * لا تكذبوا ما في البرية جيد
فأمــير نال الامارة بالخنا * وفقيهنا بصلاته متصيد
كن كيف شئت مهجنا أو خالصا * فاذا رزقت غنى فأنت السيد
واصمت فاكثر الكلام من امرئ * الا وقالوا انه مستزيد

وقوله
كل واشرب الناس على خبرة * فهم يمرون ولا يعذبون
ولا تصدقهم اذا حدثوا * فانى أعهدهم يكذبون
فان أرولك الود عن حاجة * ففي حبال لهم يجذبون

ومن مليح ما جاء فيه قول أبي نواس
أماوزند أبي علي انه * زند اذا استوريت سهل قدحكا
انى لبأبي الصنع عالي همتي * من غيركم ويعاف الا مدحكا

ولأبي الطاهر محمد بن يوسف التميمي السرقسطي فيه وهو مصنف المقامات اللزومية وهي خمسون مقامة بناها على لزوم ما لا يلزم يا هاتما بادلال والخفر * ألصقت خد العزيز بالعفر
اياك ذنب الهوى وزلته * فليس ذنب الهوى بمغتفر
ما عز في الحب من يساجله * لو كان ذا معشر وذا نفر
ومن غدا والحبيب شافعه * أخلق به أن يفوز بالظفر

وله أيضا فيه
كل حبيب له دلال * وربما شابه ملال
وأنت أنت الحبيب لكن * من دون اسعافك الهلال

ولأبي الفضل الميكالي فيه مع التعمية باسم
غزال ينثني ويريك غصنا * ويرنو تارة ويريك ريما
كريم كله ظرف ولكن * اذا سميته فاقلب كريما

وله أيضا فيه
تمزعن الحرص تعززبه * ففي الطمع الذل والمنقصه
ولا تنزلن أبدا حاجة * بمن كابد البؤس والمخمصه
ولو نال نجم الدجى ثروة * وأوطأ شمس الضحى أخمصه

ولابن جابر الاندلسي فيه
ولما وقفنا كى نودع من نأى * ولم يبق الا الآن تحت الركائب
بكينا وحق للمحب اذا بكى * عشية سارت عن حماه الحبائب

ولأبي جعفر الغرناطي فيه
ناولته وردة فاحمر من خجل * وقال وجهي يغنيني عن الزهر
الخد ورد وعيني نرجس وعلى * خدى عذار كريحان على نهر

ومما يلحق بهذا النوع ما يختبر به الادباء أفكارهم ويشحذون به قرائحهم من التزام حروف جميعها مهملة أو جميعها معجمة أو لا تنطبق معها الشفتان الى غير ذلك من التفننات كقول الحطيري الوراق وجميع الحروف مهملة صدود سعاد أحدر الدمع مرسلا * وأسأر حرا لم أحاوله أولا
محله صدا أراه محرما * محرمة وصلا أراه محللا
أواصل لا أسلو هواها ملالة * وكم آمل للوصل هام وما سلا
لها طول صد للسهد مؤلم * ووصل له طعم أراه معسلا
وقول أحمد بن الورد علم العدو وملالة اللوام * ودوام صدك وهو صد حمام

مجلسه وقال يا أبا العلاء قل في سقطتك فأطرق ثم قال
شيئان كانا في الزمان بجيبة ضرط ابن وهب ثم سقطة صاعد
فاستبرد ما أتى به وكان أبو مروان الجزيري الكاتب حاضرا فقال
سروري بعثرتك المشرقه ودعه راحتك المعرقه
ثنانى نشوان حتى سقطت في لجة البركة المغرقه
لئن ظل عبدك فيها الغريق بجودك من قبلها أغرقه
فقال الله درك فسناك بأهل العراق ففضلتهم فمن نقيسك
(وبالاسناد) قال ابن بسام وحدث أبو بكر محمد بن أحمد ابن جعفر بن عثمان المصحفي قال دخلت يوما على أبي عامر قال على بن ظافر يعني ابن شهيد وقد ابتدأت به علته التي مات بها فأنس بي وجرى الحديث الى أن شكوت اليه تجنى بعض أصحابي على ونفاره عني فقال لي سأسعى في اصلاح ذات البين فخرجت عنه فلقيت ذلك المتجني مع بعض اخواني

لولاك ماحدر السهاد دموعه * ولما أطار كراه حرّ أوام
ردّ السلام وماعداك مسلما * وأراك أهل هواه سرّ كلام
كم حاسد لك أومصدّ وداده * ومعلل أهداه طول ملام

وقول ابن سلام

وصال دعد أراه حال وما * أحال عهد الحامدى العمر
وطالما راح وردها حرما * مصارما للورود والصدر

وأبيات الحريرى العاطلة حلية هذا النوع وهى

أعدد لحسادك حدّ السلاح * وأورد الآمال ورد السماح
وصارم اللهو ووصل المها * وأعمل الكوم وسمر الرماح
واسع لادراك محل سما * عماده لا لادراع المراح
والله ما السودد حسو الطلا * ولا مراد الحمد ورد وراح
واها لحر صدره واسع * وهمه ماسرّ أهل الصلاح
مورده حلو لسؤاله * وماله ماسأله مطاح
ماأسمع الآمل ردا ولا * ماطله والمطل لؤم صراح
ولا أطاع اللهو لما دعا * ولا كسا راحا له كأس راح
سوّده اصلاحه سره * وردعه أهواءه والطماح
وحصل المدح له علمه * مامهر العور مهور الصحاح

وقول الخطيرى وحروفه لا تنطبق فيها الشفتان

ها أيا ذا عارى الجلد * أسهرنى الذى رقد آه لعين نظرت * الى غزال ذى غيد
أريتنى ياناظرى * صيد الغزال للاسد ان الضنى لهجره * ياعاذلى هدّ الجسد
حشا حشاى اذ نأى * نار الغضا حين شرد ياغادرا غادرنى * على لظى نار تقد
هلا اصطنعت ناحلا * لا يشتكى الى أحد

وقوله وفى كل كلمة همزة

بأبى أغيد أذاب فؤادى * اذ تناءى وأظهر الاعراضا
رشأ يألف الجفاء فان أقـ * ـبل أبدى لآمليه انقباضا

وقول الحريرى وحروفه معجمة كلها

فتنتنى فجننتى تجنى * بتجن يفتن غب تجنى
شغفتنى بجفن ظبى غضيض * غنج يقتضى تفيض جفنى

وقوله وهو كلمة مهملة وكلمة معجمة

اسمح فبث السماح زين * ولا تخب آملا تضيف
ولا تجز رد ذى سؤال * فتى أم فى السؤال خفف
ولا تظن الدهور تبقى * مال ضنين ولو تقشف
واحلم فجفن الكرام يغضى * وصدرهم فى العطاء يشغف
ولا تخن عهد ذى وداد * ثبت ولا تبغ ماتزيف

وقول بعضهم وليس فيه حرف متصل بغيره

زار داود دار أروى وأروى * ذات دل اذا رأت داودا

ومثله قول أبى الفضل الاوابى

وادد أوداء وارع ذا ورع * ودار دارا ان زاغ أو دارا
وزر ودود او ادن ذا أدب * وذر ذراه ان زار أوزارا

وأعزهم على فتجنبتهما فسأله عن السبب الموجب فأخبره فمشى حتى أدركنى وعزم على فى مكالمته وتعاتبنا عتابا أرق من الهوا وأشهى من الماء على الظما حتى جئنا دار أبى عامر فلما رآنا جميعا ضحك وقال من هذا الذى تولى اصلاح ما كنا مررنا بفساده وقلنا قد كان ما كان وأطرق قليلا ثم أنشد

من لا أسمى ولا أبوح به
أصلح بينى و بين من أهوى
أرسلت من كابد الهوى فدرى
كيف يداوى مواقع البلوى
ولى حقوق فى الحب ثابتة
لكن الفى بعدها دعوى

(قال على بن ظافر) وذكر ابن خاقان فى كتاب مطمح الانفس مامعناه أن أبا عامر كان مع جماعة من أصحابه بجامع قرطبة فى ليلة السابع والعشرين فمرت بهم امرأة من بنات أجلاء قرطبة قد كانت حسنا وظرفا ومعها طفل يتبعها كالظبية تستتبع خشفا وقد حفت بها الجوارى كالبدر حف

ومنه قول بعضهم وهو يجمع حروف المعجم كلها

صف خلق خود كمثل الشمس اذ بزغت * يحظى الضجيع بها نجلاء معطارا

وقول أبي جعفر اليزيدي

ولقد شجتني طفلة برزت ضحى * كالشمس خثماء العظام بذي الغضا

وأحسن منه قول ابن حمديس الصقلي

مزرفن الصدغ يسطو لحظه عبثا * بالخلق جذلان ان أشكو الهوى ضحكا

وهذا الباب واسع والاختصار به أليق (وعبد الله بن الزبير) بفتح الزاي وكسر الباء الموحدة وهو ابن الاشيم ابن الاعشى بن بجرة بن قيس بن منقذ ينتهي نسبه الى أسد بن خزيمة وهو شاعر كوفي المنشا والمنزل من شعراء الدولة الاموية وكان من شيعة بني أمية وذوي الهوى فيهم والعصبية لهم والنصرة على عدوهم فلما غلب مصعب بن الزبير رضي الله عنهما على الكوفة أتي به أسيرا فمنّ عليه ووصله فمدحه وأكثر وانقطع اليه فلم يزل معه حتى قتل مصعب بن الزبير رضي الله عنه ثم عمي عبد الله بن الزبير بعد ذلك ومات في خلافة عبد الملك بن مروان وكان عبد الله هذا يكنى أبا كثير وهو أحد الهجاءين للناس المرهوب شرّهم وكان ناس من بني علقمة بن قيس قتلوا رجلا من بني الاشيم من رهط عبد الله بن الزبير دنية فخرج عبد الرحمن ابن أم الحكم وافدا الى معاوية رضي الله عنه ومعه ابن الزبير ورفيقان له من بني أسد فقال عبد الرحمن لابن الزبير خذ من بني عمك دية لقتيلك فأبى ابن الزبير وكان عبد الرحمن يميل الى أهل القاتل فغضب عليه عبد الرحمن ورده عن الوفد من منزل يقال له فياض فخالفه ابن الزبير الطريق الى يزيد بن معاوية فعاذ به فأعاذه وقام وأمره بأن يهجو ابن أم الحكم وكان يزيد يبغضه وينتقصه ويعيبه فقال فيه ابن الزبير من قصيدة طويلة

وأنتم بنو حام بن نوح أرى لكم * شفاها كآذان المساحي ورّما

فان قلت خالي من قريش فلم أجد * من الناس شرّا من أبيك وألأما

ولما بلغ عبد الرحمن بن أم الحكم أن عبد الله بن الزبير هجاه غضب عليه وهدم داره وأحرقها فأتى معاوية رضي الله عنه فشكاه اليه وتظلم لديه منه وقال قد أحرق لي دارا قد قامت علي بمائة ألف درهم فقال معاوية ما أعلم بالكوفة دارا أنفق عليها هذا القدر فمن يعرف صحة ما ادعيت فقال هذا المنذر بن الجارود حاضر ويعلم ذلك فقال معاوية رضي الله عنه للمنذر ما عندك في هذا قال اني لم آبه لنفقته على داره ومبلغها ولكني لما دخلت الكوفة وأردت الخروج عنها أعطاني عشرين ألف درهم وسألني أن أبتاع له بها ساجا من البصرة ففعلت فقال معاوية ان دارا اشترى لها ساج بعشرين ألف درهم لحقيق أن يكون سائر نفقتها مائة ألف درهم وأمر له بها فلما خرجا أقبل معاوية على جلسائه ثم قال لهم أي الشيخين عندكم أكذب والله اني لأعرف داره وما هي الا خصاص قصب ولكنهم يقولون فنسمع ويخادعونا فننخدع لهم وليحبون منه وكان عبد الرحمن ابن أم الحكم لما ولي الكوفة أساء بها السيرة فقدم قادم من الكوفة الى المدينة المنورة فسألته امرأة عبد الرحمن عنه فقال لها تركته يسأل الحافا وينفق اسرافا وكان محمقا وولاه معاوية خاله عدة أعمال فذمه أهلها وتظلموا منه فعزله وأطرحه وقال له يا بني قد جهدت أن أنعقك وأنت تزداد كسادا وقالت له أخته أم الحكم بنت صخر يا أخي زوج ابني بعض بناتك فقال ليس لهن بكفء فقالت له قد زوجني أبو سفيان أباه وأبو سفيان خير منك وأنا خير من بناتك فقال يا أخية انما فعل ذلك أبو سفيان لانه كان حينئذ يشتهي الزبيب وقد كثر الآن الزبيب عندنا فلا نزوج الا الاكفاء وكان عبد الله بن الزبير قد مدح أسماء بن خارجة الفزاري بقصيدة طويلة منها

تراه اذا ما جئته متهللا * كأنك تعطيه الذي أنت نائله

ولو لم يكن في كفه غير روحه * لجاد بها فليتق الله سائله

فأثابه أسماء ثوابا لم يرضه فغضب وقال يهجوه

بنت لكم هند بتلذيع نظرها * دكاكين من جص عليها المجالس

بالدراري فحين رأت تلك الجماعة المعروفة بالخلاعة ورمقوا الظبي بعيون اسود رأت فريسة ارتاعت وتخوفت أن تخطف منها تلك الدرة النفيسة فاستدنت اليها خشفها وألزمته عطفها فارتجل ابن شهيد قائلا

وداعية تحت طي القناع * دعاها الى الله بالخير داع

أتت بابنها تبتغي منزلا * لوصل التبتل والانقطاع

فجاءت تهادى كمثل الرؤم * تراعي غزالا بروض اليفاع

أتتنا تبختر في مشيها * فحلت بواد كثير السباع

وجالت بأكنافه جولة * فحل الربيع بتلك البقاع

وريعت حذارا على طفلها * فناديت يا هذه لا تراعي

غزالك تفرق منه الليوث * وتهرب منه كماة المصاع

فولت وللمسك من ذيلها * على الارض خط كخط الشجاع

(أنبأني) الشيخ الفقيه أبو الحسن علي بن الفضل المقدسي عن الفقيه أبي القاسم مخلوف بن علي القيرواني عن أبي عبد الله

فوالله لولا رهن هند ببطرها * لعدّ أبوها فى اللئام العوابس

فبلغ ذلك أسماء فركب اليه واعتذر من فعله بصيغة شكاها وأرضاه وجعل له على نفسه فى كل سنة وظيفة واقتطعه الى جانبه فكان بعد ذلك يمدحه ويفضله وكان أسماء يقول لبنيه والله ما رأيت قط جصانى بناه الاذكرت بطر أمكم هند فخجلت ولما ولى مصعب بن الزبير العراق دخل عليه عبد الله بن الزبير الاسدى فقال له ايها يا ابن الزبير أأنت القائل

الى رجب السبعين أوذا الثقبله * تصبحكم حمر المنايا وسودها

ثمانون ألفا نصر مروان دينهم * كتائب فيها جبريل يقودها

فقال أنا القائل لذلك فقال ان الحقين لبأبى العنزة ولو قدرت على بجده لجدته قال فاصنع ما أنت صانع فقال أما أنا فلا أصنع بك الا خيرا أحسن اليك قوم فاجتبيتهم وواليتهم ومدحتهم ثم أمر له بجائزة وكسوة ورده الى منزله مكرما فكان ابن الزبير بعد ذلك يمدحه ويشبب بذكره فلما قتل مصعب اجتمع عبد الله بن الزبير وعبيد الله بن زياد بن ظبيان فى مجلس فعرف ابن الزبير خبره وكان عبيد الله هو الذى قتل مصعبا فاستقبله ابن الزبير بوجهه وقال له

أبا مطر شلت يمين تفرعت * بسيفك رأس ابن الحوارى مصعب

فقال له ابن ظبيان فكيف النجاة من ذلك فقال لا نجاة هيهات سبق السيف العذل وكان ابن ظبيان بعد قتله مصعبا لا ينتفع بنفسه فى نوم ولا يقظة كان يهول عليه فى منامه فلا ينام حتى نحل جسمه ونهك فلم يزل كذلك حتى مات (وحدث) خالد بن سعيد عن أبيه قال كان عبد الله بن الزبير صديقا لعمرو بن الزبير بن العوام فلما أقامه أخوه عبد الله ليقتص منه بالغ كل ذى حقد عليه فى ذلك وتدسس فيه من يتقرب الى أخيه وكان أخوه لا يسأل من ادعى عليه شيأ بينة ولا يطالبه بحجة وانما يقبل قوله ثم يدخله الى السجن ليقتص منه فكانوا يضربونه والقيح ينضح من ظهره وأكتافه على الارض والحيطان مما يعتريه ثم أمر بان ترسل عليه الجعلان فكانت تدب عليه فتثقب لحمه وهو مقيد مغلول يستغيث فلا يغاث حتى مات على تلك الحالة فدخل الموكل به وهو يبكى على أخيه عبد الله بن الزبير وفى يده قدح لبن يريد أن يتسحر به فقال له ما لك أمات عمرو قال نعم قال أبعده الله وشرب اللبن ثم قال لا تغسلوه ولا تكفنوه وادفنوه فى مقابر المشركين فدفن فقال ابن الزبير يرثيه ويؤنب أخاه بفعله وكان له صديقا وخلا ونديما

أيا راكبا اما عرضت فبلغن * كبير بنى العوام ان قلت من تعنى

ستعلم ان جالت بك الحرب جولة * اذا فوق الرامون أسهم من تغنى

فأصبحت الارحام حين وليتها * بكفيك أكراشا تجر على دمن

عقدتم لعمرو عقدة وغدرتمو * بأبيض كالمصباح فى ليلة الدجن

وكبلتموه حولا يجود بنفسه * تنوء به فى ساقه حلق البين

فما قال عمرو اذ يجود بنفسه * لضار به حتى قضى نحبه دعنى

فى أبيات أخر أعرضت عن ذكرها حفظا لمقام عبد الله بن الزبير وصحبته (وحدث) العبسى قال لما قتل عبد الله ابن الزبير صلب الحجاج جسمه وبعث برأسه الى عبد الملك فجلس على سريره وأذن للناس فدخلوا عليه وقام عبد الله بن الزبير فاستأذنه فى الكلام فقال له تكلم ولا تقل الا خيرا وتوخ الحق فيما تقوله فأنشأ يقول

مشى ابن الزبير القهقرى فتقدمت * أمية حتى أحرزوا القصبات

وجئت المعالى يا ابن مروان سابقا * امام قريش تبغض الغدرات

فلا زلت سباقا الى كل غاية * من المجد منجاء من الغمرات

فقال له أحسنت فسل حاجتك فقال أنت أعلى عينا وأرحب صدرا يا أمير المؤمنين فأمر له بعشرين ألف درهم وكسوة ثم قال له كيف قلت فذهب يعيد هذه الابيات فقال له لا ولكن أبياتك فى المحل فى وفى الحجاج

محمد بن أبى سعيد السرقسطى عن أبى عبد الله محمد بن أبى نصر الحميدى قال أخبرنا أبو الحسن الراشدى عن أبى عامر بن شهيد أن عبد الله ابن فا كان الشاعر تناول نرجسة فركبها فى وردة ثم قال له ولصاعد قال على بن ظافر يعنى أبا العلاء صاعدا اللغوى المقدم ذكره صفاها فأفحما ولم يتجه لهما القول فبيناهم على ذلك اذ دخل الزهرى قال على بن ظافر يعنى صاحب أبى العلاء صاعد وتلميذه وكان أديبا شاعرا أميا لا يقرأ ولا يكتب فلما استقر به المجلس أخبر بما هم فيه فجعل يضحك ويقول بغير روية

ما للأديبين قد اعيتهما
مليحة من ملح الجنه
نرجسة فى وردة ركبت
كمقلة تنظر فى وجنه

(وبهذا الاسناد عن الحميدى) قال أخبرنى الرئيس أبو الحسن عبد الرحمن بن راشد الراشدى قال لما بعث أبا عامر بن شهيد الى ابن الخياط الشاعر وقد عرفت ما كان بينهما من المنافسة بكى

التى قلتها فأنشده كأنى بعبد الله يركب ردعه * وفيه سنان زاعبى مجرّب
وقد فرّعنه الملحدون وحلقت * به وبمن آساه عنقاء مغرب
تولوا فخاوه فشال بشلوه * طويل من الاجذاع عار مشذب
بكفى غلام من ثقيف نمت به * قريش وذو المجد التليد معقب

فقال له عبد الملك بن مروان لا تقل غلام ولكن همام وكتب له الحجاج بعشرة آلاف درهم أخرى (ودخل) عبد الله بن الزبير على بشر بن مروان وعليه ثياب كان بشر خلعها عليه وكان بشر قد بلغه عنه شئ يكرهه فجفاه فلما وصل اليه ووقف بين يديه وجعل يتأمل من حواليه من بنى أمية ويجيل نظره فيهم كالمتعجب من جمالهم وهيئاتهم فقال له بشر تنظرك يا ابن الزبير يدل على ان وراءه قولا فقال نعم قال قل فقال

كأن بنى أمية حول بشر * نجوم وسطها قمر منير
هو الفرع المقدم من قريش * اذا أخذت مآخذها الامور
لقد عمت نوافله فأضحى * غنيا من نوافله الفقير
جبرت مهيضنا وعدلت فينا * فعاش البائس الكل الكبير
فأنت الغيث قد علمت قريش * لنا والوا كف الجون المطير

فأمر له بخمسة آلاف درهم ورضى عنه (وعن عبد الله بن عباس) قال أخبرنى بعض مشيخة بنى أسد أن ابن الزبير لما اقفل من قتال الازارقة بعث بعثا الى الرى قال فكنت فيه وخرج الحجاج الى القنطرة يعنى قنطرة الكوفة التى بزيارة ليعرض الجيش وجعل يسأل عن رجل رجل من هو فمرّ به ابن الزبير فسأله من هو فأخبره فقال له أنت الذى تقول

تخير فاما أن تزور ابن ضابئ * عميرا واما أن تزور المهلبا

فقال بلى أنا الذى أقول ألم ترأنى قد أخذت جعيلة * وكنت كمن قاد الجنيب فاسمحا

فقال له الحجاج ذلك خير لك فقال

وأوقدت للاعداء يا مى فاعلمى * بكل سرى نارا فلم أرجمحا

فقال له الحجاج قد كان بعض ذلك فقال

ولا يعدم الداعى الى الخير تابعا * ولا يعدم الداعى الى الشر مجدحا

فقال له الحجاج ان ذلك كذلك فامض الى بعثك فمضى الى بعثه فمات بالرى

﴿ اذا أنت لم تنصف أخاك وجدته * على طرف الهجران ان كان يعقل ﴾
﴿ ويركب حد السيف من أن تضيمه * اذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل ﴾

البيتان لمعن بن أوس المزنى من قصيدة من الطويل قالها فى صديق له يستعطفه وكان معن متزوجا باخته فطلقها فأقسم أن لا يكلمه وأولها

لعمرك ما أدرى وانى لأوجل * على أينا تعدو المنية أوّل
وانى أخوك الدائم العهد لم أحل * أبارك خصم أو نبا بك منزل
أحارب من حاربت من ذى عداوة * وأحبس مالى ان غرمت فاعقل
وان سؤتنى يوما صفحت الى غد * ليعقب يوما منك آخر مقبل
كأنك تشفى منك داء مساءتى * وسخطى وما فى ريثتى ما تعجل
وانى على أشياء منك تريبنى * قديما لذو صفح على ذاك مجمل
ستقطع فى الدنيا اذا ما قطعتنى * يمينك فانظر أى كف تبدل
وفى الناس ان رثت حبالك واصل * وفى الارض عن دار القلى متحوّل

وبعده البيتان وبعدهما

وأنشدنى لنفسه بديهة
لما نعى الناعى أبا عامر
أيقنت انى لست بالصابر
أودى فتى الظرف وترب الندى
وسيد الاوّل والآخر
(وبهذا الاسناد) قال الحميدى ذكر لى أبو بكر المروانى انه شاهد محبوبا الاديب الشاعر النحوى قال بديهة فى صفة ناعورة
وذات حنين ما تغيض جفونها
من اللجج الخضر الصوافى على شط
وتبكى فتحيى من دموع عيونها
لآلى رياض بالازاهر فى بسط
فمن أحمر قان وأصفر فاقع
وأزهر مبيض وأدكن مشمط
كأن طروف الماء من فوق متنها
لآلى جمان قد نظمن على قرط
(أنبأنى) ذو النسبتين الحافظ ابن دحية عن الاستاذ المفيد أبى بكر محمد بن خير بقراءته عليه عن الفقيه الحافظ أبى القاسم خلف الشنتريني عرف بابن الارش بقراءته

وكنت اذا ما صاحب رام ظنتي * وبدّل سوأ بالذى كنت أفعل
قلبت له ظهر المجن فلم أدم * على ذاك الاريثما أتحوّل
اذا انصرفت نفسى عن الشئ لم تكد * اليه بوجه آخر الدهر تقبل

وهذا البيت الاخير مثل قول حسان بن ثابت رضى الله عنه

اذا انصرفت نفسى عن الشئ مرّة * فلست عليه آخر الدهر مقبلا

وشفرة السيف حدّه والمزحل بالزاى المعجمة والحاء المهملة من زحل عن مكانه زحولا اذا تنحى وتباعد والمزحل مصدر بمعنى الزحول ومعناه أنه لا يبالى أن يركب من الامور ما يؤثر فيه تأثير السيف مخافة أن يدخل عليه ضيم أو يلحقه هضم أو احتقار متى لم يجد عن ركوبه مبعدا ولا معدلا (والشاهد فيهما) سرقة الشعر المذمومة وهى أن يؤخذ اللفظ كله من غير تغيير لفظة ويسمى نسخا وانتحالا (حكى) أن عبد الله بن الزبير دخل على معاوية فأنشده هذين البيتين فقال لقد شعرت بعدى يا أبا بكر ولم يفارق عبد الله المجلس حتى دخل معن بن أوس فأنشد القصيدة وفيها البيتان المذكوران فأقبل معاوية على عبد الله بن الزبير وقال له ألم تخبرنى أنهما لك فقال له اللفظ له والمعنى لى وبعد فهو أخى من الرضاعة وأنا أحق بشعره ومن السرقة المذمومة أن يبدّل بالكلمات كلها أو بعضها ما يرادفها كما يقال فى قول الحطيئة

دع المكارم لا ترحل لبغيتها * واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى
ذر المآثر لا تذهب لمطلبها * واجلس فانك أنت الآكل الكاسى

وكقول امرئ القيس وقوفا بها صحبى علىّ مطيهم * يقولون لا تهلك أسى وتجمل وقد أورده طرفة فى داليته الا أنه أقام تجلد مقام تجمل وكقول العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه

وما الناس بالناس الذين عهدتهم * ولا الدار بالدار التى كنت تعلم

فأورده الفرزدق فى شعره الا أنه أقام تعرف مقام تعلم وقريب من هذا أن يبدل بالالفاظ ما يضادّها فى المعنى مع رعاية النظم والترتيب كقول ابن أبى فنن

ذهب الزمان برهط حسان الاولى * كانت مناقبهم حديث الغابر
وبقيت فى خلف تحلّ ضيوفهم * فيهم بمنزلة اللئيم الغادر
سود الوجوه لئيمة أحسابهم * فطس الانوف من الطراز الآخر

فانه عكس قول حسان بن ثابت الانصارى

بيض الوجوه كريمة أحسابهم * شمّ الانوف من الطراز الاوّل

وهى من أبيات يمدح بها أولاد جفنة وهم ملوك الشام

أولاد جفنة حول قبر أبيهمو * مثل النجوم تجاه بدرأ كمل
يغشون حتى ما تهرّ كلابهم * لا يسألون عن السواد المقبل
يسقون من ورد البريض عليهمو * بردا يصفق بالرحيق السلسل

وأخذ قوله وبقيت فى خلف من قول لبيد

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم * وبقيت فى خلف كجلد الاجرب

وعلى ذكره فما أحسن قول السراج الورّاق

زعموا لبيدا قال فى عصر له * وبقيت فى خلف كجلد الاجرب
وأراه أعدى خلفه من خلفه * جربا وأعيا الداء كل مجرّب
وتضاعف الجرب الذى عدواه لا * تنفك عن ماض ولا متعقب
وتفاقم الداء العضال لخلفنا * بلغ الجذام وعصرنا عصر وبى

وليت شعرى ماذا يقول الناظم أو الناثر فى عصرنا هذا والخلف الذى فيه فلا حول ولا قوّة الا بالله وما أحلى

على أبى الحسن على بن بسام قال أمر الحاجب المنذر بن يحيى التجيبى صاحب سرقسطة بعرض الجند فى بعض الايام وأميرهم مملوك لهم رومىّ يقال له خيار فى نهاية الجمال فجعل ينفخ فى القرن ليجتمع أصحابه على عادتهم فى ذلك فقال ابن هند الدانى فيه ارتجالا

أعن بابل أجفان عينيك تنفث
ومن قوم موسى أنت للعهد تنكث
أفى الحق أن تحكى سرافيل نافخا
وأمكث فى رمس الصدود وألبث
عساك خيار الناس تأتى بآية
فتنفخ فى ميت الغرام فيبعث

(قال) وكان بقرطبة غلام وسيم فمرّ عليه ابن فرج الجيانى ومعه صاحب له فقال صاحبه انه لصبيح لولا صفرة فيه فقال ابن فرج ارتجالا

قالوا به صفرة عابت محاسنه
فقلت ماذاك من عيب به نزلا
عيناه تطلب فى آثار من قتلت
فلست تلقاه الا خائفا وجلا

قول بدر الدين يوسف مهمندار العرب

كنا اذا جئنا الى قبلكم * أنصف فى الترحيب بعد القيام
والآن صرنا حين نأتيكم * نقنع منكم بلطيف الكلام
لا غير الله بكم خشية * من أن يحيى من لا يرد السلام

وسرقة الشعر مذمومة حتى قال فيها الحريرى فى احدى مقاماته واستراق الشعر عند الشعراء أفظع من سرقة البيضاء والصفراء وغيرتهم على بنات الافكار كغيرتهم على البنات الابكار وأول من ذم ذلك طرفة بقوله

ولا أغير على الاشعار أسرقها * عنها غنيت وشر الناس من سرقا

وأبو تمام الطائى ضج من سرقة محمد بن يزيد الاموى شعره فقال

من بنو بحدل من ابن الحباب * من بنو تغلب حداة الكلاب
من طفيل وعامر ومن الحا * رث أو من عتيبة بن شهاب
انما الضيغم المصور أبو الاشبال جبار كل خيس وغاب
من عدت خيله على سرح شعرى * وهو للحين راتع فى كتابى
غارة أسخنت عيون المعانى * واستباحت محارم الآداب
لو ترى منطقى أسيرا لأصبحت أسيرا لعبرة وانتحاب
يا عذارى الاشعار صرتن من بعدى سبايا تبعن فى الاعراب
طال رغيى اليك يا رب يا رب ورهبى لديك فاحفظ ثيابى

وكان البحترى قال قصيدة فى أبى العباس بن بسطام أولها

من قائل للزمان ما أربه * فى خلق منه قد جلى عجبه

فعارضه فيها أبو أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بقصيدة يمدح بها الموفق أولها

أجد هذا المقام أم لعبه * أم صدق ما قيل فيه أم كذبه

فاستعار من ألفاظها ومعانيها ما أوجب أن قال البحترى فيه

ما الدهر مستنفد ولا عجبه * تسومنا الخسف كله نوبه
مال الرضا مادح وممتدح * فقل لهذا الامير ما غضبه
أجلى لصوص البلاد يطردهم * وظل لص القريض ينتهبه
أردد علينا الذى استعرت وقل * قولك يعرف لغالب غلبه

وقد ذم ابن الرومى البحترى بالسرقة فقال

قبحا لأشياء يأتى البحترى بها * من شعره الغث بعد الكد والتعب
كأنها حين يصغى السامعون لها * ممن يميز بين النبع والغرب
رقى العقارب أو هذر البنات اذا * أضحوا على شعب الجدران فى صخب
سمين ما انتحلوه من هنا وهنا * والغث منه صريح غير مؤتشب
يسىء عفافان أكدت مسائله * أجاد لصا شديد البأس والكلب
حتى يغير على الموتى فيسلبهم * حر الكلام بجيش غير ذى لجب
ما ان تزال تراه لابسا حللا * أسلاب قوم مضوا فى سالف الحقب
شعر يغير عليه باسلا بطلا * فينشد الناس اياه على رقب
حتى اذا كف عن غاراته فله * شعر يش مقاسيه من الوصب
شعر كنافض حمى الخيبرى له * برد وكرب فمن يرويه فى كرب

(قال) وكان يوما فى مجلس أنس فاحتاج رب المنزل الى دينار فوجه من يأتيه به من السوق فدخل به غلام من الصيارف فى نهاية الجمال فرمى بالدينار اليهم من فيه مما جنا فقال ابن فرج بديها

أبصرت دينارا بكف مهفهف * يزهو به من كثرة الاعجاب
أومى به من فيه ثم رمى به * فكأنه بدر رمى بشهاب

(وذكر) الفرج بن ابراهيم الكاتب فى سريرة الالباب وذخيرة الكتاب قال دخلت يوما ديوان الانشاء بمصر ومتوليه ولى الدولة بن خيران فلم أجده فى الديوان الا أنى وجدت الكتاب على رسومهم والناس على جارى عاداتهم واذا سراويله ملقى على طراحة فجلست أنتظره فلم أشعر الا وقد فتح خزانة وخرج وقدامه خادم صقلبى كأن الشمس على صفحته والغصن فى قامته منكسر الاجفان مطرقها مورد الوجنة عرقها وحين وصل الى الطراحة لبس السراويل وارتجل

قل للعلاء بن عيسى والذى نصلت * به الدواهى نصول الآل فى رجب
أيسرق البحترى الناس شعرهم * جهرا وأنت نكال اللص ذى الريب
وتارة يبرز الارواح منطقه * والخلق ما بين مقتول ومغتصب
نكله ان أناسا قبله ركبوا * بدون ما قد أتاه باسق الخشب
اذا أجاد فأوجب قطع مقوله * فقدرمى شعراء الناس بالحرب
وان أساء فأوجب قتله قودا * بمن أمات اذا أنق على السلب

ولا يخفى على ذى لب ما فى هذه الابيات من التشنيع على البحترى والانتقاص من حقه وفيه يقول ابن الحاجب أيضا

والفتى البحترى سارق ماقا * ل ابن أوس فى المدح والتشبيب
كل بيت له يجود معنا * ه فمعناه لابن أوس حبيب

وللسرى الرفاء من قصيدة خاطب فيها أبا الخطاب المفضل بن ثابت الضبى وقد سمع أن الشاعرين الخالديين يريدان الرجوع الى بغداد وذلك فى أيام الوزير المهلبى

بكرت عليك مغيرة الاعراب * فاحفظ ثيابك يا أبا الخطاب
وردا العراق ربيعة بن مكدم * وعتيبة بن الحارث بن شهاب
أوعندنا شك بأنهما هما * فى الفتك لا فى صحة الانساب
جلبا اليك الشعر من أوطانه * جلب التجار طرائف الاجلاب
فبدائع الشعراء فيما جهزا * مقرونة بغرائب الكتاب
شنا على الآداب أقبح غارة * جرحت قلوب محاسن الآداب
فحذار من حركات صلى قفرة * وحذار من وثبات ليثى غاب
لا يسلبان أخا الثراء وانما * يتناهبان نتائج الالباب
ان عزموجود الكلام عليهما * فأنا الذى وقف الكلام ببابى
أو يهبطا من ذلة فأنا الذى * ضربت على الشرف المطل قبابى
كم حاولا أمدى فطال عليهما * أن يدركا الامشار ترابى
عجزا ولن تقف العبيد اذا جرت * يوم الرهان مواقف الارباب
ولقد حميت الشعر وهو لمعشر * رمم سوى الاسماء والالقاب
وضربت عنه المدعين وانما * عن حوزة الآداب كان ضرابى
فغدت نبيط الخالدية تدعى * شعرى وترفل فى حبير ثيابى
قوم اذا قصدوا الملوك لمطلب * نقصت عمائمهم على الابواب
من كل كهل تستطير سباله * لونين بين أنامل البواب
مغض على ذل الحجاب برده * دأبى الحسين تحهم الحجاب
ومموهين تعرضا لحرائتى * فتعرضت لهما صدور حرابى
نظرا الى شعرى يروق فترنما * منه حدود كواعب أتراب
شربا ماء عترقاله بعذوبة * ولرب عذب عادسوط عذاب
فى غارة لم تنتثلم فيها الظبا * ضربا ولم تند القنا بخضاب
تركت غرائب منطقى فى غربة * مسبية لا تهتدى لاياب
جرحى وما ضربت بحد مهند * أسرى وما حملت على الاقتاب
لفظ صقلت متونه فكأنه * فى مشرقات النظم در سحاب
وكأنما أجريت فى صفحاته * حر اللجين وخالص الرياب

أنا ممن لا يرى للنـ * ـفس الا بالصلاح
لا تداوى علة الـ * انعاظ الا بالنكاح

فعلم الحاضرون أنه كان يفسق به فأطبقوا عند الخروج على لعنه (وذكر) فى هذا الكتاب قال دخلت على الوزير أبى القاسم الحسين بن على بن الحسين بن المغربى أيام وزارته لشرف الدولة أبى على الديلمى وبيدى جزء من شعر شداد بن ابراهيم الجزرى المعروف بالطاهر فسألنى عنه فأخبرته فاستنشدنى فأنشدته

يا منكرا شغفى به * ومكذبا طول اشتياقى
فى أى أحوالى تشكـ * ـك فهن أحوال السياق
أمدامعى أم ضر جسـ * ـمى أم ضناى أم احتراقى
كل اذا أنصفتنى * حجج عليك بما ألاقى

أغربت في تحبيره فروائه * في نزهة منه وفي استغراب
وقطعت فيه شبيبة لم تشتغل * عن حسنه بصبا ولا بتصابي
واذا ترقرق في الصحيفة ماءه * عبق النسيم فذاك ماء شبابي
يصغي اللبيب له فيقسم لبه * بين التعجب منه والاعجاب
جد يطير شراره وفكاهة * تستعطف الاحباب للاحباب
أعزز علي بأن أرى أشلاءه * تدمى بظفر للعدو وناب
أفن رماه بغارة مأفونة * باعت ظباء الروم في الاعراب
اني أحذر من يقول قصيدة * غراء خد في غارة ونهاب
اني نبذت على السواء اليكما * فتأهبا للقادح المنتاب
واذا نبذت الى امرئ ميثاقه * فليستعذ لسطوتي وعقابي

وهي طويلة متناسبة في الحسن والعذوبة وله من قصيدة يمدح بها أبا البركات لطف الله بن ناصر الدولة ويتظلم اليه من الخالديين وقد ادعيا شعره ومدحا به المهلبي وغيره

يا أكرم الناس الا أن يعد أبا * فات الكرام بآباء وآثار
أشكو اليك حليفي غارة شهرا * سيف الشقاق على انتاج أفكاري
ذئبين لو ظفرا بالشعر في حرم * لمزقاه بأنياب وأظفار
سلا عليه سيوف البغي مصلتة * في جحفل من شنيع الظلم جرار
وأرخصاه فقل في العطر يمتهنا * لديهما يشترى من غير عطار
لطائم المسك والكافور فائحة * منه ومنتخب الهندي والغار
وكل مسفرة الالفاظ تحسبها * صحيفة بين اشراق واسفار
أرقت ماء شبابي في محاسنها * حتى ترقرق فيها ماؤها الجاري
كأنها نفس الريحان تمزجه * صبا الاصائل من أنفاس نوار
ان قلد الشبه بدر فهو من لججي * أو ختمتك بياقوت فأحجاري
ما عرائس شعري بالعراق فلا * تبعد سباياه من عون وأبكار
مجهولة القدر مظلوما عقائلها * مقسومة بين جهال وأغمار
ما كان ضرهما والدر ذو خطر * لو حلياه ملوكا ذات أخطار
ومارأى الناس سبيا مثل سبيهما * بيعت نفيسته ظلما بدينار
والله ما مدحا حيا ولا رثيا * ميتا ولا افتخرا الا بأشعاري
هذا وعندي من لفظ أشعشعه * سلافة ذات أضواء وأنوار
كريمة ليس من كرم ولا ثمر * عروسها بخمار عند خمار
تنشا خلال شغاف القلب ان نشأت * ذات الحباب خلال الطين والقار
لم يبق لي من قريض كان لي وزرا * على الشدائد الا ثقل أوزاري
أراه قد هتكت أستار حرمته * وساتر الشعر مستور بأستار
كأنه جنة راحت حدائقها * من الغيبين في نار واعصار
عار من النسب الوضاح منتسب * في الخالديين بين العز والعار

وله من قصيدة في أبي اسحق الصابي وقد ورد عليه كتاب الخالديين بأنهما منحدران الى بغداد في سرعة

قد أظلتك يا أبا اسحاق * غارة اللفظ والمعاني الرقاق
فاتخذ معقلا لشعرك يحميه * مروق الخوارج المراق

فاستحسن القطعة وصنع في الحال

الله يعلم أنني
ألتذ فيكم باشتياقي
وأكاد من أنس التذكر لا أذم يد الفراق
وأغض طرفي بعدما
ملأته غزلان العراق
وأفر من خجل العتا
ب الى مغالطة العناق

(وأخبرني) ابن المقدسي قال أخبرني الشيخ الامام الحافظ السلفي قال سمعت أبا الحسين المبارك ابن عبد الجبار بن أحمد الصيرفي يقول سمعت القاضي أبا الطيب طاهر ابن عبد الله بن طاهر الطبري يقول كتبت الى أبي العلاء المعري حين وافى بغداد

وماذات در لا يحل لحالب
تناوله واللحم منها محلل
لمن شاء في الحالين حيا وميتا
ومن شاء شرب الدر فهو مضلل

قبل رقراقة الحديد تريق السم فى صفو مائه الرقراق

كان شن الغارات فى البلد القفـ * ـر فأضحى على سرير العراق

غارة لم تكن بسمر العوالى * حين شنت ولا السيوف الرقاق

جال فرسانها على جاوسا * لا أقلتهم ظهور العتاق

فجعت أنفس الملوك أبا الهيـ * ـجاء وحربا بأنفس الاعلاق

بقواف مثل الرياض تمشت * بين أنوارها جعاد السواقى

بدع كالسيوف أرهفن حسنا * وسقاهن رونق الطبع ساقى

مشرقات تريك لفظا ومعنى * حمرة الحلى فى بياض التراقى

بالهاغارة تفرق فى الجو * مة بين الحمام والاطواق

تسم الفارس المقدم بالعا * ر وبعض الاقدام عار باقى

لو رأيت القريض يرعدمنها * بين ذاك الارعاد والابراق

وقلوب الكلام تخفق رعبا * عن تشى لوائها الخفاق

وسيوف الضلال تفتك فيها * بعذارى الطروس والاوراق

والوجوه الرقاق دامية الابـ * ـشار فى معرك الوجوه الصفاق

لتنفست رحمة للخدود السـ * ـمر منهن والقدود الرشاق

والرياض التى ألح عليها * كاذب الودق صادق الاحراق

والنجوم التى تطل نجوم الارض حسادها على الاشراق

بعدما لحن فى سماء المعالى * طلعا وانتثرن فى الآفاق

وتخيرت حليهن فلم يعـ * ـد خيار النحور والاعناق

وقطعت الشباب فيه الى أن * هم برد الشباب بالاخلاق

فهو مثل المدام بين صفاء * وبهاء ونفحة ومذاق

منطق يخجل الربيع اذا حل * عليه السحاب عقد نطاق

يا هلال الآداب يا ابن هلال * صرف الله عنك صرف المحاق

سوف أهدى اليك من خدم المجـ * ـد اماء تعاف قبح الاباق

كل مطبوعة على اسمك باد * وسمها فى الجباه والآماق

وما اشتملت عليه هذه القصيدة وما قبلها من الرقة والانسجام وحسن الاسلوب وجودة السبك بعهد العفر فى الاطالة بهما مع ما فيهما من التزيد من السرى وكثرة التشنيع على الخالدين وسلبهما من التحلى بالآداب اذ مقامهما فيه مشهور ومحلهما منه على الالسنة مشكور ومذكور وناهيك بأبى اسحق الصابى نقد اللادب وقد قال فيهما ما دحا

أرى الشاعرين الخالديين سيرا * قصائد يفنى الدهر وهى تخلد

جواهر من أبكار لفظ وعونه * يقصر عنها راجز ومقصد

تنازع قوم فيهما وتناقضوا * ومر جدال بينهم يتردد

فطائفة قالت سعيد مقدم * وطائفة قالت لهم بل محمد

وصاروا الى حكمى فأصلحت بينهم * وما قلت الا بالتى هى أرشد

هما فى اجتماع الفضل زوج مؤلف * ومعناهما من حيث يثبت مفرد

كذا فرقد الظلماء لما تشاكلا * علا أشكلا هل ذاك أم ذاك أمجد

فزوجهما ما مثله فى اتفاقه * وفردهما بين الكواكب أوحد

اذا بلغت فى السن فاللحم طيب
وآكله عند الجميع معقل
وخوفانها فى الاكل فيها كراهة
فما لضعيف الرأى فيهن مأكل
وما يجتنى معناه الا مبرز
عليم بأسرار القلوب محصل
فأجابنى وأملى على الرسول فى الحال ارتجالا
جوابان عن هذا السؤال كلاهما
صواب وبعض القائلين مضلل
فمن ظنه كرما فليس بكاذب
ومن ظنه نخلا فليس بجهل
لحومهما الاعناب والرطب الذى
هو الحل والدر الرحيق المسلسل

فقاموا على صلح وقالوا جميعهم * رضينا وساوى فرقد الارض فرقد

وما أحسن وأعدل هذه الحكومة من أبي اسحق فما منهما الا محسن ينظم في سلك الابداع مافاق وراق ويكاثر ببدائعه ومحاسنه الافراد من الشام والعراق وقد مرّ في أثناء هذا المؤلف من بديع عجائبهما ورفيع صنائعهما ما يحق له أن يكتب بالنضار واللجين على آماق العين (ومعن) هو ابن أوس بن نصر ابن زيادة بن أسحم ينتهي نسبه الى مزينة وهي امرأة وأبوها كلب بن وبرة وأبو بني مزينة عمرو بن أدبن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار وهو شاعر مجيد فحل من مخضرمي الجاهلية والاسلام وله مدائح في جميع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم ووفد على عمر بن الخطاب رضي الله عنه مستعينا به على بعض أمره وخاطبه بقصيدته التي أولها

تأوّبه طيف بذات الجرائم * فنام رفيقاه وليس بنائم

وعمر بعد ذلك الى أيام الفتنة بين عبد الله بن الزبير وبين مروان بن الحكم (وحدّث) محمد بن الخزاعي قال كان معاوية يفضل مزينة في الشعر ويقول كان أشعر الجاهلية منهم وهو زهير وكان أشعر أهل الاسلام منهم وهو ابنه كعب ومعن بن أوس (وحدّث) العتبي قال كان معن بن أوس مئناثا وكان يحسن صحبة بناته وتربيتهن فولد لبعض عشيرته بنت فكرهها وأظهر جزعا من ذلك فقال معن

رأيت رجالا يكرهون بناتهم * وفيهن لا تكذب نساء صوالح

وفيهن والايام تعثر بالفتى * نوادب لا يمللنه ونوائح

(وحدّث) سعيد بن عمرو الزبيدي قال كانت لمعن بن أوس امرأة يقال لها ثور وكان لها محبا وكانت حضرية نشأت في الشأم وكانت في معن أعرابية ولوثة فكانت تضحك من عجرفته فسافر الى الشأم في بعض أعوامه فضلت الرفقة عن الطريق وعدلوا عن الماء فطووا منزلهم وساروا يومهم وليلتهم فسقط فرس معن في وجار ضب سقطت يده فيه فلم يستطع الفرس أن يقوم من شدّة العطش حتى حمله الرفقة حملا فأنهضوه وحمل معن يقوده ويقول

لو شهدتني وجوادي ثور * والرأس فيه ميل ومور * لضحكت حتى يميل الكور

(وحدّث) العتبي قال قدم معن بن أوس مكة على ابن الزبير فأنزله دار الضيفان وكان ينزلها الغرباء وأبناء السبيل والضيفان فأقام يومه لم يطعم شيأ حتى اذا كان الليل جاءهم ابن الزبير بتيس هرم هزيل فقال كلوا من هذا وهم نيف وسبعون رجلا فغضب معن وخرج من عنده فأتى عبد الله بن عباس فقراه وحمله وكساه ثم أتى عبد الله بن جعفر وحدّثه حديثه فأعطاه حتى أرضاه وأقام عنده ثلاثة أيام ثم رحل وقال يهجو عبد الله ابن الزبير ويمدح عبد الله بن جعفر وابن عباس رضي الله عنهم

ظللنا بمستن الرياح غدية * الى أن تعالى اليوم في شرّ محضر

لدى ابن الزبير حابسين بمنزل * من الخير والمعروف والرفد مقفر

رمانا أبو بكر وقد طال يومنا * بتيس من الشاء الحجازي أعفر

وقال اطعموا منه ونحن ثلاثة * وسبعون انسانا فيا لؤم مخبر

فقلت له لا تقربن فأمامنا * جفان ابن عباس العلا وابن جعفر

وكن آمنا وارفق بتيسك انه * له أعنز ينزو عليها وأيسر

(وحدّث) محمد بن معاوية الاسدي قال قدم معن بن أوس المزني البصرة فقعد ينشد في المربد فوقف عليه الفرزدق فقال يا معن من الذي يقول

لعمرك ما مزينة رهط معن * بأحفاف يطأن ولا سنام

فقال معن أتعرف يا فرزدق الذي يقول

لعمرك ما تميم أهل فلج * بأرداف الملوك ولا كرام

ولكن ثمار النخل وهي غضيضة
تعاف وغصن الكرم يجنى ويؤكل
يكلفنا القاضي الجليل مسائلا
هي النجم قدرا بل أعز وأطول
ولو لم أجب عنها لكنت بجهلها
جديرا ولكن من يجيبك يقبل
فأجبته ثانيا بقولي
أثار ضميري من يعز نظيره
من الناس طرا بل أعز وأفضل
تساوى له سرّ المعاني وجهرها
وسائرها بادلديه مفصل
ومن قامه كل العلوم بأسرها
وخاطره في حدّة النار يشعل
ولما أثار الحب قاد صنيعه
أسيرا بأنواع البيان يكبل

فقال له الفرزدق حسبك فانما جربت قال جربت وأنت أعلم فانصرف وتركه (وحدث) الاصمعي قال دخلت قصر اروح بن حاتم المهلبي فاذا أنا برجل من ولده على فاحشة يؤتى فقلت قبحك الله هذا موضع كان أبوك يضرب فيه الاعناق ويعطي اللهاو أنت تفعل فيه ما أرى فالتفت الي من غير أن يزول عنها وقال

ورثنا المجد من آباء صدق * أسأنا في ديارهم والصنيعا

اذا الحسب الرفيع تواكلته * بناة السوء أوشك أن يضيعا

قال والشعر لمعن بن أوس المزني (وحدث) الحرمازي قال سافر معن بن أوس الى الشام وخلف ابنته ليلى في جوار عمر بن أبي سلمة وأمه أم سلمة رضي الله عنهما وفي جوار عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فقال له بعض عشيرته من خلفت على ابنتك ليلى بالحجاز وهي صبية ليس لها من يكفلها فقال معن له

لعمرك ما ليلى بدار مضيعة * وما شيخها ان غاب عنها بخائف

وان لها جارين لن يغدرا بها * ربيب النبي وابن خير الخلائف

(وحدث) عبد الملك بن هشام قال قال عبد الملك بن مروان يوما وعنده عدة من أهل بيته وولده ليقل كل واحد منكم أحسن شعر سمع به فذكروا لامرئ القيس والاعشى وطرفة فأكثروا حتى أتوا على محاسن ما قالوا فقال عبد الملك أشعرهم والله الذي يقول

وذي رحم قلمت أظفار ضغنه * بحلمي عنه وهو ليس له حلم

اذا سمته وصل القرابة سامني * قطيعتها تلك السفاهة والظلم

فأسعى لكي أبني ويهدم صالحي * وليس الذي يبني كمن شأنه الهدم

يحاول رغمي لا يحاول غيره * وكالموت عندي أن ينال له رغم

فما زلت في لين له وتعطف * عليه كما تحنو على الولد الام

لاستل منه الضغن حتى سللته * وان كان ذا ضغن يضيق به الحلم

قالوا ومن قائلها يا أمير المؤمنين قال معن بن أوس المزني (وحدث) سليمان بن عياش السعدي عن أبيه قال خرج معن بن أوس المزني الى البصرة ليمتار منها ويبيع ابلا له فلما قدمها نزل بقوم من عشيرته فتولت ضيافته امرأة منهم يقال لها ليلى وكانت ذات جمال ويسار فخطبها فأجابته فتزوجها وأقام عندها حولا في أنعم عيش فقال لها بعد حول يا ابنة عم اني قد تركت ضيعة لي ضائعة فلو أذنت لي فأتيت أهلي ورأيت مالي فقالت كم تقيم قال سنة فأذنت له فأتى أهله فأقام عندهم وأزمن عنها أي طال مقامه فلما أبطأ عليها رحلت الى المدينة فسألت عنه فقيل لها انه بعمق وهو ماء لمزينة فخرجت حتى اذا كانت قريبا من عمق نزلت منزلا وأقبل معن في طلب ذود له قد أضلها وعليه مدرعة من صوف وبت من صوف أخضر قال والبت الطيلسان وعمامة غليظة فلما رفع له القوم مال اليهم ليستسق ومع ليلى ابن عم لها ومولى من مواليها جالس أمام خباء له فقال له معن هل من ماء قال نعم وان شئت سويقا وان شئت لبنا فأناخ معن وصاح مولى ليلى يا منهلة وكانت منهلة وصيفة تقوم على معن عندهم بالبصرة فلما أتته بالقدح وعرفها وحسر عن وجهه ليشرب عرفته وأثبتته فتركت القدح في يده وأقبلت مسرعة الى مولاتها فقالت يا مولاتي هذا والله معن الا أنه في جبة صوف وبت صوف فقالت هو والله عيشهم الحق مولاي فقولي له هذا معن فاحبسه فخرجت الوصيفة مسرعة فأخبرت المولى فوضع معن القدح من يده وقال دعني حتى ألقاها في غير هذا الزي فقال له لست بارحا حتى تدخل عليها فلما رآته قالت أهذا العيش الذي نزعت اليه يا معن قال اي والله يا ابنة عم أما انك لو أقمت الى أيام الربيع حتى ينبت البلد الخزامى والرخامى والصفير والكمأة لأصبت عيشا طيبا فغسلت رأسه وجسده وألبسته ثيابا لينة وطيبته وأقام معها ليلته أجمع يحدثها ثم غدا متقدما الى عمق حتى أعد لها طعاما ونحر ناقة وغدا وقدمت على الحي فلم يبق فيهم امرأة الا أتتها وسلمت عليها فلم تدع منهن امرأة الا وصلتها وكانت لمعن امرأة بعمق يقال لها أم حقة فقالت لمعن هذه والله خير لك

وقرّ به من كل فهم بكشفه
وايضاحه حتى رآه المغفل
وأعجب منه نظمه الدر مسرعا
ومن تجلا من غير ما يتمهل
فيخرج من بحر ويسمو مكانه
جلالا الى حيث الكواكب تنزل
فهنأه الله الكريم بفضله
محاسنه والعمر منها مطوّل
فأجابني من تجلا وأملاه في الحال
ألا أيها القاضي الذي بدهائه
سيوف على أهل الضلال تسلل
فؤادك معمور من العلم آهل
وجدك في كل المسائل مقبل
فان كنت بين الناس غير مموّل
فأنت من الفهم المصون مموّل

مني فطلقني وكانت قد حملت فدخله من ذلك هم وقام ثم ان ليلى رحلت الى مكة المشرفة حاجة ومعن معها فلما فرغا من حجهما انصرفا فلما حاذيا منعرج الطريق قال معن يا ليلى كأن فؤادي يعرج الى ما ههنا فلو أقمت سنتنا هذه حتى نحج من قابل ثم نرحل الى البصرة فقالت ما أنا ببارحة مكاني حتى ترحل معي الى البصرة أو تطلقني فقال أما اذ ذكرت الطلاق فأنت طالق فمضت الى البصرة ومضى الى عمق فلما فارقته ندم على ذلك وتبعتها نفسه فقال في ذلك

توهمت ربعا بالمعبر واضحا * أبت قرتاه اليوم الا أن تلوحا
أربت عليه رادة حضرمية * ومرتجز قد كان فيه المصالحا
اذا هي حلت كربلاء فلعلعا * فجوز العذيب دونها فالنوائحا
وبانت نواها من نوالك وطاوعت * مع الشانئين الشامتات الكواشحا
فقولا لليلى هل تعوض نادما * له رجعة قال الطلاق ممازحا
فان هي قالت لا فقولا لها بلى * ألا تتقين الجاريات الذوابحا

وهي طويلة ولما انصرف وليست ليلى معه قالت له امرأته أم حقة ما فعلت ليلى قال طلقتها قالت والله لو كان فيك خير ما فعلت ذلك فطلقني أنا أيضا فقال لها معن

أعاذل أقصري ودعي بتاتي * فانك ذات لومات حمات
وان الصبح منتظر قريب * وانك بالملامة لن تفاتي
نأت ليلى فليلى لن تؤاتي * وضنت بالمودة والثبات
وحلت دارها سفوان بعدي * فذا قار فجرف الفرات
تراعى الريف دائبة عليها * ظلال الطلح مختلط النبات
فدعها أو تناولها بعنس * من العيدي في قلص شخات

وقال أيضا في مطالبة أم حقة له بالطلاق

كأن لم يكن يا أم حقة قبل ذا * ببطنان مصطاف لنا ومرابع
واذ نحن في عصر الشباب وقد عفا * بنا الآن الآن يعوض جازع
فقد أنكرته أم حقة حادثا * وأنكرها ما شئت والود خادع
ولو آذنتنا أم حقة اذ بنا * شباب واذ لما تروع الروائع
لقلنا لها بيني بليل حميدة * كذاك بلا ذم تؤدى الودائع

(ومر) عبد الله بن عباس بمعن بن أوس وقد كف بصره فقال له يا معن كيف حالك فقال له ضعف بصري وكثر عيالي وغلبني الدين قال وكم دينك قال عشرة آلاف درهم فبعث بها اليه ثم مر به من الغد فقال له كيف أصبحت يا معن فقال

أخذت بعين المال حتى نهكته * وبالدين حتى ما أكاد أدان
وحتى سألت القرض عند ذوي الغنى * ورد فلان حاجتي وفلان

فقال له عبد الله المستعان الله انا بعناك بالامس لقمة فما لكتها حتى انتزعت من يدك قال فأي شئ للاهل والقرابة والجيران فبعث اليه بعشرة آلاف درهم أخرى فقال معن يمدحه

وانك فرع من قريش وانما * تمج الندى منها البحور الفوارع
ثووا قادة للناس بطحاء مكة * لهم وسقايات الحجيج الدوافع
فلما دعوا للموت لم تبك منهم * على حادث الدهر العيون الدوامع

ومن شعره أيضا قوله

ربما خير الفتى * وهو للخير كاره

اذا أنت خاصمت الخصوم مجادلا
فأنت وهم مثل الحمائم أجدل
كأنك علم الشافعي مخاطبا
ومن قلمه تملى فما تتمهل
وكيف يرى علم ابن ادريس دارسا
وأنت بايضاح الهدى متكفل
تفضلت حتى ضاق ذرعي تكرما
فقلت وكفي عن جوابك أجل
لانك في كنه الثريا فصاحة
وأعلى ومن يبغي مكانك أسفل
فعذري في أني أجبتك واثقا
بفضلك فالانسان يسهو ويذهل
وأخطأت في انفاذ رقعتك التي
هي المجد لي منها أخير وأول
ولكن عداني أن أروم احتفاظها
رسولك وهو الفاضل المتفضل
ومن حقها أن يصبح المسك غامرا
لها وهي في أعلى المنازل تجعل

(من راقب الناس لم يظفر بحاجته * وفاز بالطيبات الفاتك اللهج)

(من راقب الناس مات غما * وفاز باللذة الجسور)

البيت الاول لبشار بن برد من أبيات من البسيط منها

لو كنت تلقين ما نلقى قسمت لنا * يوما نعيش به فيكم ونبتهج

لا خير في العيش ان دمنا كذا أبدا * لا نلتقي وسبيل الملتقى نهج

قالوا حرام تلاقينا فقلت لهم * ما في التلاقي ولا في غيره حرج

وبعده البيت وبعده أشكو الى الله هما لا يفارقني * وشرعا في فؤادي الدهر تعتلج

والفاتك اللهج الجريء الشجاع الذي له ولوع بالقتل والبيت الثاني لسلم الخاسر من أبيات من مخلع البسيط أولها بان شبابي فما يحور * وطال من ليلي القصير * أهدى لي الشوق وهو خلو .

أغن في طرفه فتور * وقائل حين شب وجدي * واشتعل المضمر الستير

لو شئت أسلاك عن هواه * قلب لأشجانه ذكور * فقلت لا تعجلن بسلوى

فانما ينبي الخبير * عذبني والهوى صغير * فكيف بي والهوى كبير

وبعده البيت ووقفت في الدر الفريد على بيتين من مديحها وهما

كأنه والقنا دوان * يوم على ليلة مغير * يريك تحت العجاج وجها * يضل في نوره البصير

والجسور الشديد الجراءة (والشاهد فيهما) حسن أخذ الثاني من الاول ويسمى حسن الاتباع فان بيت سلم أجود سبكا وأخصر لفظا (حدث) أحمد بن صالح قال لما بلغ بيت سلم الخاسر بشارا غضب وأشط وحلف لا يدخل اليه ولا يفيده ولا ينفعه مادام حيا فاستشفع سلم اليه بكل صديق له وكل من يثقل عليه رده فكلموه فيه فقال أدخلوه فاستدناه ثم قال يا سلم من الذي يقول * من راقب الناس لم يظفر بحاجته * قال أنت يا أبا معاذ جعلني الله فداك قال فمن الذي يقول * من راقب الناس مات غما * قال تلميذك وخريجك وعبدك يا أبا معاذ فاجتذبه اليه وقنعه بمخصرة كانت في يده ثلاثا وهو يقول لا أعود يا أبا معاذ الى ما تنكره ولا آتي شيأ تذمه انما أنا عبدك وصنيعك وهو يقول له يا فاسق أتجيء الى معنى سهرت له عيني وتعب فيه فكري وسبقت الناس اليه فتسرقه ثم تختصر لفظا تقربه به لتزري علي وتذهب ببيتي وهو يحلف له أن لا يعود والجماعة يسألونه فبعد جهد ما شفعهم فيه وكف عن ضربه ثم رجع له ورضي عنه (وحدث) أبو معاذ النميري قال لما قال بشار بيته من راقب الناس الخ قيل له يا أبا معاذ قد قال سلم بيتا هو أحسن وأخف على الالسن من بيتك هذا قال وما هو فأنشد بيت سلم هذا فقال بشار ذهب والله بيتنا أما والله وددت أنه ينتمي في غير ولاء أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأني أغرم ألف دينار محبة مني لهتك عرضه وأعراض مواليه قال فقيل له ما أخرج هذا القول منك الا الغم قال أجل فوالله لا طعمت اليوم طعاما ولا صمت ومن حسن الاتباع قول ابن نباتة السعدي

خلقنا بأطراف القنا في ظهورهم * عيونا لها وقع السيوف حواجب

فانه أحسن اتباع قول بعضهم

خلقنا لهم في كل عين وحاجب * بسمر القنا والبيض عينا وحاجبا

فبيت ابن نباتة أبلغ لاختصاصه بزيادة معنى وهو الاشارة الى انهزامهم حيث أوقع الطعن والضرب على ظهورهم ومن الشواهد الحسنة على حسن الاتباع قول منصور النميري في زينب أخت الحجاج وأترابها وهو

وهن اللواتي ان برزن قتلنني * وان غبن قطعن الحشى حسرات

فأحسن اتباعه ابن الرومي بقوله

ويلاه ان نظرت وان هي أعرضت * وقع السهام ونزعهن أليم

وقول البحتري أخجلتني بندى يديك فسودت * ما بيننا تلك اليد البيضاء

فمن كان في أشعاره متمثلا
فأنت امرؤ في العلم والشعر أمثل

تجملت الدنيا بأنك فوقها
ومثلك حقا من به يتجمل

(وبالاسناد المتقدم) عن ابن بسام صاحب كتاب الذخيرة قال ذكر أبو عبد الله الصمار الصقلي قال كان بالقيروان غلام وضيء كان يختلف الى أبي علي حسن بن رشيق فكان يحذره من المخالطة فخرج يوما يتنزه مع جماعة فأشيع عنه ما ينكر وبلغ أبا علي فقال بديها

ياسوء ما جاءت به الحال
ان كان ما قالوا كما قالوا

ما أحذق الناس بصوغ الخنا
صيغ من الخاتم خلخال

وقد كان أبو الفضل محمد بن عبد الواحد الدارمي يهوى فتى ببغداد وينكر حبه والغلام يعرف شدة وجده به وكلفه فدمعت عينا أبي الفضل يوما فقال الغلام

صلة غدت فى الناس وهى قطيعة * عجب وبرّ راح وهو جفاء

فأحسن أبو العلاء المعرى اتباعه فقال

لو اختصرتم من الاحسان زرتكم * والعذب يهجر للافراط فى الخصر

لانه استوعب معنى البيتين فى صدر بيته وأخرج العجز مخرج المثل السائر مع الايجاز والايضاح وحسن البيان وقول عنترة العبسى

انى امرؤ من خير عبس منصبا * شطرى وأحمى سائرى بالمنصل

فأحسن اتباعه الفقيه منصور المصرى فى شرف نسبه وكان شرفه من جهة أبيه دون أمه فقال

من فاتنى بأبيه * ولم يفتنى بأمه ورام شتمى جهلا * سكت عن نصف شتمه

وحسن الاخذ فيهما ظاهر لا يخفى ولمؤلفه فى عكس هذا

من فاتنا بأمه * ولم يفتنا بأبه سكت عن جليه * وقولنا فى المشتبه

وفى معنى البيتين الاولين قول بعضهم

لقد نلت المفاخر من قريش * كما نلت الرذالة من غمار

فنصفك كامل لا عيب فيه * ونصفك كامل من كل عار

وقول ابن الرومى تخذتكم درعا حصينا لتدفعوا * نبال العدى عنى فكنتم نصالها

وقد كنت أرجو منكم خير ناصر * على حين خذلان اليمين شمالها

فان كنتم لا تحفظون مودّتى * ذماما فكونوا لا عليها ولا لها

قفوا وقفة المعذور عنى بمعزل * وخلوا نبالى للعدى ونبالها

فأحسن ابن سناء الملك اتباعه بقوله

أعددتكم لدفاع كل ملمة * عونا فكنتم عون كل ملمة

وتخذتكم لى جنة فكأنما * نظر العدوّ مقاتلى من جنتى

فلأنفضنّ يدىّ يأسا منكمو * نفض الأنامل من تراب الميت

وقال ابن الرومى سدّ السداد فى عماريكم * لكن فم الحال منى غير مسدود

فأحسن ابن أبى الاصبع اتباعه فقال

هبنى سكت أما لسان ضرورتى * أهجى لكل مقصر من منطقى

وقول سليك بن سلكه تبسم عن ألمى اللثات مفلج * خليق الثنايا بالعذوبة والبرد

وماذقته الا بعينى تفرسا * كما شيم ماء فى السحابة من بعد

وقال نصيب كأن على أنيابها الخمر شجها * بماء الندى فى آخر الليل غابق

وماذقته الا بعينى تفرسا * كما شيم فى أعلى السحابة بارق

وأحسن بشار اتباعهما بايجازه فقال

يا أطيب الناس ريقا غير مختبر * الا شهادة أطراف المساويك

وقد تلاعب الشعراء بهذا المعنى فمنه قول ابن الرومى

وما سرّ عيدان الاراك بريقها * تناولها فى أيكها تتهصر

لئن عدمت سقيا الثرى ان ريقها * لأعذب من هاتيك سقيا وأخصر

وماذقته الا ابتسامها * وكم مخبر يبديه للعين منظر

بدا لى وميض شاهد أنّ صوبه * عريض وما عندى سوى ذاك مخبر

وقول أحمد بن ابراهيم الكاتب

فتى ترشف سواك أراك * يبطل المسك نشر ذاك السواك

دمعك شاهد عليك فارتحل أبو الفضل

وهبنى قد أنكرت حبك جملة وهوّنت من نفسى العزيزة سخطها

فمن أين لى فى الحب جرح شهادة سقامى أملاها ودمعى خطها

(قال) وكان ليلة مع بعض أصحابه وبين أيديهم شمعة فأفضى حديثهم الى وصفها فأطرق بعضهم ليصنع فيها فبدره أبو الفضل فقال

ذهبنا فأذهبنا الهموم بشمعة غنينا بها عن طلعة الشمس والبدر

أقول وجسمى ذائب مثل جسمها ودمعتها تجرى كما دمعتى تجرى

كلانا العمرى ذوب نار من الهوى فنارك من هجرونارى من هجر

وأنت على ما قد تقاسين من أذى فصدرك فى نار ونارى فى صدرى

بأبي ثغرك النقيّ الذي نمت على طيبه فروع الأراك

وقول بعضهم
وثغر لها طيب واضح * لذيذ المقبل والمبتسم
وما ذقته غير ظني به * وبالظن يقضي على ما اكتتم

وقول المتوكل الليثي
كأن مدامة صهباء صرفا * تصفق بين ذا وو قودنّ
تعلّ بها ثنايا يا أم سلمى * فراسة مقلتي وصحيح ظني

وما أعذب قول الشهاب محمود من قصيدة
يا ظبية تخشى إذا نظرت * فتكات سود لحاظها الأسد
ان قلت ريقك خمرة شهدت * قضب الأراك بأنه شهد

وقول البهاء زهير
وتبسم عن ثغر يقولون انه * حباب على صهباء كالمسك تنفح
وقد شهد المسواك عندي بطيبه * ولم أر عدلا وهو سكران يطفح

وقول السموأل بن عاديا اليهودي
يقرّب حب الموت آجالنا لنا * وتكرهه آجالهم فتطول

وقول أبي الطيب
أفناهم الصبر إذ أبقاهم الجزع

وقول الاسود بن يعفر
يسعى بها ذو تؤمين كأنما * قنأت أنامله من الفرصاد

فأحسن أبو نواس اتباعه بزيادة من المحاسن فقال
تبكي فتذري الدرّ من نرجس * وتلطم الورد بعناب

وتقدّم ذكره في شواهد التشبيه وقال أبو تمام يصف قصائده
يراها عيانا من يراها بسمعه * ويدنو اليها ذو الحجى وهو شاسع
يودّ ودادا أن أعضاء جسمه * اذا أنشدت شوقا اليها مسامع

وقال الاخطل يصف بعض القيان
جاءت بوجه كأنه قمر * على قوام كأنه غصن
حتى اذا ما استوت بمجلسها * وصار في حجرها الهاون
غنت فلم يبق فيّ جارحة * الا تمنيت أنها أذن

والمرقص المطرب في هذا المعنى قول الشيخ شرف الدين بن الفارض
اذا ما بدت ليلى فكلي أعين * وان هي ناجتني فكلي مسامع

وقال مسلم بن الوليد تجري محبتها في قلب عاشقها * مجرى المعافاة في أعضاء منتكس

فأحسن أبو نواس اتباعه فقال
فتمشت في مفاصلهم * كتمشي البرء في السقم

وجميع ذلك مأخوذ من قول بعض ملوك اليمن
منع البقاء تقلب الشمس * وطلوعها من حيث لا تمسي
تجري على كبد السماء كما * يجري حمام الموت في النفس

وقد مرّ طرف من هذا المعنى في ترجمة أبي نواس في أوائل الفن الاول (وحدّث) أبو بكر بن هرون بن عبد الله المهلبي قال كنا في حلقة دعبل الشاعر فجرى ذكر أبي تمام فقال دعبل كان يتبع معانيّ فيأخذها فقال له رجل في مجلسه ما من ذاك أعزك الله فقال قلت
وان امرأ أسدى اليّ بشافع * اليه ويرجو الشكر مني لأحمق

فأخذه أبو تمام فقال
واذا امرؤ أسدى اليك صنيعة * من جاهه فكأنها من ماله

فقال الرجل أحسن والله فقال دعبل كذبت والله قبحك الله فقال الرجل ان كان سبقك بهذا المعنى وتبعته

(قال علي بن ظافر) وهذا مثل قول الاعمى التطيلي في شمعة
بأية ما تبكي وفي النار صدرها
وقد جدت عيناي والنار في صدري

(وبالاسناد المتقدّم) قال ابن بسام اصطبح المعتصم بن صمادح يوما مع ندمائه فابرز لهم وصيفة مهدوية متصرّفة في أنواع اللعب وحضر أيضا هناك لاعب مصريّ ساحر فكان لعبه حسنا فارتجل أبو عبد الله ابن الحداد قائلا
كذا فلتلح قرا زاهرا
وتجني الهوى ناضرا ناطرا
وان ليومك ذا رونقا
منيرا كنور الضحى باهرا
وسيبك سيب ندى مغدق
أقام لنا هاميا هامرا
صباح اصطباح باسفاره
لحظنا محيا العلا سافرا
وأطلعت فيه نجوم الكؤوس
فما زال كوكبها زاهرا

فما أحسنت وان كان أخذه منك لقد أجاد فصار أولى ببيتك في الحالتين فغضب دعبل وقام وقد أخذ ابن قلاقس هذا المعنى فقال

واذا امرؤ أسدى اليك بشافع * خير افذاك الخير خير الشافع

ولا يعرف للمتقدمين معنى شريف الا نازعهم اياه المتأخرون وطلبوا الشركة معهم فيه الا قول عنترة

وخلا الذباب بها فليس ببارح * غردا كفعل الشارب المترنم

هزجا يحك ذراعه بذراعه * قدح المكب على الزناد الاجذم

وقال الجاحظ نظرنا في الشعر القديم والحديث فوجدنا المعاني تقلب ويؤخذ بعضها من بعض غير قول عنترة في الاوائل وأنشد البيتين وغير قول أبي نواس في المحدثين

تدار علينا الراح في عسجدية * حبتها بأنواع التصاوير فارس

قرارتها كسرى وفي جنباتها * مها تدريها بالقسي الفوارس

فللراح مازرت عليه جيوبها * وللماء مادارت عليه القلانس

فانه أراد بالعسجدية كؤسا مذهبة فيها صور منقوشة وهي صورة كسرى وصور المها والفوارس ومعنى البيت الاخير منها أن حد الخمر من هذه الصور التي في الكؤس الى التراقي والصور وانها مزجت بالماء فانتهى المزاج فيها الى ما فوق رؤسها وقد يكون الحباب هو الذي انتهى الى ذلك الموضع لما مزجت فأزبدت والمعنى الاول أبدع وفائدته معرفة حدها صرفا من حدها ممزوجة وزعم بعضهم أن أبا نواس اهتدى اليه من قول امرئ القيس

فلما استطابوا صب في الصحن نصفه * ووافوا بماء غير طرق ولا كدر

جعل الماء والشراب قسمين فنسلق أبو نواس عليه وأخفاه بما شغل به الكلام من ذكر الصور وذكرت بأبيات أبي نواس هذه تضمين أبي الحسين الجزار لها في يوم نوروز وكتب به الى بعض أصحابه ناقلا المعنى من وصف الكأس المصورة الى وصف الصفاع يوم النوروز وناقلا الراح من اسم الخمر الى جمع راحة وهي اليد وهو

كتبت بها في يوم لهو وهامتي * تمارس من أبطاله ما تمارس

وعندي رجال للمجون ترجلت * عمائمهم عن هامهم والطيالس

فللراح ما زرت عليه جيوبها * وللماء مادارت عليه القلانس

مساحب من جر الزقاق على الصفا * وأضغاث أنطاع جنى ويابس

ومازال العلماء بالشعر وجهابذة المعاني يرون أن قول عنترة السابق أوحد فرد ويتيم فذ وأنه من المعاني العقم التي لا تولد على أن ابن الرومي قد تعلق بذيله في معنى البيت الاول وزاد عليه بقوله

اذا ارتفعت شمس الاصيل وبيضت * على الافق الغربي ورسا مذعذعا

وودعت الدنيا لتقضي نحبها * وسوّل باقي عمرها فتشعشعا

ولاحظت النوار وهي مريضة * وقد وضعت خدا الى الارض أضرعا

كما لاحظت عوّادها عين مدنف * توجع من أوصابها ما توجعا

وبين اغضاء الفراق عليهما * كأنهما خلا صفاء تودعا

وقد ضربت في خضرة الروض صفرة * من الشمس فاخضر اخضرارا مشعشعا

وظلت عيون الروض تخضل بالندى * كما اغرورقت عين الشجي لتدمعا

وأذكى نسيم الروض ريعان ظله * وغنى مغني الطير فيه فرجعا

وغرد ربعي الذباب خلاله * كما حثحث النشوان صنجا مشرعا

فكانت أرانين الذباب هناك كم * على شدوات الطير ضربا موقعا

وقال أبو محمد عبد المجيد بن عبدون

وأسمعتنا الاحنا فاتنا
وأحضرتنا الاعيا ساحرا
يرفرف فوق رؤس القناني
فننظر ما بذهل الناظرا
ويخطفها ذيل سرباله
فننظر طاعهما غابرا
فظاهرها ينثني باطنا
وباطنها ينثني ظاهرا
وثناء ثان لالعابه
دقائق تثني الحاجرا
وفي سورة الراح من سحره
خواطر دلهت الخاطرا
اذا ورد اللحظ أثناءها
فما الوهم عن وردها صادرا
ومن حسن دهرك ابداعه
فما انفك عارضها ماطرا
وسعدك يجتلب المغربات
فيجعل غائبها حاضرا
(قال) وحضر الاديب أحمد بن الشفاق المنعوت بالمتقتل عند القائد بن دري بجيان هو وأبو زيد بن مقانا الاشبوني فأحضر لهما عنبا أسود مغطى بورق أخضر فارتجل المتقتل

ساروا ومسك الدياجى غير منهوب * وطرّة الشرق غفل غير تذهيب
على ربا لم يزل شادى الذباب بها * يلهى بآنق ملفوظ ومضروب
كالغيد فى قبب الازهار أذرعه * قامت له بالمثانى والمضاريب

وقال أبو بكر بن سعيد البطليوسى

كأن أهازيج الذباب أساقف * لها من أزاهير الرياض محاريب

وقال السلامىّ فى وصف زنبور

اذا حك أعلى رأسه فكأنما * بسالفتيه من يديه جوامع

وتعرّض حازم فى مقصورته لتشبيه عنترة بقوله

ألق ذراعا فوق أخرى وحكى * تكاف الاجذم فى قطع السنى
كأنما النور الذى يفرعه * مقتدحا زنده سقط ورى

فقصر عنه التقصير البين وأخلّ بذكر الاكباب والحك ولهما فى هذا التشبيه موقع بديع مع التكلف البادى على قوله تكلف الاجذم فى قطع السنى ثم رام أن يزيد فيه فقال كأنما النور البيت وقوله يفرعه أى يعلوه عند الفاعذ راعه على الاخرى والسقط مثلث السين ما يسقط من النار عند القدح ولا خفاء فى أن المعانى الشهيرة البارعة الحسن كتشبيه عنترة هذا لا ينبغى أن يتعرض لأخذها متعرض الا بالزيادة البينة البديعة الموقع والعبارة الناصعة السهلة حتى يتبين الفضل للثانى على الاوّل والشفوف للآخذ على المأخوذ منه والا كان فاضحا لنفسه وماسخا للمعنى الذى تعرض لاخذه ﴿وسلم الخاسر﴾ هو ابن عمرو مولى بنى تيم بن مرة ثم مولى آل أبى بكر الصديق رضوان الله تعالى عليه وهو شاعر بصرىّ مطبوع متصرّف فى فنون الشعر من شعراء الدولة العباسية وهو راوية بشار بن برد وتلميذه وعنه أخذ ومن بحره اغترف وعلى مذهبه وغطه قال الشعر ولقب بالخاسر فيما يقال لانه ورث من أبيه مصحفا فباعه واشترى بثمنه طنبورا وقيل لانه لما مات أبوه واقتسم ورّاثه ماله وقع فى قسم سلم مصحف فردّه وأخذ مكانه دفاتر شعر كانت عند أبيه فلقب الخاسر لذلك وقيل لانه ورث من أبيه مائة ألف درهم فأنفقها على الادب وبقى لا شئ عنده فلقبه الجيران ومن يعرفه سلما الخاسر وقالوا أنفق ماله على ما لا ينفعه ثم مدح المهدى والرشيد وقد كان بلغه اللقب الذى لقب به فأمر له بمائة ألف درهم وقال له أكذب بهذا المال جيرانك فجاءهم بها وقال لهم هذه المائة ألف التى أنفقتها وربحت الادب فأنا سلم الرابح لا سلم الخاسر وقيل انه لما باع المصحف واشترى بثمنه طنبورا فكان يقال له ويلك هل فعل أحد ما فعلت فيقول لم أجد شيأ أتقرّب به الى ابليس هو أقرّ لعينه من هذا (وحدّث) محمد بن عمر الجرجانى قال كان سلم تلميذ بشار الا أنه تباعد ما بينهما فكان سلم يقدّم أبا العتاهية ويقول هو أشعر الجنّ والانس الى أن قال أبو العتاهية يخاطب سلما

تعالى الله يا سلم بن عمرو * أذلّ الحرص أعناق الرجال
هب الدنيا تصير اليك عفوا * أليس مصير ذلك الى الزوال

قال وبلغ الرشيد هذا الشعر فاستحسنه وقال لعمرى لقد صدق ان الحرص لمفسدة لامر الدين والدنيا وما فتشت عن حريص قط بعينه الا انكشف لى عما أذمه به وبلغ ذلك سلما فغضب على أبى العتاهية وقال ويلى على الجزار ابن الفاعلة الزنديق زعم أنى حريص وقد كنز البدر وهو يطلب وأنا فى ثوبىّ هذين لا أملك غيرهما وانحرف عن أبى العتاهية (وحدّث) القصاعى أن سلما كتب الى أبى العتاهية

ما أقبح التزهيد من واعظ * يزهد الناس ولا يزهد
لو كان فى تزهيده صادقا * أضحى وأمسى بيته المسجد
ورفض الدنيا فلم يلقها * ولم يكن يسعى ويسترفد
يخاف أن تنفد أرزاقه * والرزق عند الله لا ينفد

عنب تطلع من حشى ورق لنا
صبغت غلائل جلده بالاثمد
فكأنه من بينهن كواكب
كسفت فلاحت فى سماء
زبرجد
(قال) وحضر ابن مرزقان
ليلة عند ذى النون بن
خلدون وبحضرته وصيفة
تحمل شمعة فاستحسنها ابن
مرزقان فقال بديها
يا شمعة تحملها أخرى
كأنها شمس علت بدرا
امتحنت احداهما مهجتى
بمثل ما تحن الاخرى
(قال) ودخل الاديب غانم
يوما على باديس بن حبوس
صاحب غرناطة فوسع له
على ضيق كان فى المجلس
فقال بديها
صيّر فؤادك للمحبوب
منزلة
سمّ الخياط مجال للمحبين
ولا تسامح بغيضا فى معاشرة
فقلما تسع الدنيا بغيضين

الرزق مقسوم على من ترى * يناله الابيض والاسود
كل يوفى رزقه كاملا * من كف عن جهد ومن يجهد

(وحدّث) العباس بن عبد الله قال كنا عند قثم بن جعفر بن سليمان وهو يومئذ أمير البصرة وعنده أبو العتاهية ينشده شعره فى الزهد فقال لى قثم يا عباس اطلب لى الجماز الساعة حيث كان وجئنى به ولك شئ فطلبته فوجدته جالسا ناحية عند ركن دار جعفر بن سليمان فقلت له أجب الامير فقام حتى أتى قثم فجلس فى ناحية مجلسه وأبو العتاهية ينشد ثم قام اليه الجماز فواجهه وأنشده أبيات سلم هذه فقال أبو العتاهية من هذا أعز الله الامير قال هذا الجماز وهو ابن أخت سلم الخاسر انتصر لخاله حيث تقول له وأنشد البيتين السابقين قال فقال أبو العتاهية للجماز يا ابن أخى انى لم أذهب فى شعرى الاوّل حيث ذهب خالك ولا أردت أن أهتف به ولا أذهب فى حضورى وانشادى حيث ذهب من الحرص على الرزق والله يغفر لكما ثم قام وانصرف (وحدّث) أبو محمد اليزيدى أنه حضر مجلس عيسى بن عمرو وحضر سلم الخاسر فقال له يا أبا محمد أهجنى على روىّ قصيدة امرئ القيس

رب رام من بنى ثعل * مخرج كفيه من ستره

قال فقلت له ماذا دعاك الى هذا قال كذا أريد فقلت أنا وأنت آغنى الناس عما تستدعيه من الشرّ فاتسعك العافية فقال انك لتصغر غاية الاحتقار منى وأريد أن توهم عيسى أنى مفحم لا أقدر على ذلك فقال لى عيسى أسألك يا أبا محمد بحقى عليك الا فعلت فقلت

رب مغمور بعافية * غمط النعماء من أشره
وامرئ طالت سلامته * فرماه الدهر من غيره
بسهام منه مقوية * نقضت منه قوى مرره
وكذاك الدهر منقلب * بالفتى حالين من عصره
يخلط العسرى بيسرة * وبسار المرء فى عسره
عق سلم أمه صغرا * وأبا سلم على كبره
كل يوم خلفه رجل * رامح يسعى على أثره
يولج الغرمول سبته * كولوج الضب فى جحره

قال فاغتم سلم وندم وقال هكذا تكون عاقبة البغى والتعرّض للشرّ فضحك عيسى وقال قد جهد الرجل أن تدعه وصيانته ودينه فأبيت الا أن يدخلك فى حر أمك (وحدّث) محمد النوفلى قال كان المهدى يعطى مروان وسلما الخاسر عطية واحدة فكان سلم يأتى باب المهدى على البرذون الفاره قيمته عشرة آلاف درهم بسرج ولجام ولباسه الخز والوشى وما أشبه ذلك من الثياب الغالية الاثمان ورائحة المسك الطيب والغالية تفوح منه ويجئ مروان بن أبى حفصة عليه فرو كبل وقميص وسراويل وعمامة من كرباس وخف كبل وكساء غليظ وهو منتن الرائحة وكان لا يأكل اللحم حتى يقرم اليه بخلا فاذا قرم أرسل غلامه فاشترى له رأسا فأكله فقال له قائل أراك لا تأكل الا الرأس قال نعم أعرف سعره فآمن خيانة الغلام ولا أشترى لحما فيطبخه الغلام فيأكل منه والرأس آكل منه ألوانا آكل من عينيه لونا ومن غلصمته لونا ومن دماغه لونا (وحدّث) الحسن الربيعى قال كان سلم الخاسر قد بلى بالكيمياء فكان يذهب بكل شئ له باطلا فلما أراد الله عز وجل أن يصنع له عرف أن بباب الشام صاحب كيمياء عجيبا وانه لا يصل له أحد الا ليلا فسأل عنه فدلوه عليه قال فدخلت اليه الى موضع مغمور فدققت الباب فخرج الىّ فقال من أنت عافاك الله فقلت له رجل معجب بهذا العلم قال لا تشهرنى فانى رجل مستور وانما أعمل للقوت قال فقلت انى لا أشهرك وانما أقتبس منك قال فاكتم ذلك قال وبين يديه كوز شبه صغير فقال لى اقلع عروته فقلعتها فقال اسبكها فى البوتقة فسبكتها فأخرج شيأ من تحت مصلاه فقال ذرّه عليه ففعلت فقال افرغه فأفرغته فقال دعه معك فاذا أصبحت فاخرج به وبعه وعد الىّ فأخرجته الى باب الشام فبعت المثقال باحد وعشرين درهما ورجعت اليه وأخبرته فقال اطلب الآن ما شئت فقلت تفيدنى قال بخمسمائة درهم على أن لا تعلمه أحدا فأعطيته وكتب لى صفة فامتحنتها فاذا هى باطلة فعدت اليه فقيل لى قد تحوّل فاذا عروة الكوز الشبه من ذهب مركبة عليه والكوز شبه ولذلك كان يدخل اليه من يطلبه ليلا ليخفى عليه فانصرفت وعلمت أن الله تعالى أراد بى خيرا

وان

وانما نظم ما روى أن الخليل ابن أحمد دخل عليه بعض أصدقائه وهو على غرفة صغيرة فقال له الرجل انها لا تسعنا فقال له الخليل

ما ضاق سم الخياط بمتحابين * ولا اتسعت الدنيا لمتباغضين

(قال) وخرج الاديب أبو الحسن على بن حصن الاشبيلى الى وادى قرطبة فى نزهة فتذكر اشبيلية فقال بديها

ذكرتك يا حمص ذكرى هوى * أمات الحسود وتعنيته
كأنك والشمس عند الغروب * عروس من الشمس منعوته
غدا النهر عقدك والطود تا * ج الشمس أعلاه ياقوته

(قال على بن ظافر) وذكر صاحب قلائد العقيان ما هذا معناه ان المستعين بالله أحمد بن المؤتمن بن هود الجذامى صاحب سرقسطة

وان هذا كله باطل (وحدث) أبو المستهل الاسدى قال كان سلم الخاسر يهاجى والبة بن الحباب فأرسلنى اليه سلم فقال قل له

والبة بن الحباب ياحلق * لست من اهل الزناء فانطلق
تدخل فيك الغرمول تولجه * مثل ولوج المفتاح فى الغلق

فأتيت اليه فقلت له ذلك فقال قل له يا ابن الزانية سل عنك ريعان التميمى يعنى أنه ناكه وكان ريعان لوطيا آفة من الآفات وكان غلامه ظريفا وكان يقول نكت الهيثم بن عدى فمن ترونه يفلت منى بعده (وحدث) أبو المستهل قال دخلت يوما على سلم الخاسر واذا بين يديه قراطيس يرثى ببعضها أم جعفر وببعضها أقواما لم يموتوا وأم جعفر يومئذ باقية فقلت له ويحك ماهذا فقال تحدث الحوادث فيطالبونا بأن نقول فيها ويستعجلونا ولا يجمل بنا أن نقول غير الجيد فنعدلهم مثل هذا قبل كونه فتى حدث حادث أظهرنا ماقلنا فيه على أنه قيل فى الوقت (وحدث) زكريا بن مهران قال طالب أبو الشمقمق سلما الخاسر أن يهب له شيأ وقد خرجت له جائزة فلم يفعل فقال أبو الشمقمق

ياأم سلم هداك الله زورينا * كيما ننيكك فردا أو تنيكينا
ماان ذكرتك الاهاج لى شبق * ومثل ذكراك أم السلم يشجينا

قال فجاءه سلم فأعطاه خمسة دنانير وقال أحب أن تعفينى عن استزارتك أمى وتأخذ هذه الدنانير فتنفقها (وحدث) محمد بن القاسم بن الربيع عن أبيه قال دخل الربيع على المهدى وأبو عبيد الله الوزير جالس يعرض كتبا فقال له أبو عبيد الله مر هذا أن يتنحى يعنى الربيع فقال له المهدى تنح قال لا أفعل فقال كأنك ترانى بالعين الاولى قال لا بل أراك بالعين التى أنت بها قال فلم لا تنحى اذ أمرتك فقال له أنت ركن الاسلام ومذ قتلت ابن هذا فلا آمن أن تكون معه حديدة يغتالك بها فقام المهدى مذعورا وأمر بتفتيشه فوجد بين جوربه وخفه سكين فردت الامور كلها الى الربيع وعزل أبو عبيد الله وولى يعقوب بن داود فقال سلم الخاسر فيه

يعقوب ينظر فى الامو * ر وأنت تنظر ناحيه
أدخلته فعلا عليـ * ـك كذاك شؤم الناصيه

قال وكان بلغ المهدى من جهة الربيع أن ابن أبى عبيد الله زنديق فقال له المهدى هذا حسد منك فقال افحص عن هذا فان كنت مبطلا بلغت فى الذى يلزم من كذبك فأتى بابن أبى عبيد الله فقرره تقريرا خفيا فأقر فاستتابه فلم يتب فقال لابيه اقتله فقال لا تطيب نفسى بذلك فقتله وصلبه على باب أبى عبيد الله وكان ابن أبى عبيد الله هذا المقتول من أحمق الناس وهب له المهدى جارية ثم سأله المهدى عنها فقال ماوضعت بينى وبين الارض خشبة أوطأ منها حاشا سامعى فقال المهدى لابيه أتراه يعنينى أو يعنيك قال لا بل يعنى أمه الزانية لا يكنى (وحدث) يحيى بن الحسن قال حدثنى أبى قال كنت أنا والربيع نسير قريبا من محمل المنصور حين قال للربيع رأيت كأن الكعبة تصدعت وكأن رجلا جاء بحبل أسود فشدها فقال له الربيع من الرجل فلم يجبه حتى اذا اعتل قال للربيع أنت الرجل الذى رأيت فى نومى أنه شد الكعبة فأى شئ تعمل بعدى قال ما كنت أعمل فى حياتك وكان من أمره فى أخذ البيعة للمهدى ما كان فقال سلم الخاسر فى الفضل بن الربيع

وابن الذى جبر الاسلام يوم وهى * واستنقذ الناس من عمياء صيخود
قالت قريش غداة انهاض ملكهم * ابن الربيع وأعطوا بالمقاليد
فقام بالامر مثناسا بوحدته * ماضى الضريبة صراب القماحيد
ان الامور اذا ضاقت مسالكها * حلت يد الفضل منها كل معقود
ان الربيع وان الفضل قد بنيا * رواق محمد على العباس ممدود

قال فوهب له الفضل خمسة آلاف دينار (وحدث) أبو دعامة قال قال سلم الخاسر فى الرشيد حين عقد البيعة لابنه محمد الامين

قد بايع الثقلان مهدى الهدى * لمحمد ابن زبيدة ابنة جعفر
وليته عهد الانام وأمرهم * فدمغت بالمعروف رأس المنكر

والثغور ركب نهر سرقسطة يوما للتفرج فقعد بعض معاقله المنتظمة بجيد ساحله وهو نهر رق ماؤه وراق وأزرى على نيل مصر ودجلة والعراق قد اكتنفته البساتين من جانبيه وألقت ظلالها عليه فما تكاد عين الشمس أن تنظر اليه هذا على اتساع عرضه وبعد سطح الماء من أرضه وقد توسط زورقه زوارق حاشيته توسط البدر للهاله وأحاطت به احاطة الطفاوة للغزاله وقد أعدوا من مكايد الصيد ما استخرج ذخائر الماء وأخاف حتى حوت السماء وأهلة الهالات طالعة من الموج فى سحاب وقانصة من بنات الماء كل طائرة كالشهاب فلا ترى الا صيودا كصيد الصوارم وقدود اللهاذم ومعاصم الابكار النواعم فقال الوزير أبو الفضل بن حداى والطرب

فأعطته زبيدة مائة ألف درهم (وحدّث) ميمون بن هرون قال دخل سلم الخاسر على الفضل بن يحيى فى يوم نوروز والهدايا بين يديه فأنشده

أمن ربع تسائله * وقد أقوت منازله
بقلبى من هوى الاطلا * ل حب مايزايله
رويدكم عن المشغو * ف ان الحب قاتله
بلابل صدره تسرى * وقد نامت عواذله
أحق الناس بالتفضيـ * ـل من ترجى فواضله
رأيت مكارم الاخلا * ق ماضمت حمائله
ولست أرى فتى فى النا * س الا الفضل فاضله
يقول لسانه خيرا * فتفعله أنامله
ومهما ترج من خير * فان الفضل فاعله

وكان ابراهيم الموصلى وابنه اسحق حاضرين فقال لابراهيم ما تسمع قال أحسن مسموع وفضل الامير أكبر منه فقال خذوا جميع ما أهدى الىّ اليوم فاقتسموه بينكم أثلاثا الا ذلك التمثال فانى أريد أن أهديه اليوم الى دنانير ثم قال لا والله ما هكذا يفعل الاحرار يقوّم ويدفع لهم ثمنه ثم نهديه فقوّم بألفى دينار فحملها الى القوم من بيت ماله واقتسموا جميع الهدايا بينهم (وحدّث) الجماز أن أبا الشمقمق جاء الى سلم الخاسر يستميحه فمنعه فقال اسمع اذن ما قلته فأنشده

حدثونى أن سلما * يشتكى جارة ايره
فهو لا يحسد شيأ * غير ايرفى است غيره
واذا سرّك يوما * يا خليلى نيل خيره
قم فمر راهبك الاصـ * ـلع يقرع باب ديره

فضحك منه سلم وأعطاه خمسة دنانير وقال أحب جعلت فداك أن تصرف راهبك الاصلع عن باب ديرنا (وحدّث) أبو دعامة قال دخل سلم الخاسر على الرشيد فأنشده

حىّ الاحبة بالسلام فقال الرشيد حياهم الله

فقال أعلى وداع أم مقام فقال الرشيد حياهم الله على أىّ ذلك كان

فأنشده لم يبق منك ومنهم * غير الجلود على العظام

فقال الرشيد بل منك وأمر باخراجه وتطير منه ومن قوله فلم يسمع باقى شعره ولا أثابه بشئ (وقال) القاسم بن موسى بن مزيد بن يزيد بن مزيد ما حسدت أحدا قط على شعر مدح به الا عاصم بن عتبة الغسانى فانى حسدته على قول سلم الخاسر فيه

لعاصم سماء * عارضها هتان
أمطارها الابريز والـ * ـلجين والعقيان
وناره تنادى * اذ خبت النيران
الجود فى قحطان * ما بقيت غسان
اسلم ولا تبالى * ما فعل الاخوان
صلت له المعالى * والسيف والسنان
ماضرّ مرتجيه * ما فعل الزمان
من غاله مخوف * فهو له أمان

﴿وعاصم بن عتبة هذا﴾ هو جدّ أبى الشمر الغسانى وكان صديقا لسلم الخاسر كثير البرّ به والملاطفة له فأعطاه على هذه الابيات سبعين ألف درهم وكان جملة ما وصل الى سلم الخاسر منه خمسمائة ألف درهم فلما حضرته الوفاة دعا عاصما فقال انى ميت ولا وارث لى وان مالى مأخوذ فأنت أحق به فدفع اليه خمسمائة ألف درهم (وحدّث) حماد عن أبيه قال استوهب أبى من الرشيد تركة سلم الخاسر وقد مات عن غير وارث فوهبها له قبل أن يتسلمها صاحب المواريث فحصل منها خمسين ألف دينار (وحدّث) أبو دعامة أنه رفع الى الرشيد أن سلما الخاسر قد توفى وخلف مما أخذه منه ألف ألف وخمسمائة ألف درهم سوى ما خلفه من عقار وغيره مما اعتقده قديما فقبضه الرشيد فتظلم اليه مواليه من آل أبى بكر الصديق رضى الله عنه فقال هذا خادمى ونديمى والذى خلفه من مالى فأنا أحق به فلم يعطهم الا شيأ يسيرا من قديم أملاكه ولما مات سلم الخاسر قال أشجع السلمى يرثيه

ياسلم ان أصبحت فى حفرة * موسدا تربا وأحجارا
فرب بيت حسن قلته * خلفته فى الناس سيارا

قد استهواه وبديع ذلك المرأى استرق هواه
لله يوم أنيق واضح الغرر * مفضض مذهب الآصال والبكر
كأنما الدهر لما ساء أعتبنا * فيه بعتبى وأبدى صفح معتذر
نسير فى زورق حف السفين به * من جانبيه بمنظوم ومنتثر
مدّ الشراع به نشرا على ملك * بذّ الاوائل فى أيامه الاخر
هو الامام الهمام المستعين حوى * عليا مؤتمن فى هدى مقتدر
تحوى السفينة منه آية عجبا * بحر تجمع حتى صار فى نهر
تثار من قعره النينان مصعدة * صيدا كما ظفر الغواص بالدرر
وللندامى به عب ومرتشف * كالراح يعذب فى ورد وفى صدر

قلدته

قلدته تربا وسيرته * فكان نخراذاك أوعارا
لونطق الشعر بكى عبرة * عليه أعلانا واسرارا

(هيهات أن يأتي الزمان بمثله * ان الزمان بمثله لبخيل)
(أعدى الزمان سخاؤه فسخا به * ولقد يكون به الزمان بخيلا)

البيت الاول لابي تمام من قصيدة من الكامل يرثي بها محمد بن حميد وكان قد استشهد في بعض غزواته وأولها

بأبي وغير أبي وذاك قليل * ثاو عليه ثرى السباخ مهيل
خذلته أسرته كأن سراته * جهلوا بأن الخاذل المخذول
أكال أشلاء الفوارس بالقنا * أضحى بهن وشلوه مأكول
كفى فقتل محمد لى شاهد * ان العزيز مع الفناء ذليل
ان يستضم بعد الآباء فانه * يقتاد حل الصرمة المعقول
مستحسن وجه الردى في معرك * قبح الحياة بحومتيه جميل
أنسى أبا نصر نسيت اذن يدى * في حيث ينتصر الفتى وينيل

وبعده البيت وما أحسن ما قال بعده

ما أنت بالمقتول صبرا انما * أملى غداة نعيك المقتول

والبيت الثاني لابي الطيب المتنبي من قصيدة من الكامل يمدح بها بدر بن عمار صاحب طرابلس الشام وكان قد خرج الى أسد فهاجه عن فريسته فوثب على كفل فرسه وأعجله عن استلال سيفه فضربه بسوطه وخرج الى آخر فهرب منه وأولها

في الخد أن عزم الخليط رحيلا * مطر تزيد به الخدود محولا
يا نظرة نفت الرقاد فغادرت * في حد قلبي ما حييت فلولا
كانت من الكحلاء سؤلى انما * أجلى تمثل في فؤادي سولا

يقول في مديحها

محك اذا مطل الغريم بدينه * جعل الحسام بما أراد كفيلا
نطق اذا حط الكلام لثامه * أعطى بمنطقه القلوب عقولا

وبعده البيت وبعده

فكأن برقا في متون غمامة * هندية في كفه مسلولا
ومحل قائمه يسيل مواهبا * لو كن سيلا ما وجدن سبيلا
رقت مضاربه فهن كأنما * يبدين من عشق الرقاب نحولا
أمعفر الليث الهزبر بسوطه * لمن ادخرت الصارم المصقولا

واستمر في وصف الليث الى أن قال

قبضت منيته يديه وعنقه * فكأنما صادفته مغلولا
سمع ابن عمته به وبحاله * فنجا يهرول أمس منك مهولا
وأمر مما فر منه فراره * وكقتله أن لا يموت قتيلا
تلف الذى اتخذ الجراءة خلة * وعظ الذى اتخذ الفرار خليلا
لو كان علمك في الاله مقسما * في الناس ما بعث الاله رسولا
لو كان لفظك فيهم ما أنزل التـ * ـتوراة والفرقان والانجيلا
لو كان ما تعطيهم من قبل أن * تعطيهم لم يعرفوا التأميلا
فلقد عرفت وما عرفت حقيقة * ولقد جهلت وما جهلت خمولا
نطقت بسوددك الحمام تغنيا * وبما تجشمها الجياد صهيلا
ما كل من طلب المعالى نافذا * فيها ولا كل الرجال فحولا

والشرب في ود مولى خالقه زهر
يذكو ومجته أبهى من القمر
(قال على بن ظافر) قوله نينان غير معروف فان نون لم يجئ جمعها نينان وقد كان سيبويه لحن بشار بن برد في قوله في وصف السفينة
تلاعب نينان البحور وربما
رأيت نفوس القوم من جريها تجرى
فغيره بشار بتيار البحور وقد قال أبو الطيب يصف خيلا
فهن مع السيدان في البر عسل
وهن مع النينان في البحر عوم
(وجلس) المعتمد ابن عباد يوما فأنشد بعض جلسائه قول أبي الطيب
اذا ظفرت منك العيون بنظرة
أثاب بها معيى المطى ورازمه

ولقد جاوز المتنبي حد الغلو وأنا أستغفر الله تعالى لى وله (والشاهد فى البيتين) كون المأخوذ دون المأخوذ منه فى البلاغة وهذا الاخذ مذموم مردود لفوات الفضيلة وعدم الفائدة فان المصراع الثانى من بيت أبى الطيب مأخوذ من المصراع الثانى من بيت أبى تمام لكن مصراع أبى تمام أجود سبكا لأن قول أبى الطيب ولقد يكون بلفظ المضارع لم يصب محزه اذ المعنى على الماضى والمراد لقد كان ويتنظر الى بيت أبى تمام قول الشريف الموسوى فى الصاحب بن عباد

يا طالبا من ذا الزمان شبيهه * هيهات كلفت الزمان محالا

وينظر الى صدر بيت المتنبي قول السلامى فى الوزير سابور

أعدى الزمان ندى أبى نصر فلو * سمناه أن يهب الصبى لم يبخل

وما أحسن قول القاضى الفاضل فى هذا المعنى

مضت الدهور وما أتين بمثله * ولقد أتى فعجزن عن نظرائه

ومن الأخذ المذموم قول بعض الاعراب

وريحها أطيب من طيبها * والطيب فيه المسك والعنبر

وقول بشار بعده وإذا أدنيت منه بصلا * غلب المسك على ريح البصل

وقول أشجع السلمى وعلى عدوك يا ابن عم محمد * رصدان ضوء الصبح والاظلام

فاذا تنبه رعته واذا غفا * سلت عليه سيوفك الاحلام

وقول أبى الطيب بعده يرى فى النوم رمحك فى كلاه * ويخشى أن يراه فى السهاد

وكذا قول السرى الرفاء وان كان فيه زيادة المعنى وحلاوة السبك وهو

تروع أحشاءه بالكتب وهو لها * خوف الردى ورجاء السلم مستلم

لا يشرب الماء الاغص من حذر * ولا يهوم الا راعه الحلم

وقد ألم به الشهاب محمود فقال من قصيدة

كأن هاربهم والخوف يطلبه * يبدو لديه مثال منه أو مثل

فان تنبه وماراعه واذا * غفا جلته عليه فى الكرى المقل

وقول الخنساء وما بلغ المهدون للناس مدحة * وان أطنبوا الا وما فيك أفضل

وقول أشجع وما ترك المداح فيك مقالة * ولا قال الا دون ما فيك قائل

وهذا الباب واسع لا طاقة لاحد على حصره وهذه النبذة كافية فيه ان شاء الله تعالى

(لو حار مرتاد المنية لم يجد * الا الفراق على النفوس دليلا)

(لولا مفارقة الاحباب ما وجدت * لها المنايا الى أرواحنا سبلا)

البيت الاول لابى تمام من قصيدة من الكامل يمدح بها نوح بن عمرو السكسكى أولها

يوم الفراق لقد خلقت طويلا * لم تبق لى صبرا ولا معقولا

وبعده البيت وبعده

قالوا الرحيل فما شككت بأنها * نفس عن الدنيا تريد رحيلا

الصبر أجمل غير أن تذللى * فى الحب أحرى أن يكون جميلا

أتظنني أجد السبيل الى العزا * وجد الحمام اذن الى سبيلا

رد الجموح الصعب أيسر مطلبا * من رد دمع قد أصاب مسيلا

وهى طويلة والارتياد الطلب واضافة المرتاد الى المنية بيانية أى المنية الطالبة للنفوس لو تحيرت فى الطريق الى اهلاكها ولم يمكنها التوصل اليها لم يكن لها دليل عليها الا الفراق ومثله قول الجانى

ولقد نظرت الى الفراق فلم أجد * للموت لو فقد الفراق سبيلا

فاستبدعه المعتمد واستحسنه وجعله أبدع ما للمتنبي وأحسنه فارتجل عبد الجليل بن وهبون المرسى

لئن جاد شعر ابن الحسين فانه * بجود العطايا واللها تفتح اللها

تنبأ عجبا بالقريض ولو درى * بأنك تروى شعره لتألها

فاستحسنها المعتمد وأمر له بمائتى دينار (وجلس) يوما والبزاة تعرض عليه فاستحث الشعراء فى وصفها فقال عبد الجليل بديها

للصيد قبلت سنة مأثورة * لكنها بك أبدع الاشياء
تمضى البزاة وكلما أمضيتها * عارضتها بخواطر الشعراء

(قال على بن ظافر) ذكر صاحب قلائد العقيان ما معناه خرج ابن وهبون يوما للنظر هلال شوال وأبو بكر بن القنطرية الوزير يسايره وهو يومئذ غلام يخجل البدر ويزرى الغصن

شواهد التلخيص

والبيت الثانى لابى الطيب المتنبى من قصيدة من البسيط يمدح بها سعيد بن كلاب الطائى وأولها

أحيا وأيسر مالاقيت ماقتلا * والبين جار على ضعفى وماعدلا
والوجد يقوى كما يقوى النوى أبدا * والصبر ينحل فى جسمى كما نحلا

وبعده البيت وبعده

بما بجفنيك من سحر صلى دنفا * يهوى الحياة وأما ان صددت فلا
ان لايشب فلقد شابت له كبد * شيبا اذا خضبته سلوة نصلا
يجن شوقا فلولا أن رائحة * تزوره فى رياح الشرق ماعقلا
هافانظرى أوفظنى بى ترى حرقا * من لم يذق طرفا منها فقد وألا
عل الامير يرى ذلى فيشفع لى * الى التى تركتنى فى الهوى مثلا

وهذا البيت من الخالص القبيحة التى عيبت على المتنبى وسبب القبح كونه جعل ممدوحه ساعيا بينه وبين محبوبته فى الوصال وفى ذلك مافيه وقد سبقه أبو نواس اليه بقوله

سأشكو الى الفضل بن يحيى بن خالد * هواك لعل الفضل يجمع بيننا

وقد سبقهما الى ذلك قيس بن الدريح حين طلق لبنى فتزوجت غيره فندم على ذلك وشبب بها فى كل مغنى فرجه ابن أبى عتيق فسعى فى طلاقها من زوجها وأعادها الى قيس فى خبر طويل فقال يمدحه

جزى الرحمن أفضل مايجازى * على الاحسان خيرا من صديق
وقد جربت اخوانى جميعا * فما ألفيت كابن أبى عتيق
سعى فى جمع شملى بعد صدع * ورأى حدت فيه عن الطريق
وأطفا لوعة كانت بقلبى * أغصتنى حرارتها بريق

فلما سمع ذلك ابن أبى عتيق قال لقيس يا حبيبى أمسك عن هذا المدح فانه ماسمعه أحد الاظننى قوادا ولنرجع الى الكلام على البيتين (والشاهد فيهما) مماثلة المأخوذ للمأخوذ منه فيكون أبعد من الذم والفضل للاول ان لم يكن فى الثانى دلالة على السرقة باتفاق الوزن والقافية والا فهو مذموم جدا فأبو الطيب أخذ معنى بيت أبى تمام كله مع بعض الالفاظ كالمنية والعراق والوجدان وبذل النفوس بالارواح ومنه قول أبى تمام

مقيم الظن عندك والامانى * وان قلقت ركابى فى البلاد
ولاسافرت فى الآفاق الا * ومن جدواك راحلتى وزادى

وقول المتنبى

محبك حيثما اتجهت ركابى * وضيفك حيث كنت من البلاد

وقول القاضى الارجانى

لم يبكنى الاحديث فراقكم * لما أسر به الى مودعى
هو ذلك الدر الذى أودعتم * فى مسمعى ألقيته من مدمعى

وقول الزمخشرى فى مرثية أستاذه

وقائلة ماهذه الدرر التى * تساقطها عيناك سمطين سمطين
فقلت هو الدر الذى قد حشابه * أبو مضر أذنى تساقط من عينى

وقول ابراهيم بن العباس فى ابن الزيات الوزير

تجايك لؤمك منجى الذباب * حمته مقاذيره أن ينالا

وقول ابن حجاج بعده على أنى أظنك كنت تنجو * بعرضك من يدى منجى الذباب

وقول أبى نواس تسترت من دهرى بظل جناحه * فعينى ترى دهرى وليس يرانى

وقول ابن حجاج سترت بظله من ريب دهرى * فطال على النوائب أن ترانى

وقول ابن المعتز وخمارة من بنات اليهود * ترى الرق فى بيتها شائلا

النضر وصفحته لم يسطرها العذار بانماسه ووردة خده لم يسترها الشعر بآسه فارتجل عبد الجليل

ياهلال استتر بوجهك عنى * ان مولاك آخذ بشمالى
هبك تحكى سناه خدا بخد * قم فجئنى نخده بمثال

(وبالاسناد المتقدم) قال ابن بسام أخبرنى الحكيم النديم المطرب أبو بكر الاشبيلى قال حضرت مجلس الرشيد بن المعتمد بن عباد وعنده الوزير أبو بكر ابن عمار فلما دارت الكؤس وتمكن الانس وغنيت أصواتا ذهب الطرب بابن عمار كل مذهب فارتجل يخاطب الرشيد

ماضر ان قيل اسحق وموصله * هاأنت وذى حمص واسحق

وزنالها ذهبا جامدا * فكالت لنا ذهبا سائلا

وقول ابن حجاج
وخمار أعد الكاس ظئرا * لطارقة فلم ترضعه غيلا
أوفيه خلاص التبر وزنا * فيسبكه ويعطينيه كيلا

ولابن حمديس في مثله وضعت بميزانها درهمي * فسيل في الكاس دينارها

وقول جحظة البرمكي أو علي بن جبلة
بأبي من زارني مكتتما * خائفا من كل شيء جزعا
زائر نم عليه حسنه * كيف يخفي الليل بدرا طلعا
راقب الغفلة حتى أمكنت * ورعى السامر حتى هجعا
ركب الاهوال في زورته * ثم ما سلم حتى ودعا

وقول المتنبي
بأبي من وددته فافترقنا * وقضى الله بعد ذاك اجتماعا
وافترقنا حولا فلما التقينا * كان تسليمه علي وداعا

وقول الحسين بن الضحاك بأبي زور تلفت له * فتنفست عليه الصعدا
بينما أضحك مسرورا به * اذ تقطعت عليه كمدا

وقول الآخر أنشده الصولي
زائر زارني يشيعه الشو * ق قريب الهوى بعيد المرام
كان عني أوحى انصرافا من اللحـ * ـظ وأخفى من طارق في المنام

وقول العباس بن الاحنف
سألونا عن حالنا كيف أنتم * فقرنا وداعنا بالسؤال
ماحللنا حتى افترقنا فما نفـ * ـرق بين النزول والارتحال

وقول كشاجم ويعزى لابي الحسين بن طاهر بن محمد النجري الكاتب
بأبي وأمي زائر متقنع * لم يخف ضوء البدر تحت قناعه
لم أستتم عناقه لقدومه * حتى ابتدأت عناقه لوداعه
ومضى فأبقى في فؤادي حسرة * تركته موقوفا على أوجاعه

ومنه قول الآخر زار يهدي السلام لم أر فصلا * بين توديعه وبين السلام

وقول الآخر زارنا حتى اذا ما * سرنا بالقرب زالا

ولابي الشيص في معناه يا حبذا الزور الذي زارا * كأنه مقتبس نارا
نفسي فداك من زائر * ماحل حتى قيل قد سارا

وقد عكس ابن أبي البشر الصقلي الكاتب بيت جحظة الاخير فقال يهجو ثقيلا
وثقيل قد شنئنا شخصه * مذ عرفناه ملحا مبرما
ثقل الوطأة في زورته * ثم ما ودع حتى سلما

﴿هو الصنع ان يعجل فخير وان يرث * فللريث في بعض المواضع أنفع﴾
﴿ومن الخير بطء سيبك عني * أسرع السحب في المسير الجهام﴾

البيت الاول لابي تمام من قصيدة من الطويل أولها
أما انه لولا الخليط المودع * وربع عفا منه مصيف ومربع
لردت على أعقابها أريحية * من الشوق واديها من الدمع مترع

وهي طويلة وسيأتي طرف منها في التلميح ان شاء الله تعالى والريث الابطاء والبيت الثاني لابي الطيب من قصيدة من الخفيف يمدح بها علي بن أحمد الخراساني المري أولها

أنت الرشيد فدع من قد سمعت به
وان تشابه اخلاق واعراق
لله درك دار كها مشعشعة
واحفر قسافك ما قامت به ساق

(قال) وساير ابن عمار في بعض أسفاره وكان معه غلامان من بني جهور أحدهما أشقر العذار والآخر أخضره فجعل يميل بحديثه الى الخضر العذار فقال ارتجالا
تعلقته جهوري النجار
وحلو الحلى جوهري الثنايا
من النفر البيض جرد الزمان
رقاق الحواشي كرام السجايا
ولا غرو أن تغرب الشارقات
وتبقى محاسنها بالعشايا
ولا وصل الا جمان الحديث
تساقطه من ظهور المطايا
شنأت المثلث للزعفران
وملت الى خضرة في النقايا

(الريث)

لا افتخار الا لمن لا يضام * مدرك أو محارب لا ينام

ليس عزما ما مرّض المرء فيه * ليس هما ما عاق عنه الظلام

واحتمال الاذى ورؤية جانيـ * ـه غذاء تضوى به الاجسام

ذل من يغبط الذليل بعيش * رب عيش أخف منه الحمام

كل حلم أتى بغير اقتدار * حجة لاجئ اليها اللئام

من يهن يسهل الهوان عليه * ما لجرح بميت ايلام

يقول فى مديحها خير أعضائنا الرؤس ولكن * فضلتها بقصدك الاقدام

قد لعمرى أقصرت عنك وللوفـ * ـد ازدحام وللعطايا ازدحام

خفت ان صرت فى يمينك أن تأ * خذنى فى هباتك الاقوام

ومن الرشد لم أزرك على القر * ب على البعد يعرف الالمام

وبعده البيت وبعده قل فكم من جواهر بنظام * ودها أنها بفيك كلام

هابك الليل والنهار فلو تنـ * ـهاهما لم تجز بك الايام

والسيب العطاء والجهام السحاب الذى لا ماء فيه أو الذى هراق ماءه (والشاهد فى البيتين) الالمام ويسمى السلخ وهو أخذ المعنى وحده ثم هو على ثلاثة أقسام اما أبلغ من المأخوذ منه أو دونه أو مثله فبيت المتنبى أبلغ من بيت أبى تمام لاشتماله على زيادة بيان للمقصود حيث ضرب المثل بالسحاب

﴿ واذا تألق فى الندى كلامه الـ * ـمصقول خلت لسانه من عضبه ﴾

﴿ كأن ألسنهم فى النطق قد جعلت * على رماحهم فى الطعن خرصانا ﴾

ومنه ما هو دونه

البيت الاول للبحترى من الكامل من قصيدة يمدح بها الحسن بن وهب أولها

من سائل لعـذب عن خطبه * أو صافح لمقصر عن ذنبه

وهى طويلة يقول فى مديحها

واذا استهل أبو على بالندى * جاء الغمام المستهل بسكبه

واذا احتبى فى عقده من حله * يوما رأيت متالعا فى هضبه

وبعده البيت وبعده واذا دجت أقلامه ثم انتحت * برقت مصابيح الدجى فى كتبه

فاللفظ يقرب فهمه فى بعده * منا ويبعد نيله فى قربه

وكأنها والحسن معقود بها * شخص الحبيب بدا لعين محبه

ومعنى تألق لمع والندى المجلس الغاص بأشراف الناس والمصقول المنقح والعضب السيف القاطع شبه لسانه بسيفه والبيت الثانى لابى الطيب المتنبى من قصيدة من البسيط يمدح بها أبا سهل الانطاكى أولها

قد علم البين منا البين أجفانا * تدمى وألف فى ذا القلب أحزانا

أملت ساعة ساروا كشف معصمها * ليلبث الحى دون السير حيرانا

ولو بدت لأتاهتهم فحجبها * صون عقولهم من لحظها صانا

الى أن قال فى مديحها

ماشـيد الله من مجد لسالفهم * الا ونحن نراه فيهم الآنا

ان كوتبوا أو لقوا أو حوربوا وجدوا * فى الخط واللفظ والهيجاء فرسانا

وبعده البيت وبعده كأنهم يردون الموت من ظما * أو ينشقون من الخطى ريحانا

وخرصان الرماح أسنتها أو الحلق تطيف بأسافل الاسنة وواحدها خرص بالضم والكسر يريد وصف فصاحة ألسنة الممدوحين وطلاقتها (والشاهد فى البيتين) مجئ المأخوذ دون المأخوذ منه فبيت المتنبى دون بيت البحترى لانه قد فاته ما أفاده البحترى بلفظى تألق والمصقول من الاستعارة

(قال على بن ظافر) ومعنى هذا البيت أنه أبغض المثلث لدخول الزعفران فيه لشبهه بعذار الاشقر منهما وأحب خضرة النقايا وهى لون من طعام يعمل بالكزبرة لشبهها بعذار الاخضر منهما (قال على بن ظافر) وذكر صاحب قلائد العقيان ما معناه ان ابن عمار تنزه بالدمشق بقرطبة وهو قصر شيده خلفاء بنى أمية وزخرفوه ودفعوا صرف الدهر عنه وصرفوه وأجروه على ارادتهم وصرّفوه وذهبوا سقفه وفضضوها ورخموا أرضه ورضضوها فبات به والسعد يلحظه بطرفه والروض يحييه بعرفه فلما استنفد كافور الصباح مسك الغسق ورصع أبنوس الظلام نضار الشفق قال مرتجلا

التخييلية حيث أثبت التألق والصقالة للكلام كاثبات الاظفار للمنية ويلزم من هذا تشبيه كلامه بالسيف وهو استعارة بالكناية

مجيء المأخوذ مثل المأخوذ منه

(ولم يك أكثر الفتيان مالا * ولكن كان أرحبهم ذراعا)

(وليس بأوسعهم في الغنى * ولكن معروفه أوسع)

البيت الاول لابي زياد الاعرابي من أبيات من الوافر وقبله

له نار تشب على يفاع * اذا النيران ألبست القناعا

ورحب الذراع كناية عن الوصف بالسخاء يقال فلان رحب الذراع وواسع الذراع أي سخي والبيت الثاني لأشجع السلمي من قصيدة من المتقارب يمدح بها جعفر بن يحيي البرمكي (حدث) اسحق بن ابراهيم الموصلي قال لما ولي الرشيد جعفر بن يحيي خراسان جلس للناس فدخلوا عليه يهنئونه ثم دخل الشعراء فأنشدوه وقام أشجع في آخرهم فاستأذن في الانشاد فأذن له فأنشده قوله

أتصبر للبين أم تجزع * فان الديار غدا بلقع

غدا يتفرق أهل الهوى * ويكثر باك ومسترجع

حتى انتهى الى قوله

ودوية بين أقطارها * مقاطع أرضين لا تقطع

تجاوزتها فوق عيرانة * من الريح في سيرها أسرع

الى جعفر نزعت رغبة * وأي فتى نحوه ينزع

فما دونه لامرئ مطمع * ولا لامرئ غيره مقنع

ولا يرفع الناس من حطه * ولا يضعون الذي يرفع

تريد الملوك مدى جعفر * ولا يصنعون كما يصنع

وبعده البيت وبعده

تلوذ الملوك بآرائه * اذا نابها الحدث الافظع

بديهته مثل تدبيره * متى رمته فهو مستجمع

وكم قائل اذ رأى ثروتي * وما في فصول الغنى أصنع

غدا في ظلال ندى جعفر * يجرذ بول الغنى أشجع

فقل لخراسان تحيي فقد * أتاها ابن يحيي الفتى الاروع

فأقبل عليه جعفر بن يحيي ضاحكا واستحسن شعره وجعل يخاطبه مخاطبة الاخ أخاه ثم أمر له بألف دينار قال ثم بدا للرشيد في ذلك التدبير فعزل جعفرا عن خراسان بعد أن أعطاه العهد والكتب وعقد له العقد وأمر ونهى فوجم لذلك جعفر فدخل عليه أشجع فأنشده

أمست خراسان تعزى بما * أخطأها من جعفر المرتجى

كان الرشيد المعتلي أمره * ولي على مشرقها الابلجا

ثم أراه رأيه أنه * أمسى اليه منهم أحوجا

فكم به الرحمن من كربة * في مدة تقصر قد فرجا

فضحك جعفر وقال لقد هونت علي العزل ووقت لامير المؤمنين بالعذر فسلني حاجتك فقال قد كفاني جودك ذل السؤال فأمر له بألف دينار أخرى (والشاهد في البيتين) مجيء المأخوذ مثل المأخوذ منه وقد ألم أبو الطيب بهذا المعنى فقال

عصر ملوك لهم ماله * ولكنهم ما لهم همه

ومثله قول بعضهم في مرثية ابن له

والصبر يحمد في المواطن كلها * الا عليك فانه مذموم

وقول أبي تمام بعده

كل قصر غير الدمشق يذم فيه طاب الحياة وفاح المشم منظر رائق وماء نمير وثرى عاطر وقصر أشم بت فيه والفجر والليل عندي عنبر أشهب ومسك أحم (قال علي بن ظافر) وأخبرني الفقيه أبو العرب اسمعيل ابن معوشة الكناني السبتي قال أخبرني شيخ من أهل اشبيلية كان قد أدرك دولة آل عباد وكان عليه من آثار كبر السن ودلائل التعمير ما يشهد له بالصدق وينطق بأن قوله الحق قال كنت في صباي حسن الصورة بديع الخلقة لا تلمحني عين أحد الا ملكت قلبه وخلست خلبه وسلبت لبه وأطلت كربه فبينا أنا واقف على باب دارنا اذا بالوزير أبي بكر بن عمار

وقد كان يدعى لابس الصبر حازما * فأصبح يدعى حازما حين يجزع

وقول بكر بن النطاح

كأنك عند الكر فى حومة الوغى * تفر من الصف الذى من ورائكا

وقول أبى الطيب المتنبى وكأنه والطعن من قدامه * متخوف من خلفه أن يطعنا

(وأبو زياد الاعرابى) اسمه يزيد بن الحر الكلابى وقيل يزيد بن عبد الله بن الحر الكلابى قدم بغداد من البادية أيام المهدى لأمر أصاب قومه فأقام ببغداد أربعين سنة وكان العباس بن محمد يجرى عليه فى كل يوم رغيفا ثم قطعه فقال أبو زياد فى ذلك

فان يقطع العباس عنى رغيفه * فما فاتنى من نعمة الله أكثر

ومن شعره أراك الى كثبان يبرين شيقا * وهذا لعمرى لو قنعت كثيب

فأين الاراك الآن والايك والغضا * ومستخبر عمن أحب قريب

وصنف أبو زياد هذا كتاب النوادر وهو كتاب كبير فيه فوائد كثيرة وقال الصاحب جمال الدين أبو الحسن على بن القفطى رأيت من بعض نسخة المجلد الثالث عشر وهو آخر الكتاب وكان بخط بانوسة معلم بنى مقلة ووراقهم وله كتاب الفرق وكتاب الابل وكتاب خلق الانسان (وأشجع) هو ابن عمرو السلمى ويكنى أبا الوليد وهو من ولد الشريد بن مطرود السلمى تزوج أبوه امرأة من أهل اليمامة فشخص معها الى بلدها فولدت له هناك أشجع ونشأ باليمامة ثم مات أبوه فقدمت به أمه البصرة فطلب ميراث أبيه وكان له هناك مال فماتت بها ونشأ أشجع بالبصرة فكان من لا يعرفه يدفع نسبه ثم كبر وقال الشعر فأجاد وعد فى الفحول وكان الشعر يومئذ فى ربيعة واليمن ولم يكن لقيس شاعر معدود فلما نجم أشجع وقال الشعر افتخرت به قيس وأثبتت نسبه وكان له أخوان أحمد وحريث ابنا عمرو وكان أحمد شاعرا ولم يكن يقارب أشجع ولم يكن لحريث شعر ثم خرج أشجع الى الرقة والرشيد بها فنزل على بنى سليم فتلقوه وأكرموه ومدح البرامكة وانقطع الى جعفر خاصة وأصفاه مدحه فوصله بالرشيد ومدحه فأعجب به وأثرى وحسنت حاله فى أيامه وتقدم عنده (وحدث) أسد بن جديلة قال حدثنى أشجع السلمى قال شخصت من البصرة الى الرقة فوجدت الرشيد غازيا ونالتنى خلة فخرجت حتى لقيته منصرفا من الغزو وكنت قد اتصلت ببعض أهل داره فصاح صائح ببابه من كان ههنا من الشعراء فليحضر يوم الخميس فحضرنا سبعة وأنا ثامنهم فأمرنا بالبكور فى يوم الجمعة فبكرنا وأدخلنا فقدم واحد واحد منا ينشد على الاسنان وكنت أحدث القوم سنا وأرقهم حالا فما بلغ الى حتى كادت الصلاة أن تجب فقدمت والرشيد على كرسى وأصحاب الاعمدة بين يديه سماطين فقال لى أنشد فخفت أن أبتدئ فى أول قصيدتى بالنسيب فتجب الصلاة ويفوتنى ما أردت فتركت النسيب وأنشدته من موضع المديح فى قصيدتى التى أولها

تذكر عهد البيض وهو لها ترب * وأيام تصبى الغانيات ولا يصب

فابتدأت قولى فى المديح

الى ملك يستغرق المال جوده * مكارمه نهب ومعروفه سكب

وما زال هرون الرضا ابن محمد * له من مياه النصر مشربها العذب

متى تبلغ العيس المراسيل بابه * بنا فهنالك الرحب والمنزل الرحب

لقد جمعت فيك الظنون ولم يكن * بغيرك ظن يستريح له قلب

جمعت ذوى الاهواء حتى كأنهم * على منهج بعد افتراقهم ركب

بعثت على الاعداء أبناء دربة * فلم يقهم منهم حصون ولا درب

وما زلت ترميهم بهم متفردا * أنيسك حزم الرأى والصارم العضب

جهدت فلم أبلغ علاك بمدحة * وليس على من كان مجتهدا عتب

قد أقبل فى موكب زجل على فرس كالصخرة الصماء قدت من قنة الجبل فحين حاذانى ورآنى اشرأب الى ينظرنى وبهت يتأملنى ثم دفع بمخصرة كانت فى يده فى صدرى وأنشد

كف هذا النهد عنى * فبقلبى منه جرح

هو فى صدرك نهد * وهو فى صدرى رمح

(قال على بن ظافر) وذكر الفتح بن خاقان فى كتاب القلائد ما معناه قال أخبرنى ذو الوزارتين أبو المطرف ابن عبد العزيز أنه حضر عند المؤتمن بن هود فى يوم أجرى الجو فيه أشقر برقه ورمى ببندق ودقه وحلت الرياح فيه أوقار السحاب على أعناقها وتمايلت قامات الغصون فى الحلل الخضر من أوراقها والازهار قد تفتحت عيونها والكمائم قد ظهر مكنونها والأشجار

فضحك الرشيد ثم قال خفت أن يفوت وقت الصلاة وينقطع المديح عليك فبدأت به وتركت النسيب وأمرني أن أنشده النسيب فأنشدته اياه فأمر لكل واحد من الشعراء بعشرة آلاف درهم وأمر لي بضعفها (وحدث) قدامة بن نوح قال جلس جعفر بن يحيى بالصالحية يشرب على مستشرف له فجاءه اعرابي من بني هلال فشكا واستماح بلفظ فصيح وكلام مثله يعطف المسؤل فقال له جعفر بن يحيى أتقول الشعر يا هلالي قال كنت أقوله وأنا حدث أتملح به ثم تركته لما صرت شيخا قال فأنشدني لشاعركم حميد بن ثور فأنشده قوله لمن الديار بجانب الحبس * كمخط ذي الحاجات بالنقس

حتى أتى على آخرها فاندفع أشجع فأنشده مديحا قاله فيه على وزنها وقافيتها

ذهبت مكارم جعفر وفعاله * في الناس مثل مذاهب الشمس
ملك تسوس له المعالي نفسه * والعقل خير سياسة النفس
فاذا تراءته الملوك تراجعوا * جهر الكلام بمنطق همس
ساد البرامك جعفر وهم الأولى * بعد الخلائف سادة الانس
ماضر من قصد ابن يحيى راغبا * بالسعد حل به أم النحس

فقال له جعفر صف موضعنا هذا فقال

قصور الصالحية كالعذارى * لبسن ثيابهن ليوم عرس
مطلات على قصر كسته * أيادي الماء وشيا نسج غرس
اذا ما الطل أثر في ثراه * تنفس نوره من غير نفس
فتصبغه السماء بصبغ ورس * وتصبحه بأكؤس عين شمس

فقال جعفر للاعرابي كيف ترى يا هلالي صاحبنا قال أرى خاطره طوع لسانه وبيان الناس دون بيانه وقد جعلت له ما تصلني به قال بل نفردك يا أعرابي ونرضيه فأمر للاعرابي بمائة دينار ولأشجع بمائتي دينار (وحدث) أشجع قال كنت ذات يوم في مجلس بعض اخواني أتحدث وأنشد اذ دخل عليهم أنس بن أبي شيخ البصري صاحب جعفر بن يحيى فقام له جميع القوم غيري ولم أعرفه فأقوم له فنظر الي وقال من هذا الرجل فقيل أشجع السلمي الشاعر فقال أنشدني بعض شعرك فأنشدته فقال انك لشاعر فما يمنعك من جعفر بن يحيى فقلت ومن لي بجعفر بن يحيى فقال أنا فقل أبياتا ولا تطل فانه يمل الاطالة فقلت له لست بصاحب اطالة وقلت أبياتا على نحو ما رسم لي وصرت اليه فقال تقدمني الى الباب فلم يلبث ان جاء فدخل وخرج أبو ربح الهمداني صاحب جعفر بن يحيى فقال أشجع فقمت اليه فقال ادخل فدخلت فاستنشدني فأنشدته

وترى الملوك اذا رأيتهم * كل بعيد الصوت والجرس

الابيات المارة قريبا فأمر لي بعشرة آلاف درهم وكان أشجع يحب الثياب فكان يكتري الخلعة في كل يوم بدرهمين فيلبسها أياما ثم يكتري غيرها فيفعل بها مثل ذلك قال فابتعت ثيابا كثيرة بباب الكرخ فكسوت عيالي وعيال اخوتي حتى أنفقتها ثم أتيت المبارك مؤدب الفضل بن يحيى فقال أنشدني فأنشدته فقال ما يمنعك من الفضل بن يحيى قال أنا لك فأدخلني عليه فأنشدته

وما قدم الفضل بن يحيى مكانه * على غيره بل قدمته المكارم
لقد أرهب الاعداء حتى كأنه * على كل ثغر بالمنية قائم

فقال كم أعطاك جعفر قلت عشرة آلاف درهم فقال اعطوه عشرين ألفا (وحدث) داود بن مهلهل قال لما خرج جعفر بن يحيى ليصلح أمر الشام نزل في مضربه وأمر باطعام الناس فقام أشجع فأنشده

فئتان طاغية وباغية * جلت أمورهما عن الخطب
قد جاءكم بالخيل شازبة * ينقلن نحوكم رحى الحرب
لم يبق الا أن تدور بكم * قد قام هاديها على القطب

قد انصقلت عداوس القطر ونشرت ما يفوق ألوان البز وبثت ما يعلو أرواح العطر والراح قد أشرقت نجومها في بروج الرياح وحاكت شمسها شمس الافق فتلفعت بغيوم الاقداح ومديرها قد ذاب ظرفا فكاد يسيل من اهابه وأخجل خده حسنا فتكلل بعرق حبابه اذ فتى رومي من فتيان المؤتمن أقبل متدرعا كالبدر اجتاب هالا واتخذ الكواكب حبابا والطاووس انقلب تعبابا فهو ملك حسنا الا أنه جسد وغزال لينا الا أنه في هيئة أسد وقد جاء يريد استشارة المؤتمن في الخروج الى موضع قد عول فيه عليه وأمره أن يتوجه اليه فحين وصل الى حضرته لحما ابن عمار والسكر قد استحوذ على لبه وانبثت سراياه في نواحي قلبه فأشار اليه وقربه واستبدع ذلك اللباس

قال فأمر له بصلة ليست بالسنية وقال له دائم القليل خير من منقطع الكثير فقال له ونزر الوزير خير من جزيل غيره فأمر له بمثلها قال وكان يجرى عليه فى كل جمعة مائة دينار مدة مقامه ببابه (وحدث) اسحق الموصلى قال دخلت على الرشيد يوما وهو يخاطب جعفر بن يحيى بشئ لم أسمع ابتداءه وقد علا صوته فلما رآنى مقبلا قال لجعفر أترضى باسحق فقال جعفر والله ماتى عنه مطعن ان أنصف فقال لى أى شئ تروى للشعراء المحدثين فى الخمر أنشدنى من أفضل ما عندك وأشده تقدما فعلمت أنهما كانا يتماريان فى تقديم أبى نواس فعدلت عنه الى غيره لئلا أخالف أحدهما فقلت له لقد أحسن أشجع السلمى فى قوله

ولقد طعنت الليل فى أعجازه * بالكأس بين غطارف كالانجم
يتمايلون على النعيم كأنهم * قضب من الهندى لم تتثلم
وسعى بها الظبى الغرير يزيدها * طيبا ويغشمها اذا لم تغشم
والليل مشتمل بفضل ردائه * قد كان يحسر عن أغر أرثم
فاذا أدارتها الاكف رأيتها * تثنى الفصيح الى اللسان الاعجمى
وعلى بنان مديرها عقيانة * من كسبها وعلى فضول المعصم
تغلى اذا ما الشعريان تلظيا * صيفا وتسكن فى طلوع المرزم
ولقد فضضناها بخاتم ربها * بكرا وليس البكر مثل الايم
ولها سكون فى الاناء وخلفها * شغب يطوح بالكمى المعلم
تعطى على الظلم الفتى بقيادها * قسرا وتظلمه اذا لم تظلم

فقال لى الرشيد قد عرفت تعصبك على أبى نواس وانك عدلت عنه معتمدا ولقد أحسن أشجع ولكنه لا يقول أبدا مثل قول أبى نواس يا شقيق النفس من حكم * نمت عن ليلى ولم أنم
فقلت له ما علمت ما كنتما فيه يا أمير المؤمنين وانما أنشدت ما حضرنى فقال حسبك قد سمعت الجواب وكان فى اسحق تعصب على أبى نواس لشئ جرى بينهما (وحدث) اسحق قال اصطبح الواثق فى يوم مطير واتصل شربه وشربنا معه حتى سقطنا لجنوبنا صرعى وهو معنا على حالنا فما تحول أحد منا من مضجعه وخدم الخاصة يطوفون علينا ويتفقدوننا وبذلك أمرهم وقال لهم لا تحركوا أحدا منهم عن مضجعه فكان هو أول من أفاق منا فقام وأمر بانباهنا فانتبهنا وقمنا وتوضأنا وأصلحنا من شأننا وجئنا اليه وهو جالس وفى يده كأس وهو يروم شربها والخمار يمنعه فقال لى يا أبا اسحق أنشدنى فى هذا المعنى شيأ فأنشدته قول أشجع السلمى ولقد طعنت الليل فى أعجازه الى آخر الابيات فطرب وقال أحسن والله أشجع وأحسنت يا أبا محمد أعد بحياتى فأعدتها وشرب كأسه عليها وأمر لى بألف دينار (وحدث) على بن الجهم قال دخل أشجع على الرشيد وقد مات ابن له والناس يعزونه فأنشده

نقص من الدين ومن أهله * نقص المنايا من بنى هاشم
قدمته فاصبر على فقده * الى أبيه وأبى القاسم

فقال الرشيد ما عزانى أحد اليوم أحسن من تعزية أشجع وأمر له بصلة (وحدث) محمد بن على أن أشجع السلمى كتب الى الرشيد وقد أبطأ عنه شئ أمر له به

ألا أبلغ أمير المؤمنين رسالة * لها عنق بين الرواة فسيح
بأن لسان الشعر ينطقه الندى * ويخرسه الابطاء وهو فصيح

فضحك الرشيد وقال لن يخرس لسان شعرك وأمر بتعجيل صلته (وحدث) أشجع قال دخلت على الامين حين أجلس مجلس الادب للتعليم وهو ابن أربع سنين وكان يجلس فيه ساعة ثم يقوم فأنشدت

ملك أبوه وأمه من نبعة * فيها سراج الامة الوهاج
شربت بمكة فى ربى بطحائها * ماء النبوة ليس فيه مزاج

واستغربه وجد فى أن يستخرج تلك الدرة من ماء ذلك الدلاص وأن يجلى عنه سهكه كما يجلى الخبث عن الخلاص وأن يوفر على ذلك الوفر نعمة جسمه ويكون هو الساقى على عادته القديمة ورسمه فأمره المؤتمن بقبول أمره وامتثاله واحتذاء مثاله فحين ظهرت تلك الشمس من حجبها ورميت شياطين الهموس من كف المدام بشهبها ارتجل ابن عباد قوله

وهويته يسقى المدام كأنه * قمر يدور بكوكب فى مجلس
متناوح الحركات يبدى عطفه * كالغصن هزته الصبا بتنفس
يسقى بكأس فى أنامل سوسن * ويدير أخرى فى محاجر نرجس
يا حامل السيف الطويل نجاده * ومصرف الفرس القصير المحبس

قال فأمرت له زبيدة بمائة ألف درهم (وحدّث) سعيد بن زهير وأبو دعامة قالا كان انقطاع أشجع الى العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس فقال الرشيد للعباس يوما يا عم ان الشعراء قد أكثروا من مديح محمد بسببي وبسبب أم جعفر ولم يقل أحد منهم في المأمون شيأ وأنا أحب أن أقع على شاعر فطن ذكي يقول فيه فذكر العباس ذلك لأشجع وأمره أن يقول فيه فقال

بيعة المأمون آخذة * بعنان الحق في أفقه
أحكمت مرآته عقدا * تمنع المحتال في نفقه
لن يفك المرؤ ربقتها * أو يفك الدين من عنقه
وله من وجه والده * صورة تمت ومن خلقه

قالا فأتى العباس الرشيد وأنشده اياها واستحسنها وسأله لمن هي فقال هي لي فقال قد سررتني مرتين باصابتك ما في نفسي وبأنها لك وما كان لك فهو لي وأمر له بثلاثين ألف درهم فدفع الى أشجع منها خمسة آلاف درهم وأخذ باقيها لنفسه (وحدّث) علي بن الفضل السلمي قال أول ما نجم به أشجع اتصاله بجعفر بن المنصور وهو حدث وصله به أحمد بن يزيد السلمي وابنه عوف فقال أشجع في جعفر بن المنصور

اذكروا حرمة العواتك منا * يا بني هاشم بن عبد مناف
قد ولدنا كم ثلاث ولادا * ت خلطن الاشراف بالاشراف
مهدت هاشما نجوم قصيّ * من بني فالج بحور عفاف
ان أرماح بهثة بن سليم * لجحاف الاطراف غير عجاف
معشر يطعمون من ذروة الشو * ل ويسقون خمرة الاخلاف
يضربون الجبار في أخدعيه * ويسقونه نقيع الدعاف

فشاع شعره وبلغ المنصور ولم يزل يترقى الى أن وصلته زبيدة بعد وفاة أبيها وتزوجها الرشيد فأسنى جوائزه وألحقه بالطبقة العليا من الشعراء (وحدّث) مهدي بن سابق قال أعطى جعفر بن يحيى مروان بن أبي حفصة وقد مدحه ثلاثين ألف درهم وأعطى أبا البصير عشرين ألفا وأعطى أشجع وقد أنشده معهم ثلاثة آلاف وكان ذلك في أول اتصاله به فكتب اليه أشجع

أعطيت مروان الثلا * ثين التي دلت رعاثه
وأبا البصير روائعا * أعطيني معهم ثلاثه
ماخانني خود القريـ * ض ولا اتهمت سوى الحداثه

فأمر له بعشرين ألف درهم أخرى (وحدّث) محمد بن الحرث الخراز قال كانت لأشجع جارية يقال لها ريم وكان يجد بها وجدا شديدا فكانت تحلف له أنها ان بقيت بعده لم تتعرض لغيره وكان يذكرها في شعره فمن ذلك قوله من قصيدته التي يرثي بها الرشيد

وليس لأحزان النساء تطاول * ولكن أحزان الرجال تطول
فلا تبخلي بالدمع عني فان من * يضن بدمع في الهوى لبخيل
فلا كنت ممن يتبع الريح طرفه * دبورا اذا هبت صبا وقبول
اذا دار في أتبع الفيء طرفه * يميل مع الايام حيث تميل

وقال فيها أيضا

اذا غمضت فوقي جفون حفيرة * من الارض فابكيني بما كنت أصنع
تعزيك عني بعد ذلك سلوة * وان ليس فيما وارت الارض مطمع
اذا لم ترى شخصي وتغنيك ثروتي * ولم تسمعي مني ولا منك أسمع
فحينئذ تسلين عني وان يكن * بكاء فأقصى ما تبكين أربع
قليلا ورب البيت ياريم ما أرى * فتاة عن ولى به الموت تقنع
عن تدفعين الحادثات اذا رمى * عليك بها عام من الجدب يطلع
فيومئذ تدرين من قد رزئته * اذا جعلت أركان بيتك تنزع

اياك بادرة الوغى من فارس
خشن القناع على عذار أملس
جهم وان كشف القناع فانما
كشف الظلام عن النهار المشمس
يطغى ويلعب في دلال عذاره
كالمهر يلعب في اللجام المخرس
سلم فقد قصف القنا غصن النقا
وسطا بليث الغاب ظبي المكنس
عنا بكأسك قد كفتنا مقلة
حوراء قائمة بسكر المجلس
(وصنع فيه أيضا)
وأحور من ظباء الروم عاط
بسالفتيه من دمعي فريد
قسا قلبا وشن عليه ذرعا
فباطنه وظاهره حديد
بكيت وقد دنا ونأى رضاه
وقد يبكي من الطرب الجليد
وان فتى تملكه برق
وأحرز حسنه لفتى سعيد
(وبالاسناد المتقدّم) ذكر ابن بسام ان أبا العرب الصقلي حضر مجلس المعتمد

قال

قال فشكته الى أخيه أحمد بن عمرو فأجابه عنها بشعر نسبه اليها ومدح فيه الفضل أيضا فاختير شعره على شعر أخيه وهو

ذكرت فراقا والتفرق يصدع * وأى حياة بعد موتك تنفع
اذا الزمن الغدار فرق بيننا * فمالى فى طيب من العيش مطمع
ولا كان يوم يا ابن عمرو وليلة * يسدد فيها شملنا ويصدع
فألطم وجها فيك كنت أصونه * وأخشع مما لم أكن منه أخشع
ولا كان يوم فيه سوء رهبته * فتروى بجسمى الحادثات وتشبع
ولو أننى غيبت فى الترب لم تبل * ولم يرك الراؤون لى تتوجع
وهل رجل أبصرته متوجعا * على امرأة أو عينه الدهر تدمع
ولكنها مهما تولت بقل سوى * فتلك أخرى سوف أهوى وأتبع
ولو أبصرت عيناك مابى لأبصرت * صبابة حزن غيمها ليس يقشع
الى الفضل فارحل بالمديح فانه * منيع الحمى معروفه ليس يمنع
وزره تزر حلما وعلما وسوددا * وبأسا به أنف الحوادث يجدع
وأبدع اذا ماقلت فى الفضل مدحة * كما الفضل فى بذل المواهب يبدع

فى أبيات أخر قال فأنشدها أشجع الفضل وحدثه بالقصة فوصل أخاه وجاريته ووصله (وحدث) الحسين الجعفى قال كان أشجع اذا قدم بغداد ينزل على صديق له من أهلها فقدمها مرة فوجده قد مات والنوح والبكاء فى داره فجزع لذلك وبكى وأنشأ يقول

ويحها هل درت على من تنوح * أسقيم فؤادها أم صحيح
قبر أطبقوا عليه ببغدا * د ضريحا ماذا أجن الضريح
رحم الله صاحبي ونديمى * رحمة تغتدى وأخرى تروح

ودخل أشجع على الرشيد فى عيد الفطر فأنشده

استقبل العيد بعمر جديد * مدت لك الايام حبل الخلود
مصعدا فى درجات العلا * نجمك مقرون بسعد السعود
واطو رداء الشمس ماأطلعت * نورا جديدا كل يوم جديد
تمضى لك الايام ذا غبطة * اذا أتى عيد طوى عمر عيد

فأمر له بعشرة آلاف درهم وأمر أن يغنى بهذه الابيات (وحدث) محمد بن عبد الله بن مالك قال كان حرب بن عمرو الثقفى نخاسا وكانت له جارية مغنية وكان الشعراء والكتاب وأهل الادب ببغداد يختلفون اليها يستمعونها وينفقون فى منزله النفقات الواسعة ويبرونه ويهدون اليه فقال فيها أشجع

جارية تهتز أردافها * مشبعة الخلخال والقلب
أشكو الذى لاقيت من حبها * وبغض مولاها الى ربى
من بغض مولاها ومن حبها * سقمت بين البغض والحب
فاعتلجا فى الصدر حتى استوى * أمرهما فاقتسما قلبى
فجعل الله شفائى بها * وبجعل السقم الى حرب

وأخباره كثيرة وهذا القدر منها كاف (وحدث) ابن أشجع السلمى قال مر أبى وعماى أحمد ويزيد وقد شربوا حتى انتشوا بقبر الوليد بن عقبة والى جانبه قبر أبى زبيد الطائى وكان نصرانيا وكان أبو زبيد لما احتضر أوصى أن يدفن الى جنب الوليد بالبليخ والقبران مختلفان كل منهما متوجه الى قبلة أهل ملته قال فوقفوا على القبرين وجعلوا يتحدثون بأحاديثهما ويتذاكرون أخبارهما فأنشأ أبى يقول

مررت على عظام أبى زبيد * وقد لاحت ساقعة صلود

ابن عباد يوما وقد حمل اليه حمول وافرة من قرار يط الفضة فأمر له بكيسين منها وكان بين يديه تماثيل عنبر من جملتها جمل مرصع بالذهب واللآلئ فقال له أبو العرب معرضا مايحمل هذين الكيسين الا جمل فتبسم المعتمد وأمر له به فقال أبو العرب بديها

أجديتنى جملا جونا شفعت به * حملا من الفضة البيضاء لو حملا
نتاج جودك فى أعطان مكرمة * لاقد تعرف من منع ولا عقلا
فاعجب بشأنى فشأنى كله عجب * رفهتنى فحملت الحمل والجملا

فسارت بها الركائب وتهادته المشارق والمغارب (قال ابن بسام) وكان فى قصر المعتمد فيل من فضة على شاطئ بركة يقذف الماء وهو الذى

وكان له الوليد نديم صدق * فنادم قبره قبر الوليد
أنيسا ألفة ذهبا فأمست * عظامهما تأنس بالصعيد
وما أدري بمن تبدو المنايا * بأحمد أم بأشجع أم يزيد

قال فما تواوالله كما رتبهم بالشعر فكان أولهم أحمد ثم أشجع ثم يزيد

(الاخذ الخفي مع تشابه المعنيين)

﴿ولا يغنعك من أرب لحاهم * سواء ذو العمامة والخمار﴾
﴿ومن في كفه منهم قناة * كمن في كفه منهم خضاب﴾

البيت الاول لجرير من قصيدة من الوافر والأرب الحاجة واللحى بالضم والكسر جمع لحية وهي شعر الخدين والذقن والخمار بالكسر النصيف وهو ما ستر الرأس وكل ما ستر شيأ فهو خمار والمعنى لا يمنعك من الحاجة كون هؤلاء على صورة الرجال لان الرجال والنساء منهم سواء في الضعف والبيت الثاني لابي الطيب المتنبي من قصيدة من الوافر يمدح بها سيف الدولة ويذكر فيها حصوع بني كلاب وقبائل العرب له وأولها

بغيرك راعيا عبث الذئاب * وغيرك صارما ثلم الضراب
وتملك أنفس الثقلين طرا * فكيف تحوز أنفسها كلاب
وما تركوك معصية ولكن * يعاف الورد والماء السراب
طلبتهم على الأمواه حتى * تخوف أن تفتشه السحاب

وهي طويلة يقول فيها

ولكن ربهم أسرى اليهم * فما نفع الوقوف ولا الذهاب
ولا ليل أجن ولا نهار * ولا خيل حملن ولا ركاب
رميتهم ببحر من حديد * له في البر خلفهم عباب
فساهم وبسطهم حرير * وصبحهم وبسطهم تراب

وبعده البيت وبعده

بنو قتلى أبيك بأرض نجد * ومن أبقى وأبقته الحراب
عفا عنهم وأعتقهم صغارا * وفي أعناق أكثرهم سخاب
وكلكم أتى مأتى أبيه * فكل فعال كلكم عجاب
كذا فليسر من طلب الاعادي * ومثل سراك فليكن الطلاب

(والشاهد في البيتين) الاخذ الخفي مع تشابه المعنيين فتعبير جرير عن الرجل بذي العمامة كتعبير أبي الطيب عنه بمن في كفه قناة وكذا تعبير جرير عن المرأة بذات الخمار كتعبير أبي الطيب عنها بمن في كفه خضاب ومن الاخذ الخفي قول الطرماح

لقد زادني حبا لنفسي أنني * بغيض الى كل امرئ غير طائل
واني شقي باللئام ولا ترى * شقيا بهم الا كريم الشمائل

وقول أبي الطيب

واذا أتتك مذمتي من ناقص * فهي الشهادة لي بأني كامل

(نقل المعنى الى آخر)

﴿سلبوا وأشرقت الدماء عليهم * محمرة فكأنهم لم يسلبوا﴾
﴿يبس النجيع عليه وهو مجرد * من غمده فكأنما هو مغمد﴾

البيت الاول للبحتري من قصيدة من الكامل يمدح بها اسحق بن ابراهيم أولها

عارضننا أصلا فقلنا الربرب * حتى أضاء الاقحوان الاشنب
واخضر موشي البرود وقد بدا * منهن ديباج الخدود المذهب
أومضن من خلل السجوف فراعنا * برقان خال ما تشام وخلب
ولو انني أنصفت في حكم الهوى * ما شمت بارقه ورأسي أشيب

الى أن قال فيها

ما ان ترى الا توقد كوكب * من قونس قد غاب فيه كوكب
فجدل وموسد ومزمل * ومضرج ومضمخ ومخضب

يقول فيه عبد الجليل بن وهبون المرسي من بعض قصيدة

ويفرغ فيه مثل النصل بدمع * من الافيال لا يشكو ملالا
رعى رطب اللجين فجاء صلدا * تراه قل ما يخشى هزالا

خلس المعتمد يوما على تلك البركة والماء يجري من ذلك الفيل وقد أوقدت شمعتان من جانبيه والوزير أبو بكر ابن الملح عنده فصنع الوزير فيها عدة مقاطيع بديهاً منها

ومشعلين من الاضواء قد قرنا * بالماء والماء بالدولاب منزوف
لاحا العيني كالنجمين بينهما * خط المجرة ممدود ومعطوف

(وقال أيضا)

كأنما النار فوق الشمعتين سنا * والماء من نافذ الأنبوب منسكب

وبعده البيت وبعده

ولو انهم ركبوا الكواكب لم يكن * لمجدّهم من جذ بأسك مهرب

وهي طويلة ومعنى البيت أن الدماء المشرقة صارت بمنزلة الثياب عليهم وقد أخذ هذا المعنى السرى الرفاء فقال من قصيدة في سيف الدولة

لما تراءى لك الجمع الذى نزحت * أقطاره ونأت بعد اجوانبه
تركتهم بين مصبوغ ترائبه * من الدماء ومخضوب ذوائبه
فحائد وشهاب الرمح لاحقه * وهارب وذباب السيف طالبه
يهوى اليه بمثل النجم طاعنه * وينتضيه بمثل البرق ضاربه
يكسوه من دمه ثوبا ويسلبه * ثيابه فهو كاسيه وسالبه

وأصل هذا المعنى من قول بعض العرب

وفرقت بين ابنى هشيم بطعنة * لها عائد يكسو السليب ازارا

والبيت الثانى لابى الطيب المتنبى من قصيدة من الكامل أيضا يمدح بها شجاع بن محمد الطائى أولها

اليوم عهدكم فأين الموعد * هيهات ليس ليوم موعدكم غد
الموت أقرب مخلبا من بينكم * والعيش أبعد منكم لا تبعدوا
ان التى سفكت دمى بجفونها * لم تدر أن دمى الذى تتقلد
قالت وقد رأت اصفرارى من به * وتنهدت فأجبتها المتنهد
فمضت وقد صبغ الحياء بياضها * لونى كما صبغ اللجين العسجد
فرأيت قرن الشمس فى قمر الدجى * متأوّدا غصن به يتأوّد
عدوية بدوية من دونها * سلب النفوس ونار حرب توقد
وهواجل وصواهل ومناصل * وذوابل وتوعد وتهدد
أبلت مودتها الليالى بعدنا * ومشى عليها الدهر وهو مقيد
أبرحت يا مرض الجفون بممرض * مرض الطبيب له وعيد العوّد

وهي طويلة يقول فى مديحها

كن حيث شئت تسر اليك ركابنا * فالارض واحدة وأنت الأوحد
وصن الحسام ولا تذله فانه * يشكو يمينك والجماجم تشهد

وبعده البيت وبعده ريان لوقذف الذى أسقيته * لجرى من المهجات بحر مزبد

ماشاركته منية فى مهجة * الاوشفرته على يدها يد

والنجيع من الدم ما كان الى السواد وهو دم الجوف والغمد بالكسر جفن السيف (والشاهد فى البيتين) نقل المعنى الآخر المأخوذ الى محل آخر ففى بيت المتنبى أن الدم اليابس صار بمنزلة غمد السيف فنقل المعنى من القتلى والجرحى اليه

﴿ اذا غضبت عليك بنو تميم * حسبت الناس كلهم غضابا ﴾
﴿ وليس لله بمستنكر * أن يجمع العالم فى واحد ﴾

(قوله ومنه) أي ومن غير الظاهر أن يكون معنى الثانى شمول معنى الأول

البيت الاول لجرير من قصيدة من الوافر تقدم ذكر أولها فى شواهد الاستخدام ومنها قبل البيت

لنا حوض الحجيج وساقياه * ومن ورث النبوّة والكتابا
ألسنا أكثر الثقلين حيا * ببطن منى وأكثرهم قبابا

وبعده البيت وبعده فلا وأبيك ما لاقيت حيا * كيربوع اذا رفعوا النقابا

فغض الطرف انك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

غمامة تحت جنح الليل هامعة
فى جانبيها خفاق البرق مضطرب
(وقال أيضا)
وأنبوب ماء بين نار ن ضمنا
هدى الكؤوس الراح تحت الغياهب
كأن اندفاع الماء بالماء حية
يحركها فى الماء لمع الحباحب
(وقال أيضا)
كأن سراجى شربهم فى التطائها
وأنبوب ماء الفيل فى سيلانه
كريم تولى كبره من كليهما
لثيمان فى انفاقه بعذلانه
(قال على بن ظافر) خرج المعتصم بن صمادح صاحب المرية يوما الى بعض منتزهاته فحل بروضة قد سفرت عن وجهها البهيج وتنفست من مسكها الاريج وماست معاطف أغصانها وتكللت بلآلى الطل أجياد قضبانها فتشوّف الى الوزير

والمعنى ان بنى تميم يقومون مقام الناس كلهم والبيت الثانى لابى نواس من أبيات من السريع كتبها للرشيد مادحا الفضل بن الربيع وهى

قولا لهارون امام الهدى * عند احتفال المجلس الحاشد
نصيحة الفضل واشفاقه * اخلى له وجهك من حاسد
بصادق الطاعة ديانها * وواحد الغائب والشاهد
أنت على مابك من قدرة * فلست مثل الفضل بالواجد
أوجده الله فما مثله * لطالب ذاك ولا ناشد

وبعده البيت (حدث) سعيد بن حميد أن أباتمام الطائى دخل على ابن أبى دؤاد فقال له أحسبك غائبا يا أبا تمام فقال له انما تغيب على واحد وأنت الناس جميعا فكيف تغيب عنك فقال له ابن أبى دؤاد من أين أخذت هذه اللفظة فقال من قول الحاذق أبى نواس وأنشد البيت (والشاهد فى البيتين) مجىء معنى المأخوذ أشمل من معنى المأخوذ منه فان بيت جرير يخص بعض العالم وبيت أبى نواس يشمله وقد جاء فى معنى البيتين قول المتنبى نسقوا لنا نسق الحساب مقدما * وأتى فذلك اذ أتيت مؤخرا

وقوله أيضا مضى وبنوه وانفردت بفعله * وألف اذا ماجمعت واحد فرد
وقوله هدية مارأيت مهديها * الا رأيت العباد فى رجل
وقول الوزير المغربى حتى اذا ما أراد الله يسعدنى * رأيته فرأيت الناس فى رجل
وقول أبى الفرج الببغاء يميل الى المبالغة

واذا ما حللت فى بلدة فهو جميع الدنيا وأنت الانام

وقول ابن قلاقس من قصيدة

دعوتك فاحضر فليس الجميع اذا غبت لاغبت كالحضر
وقد جمع الله فيك الانام * وليس عليه بمستنكر

وقوله أيضا على الشهادة بالفضل البين له * كل المذاهب والآراء والملل
مدحته فدحت الناس قاطبة * لأننى منه ألقى الناس فى رجل

وقد ضمن القيراطى بيت أبى نواس فقال يهجو

تجمعت من نطف دأته * حتى بدا فى قالب فاسد ليس على الله بمستنكر * أن يجمع العالم فى واحد

ومثله ما أجاب به قابوس صاحب جرجان الصاحب ابن عباد حين هجاه بقوله

قد قبس القابسات قابوس * ونجمه فى السماء منحوس
وكيف يرجى الفلاح من رجل * يكون فى آخر اسمه بوس

وجواب قابوس من رام أن يهجو أبا القاسم * فقد هجا كل بنى آدم
لانه صور من مضغة * تجمعت من نطف العالم

ومثله لابى أحمد العروضى

لو كان يورث بالتشابه ميت * الملك بالأعضاء ما الاملاك
بغسل مختاله تخبر أنه * فى الناس من نطف الجميع مشبك

ومنه قول ابن المصيف ابن العلاءى له فقحة * شيعية تصبو الى القائم
أبخل من كلب ولكنه * بسرمه أجود من حاتم
كماه هجوا أنه واحد * صور من كل بنى آدم

ولقد أجاد أبو نعيم البزار الشاعر الواسطى بقوله

لقد كمل الرحمن شخصك فى الورى * فلا شان شيأ من كمالك بالنقص

أبى طالب بن غانم أحد وزراء دولته وسيوف صولته فكتب اليه بديها فى وريقة كرنب بعود من شجرة

أقبل أبا طالب الينا
واسقط سقوط الندى علينا
فنحن عقد بغير وسطى
مالم تكن حاضرا لدنيا

(وجلس) يوما وبين يديه ساقية قد أخمدت ببردها حر الأوار والتوى ماؤها التواء السوار فقال ارتجالا

انظر الى الماء كيف انحط فى صببه
كأنه أرقش قد جد فى هربه

(قال على بن ظافر) وذكر الفتح ما معناه قال خرج الوزراء بنو القنطرية الى المنية المسماة بالبديع وهو روض قد اخضرت مسارح نباته واخضلت مسارى هباته ودمعت بماء الطل عيون أزهاره

ومن جمع الآفاق فى العين قادر * على جمع أشتات الفضائل فى شخص
فانه زاد على أبى نواس بالمبالغة والتمثيل لان الانسان اذا فتح عينه رأى نصف العالم وكان الوزير مؤيد الدين ابن العلقمى أذاقه الله العلقم من زقوم جهنم قد طالع المستعصم فى شخص من أمراء الجبل يعرف بابن شرف شاه وقال فى آخر كلامه وهو المدبر فوقع المستعصم له

ولا تساعد أبدا مدبرا * وكن مع الله على المدبر

فكتب ابن العلقمى أبياتا فى الجواب منها

يا مالكا أرجو بحبى له * نيل المنى والفوز فى المحشر
أرشدتنى لازلت لى مرشدا * وهاديا من نورك الأنور
أبنت فى بيت هدى قلته * عن شرف فى بيتك الاطهر
فضلك فضل ماله منكر * ليس لضوء الشمس من منكر
ان يجمع العالم فى واحد * فليس لله بمستنكر

فقلب بيت أبى نواس فجعل عجزه صدرا والعلقمى هذا كان وزير المستعصم وكان هو الركن الاكبر فى مجىء التتار الى بغداد وخراب ذلك الاقليم وهدم ذلك الجناب العظيم فعليه من الله ما يستحقه

كون معنى المأخوذ نقيض معنى المأخوذ منه

(أأجد الملامة فى هواك لذيذة * حبا لذكرك فليلمنى اللوم)
(أأحبه وأحب فيه ملامة * ان الملامة فيه من أعدائه)

البيت الاول لابى الشيص من أبيات من الكامل وقبل البيت

وقف الهوى بى حيث أنت فليس لى * متأخر عنه ولا متقدم

وبعده البيت وبعده

أشبهت أعدائى فصرت أحبهم * اذ كان حظى منك حظى منهم
وأهنتنى وأهنت نفسى عامدا * ما من يهون عليك ممن يكرم

والبيت الثانى لابى الطيب المتنبى من قصيدة من الكامل يمدح بها سيف الدولة أولها

القلب أعلم يا عذول بدائه * وأحق منك بجفنه وبمائه
فومن أحب لأعصينك فى الهوى * قسما به وبحسنه وبهائه

وبعده البيت وبعده

عجب الوشاة من اللحاة وقولهم * دع ما براك ضعفت عن اخفائه
ما الخل الا من يود بقلبه * ويرى بطرف لا يرى بسوائه
ان المعين على الصبابة بالأسى * أولى برحمة ربها واخائه
مهلا فان العذل من أسقامه * وترفقا فالسمع من أعضائه
وهب الملامة فى اللذاذة كالكرى * مطرودة بسهاده وبكائه
لا تعذل المشتاق فى أشواقه * حتى يكون حشاك فى أحشائه
ان القتيل مضرجا بدموعه * مثل القتيل مضرجا بدمائه
والعشق كالمعشوق يعذب قربه * للمبتلى وينال من حوبائه
لو قلت للدنف الحزين فديته * مما به لأغرته بفدائه

وقد أخذ المتنبى قوله لا تعذل المشتاق فى أشواقه البيت من قول البحترى

اذا شئت أن لا تعذل الدهر عاشقا * على كمد من لوعة البين فاعشق

(والشاهد فى البيتين) كون معنى المأخوذ نقيض معنى المأخوذ منه فبيت أبى الطيب نقيض بيت أبى الشيص والاحسن فى هذا النوع أن يبين السبب كما فى هذين البيتين الا أن يكون ظاهرا كما فى قول أبى تمام

ونغمة معتف جدواه أحلى * على أذنيه من نغم السماع

وذاب على زبرجده بلور أنهاره وتجمعت فيه المحاسن المتفرقة وأضحت مقل الحوادث عنه مطروقة فخيول النسيم تركض فى ميادينه فلا تكبو ونصول السواقى تصول لحسم أدواء الشجر فلا تنبو والزروع قد ثقبت وجه الثرى وحجبت الارض عن العيون فلا تبصر ولا ترى وكان المتوكل بن أفطس يعده غاية الادب ويعده منبهة للطرب ومدفعة للكرب فبا توافيه ليلتهم يديرون ملح لهب ويتمنون فيه الخلود ويحسون ذوب ذهب لا يصهر به ما فى بطونهم حتى تركتهم ابنة الخابيه كأنهم أعجاز نخل خاويه فلما هزم دروى الصباح زنجى الظلام ونادى الديك حى على المدام انتبه كبيرهم أبو محمد مستعجلا وأنشد مرتجلا

وقول المتنبي والجراحات عنده نغمات * سبقت قبل سيبه بسؤال
أراد أبو تمام أن صوت السائل لعطاء ممدوحه أحلى وألذ على سمعه من نغمات السماع وألحان الغناء وأراد أبو الطيب أن عادة ممدوحه الاعطاء بغير سؤال فان سبقت نغمة من سائل عطاءه أثر ذلك فيه تأثير الجرح في المجروح وفي معنى بيت أبي تمام قول البحتري

نشوان يطرب للسؤال كأنما * غناه مالك طيئ أو معبد

وكذلك قول المتنبي كأن كل سؤال في مسامعه * قميص يوسف في أجفان يعقوب
وفي معناه قول أبي العلاء المعري

فما باح قري ولا هب عاصف * من الريح الا خاله صوت سائل

وقد أخذ بعض المغاربة بيت أبي الشيص فقال

هددت بالسلطان فيك وانما * أخشى صدودك لا من السلطان
أجد اللذاذة في الملام فلو درى * أخذ الرشا مني الذي يلحاني

وأصل هذا المعنى لابي نواس فانه قال

اذا غاديتني بصبوح عذل * فممزوجا بتسمية الحبيب
فاني لا أعد اللوم فيه * عليك اذا فعلت من الذنوب

وفي معناه قول الآخر

من ذم عاذله فاني شاكر للعذل سمعي لهم كالقلب من * ذكر الاحبة ممتلي
ما ضر في اغرائهم * بالعذل اذ لم أقبل تعب الملام عليهم * وحلاوة التذكار لي

ومنه قول ابن الرومي أيضا تلذ لي الملامة في هواه * لذكراه واستحلي أذاها
﴿وأبو الشيص﴾ اسمه محمد بن رزين بن سليمان بن تميم وهو عم دعبل الخزاعي وأبو الشيص لقب غلب عليه وكنيته أبو جعفر وكان من شعراء عصره متوسط المحل فيهم غير نبيه الذكر لوقوعه بين مسلم بن الوليد وأشجع السلمي وأبي نواس نخمل وانقطع الى أمير الرقة عقبة بن جعفر بن الاشعث الخزاعي فدحه بأكثر شعره وكان عقبة جوادا فاغناه عن غيره فقل ما روى له في غيره شعر وحكى عبد الله بن المعتز أن أبا خالد العامري قال له من أخبرك أنه كان في الدنيا أشعر من أبي الشيص فكذبه والله لكان الشعر أهون عليه من شرب الماء على العطشان وكان من أوصف الناس للشراب وأمدحهم للملوك وكان سريع الهاجس جدا فيما ذكر عنه ومن شعره في مدح أمير الرقة قوله

لا تنكري صدي ولا اعراضي * ليس المقل عن الزمان براض
شيآن لا تصبو النساء اليهما * حلي المشيب وحلة الانفاض
حسر المشيب قناعه عن رأسه * فرمينه بالصد والاعراض
ولربما جعلت محاسن وجهه * لجفونها غرضا من الاغراض

(يروى) عن أبي الشيص أنه قال لما أنشدت هذه القصيدة لعقبة بن جعفر أمر بأن تعد وأعطاني لكل بيت ألف درهم (وحدث) أحمد بن عبيد قال اجتمع مسلم بن الوليد وأبو نواس وأبو الشيص ودعبل في مجلس فقالوا لينشد كل واحد منكم أجود ما قاله من الشعر فاندفع رجل منهم فقال اسمعوا مني أخبركم بما ينشد كل واحد منكم قبل أن ينشد فقال لمسلم أما أنت يا أبا الوليد فكأني بك قد أنشدت

اذا ما علت منا ذؤابة واحد * وان كان ذا حلم دعته الى الجهل
هل العيش الا أن تروح مع الصبى * وتغدو صريع الكأس والاعين النجل

قال وبهذا البيت لقبه الرشيد صريع الغواني فقال له مسلم صدقت ثم أقبل على أبي نواس وقال له وكأني بك يا أبا علي قد أنشدت لا تبك ليلى ولا تطرب الى هند * واشرب على الورد من حمراء كالورد

يا شقيقي وافى الصباح بوجه
ستر الليل نوره وبهاؤه
فانتبه واغتنم مسرة يوم
ليس يدري بما يجي مساؤه
فانتبه أخوه أبو بكر لصوته
وتخوف لذهاب ذلك الوقت
وفوته وانتبه أخوهما أبو
الحسن وهو يرتجل
يا أخي قم ترى النسيم عليلا
باكر الراح والمدام الشمولا
لا تنم واغتنم مسرة يوم
ان تحت التراب نوما طويلا
فانتبه أخوه لكلامه
رافضا اللذة منامه للذة قيامه
وقال مرتجلا
يا صاحبي ذر الوحي ومعنتي
وبادر اقهوة من خير ما ذخرا
وبادر اغفلة الايام واغتنما
فاليوم خمر ونبدي في غد خبرا
(قال علي بن ظافر) وركب
الاستاذ أبو محمد بن صارة
مع أصحاب له في نهر أشبيلية
في عشية سال أصلها على
لجين الماء عقيانا وطارت
زوارقها في سماء الماء عقبانا

تسقيك من عينها خمرا ومن يدها * خمرا فمالك من سكرين من بد

فقال له صدقت ثم أقبل على دعبل فقال له يا أبا علي وكأني بك تنشد قولك أين الشباب وأية سلكا الابيات المارة في ايهام التضاد فقال له صدقت ثم أقبل على أبي الشيص فقال له وأما أنت يا أبا جعفر فكأني بك وقد أنشدت قولك لا تنكري صدى ولا اعراضي

الابيات السابقة قريبا فقال له لا ماهذا أردت أن أنشد ولا هذا بأجود شيء قلته قالوا فانشدنا ما بدا لك فأنشدهم الابيات الميمية السابقة فقال أبو نواس أحسنت والله وجودت وحياتك لأسرقن هذا المعنى منك ثم لأغلبنك عليه فيشتهر ما أقول ويموت ما قلت قال فسرق أبو نواس قوله وقف الهوى بي البيت سرقا خفيا فقال في الخصيب فما جازه جود ولا حل دونه * ولكن يسير الجود حيث يسير

فسار بيت أبي نواس وسقط بيت أبي الشيص (وحدث) رزين بن علي الخزاعي أخو دعبل قال كنا يوما عند أبي نواس أنا ودعبل وأبو الشيص ومسلم بن الوليد الانصاري فقال أبو نواس لابي الشيص أنشدني قصيدتك الخزية قال وما هي قال الضادية فأخطر بخلدي قولك ليس النقل عن الزمان براض الأخز بتك استحسانا لها فان الاعشى كان اذا قال قصيدة عرضها على ابنته وكان قد ثقفها وعلمها ما بلغت به استحقاق التحكيم والاختيار لجيد الكلام ثم يقول لها اعدي الخزيات فتعد قوله

أغر أروع يستسقى الغمام به * لو قارع الناس عن أحسابهم قرعا

وما أشبه ذلك من شعره فقال أبو الشيص لا أفعل انها ليست عندي عقد در مفصل ولكني أكاثر بغيرها ثم أنشده الابيات الميمية المذكورة أيضا فقال له أبو نواس قد أردت صرفك عنها فأبيت ان تخلي عن سلبك أوتدرك في هربك قال بل اتركك في طلبي فكيف ترى أنت هذا الطراز فقال أرى غطا خسر وانيا مذهبا حسنا فكيف تركت قولك في رداء من الصفيح صقيل * وقميص من الحديد مذال

قال تركته كما تركت مختار الدر بين احداهما سبق في خاطره وزين في ناظره قال ابن فضل الله رأيت بخط الفاضل كمال الدين أبي العباس أحمد بن العطار الشيباني الكاتب رحمه الله تعالى ما صورته ذكر أن أبا الشيص كان لو قيل له ابن من أنت لقال وقف الهوى بي البيت ولو قيل لشهاب الدين التلعفري ابن من أنت لقال هذا العذول عليكم مالي وله ثم قال وهذه القصيدة مشهورة سيارة دائرة محفوظة على ألسنة العالم وعارضها جماعة من معاصريه فلم يتفق لهم ما اتفق له فيها انتهى (أقول) ولا بأس بذكر طرف منها ليعلم صدق مقاله قال هذا العذول عليكم مالي وله * أنا قد رضيت بذا الغرام وذله

الى أن يقول فيها أألومكم في هجركم وصدودكم * ماهذه في الهجر منكم أوله

قسما بكم قد صرت مما أشتكي * حتى الدجى وعدمته ما أطوله

يا سائلي عن شرح حالي في الهوى * ترك الجواب جواب هذي المسأله

يا راحلين وفي أكلة عيسهم * رشأ عليه حشى المحب مقلقله

أسرت له العشاق نظرة وجنة * بسوى اللواحظ لا تبيت مقبله

لو لم يصب صدغيه عارض خده * ما أصبحت في سالفيه مسلسله

وقد استعمل هذا المعنى أيضا فقال

هب أن خدك قد أصيب بعارض * ما بال صدغك راح وهو مسلسل

(رجع الى أخبار أبي الشيص) وحدث موسى بن معروف الاصفهاني قال دخل أبو الشيص على أبي دلف وهو يلاعب خادما له بالشطرنج فقال له يا أبا الشيص سل هذا الخادم أن يحل ازرار قميصه فقال الامير أعزه الله أحق بمسألته قال قد سألته فزعم انه يخاف العين على صدره فقل فيه شيأ فقال

وشادن كالبدر يحلو الدجى * في الفرق منه المسك مذرور

يحاذر العين على صدره * فالجيب منه الدهر مزرور

وأبدى نسيمها من الامواج والدارات سررا وأعكانا في زورق يجول جولان الطرف ويسود اسوداد الطرف فقال بديها

تأمل حالنا والجو طلق * محياه وقد طفل المساء

وقد جالت بنا عذراء حبلى * تجاذب مرطها ريح رخاء

بنهر كالسجنجل كوثري * تعبس وجهها فيه السماء

(واتفق) ان وقف أبو اسحق ابن خفاجة على القطعة فاستظرفها واستطابها فقال يعارضها على وزنها ورويها وطريقها فأنشد

ألا يا حبذا ضحك الحبا * بحانتها وقد عبس المساء

وأدهم من جياد الماء نهد * تنازع جبله ريح رخاء

اذا بدت الكواكب فيه غرقى * رأيت الارض تحسدها السماء

(وذكر ابن خفاجة في ديوان شعره) وقد أنبأني به ذو النسبتين الحافظ أبو

فقال أبودلف وحياتي لقد أحسنت وأمر له بخمسة آلاف درهم فقال الخادم قد أحسن والله كما قلت ولكنك أنت ما أحسنت فضحك وأمر له بخمسة آلاف درهم أخرى (وحدّث) عليّ بن سعيد الشيباني قال تعشق أبو الشيص قينة لرجل من أهل بغداد فكان يختلف اليها وينفق عليها في منزل الرجل حتى أتلف مالا كثيرا فلما كف بصره وأخفق جعل اذا جاء الى مولى الجارية تجبه ومنعه من الدخول فجاءني أبو الشيص وشكى اليّ وجده بالجارية واستخفاف مولاها به وسألني المضيّ معه اليه فمضيت معه اليه فاستؤذن لنا عليه فأذن لنا فدخلت أنا وأبو الشيص فعاتبته في أمره وعظمت عليه حقه وخوّفته من لسانه ومن اخوانه فجعل له يوما في الجمعة يزورها فيه فكان يأكل في بيته ويحمل معه نبيذه ونقله فمضيت معه ذات يوم اليها فلما وقفنا على بابهم سمعنا صراخا شديدا من الدار فقال لي ما لها تصرخ أتراه قدماتت لعنه الله فما زلنا ندق الباب حتى فتح لنا واذا هو قد حسر كميه وبيده سوط وقال لنا ادخلا فدخلنا وانما جعله على الاذن لنا الفرق مني فدخلنا وعاد الرجل الى داخل يضربها فاستمعنا عليه وأطلعنا فاذا هي مشدودة على سلم وهو يضربها أشد الضرب وهي تصرخ وهو يقول لها وأنت أيضا فاسرقي الخبز فاندفع أبو الشيص في المكان على الحال يقول في ذلك

يقول والسوط على كفه * قد خرّق جلدتها اخزا وهي على السلم مشدودة * وأنت أيضا فاسرقي الخبزا

قال وجعل أبو الشيص يردّدهما فسمعهما الرجل فخرج الينا مبادرا وقال له أنشدني البيتين اللذين قلتهما فدافعه فحلف انه لا بدّ من انشادهما فأنشده اياهما فقال لي يا أبا الحسن أنت كنت شفيع هذا وقد أسعفتك بما تحب فان أشاع هذين البيتين فضحني فقل له يقطع هذا ولا يشيعهما وله عليّ يومان في الجمعة ففعلت ذلك ووافقته عليه فلم يزل يتردّد اليه يومين في الجمعة حتى مات (وحدّث) علي بن محمد النوفليّ عن عمه قال كان أبو الشيص صديقا لمحمد بن اسحق بن سليمان الهاشميّ وهما حينئذ معاقان فنال محمد بن اسحق مرتبة عند سلطانه فجفا أبا الشيص وتغير له فكتب اليه

الحمد لله رب العالمين على * قربي وبعدك مني يا ابن اسحق
ياليت شعري متى تجدي عليّ وقد * أصبحت ربّ دنانير وأوراق
تجدي عليّ اذا ما قيل من راق * والتفت الساق عند الموت بالساق
يوم لعمري تهمّ الناس أنفسهم * وليس تنفع فيه رقية الراقي

(وحدّث) أحمد بن عبد الرحمن الكاتب عن أبيه قال كانت لأبي الشيص جارية سوداء اسمها تبر وكان يتعشقها وفيها يقول لم تنصفي يا سمية الذهب * تتلف نفسي وأنت في لعب
يا ابنة عم المسك الزكيّ ومن * لولاك لم يتخذ ولم يطب
ناسبك المسك في السواد وفي الريح فأكرم بذاك من نسب

ومن لطيف شعره قوله وقائلة وقد بصرت بدمع * على الخدّين منحدر سكوب
أتكذب في البكاء وأنت خلو * قديما ما جسرت على الذنوب
قميصك والدموع تجول فيه * وقلبك ليس بالقلب الكئيب
نظير قميص يوسف حين جاؤا * على ألبابه بدم كذوب
فقلت لها فداك أبي وأمي * رجمت بسوء ظنك في الغيوب
أما والله لو فتشت قلبي * لسرّك بالعويل وبالنحيب
دموع العاشقين اذا تلاقوا * بظهر الغيب ألسنة القلوب

وعمي أبو الشيص في آخر عمره وله مراث في عينيه قبل ذهابهما وبعده (فحدّث) محمد بن القاسم بن مهرويه قال أنشدت ابراهيم بن المدبر أبيات أبي يعقوب الخزيمي التي يرثي بها عينيه يقول فيها

اذا ما مات بعضك فابك بعضا * فان البعض من بعض قريب

الخطاب بن دحية اجازة قال صاحبت في دهري من الغرب سنة ثلاث وثمانين أبا محمد عبد الجليل بن وهبون شاعر المعتمد وكان أبو حفص بن رشيق يومئذ قد تمنع ببعض حصون مرسية وشرع في الشقاق وقطع السبيل واخافة الطريق ولما حاذينا قلعته وقد احتدمت جرة الهجير وصل الراكب رسيمه وذميله وأخذ كل منا يرتاد مقيله اتفقنا على أن لا نطعم طعاما ولا نذوق مناما حتى نقول في صورة تلك الحال وذلك الترحال ما حضر وشاء الله أن أجبل ابن وهبون فاعتذر فقلت أريض نار تزونه وأعرض بعظيم لحيته
ألا قل للمريض القلب مهلا * فان السيف قد ضمن الشفاء
ولم أر كالنفاق شكاه حرّ * ولا كدم الوريد له دواء
وقد دحي النجيع هناك أرضا * وقد سمك العجاج به سماء

فانشدني

وأنشدنى لابى الشيص يبكى عينيه

يانفس ابكى بأدمع هتن * وواكف كالجمان فى سنن
على دليلى وقائدى ويدى * ونور وجهى وسائس البدن
أبكى عليها بها مخافة أن * تقرننى والظلام فى قرن

(وقال أبو هفان) حدثنى دعبل أن امرأة لقيت أبا الشيص فقالت يا أبا الشيص عميت بعدى فقال قبحك الله دعوتنى باللقب وعيرتنى بالضرر (وحدث) أبو العباس بن الفرات قال كنت أسير مع عبيد الله بن سليمان فاستقبله جعفر بن حفص على دابة هزيلة وخلفه غلام له شيخ على بغل له هرم ومافيهم الا نضو فأقبل علىّ عبيد الله بن سليمان فقال كأنهم والله صفة أبى الشيص حيث يقول

أكل الوجيف لحومها ولحومهم * فأتوك أنقاضا على أنقاض

وكانت وفاة أبى الشيص سنة ست وتسعين ومائة مقتولا (حدث) عبد الله بن الاعمش قال كان أبو الشيص عند عقبة بن جعفر بن الاشعث الخزاعى يشرب مع خادم له فلما ثمل نام عنده ثم انتبه فى بعض الليل فذهب يدب الى خادم لعقبة فوجأه بسكين فقال له ويحك قتلتنى والله وما أحب أن أفتضح وأنى قتلت فى مثل هذا ولا تفتضح أنت بى ولكن خذ دستيجة فاكسرها ولوثها بدمى واجعل زجاجها فى الجرح فاذا سئلت عنى فقل انى سقطت فى سكرى على الدستيجة فانكسرت فقتلتنى ومات من ساعته ففعل الخادم ما أمره به ودفن أبو الشيص وجزع عقبة عليه جزعا شديدا فلما كان بعد أيام سكر الخادم وتحدث بما كان فصدق عقبة الخبر وانه هو الذى قتله فلم يلبث عقبة أن قام اليه بسيفه فلم يزل يضربه حتى قتله

(وترى الطير على آثارنا * رأى عين ثقة أن ستمار)
(وقد ظللت عقبان أعلامه ضحى * بعقبان طير فى الدماء نواهل)
(أقامت مع الرايات حتى كأنها * من الجيش الا انها لم تقاتل)

أخذ بعض معنى الثانى منه واضافة ماعيبه اليه

البيت الاول للافوه الاودى من قصيدة من الرمل أولها

ان ترى رأسى فيه نزع * وشواتى خلة فيها دوار

يقول فيها

انما نعمة قوم متعة * وحياة المرء ثوب مستعار
حتم الدهر علينا أنه * ظلف ما نال منا وجبار

ظلف باطل وجبار هدر وهذه القصيدة من جيد شعر العرب وهى التى نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن انشادها لما فيها من ذكر اسمعيل عليه السلام واياه عنى بقوله فيها

ريشت جرهم بالافرى * جرهما منهن فوق وغرار

والبيتان الاخيران لابى تمام من قصيدة من الطويل يمدح بها المعتصم والافشين وأولها

غدا الملك معمور الحوا والمنازل * منور وحف الروض عذب المناهل
بمعتصم بالله أصبح ملجأ * ومعتصما حرز الكل موائل
لقد ألبس الله الامام فضائلا * ووالى طرفيها باللهى والفواضل
فأضحت عطاياه نوازع شردا * تسائل فى الآفاق عن كل سائل
مواهب جن الارض حتى كأنما * أخذن بأهداب السحاب الهواطل

ومنها فى مديح الافشين

شهدت أمير المؤمنين شهادة * كثير ذووتصديقها فى المحافل
لقد لبس الافشين قسطلة الوغى * محشا بنصل السيف غير موا كل
وجرد من آرائه حين أضرمت * به الحرب حدا من حدود المناصل
وثارت به بين القبائل والقنا * عزائم كانت كالقنا والقنابل

ودس به انحطاطا بطن واد قد اعشب شعر لحيته ضراء (قال ابن خفاجة) وحضرت يوما مع أصحاب لى ومعهم صبى متهم فى نفسه واتفق انهم تباروا فى تفضيل الرمان على العنب فانبرى ذلك الصبى فأفرط فى تفضيل العنب فقلت بديها أعبث به

صلى لك الخير برمانة
لم تنتقل عن كرم العهد
لا عنب أمص عنقوده
ثديا كأنى بعد فى المهد
وهل ترى بينهما نسبة
من عدل الحصية بالنهد
فخجل خجلا شديدا وانصرف (قال) وخرجت يوما بشاطبة الى باب الشمارين ابتغاء الفرجة على خرير الماء بتلك الساقية وذلك سنة ثمانين وأربعمائة واذا بالفقيه أبى عمران بن أبى تليد رحمه الله قد سبقنى الى ذلك فألفيته جالسا على دكان كانت هنالك

رأى بابك منه التى لا ثمرا لها * سوى سلم ضيم أو صفيحة قاتل
تراه الى الهيجاء أول راكب * وتحت ضبير الموت أول نازل
تسربل سربالا من الصبر وارتدى * عليه بعضب فى الكريهة فاصل

وبعده البيتان والنواهل جمع ناهلة من نهل اذا روى والرايات الأعلام (ومعنى البيت الاول) انك ترى الطير كائنة على آثار الوثوقها واعتمادها أن سنطعمها من لحوم من نقتلهم من أعدائنا (ومعنى البيتين الاخيرين) أن رايات الممدوح التى هى كالعقبان قد صارت مظللة بالعقبان من الطيور النواهل فى دماء القتلى لانه اذا خرج للغزو تسير العقبان فوق راياته لأكل لحوم القتلى فتلقى ظلالها عليها والعقاب يطلق على الراية الضخمة قال الشاعر

وهو اذا الحرب هفا عقابه * من جر حرب تلتظى حرابه

وقال الآخر ورب ظل عقاب قد وقيت به * مهرى من الشمس والابطال تجتلد

(والشاهد فى الابيات) أن يؤخذ بعض معنى المأخوذ منه و يضاف اليه ما يحسنه فان أبا تمام لم يلم بشئ من معنى قول الأفوه رأى عين ولا قوله ثقة أن ستمار لكنه زاد عليه زيادات محسنة لبعض المعنى الذى أخذه بقوله الا انها لم تقاتل و بقوله فى الدماء نواهل و بقوله أقامت مع الرايات حتى كأنها من الجيش وبهذه الزيادة يتم حسن قوله الا أنها لم تقاتل لانه لوقيل ظللت عقبان الرايات بعقبان الطير الا انها لم تقاتل لم يحسن هذا الاستثناء المنقطع ذلك الحسن لان اقامتها مع الرايات حتى كأنها من الجيش مظنة انها أيضا تقاتل مثل الجيش فيحسن الاستدراك الذى هو رفع التوهم الناشئ من الكلام السابق بخلاف وقوع ظلها على الرايات وماذكر فى الابيات من أن الطير تتبع جيشه لتغتذى بما يقتل من أعدائه معنى متداول بين الشعراء وأول من نطق به الأفوه هذا ومنه قول النابغة فى القصيدة السابقة فى تأكيد المدح بما يشبه الذم

اذا ما غزوا بالجيش حلق فوقهم * عصائب طير تهتدى بعصائب
يصاحبنهم حتى يغزن مغازهم * من الضاريات بالدماء النوائب
تراهن خلف القوم خزرا عيونها * جلوس الشيوخ فى ثياب المرانب
جوانح قد أيقن أن قبيله * اذا ما التقى الجمعان أول غالب
لهن عليهم عادة قد عرفنها * اذا عرض الخطى فوق الكتائب

وقول أبى نواس
واذا مج القنا علقا * وتراءى الموت فى صوره
راح فى ثنى مفاضته * أسد يدمى شباظفره
تتأيا الطير غدوته * ثقة بالشبع من جزره

ولما سمع محمود الوراق أبا نواس ينشد هذه الابيات قال ما تركت للنابغة شيأ حيث يقول اذا ما غزوا وأنشد الابيات فقال له أبو نواس أسكت فان كان أحسن الابتداع فما أسأت الاتباع وتبع أبا نواس مسلم فقال
قد عود الطير عادات وثقن بها * فهن يتبعنه فى كل مرتحل

ومن هذا المعنى قول حميد بن ثور الهلالى يصف ذئبا

اذا ما غدا يوما رأيت غيابه * من الطير ينظرن الذى هو صانع

ومنه قول مروان بن أبى الجنوب يمدح المعتصم

لا تشبع الطير الا فى وقائعه * فأينما سار سارت خلفه زمرا
عوارفا أنه فى كل معترك * لا يغمد السيف حتى يكثر الجزرا

وأخذه بكر بن النطاح فقال

وترى السباع من الجوا * رح فوق عسكرنا جوانح

مبنية لهذا الشأن فسلمت عليه وجلست اليه متأنسا به فجرى أثناء ما تناشدناه ذكر قول ابن رشيق
يامن يمر ولا تمر
ر به القلوب من الفرق
بعمامة من خده
أو خده منها استرق
فكأنه وكأنها
قمر تعمم بالشفق
فاذا بدا واذا انثنى
واذا رنا واذا انطلق
شغل الخواطر والجوا
رح والمسامع والحدق
(فقلت) وقد أعجب بها جدا وأثنى عليها كثيرا أحسن ما فى القطعة سياقة الاعداد والاستنزال لكنه قد استرسل فلم يقابل بين أطراف البيت الاخير والبيت الذى قبله فينزل بازاء كل واحد منها ما يلائمه وهل ينزل بازاء قوله واذا انطلق قوله شغل الحدق وكأنه نازعى القول فى أن

ثقة بأن الاتزا * ل تميرساغبها الذبائح

وأخذه ابن جهور فقال ترى جوارح طير الجو فوقهم * بين الاسنة والرايات تختفق

وأخذه آخر فقال ولست ترى الطير الحوائم وقعا * من الارض الا حيث كان مواقعا

ومنه قول الكميت بن معروف

وقد سترت أسنته المواصي * حدى الجو وازخم السغاب

ومنه قول بعضهم والطير ان سار سارت فوق موكبه * عوارفا انه يسطو فيقريها

وقد أحسن المتنبي بقوله له عسكرا خيل وطير اذا رمى * بها عسكرا لم تبق الا جماجمه

وله في قريب منه يطمع الطير فيهم طول أكلهم * حتى تكاد على أحيائهم تقع

وقد أشار الى هذا المعنى أبو فراس بقوله

وأظمأ حتى ترتوى البيض والقنا * وأسغب حتى يشبع الذئب والنسر

ومنه قول ابن شهيد الاندلسى

وتدرى سباع الطير أن كماته * اذا لقيت صيد الكماة سباع

تطير جياعا فوقه وتردها * ظباه الى الاوكار وهي شباع

وقد يقع اتفاق الشاعرين فى اللفظ والمعنى جميعا أو فى المعنى وحده ويكون ذلك من قبيل توارد الخاطر كما يحكى أن سليمان بن عبد الملك أتى بأسارى من الروم وكان الفرزدق حاضرا فأمره سليمان أن يضرب عنق واحد منهم فاستعفى فما أعفى وقد أشير الى سيف غير صالح للضرب فلم يستعمله وقال انما أضرب بسيف أبى رغوان سيف مجاشع يعنى سيفه ثم ضرب به الرومى فنبا السيف فضحك سليمان ومن حوله فقال الفرزدق أيعجب الناس أن أضحكت سيدهم * خليفة الله يستسقى به المطر

لم ينب سيفى من رعب ولا دهش * عن الاسير ولكن أخر القدر

وان يقدم نفسا قبل ميتتها * جمع اليدين ولا الصمصامة الذكر

ثم أغمد سيفه وهو يقول ماان يعاب سيد اذا صبا * ولا يعاب صارم اذا نبا

ثم جلس يقول كأنى بابن المراغة يعنى جريرا وقد هجانى فقال

بسيف أبى رغوان سيف مجاشع * ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم

وقام فانصرف وحضر جرير فأخبر الخبر ولم ينشد الشعر فأنشأ يقول البيت بحروفه وزاد

ضربت به عند الامام فأرعشت * يداك وقالوا محدث غير صارم

فأعجب سليمان ماشاهد ثم قال جرير يا أمير المؤمنين كأنى بابن القين يعنى الفرزدق قد أجابنى فقال

ولا نقتل الاسرى ولكن نفكهم * اذا أثقل الاعناق حمل المغارم

ثم حضر الفرزدق فأخبر بالهجو دون ماعداه فقال مجيبا

كذاك سيوف الهند تنبو ظباتها * وتقطع أحيانا مناط التمائم

ولا نقتل الاسرى ولكن نفكهم * اذا أثقل الاعناق حمل المغارم

وهل ضربة الرومى جاعلة لكم * أبا من كليب أو أخا مثل دارم

ويضارع هذا ما يحكى أن المهدى أتى بأسرى من الروم فأمر بقتلهم وكان عنده شبيب بن شيبة فقال له اضرب عنق هذا العلج فقال يا أمير المؤمنين قد علمت ما ابتلى به الفرزدق فعير به قومه الى اليوم فقال انما أردت تشريفك وقد أعفيتك وكان أبو الهول الشاعر حاضرا فأنشد

جزعت من الرومى وهو مقيد * فكيف اذا لاقيته وهو مطلق

دعاك أمير المؤمنين لقتله * فكاد شبيب عند ذلك يفرق

فنحّ شبيبا عن قراع كتيبة * وأدن شبيبا من كلام يلفق

هذا غاية الجهل فقلت بديها ومهفهف طاوى الحشى خنث المعاطف والنظر ملأ العيون بصورة تليت محاسنها سور فاذا رنا واذا مشى واذا شدا واذا سفر فضح الغزالة والغمامة والحمامة والقمر (قال على بن ظافر) والقطعة الاولى ليست لابن رشيق بل هى لابى الحسن بن على بن بشر الكاتب أحد شعراء اليتيمة (وبالاسناد المتقدم) ذكر ابن بسام أن أباعبد الله ابن أبى الخصال وقف بباب بعض القضاة واستأذن عليه فحجبه فكتب اليه بديها جنابك للحاجة المطول صاحبها أمت تمير الاحوال فى بوس وقد وقفنا ط يلا عندبابكم ثم افترقنا على رأى ابن عبدوس أشار بهذا القول الى قول

(ومن) توارد الخواطر ما يحكى عن ابن ميادة أنه أنشد يوما لنفسه

مفيد ومتلاف اذا ما أتيته * تهلل واهتز اهتزاز المهند

فقيل له أين يذهب بك هذا للحطيئة فقال الآن علمت أني شاعر اذ وافقته على قوله ولم أسمعه ومنه ما حكى الصفي الحلي أنه نظم بيتا من جملة أبيات وهو

تهوى مواضيك الرقاب كأنما * من قبل كان حديدها أغلالا

ثم ذكر أنه سمع بعد ذلك بيتا لا يعلم قائله وهو

تهوى الرقاب مواضيها فتحسبها * تود لو أصبحت اغلالا من أسرا

فأسقط بيته الذي نظمه ثم انه نظمه بعد ذلك في بديعيته فقال

تهوى الرقاب مواضيهم فتحسبها * حديدها كان اغلالا من القدم

ولنذكر من أخذ المتأخرين بعضهم من بعض ما يحلو في الاذواق وتحلى به الاوراق فمن ذلك قول القاضي الفاضل في مليح معذر

وكنت وكنا والزمان مساعد * فصرت وصرنا وهو غير مساعد

وزاحمني في ورد ريقك شارب * ونفسي تأبى شركها في الموارد

أخذه العز الموصلي فقال

لقد كنت لي وحدي ووجهك روضتي * وكنا وكانت للزمان مواهب

فعارضني في ورد خدك عارض * وزاحمني في ورد ثغرك شارب

وقول ابن سناء الملك

وفي القلب تصديع وفي الوصل جبره * وفي الخد دينار وفي الجفن كسره

أخذه ابن نباتة فقال

في خده وجفونه * للحسن دينار وكسر

وقد تلاعب الشعراء بهذا المعنى الى أن وصل للمعمار فقال

كم حوى جفني معنى * قلت ألفا وكسورا

وقول السراج الوراق يا ساكنا قلبي على أنه * بوجده في قلق دائب

قلبي من خوف النوى واجب * وأنت لم تخرج عن الواجب

أخذ ابن نباتة نكتة الواجب وسبكها في قالب آخر فقال في رامي بندق

أسعدها بالقرى برزة * سعيدة الطالع والغارب

صرعت طيرا وسكنت الحشى * فما تعديت عن الواجب

وقول أبي الحسين الجزار وكتب به الى بعض الرؤساء يستدعي قطرا

أيا علم الدين الذي جود كفه * براحته قد أخجل الغيث والبحرا

لئن أمحلت أرض الكنافة انني * لأرجو لها من سحب راحتك القطرا

فتحلى ابن نباتة بهذا القطر فقال

لجود قاضي القضاة أشكو * عجزي عن الحلو في صيامي

والقطر أرجو ولا عجيب * للقطر يرجى من الغمام

وقول محيي الدين بن عبد الظاهر

شكرا لنسمة أرضكم * كم بلغت عني تحيه لا غرو أن حفظت أحا * ديث الهوى فهي الذكيه

أخذه الصلاح الصفدي فقال

يا طيب نشر هب لي من أرضكم * فأثار كامن لوعتي وتهتكي

أهدى تحيتكم وأشبه لطفكم * وروى شذا كم ان ذا لنشر ذكي

وأشار الى هذه السرقة ابن أبي حجلة فقال

الوزير أبي عامر بن عبدوس

لنا قاض له خلق

أقل ذميمه النزق

اذا جئناه يحجبنا

فنلعنه ونفترق

(قال ابن بسام) كان أبو عبد الله ابن عائشة البلنسي مع ابن خفاجة في جماعة من أهل الادب تحت دوحة خوخ منورة فهبت ريح أسقطت عليهم بعض زهر فقال ابن عائشة ارتجالا

ودوحة قد علت سماء

تطلع أزهارها نجوما

هفا نسيم الصبا عليها

فخلتها أرسلت رجوما

كأنما الجو غار لما

بدت فاغرى بها النسيما

(وأخبرني) أبو عبد الله محمد القرموني المقدم ذكره بدمشق قال كان بين السميسر الشاعر وبين بعض رؤساء المرية شيء لمدح مدحه به فلم يجزه عليه فصنع ذلك الممدوح دعوة للمعتصم بالله

ان ابن أيبك لم تزل سرقاته * تأتي بكل قبيحة وسمج
نسب المعاني في النسيم لنفسه * جهلا فراح كلامه في الريح

وقول ابن عبد الظاهر أيضا مقتبسا

بأبي فتاة من كمال صفاتها * وجمال بهجتها تحار الاعين
كم قد دفعت عواذلي عن وجهها * لما تبدت بالتي هي أحسن

أخذه ابن نباتة بقافيته ولكن زاده ايضاحا فقال

ياعاذلي شمس النهار جميلة * وجمال فاتنتي ألذ وأزين
فانظر الى حسنيهما متأملا * وادفع ملامك بالتي هي أحسن

وألم به العز الموصلي فقال قد سلونا عن المليح بخود * ذات وجه به الجمال تفنن
ورجعنا عن التهتك فيه * ودفعناه بالتي هي أحسن

وقول ابن عبد الظاهر أيضا وكتب به من منهل بطريق الحجاز يسمى عيون القصب

كتبت لكم من أعين القصب التي * لها من معانيكم ومن نفسها طرب
فان أطرب التشبيب فيها بذكركم * فكم أطرب التشبيب من أعين القصب

أخذه المعمار فقال في مشبب

هويته مشببا * بعاده برح بي تيم قلبي بالحجا * ز من عيون القصب

وقول شيخ شيوخ حماة مورّيا بالورد المنسوب الى نصيبين

أفدى حبيبا رزقت منه * عطف محب على حبيب وجنته ما أتم ريحي * وقد غدا ورده انصيبي

أخذه ابن نباتة فقال فديتك غصنا الميس يبرح مثمرا * من الحسن في الدنيا بكل غريب
تفتح في وجناته الورد أحمرا * فياليت ذاك الورد كان نصيبي

وقوله أيضا في أسماء متنزهات دمشق وهي السهم وسطرى

قالوا أما في جلق نزهة * تنسيك ما أنت به مغرى
ياعاذلي دونك من لحظه * سهما ومن عارضه سطرا

أخذه الجلال ابن خطيب داريا فقال وأبدل السهم بعقرى وهو من متنزهاتها أيضا

سألتكما ان جئتما الشام بكرة * وعاينتما الشقرا والغوطة الخضرا
قفا واقرآمني كتابا كتبته * بدمعي لكم مقرى ولا تنسيا سطرا

وفي مثله للنور الاسعردي

وريم جلالي خمرة مزة جلت * بموجي وقد عاينت في خده سطرا
وربوته الشقراء ناعمة غدت * فيا حسنها من برزة ليتها عذرا

وقول مجير الدين بن تميم في سجادة

أيا حسنها سجادة سندسية * يرى التقى والزهد فيها توسم
اذا ما رآها الناسكون ذوو الحجى * أماموهم صلوا عليها وسلموا

أخذه ابن نباتة فقال ان سجادتي الحقيرة قدرا * لم يفتها في بابك التعظيم
شرفت اذ سعت اليك فأمست * وعليها الصلاة والتسليم

وتطفل عليها ابن الوردي فقال

سجادتي أذكرتني * منك الذي كنت أعلم أهديتها المحب * صلى عليها وسلم

وقوله أيضا فيمن غضب عند عزله من منصب ولايته

كم قلت لما فاض غيظا وقد * أزيح عن منصبه المعجب

أبي يحيى بن صمادح احتفل فيها ايما يحتفل مثله في دعوة سلطان مثل المعتصم فصبر السمير الى أن ركب السلطان متوجها الى الدعوة فوقف له في الطريق فلما حاذاه رفع صوته قائلا
يا أيها الملك الميمون طائره * ومن لذي مأتم في وجهه عرس
لا تقربن طعاما عند غيركم * ان الاسود على المأكول تفترس
فقال المعتصم صدق والله ورجع من الطريق وفسد على الرجل كلما عمله (قال علي بن ظافر) أذكرتني هذه الحكاية حكاية كنت نسيتها وقد تنبهت الآن لها كان عباد بن الحرش قد مدح رجلا من كبار أصفهان من أرباب الضياع والاملاك والتبع الكثير كنت أعرف اسمه ونسيته فطله بالجائزة ثم أجازه بما لم يرضه فرده

لا تذهبوا أن فارمن غيظه * فالقلب مطبوخ على المنصب

ألمّ به الشرف النصيبي فقال

ولولا إذ علموا بجهلك منصبا * علما بأنك عن قليل تبرخ

طبخوا بنار العزل قلبك بعد ذا * وكذا القلوب على المناصب تطبخ

وقوله أيضا دعيت فكان أكلي نحذ طير * ولم أشرب من الصهباء قطه

وما يومي كأمس وذاك أني * أكلت أوزة وشربت بطه

أخذه الصلاح الصفدي بقافيته فقال

شوى الاوز فأضحت * في جمرة الخد بسطه فقلت تشوي أوزا * أم كنت تشرب بطه

وقوله أيضا وتقدم في حسن التعليل

حبيبي وعدت الكأس منك بعلة * وأعقب ذاك الوعد منك نفار

وما كان هذا الوعد إلا لأنها * علاها لطول الانتظار صفار

أخذه ابن الصاحب فقال يا حابس الكأس لا تردها * من بعد حبس الدنان حمره

واغنم مراجا لها لطيفا * أورثه الانتظار صفره

وقول ابن العفيف كان ما كان وزالا * فاطرح قيلا وقالا

أيها المعرض عني * حسبك الله تعالى

أخذ الحداد ابن مكانس بعضه فقال

يا غصنا في الرياض مالا * حملتني في هواك مالا يا راحما بعدما سباني * حسبك رب السما تعالى

وقوله أيضا انى لأشكو في الهوى * ماراح يفعل خده

ما كان يدري ما الجفا * لكن تفقع ورده

أخذه الصلاح الصفدي وزاده نكتة أخرى فقال

أقول له ما كان خدك هكذا * ولا الصدغ حتى سال في الشفق الدجى

فمن أين هذا الحسن والظرف قال لي * تفقع وردي والعذار تخرجا

وقول الوداعي من قصيدة بخلت على بدر مدامعها * فغدت مطوقة بما بخلت

أخذه ابن نباتة فقال بخلت بلؤلؤ ثغرها عن لاثم * فغدت مطوقة بما بخلت به

ومحاسن المتأخرين كثيرة والاقتصار على هذه النبذة أولى * والأفوه الاودي * اسمه صلاة بن عمرو بن مالك ابن عوف بن الحرث بن عوف بن منبه بن أود بن صعب بن سعد العشيرة وكان يقال لابيه عمرو بن مالك فارس الشهباء وفي ذلك يقول الأفوه

أبي فارس الشهباء عمرو بن مالك * غداة الوغى إذ مال بالجد عاثر

ولقب بالأفوه لانه كان غليظ الشفتين ظاهر الاسنان وقال الكلبي كان الأفوه من قدماء الشعراء في الجاهلية وكان سيد قومه وقائدهم في حروبهم وكانوا يصدرون عن رأيه والعرب تعده من حكمائها وتعد كلمته

لنا معاشر لم يبنوا لقومهم * وان بنى قومهم ما أفسدوا عادوا

من حكمة العرب وآدابها وكان بينه وبين قوم من بني عامر دماء فأدرك بثأره وزاد فأعطاهم ديات من قتل فصلاء عن قبلي قومه فقبلوه وصالحوه فقال يفتخر عليهم

نقاتل أقواما فنسبي نساءهم * ولم ير ذو عز لنسوتنا حجلا

نقودون أني أن تقاد ولا نرى * لقوم علينا في مكارمهم فضلا

وأنا بطاء المشي عند نسائنا * كما قيدت بالصيف نجدية بزلا

نظل غياري عند كل ستيرة * نقلب جيدا واضحا وشوى عبلا

عليه وبعد ذلك بعين حمل الرحل دعوة عظيمة غرم عليها ألوف دنانير لأبي دلف القاسم بن عيسى العجلي على أن يجيء اليه من الكرج فلما استحق المغرم خرج عباد ليلا ووقف بين الكرج وأصفهان ووصل أبو دلف فلما وقعت عين عباد عليه وهو يساير بعض خواصه أومأ الى ذلك المساير له وأنشأ بأعلى صوته

ولى له يا قرينه

قال عباد ذا سمح

جئت في ألف فارس

ابتداء من الكرج

ما على النفس بعد ذا

في الدنا آت من حرج

فقال أبو دلف وكان أخوف الناس من شاعر صدق والله أجيء من الكرج الى أصفهان حتى أتغدى والله ما على هذا مزيد من دناءة النفس ثم رجع من طريقه وفسد على الرجل كلما

وانا لنعطي المال دون دمائنا * ونأبى فما نستام دون دم عقلا

وقال أبو عمرو أغار بنو أود وقد جمعها الأفوه على بني عامر فمرض الأفوه مرضا شديدا فخرج بدله يزيد بن الحرث الأودي وأقام الأفوه الأودي حتى أفاق من وجعه وخرج يزيد بن الحرث فلقي بني عامر وعليهم عوف بن الاحوص بن جعفر بن كلاب فلما التقوا عرف بعضهم بعضا فقالت لهم عامر ساند ونا فما أصابنا كان بيننا وبينكم فقالت أود وكانوا قد أصابوا منهم رجلين لا والله حتى نأخذ طائلتنا فقام أخو المقتول وهو رجل من كعب بن أود فقال يا بني أود والله لنأخذن بطائلتي أولأنحين على سيفي فاقتتلت أود وبنو عامر فظفرت أود وأصابوا مغنما كثيرا فقال الأفوه في ذلك

ألا يا لهف لو شهدت قناتي * قبائل عامر يوم الصليب
غداة تجمعت كعب الينا * حلائف بين أفناء الحروب
فلما أن رأونا في وغاها * كآساد العرينة والحبيب
تداعوا ثم مالوا عن ذراها * كفعل الجامعات من الوجيب
وطاروا كالنعام ببطن قو * مزايلة على حذر الرقيب

وهو القائل

لا يصلح الناس فوضى لاسراة لهم * ولا سراة اذا جهالهم سادوا
تهدى الامور بأهل الرأي ما صلحت * فان تولت فبالأشرار تنقاد

وهو القائل

والمرء ما يصلح له ليلة * بالسعد تنسده ليالي النحوس
والخير لا يأتي ابتغاء به * والشر لا يفنيه ضرح الشموس

وهو القائل

بلوت الناس قرنا بعد قرن * فلم أر غير ذي خيل وقال
ولم أر في الخطوب أشد هولا * وأصعب من معاداة الرجال
وذقت مرارة الاشياء طرا * فما شيء أمر من السؤال

قال عبد الله بن الزبير هذه الابيات الثلاثة جامعة لما قالت العرب

(الاقتباس)

(ان كنت أزمعت على هجرنا * من غير ما جرم فصبر جميل)
(وان تبدلت بنا غيرنا * فحسبنا الله ونعم الوكيل)

البيتان من السريع وقائلهما أبو القاسم بن الحسن الكاتبي ومعنى أزمعت أجمعت على الامر وثبت عليه والجرم بالضم الذنب والصبر الجميل هو الذي لا شكوى فيه كما أن الصفح الجميل هو الذي لا عتب فيه والهجر الجميل هو الذي لا غيبة فيه (والشاهد في البيت الثاني) الاقتباس من القرآن العظيم وما أحسن قول مجير الدين بن تميم في وكيل بدار القاضي يدعى بالعز

لا تقرب الشرع اذا لم تكن * تخبره فهو دقيق جليل
ووكل العز الذي وجهه * على نجاح الامر أقوى دليل
ولا تحل عنه الى غيره * فحسبنا الله ونعم الوكيل

وما أطرف قول بعضهم في ذم وكيل اسمه كثير

كثير سألتك عن دي * وعندي غيري قليل وحق من هو حسبي * ما أنت نعم الوكيل

(قال لي ان رقيبي * سيء الخلق فداره) (قلت دعني وجهك الجنة حفت بالمكاره)

البيتان للصاحب بن عباد من الرمل والرقيب الحافظ والحارس والمداراة الملاطفة والمجاملة (والشاهد في البيت الثاني) الاقتباس من الحديث ولفظه حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات والحفوف الاحاطة بالشيء والمعنى أن وجهك لحسنه جنة ولا بد لي من تحمل مكاره الرقيب كما أنه لا بد لطالب الجنة الحقيقية من تحمل مشاق التكاليف وفي مثله قول بعضهم

غرمه وعرف من أين أتي وتخوف أن يعود عليه بأشد منها فسير اليه جائزة سنية مع جماعة فلم يقبل الجائزة ثم أنشد بديها فقال
وهبت يا قوم لكم عرضه
كرامة للشعر لا للفتى
(فقالوا اجزاك الله خيرا)
لانه أحرص من ذرة
على الذي تجمعه في الشتا
(قال علي بن ظافر) وذكر أبو الصلت في رسالته ما معناه انه عزم هو ورفقاؤه على الاصطباح فقصدوا بركة الحبش في وقت ولاية الغبش وحلوا منها روضا نسم زهره ونسم عطره فأداروها كؤوسا تطلع من المدام شموسا وغايبوها نجوما تكون للشياطين الهموم رجوما فطرب حتى أظهر الطرب نشاطه وأبرز ابتهاجه وانبساطه فقال
لله يومي ببركة الحبش
والجو بين الضياء والغبش

ولله فى عرض السموات جنة * ولكنها محفوفة بالمكاره

وقول ابن قلاقس وو الله لولا أنه جنة المنى * لما كان محفوفا النابالمكاره

وقول ابن نباتة السعدىّ عن خدّه منع الرقيب وبعده داجى عذاره

واها لها من جنة * حفت بأنواع المكاره

وقول الصفىّ الحلى ياجنة الحسن التى * حفت لدينا بالمكاره

انى لوجهك عاشق * وللمنظر الرقباء كاره

وقول ابن نباتة فى جارية صوّرت بوجهها حية وعقربا بغالية

قسماً لما أذكى الهوى جلّ ناره * الى أن تبدّى الحذق فى جلناره

رأى حية فى وجنتيك وعقربا * نعم جنة محفوفة بالمكاره

وقريب منه قول الابله الشاعر البغدادىّ وكان له ميل الى بعض أولاد البغادده فعبر على باب داره فوجد خلوة فكتب على الباب دارك يابدر الدجى جنة * بغيرها نفسى لاتلهو

وقد روى فى خبر أنه * أكثر أهل الجنة البله

ذكرت بهذا ما حكى ابن عساكر عن سلمة بن عاصم قال ما لقينى الاصمعى قط الا قال أرجو أن تكون من أهل الجنة قال فقال لى جليس له انما أراد انك أبله لان أكثر أهل الجنة البله قال لا يبعد فقد كان ماجنا انتهى (و) والصاحب ابن عباد هو اسمعيل بن عباد بن العباس بن عباد بن أحمد بن ادريس الطالقانىّ والطالقان اسم لمدينتين احداهما بخراسان والاخرى من أعمال قزوين وهذه هى التى منها الصاحب ومولده بها أو باصطخر سنة ست وعشرين وثلثمائة وهو أوّل من سمى بالصاحب من الوزراء لانه صحب مؤيد الدولة من الصبى فسماه الصاحب فغلب عليه ثم سمى به كل من ولى الوزارة بعده وقيل سمى به لانه كان يصحب الوزير ابن العميد فقيل له صاحب ابن العميد ثم خفف فقيل الصاحب (وقال الثعالبى فى حقه) ليست تحضرنى عبارة أرضاها للافصاح عن علو محله فى العلم والادب وجلالة شأنه فى الجود والكرم وتفرّده بغايات المحاسن وجمعه أشتات المفاخر الى أن قال ولكنى أقول هو صدر المشرق وتاريخ المجد وغرّة الزمان وينبوع الفضل والاحسان وكانت حضرته محط رحال الادباء والشعراء وموسم فضائلهم ومترع آمالهم وأمواله مصروفة اليهم وصنائعه مقصورة عليهم ولما كان نادرة عطارد فى البلاغه وواسطة عقد الدهر فى السماحه جلب اليه من الآفاق وأقاصى البلاد كل خطاب جزل وقول فصل وصارت حضرته مشرعا لروائع الكلام وبدائع الافهام ومجلسه مجمعا لصوب العقول وذوب العلوم وثمار الخواطر ودرر القرائح فبلغ فى البلاغة ما يعد فى السحر ويدخل فى باب الاعجاز وسار كلامه مسير الشمس ونظم ناحيتى الشرق والغرب واحتف به من نجوم الارض وأفراد العصر وأبناء الفضل وفرسان الشعر من يربى عددهم على شعراء الرشيد ولا يقصرون عنهم فى الاخذ برقاب القوافى وملك رق المعانى فانه لم يجتمع بباب ملك ولا خليفة ما اجتمع بباب الرشيد من فحول الشعراء كأبى نواس وأبى العتاهية والعتابىّ والنميرىّ ومسلم بن الوليد وأبى الشيص وأشجع السلمىّ ومروان بن أبى حفصة وغيرهم وجمعت حضرة الصاحب بأصبهان والرىّ وجرجان مثل السلامىّ والخوارزمىّ والمأمونىّ والبديهىّ والرستمىّ والزعفرانىّ والضبىّ والجرجانىّ وأبى قاسم بن أبى العلاء وابن بابك وابن القاشانىّ والبديع الهمذانىّ وأبى الفرج الساوىّ وغيرهم ومدحه كاتبه الشريف الرضى وابن حجاج والصابى وابن سكرة الهاشمىّ وما أحسن قول الصاحب المتقدم فى شواهد الادماج

ان خير المدّاح من مدحته * شعراء البلاد فى كل نادى

قال وسمعت أبا بكر الخوارزمىّ يقول ان مولانا الصاحب نشأ من الوزارة فى حجرها ودرج فى وكرها ورضع أفاويق درّها وورثها عن أبيه كما قال الرستمى فيه

والنيل تحت الرياض مضطرب
كصارم فى يمين مرتعش
ونحن فى روضة مفوفة
دبج بالنور عطفها ووشى
قد نسجتها يد الغمام لنا
فنحن من نسجها على فرش
فعاطنى الراح ان تاركها
من سورة الهم غير منتعش
واسقنى بالكبار مترعة
فهن أروى لشدة العطش
فأثقل الناس كلهم رجل
دعاه داعى الهوى فلم يطش

(وأخبرنى) الفقيه أبو الحسن بن المفضل المقدسى عن الفقيه الشريف أبى محمد عبد الله بن عبد الرحمن ابن يحيى العثمانى الديباجى عن أبى اسحق ابراهيم بن المنعق اللحمى السبتىّ عن أبى الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبى الصلت قال كنت مع الحسن بن علىّ بن

ورث الوزارة كابرا عن كابر * موصولة الاسناد بالاسناد

يروى عن العباس عباد وزا * رته واسمعيل عن عباد

(قال) ولما ملك فخر الدولة واستعفى الصاحب من الوزارة قال له لك فى هذه الدولة من إرث الوزارة ما لنا فيها من إرث الامارة فسبيل كل منا أن يحتفظ بحقه (قال) وحدّثنى عون بن الحسين الهمذانى قال كنت يوما فى خزانة الخلع للصاحب ابن عباد فرأيت فى دستور كان بها وكان صديقى مبلغ عمائم الخز التى صرفت فى تلك الشتوية للعلويين والفقهاء والشعراء خاصة غير الخدم والحاشية ثمانمائة وعشرين قال وكان يعجبه الخز ويأمر بالاستكثار منه فى داره فنظر أبو القاسم الزعفرانى يوما الى جميع من فيها من الخدم والحاشية عليهم الخزوز الفاخرة الملوّنة فاعتزل ناحية وأخذ يكتب شيأ فنظر اليه الصاحب وقال علىّ به فاستمهل الزعفرانى ريثما يتم مكتوبه فأمر الصاحب بأخذ الدرج من يده فقام وقال أيد الله مولانا الصاحب

اسمعه ممن قاله تزدد به * عجبا فحسن الورد فى أغصانه

فقال هات يا أبا القاسم فأنشده أبياتا منها

سواك يعدّ الغنى ما اقتنى * ويأمره الحرص أن يخزنا

وأنت ابن عباد المرتجى * تعدّ نوالك نيل المنى

وخيرك من باسط كفه * وممن ثناها قريب الجنى

غمرت الورى بصنوف الندى * فأصغر ما ملكوه الغنى

وغادرت أشعرهم مفحما * وأشكرهم عاجزا ألكنا

أيا من عطاياه تهدى الغنى * الى راحتى من نأى أودنا

كسوت المقيمين والزائرين * كسا لم يخل مثلها ممكنا

وحاشية الدار يمشون فى * ضروب من الخز الا أنا

ولست أذكر بى حاريا * على العهد يحسن أن يحسنا

فقال له الصاحب قرأت فى أخبار معن بن زائدة أن رجلا قال له احملنى أيها الامير فأمر له بناقة وفرس وبغلة وحمار وجارية ثم قال له لو علمت مركوبا غيرها لحملتك عليه وقد أمرنا لك من الخز بجبة ودرّاعة وقميص وسراويل وعمامة ومنديل ومطرف ورداء وجورب ولو علمنا لباسا آخر يتخذ من الخز أعطيناكه (قال) وحدّثنى أبو عبد الله محمد بن حامد الحامدى قال شهدت أبا محمد الخازن بين يدى الصاحب ينشده

هذا فؤادك نهبى بين أهواء * وذاك رأيك شورى بين آراء

هواك بين العيون النجل مقتسم * داء لعمرك ما أبلاه من داء

لا تستقر بأرض أو تسير الى * أخرى بشخص قريب عزمه ناء

يوما بحزوى ويوما بالعقيق وبالـ * ـعذيب يوما ويوما بالخليصاء

وتارة ينتحى نجدا وآونة * شعب الغوير ويوما قصر تيماء

قال فرأيت الصاحب مقبلا عليه حسن الاصغاء الى انشاده حتى تعجب الحاضرون فلما بلغ الى قوله

أدعى بأسماء نبزا فى قبائلها * كأن أسماء أضحت بعض أسمائى

ألقيت شعرى وألقت شعرها طربا * فألفا بين اصباح وامساء

مال الصاحب عن دسته طربا حتى بلغ قوله فى المدح

لو أن سحبان جاراه لأسحبه * على خطابته أذيال فأفاء

أرى الاقاليم قد ألقت مقالدها * اليه مستلقيات أىّ إلقاء

فساس سبعتها منه بأربعة * أمر ونهى وتثبيت وامضاء

كذاك توحيده أولى بأربعة * كفر وجبر وتشبيه وارجاء

تميم بن معدّ بن باديس بالمهدية فى الميدان وقد رمى بالنشاب فصنعت فيه بديها

يا ملكا قد خلقت كفه * لم تدر الا الجود والباسا

ان النجوم الزهر مع بعدها * قد حسدت فى قربك الناسا

وودّت الافلاك لو أنها * تحوّلت تحتك أفراسا

كا تمنى البدر لو أنه * أضحى لنشابك برجاسا

(أخبرنى) الشيخ الاديب أبو الحسن علىّ بن خروف القيسىّ القرطبى رحمه الله قال صنع الوزير أبو جعفر أحمد وزير الرئيس أبى اسحق بن همشك صهر الامير أبى عبد الله محمد بن مروان فى غلام أسود بيده قضيب نور بديها

وزنجىّ أتى بقضيب نور * وقد زفت لنا بنت الكروم

فقال فتى من الفتيان صفه * فقلت الليل أقبل بالنجوم

نعم تجنب لا يوم العطاء كما * تجنب ابن عطاء لثغة الراء

فاستعاده وطرب المعنى فلما ختمها هذه الابيات

أطرى وأطرب للاشعار أنشدها * أحسن ببهجة اطرابى واطرائى
ومن مناقح مولانا مدائحه * لان من زنده قدحى وايرائى
فخذ اليك ابن عباد محبرة * لا البحترى يدانيها ولا الطائى

قال له أحسنت أحسنت ولله أنت وتناول النسخة وتشاغل باعادة النظر فيها ثم أمر له بخلعة من ملابسه وفرس من مراكبه وصلة وافرة (قال) وحدثنى أبو الحسن محمد بن الحسن الضوى قال سمعت الصاحب يقول أنفذ الى أبو العباس تاش الحاجب رقعة فى السر بخط مخدومه نوح بن منصور ملك خراسان وماوراء النهر يريدنى فيها على الانحياز الى حضرته ليلقى الى مقاليد ملكه ويعتمدنى لوزارته قال وكان فيما اعتذرت به اليه من تركى امتثال أمره ذكر طول ذيلى بكثرة حاشيتى وحاجتى لنقل كتبى خاصة الى أربعمائة جمل فما الظن بما يليق بها من تجمل مثلى (وحدثنى أيضا) قال سمعت الصاحب يقول حضرت مجلس ابن العميد عشية من عشايا شهر رمضان وقد حضره الفقهاء والمتكلمون للمناظرة وأنا اذ ذاك فى ريعان شبابى فلما تقوض ذلك المجلس وانصرف القوم وقد حل الافطار أنكرت ذلك بينى وبين نفسى وعجبت من إغفاله الامر بتفطير الحاضرين مع وفور رياسته وعاهدت الله أن لا أخل بما أحل به اذا اقمت يوما مقامه قال فكان الصاحب لا يدخل عليه فى شهر رمضان بعد العصر أحد كائنا من كان فيخرج من داره الا بعد الافطار وكانت داره لا تخلو ليلة من ليالى الشهر من ألف نفس مفطرة وكانت صلاته وصدقاته ونفقته فى هذا الشهر تبلغ مبلغ ما يتعلق منها فى جميع السنة (قال وحدثنى أبو الفضل الهمذانى بديع الزمان) قال لما أدخلنى أبى الى الصاحب ووصلت الى مجلسه واصلت الخدمة بتقبيل الارض فقال لى يابنى اقعد كم تسجد كأنك هدهد (وكان) الصاحب فى الصغر اذا أراد المضى الى المسجد ليقرأ تعطيه والدته دينارا ودرهما فى كل يوم وتقول له تصدق بهذا على أول فقير تلقاه فجعل هذا دأبه فى شبابه الى أن كبر وماتت والدته وهو على هذا يقول للفراش فى كل ليلة اطرح تحت المطرح دينارا ودرهما لئلا ينساه فبقى على هذا مدة ثم ان الفراش نسى ليلة من الليالى أن يطرح له الدرهم والدينار فانتبه وصلى وقلب المطرح ليأخذ الدينار والدرهم فما رآهما فتطير من ذلك وظن أنه قرب أجله فقال للفراشين شيلوا كل ماههنا من الفرش وأخرجوه وأعطوه لاول فقير تلقونه حتى يكون كفارة لتأخير هذا الخير فلقوا فقيرا أعمى هاشميا على يد امرأة وهو يبكى فقالوا له تقبل هذا فقال ما هو فقالوا مطرح ديباج ومخاد ديباج فأغمى عليه فأعلموا الصاحب بأمره فأحضره وسقاه شرابا بعد ما رش عليه الماء فلما أفاق سأله قال اسألوا هذه المرأة ان لم تصدقونى فقال له اشرح فقال أنا رجل شريف ولى ابنة من هذه المرأة خطبها رجل فزوجناه بها ولى سنتان آخذ القدر الذى يفضل من قوتنا أشترى لها به قطعة صفر أو صفرية أو ما أشبه ذلك فلما كان البارحة قالت أمها اشتهيت لها مطرح ديباج ومخاد ديباج فقلت لها من أين لى ذلك وجرى بينى وبينها خصومة الى ان سألتها أن تأخذ بيدى وتخرجنى حتى أمضى على وجهى فلما قال لى هؤلاء هذا الكلام حق لى أن يغشى على فقال الصاحب لا يكون الديباج الامع ما يليق به على ان الاعاطيين محى بهم فاشترى منهم الجهاز الذى يليق بذلك المطرح وأحضر زوج الصبية ودفع اليه بضاعة سنية (قال وحدثنى أبو منصور البيع) قال دخلت يوما على الصاحب ابن عباد فطاولته الحديث فلما أردت القيام قلت لعلى طولت فقال لا بل تطولت (يحكى) أن الصاحب استدعى فى بعض الايام شرابا فأحضر واقدحا فلما أراد أن يشربه قال له بعض خواصه لا تشربه فانه مسموم وكان الغلام الذى ناوله واقفا فقال للمعتذر ما الشاهد على صحة قولك قال تجربه فى الذى ناولك اياه قال لا أستجيز ذلك ولا أستحله قال تجربه فى دجاجة قال التمثيل بالحيوان لا يجوز ورد القدح وأمر بقلبه وقال للغلام انصرف عنى ولا تدخل دارى وأمر باقرار جاريه وجرايته عليه وقال لا يدفع اليقين بالشك والعقوبة بقطع الرزق نذالة

(وأخبرنى) أن الاستاذ ابن الطراوة حضر مجلس شراب فعجز بعض الندماء عن الشرب كما يشرب الجماعة وسألوه فى شرب نصيبه من بعض الادوار ففعل وقال بديها

يشربه الشيخ وأمثاله
وكل من تحمد أفعاله
والسكران لم يستطع حمله
تلقى على البازل أثقاله

(أنبأنى) الشيخان تاج الدين ابن اليمن الكندى وقاضى القضاة جمال الدين أبو القاسم ابن الحرستانى اجازة عن الحافظ أبى القاسم بن عساكر قال وقد ذكر ابراهيم ابن سعيد الاسكندرى المعروف بالسديد وذكره انا أبو عبد الله بن المحلى فيمن لقيه من أهل الادب قال كان صاعد قد عمل شخص حديد ينفخ النار ساعات فأراد السديد اختباره كما

(يقال) أن ابن الخطيري أتى يوما اليه فقام له فترمسرعا الاجله فضرط فقال يامولانا هذا صرير التخت فقال بل صفير التحت فذهب واستحيى وانقطع فكتب اليه

قل للخطيري لاتذهب على خجل * بضرطة أشبهت نايا على عود
فانها الريح لاتستطيع تمسكها * اذ أنت لست سليمان بن داود

وكان الصاحب قد ولى عبد الجبار الاستربادي قاضي القضاة بهمذان والجبال فاستقبله يوما ولم يترجل له وقال أيها الصاحب أريد أن أترجل للخدمة ولكن العلم يأبى ذلك وكان يكتب في عنوان كتابه الى الصاحب داعيه عبد الجبار بن أحمد ثم كتب وليه عبد الجبار بن أحمد ثم كتب عبد الجبار بن أحمد فقال الصاحب نطق القاضي بؤل أمره الى أن يكتب الجبار وقال الصاحب يوما أقطعني الاشاب بغدادي ورد علينا الى أصبهان فقصدني فأذنت له وكان عليه مرقعة وفي رجله نعل طاق فنظرت الى حاجبي فقال له وهو يصعد الي اخلع نعلك فقال ولم لعلني أحتاج اليها بعد ساعة فغلبني الضحك وقلت أتراه يريد أن يصفعني بها (وقال بديع الزمان الهمذاني) كنت عند الصاحب ابن عماد فأتاه رجل بقصيدة يفضل فيها العجم على العرب وهي

غنينا بالطبول عن الطلول * وعن عنس عذافرة ذمول
وأذهلني عقاري عن عقاري * ففي است ام القضاة مع العدول
فلست بتارك ايوان كسرى * لتوضح أو لحومل فالدخول
وضب بالفلا ساع وذئب * بها يعوي وليث وسط غيل
اذا ذبحوا فذلك يوم عيد * وان نحروا ففي عرس جليل
يسلون السيوف برأس ضب * هراشا الغداة وبالاصيل
بأية رتبة قدمتموها * على ذي الاصل والشرف الجليل
ألا لولم يكن للفرس الا * نجار الصاحب العدل النبيل
لكان لهم بذلك خير عز * وحيلهم بذلك خير جيل

فلما بلغ الى هنا قال له الصاحب قدك ثم اشرأب ينظر الى الزوايا وأطراف القوم فلم يرني وكنت في زاوية من زوايا البيت فقال أين أبو الفضل فوثبت وبست الارض بين يديه فقال أجبه عن ثلاثتك قلت وماهي قال أدبك ونسبك ومذهبك فقلت ولا مهلة للقول الابما أسمع

أراك على شفا خطر مهول * بما أودعت نفسك من فضول
طلبت على مكارمنا دليلا * متى احتاج النهار الى دليل
ألسنا الضاربين جزى عليهم * فأي الخزي أقعد بالذليل
متى قرع المنابر فارسي * متى عرف الاغر من الحجول
متى علقت وأنت بهم زعيم * أكف الفرس أعراف الخيول
فخرت بملء ماضغتيك فخرا * على قحطان والبيت الاصيل
وحقك ان تبارينا بكسرى * فأثور ككسرى في الرعيل
فخرت بنحو ملبوس وأكل * وذلك فخر ربات الحجول
تفاخرهن في خد أسيل * وفرع من مفارقها رسيل
فأمجد من أبيك اذا أثربا * عراة كالليوث وكالنصول

قال فلما أجبته بهذه الابيات نظر الصاحب ابن عماد الى الرجل فقال كيف ترى فقال لو سمعت به ماصدقت قال فاذن جائزتك ان وجدتك بعدها في مملكتي أمرت بضرب عنقك ثم قال لاترون رجلا يفضل العجم على العرب الا وفيه عرق من المجوسية يرجع اليها (قال وحدثني أبو منصور البيمي) قال أهدى العميري قاضي قزوين الى الصاحب كتبا وكتب معها

يجب فأطفأ النار فقال صاعد بديها
نار تمها السديد فردها * بردا وكانت قبل وهي جحيم
فكأنما المنفاخ آية ربه * وكأن ابراهيم ابراهيم
(وأنبأني) جميعا عن الشيخ الحافظ أبي القاسم قال أنشدنا أبو بكر عبد الله بن منصور قال أنشدنا أبو الحسن محمد بن علي بن الصفراء الواسطي لنفسه ارتجالا وقد دخل عزاء لصبي وهو في عصر المائة وبه ارتعاش فتغامز عليه الحاضرون فقال
اذا دخل الشيخ بين الشباب * عزاء وقد مات طفل صغير
رأيت اعتراضا على الله اذ * توفى الصغير وعاش الكبير
فقل لابن شهر وقل لابن ألف * ومابين ذلك هذا المصير
(وبهذا الاسناد) قال الحافظ أخبرني أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد الغساني قال سمعت أبي ينشد لنفسه

العميرى عبد كافى الكفاة * وان اعتدّمن وجوه القضاة
خدم المجلس الرفيع بكتب * مفعمات من حسنها مترعات

فوقع تحتها

قدقبلنامن الجميع كتابا * ورددنالوقتها الباقيات
لست أستغنم الكثيرفطبعى * قول خذليس مذهبى قول هات

(قال) وكتب اليه بعض العلويين يخبره بأنه قد رزق مولودا ويسأله أن يسميه ويكنيه فوقع فى رقعته أسعدك الله بالفارس الجديد والطالع السعيد فقدوالله ملأ العين قرة والنفس مسرّة مستقرة فالاسم على ليعلى الله أمره والكنية أبو الحسن ليحسن الله ذكره فانى لأرجوله فضل جده وسعادة جده وقد بعثت دينارا من مائة مثقال قاصدا فيه مقصد الفال رجاء أن يعيش مائة عام ويخلص خلوص الذهب الابريز من نوب الايام والسلام (وكتب) اليه أبو حفص الوراق رقعة نسختها لولا ان الذكرى أطال الله بقاء مولانا الصاحب الجليل تنفع المؤمنين وهز الصمصام يعين المصلتين لما ذكرت ذكرا ولا هززت ماضيا ولكن ذا الحاجة لضرورته يستعجل النجح ويكد الجواد وحال عبد مولانا أدام الله تأييده فى الحنطة مختلفه وجرذان داره عنها منصرفه فان رأى أن يخلط عبده عن أخصب رحله عنده فعل ان شاء الله فوقع عليها أحسنت أبا حفص قولا وستحسن فعلا فبشر جرذان دارك بالخصب وأمنها من الجدب فالحنطة تأتيك فى الاسبوع ولست عن غيرها من النفقة بممنوع ان شاء الله تعالى (قال) وسمعت أبا النصر بن عبد الجبار العتبى يقول كتب بعض أتباع الصاحب اليه رقعة فى حاجة فوقع فيها ولما وردت اليه لم ير فيها توقيعا وقد تواترت الاخبار بوقوع التوقيع فيها فعرضها على أبى العباس الضبى فما زال يتصفحها حتى عثر بالتوقيع وهو ألف واحدة وكان ختام الرقعة فان رأى مولانا أن ينعم بكذا فعل وأثبت الصاحب أمام فعل ألفا يعنى أفعل (قال) وبلغ الصاحب أن بعض المتشاعرين انتحل شيأ من شعره فكتب اليه

سرقت شعرى وغيرى * يضام فيه ويخدع
فسوف أجزيك صفعا * يكد رأسا وأخدع
فسارق المال يقطع * وسارق الشعر يصفع

قال فاتخذ الليل جملا وهرب من الرى (وقال) محمد بن المرزبان كنا بين يدى الصاحب ليلة فنعس وأخذ انسان يقرأ سورة الصافات فاتفق أن بعض الاجلاف من أهل ماوراء النهر نعس أيضا وضرط ضرطة منكرة فانتبه الصاحب وقال يا أصحابنا نمنا على الصافات وانتبهنا على المرسلات (وقال أيضا) انفلتت ليلة ضرطة من بعض الحاضرين والصاحب فى الجدل فقال على حدته كانت بيعة أبى بكر خذوا فيما أنتم فيه يعنى أنه قيل فى بيعة أبى بكر رضى الله عنه انها كانت فلتة (ولما) كان الصاحب ببغداد قصد القاضى أبا السائب عتبة بن عبيد الله لقضاء حقه فتثاقل فى القيام له وتحفز تحفزا أراه به ضعف حركته وقصور نهضته فأخذ الصاحب بضبعه وأقامه وقال نعين القاضى على قضاء حقوق أصحابه فخجل القاضى واعتذر اليه (وحدثنى غيره) قال كتب انسان رقعة الى الصاحب أغار فيها على رسائله وسرق فيها جملة من ألفاظه فوقع فيها هذه بضاعتنا ردّت الينا * ووقع فى رقعة استحسنها أفسحر هذا أم انتم لا تبصرون * ووقع فى كتاب لبعض مخالفيه فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون * ووقع فى رقعة أبى محمد الخازن وكان قد ذهب مغاضبا ثم كتب اليه يستأذنه لمعاودة حضرته ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التى فعلت * ووقع فى رقعة بعض خطاب الاعمال التصرّف لا يلتمس بالتكفف ان احتجنا اليك صرّفناك والا صرفناك (وعزل) الصاحب عاملا بقم فكتب اليه أيها العامل بقم قد عزلناك فقم * وسأل أبا الحسين الربعى عن مسألة فأجاب جوابا أخطأ فيه فقال له أصبت فقبل الارض بين يديه شكرا فلما رفع رأسه قال عين الخطاء * ووقع اليه بعض منهى الاخبار أن رجلا ممن ينطوى له على غير الجميل يدخل داره فى غمار الناس ثم يتلوم على استراق السمع فوقع دارنا هذه خان يدخلها من وفى ومن خان (قال) وبلغنى عن القاضى أبى الحسن على ابن عبد العزيز الجرجانى أنه قال انصرفت يوما من دار الصاحب وذلك قبل العيد فجاءنى رسوله بعطر الفطر

بديها فى صفة نهر ثوراء بحضرة أبى عبد الله محمد بن الخياط الشاعر

دمشق دار رعاها الله من بلد
ونهر ثورا سقاه الله من واد
كأنه ونسيم الريح تخمشه
نقش المبارد فى سلساله الهادى
مزجت بالراح منه الراح فاكتسبت
لونا وطعما غريبا غير معتاد
فى روضة من رياض الخلد باكرها
صوب الغمام بابراق وارعاد
ظللت فيها رخىّ البال معرشا
مهفهف كقضيب البان مياد

(قالا) وأخبرنا الحافظ أبو القاسم بن عساكر الدمشقى قال أنشدنى أبو البركات الخضر بن هبة الله بن أبى الهمام لنفسه وكتبه لى بخطه مما أنشده وقد حضر بين يدى أمير المؤمنين الراشد بالله بن المسترشد على

ورقعة مكتوب فيها يا أيها القاضي الذي نفسي له * مع قرب عهد لقائه مشتاقه
أهديت عطرا مثل طيب ثنائه * فكأنما أهدى له أخلاقه

قال وسمعته يقول أن الصاحب يقسم لي من اقباله واكرامه بجرجان أكثر مما تلقاني به في سائر البلدان وقد استعفيته يوما من فرط تحفيه بي وتواضعه لي فأنشدني لنفسه

أكرم أخاك بأرض مولده * وأمده من فعلك الحسن
فالعز مطلوب وملتمس * وأعزه ما نيل في الوطن

ثم قال لي قد فرغت من هذا المعنى في قصيدتك العينية فقلت لعل مولاي يريد قولي

وشيدت مجدي بين قومي فلم أقل * ألا ليت قومي يعلمون صنيعي

فقال ما أردت غيره والاصل فيه قوله تعالى ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين (قال) وأنشدني أبو حنيفة الدهستاني للصاحب ما كتب به الى أبي هاشم العلوي وقد أهدى اليه يوم أضحى عطرا في طبق فضة

اقبل من الطيب الذي أهديته * ما يسرق العطار من أخلاقك
والطرف يوجب أخذه مع طرفه * فأضف به طبقا الى أطباقك

(قال) وبلغني عن الصاحب أنه قال ما استأذنت قط على فخر الدولة وهو في مجلس الانس الا انتقل الى مجلس الحشمة فأذن لي فيه وما أذكر أنه تبذل بين يدي ومازحني الامرة واحدة فانه قال لي في شجون الحديث بلغني أنك تقول المذهب مذهب الاعتزال والنيك نيك الرجال فأظهرت الكراهة لانبساطه وقلت بنا من الجد ما لا نفرغ معه الى الهزل ونهضت كالغاضب فما زال يعتذر الى مراسلة حتى عاودت مجلسه ولم يعد بعدها الى يجري مجرى المزاح والهزل (قال) وسمعت أبا الحسين العلوي الهمذاني الوصي قال لما توجهت تلقاء الري في سفارتي اليها من جهة السلطان فكرت في كلام ألقى به الصاحب فلم يحضرني ما أرضاه وحين استقبلني في العسكر وأفضى عناني الى عنانه جرى على لساني ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم فقال اني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون ثم قال مرحبا بالرسول ابن الرسول والوصي ابن الوصي (قال) وسمعت عونا الهمذاني يقول ان الصاحب أتي بغلام مثاقف فلعب فاستحسن الصاحب صورته وأعجب بخفته فقال لاصحابه قولوا فيه شيأ فلم يرضه ما قالوا فقال

مثاقف في غاية الحذق * فاق حسان الغرب والشرق
شبهته والسيف في كفه * بالبدر اذ يلعب بالبرق

(قال) وسمعت سهل بن المرزبان يقول كان الصاحب اذا شرب الماء والثلج أنشد على أثره

قعقعة الثلج بماء عذب * تستخرج الحمد من اقصى القلب

ثم يقول اللهم جدد اللعنة على من منع الحسين الماء (وقال غيره) كان ابن عباد فصيحا مع ما له كنه يتقعر في خطابه ويستعمل وحشي الكلام حتى في انبساطه وكان يعيب التيه ويتيه ولا ينصف من يناظره (وقيل) كان مشوه الصورة وصنف في اللغة كتابا سماه المحيط في سبع مجلدات وله كتاب الكافي في الترسل وكتاب الاعياد وكتاب الامامة ذكر فيه فضائل علي رضي الله عنه وأثبت امامة من تقدمه وكان شيعيا جلدا كآل بويه معتزليا وكان يقول شاركت الطبراني في اسناده ويقال انه نال من البخاري وقال هو حشوي لا يعول عليه ولما عزم على الاملاء تاب الى الله تعالى واتخذ لنفسه بيتا سماه بيت التوبة ولبث اسبوعا على الخير ثم أخذ خطوط الفقهاء بصحة توبته ثم جلس للاملاء وحضر خلق كثير (يحكى) أنه خرج متحنكا متطيلسا بزي العلماء وحضر خلق فكان المستملي الواحد لا يقوم بالاملاء حتى انضاف اليه ستة كل يبلغ صاحبه وكان ينفذ الى بغداد في السنة خمسة آلاف دينار تفرق على الفقهاء والادباء وكان يبغض من يميل الى الفلسفة ومرض في الاهواز بالاسهال فكان اذا قام عن الطست ترك الى جانبه عشرة دنانير حتى لا يتبرم به الخدم فكانوا يودون دوام علته ولما عوفي تصدق بنحو من خمسين ألف دينار

البديهة
ولما شأوت الحاسدين الى مدى
رفيع تزل العصم دون مرامه
ورفعت الاستار لي دون ماجد
شفى غلتي من بشره وسلامه
سطوت على صرف الزمان بجوره
وصلت على كيد العدا بانتقامه

(وأخبرني) الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي الفرموني قال لما أفرط أبو يحيى البكاء في هجاء أهل فاس تعصبوا عليه وساعدهم واليهم مظفر الخصي من قبل أمير المسلمين علي بن يوسف والقائد عبد الله بن خيار الجياني وكان يتولى أمورا سلطانية بها فقدموا رجلا ادعى عليه بدين وشهد عليه به رجل فقيه يعرف بالزناتي ورجل يكنى بأبي الحسين من مشايخ البلد فأثبت الحق عليه وأمر به

﴿وهذه غرر من فقر الصاحب تجرى مجرى الامثال﴾ من استماح البحر العذب استخرج اللؤلؤ الرطب من طالت يده بالمواهب امتدت اليه ألسنة المطالب من كفر النعمه استوجب النقمه من نبت لحمه عن الحرام لم يحصده غير الحسام من يكن الحذاء أباه جادت نعلاه من لم يهزه يسير الاشاره لم ينفعه كثير العباره رب لطائف أقوال تنوب عن وظائف أموال الشمس قد تغيب وتشرق والروض يذبل ثم يورق والبدر يأفل ثم يطلع والسيف ينبو ثم يقطع العلم بالتذاكر والجهل بالتناكر الذكرى ناجعه وكما قال الله تعالى نافعه بعض الحلم مذله وبعض الاستقامة مزله كتاب المرء عنوان عقله بل عيار قدره ولسان فضله بل ميزان علمه انجاز الوعد من دلائل المجد واعتراض المطل من أمارات البخل وتأخير الاسعاف من قرائن الاخلاف لكل أمر أجل ولكل وقت رجل شجاع ولا كعمرو ومندوب ولا كصخر كفران النعم عنوان النقم للصدر نفثة اذا أحرج وللمربثة اذا أحوج قد يصلى البرىء بالسقيم ويؤخذ البر بالاثيم ما كل طالب حق يعطاه ولا كل شائم مزن يسقاه ﴿ملح وظرف من ألفاظه﴾ أخبرنى عن سفرتك وما حصل بها فى سفرتك وجدت حرا يشبه قلب الصب ويذيب دماغ الضب لا اعتراض بين الشمس والقمر والروض والمطر مرحبا بزائر لباسه حرير وأنفاسه عبير زائر وجهه وسيم وريحه نسيم وفصله جسيم فقر كما حيدت الرياض وفصول كما تغامزت المقل المراض ألفاظ كما نورت الاشجار ومعان كما تنفست الاسحار نثر كنثر الورد ونظم كنظم العقد كتابك رقية السليم وغرة العيش البهيم عشرته ألطف من نسيم الشمال على أديم الماء الزلال وألصق بالقلب من علائق الحب شكره شكر الاسير لمن أطلقه والمملوك لمن أعتقه أثنى عليه ثناء العطشان الوارد على الزلال البارد ﴿رقعة استزارة﴾ هذا اليوم ياسيدى طاروني يجبني جوه الفاختى واذ قد غابت شمس السماء عنا فلابد أن تدنو شمس الارض منا فان نشطت للحضور شاركتنا فى السرور والا فلا إكراه ولا إجبار ولك متى شئت الخيار ﴿رقعة أخرى﴾ غدا ياسيدى يحسر الصيام وتطيب المدام فلابد أن تقيم أسواق الانس نافقه وتنشر أعلام السرور خافقه فبالفتوة فانها قسم الظراف تعرض حسن الاسعاف ولو رأت المروءة حاجة مجتاح بادرتها ولو على جناح الرياح ﴿أخرى﴾ نحن ياسيدى فى مجلس غنى الا عنك شاكر الا منك قد تفتحت فيه عيون النرجس وتوردت خدود البنفسج وفاحت مجامر الاترج وفتقت فارات النارنج وأنطقت ألسنة العيدان وقام خطباء الاوتار وهبت رياح الاقداح ونفقت سوق الانس وقام منادى الطرب وطلعت كواكب الندما وامتدت سماء الند فبحياتى لما حضرت لنحصل بك فى جنة الخلد وتتصل الواسطة بالعقد ﴿أخرى﴾ نحن وحياتك فى مجلس راحه ياقوت ونوره در ونارنجه ذهب ونرجسه دينار ودرهم يحملها زبرجد وألسنة العيدان تخاطب الظراف بهلم الى الاقداح لكنا بغيبتك كعقد غيبت واسطته وشباب أخذت جدته فأحب أن تكون الينا أسرع من الماء فى انحداره والقمر فى مداره ﴿تهنئة ببنت﴾ أهلا وسهلا بعقيلة النساء وأم الابناء وجالبة الاصهار والاولاد الاطهار ومبشرة باخوة يتناسقون ونجباء يتلاحقون

ولو كان النساء كمثل هذى * لفضلت النساء على الرجال
فما التأنيث لاسم الشمس عيبا * ولا التذكير فخرا للهلال

فادرع ياسيدى بها اغتباطا واستأنف نشاطا فالدنيا مؤنثة والرجال يخدمونها والذكور يعبدونها والارض مؤنثة ومنها خلقت البرية وفيها كثرت الذرية والسماء مؤنثة وقد زينت بالكواكب وحليت بالنجم الثاقب والنفس مؤنثة وهى قوام الابدان وملاك الحيوان والحياة مؤنثة ولولاها لم تتصرف الاجسام ولا عرف الانام والجنة مؤنثة وبها وعد المتقون وفيها ينعم المرسلون فهنيأ هنيأ ما أوليت وأوزعك الله شكر ما أعطيت وأطال بقاءك ما عرف النسل والولد ومابقى الابد وما عمر لبد ﴿رقعة فى مداعبة﴾ خبر سيدى عندى وان كتمه عنى واستأثر به دونى وقد عرفت خبره البارحة فى شربه وأنسه

الى السجن فرفع اليه وسيق سوقا عنيفا فلما وصل بابه طلب ورقة من كاتب وكتب فيها وأنفذها الى مظفر مع العون الذى أوصله الى السجن فكان ما كتب

ارشوا الزنانى الفقيه ببيضة
يشهدان مظفرا ذابيضتين
واهدوا اليه دجاجة يحلف لكم
ما نال عبد الله عرس أبى الحسين

(وأخبرنى) الشيخان تاج الدين العلامة أبو اليمن الكندى والشيخ جمال الدين أبو القاسم بن الحرستانى اجازة عن الشيخ الحافظ أبى القاسم ابن عساكر قراءة عليه قال بلغنى أن علقمة بن عبد الرزاق العليمى قصد بدرا الجمالى بمصر رأى على بابه أشراف الناس وكبراءهم وشعراءهم فسألهم عن حالهم فكل أخبره عن طول مقامه ببابه وتعذر

وغناء الضيف الطارق وعرسه (وكان ما كان مما لست أذكره) وجرى ما جرى مما لست أنشره وأقول أن مولاى امتطى الاشهب فكيف وجد ظهره وركب الطيار فكيف شاهد جريه وهل سلم على حزونة الطريق وكيف تصرف فى سعة أم مضيق وهل أفرد الحج أم تمتع بالعمرة وقال فى الجملة نا الكره فليتفضل بتعريفى الخبر فلا يسعه الانكار ولا يغنى عنه الا الاقرار وأرجو أن يساعدنا الشيخ أبو مرة كما ساعده فنصلى للقبلة التى صلى اليها ونتمكن من الدرجة التى خطب عليها هذا وله فضل السبق الى ذلك الميدان الكثير الفرسان * وله ديوان شعر ومن محاسنه قوله

وشادن جماله * تقصر عنه صفتى أهوى لتقبيل يدى * فقلت لا بل شفتى

وقوله
رشأ غدا وجدى عليه كردفه * وغدا اصطبارى فى هواه كخصره
وكأن يوم وصاله من وجهه * وكأن ليلة هجره من شعره
ان ذقت خمرا خلتها من ريقه * أو زمت مسكا نلته من ثغره

وقوله
يا خاطرا يخطر فى تيهه * ذكرك موقوف على خاطرى
ان لم تكن أشرف من ناظرى * عندى فلا متعت بالناظر

وقوله
قل لابى القاسم الحسين * يا نور قلبى ونور عينى
البدر زين السماء حسنا * وأنت زين لكل زين

وقوله
دب العذار على ميدان وجنته * حتى اذا كاد أن يسعى به وقفا
كأنه كاتب عز المداد له * أراد يكتب لاما فابتدا ألفا

وقوله فى مليح ألثغ
وشادن قلت له ما اسمه * فقال لى بالغنج عباث
فصرت من لثغته ألثغا * وقلت أين الكاث والطاث

وقوله فى حبة عنب
وحبة من عنب * من المنى متخذه كأنها اللؤلؤة * فى وسطها زمرذه

وقوله
بعثنا من النارنج ما طاب عرفه * فظل على الاغصان منه نوافح
كرات من العقيان أحكم خرطها * وأيدى الندامى حولهن صوالح

وقوله
لو فتقوا قلبى رأوا وسطه * سطرا قد امتد بلا كاتب
حب على بن أبى طالب * وحب مولاى أبى طالب

وقوله للقاضى أبى بشر الجرجانى
يصد الفصل عنا أى صد * وقال تأخرى عن ضعف معده
فقلت له جعلت الواو عينا * فان الضعف أجمع فى المودة

وقوله
قولوا الاخوانا جميعا * من كلهم سيد مرزا
من لم يعدنا اذا مرضنا * ان مات لم نشهد المعزى

أين هذه الحشمة من قول أبى الحسن اللحام الحرانى
انى اعتللت علة * سقطت منها فى يدى وكان فى الاخوان من * لم أرهم فى العود
فقلت فيهم كلهم * قول امرئ مقتصد ان الذى قد عادنا * فى است الذى لم يعد

ومثل قول الصاحب قول الآخر
قل للذى لم يعد سقامى * وقلبه مشرب حرارة من لم يعدنا اذا مرضنا * ان مات لم نشهد الجنازة

ومن قول الصاحب فى العيادة أيضا
حق العيادة يوم بعد يومين * وجلسة مثل رد الطرف فى العين
لا تبرمن مريضا فى مساءلة * يكفيك من ذاك تسآل بحرفين

(وقال الثعالبى) سمعت أبا الفتح البستى يقول لم أسمع فى انفاذ الحلوى الى الاصدقاء أحسن من قول الصاحب

لقائه له وسألوه عن حاله فأخبرهم بقدومه قاصدا له فكل أيس من لقائه فبيناهم كذلك اذ خرج بدر يريد الصيد فلما رآه مقبلا على الاشراء من الارض ثم جعل فى عمامته ريشة نعام ليشهر بها نفسه فلما اقترب اليه أومأ برقعة كانت معه وأنشأ يقول
نحن التجار وهذه أعلاقنا
در وجود يمينك المبتاع
قلب وفتشها بسمعك انما
هى جوهر تختاره الاسماع
كسدت علينا بالشآم وكلما
قل النفاق تعطل الصناع
فأتاك يحملها اليك تجارها
ومطيها الآمال والاطماع
حتى أناخوها ببابك والرجا
من دونها السمسار والبياع
فوهبت ما لم يعطه فى دهره
هرم ولا كعب ولا القعقاع
وسبقت هذا الناس فى طلب العلا
فالناس بعدك كلهم أتباع

حلاوة حبك ياسيدي * تسوغ حتى اليك الحلاوه

فقلت له وأنا لم أسمع في النثار أحسن من قولك

ولو كنت أنثر ما تستحق * نثرت عليك سعود الفلك

والصاحب في الهجاء والمجون

قال ابن مثوى لغلمانه * وقد حشوه بأيور العبيد

لئن شكرتم لأزيدنكم * وان كفرتم فعذابي شديد

وقال في الغوري

ان الغوري له نكهة * بنتها أربت على الكنف

ياليته كان بلا نكهة * أوليتني كنت بلا أنف

وقال فيمن زوج أمه

زوجت أمك يافتى * وكسوتني ثوب القلق

والحر لا يهدي العو * م الى الرجال على الطبق

وقال

أبو العباس قد أضحى فقيها * يتيه بفقهه في الناس تيها

وذلك أن لحيتــه أتتنى * تناظر فقحتي حريت فيها

وقال

حب علي بن أبي طالب * هو الذي يهدي الى الجنه

ان كان تفضيلي له بدعة * فلعنة الله على السنه

وقال في شهر رمضان قد تعودوا على الصيام وقالوا * حرم الصب فيه حسن العوائد

كذبوا في الصيام للمرء مهما * كان مستيقظا أتم الفوائد

موقف بالنهار غير مريب * واجتماع بالليل عند المساجد

وقال

راسلت من أهواه أطلب زورة * فأجابني أوليس في رمضان

فأجبته والقلب يخفق صبوة * أتصوم عن برّ وعن احسان

صم ان أردت تحرجا وتعففا * عن أن تكد الصب بالهجران

أولا فزرني والظلام مجلل * واحسبه يوما مر من شعبان

وقال يرثي أبا منصور كثير بن أحمد

يقولون لي أودى كثير بن أحمد * وذلك رزء في الانام جليل

فقلت دعوني والعلا نبكه معا * فمثل كثير في الرجال قليل

(وقال الثعالبي) سمعت أبا بكر الخوارزمي يقول أنشدني الصاحب لنفسه من نفسه هذا البيت

لئن هو لم يكفف عقارب صدغه * فقولوا له يسمح بدرياق ثغره

واستحسنته جدا حتى حمت من حسدي له عليه ووددت لو أنه بألف بيت من شعري قال الثعالبي وأنشدت الامير أبا الفضل عبيد الله هذا البيت وحكيت له هذه الحكاية في المذاكرة فقال أتعرف من أين سرق الصاحب معنى البيت فقلت لا والله فقال انما سرقه من قول القائل وقد ذكر العين الى ذكر الصدغ

لدغت عينك قلبي * انما عينك عقرب

لكن المصة من ريقك درياق مجرب

فقلت لله در الامير لقد أوتي حظا كبيرا من التخصص بمعرفة التلصص ومما هجي به الصاحب

(وما زالت الاملاك تهجى وتمدح) قول أبي العلاء الأسدي

اذا ظفرت يحيى في مرقعة * يأوي المساجد حرا صرة بادي

فاعلم بأن الفتى المسكين قد قذفت * به الخطوب الى لؤم ابن عباد

وقول السلامي

يا ابن عباد بن عبا * س بن عبد الله حرها

تشكر الخير وأخرجــت الى العالم كرها

وقول غيره

صاحبنا أحواله عاليه * لكنما غرفته خاليه

يابدر أقسم لو بك اعتصم الورى

ولجوا اليك جميعهم ما ضاعوا

(قال) وكان على يد بدر باز فدفعه الى البازدار فضرب بيده وابعد به عن الجيش وجعل يستعيده الابيات وهو ينشدها الى أن استقر في مجلسه ثم التفت الى جماعة غلمانه وخاصته وأصحابه وقال من أحبني فليخلع على هذا الشاعر قال علقمة فوالله لقد خرجت من عنده ومعي سبعون بغلا تحمل الخلع وأمر لي بعشرة آلاف درهم فخرجت فقلت لمن سابه الحقوني يا مخلفين فلحقوني بأجمعهم فأنفيهم الامن خلعت عليه ووهبت له من جائزتي

(وذكر) القاضي أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسين الآمدي النائب كان في الحكم بالاسكندرية قال دخلت على الامير السعيد

وان عرفت السر من دائه * لم تسأل الله سوى العافيه

والجروح قصاص فانه قال يهجو قاضيا

لنا قاض له رأس * من الخفة مملوء وفى أسفله داء * بعيد منكم السوء

(ذكر آخر أمره) لما بلغت سنوه الستين اعترته آفة الكمال وانتابته أمراض الكبر وجعل ينشد قوله

أناخ الشيب ضيفا لم أرده * ولكن لا أطيق له مردّا

رداء للردى فيه دليل * تردّى من به يوما تردّى

ولما كنى المنجمون عن عرضه فى سنة موته عما يشيد ذلك قال

يا مالك الارواح والاجسام * وخالق النجوم والاحكام

مدبر الضياء والظلام * لا المشترى أرجوه للانعام

ولا أخاف الضر من بهرام * وانما النجوم كالاعلام

والعلم عند الملك العلام * يارب فاحفظنى من الاسقام

ووقنى حوادث الايام * وهجنة الاوزار والاثام

هبنى لحب المصطفى المغنام * وصنوه وآله الكرام

وكتب بخطه على تحويل السنة التى دلت على انقضاء عمره هذه الابيات

أرى سنتى قد آذنت بعجائب * وربى يكفينى جميع النوائب

ويدفع عنى ما أخاف عنته * وآمن ما قد خوفوا من عواقب

اذا كان من أحوى الكواكب أمره * معينى فما أخشى صروف الكواكب

عليك أيا رب الانام توكلى * فحطنى من شر الخطوب الحوازب

فكم سنة حذرتها فتزخرفت * بخير وأقبال وجد مصاحب

ومن أضمر الاهم سوءا لمهجتى * فرد عليه الكيد أخيب خائب

فلست أريد السوء بالناس انما * أريدهم خيرا مريع الجوانب

وأدفع عن أموالهم ونفوسهم * بجدى وجهدى باذلا للمواهب

ومن لم يسعه ذاك منى فانى * سأكفاه ان الله أغلب غالب

وبلغه عن بعض أصحابه شماتة فقال

وكم شامت بى بعد موتى جاهل * بظلم يسل السيف بعد وفاتى

ولو علم المسكين ماذا يناله * من الظلم بعدى مات قبل مماتى

ولم يسعد أحد بعد وفاته كما كان فى حياته غير الصاحب فانه لما توفى أغلقت مدينة الرى واجتمع الناس على باب قصره وحضر مخدومه فخر الدولة وسائر الامراء والقواد وقد غيروا لباسهم فلما خرج نعشه من الباب صاح الناس بأجمعهم صيحة واحدة وقبلوا الارض ومشى فخر الدولة أمام النعش وقعد للعزاء أياما ورثاه الناس بمراث كثيرة منها قول أبى القاسم بن أبى العلاء الاصفهانى من قصيدة

هذى نواعى العلا مذ مت نادبة * من بعد ما ندبتك الخرد العين

تبكى عليك العطايا والصلات كما * تبكى عليك الرعايا والسلاطين

قام السعاة وكان الخوف أقعدهم * واستيقظوا بعد ما مات الملاعين

لا يعجب الناس منهم ان هم انتشروا * مضى سليمان فانحل الشياطين

ومن قصيدة لابى سعيد الرستمى

أبعد ابن عباد يهش الى السرى * أخو أمل أو يستماح جواد

أبى الله الا أن يموتا بموته * فما لهما حتى المعاد معاد

ابن مظفر فى أيام ولايته بالثغر فوجدته يقطر دهنا على خنصره فسألته عن سببه فذكر ضيق خاتمه عليه وأنه ورم بسببه فقلت له الرأى قطع حلقته قبل أن يتفاقم الامر فيه فقال اختر من يصلح لذلك فاستدعيت أبا منصور ظافر ابن القاسم الحداد فقطع الحلقة وأنشد بديها

قصر فى أوصافك العالم * وأكثر الناثر والناظم

من يكن البحر له راحة * يضيق عن خنصره الخاتم

فاستحسنه الامير ووهبه الحلقة وكانت من ذهب وكان بين يدى الامير غزال متأنس قد ربض وجعل رأسه فى حجره فقال ظافر

عجبت لجرأة هذا الغزال * وأمر تخطى له واعتمد

وأعجب به اذ غدا جاثما * وكيف اطمأن وأنت الاسد

فزاد الامير والحاضرون

ومن قصيدة لابي الفياض الطبري

خليلى كيف يقبلك المقيل * ودهرك لا يقيل ولا يقيل
ينادى كل يوم في بنيه * ألا هبوا فقد جدّ الرحيل
وهم رجلان منتظر غفول * ومبتدر اذا يدعى عجول
كأن مثال من يفنى ويبقى * رعيل سوف يتلوه رعيل
فهم سفر وليس لهم ركاب * وهم ركب وليس لهم قفول
تدور عليهم وكأس المنايا * كما دارت على الشرب الشمول
ويحدوهم الى الميعاد حاد * ولكن ليس يقدمهم دليل
ألم تر من مضى من أوّلينا * وغالتهم من الايام غول
قد احتالوا فما نفع الحويل * وأعولنا فما نفع العويل
كذاك الدهر أحوال تزول * وأعمال تحول ولا تؤول
لنا منه وان عفنا وخفنا * رسول لا يصاب لديه سول
وقد وضح السبيل فما لخلق * الى تبديله أبدا سبيل
لعمرك انه أمد قصير * ولكن دونه أمل طويل
أرى الاسلام أسلمه بنوه * وأسلمهم الى وله يهول
أرى شمس النهار تكاد تخبو * كأن شعاعها طرف كليل
أرى القمر المنير بدا ضئيلا * بلا نور فأضناه النحول
أرى زهر النجوم محدّقات * كأن سراتها عور وحول
أرى وجه الزمان وكل وجه * به مما تكاده فلول
أرى شم الجبال لها وجيب * تكاد تذوب منه أو تزول
وهذا الجو أكلف مقشعر * كأن الجو من كمد عليل
وهذى الريح أطيبها عقيم * اذا هبت وأعذبها بليل
وللسحب الغزار بكل فج * دموع لا يذادها المحول
نعى الناعى الى الدنيا فتاها * أمين الله فالدنيا ثكول
نعى كافى الكفاة فكل عين * بما تقذى العيون به كفيل

وهي طويلة يقول في آخرها

أأحيى بعده وأقرّ عينا * حياتى بعده هدر غلول
حياتى بعده موت وحىّ * وعيشى بعده سم قتول

ومن قصيدة الشريف الرضى الموسوى

أكذا المنون تقطر الأبطالا * أكذا الزمان يضعضع الأجبالا
أكذا تصاب الاسد وهى مدلة * تحمى الشبول وتمنع الأغيالا
أكذا تغاض الزاخرات وقد طغت * لججا وأوردت الظماء زلالا
ياطالب المعروف حلق نجمه * حط الحمول وعطل الأجمالا
وأقم على يأس فقد ذهب الذى * كان الأنام على نداه عيالا

ولابى عيسى بن المنجم لما استوزر أبو العباس الضبى بعد موت الصاحب ولقب بالرئيس الجليل

والله والله لا أفلحتم أبدا * بعد الوزير ابن عباد بن عباس
ان جاء منكم جليل فاجلبوا واجلى * أو جاء منكم رئيس فاقطعوا راسى

ومدائحه ومراثيه كثيرة يطول الشرح بذكرها (وقال ابن أبى العلاء الاصفهانى) رأيت فى المنام قائلا

في الاستحسان وتأمل طائرا شبيها كاعلى باب المجلس تمنع الطير من دخولها فقال
رأيت ببابك هذا المنيف
شبيها كاد أخلى بعض شك
وفكرت فيما رأى خاطرى
فقلت الصقر مكان الشبك
(وأنبأنى العماد بن حامد) قال وفد أبو الصقر الواسطى على نظام الملك رحمه الله فحجب عنه فكتب اليه بديها
لله درّك ان دارك جنة
لكن حاجب الباب منها مالكا
هذا نظام الملك صدّ المقتضى
قد كان يروى عن جهنم ذلكا
أنعم بتيسير الحجاب فانى
لاقيت أنواع النكال هنالكا
مالى أصادف فى رحابك جفوة
وأنا غنى راغب عن مالكا
(قال) فلما أذن له قال له اذا كنت غنيا عن مالنا فانكفف عنا فقال كلا أنت شافعى المذهب وقد جئتك لمذهبك لا لذهبك (وأنبأنى العماد أيضا) قال ذكر عمارة فى

يقول

يقول لى لم ترث الصاحب مع فضلك وشعرك فقلت أجتنى كثرة محاسنه فلم أدربم أبدأ وخفت أن أقصر وقد ظن بى الاستيفاء لها فقال أخزما أقول

ثوى الجود والكافى معافى حفيرة فقلت ليأنس كل منهما بأخيه

فقال هما اصطحبا حيين ثم تعانقا فقلت ضجيعين فى لحد بباب دريه

فقال اذا ارتحل الثاوون عن مستقرهم فقلت أقاما الى يوم القيامة فيه

وكانت وفاته ليلة الجمعة الرابع والعشرين من صفر سنة خمس وثمانين وثلثمائة بالرى ثم نقل الى أصبهان ودفن فى قبة تعرف بباب دريه قال ابن خلكان وهى عامرة الآن وأولاد بنته يتعاهدونها بالتبييض رحمه الله وعفى عنه

(لئن أخطأت فى مدحك * فما أخطأت فى منعى)

(لقد أنزلت حاجاتى * بواد غير ذى زرع)

البيتان من الهزج وينسبان لابن الرومى لكن رأيت فى الاغانى نسبتهما الى اسمعيل القراطيسى ولفظه حدث أحمد بن بشر المرثدى قال مدح اسمعيل القراطيسى الفضل بن الربيع فحرمه فقال فيه وذكر البيتين وذكر قبلهما بيتا آخر وهو ألا قل للذى لم يهـ ـده الله الى نفعى

ورأيت فى كتاب الدر الفريد بعد البيت الاول بيتين وهما

لسانى فيك محتاج * الى التخليع والقطع وأنيابى وأضراسى * الى التكسير والقلع

(والشاهد فيهما) الاقتباس من القرآن مع نقله عن معناه الاصلى فان معناه فى القرآن واد لا ماء فيه وهنا نقله الى جناب لا خير فيه ولا نفع ومثله قول الجماز البادى

ألا ان اخوانى الذين عهدتهم * أفاعى رمال لا تقصر عن لسعى

ظننت بهم خيرا فلما رأيتهم * نزلت بواد منهم غير ذى زرع

وقول الآخر

بجميع ما يفعله كلفة * الا أذاه فهو بالطبع

من حل منا بفنائه * حل بواد غير ذى زرع

ولمؤلفه وقد نقله الى المدح

عجبت لمطلبى أنى * يقابل منك بالمنع

وما أنزلت حاجاتى * بواد غير ذى زرع

(والقراطيسى) هو اسمعيل بن معمر الكوفى مولى الاشاعثة وكان مألفا للشعراء وكان أبو نواس وأبو العتاهية ومسلم بن الوليد وطبقتهم يقصدون منزله ويجتمعون عنده ويقصفون ويدعو لهم القيان وغيرهن من الغلمان ويساعدهم واياهم يعنى أبو العتاهية بقوله

لقد أمسى القراطيسى رأس الكساحبه يعنى الكشاخنة ومن شعره

وبلى على ساكن شط الصراه * مررحبه على الحياه

ما تنقضى من عجب فكرتى * من خصلة فرط فيها الولاه

ترك المحبين بلا حاكم * لم يقعدوا للعاشقين القضاه

يقول فيها

وقد أتانى خبر ساءنى * مقالها فى السر واسوأتاه

أمثل هذا يبتغى وصلنا * أما يرى ذا وجهه فى المراه

قال القراطيسى قلت للعباس بن الاحنف هل قلت فى معنى قولى هذا شيأ فقال نعم ثم أنشدنى

جارية أعجبها حسنها * ومثلها فى الناس لم يخلق

خبرتها أنى محب لها * فأقبلت تضحك من منطق

والتفتت نحو فتاة لها * كالرشا الوسنان فى قرطق

قالت لها قولى لهذا الفتى * انظر الى وجهك ثم اعشق

(وحدث) أبو هفان عن الجماز قال اجتمع يوما أبو نواس وحسين الخليع وأبو العتاهية فى الحمام وهم مخمورون

كتابه فى أشعار أهل اليمن قال وهب الداعى محمد بن سبا لابن سلمان رجل من قومه ألف دينار والقاضى يحيى بن أحمد بن يحيى حاصر وبنو يحيى بيت كبير بصنعاء فارتجل القاضى لوقته

لا فخر الا اذا أقبلت مستلما كف المكين ظهير الدين مولانا

هى التى نهب الآلاف وافية ان كنت غرا فسل عنها ابن سلمانا

فقال الداعى أما أبو عبد الله أما ابن سلمان فهو ابن عمى وانما المسؤل عنها أنت ثم أمر له بألف دينار فقبضها فى الحال (وذكر) عبد الرحمن بن نصر الدمشقى فى كتابه المسمى بالتحفة والطرفة أن الوزير المزدقانى ٣ خرج للتنزه فرأى امرأة فى بعض القصور فأعجبته فوقف متأملا لها فأشارت اليه فآنس منها قبولا فأرسل

٣ قوله المزدقانى بالزاى وفى نسخة بالراء اهـ

فقالوا أين نجتمع اليوم فقال القراطيسي

ألا قوموا بأجمعكم * الى بيت القراطيسي
فقد هيا لنا نزلا * غلام فاره طوسي
وقد هيا زجاجات * لنا من أرض بلقيس
وألوانا من الطير * وألوانا من العيس
وقينات من الحور * كأمثال الطواويس
فنيكوهن في ذاكم * نقم في طاعة ابليس

(قد كان ما خفت أن يكونا * إنا الى الله راجعونا)

البيت من مخلع البسيط وقائله بعض المغاربة عند وفاة بعض أصحابه وذكر صاحب قلائد العقيان أنه قيل في الرئيس أبي عبد الرحمن محمد بن طاهر وقال شهدت وفاته سنة سبع وخمسمائة وحين قضى دخل عليه الوزير أبو العلاء بن أزرق وهو يبكي ملء عينيه ويقلب على ما فاته كفيه وينادي بأعلى صوته أسفا على فوته

كان الذي خفت أن يكونا * إنا الى الله راجعونا

(والشاهد فيه) الاقتباس مع تغيير يسير في التقفية ومن الامثلة الشعرية في الاقتباس قول الاحوص

اذا رمت عنها سلوة قال شافع * من الحب ميعاد السلو المقابر
ستبقى لها في مضمر القلب والحشا * سرائر ود يوم تبلى السرائر

وقول البديع الهمذاني لآل فريغون في المكرمات * يد أولا واعتذار أخيرا
اذا ما حللت بمغناهم * رأيت نعيما وملكا كبيرا

وقول الأبيوردي وقصائد مثل الرياض أضعتها * في باخل ضاعت به الاحساب
فاذا تناشدها الرواة وأبصروا الـ * ممدوح قالوا ساحر كذاب

وقول محمد الشجاعي لا تعاشر معشرا ضلوا الهدى * فسواء أقبلوا أم أدبروا
بدت البغضاء من أفواههم * والذي يخفون منها أكثر

وقول القاضي منصور الهروي

ومنتقب بالورد قبلت خده * وما لفؤادي من هواه خلاص
فأعرض عني مغضبا قلت لا تجر * وقبل في ان الجروح قصاص

وقول أبي الفضل عبد الله بن محمد الحبري

أشكو الأقارب لا يغب جفاهم * يبغي أذاي صغيرهم وكبيرهم
هم يعلنون لدى اللقاء مودتي * والله يعلم ما تكن صدورهم

وقول أبي منصور عبد الرحمن بن سعيد

خلة الغانيات خلة سوء * فاتقوا الله يا أولي الالباب
واذا ما سألتموهن شيأ * فاسألوهن من وراء حجاب

وقول الحكيم سبقت العالمين الى المعالي * بصائب فكرة وعلو همه
ولاح بحكمتي نور الهدى في * ليال للضلالة مدلهمه
يريد الجاهلون ليطفئوه * ويأبى الله الا أن يتمه

وقول أبي عبد الله الأبيوردي

أردت زيارة الملك المفدى * لأمدحه وآخذ منه رفدا
فعبس حاجبا فقرأت أما * من استغنى فأنت له تصدى

وقول الخباز البلدي كأن يميني حين حاولت بسطها * لتوديع إلفي والهوى يذرف الدمعا
يمين ابن عمران وقد حاول العصا * وقد جعلت تلك العصا حية تسعى
وقائلة هل عالك الصبر بعدهم * فقلت لها لا والذي أخرج المرعى

وقوله سار الحبيب وخلف القلبا * يبدي الغرام ويظهر الكربا

البهار سولا يعلمها بشدة شوقه ووجده بها فردت رسوله ومعه تفاحة عنبر فيها زر من ذهب ولم تكلمه بشيء فلم يفطن هو ومن حضره لتأويل ذلك فقال له ابنه أحمد قد فهمت ما أرادت ونظمه في الحال في بيتين وأنشد

أهدت لك العنبر في جوفه * زر من التبر خفي اللحام
فالزر في العنبر معناهما * زره كذا مختفيا في الظلام

(وأنبأني الفقيه) أبو الحسن ابن المفضل المقدسي قال أخبرني الشيخ أبو الحسن علي بن عتيق بن مؤمن القرطبي الانصاري قال عمل والدي محملا للكتب من قضبان شبه تشبه سلما فدخل عليه أبو عبد الله محمد ابن مغيد فرآه فقال ارتجالا مخبرا عن لسان حال السلم

أيها السيد الذكي الجنان * لا تقسني بسلم البنيان

قدقلت انسار السفين به * والشوق ينهب مهجتي نهبا
لوأن لي عزا أصول به * لأخذت كل سفينة غصبا

وقول الاستاذ أبي محمد العبدلكاني

اذا كنت متخذا ضيعة * فاياك والشركاء الوجوها
ودار الملوك فان الملوك * اذا دخلوا قرية أفسدوها

وقول الامير نصر الدين أحمد الميكالي

ياقومنا الاتضيعوا * نمام كل جسيم ولاتخاوا بجودا * بحق خل قديم
وذكروا النفس حقا * بقول رب رحيم انى أخاف عليكم * عذاب يوم عظيم

وقول بعضهم يهجو بخيلا رأى ضيفك في الدار * وكرب الجوع يغشاه
على خبزك مكتوبا * سيكفيكهم الله

وقول محمد بن نصر الباخرزي

وفتاة ألبستها من ثيابي * ملبسا فيه نزهة ونعيم
غدرت بي وغادرتني وحيدا * ان ربي بكيدهن عليم

وقول المطوعي انظر الى وجه صديق لنا * كيف محا الشوك به النقشا
قد كتب الدهر على خده * بالشعر والليل اذا يغشى

وقول الاديب شهاب الدين أحمد الامشاطي

وفتاك اللواحظ بعد هجر * حبى كرما وأنعم بالمزار
وطل نهاره يرمي بقلبي * سهاما من جفون كالشفار
وعند النوم قلت لمقلتيه * وحكم النوم في الاجفان ساري
تبارك من توفاكم بليل * ويعلم ما جرحتم بالنهار

وقول شيخ شيوخ حماة

ياقطرة ما جلت لي حسن طلعته * حتى انقضت وأدامتني على وجل
عاتبت انسان عيني في تسرعه * فقال لي خلق الانسان من عجل

وقوله أيضا أدمعت عيني في أجل ذا * بكى على حالي من لا بكى
أوقعني انسانها في الهوى * ياأيها الانسان ما غرّكا

وقول ابن نباتة المصري

وأغيد جارت في القلوب لحاظه * وأسهرت الاجفان أجفانه الوسنى
أجل نظرا في حاجبيه وطرفه * ترى السحر منه قاب قوسين أو أدنى

وقول ابن قرناص ان الذين ترحلوا * نزلوا بعين ساهره
أسكنتهم في مقلتي * فاذا هم بالساهره

وقول ابن الوردي رب فلاح مليح * قال ياأهل الفتوه
كفلي أضعف خصري * فأعينوني بقوه

وقول الحافظ العلامة ابن حجر العسقلاني

خاض العواذل في حديث مدامعي * لما جرى كالبحر سرعة سيره
فحبسته لأصون سرّ هواكم * حتى يخوضوا في حديث غيره

وقد سبق الى هذا الاقتباس الفقيه الواعظ ابراهيم بن سعيد البردشيري بقوله

حال اذا خالات خلا خيرا * وبه تمسك تقتبس من خيره

فضل شكالي على السلالم أبي
محمل العلوم والقرآن
حوت من حلية المحبين ضعفي
واصفراري ودقة الابدان
فادع للصانع المفيد بفوز
ثم وال الدعاء للاخوان
(ثم محمل أيضا)
أيها السيد الكريم المساعي
التقت صنعتي وحسن
ابتداعي
أنا للكتب محمل خف حملي
أنا في الشكل سلم الاطلاع
(وأنبأني الفقيه) أبو محمد
عبد الخالق السبكي قال
أنشدني تاج الدين المسعودي
أبو سعيد عبد الرحمن قال
أنشدني ظهير الدين أبو
النجيب الحسن بن
شهراسوب القاضي أبو بكر
الارجاني وقد دخل عليه
من طمع في طيلسانه فقال
ارتجالا
حسبك مني يافتى خلعة
أمسك عن شتم مساويكا

واهجر اناسا مهجرين أولي جفا * فالهجر سامعه رديئة ضيره
واذا رأيتهم فاعرض عنهم * حتى يخوضوا في حديث غيره

وما أحسن قول بعضهم وأصدقه

أما السماح فقد مضى وقد انقضى * فتسل عنه ولا تسل عن خيره
واسكت اذا خاض الورى في ذكره * حتى يخوضوا في حديث غيره

وقول الآخر

دخلت على كافر داره * وأشجار بستانه زاهره
وقد وافق الزهر نقش البساط * فعيني لما أبصرت حائره
جنان تزخرف للكافرين * ونحن نحال على الآخره
فان يك في الحشر حالي كذا * فتلك اذا كرة خاسره

وأحسن ابن سناء الملك في بعض مطالعه بقوله

رحلوا فلست مسائلا عن دارهم * أنا باخع نفسي على آثارهم

وما ألطف قول ابن عبد الظاهر في معشوقه نسيم

ان كانت العشاق في أشواقهم * جعلوا النسيم الى الحبيب رسولا
فأنا الذي أتلو عليهم ليتني * كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

وقول المعمار

ابن الجمالي مات حقا * برح بي موته وآذى
ورحت أقرا عليه جهرا * ياليتني مت قبل هذا

ومن أفحش السخف وأقبحه ادراج المتفحشين من الشعراء الآيات الشريفة في أشعارهم على طريق المجون والسخف كقول القائل

أوحى الى عشاقه طرفه * هيهات هيهات لما توعدون
وردفه ينطق من خلفه * لمثل ذا فليعمل العاملون

وكقول أبي نواس

خط في الارداف سطر * في عروض الشعر موزون
لن تنالوا البر حتى * تنفقوا مما تحبون

وقول ابن العفيف التلمساني

ياعاشقين حاذروا * مبتسما عن ثغره
فطرفه الساحر مذ * شككتم في أمره
يريد أن يخرجكم * من أرضكم بسحره

والتهاون في مثل ذلك يجر الى الانسلال من الدين والعياذ بالله تعالى ومن الاقتباسات التي هي غير مقبولة قول ابن النبيه في مدح القاضي الفاضل

قم ليل الصدود الا قليلا * ثم رتل ذكركم ترتيلا
ووصلت السهاد أقبح وصل * وهجرت الرقاد هجرا جميلا
مسمعي مل من سماع عذول * حين ألقى عليه قولا ثقيلا
وفؤاد قد كان بين ضلوع * أخذته الاحباب أخذا وبيلا
قل لراقي الجفون ان لعيني * في بحار الدموع سبحا طويلا
ماس عجبا كأنما رأى غصن البان طليحا ولا كثيبا مهيلا
وحمى عن محبه كأس ريق * حين أمسى مزاجها زنجبيلا
بان عني فصحت في أثر العيس ارحموني وأمهلوني قليلا
أنا عبد للفاضل ابن علي * قد تبتلت بالثنا تبتيلا
لا تسمه وعدا بغير نوال * انه كان وعده مفعولا
جز عن سائر الخلائق قدرا * فاخترنا في مدحه التنزيلا

نعوذ بالله سبحانه من مغالاته وفرط اغراقه فان مذهبه في ذلك مشهور ومنه قول البهاء زهير

في طيلساني لا تكن طامعا
طي لساني عنك يكفيكا

(وقد أخبرني) العماد أبو حامد أنه سمع جميع شعر القاضي أبي بكر على ابنه عنه وطلب مني قراءته عليه فلم أتفرغ له وأجازنيه في جملة ما أجازني روايته عنه (وأخبرني) القاضي الوجيه الحسين بن أبي منصور بن حران الواسطي قال كنت مع خالي نجم الدين بن أبي الغنائم بن المعلم الهرثي على طعام فأنهى اليه أن ظهير الدين محمود بن محمد بن برداسيا ضامن بلاد واسط قد طرح على قرى كانت في ملكه عدة أكرار أرز فناولني درجا ثم قال لي اكتب فكتبت

أيا ظهير الدين انك في ندى
وفي كنيت جدا وليث عرين
واذا امرؤ ضاقت عليه أموره
وكأنه في حلقة السعين

وسقانى من ريقه البارد العذ * ب كؤسا حوت شرابا طهورا

بقوارير فضة من ثنايا * قدّروها بلؤلؤ تقديرا

وغيوم مثل الجمان فما تنظر فيها شمسا ولا زمهريرا

نصب روض وشى النسيم عليه * فانبرى سعيه به مشكورا

أيها الحاسد المفند إما * أن تكن شاكرا وإما كفورا

كيف تجفو التى يطير بها الهم وان كان شرّه مستطيرا

وهذا النوع محظور وقد جاوز فيه بعض العلماء وتجنبه أولى بالادب ومن الاقتباس من الحديث قول الصاحب ابن عباد أقول وقد رأيت له سحابا * من الهجران مقبلة الينا

وقد سحت عزاليها بهطل * حوالينا الصدود ولا علينا

وقول شمس الدين محمد بن عبد الكريم الموصلى

ومنكر قتل شهيد الهوى * ووجهه ينبئ عن حاله

اللون لون الدم من خدّه * والريح ريح المسك من خاله

وقول أبى جعفر الاندلسى الغرناطى

لا تعاد الناس فى أوطانهم * قلما يرعى غريب الوطن

واذا ما شئت عيشا بينهم * خالق الناس بخلق حسن

وقول أبى الحسن الباخرزى صاحب دمية القصر

يا حادى العيس رفقا بالقوارير * وقف فليس بعار وقفة العير

واحلب ما فى عين طالما قطرت * حمر الدموع على البيض المقاصير

اقتبسه من قول النبى صلى الله عليه وسلم لأنجشة وكان يحدو بالابل التى عليها نساء النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع يا أنجشة رويدك سوقك بالقوارير شبه النساء بها الضعف عزائمهن وقلة دوامهن على العهد لان القوارير يسرع اليها الانكسار ولا تقبل الجبر ومن الاقتباس فى صناعة الحديث قول ابن جابر

أرادت على دعوى المحبة شاهدا * فقلت لها هذى دموعى فاسألى

فقالت لها جرح بخدّك بين * فتلك شهود عندنا لم تعدّل

وان حديث الدمع عندى مرسل * وليس على ما أرسلوا من معوّل

فيا عجبا من حسنها وهو مالك * ومرسل دمعى عنده غير معمل

ومن الاقتباس فى علم الخلاف قول ابن جابر أيضا

عرض الحب دون جوهر ذاك الثغر من أعظم المحال لخودى

أجمع الناظرون فى ذاك أن لا * عرض دون جوهر فى الوجود

وقوله أيضا فى الاقتباس من الاصول

جئتها طالبا السالف وعد * فأجابت لقد جهلت الطريقه

انما موعدى مجاز فقلت الأصل فى سائر الكلام الحقيقه

ومن الاقتباس فى الفقه قول المتنبى

بليت بلى الأطلال ان لم أقف بها * وقوف شحيح ضاع فى الترب خاتمه

ففى تغرمى الاولى من اللحظ مهجتى * بثانية والمتلف الشئ غارمه

وقول بعضهم أيضا أقول لشادن فى الحسن أضحى * يصيد بلحظه قلب الكمى

ملكت الحسن أجمع فى نصاب * فأدّ زكاة منظرك البهى

فقال أبو حنيفة لى إمام * يرى أن لا زكاة على الصبى

ودعا بك انفرجت سجون صعابها

عنه بابلج شامخ العرنين

ثم أتبعها رسالة أملاها الى واليه وأرسلها (وأنبأنا) العماد الاصفهانى اجازة قال اجتمعت أنا والمرتضى بن أبى المؤيد الجعفرى الاصفهانى يجرى بيننا فى المحاورة ذكر رجل يقال له ابن عمرو وكان ينسب الى كبر فنظم ابن التعاويذى بديهة يخاطب جمال الدين ابن الجندى فقال

أيها الصدر كم تشيع فينا

من تخيرته بما ليس فيه

واذا ما عددت أبناء فضل

فابن عمرو كمثل واو أبيه

(وأنبأنا أيضا) قال أخبرنى أكرم الدين أبو سهيل خازن دار الكتب بالنظامية قال دخل على عزيز بن محمد الشلمكى[2] دار الكتب وبيده عصا فقلت ان العصا للشيخ رجل ثالثة فقال بديها

[2] قوله الشلمكى فى نسخة بتقديم الميم على اللام اه

فان تك مالكى الرأى أو من * يرى رأى الامام الشافعى
فلا تك طالبا منى زكاة * فاخراج الزكاة على الوصى

وقول ابن جابر الاندلسى

طلبت زكاة الحسن منها فجاوبت * اليك فهذا ليس تدركه منى
على ديون للعيون فلا ترم * زكاة فان الدين يسقطها عنى

وقول القاضى عبد الوهاب المالكى

يزرع وردا ناضرا ناظرى * فى وجنة كالقمر الطالع
فلم حرمتم شفتى قطفه * والحكم أن الزرع للزارع

وقوله أيضا

ونائمة قبلتها فتنبهت * وقالت تعالوا فاطلبوا اللص بالحد
فقلت لها انى فديتك غاصب * وما حكموا فى غاصب بسوى الرد
خذيها وكفى عن أثيم ظلامة * وان أنت لم ترضى فألف على عد
فقالت قصاص يشهد العقل أنه * على كبد الجانى ألذ من الشهد
فباتت يمينى وهى هميان خصرها * وباتت يسارى وهى واسطة العقد
فقالت ألم أخبر بأنك زاهد * فقلت بلى مازلت أزهد فى الزهد

وقول صدر الدين ابن الوكيل

ياسيدى ان جرى من مدمعى ودمى * للعين والقلب مسفوح ومسفوك
لاتخش من قود يقتص منك به * فالعين جارية والقلب مملوك

وقول الصاحب ابن عباد

ومهفهف يغنى عن القمر * قمر الفؤاد بفاتر النظر
خالسته تفاح وجنته * من غير ابقاء ولا حذر
فأخافنى قوم فقلت لهم * لاقطع فى ثمر ولا كسر

وقول أبى الفتح البكتمرى

ردوا الهدو كما عهدت الى الحشا * والمقلتين الى الكرى ثم اهجروا
من بعد ملكى رمتم أن تغدروا * مابعد فرقة بيعين تخيير

ومن الاقتباس فى علم المنطق قول ابن العفيف

للمنطقيين أشتكى أبدا * عين رقيبى فليته هجعا
حاذرها من أحبه فأبى * أن نختلى ساعة ونجتمعا
كيف غدت دائما وما اتصلت * مانعة الجمع والخلو معا

وقول ابن جابر الاندلسى

مقدمات الرقيب كيف غدت * عند لقاء الحبيب متصله
تمنعنا الجمع والخلو معا * وانما ذاك حكم منفصله

وقوله أيضا

قياس غرامى صادق مع أنه * تركب من تلك العيون السوالب
وقد حكموا أن السوالب كلما * تركب منها لا يرى غير كاذب

وقول نجم الدين الدارمينى

لاتخطبن سوى كريمة معشر * فالعرق دساس من الطرفين
أولست تنظر فى النتيجة أنها * تبع الاخس من المقدمتين

ومن الاقتباس فى علم النحو قول المتنبى

اذا كان ماتنويه فعلا مضارعا * مضى قبل أن تلقى عليه الجوازم

ضعف جسمى لشيبى
لم يضع منى وقارا
صار حالى عبرة للعا
قل ان رام اعتبارا
العصا صارت جوارى
ولها صرت حمارا

(قال على بن ظافر) وأخبرنى بعض أصحابنا ان أبا القاسم بن هانئ الشاعر المحدث قد هجا الاجل الموفق أبا الحجاج يوسف بن الخلال صاحب ديوان الانشاء والمكاتبات هجاء اتصل به وأضمر له الحقد بسببه مع افراط جلالة الرجل وفرط رياسته وحسن معاشرته للناس وسياسته واتفق بعض المواسم التى جرت عادة ملوك مصر بالجلوس فيه لاستماع المدائح وبذل المنائح وزف بنات القرائح جلس الحافظ لذلك وحضر خواصه فى ظاهر الرواق على مراتبهم فانتهت

وقول نجم الدين القعفاري الحنفي

أضمرت في القلب هوى شادن * مشتغل في النحو لا ينصف
وصفت ما أضمرت يوما له * فقال لي المضمر لا يوصف

وقول أبي اسحق الاندلسي الاشبيلي

ليتني نلت منه وصلا وأجلت * ليلة الوصل عن صباح المتون
وقرأنا باب العناق مضافا * وحذفنا الرقيب كالتنوين

وقول ابن نباتة

وأهيف أحدث لي نحوه * تعجبا يعرب عن ظرفه
علامة التأنيث في لحظه * وأحرف العلة في طرفه

وقول ابن جابر الاندلسي

قالت وقد حاولت نيل وصالها * من غير شئ لا تجوز المسأله
بالله قل لي أين نحوك يا فتى * أرأيت موصولا يجيء بلا صله

وقوله أيضا

ما للنوى مدت بغير ضرورة * ولقبل معرفتي بها مقصوره
ان الخليل وان دعته ضرورة * لم يرض ذلك فكيف دون ضروره

وقول أبي جعفر الاندلسي

قد كان لي أنس بطيب حديثكم * والآن صار حديثكم برسول
ولقد مددت من النوى مقصوره * ان الخليل يراه غير جميل

وقوله أيضا

ما للنوى مدت وأنت خليلها * ولقبل قد قصرت برغم الكاشح
أتبعت في ذا مذهبا لا يرتضى * نقداوليس الرأى فيه بصالح

وقال محاسن الشواء

أرى الصفعور دمنه القذالا * وأوسع في أخدعيه المجالا
وأسأله عن حب ذات اللمى * وان هي راقت وفاقت جمالا
لئن كان قد حال ما بيننا * وبين الحبيبة صفع توالى
فقد يحدث الظرف بين المضاف * وبين المضاف اليه انفصالا

وقول ابن الوردي

وأغيد يسألني * ما المبتدا والخبر
مثلهما لي مسرعا * فقلت أنت القمر

وقول ابن أبي الاصبع

أيا قمرا من حسن وجنته لنا * وطل عذاريه الضحى والاصائل
جعلتك بالتمييز نصبا لناظري * فهل لارتفاع الهجر والهجر فاعل

ومن الاقتباس في علم العروض قول ابن جابر الاندلسي

ان صدعني فاني لا أعاتبه * فما التنافر في الغزلان تنقيص
شوقي مديد وحبي كامل أبدا * لاجل ذلك قلبي فيه موقوص

وقوله أيضا

سبب خفيف خصرها وورائها * من ردفها سبب ثقيل ظاهر
لم يجمع النوعان في تركيبها * الا لأن الحسن فيها وافر

ومن الاقتباس في علم الحساب قول ابن جابر أيضا

قسم القلب في الغرام بلحظ * يضرب القلب حين يرسل سهمه
هذه في هواه يا قوم حالي * ضاع قلبي ما بين ضرب وقسمه

ومن الاقتباس في علم الخط قول بعضهم

بوجه معذبي آيات حسن * فقل ما شئت فيه ولا تحاشي

التوبة في الانشاد الى أبي القاسم بن هانئ فأنشد ما اهتزت له المعاطف وفض ختام روضة ليس لها الا القلب والسمع جان وقاطف فقال الحافظ الى القاضي الموفق متعجبا وقال له كيف تسمع فاستحسن واستجاد حتى نسبه الى الاعجاز أو كاد وهو في خلال ذلك يصنع صنع المخاتل ويحاول قرطسة المقاتل فسأله الحافظ عن الرجل فأثنى على أدبه وثنى بنسبه حتى أوهمه الاعتناء به ثم قال ولو لم يكن له مما يمت به الا انتسابه الى أبي القاسم ابن هانئ شاعر هذه الدولة ومظهر مفاخرها وناظم مآثرها لكفى فكيف وفيه هذا الادب الغض النضير والشعر الذى لا مثله ولا نظير ولا بيت أطهره منه الصبر عند دخوله هذه البلاد فقال

فنسخة وجهه قرئت فصحت * وهاخط الكمال على الحواشي

وهذا القدر كاف فى الاقتباس ان شاء الله تعالى

(على أنى سأنشد عند بيعى * أضاعونى وأىّ فتى أضاعوا)

البيت للحريرى من قصيدة من الوافر أوّلها

لحاك الله هل مثلى يباع * لكيما تشبع الكرش الجياع

وهل فى شرعة الانصاف أنى * أكلف خطة لا تستطاع

وأن أبلى بروع بعد روع * ومثلى حين يبلى لا يراع

أما جربتنى فخبرت منى * نصائح لم يمازجها خداع

وكم أرصدتنى شركا لصيد * فعدت وفى حبائلى السباع

ونطت بى المصاعب فاستقادت * مطاوعة وكان بها امتناع

وأىّ كريهة لم أبل فيها * وغنم لم يكن لى فيه باع

وما أبدت لى الايام جرما * فيكشف عن مصارمتى القناع

ولم تعثر بحمد الله منى * على عيب يكتم أو يذاع

فأنى ساغ عندك نبذ عهدى * كأنبذت برايتها الصناع

ولم سمحت قرونك بامتهانى * وان أشرى كما يشرى المتاع

وهلا صنت عرضى عنه صونى * حديثك حين جدّ بنا الوداع

وقلت ان يساوم فى هذا * سكاب فلا يعار ولا يباع

فما أنا دون ذاك الطرف لكن * طباعك فوقها تلك الطباع

وبعده البيت (والشاهد فيه) التضمين وهو أن يضمن الشاعر شيأ من شعر الغير مع التنبيه عليه ان لم يكن مشهورا عند البلغاء وان كان مشهورا فلا حاجة الى التنبيه فالمصراع الثانى من البيت للعرجى من أبيات قالها فى حبسه وهى

أضاعونى وأىّ فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر

وصبر عند معترك المنايا * وقد شرعت أسنتها بنحرى

أجرّر فى الجوامع كل يوم * فيالله مظلمتى وصبرى

كأنى لم أكن فيهم وسيطا * ولم تك نسبتى فى آل عمرو

والكريهة من أسماء الحرب وسداد الثغر هو بكسر السين فقط وقد ضمنه الميرى الغرناطى فقال

لهشفة أضاعوا النشر منها * بلثم حين سدّت ثغر بدرى

فما أشهى لقلبى ما أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر

ومن لطيف ما يذكر هنا أن رجلا قدم ابنه الى القاضى ليحجر عليه فقال الابن كيف تحجر علىّ وأنا أحفظ القرآن فقال الاب أصلحك الله ان كان يحفظ آية من كتاب الله فلا تحجر عليه فقال له القاضى اقرأ فقال

أضاعونى وأىّ فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر

فقال الاب أصلحك الله انه قرأ آية أخرى فلا تحجر عليه فحجر عليهما معا وقد تقدمت ترجمة كل من الحريرى والعرجى فى هذا الفن الثالث ولله الحمد

(اذا الوهم أبدى لى لماها وثغرها * تذكرت ما بين العذيب وبارق)

(ويذكرنى من قدّها ومدامعى * مجرّ عوالينا ومجرى السوابق)

البيتان لابن أبى الاصبع من الطويل والعذيب ماء من مياه العرب وبارق من ديارها (والشاهد فيهما) التضمين فان المصراعين الاخيرين منهما مطلع قصيدة لابى الطيب المتنبى يمدح بها سيف الدولة ويذكر وقعته ببنى عقيل فنقلهما ابن أبى الاصبع من الحماسة الى الغزل والبيتان المذكوران من قصيدة مطلعها

له الحافظ ما هو فتحرّج من انشاده وامتنع من ايراده فأبى الحافظ الا أن يورده ففى أثناء ذلك صنع هذا البيت وأنشده

تنبالمصر فقد صارت خلافتها عظماء تنقل من كلب الى كلب

فعظم ذلك على الحافظ وأمر بقطع صلته وكاد أن يفرط فى عقوبته ولم يحصل له انتعاش من جهته طول مدته (قال على بن ظافر) وأخبرنى الفقيه أبو محمد عبد الخالق المسكى قال أخبرنا تاج الدين أبو سعيد وهو أبو عبد الله أيضا محمد بن عبد الرحمن بن محمد المسعودى قال جاء رجل الى أبى نصر أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن شمر الصغديهى وكان قاضى بلد تعرف بخمس القرى وكان من العلماء الفضلاء فقال له فى معرض الدعابة والمزاح اشهد على أنى قد وقفت

أعر مقلتي ان كنت خير موافق * دموعا لتبكي فقد حب مفارق

فقد نضبت يوم الوداع مدامعي * وشابت لتشتيت الفراق مفارقي

وقد ضمنه ابن مطروح بقوله

اذا ما سقاني ريقه وهو باسم * تذكرت ما بين العذيب وبارق

وابن أبي الاصبع سمى هذا النوع ايداعا وفرق بينه وبين التضمين والاستعانة والعنوان باب التضمين يقع في النظم والنثر ولا يكون الا بالنثر ويكون من المحاسن والعيوب لكنه لا يكون من العيوب الا اذا وقع في النظم بالنظم وأما الايداع والاستعانة وان وقعا معا في النظم والنثر فلا يكونان الا بالنظم دون النثر وأما العنوان فانه يقع في النظم والنثر ولا يقع بالنثر ولا يكون الا من المحاسن دون العيوب فعلى هذا يكون ما ذكر من الشواهد هنا يسمى ايداعا لا تضمينا وحيث ذكرنا الاستعانة والعنوان فلا بأس بذكر شئ من شواهدهما تتميما للفائدة ثم نرجع الى ما نحن بصدده فالاستعانة أن يستعين الشاعر ببيت لغيره في شعره بعد أن يوطئ له توطئة لائقة به بحيث لا يبعد ما بينه وبين أبياته وخصوصا أبيات التوطئة وكذلك الناثر الا أن يكون البيت لنفسه فيسمى تشهيرا فمن أمثلة الاستعانة في الشعر قول الحارثي

وقائلة والدمع سكب مبادر * وقد شرقت بالماء منها المحاجر

وقد أبصرت نعمان من بعد أنسها * بنا وهي منا موحشات دواثر

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر

فقلت لها والقلب مني كأنما * يقلبه بين الجوانح طائر

بلى نحن كنا أهلها فأبادنا * صروف الليالي والجدود العواثر

فاستعان ببيتي خزاعة بنت تبع وقول ابن أبي الاصبع يهجو دباطبيبا

رأيت أبا الخير اليهودي ماسكا * بقارورة كالورس راق حليبها

وقد رش منها فوق صفحة خده * وقال لقد أحيا فؤادي طيبها

فقلت له ماهذه قال بولة * لأسود يشفي الداء مني قضيبها

قريبة عهد بالحبيب وانما * هوى كل نفس أين حل حبيبها

قال ابن أبي الاصبع ولا يضر تصحيف الحرف وتحريفه من الكلام المتقدم ليدخل في معنى الكلام المتأخر عند الاستعانة كما فعلت ببيت من الحماسة حين قلت

اذا ما خليل صدعنك ملالة * وأصبح من بعد الوفا وهو غادر

فلا تحتفل واستغن بالله انه * على أن ترى عنه غنيا لقادر

وهبه كشئ لم يكن أو كنازح * به الدار أو من غيبته المقابر

فان هذا البيت كان نسيبا وكان أوله فهبها فحرفت ضمير التأنيث لضمير التذكير حتى دخل في معناي ﴿قلت﴾ تقدم ذكر هذا البيت في شواهد التقسيم وانه لعمر بن أبي ربيعة المخزومي وأما العنوان فهو أن يأخذ المتكلم في غرض له من وصف أو فخر أو هجاء أو مديح أو عتاب أو غير ذلك ثم يأتي لقصد تكميله بألفاظ تكون عنوانا الاخبار متقدمة أو قصص سالفة كقول أبي نواس

ياهاشم بن خديج ليس فخركم * بقتل صهر رسول الله بالسدد

أدرجتم في اهاب العير جثته * لبئس ما قدمت أيديكم لغد

ان تقتلوا ابن أبي بكر فقد قتلت * حجرا بدارة ملحوب بنو أسد

وقد أصاب شراحيلا أبو حنش * يوم الكلاب فما دافعتم بيد

ويوم قلتم لعمرو وهو يقتلكم * قتل الكلاب لقد أبرحت بالولد

ويوم كندية قالت لجارتها * والدمع ينهل من مثنى ومن وحد

معدتي على سائر ألوان الطعام فقال قد شهدت فقال سجل لي فأمر كاتبا فكتب كتاب وقف فلما قدم اليه كتب في موضع الشهادة هذه الابيات قال وكان ارتجلها ما بين ابتداء الكتاب وفراغه وهي

يقول أبو نصر المبتلى * بأمر القضا بخمس القرى

أقر بمضمونه طائعا * أبو الاكل ملتقم ابن القرى

وحليته صاحب الطيلسان * مديد الحوايا قصير القرى

(وأخبرني) الفقيه الحافظ ابن دحية قال دخلت على الوزير الفقيه الاجل أبي بكر عبد الرحمن بن محمد بن مغاور السلمي فوقع الكلام في علوم لم تكن من جنس فنونه فقال بديها

أيها العالم أدركني سماحا * فلمثلي يحق منك السماح

ان تراني اذا انطقت عييا * فبناني اذا كتبت وقاح

أحرز الشأو في نظام ونثر * ثم أثني وفي العنان جماح

ألهى امرأ القيس تشبيب بغانية * عن ثاره وصفات النوى والوتد

فاشتملت هذه الابيات على عدة عنوانات منها قصة قتل محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما وقتل حجر بن امرئ القيس وقتل عمرو بن هند كندة في ضمن هجاء من أراد هجاءه ومعيرة المهجو بما أشار اليه من الاخبار الدالة على هجاء قبيلته وملوكهم ومثل ذلك قول أبي تمام لاحمد بن أبي دؤاد

تثبت ان قولا كان زورا * أتى النعمان قبلك في زياد

فأرث بين حي بني جلاح * لظى حرب وحي بني مصاد

وغادر في صدور الدهر قتلى * بني بدر على ذات الاصاد

فأتى بعنوان يشير الى قصة النابغة حين وشى به الواشون الى النعمان وما جرى في ذلك من السعي للحروب التي انطوت عليها قطعة من أيام العرب وهذا القدر كاف فلنرجع الى ما كنا بصدده فنقول ثم التضمين تارة يكون ببيت فما فوقه أو بمصراع فما دونه فمن انشادات ابن المعتز فيه

عوذ لما بت ضيفا له * أقراصه مني بياسين

وعوذ الماء بسمر القنا * وبالأفاعي والثعابين

فبت والارض فراشي وقد * غنت قفا نبك مصاريني

والاحسن في هذا النوع صرفه عن معناه الاول فمن ذلك قول أبي الحسن حازم في تضمين قصيدة امرئ القيس وقد صرف معانيها الى مدح النبي صلى الله عليه وسلم

لعينيك قل ان زرت أفضل مرسل * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

وفي طيبة فانزل ولا تغش منزلا * بسقط اللوى بين الدخول فحومل

ومن أبدع ما له فيها نبي هدى قد قال للكفر نوره * ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي

تلاسوا وما فوقها بمعارض * اذا هي نصته ولا بمعطل

لقد نزلت في الارض حلة هديه * نزول اليماني ذي العياب المحول

أتت مغربا منه بشرق وتعرضت * تعرض أثناء الوشاح المفصل

ففازت بلاد الشرق من زينتها * بشق وشق عندنا لم يحول

وقد تلاعب الشعراء بتضمين هذه القصيدة فمن ذلك قول أبي منصور العبدوني

أكتاب ديوان الرسائل ما لكم * تحملتم بل متم بالتحمل

وأرزاقكم لا تستبين رسومها * لما نسجتها من جنوب وشمأل

اذا ما شكى الافلاس والضر بعضكم * تقولون لا تهلك أسى وتجمل

حلفتم على باب الامير كأنكم * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

ومما كتب به الصلاح الصفدي الى ابن نباتة

أفي كل يوم منك عتب يسوءني * كجلمود صخر حطه السيل من عل

وترمي على طول المدى متجنيا * بسهميك في اعشار قلب مقتل

فأمسي بليل طال جنح ظلامه * علي بأنواع الهموم ليبتلي

وأغدو كأن القلب من وقدة الجوى * اذا جاش فيه حميه غلي مرجل

تطير شظاياه بصدري كأنها * بأرجائه القصوى أنابيش عنصل

وسالت دموعي من هوى ولوعتي * على النحر حتى بل دمعي محملي

ترفق ولا تجزع على فائت الوفا * فما عند رسم دارس من معول

في أبيات فأجابه ابن نباتة متهكما في المطلع بقوله

فطمت ولائي ثم أقبلت عاتبا * أفاطم مهلا بعض هذا التدلل

فهزل كاتا أو دغصن
ويجد كانسل الصفاح
(وأخبرني) أيضا قال دخلت عليه منزله بعد بنة شاطبة في اليوم الذي توفي فيه وهو يجود بنفسه فأنشد بديها
أيها الواقف اعتبارا بقبري
استمع فيه قول عظمي الرميم
أودعوني بطن الضريح وخافوا
من ذنوب كلومها بأديمي
تركوني بما اكتسبت رهينا
غلق الرهن عند مولى كريم
(وأخبرني) القاضي الاعز ابن المؤيد المقدم ذكره عن أبيه بما معناه قال كنت بمجلس الصالح في يوم أسدل الجو به ستور الغمام واختفت الشمس فيه اختفاء النور في الكمام ونثرت السماء درر البرد نثراعم الربا والآكام حتى وصل الى أطراف بسط المجلس فصنع القاضي الموفق ابن قادوس قطعة شذت عني لبعدي عنها الا قوله منها

روحي ألفاظ تعترض عتبها * تعرّض أثناء الوشاح المفصل
فأحييت ودّا كان كالرسم عافيا * بسقط اللوى بين الدخول فحومل
تعفي رياح العذل منك رقومه * لما نسجتها من جنوب وشمأل
ثم قوضت منك المودّة وانقضت * فيا عجبا من رحلها المتحمل
أمولاي لا تسلك من الظلم والجفا * بنا بطن خبت ذي قفاف عقنقل
ولا تنس مني صحبة تصدع الدجى * بصبح وما الاصباح منك بأمثل

وهي طويلة يقول في آخرها

فدونك عتبي اللفظ ليس بفاحش * اذا هي نصته ولا بمعطل
وعادات حب هن أشهر في الورى * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

ومن التضمين الغريب ما اخترعه الصاحب فخر الدين بن مكانس في مداعبة رجل من أصحابه كان كبير الانف وهو

نأنف عن وصف الغزال تغزلي * بلحية أنف ذي عقاص ومرسل
من البق فيها جملة قد تعرضت * تعرّض أثناء الوشاح المفصل
فيا قبح شعر فوق أنف معرقف * أثيث كقنو النخلة المتعثكل
وقالوا اختبي في شعره فكأنه * كبير أناس في بجاد مزمل
ترى القمل والصئبان في عرصاتها * وقيعانها كأنه حب فلفل

الى أن قال

وكم قلت اذ أرخى ذوائب أنفه * عليّ بأنواع الهموم ليبتلي
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي * بصبح وما الاصباح منك بأمثل
كأن الفسا ان قيس مع ريح أنفه * نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل
ترى شعرات الانف سدّت خدوده * لما نسجتها من جنوب وشمأل
وقد درست بالانف آثار وجهه * فهل عند رسم دارس من معوّل
كأني عولا ناعلى وصف أنفه * تولى ناعجاز وناء بكلكل
وجرّد شعر الأنف مناوجاءنا * بمنجرد قيد الاوابد هيكل
مكر مفر مقبل مدبر معا * كجلمود صخر حطه السيل من عل

ومن ظريف التضمين قول أبي الحسين الجزار مضمنا قصيدة امرئ القيس المذكورة

قفا نبك من ذكرى قميص وسروال * ودرّاعة لي قد عفا رسمها البالي
وما أنا من يبكي لأسماء ان نأت * ولكنني أبكي على فقد أسمالي
لو ان امرأ القيس بن حجر رأى الذي * أكابده من فرط همّ وبلبال
لما مال نحو الخدر خدر عنيزة * ولا بات الا وهو عني بها سالي
ولي من هوى سكنى القياس عن هوى * بتوضح فالمقراة أعظم أشغالي
ولا سيما والبرد وافى بريده * وحالي على ما اعتدت من عسرة حالي
ترى هل يراني الناس في فرجية * أجرّ بهاتيها على الارض أذيالي
ويمسي عدوّي غير خال من الاسى * اذا بات عن أمثالها بيته خالي
ولو أنني أسعى لتفصيل جبة * كفاني ولم أطلب قليل من المال
ولكنني أسعى لمحد بجوخة * وقد يدرك المجد المؤثل أمثالي

ومنها

وكم ليلة أستغفر الله بتها * بخدّوريق بين ورد وجريال
تبطنت فيها بدرتم مشنف * ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال

وما أحسن قول ابن نباتة

ولكن أتتك ثغور السحاب * تقبل بين يديك البساطا

(وأخبرني) أيضا رحمه الله قال أخبرني أبي عما معناه قال كنت في مجلس فارس المسلمين أخي الصالح وقد نصب سماط بمجلسه لخواصه ونصب سماط آخر في بعض المجالس لجماعة من أمراء العرب وفي جملتهم الامير ابراهيم بن شادي ابن مرجان وهو يومئذ يهتز كالغصن الممطور ويلوز كالظبي المذعور قبل أن يصير أحد الامراء الامجاد والكرماء الانجاد قال فبصرت أنا والامير علم الدولة حاتم بن العسقلاني به وقد كشف عن معصمه وهو يشف عن مخه ودمه فكأنه عمود بلور تبدّى وقد حشي وردا ووجهه تحت لثامه كالبدر خلف غمامه قال فصنع بديها

أقول لمعشر جلدوا ولاطـوا * وباتوا عاكفين على الملاح
ألستم خير من ركب المطايا * وأندى العالمين بطون راح

وقوله
تصدّى الى ابرى فقلت له اتئد * وحقك لو عاينته وهو ثائر
رأيت الذى لا كله أنت قادر * عليه ولا عن بعضه أنت صابر

وما أحسن قول الناصر البارزى فى هذا المعنى
أقول وقد أبى عن أخذ ابرى * وسالت من محاجره دموع
اذا لم تستطع شيأ فدعه * وجاوزه الى ما تستطيع

وقول الاسعردى سامحه الله تعالى
قال وقد قصرت فى نيكه * سد فصامعرى الواسع
فقلت يا مولاى عذرا فقد * اتسع الخرق على الراقع

ذكرت بهذا التضمين ما حكى عن الوزير عون الدين بن هبيرة أنه قال له بعض أصحابه فى هربته التى قتل فيها يا مولانا أين ذلك التدبير وتلك السياسات فأنشد
الثوب ان أسرع فيه البلى * أعيا على ذى الحيلة الصانع
كنا نداريها وقد مزقت * واتسع الخرق على الراقع

وقد أبدع ابن نباتة بقوله لم أنس موقفنا بكاظمة * والعيش مثل الدار مسودّ
والدمع ينشد فى مسائله * هل بالطلول لسائل ردّ

وما أحسن قول بعض المغاربة
وفرع كان يوعدنى بأسر * وكان القلب ليس له قرار
فنادى وجهه لا خوف فاسكن * كلام الليل يمحوه النهار

ومن ظريف التضمين ما حكى أن الحيص بيص الشاعر قتل جرو كلب وهو سكران فأخذ أبو القاسم القطان الشاعر كلبة وعلق فى رقبتها قصة وأطلقها عند باب الوزير فأخذت القصة من عنقها وأدخلت على الوزير فاذا فيها مكتوب يا أهل بغداد ان الحيص بيص أتى * بخزية أورثته العار فى البلد
أبدى شجاعته بالليل مجترئا * على جرىّ ضعيف البطش والجلد
فأنشدت أمه من بعد ما احتسبت * دم الأبيلق عند الواحد الصمد
أقول للنفس تأساء وتعزية * احدى يدىّ أصابتنى ولم تزد
كلاهما خلف من فقد صاحبه * هذا أخى حين أدعوه وذا ولدى

البيتان الاخيران لامرأة من العرب قتل أخوها ابنها فقالتهما تسلية لنفسها وما أحسن قول ابراهيم ابن العباس الصولى أولى البرية طرّا أن تواسيه * عند السرور الذى واساك فى الحزن
ان الكرام اذا ما أيسروا ذكروا * من كان يألفهم فى المنزل الخشن

البيت الاخير لابى تمام وقد أحسن تضمينه الصاحب ابن عباد بقوله
أشكو اليك زمانا ظل يعركنى * عرك الاديم ومن يعدو على الزمن
وصاحبا كنت مغبوطا بصحبته * دهرا فغادرنى فردا بلا سكن
هبت له ريح اقبال فطار بها * الى السرور وألجانى الى الحزن
نأى بجانبه عنى وصيرنى * مع الاسى ودواعى الشوق فى قرن
وباع صفو وداد كنت أقصره * عليه مجتهدا فى السرّ والعلن
وكان غالى به حينا فأرخصه * يا من رأى صفو ودّ بيع بالغبن
كأنه كان مطويا على احن * ولم يكن فى قديم الدهر أنشدنى

سلت من فتنة العيون
فارحم فتى هام بالفتون
قلبى بلى من بلى بظبى
يختلس الليث فى العرين
مذ عقد القاف حل منى
عقدة عزمى وعقد دينى
يقول والقلب فى هواه
بلا مجير ولا معين
ان كنت فردا بحسن وجه
وكنت من ذا على يقين
فاخلع ثيابى وانظر تشاهد
عساكر الحسن فى الكمين
(وأنبأنى) العماد أبو حامد قال أنشدنى أبو السعادات على بن بختيار لنفسه فى البرغوث والبق وقد اقترح عليه بحضرة جماعة من الفضلاء فقال بديها
ولما انتحى البرغوث والبق مضجعى
ولم يك من أيديهما لى مخلص
صفقت بكفى اذ دمامتها دمى

ان الكرام اذا ما أيسروا ذكروا * من كان يألفهم في المنزل الخشن

وذكرت بهذه الابيات واقعة الوزير المهلبي مع رفيقه وكانت حاله قبل الاتصال بالسلطان حال ضعف وقلة وكان يقاسي منها ما اقذى عينيه وشجا صدره فبيناهو ذات يوم في بعض أسفاره مع رفيق له من أصحاب الجراب والمحراب الا أنه من أهل الادب اذ لقي من سفره نصبا واشتهى اللحم فلم يقدر على ثمنه فقال ارتجالا

ألا موت يباع فأشتريه * فهذا العيش ما لا خير فيه
اذا أبصرت قبرا من بعيد * وددت لو انني فيما يليه
ألا رحم المهيمن روح عبد * تصدق بالوفاة على أخيه

فاشترى له رفيقه بدرهم واحد ما سكن قرمه وتحفظ الابيات وتفارقا وضرب الدهر ضربانه فترقت حال المهلبي الى أعظم درجة من الوزارة حتى قال

رق الزمان لفاقتي * ورثى لطول تحرقي
وأنالني ما أشتهي * وأقال مما أتقي
فلأغفرن له الكثير من الذنوب السبق
حتى جنايته لما * فعل المشيب بمفرقي

وحصل الرفيق تحت كلكل الدهر وثقل عليه بركه وهاضه عركه فقصد حضرته وتوصل الى ايصال رقعة تتضمن أبياتا منها

ألا قل للوزير فدته نفسي * مقالة مذكر ما قد نسيه
أتذكر اذ تقول لضنك عيش * ألا موت يباع فأشتريه

فلما نظر فيها تذكره وهزته أريحية الكرم للاحسان اليه ورعاية حق الصحبة فيه والجري على حكم من قال

ان الكرام اذا ما أيسروا ذكروا * من كان يألفهم في المنزل الخشن

فأمر له في عاجل الحال بسبعمائة درهم ووقع في رقعته مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء ثم دعا به وخلع عليه وقلده عملا يرتفق به ويرتزق منه * ونظير ذلك ما حكي أن الامير بدر الدين بيليك الخازندار أحضره الى القاهرة تاجر كان يحسن اليه وهو في رقه فلما باعه تنقلت به الاحوال الى ما صار اليه وافتقر التاجر فيما بعد فحضر اليه الى مصر وكتب اليه رقعة فيها

كنا جميعا في كذا كابده * والقلب والطرف منا في أذى وقذى
والآن أقبلت الدنيا عليك بما * تهوى فلا تنس ان الكرام اذا

فأعطاه عشرة آلاف درهم وما أحسن قول بعضهم

قد قلت لما أطلعت وجناته * حول الشقيق الغض روضة آس
أعذاره الساري العجول ترفقا * ما في وقوفك ساعة من باس

وقد ضمنه أبو جعفر الاندلسي فقال

ومورد الوجنات دب عذاره * فكأنه خط على قرطاس
لما رأيت عذاره مستعجلا * قد رام يخفي الورد منه بآس
ناديته قف كي أودع ورده * ما في وقوفك ساعة من باس

ولابي بكر الخوارزمي في ابن العميد

لئن كنت أضحى من عطاياك شاعرا * لقد صرت أمسى من عطاياك مفحما
أبيت اذا أجريت ذكراك منشدا * وان تعتب الايام فيها فسرعا
ومالي من الاصوات مقترح سوى * أعالج وحدا في الضمير مكتما

وله في شمس المعالي قابوس

شموس لهن الخدر والبيت مغرب * فطالعها البين والهجر غارب

فزمّر هذا وابتدا ذاك يرقص

(قال العماد) وقد كنت عملت أبياتا ارتجالا أصف بها البسلة بتها بنهر دفلا فقلت

يا لحى الله ليلة قرصتني * في دياجيرها البراغيث قرصا
شربت بقها دمي فتغنت * وبراغيثها تواجدن رقصا
قد تعريت من ثيابي لقرصي * غير أني لبست منهن قمصا
كلما ردت منعهن تحرص * عن فراشي شمرن فازددن حرصا
من براغيث خلتها طائرات * طائرات جناحها قد قصا
عرضت جيشها الفريقان حولي * وهي أوفى من أن تعد وتحصى
لو غزا سنجر بهم الغز يوما * لم يدع منهم على الارض شخصا

ولكنما شمس المعالي خلافها * مشارقه ليست لهن مغارب

فما القبوه الشمس الا وقد روو * فانك شمس والملوك كواكب

ومن ظريف التضمين قول القاضي أبي عمر القابسي وقد أهديت اليه جارية فوجدها ابنة سرية له كان قد تسرى بها فردها وكتب الى مهديها

يامهدي الرشا الذي ألحاظه * تركت فؤادي نصب تلك الاسهم

ريحانة كل المنى في شمها * لولا المهيمن واجتناب المحرم

ماعن قلى صرفت اليك وانما * صيد الغزالة لم يبح للمحرم

ان الغزالة قد عرفنا قبلها * سر المهاة وليتنا لم نعلم

ياويح عنترة الذي قد شفه * ماشفني فشدا ولم يتكلم

ياشاة ماقنص لمن حلت له * حرمت علي وليتها لم تحرم

فضمن بيت عنترة والعرب تطلق الشاة على البقرة الوحشية فكنى بها عن المرأة تشبيها لها بها ويقال ان التي عناها كانت زوجة أبيه فلذلك حرمت عليه ومن بديع التضمين قول أبي فراس الحمداني يتغزل في غلام من الفرس

قاتلي شادن رخيم الدلال * كسروي الاعمام والاخوال

كيف أرجو ممن يرى الثار عندي * فرجاس تعطف أو وصال

مادرت أسرتي بذي قار أني * بعض من جندلوا من الابطال

أيها اللازمي جرائر قومي * بعدما قد مضت عليها الليالي

لم أكن من جناتها علم الله واني بحرها اليوم صالي

والمعنى الذي أراد أن بني شيبان وهم من ربيعة قوم أبي فراس كانوا قد هزموا الفرس يوم ذي قار وهو يوم مشهور فزعم أبو فراس في هذه الابيات متزعا طريفا وذهب مذهبا غريبا ذكر فيه ان هذا الغلام على تأخر زمانه وزمان أبي فراس عن الذين شهدوا تلك الهزيمة ذهب الى الاخذ بثار قومه من أبي فراس وان لم يكن أبو فراس من جناة تلك الحرب وأما البيت المضمن فهو من شعر الحرث بن عبادة البكري يقوله في حرب البسوس وكان اعتزل الحرب فلم يدخل فيها الى أن قتل ابنه بجير فلما بلغه قتله ظن أن مهلهلا يقنع به في دم أخيه كليب وقال نعم القتيل قتيلا أصلح الله به بين ابني وائل يريد بكرا وتغلب وعزم على أن لا يطلب بثاره الى أن بلغه أن مهلهلا قال له حين قتل بؤ بشسع نعل كليب يريد انه لا يفي دمه بشيء من دم كليب فعند ذلك حمي الحرث وغضب وعزم على الدخول في الحرب وقال في ذلك

قربا مربط النعامة مني * لقحت حرب وائل عن حيال

الى أن قال

لم أكن من جناتها علم الله واني بحرها اليوم صالي

وقد ضمنه شمس الدين التلمساني وأجاد بقوله

وعيون أمرضن جسمي وأصرمـ * ـن بقلبي لواعج البلبال

وخدود مثل الرياض زواه * مالأيام حسنها من زوال

لم أكن من جناتها علم الله واني بحرها اليوم صالي

فصرف لفظ جناتها عن معنى الجناية الى معنى الجني ومن ذلك قول بعض المحاب من أهل تونس في معذر

لاعذر لي ان لم أهم بمعذر * في وجنتيه فتنة المتأمل

خط على خد قويم مثل ما * دبت على الكافور أرجل أعل

اني من القوم الذين اذا هووا * لا يسألون عن السواد المقبل

ولديهم أن العذار اذا بدا * مما يعد من الطراز الاول

ضمن أعجاز بيتي حسان في آل جفنة

ومثل هذا ما أنشدنيه الحافظ ذو النسبتين أبو الخطاب بن دحية الحضرمي

ضاقت بأنسيه بي
وذادعني غموضي
رقص البراغيث فيها
على غناء البعوض

ومما أنشدنيه أيضا السميسير

بعوض شرب دمي قهوة
وغنينني بضروب الاغاني
كأن عروقي أوتارهن
وجسمي الرباب وهن القناني

وأحسن من هذا كله قول ابن رشيق القيرواني

لك مجلس كملت بشارة لهونا
فيه ولكن تحت ذاك حديث
غنى الذباب فظل يزمر حوله
فيه البعوض ويرقص البرغوث

وأسبق من هؤلاء الى هذا المعنى أبو أحمد بن أيوب من شعراء اليتيمة في قوله

لا أعزل الليل في تطاوله
لو كان يدري ما نحن فيه نقص

يغشون حتى ما تهر كلابهم * لا يسألون عن السواد المقبل
بيض الوجوه كريمة أحسابهم * شم الأنوف من الطراز الأول

فنقله من معنى المدح الى ذكر العذار فأبدع ولا سيما البيت الثالث فهو نهاية في الابداع ومنه قول ابن الجنان الشاطبي

لله قوم يعشقون ذوى اللحى * لا يسألون عن السواد المقبل
وبمهجتى نفر وانى منهمو * جبلوا على حب الطراز الاول

وقول الصلاح الصفدى

دب العذار فظن فيه عواذلى * أنى أكون عن الغرام بمعزل
لا كان ذلك فاننى من معشر * لا يسألون عن السواد المقبل

ومن التضمين البديع ما أنشده القاضى الخطيب أبو البركات لنفسه وكتبه على جزء فيه كلام لابن سبعين

ألا ادعوا ما قال عنكم فاغما * محا السيف ما قال ابن دارة أجمعا

أراد أن أصحاب ابن سبعين كانوا يعبرون عنه بابن دارة لان شكل سبعين في رسوم الحساب الرومية هكذا ٥ وكان ابن سبعين اذا كتب اسمه يكتب عبد الحق بن ٥ ويرسم دائرة فغاص الخطيب وأتى بتضمين بديع لا نظير له وهو عجز بيت من قول الشاعر

ولا تكثروا فيها الضجاج فانه * محا السيف ما قال ابن دارة أجمعا

وهو مما جرى عندهم مثلا وله قصة شهيرة ومن التضمين البديع قول ابن الرومى في مأبون

ياسائلى عن خالد عهدى به * رطب العجان وكفه كالجلمد
كالاقحوان غداة غب سمائه * جفت أعاليه وأسفله ندى

فصرف قول النابغة في وصف الثغر الى المعنى الذى أراد وما أحسن قول كشاجم

ياخاضب الشيب والايام تظهره * هذا شباب لعمر الله مصنوع
أذكرتنى قول ذى لب وتجربة * فى مثل ذلك تأديب وتقريع
ان الجديد اذا ما زيد في خلق * تبين الناس أن الثوب مرقوع

وقول ضياء الدين موسى بن ملهم الكاتب في الرشيد عمر الفوى وكان به داء الثعلب وأسنانه بارزة

أقول لمعشر جهلوا وغضوا * من الشيخ الرشيد وأنكروه
هو ابن جلا وطلاع الثنايا * متى يضع العمامة تعرفوه

هو تضمين قول سحيم المار في شواهد الايجاز

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * متى أضع العمامة تعرفونى

وقد ضمنه صدر الدين بن عموم فقال

جلا مسواك ثغرك خيردر * يحلى بذاك واكتسب المرايا
وأنشد صحبه تيها وفخرا * أنا ابن جلا وطلاع الثنايا

وقال شمس الدين الحلبى فيه

جلا ثغرا وأطلع لى ثنايا * يسوق بها المحب الى المنايا
وأنشد ثغره يبغى افتخارا * أنا ابن جلا وطلاع الثنايا

وضمنه الارجانى فقال تغشم صحبتى باصاح انى * نزعت عن الصبا الا بقايا
وخالف من تنسك من رجال * لقولك بأ كبد الابل الأبايا
ولا تسأل سوى طرقى فانى * أنا ابن جلا وطلاع الثنايا

وظريف قول المولى الفاضل على بن مليك في تضمينه

ومذ تاه الدليل وقد ضللنا * بليل ليس يهدى سالكوه

اذا تغنى بعوضه طربا
أطرب برغوثه الغنا فرقص
(وأخبرنى) الفقيه أبو الحسن على بن الطوسى المعروف بابن السبورى قال دخلت على الاديب الاعز أبى الفرج ابن قلاقس وهو مريض فقال قد صنعت بيتين بديها فى الحمى ووصفتها بأحسن من صفة أبى الطيب فاستنشدته اياهما فأنشدها

وبغيضة تدنو وما دعيت
فتبيت بين الجلد والكبد
يصبو الفؤاد لها فاذا
ولت بكاها سائر الجسد

(وأخبرنى) الفقيه أبو الحسن على بن المقدسى قال كنت معه يعنى ابن قلاقس فمر بنا صبى صبيح معروف الاسم فى ثوب أحمر وعمامة زرقاء

فأشرق وجه من أهوى ونادى * أنا ابن جلا ألا لا تنكروه
ووجه الصبح وافانا سريعا * وقال وقد حكاه أنا أخوه
فقلت لصاحبي أنعم صباحا * لعمرك قد تعارفت الوجوه

ومن محاسن السراج الوراق في التضمين قوله

توارى من الواشي بليل ذوائب * له من جبين واضح تحته فجر
فدل عليه شعره بظلامه * وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

نقله ابن الصائغ الى المداعبة وزاده تورية بقوله

تطلبت حرا في الظلام فلم أجد * ومن يك مثلي حية دأبه الجحر
فنادانى البدر الاديب الى هنا * وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

ومن تضامين مجير الدين بن تميم البديعة قوله

عاينت في الحمام أسود دائبا * من فوق أبيض كالهلال المسفر
فكأنما هو زورق من فضة * قد أثقلته حمولة من عنبر

وقوله في الفانوس يقول لى الفانوس حين أتواه * وفي قلبه نار من الوجد تسعر
خذوا بيدى ثم اكشفوا الثوب تنظروا * ضنى جسدى لكنني أتستر

وقوله أيضا أزهر اللوز أنت لكل زهر * من الازهار يأتينا امام
لقد حسنت بك الايام حتى * كأنك في فم الدهر ابتسام

وقوله أيضا لو كنت اذ أبصرتها فوارة * للشمس في أمواجها الألاء
لرأيت أعجب ما يرى من بركة * سال النضار بها وقام الماء

وقوله أيضا لو كنت في الحمام والحناء على * أعطافه وبجسمه لألاء
لرأيت ما يسبيك منه بقامة * سال النضار بها وقام الماء

وقوله وهو من تضامينه البديعة

أفدى الذى أهوى بفيه شاربا * من بركة راقت فطابت مشرعا
أبدت لعينى وجهه وخياله * فأرتني القمرين في وقت معا

وقوله وأجاد وشبابة قد كنت أهوى سماعها * وقد صرت منها بعد ما تبت أنفر
وها أنا قد فارقتها غير نادم * وكم مثلها فارقتها وهي تصفر

وقوله وناطقة بالروح عن أمر ربها * تعبر عما عندها وتترجم
سكتنا وقالت للقلوب فأطربت * فنحن سكوت والهوى يتكلم

ومن تضامين الشهاب محمود البديعة قوله

من حاتم عد عنه واطرح فيه * في الجود لا بسواه يضرب المثل
لو مثل الجود سرحا قال حاتمهم * لا ناقة لى في هذا ولا جمل

وما أحسن قول ابن العفيف التلمساني

قالوا غدا تتندم عن لثمه * في خده اذ يغلب السكر
وقال لى مبسمه دعهم * اليوم خمر وغدا أمر

وما أحسن قول العز الموصلي

لحديث نبت العارضين حلاوة * وطلاوة هامت بها العشاق
فاذا انتهى المرد قلت تمهلوا * فاليكم هذا الحديث يساق

وقول ابن نباتة ومذ كلمت قلبي سيوف لحاظها * شكوت اليها قصتي وهي تبسم

فاستحسنه الحاضرون فصنع في الحال
هذا أبو الفضل بدر الارض قد شهدت
صفاته أنه كالبدر في الافق
لما انعم تيها بالسماء بدا
وفوق أعطافه ثوب من الشفق
ولا تقل لاح في خديه عارضه
فانما هو تأثير من الفسق
(وأخبرني) أبو عبد الله المنجم ابن الصواف قال دخل منزلى الاديب الاعز أبو الفتوح بن قلاقس وجماعة من أصحابنا فأحضرت لهم بطيخة صفراء وشققتها وفرقتها عليهم فارتجل الاعز
أتانا الفقيه ببطيخة
وسكينة قد أجيدت صقالا
فقطع بالبرق بدر الدجى
وناول كل هلال هلالا

فلم أر بدراضاحكاقبل وجهها * ولم ترقبـــلى ميتايتكلم

وقول ابن تميم

ان تاه ثغر الاقاحى اذ نشبهه * بثغر حبك واستولى به الطرب
فقل له عندما يحكيه مبتسما * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

وهذا المصراع الاخير لابن الخيمى من قصيدة طنانة مطلعها

يامطلبا ليس لى فى غيره أرب * اليك آل التقصى وانتهى الطلب
وما طمحت لمرأى أولمستمع * الالمعـــنى الى علياك ينتسب
وما أرانى أهلا أن تواصلنى * حسبى علوا بأنى فيك مكتئب
لكن ينازع شوقى تارة أدبى * وأطلب الوصل لما يضعف الادب
ولست أبرح فى الحالين ذاقلق * نام وشوق له فى أضلعى لهب
ومدمع كلما كفكفت أدمعه * صونا لذكرك يعصينى وينسكب

الى أن قال

والهف نفسى لو يجدى تلهفها * غوثا وواحربا لو ينفع الحرب
يمضى الزمان وأشواقى مضاعفة * ياللرجال ولا وصل ولا سبب
يا بارقا بأعالى الرقمتين بدا * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

وهى قصيدة بليغة بارعة متناسقة فى الحسن والعذوبة وكان لما فرغ منها كتبها فى ورقة وأومأ بيده ليضعها فى جيبه فسقطت فمرّ ابن اسرائيل على أثره فرآها فأخذها وقرأها فأعجبته وادّعاها لنفسه وبلغ ابن الخيمى ذلك فالتهبت ناره وامتنع قراره وجدّ فى استرجاع ابن اسرائيل عن ادّعائها وهو مصرّ على ذلك فتراضيا على تحكيم ابن الفارض والتسليم اليه من غير معارض فلما عرضا عليه أمرهما أمر كل واحد منهما أن ينظم فى وزنها فذهبا ثم أتياه فانشده ابن الخيمى أبياتا منها

من منصفى من لطيف منهم غنج * لدن القوام لاسرائيل ينتسب
مبتذل القول ظلما لا يفى بعوا * عيد الرجال ومنه الذنب والغضب
فى لثغة الراء منه صدق نسبته * والمنّ فيه بزور الوعد والكذب
فعن عجائبه حدّث ولا حرج * ماينتهى فى المليح المنطق العجب

وأنشده ابن اسرائيل أبياتا منها

يا بارقا ببراق الحزن لاح لنا * أأنت أم أرسلت أقمارها النقب
ويا نسيما سرى والمسك يصحبه * أجزت حيث مشين الخرّد العرب
أقسمت بالمقسمات الزهر تحجبها * زهر العوالى والخطية القضب
لكدت تشبه برقا من ثغورهم * يادرّ دمعى لولا الظلم والشنب

فنظر ابن الفارض الى ابن اسرائيل نظر الازدراء وقد كاد يرمى قصيدته بالعراء وقال له لقد حكيت ولكن فاتك الشنب فقضى له عليه وتركه نادما يعض يديه وقد ضمنه بعضهم أيضا بقوله

ويا غزالا حكى معنى جمالهم * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

وألمّ به أبو الثناء محمود الحلبى فقال

يا بارق الثغر لولاحت ثغورهم * وشمت بارقها ما فاتك الشنب

وما أحسن قوله بعده

ويا حيا جادهم ان لم تكن كلفا * ما بال عينيك منها الماء ينسكب
ويا قضيب النقا لو لم تجد خبرا * عند الصبا منهم ما هزك الطرب

والصلاح الصفدىّ بقوله

يا برق لا تبتسم من ثغره عجبا * قد فات معناك منه الظلم والشنب

(وأخبرنى) القاضى الاعز ابن الوليد عن أبيه قال كنت عند الامير شمس الملك نبهان بن عين الزمان وعنده الاعز بن قلاقس وجماعة ممن يجالسه وعنده مغن يقال له الحسام وهو ابن صاحب دبع المشهور فجعل يغنى بليقة لحسام الدين الاسكندرانىّ فى هجاء ابن قلاقس أولها

اسألوا عـــنى فتوح ابن قلاقس
كيف رأى ضرب الشلوح بالدرافس

فعز علىّ ابن قلاقس ما فعله وأوهم أنه يمضى الى بيت الخلاء فقام ثم عاد سريعا فوقف على باب المجلس وقال

وابن فضل الله بقوله يابرق واحك وميضا من ثغورهم * وما عليك اذا ما فاتك الشنب
(رجعنا الى التضمين) ومنه قول ابراهيم الاشبيلي المهتدي
تأمل لظى شوقي وموسى يشبه * تجد خير نار عندها خير موقد
ولطيف قول ابن عبد ربه
ان الغواني ان رأينك طاويا * برد الشباب طوين عنك وصالا
واذا دعونك عمهن فانه * نسب يزيدك عندهن خبالا
وقول بعضهم كانت بلهنية الشبيبة سكرة * فصحوت واستبدلت سيرة مجمل
وقعدت أنتظر الفناء كراكب * عرف المحل فبات دون المنزل
وقد ضمنه بعضهم مجونا فقال
قالوا وقد بصروا بابري نائما * عند الدبيب اليه رخو المفصل
ماذا عراه فقلت سارى ليلة * عرف المحل فبات دون المنزل
ولابن نباتة فيه يارب ليل بت فيه منعما * برشيقة تعيي بردف مثقل
ايري بجانب كسها في حجرها * عرف المحل فبات دون المنزل
وقول القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر
لقد قال لي اذ رحت من خمر ريقه * أحث كؤوسا من ألذ مقبل
بلثم شفاهي بعد تقبيل مبسمي * تنقل فلذات الهوى في التنقل
وهذا المصراع الاخير لابي عبد الله محمد بن أبي الفضل السلمي المرسي من أبيات وهي
تنقل فلذات الهوى في التنقل * ورد كل صاف لا تقف عند منهل
وان سار من تهوى فسر عن جنابه * ولا تسكبن دمعا على مترحل
ولا تعتبر قول امرئ القيس أنه * ضليل ومن ذا يقتدي بالمضلل
ففي الارض أحباب وفيها منازل * فلا تبك من ذكرى حبيب ومنزل
ومن ظريف التضمين قول البدري المنبجي
ولما خلونا والمسرة بيننا * وقد عز شرب الراح فينا على الشرب
تعوض كل بالحشيش عن الطلا * ومن لم يجد ماء تيمم بالترب
وقول السراج الوراق يهجو بخيلا
وباخل بشنا الاضياف حل به * ضيف من الصفع نزال على القمم
سألته ما الذي تشكو فأنشدني * ضيف ألم برأسي غير محتشم
وقول الصلاح الصفدي
قل للرقيب يستريح من رصدي * ما أصبح المعشوق عندي مشتهى
وارتد قلبي عن سيوف لحظه * وكل شئ بلغ الحد انتهى
وقول ابن نباتة ألا فاسقني من خمرة لذ طعمها * بفيك ولا تبخل وقل لي هي الخمر
وحط لثاما حجب اللثم عن فمي * فلا خير في اللذات من دونها ستر
وقد أخذ الصلاح الصفدي هذا التضمين من ابن نباتة وان كان في معنى آخر
فقال لقد كنت في لذات ثغرك هائما * ليالي لم ينبع على عاشق ثغر
فأما وستر دونه من شوارب * فلا خير في اللذات من دونها ستر
وما أحلى قول الصلاح الصفدي مضمنا ومكتفيا
رشفت ريقك حلوا * فلم يكن لي صبر وسوف أحظى بوصل * وأول الغيث قطر

ليس الحسام حساما
وانما هو عبد
يشدو فكم من فؤاد
تحت السياط يشد
قد قلت اذ تاه فينا
تبطر ما لا يحد
نرا عليك ولوان
معبد الله عبد
فكأنما ألقم حجرا
(وأخبرني) الانجب الصفاوي
الساكن بالاسكندرية
قال لما وصل الاديب
الأعز بن قلاقس من
صقلية وكان قد تجمع
أبا القاسم بن الحجر وانبجس
بعيون العطاء وانفجر خرج
للسلام عليه جميع معارفه
وخرجت في جملتهم فلما
نزل من المركب وأخذنا في
السلام عليه اذ بأبي العباس

ومن الغايات هنا ما كتب به شيخ شيوخ حماة الى السيف الآمدي وهو

لئن تقدم قوم عصر سيدنا * فكم تقدم خير المرسلين نبي
وان يكن علمه فرعا لعلمهم * فان في الخمر معنى ليس في العنب
وان أتت قبله كتب مؤلفة * فالسيف أصدق أنباء من الكتب

وقول البدر بن الصاحب

لله يوم الوفا والناس قد جمعوا * كالروض تطفو على نهر أزاهره
وللوفاء عمود من أصابعه * مخلق تملأ الدنيا بشائره

وقول البرهان القيراطي

قل في اخضرار عذار قوامه * خلع الربيع على غصون البان
وانشر من الاعزال في أردافه * حللا فواضلها على الكثبان

وقوله في باذهنج

بروحي أفدي باذهنجا موكلا * باطفاء ما تلقاه من حرق الجوى
اذا فتحت في الحزم منه طرائق * أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى

وقوله فيه أيضا

أياباذهنجا صح فيه لنا الهوى * صفاتك ماوفى بهن خطاب
وماشئت الا أن أذل عواذلي * على أن رأيي في هواك صواب

وقال ابن أبي حجلة فيه وأجاد

هجا الشعراء جهلا باذهنجي * لان نسيمه أبدا عليل
فقال الباذهنج وقد هجوه * اذا صح الهوى دعهم يقولوا

وما أحسن قول القيراطي في موسوس

وموسوس عند الطهارة لم يزل * أبدا على الماء الكثير مواظبا
يستصغر البحر الكبير لذقنه * ويظن دجلة ليس تكفي شاربا

وقول ابن أبي حجلة غاية هنا

قل للهلال وصب الجو تستره * حكيت طلعة من أهواه بالبلج
لك البشارة فاخلع ما عليك فقد * ذكرت ثم على ما فيك من عوج

وقول العلاء بن أيبك الدمشقي

أقول وقد ظمئت ووجه حبي * له عرق على ورد الخدود
أرى ماء وبي ظمأ شديد * ولكن لا سبيل الى الورود

وما أحسن قول البدر الزغاري

وبي سامري مترب في عمامة * قد اكتسبت من وجنتيه احمرارها
مورّدة دارت بوجه كأنما * تناولها من خده فأدارها

وما أبدع قول ابن أبي حجلة

ومتى امتطيت من الكؤس كميتها * أمسيت تمسي في المسرة راكبا
ومتى طرقت عشي أنس ديرها * لم تلق الا راغبا أو راهبا

وقوله في الفانوس غاية هنا

أتاني الدجا ألقى الهوى وبمهجتي * حرق يذوب لها الفؤاد جميعه
فكأنني والليل صب مغرم * كتم الهوى فوشت عليه دموعه

وقوله أيضا فيه

يحكي سنا الفانوس حين بدا لنا * برقا تألق موهنا لمعانه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه * والماء ما سمحت به أجفانه

احمد بن محمد بن أبي الصلاح قد خرج فحين وقعت عينه عليه أي على الأعز أنشد مرتجلا

أظل هلال الفاسقين فلا أهلا
ولا مرحبا بالقادمين ولا سهلا

ثم انصرف وتركنا متعجبين لسرعة بديهته وقلة وفائه (وأنبأني) العماد أبو حامد رحمه الله قال جرى بين يدي القاضي الفاضل رحمه الله يوما ذكر حب الصغير فارتجل هذه الابيات

طفل كفاه القلب دار اله
كأنما القلب له قالب
كيوسف الحسن وقلبي له
سجن ومالي له صاحب
أصبح والقلب لباس له
لا قاصر عنه ولا ساحب

وقوله أيضا وهو بديع

ياصاحبي حضر الشراب ومنيتي * وحظيت بعد الهجر بالايناس
وكسا العذار الخد حسنا فاسقني * واجعل حديثك كله في الكاس

وظريف قول محيي الدين بن قرناص الحموي

أفديه أغيد زارني تحت الدجا * وعليه من فرعيه ليل ساجي
والفرق بين الشعر فوق جبينه * عريان يمشي في الدجا بسراج

ومن غاياته هنا قوله في كاحل يسمى بالشمس

دعوا الشمس من كحل العيون فكفه * يسوق الى الطرف الصحيح الدواهيا
فكم أذهبت من ناظر بسواده * وخلت بياضا خلفها وما قيا

وما أملح قول ابن الوردي

لوجنة صادكم نسخة * حريرية ملحمة في الملح تقول لنبت العذار اجتهد * ومد الشباك وصد من سنح

ومثله لابن أبي حجلة ونقله الى معنى آخر

غدا طير أوراخنا سابحا * يحوم على عذب ورد القدح
فقلنا الدر الحباب اجتهد * ومد الشباك وصد من سنح

وقد تضمن هذا الكتاب من فن التضمين ماهو ضامن لكل أديب الاستغناء به ان شاء الله تعالى (هو ابن أبي الاصبع) هو زكي الدين عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن عبد الله بن أبي الاصبع العدواني المصري الشاعر المشهور الامام في الادب صاحب التصانيف الحسنة فيه منها تحرير التحبير في البديع وكتاب بديع القرآن وكتاب الجواهر السوانح في سرائر القرائح وغير ذلك وله شعر رائق منه

ولما اعتنقنا ردمعي لنحرها * ودعتها فهي اللآلي التي ترى
بكت ورنت نحوي بجرد لحظها * من الجفن سيفا بالدموع مجوهرا

ومنه من قصيدة يمدح بها الملك الاشرف موسى

فضحت الحيا والبحر جودا فقد بكى الـ * ـحيا من حياء منك والتطم البحر

ومنها

عيون معانيها صحاح وأعين الـ * ـملاح مراض في لواحظها كسر
هي السحر فاعجب لامرئ جاء يبتغي * عواطف من موسى وصنعته السحر

ومنه

انتخب القريض لفظا رقيقا * كنسيم الرياض في الاسحار
فاذا اللفظ رق شف عن المعـ * ـنى فأبداه مثل ضوء النهار
مثل ماشفت الزجاجة جسما * فاحتفى لونها بلون العقار

ومنه في ذم قيم حمام

وقيم كلمت جسمي أنامله * بغير ألسنة تكليم خرصان
ان أمسك الدمني كاد يكسرها * أو سرح الشعر من فودي أدماني
فليس يمسك امساكا بمعرفة * ولا يسرح تسريحا باحسان

ومنه في وصف فرس أدهم محجل

وأدهم جاري الشمس في مثل لونه * من المغرب الاقصى الى جانب الشرق
فوافى اليه قبلها متمهلا * فأعطاه من أنواره قصب السبق

ومنه

رأيت بغيه اذ تبسم أدمعا * فقلت رني لي اذ بكى فه حزنا
أجاد له في النظم شاعر ثغره * ولكنه من مقلتي سرق المعنى

ومحاسنه كثيرة وعاش نيفا وستين سنة وكانت وفاته بمصر في الثالث والعشرين من شوال سنة أربع وخمسين وستمائة وحضر السراج الوراق مع عفيف الدين التلمساني بن عدلان وأبي الحسين الجزار قبر الزكي المذكور

وهو بعيني وهو انسانها
وهي له من خارج حاجب
ضاق به ضيق عناق له
فلم يسع ماقاله العائب
(قال) وجرى بين يديه يوما ذكر سيوف السلطان الملك الناصر رحمه الله فارتجل قطعة علق بحفظي منها
ماضيات على الدوام دواعي
هي في النصر نجدة الاسلام
في عين السلطان اذ جودتها
أشبهتها صواعق في غمام
تنثر الهام كالحروف فما أشـ
ـبه هذى السيوف بالاقلام
في محاريب حربه البيض حلت
وركوع الطبا سجود الهام
(وأخبرني) السعيد أبو القاسم بن سنا الملك رحمه الله قال خرجنا للقاء القاضي

وكانا قد كتماه أن ذلك اليوم مأتمه وكتماه قصيدتين في رثائه فقال السراج الوراق

ماذا أقول وقد أتانا ناعيا * ملك النحاة وسيد الشعراء
رتبالك بالدر النظيم فهذه * للدال قافيـة وتلك لراء
وتوخيا اثر العقيق مدامعا * اذ كنت لم تنصف بنظم رثاء
يامن طوى بفضائل وفواضل * ذكرين للطائي بعد الطائي
غادرتني وأنا الحبيب مودة * صبا قد استعذبت ماء بكائي
فسقاك فضل الله فيض عطائه * فلقد أقمت قيامة الشعراء

(العقد)

(ما بال من أوله نطفة * وجيفة آخره يفخر)

البيت لابي العتاهية من قصيدة من السريع أولها

واعجبا للناس لو فكروا * وحاسبوا أنفسهم أبصروا
وعبروا الدنيا الى غيرها * فانما الدنيا لهم معبر
الخير مما ليس يخفى هو الـ * معروف والشر هو المنكر
والموعد الموت وما بعده الـ * حشر فذاك الموعد الاكبر
لافخر الا فخر أهل التقى * غدا اذا ضمهم محشر
ليعلمن الناس أن التقى * والبر كانا خير ما يذخر
عجبت للانسان في فخره * وهو غدا في قبره يقبر

وبعده البيت وبعده

أصبح لا يملك تقديم ما * يرجو ولا تأخير ما يحذر
وأصبح الامر الى غيره * في كل ما يقضى وما يقدر

(والشاهد فيه العقد) وهو أن ينظم الشاعر نثرا قرآنا كان أو حديثا أو مثلا أو غير ذلك لا على طريق الاقتباس فهذا البيت هو عقد قول علي كرم الله وجهه وما لابن آدم والفخر وانما أوله نطفة وآخره جيفة (ويروى) أن مطرف بن عبد الله الشخير نظر الى يزيد بن المهلب وهو يمشي في حلة يسحبها فقال له ما هذه المشية التي يبغضها الله تعالى ورسوله فقال يزيد أما تعرفني قال بلى أولك نطفة مذره وآخرك جيفة قذره وأنت بين ذلك حامل العذره وقد نظم هذا المعنى الشيخ أبو محمد الحوارزمي فقال

عجبت من معجب بصورته * وكان من قبل نطفة مذره
وفي غد بعد حسن صورته * يصير في الارض جيفة قذره
وهو على عجبه ونخوته * ما بين ثوبيه يحمل العذره

ومثله قول الفقيه منصور المصري

تتيه وجسمك من نطفة * وأنت وعاء لما تعلم

وقول المؤتمن الادفوي

هل النفس الا نطفة من مشيمة * غمت بدم الاحشاء شر غماء
وهل هو الا ظرف بول وغائط * ولو أنه يطلى بكل طلاء
كنيف ولكن سدت جدرانه * بظل قميص واستتار رداء

وقول الآخر

أرى أولاد آدم أبطرتهم * حظوظهم من الدنيا الدنيه
فلم بطروا وأولهم مني * اذا افتخروا وآخرهم منيه

وقول الفقيه منصور المصري قالت للمعجب لما * قال مثلي لا يراجع
يا قريب العهد بالمخرج لم لا تتواضع

ومثله قول ذي النون المصري رضي الله عنه

الفاضل رحمه الله تعالى في بعض قدماته من الشام فلقيناه وعدنا فلما كنا في سطح المشي عن ظني للموكب فركض خلفه المكين ابن حيون طامعا أن يلحقه وكان مثل هذا الفعل لا يليق به لانه ليس من أهله ولان الصدر المتلقى لا ينبغي أن يغلط بين يديه مثله فعجب الفاضل منه واتفق ان فاته الصيد الذي طلبه وسقطت مقرعته من يده ورجع الى الموكب وعليه انكسار الفوات وخجل الغلط ذا رتجل الاجل الفاضل

يا عاديا عدو السفيـ * ـه وعائدا عود الحليم
ضيعت مقرعة وعد * ت بها من غير ميم

أيها الشامخ الذى لا يرام * نحن من طينة عليك السلام
انما هذه الحياة متاع * ومع الموت تستوى الاقدام

ومن أمثلة العقد من القرآن قول أبى نواس

بروحى غزال كان للناس قبلة * وقد زرت فى بعض الليالى مصلاه
ويقرأ فى المحراب والناس خلفه * ولا تقتلوا النفس التى حرم الله
فقلت تأمل ما تقول فانها * فعالك يا من تقتل الناس عيناه

وقول الآخر

أتلبى بالذى استقرضت خطا * وأشهد معشرا قد شاهدوه
فان الله خلاق البرايا * عنت لجلال هيبته الوجوه
يقول اذا تداينتم بدين * الى أجل مسمى فاكتبوه

وقول أبى نصر سهل بن المرزبان

لا تجزعن من كل خطب عرى * ولا ترى الاعداء ما يشمت
أما سمعت الله فى قوله * اذا لقيتم فئة فاثبتوا

وقول أبى محمد العبدلكانى

لا تكرهن خلقا على مذهب * لست من الارشاد فى شئ
ألم تر الرحمن سبحانه الـ * ـمخرج الميت من الحى
يقول لا اكراه فى الدين قد * تبين الرشد من الغى

وقول المطوعى

غدا منذ التحى ليلا بهيما * وكان كأنه البدر المنير
فقد كتب السواد بعارضيه * لمن يقرأ وجاءكم النذير

وقوله

تكبر لما رأى نفسه * على صورة الشمس قد صورت
سيندم ألفاعلى كبره * اذا الشمس فى خده كورت

وقول ابن الهانوفى الاشبيلى

رأيت فى خده عذارا * خلعت فى حبه عذارى
قد كتب الحسن فيه سطرا * ويولج الليل فى النهار

وقول ابن يعمور

خطب أتى مسرعا فآذى * أصبح جسمى به جذاذا
خصص قلبى وعم غيرى * ياليتنى مت قبل هذا

وقول أبى الحسين الجزار

أصبحت جزارا وفى البيت لا * أعرف ما رائحة اللحم
جهلته فقرا فكنت الذى * أضله الله على علم

والمؤلفه فى غرض عرض

أرى الفضل ما قسمت فى الورى * وصاع فيما بينهم قسمى
وكل من يعلم حالى فقد * أضله الله على علم

وقول ابن جابر الاندلسى

يا صاحب المال ألم تستمع * لقوله ما عندكم ينفد
فاعمل به خيرا فوالله ما * يبقى ولا أنت له تخلد

وقوله أيضا

اذا شئت رزقا بلا حسبة * فلذ بالتقى واتبع سبله
وتصديق ذلك فى قوله * ومن يتق الله يجعل له

وقول أبى جعفر الاندلسى

اذا ظلم المرء فامهل له * فبالقرب يقطع منه الوتين
فقد قال ربك وهو القوى * وأملى لهم ان كيدى متين

ومن العقد فى الحديث قول الامام الشافعى رحمه الله تعالى ورضى عنه

عمدة الخير عندنا كلمات * أربع قالهن خير البريه

(قال) وأخبرنى الفقيه أبو العباس أحمد الأ... وكان كثير الصحبة للاجل الفاضل فى صدر عمره أيام كونه بالاسكندرية قال كان يصحبه رجل يعرف بابن بليمة ولا يكاد يفارقه وكان يحضر عنده رجل مغن من أهل الثغر يعرف بشهاب وكان يغنى الموشحات فغنى ليلة واتفق أن نعس ابن بليمة كأنه مخمور فصنع الاجل الفاضل فارتجل

تغنى شهاب لنا ليلة
غناء يطيب السمر
فأعجب هذا ابن بليمة
فأصغى من دبره بنعر

(وأخبرنى) الفقيه شجاع المغزالى المقدم ذكره قال مضيت أنا ونشو الملك على

اتق المشبهات وازهد ودع ما * ليس يعنيك واعملن بنيه

فهو عقد قول النبي صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات وقوله ازهد في الدنيا يحبك الله وقوله من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه وقوله انما الأعمال بالنيات ومنه قول بعضهم وهو عبد المحسن بن محمد الصوري

وأخ مسه نزولي بقرح * مثل ما مسني من الجوع قرح
قيل لي انه جواد كريم * والفتى يعتريه بخل وشح
بت ضيفا له كما حكم الدهر وفي حكمه على الحر قبح
قال لي اذ نزلت وهو من الحشرة سكران طافح ليس يصحو
لم تغربت قلت قال رسول الله والقول منه نصح ونجح
سافروا تغنموا فقال وقد قا * ل تمام الحديث صوموا تصحوا
قلت فالصوم لا يصح بليل * قال ان الوصال فيه يصح

وقول ابن خلكان
انظر الى عارضه فوقه * لحاظه ترسل منها الحتوف
تشاهد الجنة في وجهه * لكنها تحت ظلال السيوف

وقول ابن نباتة المصري
أقول لمن يشتكي الخطوب * ويحذر من موبقات الصروف
عليك بأبواب سيف العلا * ملاذ الفقير وأمن الخوف
تجد ظله جنة والجنان * بلا شك تحت ظلال السيوف

وقول الحلي
مت شهيدا في غزال ألوف * لين الاعطاف غير عطوف
خده دون ظبا مقلتيه * جنة تحت ظلال السيوف

وقول ابن جابر
عمل ان لم يوافق نية * فهو غرس لا يرى منه ثمر
انما الاعمال بالنيات قد * نصه عن سيد الخلق عمر

وقول أبي جعفر
من سلم المسلمون كلهم * وآمنوا من لسانه ويده
فذلك المسلم الحقيق بدا * جاء حديث لا شك في سنده

وقول ابن عبد القدوس
اذا وترت أمرا فاحذر عواقبه * من يزرع الشوك لم يحصد به عنبا

فهو عقد قول عيسى عليه السلام تعملون السيئة وترجون أن تجاروا انما يجازى به أهل الحسنات أجل لا يجتنى من الشوك العنب وقول أبي تمام

وقال علي في المعازي لأشعث * وخاف عليه بعض تلك المآثم
أتصبر للبلوى عزاء وحسبة * فتؤجر أم تسلو سلو البهائم

فهو عقد قول علي رضي الله عنه في كلام يعزي به الاشعث بن قيس في ولده وهو ان صبرت صبر الاحرار والا سلوت سلو البهائم ومن عقد الحكم قول أبي العتاهية

كفى حزنا بدفنك ثم اني * نفضت تراب قبرك عن يديا
وكانت في حياتك لي عظات * وأنت اليوم أوعظ منك حيا

وهذان البيتان من جملة أبيات قالها في مرثية علي بن ثابت الانصاري أولها

ألا من لي بأنسك يا أخيا * ومن لي أن أبثك ما لديا
طوتك خطوب دهرك بعد نشر * كذاك خطوبه نشرا وطيا
فلو سمعت برذك لي الليالي * شكوت اليك ما اجترمت اليا

ابن مفرج بن المنجم المقدم ذكره الى دار الكامل شجاع ابن أمير الجيوش ابن شاور آخر وزراء الدولة المصرية وممن كان انقصاؤها بموته ومعنا قصبة تان قد امتد حناه بهما في بعض الأعياد فرأيته سار ماحاقد عملت برسم الموكب وجعل عليهما مكان اللهازم أهلة من ذهب فقال نشو الملك قد وقع لي في هذه الرماح معنى فصنع في الحال
فعال الكامل الملك المرجى * على ما فيه من فصل أدله
بخابر ماحه نحو الاعادي * فكل قد سقاه بها وعله
ولم يرض النجوم لها نصالا * فصلها هنالك بالأهلة
ثم كتبها وبعث بها الى الكامل

بكيتك ياعلي بدر عيني * فلم يغن البكاء عليك شيا

وبعده البيتان والاخير منهما عقد قول ارسطاطاليس يندب الاسكندر وقد أتي به ميتا في تابوت فقد كان هذا الشخص واعظا بليغا وما وعظ بكلامه موعظة قط أبلغ من موعظته بسكوته وقول أبي العتاهية أيضا في المرثي أولا

يا علي بن ثابت بان مني * صاحب جل فقده يوم بنتا

قد لعمري حليت لي غصص المو * ت وحركتني لها وسكنتا

فهو عقد قول مؤدب الاسكندر فانه لما مات بكي من حضره فقال مؤدبه حركتنا بسكونك وقول بعضهم

أصلي وفرعي فارقاني معا * واجتث من حبلهما حبلي

فما بقاء الغصن في ساقه * بعد ذهاب الفرع والاصل

فهو عقد قول حكيم لقد مات أبوك وهو أصلك وابنك وهو فرعك فما بقاء شجرة ذهب أصلها وفرعها ومثله قول عبد الله بن عبد الاعلى النحوي

صحبتك قبل الروح اذ أنا نطفة * مصان فلا يبدو لخلق مصونها

فما ذا بقاء الفرع من بعد أصله * ستلقى الذي لاقى الاصول غصونها

وللمتنبي في عقد الحكم ساعد شديد فلنذكر من محاسنه طرفا صالحا من ذلك فمنه قوله

واذا كانت النفوس كبارا * تعبت في مرادها الاجسام

عقد قول أرسطاطاليس اذا كانت الشهوة فوق القدرة كان تلاف النفس دون بلوغها وقوله

بذا قضت الايام ما بين أهلها * مصائب قوم عند قوم فوائد

عقد قول أرسطاطاليس الزمان ينشئ ويلاشي ففناء كل قوم سبب لكون قوم آخرين وقوله

والهجر أقتل لي مما أحاذره * أنا الغريق فما خوفي من البلل

عقد قول أرسطاطاليس من علم أن الفناء مستول على كونه هانت عليه المصائب وقوله

وما الحسن في وجه الفتى شرف له * اذا لم يكن في لفظه والخلائق

عقد قول أرسطاطاليس وقد نظر يوما الى غلام حسن فاستنطقه فلم يجد عنده علما فقال نعم البيت لو كان فيه ساكن وقوله من يهن يسهل الهوان عليه * ما لجرح بميت ايلام

عقد قول أرسطاطاليس النفس الذليلة لا تجد ألم الهوان والنفس العزيزة يؤثر فيها يسير الكلام وقوله

واذا لم يكن من الموت بد * فمن العجز أن تموت جبانا

عقد قول أرسطاطاليس خوف وقوع المكروه وقبل تناهي المدة خور في الطبيعة وقوله

ولم أر في عيوب الناس شيأ * كنقص القادرين على التمام

عقد قول أرسطاطاليس أعجز العجزة من قدر أن يزيل العجز عن نفسه فلم يفعل وقوله

ومن ينفق الساعات في جمع ماله * مخافة فقر فالذي فعل الفقر

عقد قول أرسطاطاليس من أفنى مدته في جمع المال خوف العدم فقد أسلم نفسه للعدم وفي هذا القدر كفاية

﴿اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه * وصدق ما يعتاده من توهم﴾ ﴿والحل﴾

هو للمتنبي من قصيدة من الطويل قالها في كافور الاخشيدي وكان قد دخل عليه يوما فلما نظر اليه والى قلته في نفسه وخسة أصله ونقص عقله ولؤم كفه وقبح فعله ثار الدم في وجهه حتى ظهر ذلك فيه وبادر وخرج فأحس كافور بذلك فبعث اليه بعض قواده وهو يرى أن أبا الطيب لا يفطن فسايره وسأله عن حاله وقال له يا أبا الطيب مالي أراك متغير اللون فقال أصاب فرسي جرح خفته عليه وماله خلف ان تلف فعاد الى كافور فأخبره فحمل اليه مهرا أدهم فقال هذه القصيدة وذلك سنة سبع وأربعين وثلثمائة وأولها

فراق ومن فارقت غير مذمم * وأم ومن يممت خير ميمم

وما منزل اللذات عندي بمنزل * اذا لم أبجل عنده وأكرم

فخرجت جائزته في الحال (وأخبرني) الفقيه الوجيه أبو الفضل جعفر بن جعفر الحموي المقدم ذكره قال كان بمصر صبي مستحسن وضيء الوجه اسمه أسد وقد شغف به رجل اسمه الفار ووقع بينهما ما أدى الرجل الى أن قتل الصبي وهرب وخاض الناس في أمره وأكثروا الحديث فيه فجلست يوما بسوق الكتب اذا بابن المنجم قد مر راكبا فحين رآني ثنى رجله على معرفة فرسه ووقف للحديث فمر علينا في أثناء ذلك شاب مشهور بجمال وانتماء الى أهل الادب فأنشدنا مرثية زعم أنه رثى بها الصبي القتيل فصنع ابن المنجم في الوقت

سجية نفس ما تزال مليحة * من الضيم مرميا بها كل مخرم

رحلت فكم باك بأجفان شادن * على وكم باك بأجفان ضيغم

وما ربة القرط المليح مكانه * بأجزع من رب الحسام المصمم

فلو كان ما بى من حبيب مقنع * عذرت ولكن من حبيب معمم

رمى واتقى رمى ومن دون ما اتقى * هوى كاسر كفى وقوسى وأسهمى

وبعده البيت وبعده

وعادى محبيه بقول عداته * وأصبح فى ليل من الشك مظلم

الى ان يقول فيها وما كل هاو للجميل بفاعل * ولا كل فعال له بمتمم

فدى لابى المسك الكرام فانها * سوابق خيل يهتدين بأدهم

أغر بمجد قد شخصن وراءه * الى خلق رحب وخلق مطهم

اذا منعت منك السياسة نفسها * فقف وقفة قدامه تتعلم

يضيق على من راءه العذر أن يرى * ضعيف المساعى أو قليل التكرم

ومن مثل كافور اذا الخيل أحجمت * وكان قليلا من يقول لها اقدمى

شديد ثبات الطرف والنقع واصل * الى لهوات الفارس المتلثم

أبا المسك أرجو منك نصرا على العدى * وآمل عزا يخضب البيض بالدم

ويوما يغيظ الحاسدين وحالة * أقيم الشقا فيها مقام التنعم

ولم أرج الا أهل ذاك ومن يرد * مواطر من غير السحائب يظلم

قال أبو الفتح بن جنى أومأ الى أبو الطيب وقت قراءة هذا البيت عليه أنه قد ظلم فى قصده كافورا

فلو لم يكن فى مصر ما سرت نحوها * بقلب المشوق المستهام المتيم

ولا نبحت خيلى كلاب قبائل * كأن بها فى الليل حملات ديلم

ولا اتبعت آثارنا عين قائف * فلم تر الا حافرا فوق منسم

وسمنا بها البيداء حين تغمرت * من النيل واستذرت بظل المقطم

وأبلج يعصى باختصاصى مشيره * عصيت بقصديه مشيرى ولومى

فساق الى العرف غير مكدر * وسقت اليه الشكر غير مجمجم

قد اخترتك الاملاك فاختر لهم بنا * حديثا فقد حكمت رأيك فاحكم

فأحسن وجه فى الورى وجه محسن * وأيمن كف فيهم كف منعم

وأشرفهم من كان أشرف همة * وأكثر اقداما على كل معظم

لمن تطلب الدنيا اذا لم ترد بها * سرور محب أو مساءة مجرم

ثم لما خرج من عنده بعد انشاده القصيدة بكالها قال يهجوه

أنوك من عبد ومن عرسه * من حكم العبد على نفسه

وانما يظهر تحكيمه * ليحكم الافساد فى حسه

ما من يرى أنك فى وعده * كمن يرى انك فى حبسه

العبد لا تفضل أخلاقه * عن فرجه المنتن أو ضرسه

لا ينجز الميعاد فى يومه * ولا يفى ما قال فى أمسه

وانما تحتال فى جذبه * كأنك الملاح فى قلسه

فلا ترج الخير عند امرئ * مرت يد النخاس فى رأسه

وان عراك الشك فى نفسه * بحالة فانظر الى جنسه

ولم أر قبله أسدا قتيلا
لفأر ظل يرثيه غزال
(وأخبرنى) بعض أصحابنا
قال قال لى نشو الملك بن المنجم
ما رأيت أوقح ولا أحضر
جوابا من أبى الحسن بن
الدروى يعنى المقدم ذكره
رحمه الله مر بى يوما وهو
راكب بغلا وبين يديه عبد
له فصنعت فى الحال
قل لمن تاه حين صـ
ـير علينا بيغله
بعد ان كان ليس يمـ
ـلك شسعا لنعله
سقت قدامك الغلا
م جزاء بفعله
هكذا كل شاعر
بغله خلف بغله
ثم كررت مسرعا لاحقه
فتأخر غلامى عنى لاجل

فقلما يلوم في توبه * الا الذي يلوم في غرسه
من وجد المذهب عن قدره * لم يجد المذهب عن قنسه

ومعنى البيت اذا قبح فعل الانسان قبحت ظنونه فيسيء ظنه بأوليائه ويصدق ما يخطر بقلبه من التوهم الردىء فيهم (والشاهد فيه الحل) وهو نثر النظم وقد استشهد به على ما حله بعض المغاربة بقوله فانه لما قبحت فعلاته وحنظلت نخلاته لم يزل سوء الظن يقتاده ويصدق توهمه الذي يعتاده وذكرت بقوله حنظلت نخلاته قول الشريف أبي الحسن الموسوي من قصيدة يفتخر فيها وهو

بنو هاشم عين ونحن سوادها * على رغم من يأبى وأنتم قذاتها
وأعجب ما يأتي به الدهر أنكم * طلبتم علا ما فيكم أدواتها
وأملتم أن تدركوها طوالعا * دعوها تسعى للمعالي سعاتها
غرست غروسا كنت أرجو لقاحها * وآمل يوما أن تطيب جناتها
فان أثمرت لي غير ما كنت آملا * ولا ذنب لي ان حنظلت نخلاتها

﴿وروى﴾ عن ابراهيم بن العباس الصولي أنه قال ما اتكلت قط في مكاتباتي الا على ما يجلبه خاطري أو يجيش به صدري الا قولي فأبدلوه آجالا من آمال فاني حللت فيه قول مسلم بن الوليد

موف على مهج في يوم ذي رهج * كأنه أجل يسعى الى أمل

وقولي قد صار ما يحرزهم يبرزهم وما يعقلهم يعقلهم فاني حللت فيه قول أبي تمام

فان باشر الاصحار فالبيض والقنا * قراه وأحواض المنايا مناهله
وان يبن حيطانا عليه فانما * أولئك عقالاته لا معاقله

قال ابن أبي الاصبع ومن ذلك قوله تعالى في الكتاب العزيز يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجوابي وقدور راسيات فان ذلك حل قول امرئ القيس

وقدور راسيات * وجفان كالجوابي

على أن بعض الرواة قد ذكر أن بعض الزنادقة وضعه وتكلم على الآية الكريمة وان امرأ القيس لم يصح أنه تلفظ به ﴿قلت﴾ وقد تصفحت ديوانه على اختلاف رواته فلم أجد فيه قصيدة على هذا الوزن والروي والله تعالى اعلم

﴿التلميح﴾

﴿فوالله ما أدري أأحلام نائم * ألمت بنا أم كان في الركب يوشع﴾

البيت لابي تمام من قصيدة من الطويل يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري أولها

أما أنه لولا الخليط المودع * وربع عفا منه مصيف ومربع
لردت على أعقابها أريحية * من الشوق واديها من الدمع مترع
لحقنا بأخراهم وقد حدم الهوى * قلوبا عهدنا طيرها وهي وقع
فردت علينا الشمس والليل راغم * بشمس بدت من جانب الخدر تطلع
نضى ضوؤها صبغ الدجنة وانطوى * لبهجتها ثوب السماء المجزع

وبعده البيت وبعده

وعهدي بها تحيي الهوى وتميته * وتشعب أعشار القلوب وتصدع
وأقرع بالعتبى حمياء عتابها * وقد تستقيد الراح حين تشعشع
وتقفو لي الجدوى بجدوى وانما * يروقك بيت الشعر حين يصرع

(والشاهد فيه التلميح) وهو أن يشير الشاعر في فحوى الكلام الى قصة أو شعر أو مثل سائر فههنا أشار الى قصة يوشع بن نون فتى موسى عليهما السلام واستيقافه الشمس فانه روى أنه قاتل الجبارين يوم الجمعة فلما أدبرت الشمس للغروب خاف أن تغيب قبل فراغه منهم ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فيه فدعا الله تعالى فرد له الشمس حتى فرغ من قتالهم * وخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه

اسرابي واستوقفته وجعلت أنشده وهو يحسن الاستماع حتى انتهيت فقال ليس كل شاعر كذلك ها أنت شاعر وبعلك خلف بغلك فكلمت والله وانصرفت (وأخبرني) الفقيه القاضي أبو موسى عمران الخندق رحمه الله قال دخلت أنا وجماعة من أصحابنا على الوجيه الذروي المذكور وهو وجماعة من أصحابنا يشربون فزجرنا وداعبناهم فصنع بديها

ويوم قاسمتنا اللهو فيه * أناس ليس يدرون الوقار
أدرنا الصنع والكاسات فيه * فعربدت الصحاة على السكارى

(وأخبرني) الفقيه العفيف شجاع العربي المقدم ذكره قال اجتمعت مع الوجيه

وسلم

وسلم قال غزا نبي من الانبياء فقال لقومه لا يتبعني رجل قد ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولم يبن بها ولا آخر قد بنى بنيانا ولم يرفع سقفه ولا آخر قد اشترى غنما أو خلفات وهو منتظر ولادتها قال فغزا القرية حين صلاة العصر أو قريبا من ذلك فقال للشمس أنت مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها علي فحبست حتى فتح الله عليه وقد تطرف الرصافي البلنسي بتلميحه بهذه القصة فقال يخاطب بعض من اسمه موسى بأبيات أولها

ما مثل موضعك ابن رزق موضع * زهر يرف وجدول يتدفع

يقول فيها

وعشية لبست رداء شحوبها * والجو بالغيم الرقيق مقنع
بلغت بنا أمد السرور تألقا * والليل نحو فراقنا يتطلع
فابلل بها رمق الغبوق فقد أتى * من دون قرص الشمس ما يتوقع
سقطت ولو يملك نداء ردها * فوددت يا موسى لو انك يوشع

وقد قال ابن مرج الكحل فيها بنحو هذا المعنى وأشار الى قصة الرصافي هذه

حفل المساء وللنسيم تضوع * والأنس ينظم شملنا ويجمع
والزهر يضحك عن بكاء غمامة * ربعت بشيم سيوف برق تلمع
فانعم أبا عمران واله بروضة * حسن المصيف بها وطاب المربع
يا شادن البان الذي دون النقا * حيث التقى وادي النقا والاجرع
الشمس يغرب نورها ولربما * كسفت ونورك كل حين يطلع
أفلت فناب سناك عن اشراقها * وجلا من الظلماء ما يتوقع
فأمنت يا موسى الغروب ولم أقل * فوددت يا موسى لو انك يوشع

وقد لمح بهذه القصة أيضا أبو العلاء المعري حيث قال

فلو صح التناسخ كنت موسى * وكان أبوك اسحاق الذبيحا
ويوشع رد يوحا بعض يوم * وأنت متى سفرت رددت يوحا

ويوح ويوحي بياءين مثناتين من أسفل من أسماء الشمس وقال كثير من اللغويين انما بالباء الموحدة وكذا رواه أبو علي البغدادي والصحيح الاول ويروى أن المعري اعترض عليه في هذه اللفظة ببغداد في حلقة ابن المحسن فاحتج عليه بكتاب الالفاظ ليعقوب فقال هذه نسخ محدثة غيرها شيوخكم ولكن أخرجوا ما في دار العلم من النسخ القديمة فأخرجوها فوجدوها مقيدة كما قال وقد لمح ابن قلاقس الى هذه القصة أيضا بقوله

ومنتصر في منع مقلوب عقرب * بما تحته من لسع مقلوب برقع
أبت شمسه الا الغروب وقد سما * بها كلفي من كل عضو بيوشع

وابن مطروح بقوله

وما أنس لا أنس المليحة اذ بدت * دجى فأضاء الافق من كل موضع
فحدثت نفسي أنها الشمس أشرقت * وأني قد أوتيت آية يوشع

والملك الناصر داود بقوله يرثي الامام المنتصر بالله ويمدح المعتصم من قصيدة طويلة

أقام منار الدين بعد اعوجاجه * وشيد واهي الدين بعد التضعضع
باقدام منصور وعزمة قادر * وسيرة مهدي واخبات طيع
به رجعت شمس المكارم والعلا * كما رجعت شمس النهار ليوشع

ونصر بن أحمد الخبزارزي بقوله من قصيدة

ولى فأقبلت الأرداف لاعبة * كما تلاعبت الامواج في اللجج
ثم انثنى بانعطاف منه ملتفتا * كأنني نفسا خوف الرقيب شجي
كأن يوشع رد الشمس ثانية * عند التفاتته نحوي بمنعرج

أبي الحسن بن الذروي والاديب نشو الملك بن المنجم وجعفر القرشي المنبوز بشلعلع المقدم ذكر الجميع عند القاضي الاسعد بن الخطير بن مماتي في بستانه فدحته بقطعة لاحسان كان منه الي وكتبتها في ورقة كرم فحين وقف عليها صنع بديها

أطر ناشعر العفيف الذي
قد فاق في النبل وفي الفهم
لو لم يكن يسكرنا شعره
ما صاغه في ورق الكرم

(قال علي بن ظافر) وكنت يوما عند الامير عضد الدين أبي الصوارم مرهف ابن الامير مجد الدين اسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ فدخل عليه

وابن اللبانة بقوله بكت عند توديعي فما علم الركب * أذاك سقيط الطل أم لؤلؤ رطب
أتابعها سرب وانى لحظنى * نجوم الدياجى لا يقال لها سرب
لئن وقفت شمس النهار ليوشع * لقد وقفت شمس الهوى لى والشهب

وقد لمح اليها حازم فى مقصورته فقال

وكم رأت عينى نقيض ما رأت * من اطلاع نورها تحت الدجى
فيالها من آية مبصرة * أبصرها طرف الرقيب فامترى
واعتورته شبهة فضل عن * تحقيق ما أبصره وما اهتدى
وظن أن الشمس قد عادت له * فانجاب جنح الليل عنها وانجلى
والشمس ما ردت لغير يوشع * لما غزا ولعلى اذ غفا

فلمح الى قصة يوشع بن نون عليه السلام ثم زاد قصة رجوع الشمس لعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه وخبر ذلك ما رواه الطحاوى عن أسماء بنت عميس من طريقين أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يوحى اليه ورأسه فى حجر على رضى الله عنه فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصليت يا على قال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انه كان فى طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس قالت أسماء فرأيتها طلعت بعد ما غربت ووقعت على الجبال والارض * ومن ظريف ما يحكى هنا ما روى أن المظفر المروزى الواعظ جلس يوما بالتاجية ببغداد بعد العصر وأورد حديث رد الشمس لعلى رضى الله عنه وأخذ فى ذكر فضائله فنشأت سحابة غطت الشمس وظن أنها غابت فأومأ اليها وارتجل

لا تغربى يا شمس حتى ينتهى * مدحى لآل المصطفى ولنجله
واثنى عنانك ان أردت ثناءهم * أنسيت اذ كان الوقوف لاجله
ان كان للمولى وقوفك فليكن * هذا الوقوف لخيله ولرجله

فطلعت الشمس من تحت الغيم عند انتهاء الابيات فلا يدرى ذلك اليوم ما رمى عليه من الاموال والثياب
ومن التلميح بالقرآن قول ابن المعتز

أترى الجيرة الذين تداعوا * عند سير الحبيب وقت الزوال
علموا أننى مقيم وقلبى * راحل فيهم أمام الجمال
مثل صاع العزيز فى أرحل القو * م ولا يعلمون ما فى الرحال
ما أعز المعشوق ما أهون العا * شق ما أقتل الهوى للرجال

أشار الى قصة يوسف عليه السلام حين جعل الصاع فى رحل أخيه واخوته لم يشعروا بذلك وقول أبى نصر محمد الاصفهانى فى ذم مملوك

بليت بمملوك اذا ما بعثته * لامر أعيرت رجله مشية النمل
بليد كأن الله خالقنا عنى * به المثل المضروب فى سورة النحل

يشير الى قوله تعالى وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شئ وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير الآيات ومنه ما ذكره أبو بكر بن الابار فى تحفة القادم أن أبا بكر الشبلى جلس يوما على نهر شبل بالجسر فتعرضه بعض الجوارى المجوان فلما أبصرته رجعت وجهها وسترت ما قد ظهر له من محاسنها فقال أبو بكر المذكور

وعقيلة لاحت بشاطئ نهرها * كالشمس طالعة لدى آفاقها
فكأنها بلقيس وافت صرحها * لو أنها كشفت لنا عن ساقها
حورية قسرية بدوية * لبس الجفا والصد من أخلاقها

قال التجيبانى فى كتابه تحفة العروس ويمكن تغيير البيتين الاولين بأن يقال

وعقيلة لاحت بشاطئ نهرها * كالشمس تتلو فى المشارق صبحها

رجل من بقايا جند مصر يعلم الرمى بالنشاب واسمه الليث بن دوس وهو معبس الوجه كالحه ثانى العطف جامحه فقال الامير يداعبه بديها
أصبح الليث يوافى
بابتعبيس وتيه
فتى أنظر فى يا
فوخه اسم أبيه
فاستحسنت البيتين ثم صنعت فى معناهما بعد ذلك بحين وزدت عليه
قد جاءنا الليث بن دوس على
عادته فى الانقباض وسمه
فتى أرى اسم أبيه فى يافوخه
ومتى أرى ناب اسمه فى جسمه
وهذه طريقة بديعة ومن أحسن ما سمعت فيها قول السلامى فى صبى يعرف بابن برغوث

لوأنها كشفت لنا عن ساقها * لحسبتها بلقيس وافت صرحها

يشير الى قوله تعالى فى قصة بلقيس مع سليمان عليه السلام قيل لها ادخلى الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها الآية ومن التلميح بالقرآن والشعر قول النفيس القراطيسى

يسرّ بالعيد أقوام لهم سعة * من الثراء وأما المقترون فلا

هل سرّنى وثيابى فيه قوم سبا * أوراقنى وعلى رأسى به ابن جلا

يشير الى قوله تعالى عن قوم سبا ومزقناهم كل ممزق والى قول الرياحى

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * متى أضع العمامة تعرفونى

ومن التلميح بالحديث على جهة التورية قول بعضهم

يابدر أهلك جاروا * وعلموك التجرى وقبحوا لك وصلى * وحسنوا لك هجرى

فليفعلوا مايشاؤا * فانهم أهل بدر

يشير الى قوله صلى الله عليه وسلم لعمر حين سأله قتل حاطب لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم ومنه قول السراج الورّاق

ومن فرط فقرى واحتياجى بعدكم * وبذل محيا بالحياء مستتر

أكلت حمارا طال ماقد ركبته * كأنى لم أسمع بأخبار خيبر

يشير الى تحريم لحوم الحمر الاهلية فى غزوة خيبر

(لعمرو مع الرمضاء والنار تلتظى * أرق وأحفى منك فى ساعة الكرب)

البيت لابى تمام من قصيدة من الطويل والرمضاء الارض الشديدة الحرّ وأحفى من حفى بفلان اذا بالغ فى اكرامه وأظهر السرور والفرح وأكثر السؤال عن حاله (والشاهد فيه) التلميح الى البيت المشهور وهو

المستجير بعمرو عند كربته * كالمستجير من الرمضاء بالنار

وهو من البسيط ولا أعرف قائله وعمرو هو ابن الحرث ولهذا البيت قصة وهى أن البسوس بنت سعد خالة جساس بن مرّة كان لها جار من جرم يقال له سعد بن شمس وكانت له ناقة يقال لها سراب وكان كليب بن وائل قد حمى أرضا من أرض العالية فى مستقبل الربيع فلم يكن يرعاها أحد الا جساس اصاهرة بينهم الأن جليلة بنت مرّة أخت جساس كانت تحت كليب فخرجت ناقة الجرمى ترعى فى حمى كليب مع ابل جساس فأبصرها كليب فأنكرها فرماها بسهم فأصاب ضرعها فولت حتى بركت بفناء صاحبها وضرعها يشخب لبنا ودما فلما نظر اليها صاح واذلاه وذل جاراه فخرجت جارته البسوس فلما رأت الناقة ضربت يدها على رأسها وصاحت واذلاه وقالت

لعمرى لو أصبحت فى دار منقذ * لما ضيم سعد وهو جار لأبياتى

ولكننى أصبحت فى دار غربة * متى يعد فيها الذئب يعدو على شاتى

فياسعد لاتغرر بنفسك وارتحل * فانك فى قوم عن الجار أموات

فسمعها جساس فقال اسكتى أيتها المرأة فليقتلن جمل عظيم هو أعظم من ناقة جارك ولم يزل جساس يتوقع غرّة كليب حتى خرج كليب لايخاف شيأ فتباعد عن الحى وتبعه جساس ومعه عمرو بن الحرث فأدرك جساس كليبا فطعنه بالرمح فدق صلبه فأنفذه ثم أدركه عمرو بن الحرث فقال ياعمرو أغثنى بشربة ماء فقال تجاوزت شبيثا والأحص يعنى موضع الماء وأجهز عليه فقيل المستجير بعمرو البيت ونشبت الحرب بين بكر وتغلب أربعين سنة حتى قتل أكثر بكر وكانت الغلبة لتغلب عليهم قال ابن اسحق كان بين هذه ومبعث النبى صلى الله عليه وسلم ستون سنة ومن محاسن التلميح هنا قول ابن حجاج الشاعر

ولى شفيع اليك شرفنى * ايجابه لى وزاد فى قدرى

نبهت منه لحاجتى عمرا * ولم أعوّل فيه على عمرو

بليت ولا أقول بمن لأنى
اذا ماقلت من هو يعشقوه
غزال قد نفى عنى رقادى
فان غمضت أيقظنى أبوه
وللصاحب بن عباد فى مغن
يعرف بابن عذاب
أقول قولا بلا احتشام
يفهمه كل من يعيه
ابن عذاب اذا دعانى
فاننى منه فى أبيه
ولابى الوليد الحلى الاندلسى
خبر يدخل فى بدائع البداءه
قال ابن طوفان دعا أبى
أبا الوليد فلما قضوا وطرهم
من الطعام جاءت أسقيهم
وجعلت أنزع له الكاسات
فلما مشت فيه سورة الحميا
ارتجل قائلا
لابن طوفان أياد
قل فيها مشبهوه

يريد بالشطر الاول قول بشار

اذا أيقظتك حروب العدى * فنبه لها عمرا ثم نم

وبالثاني البيت المار ومن لطيف ما يذكر هنا أن قائدا من قواد أحمد بن عبد العزيز بن دلف بن أبي دلف هرب الى عمرو بن الليث وهو يومئذ بخراسان فغم ذلك أحمد وأقلقه فدخل عليه أبو نجدة وهو سحيم بن سعد شاعر عجلي فأنشده يا ابن الذين سبى كسرى بجمعهم * فجللوا وجهه قارا بذي قار

دوّخ خراسان بالجرد العتاق وبالـ * ـبيض الرقاق بأيدي كل مسعار

يا من تيمم عمرا يستجير به * أما سمعت ببيت فيه سيار

المستجير بعمرو عند كربته * كالمستجير من الرمضاء بالنار

فسر أحمد بذلك وسري عنه وأمر لابي نجدة بجائزة وذكرت بهذا البيت ما حكى أن بعضهم كان اذا فرغ من صلاته وضع خده على الارض وقال

المستجير بعمرو عند كربته * كالمستجير من الرمضاء بالنار

وهو يقدر أنه يستجير بالله من النار وأنشد المبرد لابي كريمة البصري يقول لعمرو الجاحظ

لم يظلم الله عمرا حين صيره * من كل شئ سوى آدابه عار

بتّ حبال وصالي كفه قطعت * لما استعنت به في بعض أوطاري

فكنت في طلبي من عنده فرجا * كالمستجير من الرمضاء بالنار

اني أعيذك والمعتاذ محترس * من شؤم عمرو بعز الخالق الباري

فان فعلت فحظ قد ظفرت به * وان أبيت فقد أعلنت أسراري

وما أحسن قول السراج الوراق مشيرا الى ذلك

مالي أرى عمرا أني استجرت به * قد صار عمرا يوافيه وانصرفا

ونام عن حاجة نبهته غلطا * لها فألفيت منه السهد والاسفا

والمستجير بعمرو قد سمعت به * فما أزيدك تعريفا بما عرفا

وقوله أيضا

أقت المطامع من نومها * وغمض فن ذا يهذا حكم

وحاشاك تسمع في مثلها * فنبه لها عمرا ثم نم

وقوله أيضا لاعدمتك حاجة * حامت عني كلها قد نام عنها عمر * وأنت يقظان لها

ومن لطيف مجونه في تضمين هذا المعنى قوله

نشطت لسريتي فانثني * متاعي من بعد ماقد عزم

فقلت تنام ولي مقلة * مسهدة من يهذا حكم

فقال أما قال بشاركم * فنبه لها عمرا ثم نم

ومنه قول الصفي الحلي في رجل اسمه أحمد كان يرى بأسه وهو يدعي حب غلام اسمه عمر

توالت على أحمد أبنة * فأقبل يشكو الي الالم فقلت له انها فتنة * فنبه لها عمرا ثم نم

وقد عكس هذا المعنى بقوله

أنا الذي خالفت كل الورى * في خبر أثبته الوقت لما أتاني عمر زائرا * أغمضته ثم تنبهت

وظريف هنا قول الشهاب محمود من قصيدة

بيني وبين الحظ داجية * عمياء لانجم ولاسحر

لايهتدي فيها ولو طلعت * في أفقها أحلاقك الغرر

وأرأي وحاشاك الكرام وما * لي عندهم ظل ولاثمر

لو أنني نبهت في وطر * عمر المات من الكرى عمر

ملا الكاسات حتى قيل في البيت أبوه وللعقيل من شعراء كتاب الذخيرة لابن بسام في شاعر يعرف بابن الفراء فاذا ما قال شعرا نفقت سوق أبيه (أخبرني الفقيه) تقي الدين البوني الشاعر المعري الى ميافارقين سنة ثلاث وستمائة قال اقترح صاحب قرقيسيا الملك المظفر محمود بن عماد الدين زنكي علي وعلى جماعة كانوا على بابه من الشعراء أن يعمل له في سرج ما يكتب عليه فصنعوا وصنعت بديها

فقت السروج فسكي المسك رائحة * بغير شك كما عودي هو العود

تحتي البراق متى رمت اللحاق ومن * فوقي خليفة هذا العصر محمود

ومن التلميح قول بشار اليوم خمر ويبدو في غد خبر * والدهر ما بين انعام وابآس
يشير الى قصة امرئ القيس وقد بلغه ان أباه قتل وكان يشرب فقال اليوم خمر وغدا أمر ومن مجون التلميح
قول ابن حجاج غضبت صباح وقد رأتني قابضا * أيري فقلت لها مقالة فاجر
بالله الا ما لطمت جبينه * حتى يحقق فيك قول الشاعر
يريد به قول ابن نباتة السعدي في وصف فرس أغر محجل
وكأنما لطم الصباح جبينه * فاقتص منه فخاض في أحشائه
وما أحسن قول بعض شعراء المغرب في التلميح
وعندي من لواحظها حديث * يخبر أن ريقتها مدام
وفي أعطافها النشوى دليل * وما ذقنا ولا زعم الهمام
يشير الى قول النابغة زعم الهمام بأن فاها بارد * عذب مقبله شهي المورد
زعم الهمام ولم أذقه أنه * عذب اذا ما ذقته قلت ازدد
وقد مر في السرقات الشعرية طرف مما قيل في هذا المعنى ومن لطائف التلميح قصة الهذلي مع المنصور فقد
روي أنه وعده بجائزة ثم نسي فحجا معا ثم مرا في المدينة ببيت عاتكة فقال الهذلي يا أمير المؤمنين هذا بيت
عاتكة الذي يقول فيه الاحوص
يا بيت عاتكة التي أتعزل * حذر العدى وبه الفؤاد موكل
فأنكر عليه المنصور ابتداءه من غير سؤال ثم انه أمر القصيدة على باله ليعلم ما أراد فاذا فيها
وأراك تفعل ما تقول وبعضهم * مذق اللسان يقول ما لا يفعل
فعلم أنه أشار الى هذا البيت بتلميحه الغريب فتذكر ما وعده به فأنجزه له ومثله ما حكي أن أبا العلاء المعري
كان يتعصب للمتنبي وشرح ديوانه وسماه معجز أحمد فحضر يوما مجلس الشريف المرتضى فجرى ذكر
المتنبي فهضم المرتضى من جانبه فقال المعري لو لم يكن له من الشعر الا قوله * لك يا منازل في القلوب منازل
لكفاه فغضب المرتضى وأمر بسحبه واخراجه وقال للحاضرين أتدرون ما عنى بذكر هذا البيت قالوا
لا قال عنى به قول المتنبي واذا أتتك مذمتي من ناقص * فهي الشهادة لي بأني فاضل
ومن التلميح بهذا البيت بعينه ما حكاه صاحب الحدائق أن الفتح ابن خاقان ذكر ابن الصائغ في كتابه المسمى
بقلائد العقيان فقال فيه رمد عين الدين وكمد نفوس المهتدين اشتهر سخفا وجنونا وهجر مفروضا
ومسنونا فما يتشرع ولا يأخذ في غير الأضاليل ولا يشرع ناهيك من رجل لا يتطهر من جنابة ولا
يظهر مخائل انابة فبلغ ابن الصائغ انتقاصه له فترقب يوما على الفتح وهو جالس في جماعة فسلم على القوم وضرب
على كتف الفتح وقال له شهادة يا فتح ومضى فلم يدر أحد ما قال الا الفتح فتغير لونه فقيل ما قال لك فقال اني
وصفته بما تعلمون في كتابي فما بلغت بذلك عشر ما بلغ هو مني بهذه الكلمة انه يشير بها الى قول المتنبي
واذا أتتك مذمتي من ناقص * فهي الشهادة لي بأني فاضل
ومن هذا القبيل قصة السري الرفاء مع سيف الدولة بن حمدان بسبب المتنبي أيضا فانهما كانا من مداحه
فجرى ذكر المتنبي يوما في مجلس سيف الدولة فبالغ في الثناء عليه فقال السري أشتهي أن الامير ينتخب
لي قصيدة من غرر قصائده لأعارضها ويتحقق بذلك أنه أركبه في غير سرجه فقال له سيف الدولة عارض
لنا قصيدته القافية التي مطلعها
لعينيك ما يلقى الفؤاد وما لقي * وللحب ما لم يبق مني وما بقي
قال السري فكتبت القصيدة واعتبرتها فلم أجدها من مختاراته لكن رأيته يقول فيها
اذا شاء أن يلهو بلحية أحمق * أراه غباري ثم قال له الحق
فعلمت أن سيف الدولة انما أشار الى هذا البيت فأحجمت عن معارضته ومن بديع التلميح قول الرئيس أبي

قال فاستحسنه وأجازني (وأخبرني) موفق الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عمر بن عبيد الله البغدادي بحران قال أنشدني أبو عبد الله محمد بن جميل صاحب الجرمي لنفسه ارتجالا
وعروس خدر حين نبرزها نسطو كأن فؤادها لهب
خلع المزاج على معاطفها ثوبا كأن شعاعه ذهب
وأراد يعلوها فصاغ لها تاجا ورصع تاجها الحبب
(وأخبرني) موفق الدين أبو الحسن علي بن محمد

العباس بن أبي طالب رحمه الله تعالى

وكم ليلة نلت فيها المنى * وبات لي الحب فيها نجيا
اذا ضل حظي في جنحها * هدت وجنتاه الصراط السويا
أراع فأسأل عن صبحها * فيرجع لي جنحها ثم هنيا
الى ان بدا لي سرحانها * يحاول للجدي فيها رقيا
فيالك من ليلة بتها * أنادم بدر دجاها البهيا
حكت ليلة السفح في حسنها * فأصبحت أحكي الشريف الرضيا

يشير الى قول الشريف الرضي رحمه الله تعالى في قصيدته البديعة المشهورة وهو

ياليلة السفح هلا عدت ثانية * سقى زمانك هطال من الديم
وأمست الريح كالغيرا تجاذبنا * على الكثيب فضول الريط واللمم
يشوبنا الطيب أحيانا وآونة * يضيئنا البرق مجتازا على اضم
وبات بارق ذاك الثغر يوضح لي * مواقع اللثم في داج من الظلم
وبيننا عفة بايعتها بيدي * على الوفاء لها والرعي للذمم
وبلل الطل بردينا وقد نسمت * رويحة الفجر بين الضال والسلم
وأكتم الصبح عنها وهي غافلة * حتى تكلم عصفور على علم
فقمت أنفض بردا ما تعلقه * غير العفاف وراء الغيب والكرم
وألمستني وقد جد الوداع بنا * كفا تشير بقضبان من العنم
وألثمتني ثغرا ما عدلت به * أرى الجنى ببنات الوابل الردم
ثم انثنينا وقد رابت ظواهرنا * وفي بواطننا بعد عن التهم

ومن لطائف التلميح قول أبي فراس من أبيات

وقال أصيحابي الفرار أو الردى * فقلت هما أمران أحلاهما مر
ولكنني أمضي لما لا يعيبني * وحسبك من أمرين خيرهما الاسر
ولا خير في دفع الردى بمذلة * كما ردها يوما بسوءته عمرو

يريد عمرو بن العاص لما ضربه علي رضي الله عنه يوم صفين فالتقاء بسوءته كاشفا عنها فأعرض وقال عورة المرء حمى وقد وقع ذلك لبشر بن أرطاة أيضا مع علي رضي الله عنه كما وقع لعمرو وكان مع معاوية بصفين أيضا فأمره أن يلقى عليا وقال له سمعتك تتمنى لقاءه فلو ظفرك الله به حصلت على دنيا وأخرى ولم يزل يشجعه ويمنيه حتى رآه فقصده في الحرب والتقيا فصرعه علي فكشف عن سوءته فتركه وفي ذلك يقول الحرث ابن النضر السهمي وكان عدو العمرو وبشر

أفي كل يوم فارس ليس ينتهي * وعورته وسط العجاجة باديه
يكف لها عنه علي سنانه * ويضحك منه في الخلاء معاويه
بدت أمس من عمرو فقنع رأسه * وعورة بشر مثلها حذو حاذيه
فقولا لعمرو ثم بشر ألا انظرا * سبيلكما لا تلقيا الليث ثانيه
ولا تحمدا الا الحيا وخصاكما * هما كانتا والله للنفس واقيه
فلولاهما لم تنجيا من سنانه * وتلك بما فيها عن العود ناهيه
متى تلقيا الخيل المشيحة صبحة * وفيها علي فاتركا الخيل ناحيه
وكونا بعيدا حيث لا تدرك القنا * نحوركما ان التجارب كافيه

ومن التلميح البديع قول أبي فراس أيضا

البغدادي الساكن برأس العين قال كنت في خدمة السلطان الملك الاشرف أبقاه الله بدمشق فدخل عليه الرشيد عبد الرحمن النابلسي الشاعر الملقب مدلويه وعلى عينه خرقة فجرت بيني وبينه معاتبة فقلت بديها

ان أظلمت عين مدلويه فمن * كثرة نقض العهود والذمم
يقسم أن لا يخون صاحبه * وهو بصير الفجور في القسم
لو خلق الشعر قيل مسترق * والاص عمي بكثرة التهم

وقد علمت أمي بأن منيتي * بحد سنان أو بحد قضيب
كما علمت من قبل أن يغرق ابنها * بمهلكه في الماء أم شبيب

يشير الى ما رأته أم شبيب الخارجي في منامها وهي حامل به من أن نارا خرجت من بطنها فاشتعلت الآفاق ثم وقعت في ماء فانطفأت فلما كان من أمره ما كان ونعي اليها غير مرة لم تصدق حتى قيل لها انه قد غرق فصدقت وأقامت المناحة عليه (ومن بديع التلميح) ما حكي أن عبد الرحمن بن الحكم قدم على معاوية رضي الله عنه الشام وكان قد عزل أخاه مروان عن المدينة وولى سعيد بن العاص فوجهه أخوه وقال له القه أمامي فعاتبه لي واستصلحه فلما قدم دخل عليه وهو يعشي الناس فأنشأ يقول

أتتك العيس تنفخ في براها * تكشف عن مناكبها القطوع
بأبيض من أمية مضرحي * كأن جبينه سيف صنيع

فقال له معاوية أزائرا جئت أم مفاخرا أم مكاثرا فقال أي ذلك شئت فقال ما أشاء من ذلك شيأ وأراد معاوية رضي الله عنه أن يقطعه عن كلامه الذي عن له فقال على أي الظهر أتيتنا قال على فرس قال ما صفته قال أجش هزيم يعرض بقول النجاشي له

ونجى ابن حرب سابح ذو غلالة * أجش هزيم والرواح دواني
اذا خلت أطراف الرماح تناله * مرته به الساقان والقدمان

فغضب معاوية رضي الله عنه وقال أما انه لا يركبه صاحبه في الظلم الى الريب ولا هو ممن يتسور على جاراته ولا يتوثب على كناته بعد هجعة الناس وكان عبد الرحمن يتهم بذلك في امرأة أخيه فخجل عبد الرحمن وقال يا أمير المؤمنين ما حملك على عزل ابن عمك أ لخيانة أوجبت سخطا أم لرأي رأيته وتدبير استصلحته قال لتدبير استصلحته قال فلا بأس بذلك وخرج من عنده فلقي أخاه مروان فأخبره بما جرى بينه وبين معاوية فاستشاط غيظا وقال لعبد الرحمن قبحك الله ما أضعفك عرضت للرجل بما أغضبه حتى اذا انتصر منك أحجمت عنه ثم لبس حلته وركب فرسه وتقلد سيفه ودخل على معاوية رضي الله عنه فقال له حين رآه وتبين الغضب في وجهه مرحبا بأبي عبد الملك لقد زرتنا عند اشتياق منا اليك قال لاها الله ما زرتك لذلك ولا قدمت عليك فألفيتك الا عاقا قاطعا والله ما أنصفتنا ولا جزيتنا جزاءنا لقد كانت السابقة من بني عبد شمس لآل أبي العاص بصهر رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلافة فيهم فوصلوكم يا بني حرب وشرفوكم وولوكم فما عزلوكم ولا آثروا عليكم حتى اذا وليتم وأفضى الامر اليكم أبيتم الا أثرة وسوء صنيعة وقبح قطيعة فرويدا رويدا فقد بلغ بنو الحكم وبنو بنيه نيفا وعشرين وانما هي أيام قلائل حتى يكملوا أربعين ويعلم امرؤ أين يكون منهم حينئذ ثم هم للجزاء بالحسنى وبالسوء بالمرصاد فقال له معاوية رضي الله عنه عزلتك لثلاث لو لم تكن منهن الا واحدة لأوجبت عزلك احداها أني أمرتك على عبد الله بن عامر وبينكما ما بينكما فلم تستطع أن تشتفي منه والثانية كراهتك لأمر زياد والثالثة أن ابنتي رملة استعدتك على زوجها عمرو بن عثمان رضي الله عنهما فلم تعدها فقال له مروان أما ابن عامر فاني لا أنتصر منه في سلطاني ولكن اذا تساوت الأقدام علم أين موقفه وأما كراهتي أمر زياد فان سائر بني أمية كرهوه وجعل الله لنا في ذلك الكره خيرا كثيرا وأما استعداء رملة على عمرو فوالله انه لتأتي علي سنة أو أكثر وعندي بنت عثمان رضي الله عنه فما أكشف لها ثوبا يعرض بأن رملة انما تستعدي عليه طلبا للنكاح فقال له معاوية رضي الله عنه يا ابن الوزغ لست هناك فقال له مروان هو ذاك الآن والله اني لأبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة وقد كاد ولدي أن يكملوا العدة يعني أربعين ولو قد بلغوها لعلمت أين تقع مني فانخزل معاوية رضي الله عنه ثم قال مروان

فان أك في شراركم قليلا * فاني في خياركم كثير
بغاث الطير أكثرها فراخا * وأم الصقر مقلات نزور

فما فرغ من كلامه حتى استخزى معاوية في يده وخضع وقال لك العتبى وأنا رادك الى عملك فوثب مروان

أو شرب المسكرين في حلب
كرمه بعض ليله لعمي
ولو يكون الجبير بعدهما
جارمي بالعمى وبالصمم
(قال علي بن ظافر) المسكران المشار اليهما النبيذ والصفع والجبير رجل من ندماء الملك الظاهر كان كثير العبث بالمذكور في مجلس الملك الظاهر وهو الذي غناه الاديب شرف الدين الحلي صاحبنا بيتين من قوله وكتب بهما الى الرشيد المذكور الى دمشق أنشدنيهما الموفق عنه

وقال كلا وعيشك لارأيتني عائدا اليه أبدا وخرج فقال الاحنف لمعاوية مارأيت قط لك سقطة مثلها ماهذا الخضوع لمروان وأي شئ يكون منه ومن بني أبيه اذا بلغوا أربعين وأي شئ تخشاه منهم فقال له ادن مني أخبرك بذلك فدنا منه فقال له ان الحكم بن أبي العاص كان أحد من قدم مع أختي أم حبيبة لما زفت الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو تولى نقلها اليه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدّ النظر اليه فلما خرج من عنده قيل له يارسول الله لقد أحددت النظر الى الحكم فقال ابن المخزومية ذاك رجل اذا بلغ ولده ثلاثين أو أربعين ملكوا الامر بعدي فوالله لقد تلقاها مروان من عين صافية فقال له الاحنف لايسمعنّ هذا منك أحد فانك تضع من قدرك وقدر ولدك بعدك وان يقض الله عز وعلا أمرا يكن فقال له معاوية رضي الله عنه فاكتمها علي يا أبا بحر اذا فقد لعمري صدقت ونصحت (ومن ظريف التلميح) أن حمزة بن بيض الحنفي الشاعر قدم على بلال بن أبي بردة وكان كثير المزاح معه فقال لحاجبه استأذن لحمزة بن بيض الحنفي فدخل الحاجب فأخبره به فقال اخرج فقل له حمزة بن بيض ابن من فقال له ادخل فقل له الذي جئت اليه بنيار الجمام وأنت أمرد تسأله أن يهب لك طائرا فأدخلك وناكك ووهب لك الطائر فشتمه الحاجب فقال له ما أنت وذاك بعثك برسالة فأخبره بالجواب فدخل الحاجب وهو مغضب فلما رآه بلال ضحك وقال ما قال لك قبحه الله فقال ما كنت أخبر الامير عما قال فقال ياهذا أنت رسول فأدّ الجواب فأبى فأقسم عليه حتى أخبره فضحك حتى فحص برجليه وقال قل له قد عرفنا العلامة فادخل فدخل فأكرمه وسمع مديحه وأحسن صلته وأراد بلال بقوله بيض ابن من قول القائل

أنت ابن بيض لعمري لست أنكره * فقد صدقت ولكن من أبو بيض

وعلى ذكره فقد ذكرت له واقعة مع أحد بني مروان وكان يعبث به كثيرا فوجه اليه رسوله ليلة وقال ائتني به على أيّ حالة وجدته فهجم الرسول عليه فوجده داخلا الى الخلاء فقال أجب الامير فقال ويحك أكلت كثيرا وشربت نبيذا حلوا وقد أخذني بطني فقال لاسبيل الى مفارقتك فأخذه وأتى به اليه فوجده قاعدا في طارمة وعنده جارية عجيبة يتحظاها وهي تسجر البخور فجلس يحادثه وهو يعالج ماهو فيه من ذات بطنه فعرضت له ريح فسيها ظنا أن البخور يسترها قال حمزة فوالله لقد غلب ريحها المنتن ذلك الند فقال ماهذا يا حمزة فقلت عليّ عهد الله والمشي والهدي ان كنت فعلتها وما فعلها الا الجارية فغضب وخجلت الجارية وما قدرت على الكلام ثم جاءتني أخرى فسرّحتها وسطع والله ريحها فقال ماهذا ويلك أنت والله الآفة فقلت امرأتي طالق ان كنت فعلتها وهذه اليمين تلزمني ان كنت فعلتها ماهو الا عمل هذه الجارية فقال ويلك ماقصتك قومي الى الخلاء ان كنت تجدين شيأ فأطرقت وطمعت فيها فسرّحت الثالثة فسطع من ريحها مالم يكن في الحساب فغضب عند ذلك حتى كاد يخرج من جلده ثم قال يا حمزة خذ بيد هذه الزانية فقد وهبتها لك وامض فقد نغصت عليّ ليلتي فأخذت بيدها وخرجت فلقيني خادم فقال لي ماتريد أن تصنع فقلت أمضي بها فقال والله لئن فعلت ليبغضنك بغضا لاتنتفع به بعده وهذه مائتا دينار فخذها ودع الجارية فقلت والله لانقصتك عن خمسمائة دينار فقال ليس الا ماقلت لك قال فأخذتها وأخذ الجارية فلما كان بعد ثلاث دعاني فلقيني الخادم وقال هذه مائة دينار أخرى وتقول مالا يضرّك ولعله ينفعك فقلت وماهو قال تدعي أن تلك الفسوات الثلاث منك فقلت هاتها ودخلت فلما وقفت بين يديه قلت لي الأمان أيها الامير فقال قل فقلت أرأيت تلك الليلة وماجرى من الفسوات قال نعم قلت عليّ وعليّ ان كان فساهنّ غيري فضحك حتى سقط على قفاه قال فلم ويلك ما أخبرتني فقلت أردت خصالا منها أني قمت وقضيت حاجتي ومنها أني أخذت جاريتك ومنها أني كافأتك على أذاك بمثله حيث منعني رسولك من دفع أذاي قال وأين الجارية قلت ماخرجت من دارك وأخبرته الخبر فسرّ به وأمر لي بمائتي دينار أخرى وقال هذه بجميل فعالك وتركك أخذ الجارية ومن جيد التلميح قول أبي تمام الطائي

لئن نحرت يوما تميم بقوسها * نجارا على ماوطدت من مناقب

وهما قوله

قدّم العزم يارشيد وبادر
فلقد آن من نوالك الحضور
ماتبقى على قذالك نطع
تاب سلطانتا ومات المجير

(وأخبرني) الشهاب ابن أخت نجم الدين بن المجاور المقدم ذكره قال حضر ابن عنين الشاعر الدمشقي وابن الرومي البسام عند خالي فتذاكرت معه في تشبيه الثغر بالثريا فاذكر قليلا ثم أنشد

ياغزالا أرى الغواية رشدا
في هواه والرشد في الحب غيا

فأنتم بذى قار أمالت سيوفكم * عروش الذين استرهنوا قوس حاجب

يشير الى قصة حاجب بن زرارة حين أتى كسرى فى جدب أصابهم بدعوة النبى صلى الله عليه وسلم يستأذنه لقومه أن يصيروا فى ناحية من بلاده حتى يحيوا فقال انكم معاشر العرب ذو غدر وحرص فان أذنت لكم أفسدتم البلاد وأغرتم على العباد فقال حاجب انى ضامن للملك أن لا يفعلوا فقال ومن لى بأن تفى فقال أرهنك قوسى فضحك من حوله فقال كسرى ما كان ليسلمها أبدا فقبلها منه وأذن لهم ثم أحيى الناس بدعوته صلى الله عليه وسلم وقدمات حاجب فارتحل ابنه عطارد رضى الله عنه الى كسرى يطلب قوس أبيه فردها وكساه حلة فلما رجع أهداها للنبى صلى الله عليه وسلم فلم يقبلها فباعها من يهودى بأربعة آلاف درهم ويشير فيه أيضا الى وقعة ذى قار المشهورة وكانت بين الفرس والعرب وكانت بعد وقعة بدر بأشهر ورسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ولما بلغه خبرها قال هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبى نصروا وعن ابن عباس قال ذكرت وقعة ذى قار عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال ذلك يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبى نصروا (ويروى) أن النبى صلى الله عليه وسلم تمثلت له الواقعة وهو بالمدينة فرفع يديه ودعى لبنى شيبان ولجماعة ربيعة بالنصر ولم يزل يدعو لهم حتى رأى هزيمة الفرس (ويروى) أنه قال ايها بنى ربيعة فهم الى الآن اذا حاربوا دعوا بشعار النبى صلى الله عليه وسلم ودعوته لهم وقال قائلهم يا رسول الله وعدك فاذا دعوا بذلك نصروا وقد لمح الى ذلك المطرانى بقوله

تزهو علينا بقوس حاجبها * زهو تميم بقوس حاجبها

وقد لمح الى ذلك الصفدى فقال مورياً فى مليح قلندرى حلق حاجبيه

بدا لى فى حلق الحواجب فتنة * فقلت بعقل ذاهل فيه ذاهب

حبيبى بحق الله قل لى ما الذى * دعاك الى هذا فقال مجاوبى

وعدت بوصل العاشقين تعطفا * فلم يثقوا واسترهنوا قوس حاجبى

ومن لطيف التلميح قول الحسن بن القوطية

رأى صاحبى عمرا فكاف وصفه * وحملنى من ذاك ما ليس فى الطوق

فقلت له عمرو كعمرو فقال لى * صدقت ولكن شب عمرو عن الطوق

يشير الى قصة عمرو بن عدى ابن أخت جذيمة الابرش وكانت الجن قد استهوته صغيرا ثم قدم وقد التحى فى خبر طويل فأدخلته أمه رقاش الى الحمام وألبسته ثياب الملك ووضعت فى عنقه طوقا من ذهب كان له وأزارته خاله فلما رأى لحيته والطوق فى عنقه قال شب عمرو عن الطوق فذهب مثلا والى ذلك لمح السراج الوراق بقوله من أبيات

بطوق سمورة كادت محاسنه * تكون للورق فى أفنانهن سمر

ان شب عمرو عن الطوق الذى زعموا * فقل وقد شب فى الطوق الوزير عمر

وأشار الى ذلك بقوله أيضا مثل ما قد شب عمرو * هكذا شاب عمر

(ومن غريب التلميح) ما حكى أن رجلا قعد على جسر بغداد فأقبلت امرأة بارعة الجمال من ناحية الرصافة الى الجانب الغربى فاستقبلها شاب فقال لها رحم الله على بن الجهم فقالت له رحم الله أبا العلاء المعرى وما وقفا بل سارا مشرقا ومغربا قال فتبعت المرأة وقلت لها لئن لم تخبرينى بما أراد ابن الجهم وما أردت بأبى العلاء فضحكت فقالت أراد به قوله

عيون المها بين الرصافة والجسر * جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى

وأردت أنا بأبى العلاء قوله

فيا دارها بالخيف ان مزارها * قريب ولكن دون ذلك أهوال

ومن التلميح أيضا قوله شقيت بكم وكنت لكم جليسا * فلست جليس قعقاع بن شور

ما رأينا قبل ابتسامك بدر التم يفتر عن نجوم الثريا

(وأخبرنى) القاضى الاعز ابن المؤيد المقدم ذكره عن العماد بن ناصر الدولة رحمه الله قال اجتمعنا ليلة بدمشق فى دعوة غناء ومعنا ابن عنين وعمر غلام الحكيم ابن المطران فأخذنا فى الحديث باستحسانه واستعظام أمره فى الحسن وشانه وتمنى الوصول الى وصاله وتشهى الاستمتاع بجماله فقال له بعض الحاضرين نبه لها عمر

أراد به قول الآخر   وكنت جليس قعقاع بن شور * ولا يشقى لقعقاع جليس
ومن ظريف التلميح قول ابن قلاقس

عسكر من جماله * بطل ليس يدفع   قام عن قوس حاجبيـ * ـه بعينيه ينزع
أسهم كيف ما انحرفـ * ـن الى القلب تنبع   هكذا كنت عن أبى * حية قبل أسمع

يشير الى ما حدث به أبو حية النميرى عن نفسه قال عنّ لى ظبي يوما فرميته فراغ عن سهمى فعارضه السهم ثم راغ فعارضه فما زال والله يروغ ويعارضه حتى صرعه ببعض الجبارات (وأبو حية هذا) اسمه الهيثم بن الربيع شاعر مجيد من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية وكان أهوج جبانا بخيلا كذابا معروفا بذلك أجمع وقيل انه كان يصرع ومن أخباره أنه كان له سيف يسميه لعاب المنية ليس بينه وبين الخشبة فرق (قال ابن قتيبة) فحدثنى جار له قال دخل ليلة الى بيته كلب فظنه لصا فأشرفت عليه وقد انتضى سيفه لعاب المنية وهو واقف فى وسط الدار وهو يقول أيها المغترّ بنا والمجترئ علينا بئس والله ما اخترت لنفسك خير قليل وسيف صقيل لعاب المنية الذى سمعت به مشهورة ضربته لا تخاف نبوته اخرج بالعفو عنك قبل أن أدخل بالعقوبة عليك انى والله ان أدع قيسا عليك لا تقم لها قيس وما قيس تملأ والله الفضاء خيلا ورجلا سبحان الله ما أكثرها وأطيبها فبيناهو كذلك اذ خرج الكلب فقال الحمد لله الذى مسخك كلبا وكفانى حربا (وقال) مسلمة بن عياش لابى حية أتدرى ما يقول الناس قال وما يقولون قال يقولون انى أشعر منك قال انا لله ذهب والله الناس (وحدث) عبد الله بن مسلم قال كان أبو حية النميرى من أكذب الناس فحدث يوما أنه يخرج الى الصحراء فيدعو الغربان فتقع حوله فيأخذ منها ما شاء فقيل له يا أبا حية أفرأيت ان أخرجناك الى الصحراء فدعوتها فلم تأتك فاذا تصنع بك قال أبعدها الله اذا وقال يوما رميت والله ظبية فلما نفذ سهمى عن القوس ذكرت بالظبية حبيبة لى فعدوت خلف السهم حتى قبضت على قذذه قبل أن يدركها * وقد لمح الصلاح الصفدى الى قصة أبى حية أيضا فقال

وشادن ان هبّ عرف الصبا * شممت منه عرفه طيه
أميل عنه خوف عشق له * وجفنه يتبعنى غيه
كأننى قدّامه ظبية * وطرفه سهم أبى حيه

وقد تبع الصلاح الصفدىّ فى ذلك ابن نباتة على عادته المشهورة حيث قال

وبديع الجمال لم ير طرفى * مثل أعطافه ولا طرف غيرى
كلما حدت عن هواه أتانى * سهم ألحاظه كسهم النميرى

ومما عدّ من هذا النوع وهو بالتعريض أشبه قول محمد بن مغيث وقد أتى عبد الحميد بن مهذب زائرا فحجبه وهو   زرت عبد الحميد زورة مشتا * ق اليه فصدّعنى صدودا

فكأنى أتيته انزع العمة عن رأسه وأخصى سعيدا

وكان برأس المذكور قروح وله عبد يؤثره وهذا يشبه تعريض ولادة بنت المستكفى فى قولها

ان ابن زيدون على فضله * يغتابنى ظلما ولا ذنب لى
يلحظنى شزرا اذا جئته * كأننى جئت لأخصى على

ومثله قول أبى الحسن بن نفادة   ان ابن زينب رام * له مرام بعيده
يريشنى بسهام * تجبى غير سديده   والله ان لم يدعنى * لأخصين عبيده

وما أحسن قول أبى نواس   فأعرض هيثم لما رآنى * كأنى قد هجوت الادعياء

فعرض بكونه دعيا ثم تهكم به فقال

فقد آليت لا أهجو دعيا * ولو بلغت مروءته السماء

ومن ظريف التلميح ما روى أن شريك بن عبد الله النميرى ساير يزيد بن عمرو بن هبيرة الفزارى يوما فبرزت

فأطرق ثم أنشد بديها
وحاجة بت أشكوها الى ثقة
وقد تراجمت الأشجان والفكر
فقال لى مشفقا انبه لها عمرا
فقلت واحيتى ان لم ينم عمر
وعمر هذا هو الذى يشير اليه ابن عنين فى قصيدته المسماة مقراض الاعراض التى عمّ فيها أهل دمشق بالهجاء وأوّلها
أضالع تنطوى على كرب
ومقلة مستهلة الغرب
ومنها يعنى الحكيم بن المطران

بغلة

بغ له شريك فقال يزيد غض من لجامها فقال شريك انها مكتوبة أصلح الله الامير فقال له يزيد ماذهبت حيث أردت ويزيد أشار الى قول جرير

فغض الطرف انك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

فعرّض له شريك بقول ابن دارة

لاتأمننّ فزاريا نزلت به * على قلوصك واكتبها باسيار

وكان بنو فزارة يرمون باتيان الابل ومثله ماحكى أن تميميا نزل بفزارى فقال له قلوصك ياأخاتميم لاتنفر القطا فقال انها مكتوبة أشار الفزارى الى قول الطرماح

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا * ولوسلكت سبل المكارم ضلت

وأشار التميمى الى بيت ابن دارة المار وبيت الطرماح هذا يقول بعده

ولو أن برغوثا على ظهر قملة * يكرّ على صفى تميم لولت

وقد أخذ ابن لنكك صدر البيت الاول فقال

تعستم جميعا من وجوه لبلدة * تكنفكم لؤم وجهل فأفرطا

أراكم تعيبون اللئام وانني * أراكم بطرق اللؤم أهدى من القطا

(ومثله ماحكى) أن تميما قال لشريك النميرى ما فى الجوارح أحب الىّ من البازى فقال النميرى خاصة اذا كان يصيد القطا أشار التميمى الى قول جرير

أنا البازى المطل على نمير * أتيح من السماء له انصبابا

وأشار النميرى الى بيت الطرماح المار قبله (ومن ذلك ماروى) أن رجلا من بنى محارب دخل على عبد الله ابن يزيد الهلالى فقال عبد الله ماذا لقينا البارحة من شيوخ بنى محارب ماتركونا ننام فقال المحاربى أصلحك الله أضلوا البارحة برقعا فكانوا فى طلبه أراد الهلالى قول الاخطل

تنق بلاشئ شيوخ محارب * وماخلتها كانت تريش ولاتبرى

ضفادع فى ظلماء ليل تجاوبت * فدل عليها صوتها حية البحر

وأراد المحاربى قول الآخر لكل هلالى من اللؤم برقع * ولابن هلال برقع وجلال

ومنه ماذكره صاحب البيان قال دخل عبد الحميد بن سعيد بن مسلم الباهلى ومعه ابنه الافوه وكان مبغضا فتخطى الناس حتى بلغ الى عمرو بن فرج الرخجى فلما قرب منه قال له من هذا فقال ابنى أصلحك الله وهل يخفى القمر فقال ان كان كذلك فرفع عنه حاشية الازار أراد قول بشار بن برد

اذا أعيتك نسبة باهلى * فرفع عنه حاشية الازار على استاه سادتهم كتاب * موالى عامر وسما بنار

ومن ظريف التلميح ماحكى أن الحيص بيص حضر ليلة عند الوزير فى شهر رمضان على السماط فأخذ أبو القاسم بن القطان قطاة مشوية وقدمها الى الحيص بيص فقال الحيص بيص للوزير يامولانا هذا الرجل يؤذينى فقال الوزير وكيف ذلك قال لانه يشير الى قول الشاعر

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا * ولوسلكت سبل المكارم ضلت

وكان الحيص بيص تميميا وقد سبق له ذكر فى شواهد الهزل الذى يراد به الجد وكان ابنه يلقب هرج مرج وابنته دخل خرج * ومما يستظرف لابى القاسم المذكور وهو مما نحن فيه أنه لما ولى الزينبى الوزارة دخل عليه والمجلس حافل بالرؤساء والاعيان فوقف بين يديه ودعاله وأظهر الفرح والسرور ورقص فقال الوزير لبعض من يفضى اليه بسره قبح الله هذا الشيخ فانه يشير برقصه الى قولهم ارقص للقرد فى دولته وقد نظم أبو القاسم المذكور هذا المعنى وكتبه الى بعض الرؤساء

يا كمال الدين الذى * هو شخص مشخص والرئيس الذى به * ذنب دهرى يمحص

كلما قلت قد تبغـ * ـدد قوم تحمصوا وغواش على الرؤ * س عليها المقرنص

ترى أرى سيدى الموفق يخ
تال لنا فى عراصها الرحب
يمشى الهوينا وخلفه عمر
يختال مثل المهاة فى
السرب
وسيدى قلما يشا كله
فى الناس الا ابطرم الرحبى
المدّعى انه بحكمته
علم بقراط صنعة الطب
(وأخبرنى) الاعز بن المؤيد
رحمه الله انه حضر عند بعض
الرؤساء فناوله شمامة
ريحان وورد فصنع فى
الحال

والرواشين والمنا * ظروالخيل تقمص وأناالقرد كل يو * م لكلب أبصبص
كل من صفق الزما * ن له قمت أرقص نحن لا يفيد ذا الشنون منها التبرصص
فتى أسمع النـدا * وقد جاء مخاص

وفي معناه قول ابن عتبة الاشبيلي وكان قد فارق الاندلس وهي مضطربة بدولة ابن هود وقدم مصر فلما سئل عن حاله أنشد

أصبحت في مصر مستضاما * أرقص في دولة القرود
واضيعة العمر في أخير * من النصارى أو اليهود
بالجد رزق اللئام فيهم * لا بذوات ولا جدود
لا تبصر الدهر من يراعي * معنى قصيد ولا قصود
أودّ من لؤمهم رجوعا * للغرب في دولة ابن هود

وعلى ذكر الرقص للقرود فبديع قول أبي الحسن الاهوازي

قلت لمن لام لا تلمني * كل امرئ عالم بشانه * لا ذنب فيما فعلت اني
رقصت للقرد في زمانه * من كرم النفس أن تراها * تحتمل الذل في أوانه

ومنه قول علي بن بسام

لا بقيا نفس من سجود * في زمن القرد للقرود

وقوله أيضا

سجدنا للقرود رجاء دنيا * حوتها دوننا أيدي القرود
فما آلت أناملنا بشيء * علمناه سوى ذل السجود

وكان أبو القاسم بن القطان صاحب نوادر منها أنه دخل يوما على الوزير ابن هبيرة وعنده نقيب الاشراف وكان ينسب الى البخل وكان في شهر رمضان والحر شديد فقال له أين كنت قال في مطبخ سيدي النقيب فقال الوزير ويلك في شهر رمضان في المطبخ قال وحياة مولانا كسرت فيه الحر فتبسم الوزير وضحك الحاضرون وخجل النقيب * وهجا قاضي القضاة جلال الدين الزينبي بقصيدة كافية أولها

يا أخي الشرط أملك * لست للثلب أترك

وهي تزيد على مائة بيت فسير اليه أحد الغلمان فأحضره وصفعه وحبسه فطال حبسه فكتب الى مجد الدين استادار الخليفة

اليك أطلق مجد الدين أشكو * بلاء حصل لست له مطيقا
وقوما بالغواة عنوا محالا * الى قاضي القضاة الندب سيقا
فأحضر في بباب الحكم شخص * غليظ جرّني كما وزيقا
وأخفق نعله بالصفع رأسي * الى أن أوجس القلب الخفوقا
على الخصم الاداء وقد صفعنا * الى أن ما تهدينا الطريقا
فيا مولاي هب ذا الافك حقا * أيحبس بعد ما استوفى الحقوقا

فشفع فيه فأطلقه من الحبس فقال

عند الذي طرّقني أنه * قد غض من قدري وآذاني
والحبس ما غير لي خاطرا * والصفع ما لين آذاني

ويضارع هذا ما حكي أنه كان بمصر شاعر يقال له أبو المكارم بن وزير وكان قد بلغ ابن سنا الملك أنه قد هجاه فأدبه بالصفع وشتمه فكتب اليه ابن المنجم الشاعر

قل للسعيد أدام الله دولته * صديقنا ابن وزير كيف تظلمه
صفعته اذ غدا بجولك منتقما * منه ومن بعد هذا ظلت تشتمه
هجو بهجو وهذا الصفع فيه ربا * والشرع ما يقتضيه بل يحرمه
فان تقل ما الهجو عنده أثر * فالصفع والله أيضا ليس يؤلمه

وما أظرف قول القائل حباها باكرام وقام مبادرا * الى وتد البيت ارعلق خفها

سيداً قد أسدى لنا من أيادي
سه فعالا تنزه الابصارا
قرنت راحتاك بالورد ريحا
نا فأهدت الى الخدود عذارا

(قال علي بن ظافر) دخلت يوما على القاضي الفاضل رحمه الله فجرى في مجلسه من فنون المذاكرة ما أداه الى أن قال كان الرشيد أحمد ابن الزبير قد اجتمعت فيه صفات وأخلاق تقتضي أن تجود معاني الهجاء فيه من ذلك انه كان أسود ولا يزال يدعي الذكاء وان

وكان اذا ما رابه سوء فعلها * يبل قفاه ثم يصفع كفها

وقد كان أبو الفرج بن السوادى الشاعر الواسطى مدح قاضى القضاة الزينبى لما قدم من واسط فتأخرت عنه جائزته فاجتمع بابن القطان وشرح له حاله فكتب الى صديق لقاضى القضاة

يا أبا الفضل الهباء اذا * ضاق صدر منه يتسع * وقوافى الشعر وانبة

ولها الشيطان متبع * فاحذروا كافات مضدر * ما لكم فى صفعه طمع

فاتصلت الابيات بالزينبى فأجاز ابن السوادى وأرضاه ومن نوادر ابن القطان أنه قصد دار بعض الاكابر فى بعض الايام فلم يؤذن له فعز عليه فأخرجوا من الدار طعاما لكلاب الصيد وهو يبصره فقال مولانا يعمل بقول الناس لعن الله شجرة لا تظل أهلها * ومن ظريف التلميح ما حكاه الشيخ فتح الدين بن سيد الناس أن الشيخ بهاء الدين بن النحاس دخل الى الجامع الازهر يوما فوجد أبا الحسين الجزار جالسا والى جانبه مليح ففرق بينهما وصلى ركعتين فلما فرغ قال لابى الحسين ما أردت الا قول ابن سنا الملك وقال أبو الحسين وأنا تفاءلت بقول صاحبنا السراج الوراق أراد ابن النحاس بقول ابن سنا الملك

انا فى مقعد صدق * بين قواد وعلق

وأراد الجزار بقول السراج الوراق

ومهفهف راض الابى فقاده سلس القياد لما توسط بيننا * جرت الامور على السداد

ومحاسن ما أتينا به من التلميح تغتفر الاطالة والله تعالى أعلم

(حسن الابتداء)

((قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * بسقط اللوى بين الدخول فحومل))

البيت من الطويل وهو مطلع قصيدة امرئ القيس السابقة فى شواهد المقدمة والسقط حيث انقطع معظم الرمل ورق واللوى ما التوى من الرمل أو مسترقه والدخول وحومل موضعان (والشاهد فيه حسن الابتداء) ويسمى براعة المطلع وبراعة الاستهلال فبيت امرئ القيس هذا أبدع فيه لانه وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل فى نصف بيت عذب اللفظ سهل السبك وانتقد عليه عدم المناسبة فى الشطر الثانى وأحسن منه فى التناسب وان كان مطلع امرئ القيس أكثر معانى قول النابغة

كلينى لهم يا أميمة ناصب * وليل أقاسيه بطئ الكواكب

فان قسميه متناسبان وألفاظه متلائمة وما سمع أشد مباينة من قسمى بيت جميل فى قوله

ألا أيها النوام ويحكم هبوا * أسائلكم هل يقتل الرجل الحب

وهذا البيت هو الذى قال فيه الرشيد اما للفضل الضبى أو غيره هل تعرف بيتا صفه بدوى فى شملة وباقيه مخنث فى بذلة فأنشده البيت فاستحسن فكره

((قصر عليه تحية وسلام * خلعت عليه جمالها الايام))

البيت لاشجع السلمى من قصيدة من الكامل يمدح بها الرشيد والرواية نثرت بدل خلعت وبعده

فيه اجتلى الدنيا الخليفة والتقى * للملك فيه سلامة وسلام

قصر سقوف المزن دون سقوفه * فيه لاعلام الهدى اعلام

نشرت عليه الارض كسوتها التى * نسج الربيع وزخرف الارهام

أدنتك من ظل النبى وصية * وقرابة وشجت بها الارحام

برقت سماؤك فى العدو فأمطرت * هاما لها ظل السيوف غمام

واذا سيوفك صافحت هام العدا * طارت لهن عن الرؤس الهام

يثنى على أيامك الاسلام * والشاهدان الحل والاحرام

وعلى عدوك يا ابن عم محمد * رصدان ضوء الصبح والاظلام

فاذا تنبه رعته واذا غفا * سلت عليه سيوفك الاحلام

خاطره من نار فقال فيه ابن قادوس

ان قلت من نار خلقـ * ـت وفقت كل الناس فهما

قلنا صدقت فما الذى * أطفاك حتى صرت فحما

وأرسل الى اليمن ولقب علم المهتدين فقال فيه بعض الشعراء من قطعة يخاطب الخليفة

بعثت لنا علم المهتدين * ولكنه علم أسود

يعنى ان الاعلام السود انما تكون للعباسيين وأعلام تلك الدولة بيض

(حـدث) عبدالله بن العباس الربيعى أن أول من أدخل أشجع الى الرشيد الفضل بن الربيع فانه مدحه فوصفه للرشيد وقال هو أشعر شعراء هـذا الزمان وقد اقتطعته عنك البرامكة فأمر باحضاره وايصاله مع الشعراء فلما وصل اليه أنشده هذه القصيدة فاستحسنها وأمر له بعشرين ألف درهم فمدح الفضل بن الربيع وشكر له ايصاله الى الخليفة فقال فيه قصيدته التى أولها

غلب الرقاد على جفون المسعد * وغرقت فى سهر واسبل سرمد
قد جد بى سهر فلم أرقد له * والنوم يغلب فى جفون الرقد
ولطالما سهرت بحبى أعين * أهدى السهاد لها ولما أسهد

ويقول فيها

أأقيم محتملا لضيم حوادث * مع همة موصولة بالفرقد
وأرى مخايل ليس يخلف نوءها * للفضل ان رعدت وان لم ترعد
للفضل أموال أطاف بها الندى * حتى جهدن وجوده لم يجهد
ياابن الربيع حسرت شكرى بالذى * أوليتنى فى عود أمرك والبد
أوصلتنى ورفدتنى وكلاهما * شرف فقأت به عيون الحسد
وكفيتنى منن الرجال بنائل * أغنى يدى عن أن تمد الى يد

(والشاهد فى البيت حسن الابتداء) وقد ضمنه الصلاح الصفدى فى مرثية فقال

صلى وراءك كل من عاصرته * علما بأنك فى البيان امام
وكأن قبرك للعيون اذا بدا * قصر عليه تحية وسلام

ومن محاسن الابتداء قول أبى نواس

خليلى هذا موقف من متيم * فعوجا قليلا وانظراه يسلم

وقوله أيضا

لمن دمن تزداد حسن رسوم * على طول ما أقوت وطيب نسيم

وقول البحترى

بودى لو يهوى العذول ويعشق * ليعلم أسباب الهوى كيف تعلق

وقول أبى تمام

لا أنت أنت ولا الديار ديار * خف الهوى وتقضت الاوطار

وقول المتنبى

أتراها لكثرة العشاق * تحسب الدمع خلقة فى المآقى

وقوله

حشاشة نفس ودعت يوم ودعوا * فلم أدر أى الظاعنين أشيع

وقول ابن المعتز مع تناسب القسمين

أخذت من شبابى الايام * وتولى الصباء عليه السلام

وقول أبى العلاء المعرى

ياساهر البرق أيقظ راقد السمر * لعل بالجزع اعوانا على السهر

وقول ابن هانئ مع بديع الاستعارة

بسم الصباح لأعين الندماء * وانشق جيب غلالة الظلماء

وقول الشريف أبى جعفر البياضى مشيرا الى الرفق بالابل عند السرى

رفقا بهن فما خلقن حديدا * أوما تراها أعظما وجلودا

وقول ابن قاضى ميلة

يذيل الهوى دمعى وقلبى المعنف * وتجنى جفونى الوجد وهو المكلف

وقول التهامى

حازك البين حين أصبحت بدرا * ان للبدر فى التنقل عذرا

وما أرشق قوله بعده

فارحلى ان أردت أو فأقيمى * أعظم الله للهوى فى أجرا
لا تقولى لقاؤنا بعد عشر * لست ممن يعيش بعدك عشرا

وقول على الشطرنجى الحلبى من قصيدة نظامية

وتولى مطابخ الخليفة فقال فيه بعض الشعراء يخاطب الخليفة

تولى على الشئ أشكاله * فتحسب هذا لهذا أخا
تولى على المطبخ ابن الزبير * تولى على مطبخ مطبخا

وكان ينافر فى سوق الشعر ويسرق المعانى فقال فيه ابن قادوس

سلخت أشعار الورى جملة * حتى دعوك الاسود السالخا

فأخذ الاسعد بن الخطير يستحسن هذه القطعة

أماعلاك فدونها الجوزاء * قدرا فماذا ينظم الشعراء

وما أبدع ما قال بعده يرتد عنك الفكر وهو مهند * ويضيق فيك القول وهو فضاء

شرف أناف على السماك وهمة * ضاقت بسرح عزمها الدهناء

وفضائل جاءت أخير زمانها * فخرت على ما سطر القدماء

وقول سعيد بن علي من نظامية

أبى الضيم قلب بين جنبي قلب * وعزم من الشهب الثواقب أثقب

وبديع قوله بعده وكلفني خوض الدجى طلب العلا * ولولا المعالى ما طلبانى مركب

فمالى وللاحي يطيل ملامتى * كأنى لغير المجد أسعى وأدأب

وقول ابن العواذلى من نظامية

لو كان للدهر حس أوله كلم * أثنى عليك بما يثنى به الخدم

قبح الابتداء

(موعد أحبابك بالفرقة غد)

قائله ابن مقاتل الضرير أحد شعراء الجبال فى مطلع قصيدة من الرجز أنشدها الداعى الى الحق العلوى الثائر بطبرستان فقال له بل موعد أحبابك ولك المثل السوء (والشاهد فيه قبح الابتداء) وروى أيضا أنه دخل عليه فى يوم مهرجانه وأنشده

لا تقل بشرى ولكن بشريان * غرة الداعى ويوم المهرجان

فتطير منه الداعى وقال أعمى يبتدئ هذا يوم المهرجان وأمر ببطحه وضربه خمسين عصا وقال اصلاح أدبه أبلغ فى ثوابه (ومن الابتداآت القبيحة) قول جرير يمدح عبد الملك بن مروان أتصحو أم فؤادك غير صاح فانه لما أنشده قال له عبد الملك بل فؤادك يا ابن الفاعلة * ومثله قول ذى الرمة لما دخل على عبد الملك وأنشده قصيدته التى أولها ما بال عينك منها الماء ينسكب وكانت عين عبد الملك تدمع دائما فتوهم أنه خاطبه وعرض به فقال له ما سؤالك عن هذا يا ابن الفاعلة ومقته وأمر باخراجه ومثله قول أبى النجم حين دخل على هشام بن عبد الملك وأنشده أرجوزته فى وصف الشمس

صفراء قد كادت ولما تفعل * كأنها فى الافق عين الاحول

فأمر بوج عنقه واخراجه من الرصافة (ومن قبيح الابتداء) قول البحترى وقد أنشد يوسف بن محمد قصيدته التى أولها لك الويل من ليل تقاصر آخره فقال له بل لك الويل والحرب ومنه ما حكى أن أبا نواس مدح الفضل بن يحيى البرمكى بقصيدة أولها

أربع البلى ان الخشوع لباد * عليك وانى لم أخنك ودادى

فتطير الفضل من هذا الابتداء فلما انتهى الى قوله فيها

سلام على الدنيا اذا ما فقدتم * بنى برمك من رائحين وغاد

استحكم تطيره فلم يمض أسبوع حتى نزلت بهم النازلة ومنه قصة اسحق بن ابراهيم الموصلى مع المعتصم فانه دخل عليه وقد فرغ من بناء قصره بالميدان فشرع فى انشاد قصيدة أولها

يا دار غيرك البلى ومحاك * يا ليت شعرى ما الذى أبلاك

فتطير المعتصم من قبح هذا الابتداء وأمر بهدم القصر على الفور وهذا مع يقظة اسحق وشهرته بحسن المحاضرة وطول خدمته للخلفاء ولكن قد يخبو الزناد ويكبو الجواد مع أنه قيل أحسن ابتداء ابتدأ به مولد قول اسحق الموصلى هل الى أن تنام عينى سبيل * ان عهدى بالنوم عهد طويل

ولقد عيب على أبى الطيب المتنبى خطابه لممدوحه حيث قال

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا * وحسب المنايا أن يكن أمانيا

ومما يهرب منه فى هذا الباب قول مهيار

فقلت له كما تقول الا انه لحن فى قوله الاسود السالخ فانما يقال أسود سالخ وسام أبرص فاللحن يقيم الوزن والصواب يكسره فهو بين خطتى خسف فأخذ فى المشاغبة الى أن قال من أين نقلت هذا فقلت أحضر شاهدى عندك الساعة كتاب الحيات من كتاب الحيوان للجاحظ فقال الجاحظ ليس من أهل اللغة ونقله فى هذا الموضع لا يسمع فقال الاجل الفاضل دع هذا فالصواب

وانك مذخور لاحياء دولة * اذا هى ماتت كان فى يدك النشر

كيف تفاءل لممدوحه بنشر يده وكذلك قوله يتغزل

فى صدرها حجر وتحت صدارها * ماء يشف وبانة تتعطف

فقوله فى صدرها حجر أبشع لفظ لما فيه من ايهام الدعاء وكذلك ابن قلاقس فى قوله

بطلاقة أبدت بصفحة وجهه * وضح الصباح لمن له عينان

حيث جعل الوضح بوجهه ولا يخفى ما فى كثير مما ذكر من الشناعة والتعنت ومنه ما قاله الناصر بن العزيز للحاجرى حين أنشده

وما اخضر ذاك الخد نبتا وانما * لكثرة ما شقت عليه المرائر

عسى هذا الخد كان مسلخا وهذا أمر يطول استقصاؤه وفيما أوردناه مقنع ان شاء الله تعالى

﴿براعة الاستهلال﴾

﴿بشراك قد أنجز الاقبال ما وعدا﴾

هو من البسيط وقائله أبو محمد الخازن من قصيدة يهنئ بها الصاحب بن عباد بسبطه الشريف أبى الحسن عباد بن على الحسنى وتمامه وكوكب المجد فى أفق العلا صعدا وبعده

وقد تفرع فى روض الوزارة عن * دوح الرسالة غصن مورق رشدا

لله آية شمس للعلا ولدت * نجما وغابة عز أطلعت أسدا

وعنصر من رسول الله واشجه * كريم عنصل اسمعيل فاتحدا

وبضعة من أمير المؤمنين زكت * أصلا وفرعا وصحت لحمة وسدى

ومثل هذى السعادات القوية لا * يحوزها غيره دامت له أبدا

يا دهره حق أن تزهى بمولده * فمثله منذ كان الدهر ما ولدا

تعجبوا من هلال العيد يطلع فى * شعبان أمر عجيب قط ما عهدا

فمن موال يوالى الحمد مبتهلا * ومخلص يستديم الشكر مجتهدا

وكادت الغادة الهيفاء من طرب * تعطى مبشرها الاهياف والغيدا

فلا رعى الله نفسا لا تسر به * ولا وقاها وغشاها رداء ردى

وذى ضغائن طارت روحه شفقا * منه وطاحت شظايا نفسه قددا

علما بأن الحسام الصاحبى غدا * مجردا والشهاب الفاطمى بدا

وأنه انسد شعب كان منصدعا * به وأمرع شعب كان مختصدا

وأرفع المجد أعنانا وأسمكه * مجد يناسب فيه الوالد الولدا

فليهنئ الصاحب المولود ولترد الـ * ـسعود تجلو عليه الفارس الصدا

لم يتخذ ولدا الا مبالغة * فى صدق توحيد من لم يتخذ ولدا

ما أشرف معنى هذا البيت وأبدعه وأبرعه ومنها

وخذ اليك عروسا بنت ليلتها * من خادم مخلص ودا ومعتقدا

أهديتها عفو طبعى وانتحيت لها * سحرا وان كنت لم أنفث لها عقدا

وازنت ما قلته شكرا لربك اذ * جاء المبشر يتاسار واطردا

الحمد لله شكرا دائما أبدا * اذ صار سبط رسول الله لى ولدا

وكان الصاحب بن عباد قد قال هذا البيت حين جاءته البشارة وقال أيضا

أحمد الله لبشرى * أقبلت عند العشى * اذ حبانى الله سبطا * هو سبط للنبى

مرحبا ثمت أهلا * بغلام هاشمى * نبوى علوى * حسنى صاحبى

وكان ابن عباد اذا تذكر عبادا هذا يقول

معه وهذا مجمع عليه ولكن عرفنا كيف كان يصنع حتى ينظم المعنى فقلت يترك هذا الوزن وينظمه فى وزن يستقيم عليه الصواب فقال أنظمه لنا فقلت ارتجالا

وسطت أشعار البرية كلها
حتى دعيت لذاك أسود سالخا

فقال مثلك يقول لذاك فقلت حتى دعاك الناس فقال انما كنت أريد أن تنظمه أخصر من بيته ودخل عليه من انقطع طلبه لدخوله فلما سكن

يارب

يارب لا تخلني من صنعك الحسن * يارب حطني في عباد الحسني

ولما فطم عباد قال فيه ابن عباد

فطمت أبا عباد يا ابن الفواطم * فقال لك السادات من آل هاشم

لئن فطموه عن رضاع لبانه * لما فطموه عن رضاع المكارم

وفيه يقول عبد الصمد بن بابك من قصيدة

كسالك الصوم أعمار الليالي * وأعقبك الغنيمة في المآب

ولا زالت سعودك في خلود * تباري بالمدى يوم الحساب

أتاك العز يسحب بردتيه * على ميثاء حالية التراب

ببدر من بني الزهراء سار * تعرى عنه جلباب السحاب

تفرع في النبوة ثم ألقى * بضبعيه الى خير الصحاب

تلاقت لابن عباد فروع الـ * ـنبوة والوزارة في نصاب

فلا تغرر برقدته الليالي * ولا تسعد له الهمم النوابي

فمن خضعت له الاسد الضواري * ترفع عن مغاورة الذئاب

ولما أملك عباد هذا بكريمة بعض أقرباء فخر الدولة قال اسمعيل الشاشي قصيدة أولها

المجد ما حرست أولاه أخراه * والفخر ما التف أقصاه بأدناه

والسعي أجلبه للحمد أصعبه * والذكر أعلاه في الاسماع أغلاه

والفرع أذهبه في الجو أنضره * والاصل أرسخه في الارض أنقاه

اليوم أنجزت الآمال ما وعدت * وأدرك المجد أقصى ما تمناه

يقول فيها اليوم أسفر وجه الملك مبتسما * وأقبلت ببريد السعد بشراه

يقول فيها أيضا قد زف من جده كافي الكفاة الى * من خاله ملك الدنيا شهنشاه

(والشاهد في البيت براعة الاستهلال) وهو أن يكون في الابتداء اشارة الى ما سيق الكلام لاجله فمن ذلك وهو مما يشعر بالتهنئة بزوال المرض قول أبو الطيب المتنبي

المجد عوفي اذ عوفيت والكرم * وزال عنك الى أعدائك السقم

وقول لسان الدين الخطيب المشعر بالتهنئة والنصر على الاعداء

الحق يعلو والاباطل تسفل * والله عن أحكامه لا يسئل

وقول مهيار الديلمي المشعر بالاعتذار

أما وهواها عذرة وتنصلا * لقد نقل الواشي اليها وأمحلا

سعى جهده لكن تجاوز حده * وكثر فارتابت ولو شاء قللا

وقول الباخرزي المشعر بالتهنئة

وفت السعود بوعدها المضمون * وترادفت بالطائر الميمون

وعلا لواء المسلمين وشانهوا * تحقيق آمال لهم وظنون

وقول أبي نصر أحمد بن ابراهيم الكاتب في التهنئة ببناء دار

أهلا بدار أبان بانيها * دلائل المجد في مغانيها دار حكت صدر ربها سعة * تسافر العين في نواحيها

وقول محمد بن أبي العباس السكاني في التهنئة بالوزارة

يبشرني علوك بالوزاره * وذاك الملك أولى بالبشاره

وقول أبي محمد المطراني المشعر بذم المشيب ومدح الشباب

ألم المشيب برأسي نذيرا * وولى الشباب بعيشي نضيرا

المجلس قال تعرف له وجها يذهب النقد عنه ويخلصه من الطعن عليه قلت مولانا أعلم فقال انه حكى عن الناس تلقيبهم اياه بالاسود السالخ فكأنه لحن على الحكاية لا لانه حكى عنه هذا فاستحسناه وان لم يكن صحيحا من الاعذار ثم خرجت فلقيت الاسعد بن عبد الرحمن بن شيث فحكيت له الحكاية فقال لما طلب منك اختصاره كنت تقول وقال على الفور

وأصبح ضوء صباح المشيب * لغربان ليل شبابي مطيرا
كذلك اذا لاح نور البكور * لسود الطيور هجرن الوكورا

(وأبو محمد الخازن) هو عبد الله بن أحمد الخازن قال فيه صاحب اليتيمة هو من حسنات أصبهان وأعيان أهلها في الفضل ونجوم أرضها وأفرادها في الشعر ومن خواص الصاحب ومشاهير صنائعه وذوي السبق في قديم خدمته وكان في اقتبال شبابه وريعان عمره يتولى خزانة كتبه وينخرط في سلك ندمائه ويقتبس من نور آدابه ويستضيء بشعاع سعادته فتصرّف من الخدمة فيما قصر أثره فيه عن الحد الذي يحمده الصاحب ويرتضيه كالعادات في هفوات الشبيبة وسقطات الحداثة فلما كان ذلك بعود بتأديبه اياه وعزله ذهب مغاضبا أو هاربا وترامت به بلدان العراق والشأم والحجاز في بضع سنين ثم أفضت حاله في معاودة حضرة الصاحب بجرجان الى ما يقصه ويحكيه في كتاب كتبه الى صديقه أبي بكر الخوارزمي وذكر فيه عجره وبجره وقد ذكرته تنبيها على بلاغته وبراعته واختصارا للطريق الى معرفة قصته (وهذه نسخته) كتابي أطال الله بقاء الاستاذ سيدي ومولاي من الحضرة التي نرحل عنها اختيارا ونرجع اليها اضطرارا ونسير عن فنائها اذا أبطرتنا النعمه ثم نعود الى أرجائها اذا أدبتنا الغربه ومن لم تهذبه الاقالة هذبه العثار ومن لم يؤدبه والداه أدبه الليل والنهار وما الشأن في هذا ولكن الشأن في عشر سنين فاتت بين علم ينسى وغم لا يحصى وانفاق بلا ارتفاق وأسفار لم تسفر عن طائل ولم تغن عني بريش طائر وبعد عن الوطن على غير بلوغ الوطر ورجعت يشهد الله صفر اليدين من البيض والصفر أتلو والعصر ان الانسان لفي خسر وأنا بين الرجاء في أن أقال العثار والخوف من أن يقال زأر الليث فلا قرار لكنني قد كنت قدمت تطهير نفسي فلججت حتى حججت وعدت بغبار الاحرام وبركة الشهر الحرام وحين خيمت بأصبهان أنهى سيدنا الاستاذ الفاضل أبو العباس أدام الله تمكينه خبري الى الحضرة حرس الله بهاها وسناها والناس ينظرون هل أقبل فيتلقوني بأكرم الرتب أم أسخط فيتحاموني كالبعير الاجرب وورد توقيع مولانا الصاحب كافي الكفاة أطال الله مدته وكبت أعداءه وحسدته بعالي خطه وقد نسخته على لفظه ليعلم مولانا الاستاذ أدام الله عزه ان الكرم صاحبي لا برمكي وعبادي لا حاتمي وانا نتحرم ثم نتندم ونميل على جانب الادلال ثم لا نروي الا من الماء الزلال والتوقيع ذكر مولاي أدام الله عزه عود أبي محمد عبد الله الخازن أيده الله الفناء الذي فيه درج والوكر الذي منه خرج وقد علم الله أن اشفاقي عليه في ايابه لم يكن بأقل منه عند اغترابه فان أحب أن يقيم مدة يقضي فيها وطر الغائب ويضع معها أوزار الآيب فليكن في ظل من مولانا ظليل ورأى منه جميل وبرّ من ديواننا جزيل وان حفزه الشوق فرحبا بمن قربته التربية لدينا فأفسدته العزة علينا وردته التجربة الينا وسبيله أن يرفد بما يزيل شغل قلبه بعياله ويعينه على كل قبل ارتحاله ان شاء الله تعالى لا جرم اني أخذت مالا وأغنيت عيالا وقلت ليس الا الجازه والمفازه وصبحت جرجان عاشرة أهدى من القطا الكدري كأني دعميص الرمل أستاف أختلاف الطرق وأنا مع ذلك أحسب العفو عني حلما ولا أقدر ما جنيت يعقب حلما وكأني ما خطوت الا في التماس قربة ولا أخطأت الا لتأثيل حرمة وكأني لم أفارق الظل الظليل وأخذني بقول الله تعالى فاصفح الصفح الجميل وقد ورد في التفسير أنه عفو من غير عتب وعدنا للقرب في المجالس وكرم اللقاء والمشهد وراجعت أيدينا نقل الصرر وجلودنا لين الحبر وركبنا صهوات الخيل وسحبنا الى دورنا بفضلات الخير وأقبلنا على العلم وصافحنا يد النثر والنظم وراجع الطبع شيء كان يدعي الشعر كذلك آدم عليه السلام أسكن الجنة بمن الله وفضله ثم خرج منها بما كان من جرمه وهو عائد اليها بعفو الله وطوله وحسبي الله ونعم الوكيل (قال الثعالبي) فهذا الكلام كما تراه يجمع بين السهولة والحلاوة وحسن التصرف في لطائف الصنعة ويملك رق الاتقان والابداع والاحسان ويعبر عما وراءه من أدب كثير وحفظ غزير وطبع غير طبع وقريحة غير

وسلمت أشعار الورى فدعوك أسود سالخا (قال علي بن ظافر) بت ليلة أنا والشهاب يعقوب ابن أخت نجم الدين في منزل اعترفت له مشيدات القصور بالانخفاض والقصور وشهدت له ساميات البروج بالاعتلاء والعروج قد ابيضت حيطانه وطاب استيطانه وابتهج به سكانه وقطانه والبدر قد محا خطاب الظلماء وجلا محياه في زورقه قناع السماء وكسا الجدران

قريحة (وأما شعره) فجار مجرى عقد السحر مرتفع الحسن عن الوصف وهو من نظراء الخوارزمي والرستمي وما أصدق قوله

لا يحسن الشعر ما لم يسترق له * حر الكلام وتستخدم له الفكر
انظر تجد صور الاشعار واحدة * وانما المعان تعشق الصور
والمدعون من الابداع قد كثروا * وهم قليلون ان عدوا وان حصروا
قوم لو انهم ارتاضوا لما قرضوا * أو انهم شعروا بالنقص ما شعروا

قال وكان أبو بكر الخوارزمي أنشدني لعامر شعره كقوله في وصف الغبار وذكر أنه لم يسمع في معناه أملح منه

ان هذا الغبار ألبس عطفي * سوادا ودبني التوحيد
وكساعارضي ثوب مشيب * ورداء الشباب غض جديد

وقوله أوهولا بيه أجد

من يستقم يحرم مناه ومن يزغ * يختص بالاسعاف والتمكين
انظر الى الالف استقام ففاته * نقط وفاز به اعوجاج النون

وعكس هذا المعنى أبو طالب يحيى بن زياد فقال

ان كنت تسعى للزيادة فاستقم * تنل المراد ولو سموت الى السما
ألف الكتابة وهو بعض حروفها * لما استقام على الجميع تقدما

(رجع الى شعر الخازن) وله أيضا في الغزل

حث المطي فهذه نجد * بلغ المدى وتزايد الوجد
يا حبذا نجد وساكنها * لو كان ينفع حبذا نجد
وبعضني الوادي لنا رشأ * قد ضل حيث الضال والرند
هندتري بسيوف مقلتها * ما لا ترى بسيوفها الهند

وله أيضا من قصيدة يعتذر فيها الى الصاحب

لنار الهم في قلبي لهيب * فعفوا أيها الملك المهيب
فقد جاز العقاب عقاب ذنبي * وضج الشعر واستعدى النسيب
وفاضت عبرة مهج القوافي * وغصصها التذلل والنحيب
وقد قصمت عراها واعتراها * لسخطك بعد نضرتها شحوب
وقالت ما لعفوك ليس يندى * لنا وسماء مجدك لا تصوب
ومن يك شوط همته بعيدا * فثنى عطفه سهل قريب
تجاوزت العقوبة منتهاها * فهب ذنبي لعفوك يا وهوب
وأحسن انني أحسنت ظني * وأرجو أن ظني لا يخيب
أترضى أن أكون لقى مقيما * على خسف أذوب ولا تثوب
أبيت ومقلتي أبق كراها * وفي أحشائها اصاب صبيب
وقيدا الابلا تمشي طعامي * ولا ينساغ لي الماء الشروب
صببت على سوطا من عذاب * يذل لبأسه الدهر الغلوب
وأرهقني نكيرك لي صعودا * من الاشجان ليس له صبوب
وما عوني عشيلي بلواي الا * رجائي فيك والدمع السكوب
فان تعطف على رجل غريب * فاني ذلك الرجل الغريب
عليك أنيخ آمالي فرحب * بها واليك من ذنبي أتوب

ثيابا من فضه ونثر كافوره على وجه الثرى بعد ان سحقه ورضه والروض قد ابتسم محياه ووشت باسرار محاسنه رباه والنسيم قد عانق قامات الغصون فقبلها وغصبها مباسم نورها وقبلها وعند ما مغنى قد وقع على تفضيله الاجماع وتغايرت على محاسنه الابصار والاسماع ان بدا فالشمس طالعه وان شدا فالورقاء ساجعه ونازله مقلة سراج قد قصر على وجهه

وأخطو ما يريب اذا دهتني * غوامضه الى ما لا يريب
فأية طربة للعفو ان الـ * ـكريم وأنت معناه طروب
فانى لشود ادراك والمغذى * بسيبك والصنيعة والربيب
وأبت اليك من عفو مدلا * بما يقضى علاك لمن يؤوب
ولذت ببابك المعمور علما * بأن ذراك لى مرعى خصيب
وأن شعابه أندى شعاب * اليها يلجأ الرجل الاديب
وسقت نبات آمالى اليها * وقد حفيت وأنضاها الدؤوب
فبوأنى اختصاصك حيث تجنى * ثمار العز والعيش الرطيب
ولكن كان فى خب حقود * لعقرب كيده نحوى دبيب
وما الجوح الفته جنيب * ولا الشمال فرقته جنوب
ولا يشفيه منى لو رآنى * وقد أخذت بمقولى شعوب
بلوت الناس من ناء ودان * وخالطنى القبائل والشعوب
فكل عنده مغمز ركيك * وكل عند مشربه مشوب
فجد لى بالرضا واقبل متابى * وعذرى اننى أسف كئيب

وله من قصيدة صاحبية طويلة

مازلت أعتسف المهامه والفلا * وأواصل الاغوار بالانجاد
حتى نأيت عن الخواطر ملقيا * رحلى بواد فى تخوم بوادى
فاذا بسعدى وهى بدر طالع * من فوق غصن فى نقى مهاد
وطرقتها وعداؤها رقباؤها * فى صورة المرتاب لا المرتاد
فحللت منها حيث كان وشاحها * درعى وساعدها الوثير وسادى
وجمارها حصنى وساحر طرفها * سيفى وفاحمها الاثيث نجادى
وعقاصها الموصول زهرة روضتى * ورضابها المعسول صوب عهادى
حيث الصبا عبق الحواشى مونق * يزهى بناعم غصنه المياد
والروض أحوى والحمائم هتف * والطل ألى والقيان شوادى

ومحاسنه كثيرة وفيما أوردناه كفاية

(هى الدنيا تقول بملء فيها * حذار حذار من بطشى وفتكى)

البيت لأبى الفرج الساوى من قصيدة من الوافر يرثى بها فخر الدولة بن بويه وكان من خبر وفاته كما حكاه العتبى أنه لما فرغ من القلعة التى استحدثها على جبل طبرك ٣ نزل بها من تاحا فاشتهى طرائح من لحم البقر فحضرت بين يديه واحدة وطفق أصحابه يطهون له من أطايبها وهو ينال منها وأتبعها بعناقيد كرم ودارت عليه الكؤس ملأى وِلاء فلم يلبث أن لوى عليه جوفه واتصل على الالم صوته الى أن جثم عليه موته فرثاه الساوى بهذه القصيدة وبعد البيت

ولا يغرركم حسن ابتسامى * فقولى مضحك والفعل مبكى
بفخر الدولة اعتبروا فانى * أخذت الملك منه بسيف ملكى
وقد كان استطال على البرايا * ونظم جمعهم فى سلك ملك
فلو شمس الضحى جاءته يوما * لقال لها اعتوا أف منك
ولو زهر النجوم أتت رضاه * تأبى أن يقول رضيت عنك
فأمسى بعد ما فرع البرايا * أسير القبر فى ضيق وضنك

تحديقه وقابله فقلنا البدر قابل عيوقه وهو يغار عليه من النسيم كلما خفق وهب ويستحيش عليه بتاويح بارقه الموشى بالذهب ويديم لمراقبة حوفته سهده ويبذل فى ألطافه طاقته وجهده فتارة يضمنه بخلوقه وتارة يحليه بعقيقه وآونة يكسوه أثواب شقيقه فلم نزل كذلك حتى نعس طرف المصباح واستيقظ نائم الصباح فصنعت بديها فى المجلس وكتبت

٣ قوله على جبل طبرك فى بعض النسخ على نهر طبرك والذى فى القاموس طبرك محركة قلعة بالرى وقلعة بأصبهان اهـ

أقدر أنه لو عاد يوما * الى الدنيا تسربل ثوب نسك
دعى يا نفس فكرك فى ملوك * مضوا بك فى انقراض ويك فابكى
فلا يغنى هلاك الليث شيأ * عن الظبى السليب قميص نسك
هى الدنيا أشبهها بشهد * يسم وجيفة طليت بمسك
هى الدنيا كمثل الطفل بينا * يقهقه اذ بكى من بعد ضحك
ألا يا قوم منا انتبهوا فانا * نحاسب فى القيامة دون شك

(والشاهد فيه) براعة الاستهلال أيضا فانه يشعر بابتدائه بأنه فى الرثى ومن ذلك قول التهامى فى مرثية ولده وهى من غرر القصائد

حكم المنية فى البرية جارى * ما هذه الدنيا بدار قرار
طبعت على كدر وأنت تريدها * صفوا من الاقذاء والاكدار
بينا يرى الانسان فيها مخبرا * حتى يرى خبرا من الاخبار
ومكلف الايام ضد طباعها * متطلب فى الماء جذوة نار
واذا رجوت المستحيل فانما * تبنى الرجاء على شفير هار
العيش نوم والمنية يقظة * والمرء بينهما خيال سارى
فاقضوا ماآربكم عجالا انما * أعماركم سفر من الاسفار
وتراكضوا خيل الشباب وحاذروا * أن تسترد فانهن عوارى

ومنها
ليس الزمان وان حرصت مسالما * خلق الزمان عداوة الاحرار
ولد المعزى بعضه فاذا مضى * بعض الفتى فالكل فى الآثار
أبكيه ثم أقول معتذرا له * وفقت حين تركت ألأم دار
جاورت أعدائى وجاور ربه * شتان بين جواره وجوارى
أشكو بعادك لى وأنت بموضع * لولا الردى لسمعت فيه سرارى
والشرق نحو الغرب أقرب شقة * من بعد تلك الخمسة الاشبار

ومنها
وطرى من الدنيا الشباب وروقه * فاذا انقضى فقد انقضت أوطارى
قصرت مسافته وما حسناته * عندى ولا آلاؤه بقصار
نزداد هما كلما ازددنا غنى * فالفقر كل الفقر فى الاكثار
ما زاد فوق الزاد خلف ضائع * فى حادث أو وارث أو عار
انى لأرحم حاسدى لحر ما * ضمنت صدورهم من الاوغار
نظروا صنيع الله بى فعيونهم * فى جنة وقلوبهم فى نار
لاذنب لى قد رمت كتم فضائلى * فكأنما برقعت وجه نهار
وسترتها بتواضعى فتطلعت * أعناقها تعلو على الاستار
ومن الرجال مجاهل ومعالم * ومن النجوم غوامض ودرارى
والناس مشتبهون فى ايرادهم * وتفاوت الاقوام فى الاصدار

وهى طويلة وانما أثبت منها ما أثبت ليكون غرة لهذا الكتاب وتذكرة لأولى الالباب ومن القصائد المشعرة بالرثى قول الشريف الموسوى يرثى أبا منصور الشيرازى الكاتب

أى دموع عليك لم تصب * وأى قلب عليك لم يجب
مالى وما للزمان يسلبنى * فى كل يوم غرائب السلب
أما فتى ناضر الصبا كأخى * عندى أوزائد المدى كأبى

بما صنعت الى الاعز بن المؤيد رحمه الله أصف تلك الليلة التى ارتفعت على أيام الاعياد كارتفاع الرؤس على الأجياد بل فضلت على ليالى الدهر كفضل البدر على النجوم الزهر فقلت
غبت عنى يا ابن المؤيد فى وقت شهى يلهى المحب المشوقا
ليلة ظل بدرها يلبس الجدران ثوبا مفضضا مرموقا
وغدا الطل فيه ينثر كافورا فيعلو مسك التراب السحيقا

وانني للشقاء أحسبني * ألعب بالدهر وهو يلعب بي

وقول ابن نباتة يهنئ الملك الافضل صاحب حماه ويعزيه بوالده الملك المؤيد وهي من غرر القصائد

هناء محا ذاك العزاء المقدما * فما عبس المحزون حتى تبسما

ثغور ابتسام في ثغور مدامع * شبيهان لا يمتاز ذو السبق منهما

ترد مجاري الدمع والبشر واضح * كوابل غيث في ضحى الشمس قد همى

والفاتح لهذا الباب أبو نواس وقيل أبو الشيص حيث قال يهنئ الامين بالخلافة ويعزيه بالرشيد

جرت جوار بالسعد والنحس * فلناس في وحشة وفي أنس

والعين تبكي والسن ضاحكة * فنحن في مأتم وفي عرس

يضحكها القائم الامين ويبكيها وفاة الرشيد بالامس

بدران بدر أضحى ببغداد في الخلد وبدر بطوس في الرمس

ومنه قول صالح بن عبد القدوس

ورب مغروس يلذ به * فقدته كف مغترسه وكذاك الدهر مأتمه * أقرب الاشياء من عرسه

وقول يعقوب بن الربيع أتت البشارة والنعي معا * بأقرب مأتمها من العرس

ولابي دلامة يعزي بالمنصور ويهنئ بالمهدي

عيناي واحدة ترى مسرورة * بأميرها جذلا وأخرى تذرف

تبكي وتضحك تارة ويسوءها * ما أنكرت ويسرها ما تعرف

فيسوءها موت الخليفة محرما * ويسرها أن قام هذا الارأف

ما ان رأيت كما رأيت ولا أرى * شعرا أرجله وآخر ينتف

هلك الخليفة يالأمة أحمد * وأتاكم من بعده من يخلف

أهدى لهذا الله فضل خلافة * ولذاك جنات النعيم تزخرف

ولمروان بن أبي الجنوب يرثي المعتصم ويهنئ الواثق

أبو اسحق مات ضحى فهنا * وأمسينا بهارون حيينا

لئن جاء الخميس بما كرهنا * فقد جاء الخميس بما هوينا

وبديع قول ابن قلاقس

خلف السعيد به الشهيد فأدمع * منهلة في أوجه تتهلل

ما كان هذا راحل وثناؤه * باق وذا باق ثناه يرحل

ولنذكر هنا من مطالع المتأخرين ما يزري بمطالع البدور ويبهر نظمه محاسن الدر المنثور فمن ذلك قول القاضي الفاضل زار الصباح فكيف حالك يا دجى * قم فاستتر بفرعه أو فانضبا

وقوله أيضا يخاطب العاذل

أخرج حديثك من سمعي فما دخلا * لا ترم بالقول سهما ربما قتلا

وما ألطف ما قال بعده ولا يخفى على قلبي حديثك لي * لا والذي خلق الانسان والجبلا

وقوله سمعتك والقلب لم يسمع * فكم ذا تقول وكم لا يعي * يقول وما عنده أنني

بغير فؤاد ولا أضلع * أما مع هذا الفتى قلبه * فقلت نعم يا فتى ما معي

وقول ابن النبيه يا ساكني السفح كم عين بكم سفحت * نزحتم فهي بعد البعد قد نزحت

وقوله رنا وانثنى كالسيف والصعدة السمرا * فما أكثر القتلى وما أرخص الاسرى

وقول ابن قلاقس كم مقلة للشقيق الغض رمداء * انسانها سابح في دمع أنداء

وقوله قفا فالاسى مني زفيرا وأدمعا * أكانا لهم الا مصيفا ومربعا

وتبدى النسيم يعتنق الاغصان لما سرى عناقا رفيقا

بت فيها امنادما للصديق

خل بين الانام خلا صدوقا

هو مثل الهلال وجها صبيحا

ومثال النسيم ذهنا رقيقا

وغزال كالبدر وجها وغصن البان قدا والحمرة الصرف ريقا

مظهر للعيون ردفا مهيلا

وحشى ناحلا وقدا رشيقا

ان تغنى سمعت داود أولا

ح تأملت يوسف الصديقا

واذا قابل السراج رأينا

منه بدرا يقابل العيوقا

وقول الظهير البارزى يذكرنى وجدى الحمام اذا غنى * لاناكلانا فى الهوى نعشق الغصنا

وقول ابن العفيف أعز الله أنصار العيون * وخلد ملك هاتيك الجفون

وما أظرف ما قال بعده وضاعف بالفتور لها اقتدارا * وجدد نعمة الحسن المصون

وصان حجاب هاتيك الثنايا * وان ثنت الفؤاد الى الشجون

وأسبغ ظل ذاك الشعر يوما * على قدّ به هيف الغصون

وخلد دولة الاعطاف فينا * وان جارت على القلب الطعين

وقوله أيضا أدام الله أيام الوصال * وخلد عمر هاتيك الليالى

وأسبغ ظل أعطاف التدانى * وزاد قدودها حسن اعتدال

ولازالت ثمار الوصل فيها * تزيد لطافة فى كل حال

ولا برحت لنا فيها عيون * تغازل مقلتى حشف الغزال

وقول شيخ شيوخ حماه حروف غرامى كلها حرف اغراء * على أن سقمى بعض أفعال أسماء

وقوله أهلا بطيفكم وسهلا * لو كنت للاغفاء أهلا

لكنه وافى وقد * حلف السهاد على أن لا

وقوله وبلاه من نومى المشرّد * وآه من شعلى المبدّد

وقول ابن عنين ماذا على طيف الاحبة لوسرى * وعليهم لوسامحونى بالكرى

وقول ابن نباتة المصرى

فى الريق سكر وفى الاصداغ تجعيد * هذى المدام وهاتيك العناقيد

وقوله مداورت لواحظه دلالا * فيا أمهى الغزالة والغزالا

وقوله أيضا سلبت عقلى بأحداق وأقداح * ياساجى الطرف أو ياساقى الراح

وما ألطف ما قال بعده

سكران من مقلة الساقى وقهوته * فاترك ملامك فى السكرين ياصاح

وقوله انسان عينى بتحصيل السهاد ملى * عمرى لقد خلق الانسان من عجل

وقوله قام يرنو بمقلة كحلاء * علمتنى الجنون بالسوداء

وقوله نفس عن الحب ما حادت وما غفلت * بأى ذنب وقال الله قد قتلت

وقوله لام العذار أطالت فيك تسهيدى * كأنه الغرامى حرف توكيد

وقول الصفى الحلى قفى ودّعينا قبل وشك التفرق * فما أنا من يحيا الى حين نلتقى

وقول الوداعى بدر اذا ما بدا محياه * أقول ربى وربك الله

وقول ابن نباتة معارضا له اذا اغار لنك عيناه * سهم لحاظ أجارك الله

وقول الحاجرى لك أن تشوّقنى الى الاوطان * وعلى أن أبكى بدمع قانى

وقول ابن النقيب قلدت يوم البين جيد مودّعى * دررا نظمت عقودها من أدمعى

ولنحبس لسان القلم عن بث أسرار هذه المطالع وعنان البنان عن الركض مع فرسان هذه المعامع

(يقول فى قومس قومى وقد أخذت * منا السرى وخطا المهرية القود)

(أمطلع الشمس تبغى أن تؤم بنا * فقلت كلا ولكن مطلع الجود)

شاهد التخلص

البيتان من البسيط وقائلهما أبو تمام فى عبد الله بن طاهر ولهما خبر يذكر (حدّث) محمد بن العباس اليزيدى قال حدثنى عمى الفضل قال لما شخص أبو تمام الى عبد الله بن طاهر وهو بخراسان أقبل الشتاء وهو هناك فاستثقل البلد وقد كان عبد الله وجد عليه وأبطأ بجائزته لانه نثر عليه ألف دينار فلم يمسها بيده ترفعا بها فأغضبه وقال يحتقر فعلى ويترفع على فكان يبعث اليه بالشئ بعد الشئ كالقوت فقال أبو تمام

وأظن الصباح هام بعرآ * ه فابدى قلبا حريقا خفوقا

ذاك نجم مالاح فى الجدر كافو * ر رياض الا كساه خلوقا

ما بدا نرجس الكواكب الا * قام فى قومه بنا شقيقا

واذا ما بدت جواهرها فى الـ * جوّ أبدوا فى الارض منهم عقيقا

فغدونا تحت الدجى نتعاطى * من رقيق الآداب خمرا رقيقا

وجعلنا بما تناطيب ذكرا * لك خلناه عنبرا مفتوقا

ذاك وقت لولا مغيبك عنه * كان بالمدح والثناء خليقا

لم يبق للضيف لا رسم ولا طلل ✽ ولا قشيب فيستكسى ولا سمل
عدل من الدمع أن يبكى المضيف كما ✽ يبكى الشباب ويبكى اللهو والغزل
يمنى الزمان انقضى معروفها وغدت ✽ يسراه وهى لنا من بعده بدل

فبلغت الابيات أبا العميثل شاعر آل عبد الله بن طاهر فأتى أبا تمام واعتذر اليه لعبد الله بن طاهر وعاتبه على ماعتب عليه من أجله وضمن له ما يحبه ثم دخل الى عبد الله بن طاهر فقال أيها الامير أتتهاون بمثل أبى تمام وتجفوه فوالله لو لم يكن له من النباهة فى قدره والاحسان فى شعره والشائع من ذكره ماله لكان الخوف من شره والتوقى من ذمه يجب به على مثلك رعايته ومراقبته فكيف له بنزوعه اليك عن الوطن وفراقه للسكن قاصدا بك أمله معملا اليك ركابه متعبا فيك فكره وجسمه وفى ذلك ما يلزمك قضاء حقه حتى ينصرف راضيا ولو لم يأت بفائدة ولا سمع فيك منه ماسمع الا قوله وأنشد البيتين المستشهد بهما فقال له عبد الله لقد نبهت فأحسنت وشفعت فلطفت وعاتبت فأوجعت ولك ولابى تمام العتبى ادعه ياغلام فدعا به فنادمه يومه وأمر له بألفى دينار ومايحمله من الظهر وخلع عليه خلعة تامة من ثيابه وأمر بيذرقته الى آخر عمره وقد أخذ أبو تمام البيتين بلفظهما من مسلم بن الوليد حيث يقول

يقول صحبى وقد جدوا على عجل ✽ والخيل تستن بالركبان فى اللجم
أمطلع الشمس تبغى أن تؤم بنا ✽ فقلت كلا ولكن مطلع الكرم

وقد أخذ ذلك بعدهما أبو اسحق الغزى فقال

تقول اذا حثثناها فظلت ✽ تناجينا بألسنة الكلال
الى أفق الهلال مسير ركبى ✽ فقلنا بل الى أفق النوال

وقومس بضم القاف وآخرها سين مهملة صقع كبير بين خراسان وبلاد الجبل والمهرية بفتح الميم الابل المنسوبة الى مهر بن حيدان والقود الطوال الظهور والاعناق واحدها أقود (والشاهد فيهما) حسن التخلص وهو الخروج مما ابتدئ به الكلام من نسيب أو غيره الى المقصود مع رعاية الملاءمة بينهما وهو قليل فى كلام المتقدمين وأبدع ما أوردوه لهم قول زهير بن أبى سلمى

ان البخيل ملوم حيث كان ولـ ✽ كن الجواد على علاته هرم

ومنه قول الفرزدق وركب كأن الريح تطلب عندهم ✽ لها ترة من جذبها بالعصائب
سروا يخبطون الليل وهى تلفهم ✽ الى شعب الاكوار من كل جانب
اذا آنسوا نارا يقولون ليتها ✽ وقد خصرت أيديهم نار غالب

وقول أبى نواس يمدح الخصيب صاحب مصر

تقول التى من بيتها خف محملى ✽ يعز علينا أن نراك تسير
أما دون مصر للغنى متطلب ✽ بلى ان أسباب الغنى لكثير
فقلت لها واستعجلتها بوادر ✽ جرت فجرى فى اثرهن عبير
دعينى أكثر حاسديك برحلة ✽ الى بلد فيه الخصيب أمير
اذا لم تطأ أرض الخصيب ركابنا ✽ فأى فتى بعد الخصيب تزور
فتى يشترى حسن الثناء بماله ✽ ويعلم أن الدائرات تدور
فما جازه جود ولا حل دونه ✽ ولكن يصير الجود حيث يصير

وقوله

واذا جلست الى المدام وشربها ✽ فاجعل حديثك كله فى الكاس
واذا انتزعت عن الغواية فليكن ✽ لله ذاك النزع لا للناس
واذا أردت مديح قوم لم تمن ✽ فى مدحهم فامدح بنى العباس

وقول مسلم بن الوليد أجدك هل تدرين كم رب ليلة ✽ كأن دجاها من قرونك تنشر

فأجاب عنها على الوزن دون الروى

قد أتتنى من الجمال قصيد
بالهامن قصيدة غراء
جمعت رقة الهواء وطيب الـ
ـمسك فى سبكها وصفو الماء
فأرتنا ابداعه وشذاه
والذى حازذهنه من ذكاء
سيدى هل جمعت فيها الاكـ
ـيا أخا المجد أم نجوم السماء
أتحفتنى حسنا وحق أيادي
ـك التى لا تعد بالاحصاء
فتركت الجواب والله عجزا
فابسط العذر فيه يامولائى

لهوت بها حتى تجلت بغرة * كغرة يحيى حين يمدح جعفر

وقول أبي تمام من قصيدة

فالارض معروف السماء قرى لها * وبنو الرجاء لهم بنو عباس

وقوله

لا والذى هو عالم أن النوى * صبر وأن أبا الحسين كريم

وقد عيب عليه هذا التخلص كما عيب على المتنبي قوله

غدا بك كل خلو مستهاما * وأصبح كل مستور خليعا

أحبك أو يقولوا جر نمل * ثبيرا وابن ابراهيم ريعا

وما أحسن قول البحترى رياض تردت بالنبات مجودة * بكل جديد الماء عذب الموارد

اذا راوحتها مزنة بكرت لها * شآبيب مجتاز عليها وقاصد

كأن يد الفتح بن خاقان أقبلت * عليها بتلك البارقات الرواعد

وقول المتنبي يمدح أحمد بن عمران من قصيدة

ومطالب فيها الهلاك أتيتها * ثبت الجنان كأنني لم آتها

ومقانب بمقانب غادرتها * أقوات وحش كن من أقواتها

أقبلتها غرر الجياد كأنما * أيدى بنى عمران فى جبهاتها

وقوله يمدح ابن عامر ويعرض بذكر أبيه بعد وفاته من قصيدة

ويوم وصلناه بليل كأنما * على أفقه من برقه حلل حمر

وليل وصلناه بيوم كأنما * على متنه من دجنه حلل خضر

وغيث ظننا تحته أن عامرا * علا لم يمت أو فى السحاب له قبر

وقوله يمدح سيف الدولة

خليلى مالى لا أرى غير شاعر * فكم منهم الدعوى ومنى القصائد

فلا تعجبا ان السيوف كثيرة * ولكن سيف الدولة اليوم واحد

وقول أبي العلاء من قصيدة ولو أن المطى لها عقول * وحقك لم تشد لها عقالا

مواصلة بها رحلى كأنى * من الدنيا أريد بها انفصالا

سألن فقلن مقصدنا سعيد * فكان اسم الامير لهن فالا

وقول الناشى

وليل له نجم كليل عن السرى * تحير لا يهدى لقصد ولا يهدى

كأنى وابن الغمد والطرف أنجم * على قصدها والنجم ليس على قصد

الى أن رأيت الفجر والسر خاضب * جناحيه ورساعل بالعنبر الوردى

وحلت يد الجوزاء عقد وشاحها * ازاء الثريا وهى مقطوعة العقد

فقلت أخيل التغلبى مغيرة * أم الفجر يرمى الليل سدا على سد

ومما استحسن لابن حجاج من المخالص قوله من قصيدة

ألا يا ماء دجلة لست تدرى * بأنى حاسد لك طول عمرى

ولو أنى استطعت سكرت سكرا * عليك فلم تكن يا ماء تجرى

فقال الماء قل لى كل هذا * بما استوجبته ياليت شعرى

فقلت له لانك كل يوم * تمر على أبي الفضل بن بشر

تراه ولا أراه وذاك شئ * يضيق عن احتمالك فيه صدرى

ومن مخالصه على طريقته المشهورة فى السخف والمجون قوله

وقد بادلتها فبالمعالى * بعشورة استها ولها اقذالى

هل يسامى الثرى الثريا وأنى * يبلغ النجم فرط نورذكاء

﴿قال على بن ظافر﴾ وقد ضمنت هذا الكتاب البديع النظم الغريب الاسم ماوقع لى الى هذا التاريخ من حكايات البدائه وكل ما فيه من الحكايات المسجوعة لخاطرى جالب دره وحالب دره وساكب قطره الا ما استثبت به وقد جاء علالة السائر وأنس المسامر وملهاة الساهر ولولا ضيق الصدر بازدحام وفود الهموم ومارآن على شمس البصيرة

كالابن العميد جميع مدحي * ودنيا ابن العميد جميع مالي

ومن الخالص البديعة قول مهيار الديلمي يمدح سيف الدولة بن مزيد

تسعى السقاة علينا بين منتظر * بلوغ كأس ووثاب فستلب

كأنما قولنا للبابلي أدر * سلافة قولنا للمزيدي هب

وقوله يمدح فخر الملك أرى كبدي وقد بردت قليلا * أمات الهم أم عاش السرور

أم الايام خاقتني لأني * بفخر الملك منها أستجير

وقوله من قصيدة عينية يمدح بها الوزير عميد الدولة مطلعها

لو كان برفق ظاعن بمشيع * ردوا فؤادي يوم كاظمة معي

ان شاء بدءهم الحيا فلينسكب * أو شاء ظل غمامه فليقلع

يقول فيها فقيل حسمي في ظلال ربوعهم * كاف وشربي من فواضل أدمعي

لزمت جفوني في الديار فأخصبت * فغنيت أن أرد المياه وأرتعي

فكأن دمعي مد من أيدي بني * عبد الرحيم ومائها المتسع

وكأن ليلى من تفاوت طوله * أسيافهم موصولة بالاذرع

وقول الارجاني يمدح ولي الدين الكاتب من قصيدة

تركتني معانيا المعاني * وأعادت أعاديا أصدقائي

كدرت مشربي وقد كان عين الشمس والماء دونه في الصفاء

بعد عهدي به شتى وهي خضراء * تنثني كالبانة الغناء

وأموري كأنها ألفات * خطهن الولي في الاستواء

وقوله يمدح سديد الدولة الانباري مترسل الخلافة من قصيدة

أقسمت ما كل هذا الضيم محتمل * ولا فؤادي على ما سمت صبار

الا لأنك مسني اليوم نازلة * بالقلب حيث سديد الدولة الجار

وقوله يمدح شهاب الدين أحمد بن أسعد الطغرائي من قصيدة مطلعها

اذا لم يخش صب فقيم عتاب * وان لم يكن ذنب فيم يتاب

أجل مالنا الا هواكم جناية * فهل عندكم غير الصدود عقاب

يقول في مخلصها فلا تكثرن شكوى الزمان فانما * لكل ملم جيئة وذهاب

وقد كان ليل الفضل في الدهر داجيا * الى أن بدا للناظرين شهاب

وقول أبي نصر محمد الاصفهاني

بتنا نظن الليل ما اكتسب الدجى * حتى نعاه صباحه بظلام

ودنا الثريا للمغيب كأنها * بيد اللاكي نضدت لنظام

والصبح قد صدع الظلام كراية * بيضاء في سود من الاعلام

أو رأي مولانا الوزير اذا احتبى * يمحو ظلام الشك في الاحكام

وقال بعده مع الزيادة في الغلو

وذا الهلال لو أنه لجواده * نعل وحافره أوان تمام

تالله لو أصغى هواه مشرك * لأقيم عند الله خير مقام

أستغفر الله من ذلك ومن الخالص البديعة الفائقة قول أبي القاسم بن هانئ الاندلسي في قصيدته البديعة التي منها

بعيشك نبه كأسه وجفونه * فقد نبه الابريق من بعد ما أغفى

وقد فكت الظلماء بعض قيودها * وقد قام جيش الليل للصبح واصطفا

من تكاثف غيوم الغموم لتكلفت مشقة الحث وأنضيت ركائب البحث فلا أزال في الطلب موضعا حتى لا أرى الزيادة موضعا الا ما تنتجه الخواطر في الازمان الآنفه وتولده الفكر في الاعصار الرادفه وقد عقدته عقدا لا يعقبه فسخ ونظمته نظما محكما لا يعتريه نسخ فهما اطلعت عليه بعد ذلك من البدائع الواقعة في الازمنة الخاليه أو مما تجدد في الازمنة الآتيه جمعته وجعلته كالتتمة له حتى لا أفض ختامه ولا أفتق كمامه والله تعالى يوقعه عند الجناب المحمول اليه موقع الرضا عنه والقبول له والاقبال عليه انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير وصلى الله على سيدنا محمد زين الملاح وعلى آله وصحبه أولي الوجوه السماح وسلم تسليما كثيرا آمين

وولت نجوم الثريا كأنها * خواتيم تبدو فى بنان يد تخفى
ومر على آثارها دبرانها * كصاحب ردء كمنت خيله خلفا
وأقبلت الشعرى العبور ملية * بمرزمها اليعبوب تجنبه طرفا
كأن بنى نعش ونعشا مطافل * بوجرة قد أضللن فى مهمه خشفا
كأن سهيلا فى مطالع أفقه * مفارق إلف لم يجد بعده إلفا
كأن سهاها عاشق بين عوّد * فآونة يبدو وآونة يخفى
كأن المزيج الآبنوسى وهنة * سرى بالنسيج الخسروانى ملتفا
كأن ظلام الليل اذ مال ميلة * صريع مدام بات يشربها صرفا
كأن السماكين اللذين تظاهرا * على كتديه ضامنان له الحتفا
كأن معلى قطبها فارس له * لواآن مركوزان قد كره الزحفا
كأن قدامى النسر والنسر واقع * ضعفن فلم تسم الخوافى به ضعفا
كأن أخاه حين دوّم طائرا * أتى دون نصف البدر فاختطف النصفا
كأن رقيب الصبح أجدل مرقب * يقنّص تحت الليل فى ريشه طرفا
كأن عمود الصبح خاقان عسكر * من الترك نادى بالنجاشى فاستخفى
كأن لواء الشمس غرة جعفر * رأى القرن فازدادت طلاقته ضعفا

ومثلها فى الحسن والوزن والقافية قول الدماجى

سلا ظبية الوعساء هل فقدت خشفا * فانا لمحناه فى مراتعها الطفا
وقولا لخوط البان فلتمسك الصبا * علينا فانا قد عرفنا ابها عرفا
سرت من هضاب الشأم وهى مريضة * فاظهرت الا وقد كان يخفى
عليلة أنفاس تداوى بها الجوى * وضعفا ولكنا رجى بها ضعفا
وهاتفة فى البان تملى غرامها * علينا وتتلو من صبابتها صحفا
عجبت لها تشكو الفراق جهالة * وقد جاوبت من كل ناحية إلفا
ويشجو قلوب العاشقين حنينها * وما فهموا مما تغنت به حرفا
ولو صدقت فيما تقول من الاسى * لما لبست طوقا ولا خضبت كفا
أجارتنا أذكرت من كان ناسيا * وأضرمت نار الصبابة لا تطفى
وفى جانب الماء الذى تردينه * مواعيد ما ينكرن لينا ولا خلفا
ومهزوزة البان فيها شمائل * جعلن له فى كل قافية وصفا
لبثنا عليها بالثنية ليلة * من السود لم يطو الصباح لها سجفا
لعمرى ان طالت علينا فاننا * بحكم الثريا قد قطعنا لها كفا
رميناها فى الغرب وهى رميمة * ولم نبق للجوزاء عقدا ولا شنفا
كأن الدجى لما تولت نجومه * مدبر حرب قد هزمنا له صفا
كأن عليه للمجرة روضة * مفضضة الانوار أو نثرة زغفا
كأنا وقد ألقى الينا هلاله * سلبناه جاما أو قصمناه وقفا
كأن السها انسان عين غريقة * من الدمع يبدو كلما ذرفت ذرفا
كأن سهيلا فارس عاين الوغى * ففر ولم يشهد طرادا ولا زحفا
كأن سنا المريخ شعلة قابس * تخطفها عجلان يقذفها قذفا
كأن أفول النسر طرف تعلقت * به سنة ما هب منها ولا أغفى

تاريخ الطبعة الاولى للعلامة الشيخ محمد قطه العدوى رحمه الله

هذى جنان أم لآل * جيد الزمان بهن حال
أم ذى بدور أسفرت * محيت بها ظلم الليال
أم ذى عرائس أبيات * تختال فى حلل الجمال
أم ذى بدائع مثلت * بالطبع ليس لها مثال
جمعت محاسن جمة * عن حصرها عجز المقال
سحرت بها ألبابنا * لكنه السحر الحلال
جادت بهن بدائه * عرفت بها قيم الرجال

كأن نصير الملك سلّ حسامه * على الليل فانصاعت كواكبه كسفا

ولحازم صاحب المقصورة قصيدة طائية حذا فيها هذا الحذو وهى بديعة فأحببت أن أعزز هاتين القصيدتين بها ومطلعها

أمن بارق أورى بجنح الدجى سقطا * تذكرت من حلّ الابارق فالسقطا

(يقول فيها بعد أبيات)

وكم ليلة قاسيتها نابغية * الى أن بدت شيبا ذوائبها شمطا

وبت أطارد الشهب مثلى لها هوى * وأغبطها فى طول التنائى اغتبطا

على أنها مثلى على عزيزة مطلب * ومن ذا الذى ماشاء من دهره يعطى

كأن الثريا كاعب أزمعت نوى * وأمّت بأقصى الغرب منزلة شحطا

كأن نجوم الهقعة الزهر هودج * لها عن ذرى الحرف المناخة قد حطا

كأن رشاء الدلو رشوة خاطب * لها جعل الاشراط فى مهرها شرطا

كأن السها قد دق من فرط شوقه * اليها كما قد دقق الكاتب النقطا

كأن سهيلا اذ تناءى وأنجدت * غدا يائسا منها فأتهم واغتطا

كأن خفوق البرق قلب متيم * تعدّى اليه الدهر فى البين واشتطا

كأن كلا النسرين قد ربع اذ رأى * هلال الدجى يهوى له مخلبا ماطا

كأن الذى ضم القوادم منهما * هوى واقعا للارض أو قص أوقطا

كأن أخاه رام فوتا أمامه * فلم يعد أن مد الجناحين وارثطا

ومثلها فى الحسن قول على بن محمد الكوفى من قصيدة

متى أرتجى يوما شفاء من الضنا * اذا كان جانيه على طبيبى

ولى عائدات شققهن بجفن فى * لباس سواد فى الظلام قشيب

نجوم أراعى طول ليلى بروجها * وهن ابعد السير ذات لغوب

خوافق فى جنح الظلام كأنها * فؤاد معناة بطول وجيب

ترى حوتها فى الشرق ذات سباحة * وعقربها فى الغرب ذات دبيب

اذا ما هوى الاكليل منها حسبته * تهدّل غصن فى الرياض رطيب

كأن التى حول المجرة أوردت * لتكرع فى ماء هناك صبيب

كأن رسول الصبح يخلط فى الدجى * شجاعة مقدام بجبن هيوب

كأن احمرار الفجر صرح مجرّد * وفيه لآل لم تشن بثقوب

كأن سواد الليل فى ضوء صبحه * سواد شباب فى بياض مشيب

كأن نذير الشمس يحكى ببشره * على بن داود أخى ونسيبى

ولولا اتقائى عتبه قلت سيدى * ولكن يراها من أجل ذنوبى

نسيب اخاء وهو غير مناسب * قريب صفاء وهو غير قريب

ومن المحاسن البديعة قول القاضى الفاضل من قصيدة يمدح بها خليفة الفاطميين فى ذلك العصر مطلعها

ترى لحنينى أو حنين الحمائم * جرت فحكت دمعى دموع الغمائم

وما أحلى قوله بعده وهل من ضلوع أو ربوع ترحلوا * فكل أراها دارسات المعالم

دعوا نفس المقروح يحمله الصبا * وان كان يهفو بالغصون النواعم

تأخرت فى حمل السلام عليكم * لديها لما قد حملت من سمائم

فلا تسمعوا الاحديثا الناظرى * يعاد بألفاظ الدموع السواجم

وبها ابن ظافر اعتنى
فامتاز فى هذا المجال
أدنى لنا منه البعيد
وكان قد عز المنال
بمؤلف سهل بديع
رائق الاسلوب حال
فلذاك عنوا طبعه
يا صاح من أسنى الخلال
لاسيما فى مصر ذا
ت الفضل فى ماض وحال
وطن المعارف أمرها
لاشك فيه ولا جدال
فبطبعه فيها حوى
فخرا وللقلب استمال
فلاجل ذا لما انتهى
قالت لنا بلسان حال
قد تم طبعا أرخوا
ببهاى قد بلغ الكمال
٢٠ ١٠٤ ١٠٣٢ ١٢٢
سنة ١٢٧٨

فان فؤادى بعدكم قد فطمته * عن الشعر الامد حة لابن فاطم

ومنها قول شيخ شيوخ حماه من قصيدة دالية نبوية مطلعها

ويلاه من نوى المشرّد * وآه من شمل المبدّد

ولم يزل يدير على خصوره هذه الالفاظ الرقيقة وشاحات معانيه البديعة الى أن قال

أكسبنى نشوة بطرف * سكرت من خمره فعربد

غصن نقا حل عقد صبرى * بلين خصر يكاد يعقد

فمن رأى ذلك الوشاح الصائم صلى على محمد

ومثله قوله يمدح الملك الناصر صلاح الدين يوسف من قصيدة مطلعها

لنا من ربة الخالين جاره * تواصل تارة وتصد تاره

تعاملنى بما يحلى سلوى * ولكن ليس فى جوفى مراره

ولم تزل أعين هذا الغزل الرقيق تغازل الى أن قال

وقالوا قد خسرت الروح فيها * فقلت الربح فى تلك الخساره

بأسمر نظرة أسرت فؤادى * كانشأ اللهيب من الشراره

وفتك طرفها فيقول قلبى * أشن ترى صلاح الدين غاره

وقوله من قصيدة يمدح بها الملك الامجد

ظبية حكم ظبا مقلتها * عزة الظبى وذل الاسد

كنت فى ذلك الهوى مجتهدا * وهى كانت زلة المجتهد

كملت حسنا فلولا بخلها * خلتها بعض خلال الامجد

ومنها قول ابن قلاقس من قصيدة يمدح بها أبا المنصور نور الدين محمود اعين الامراء بالديار المصرية

ماذا على العيس لو عادت بربتها * بقدر ما انتقاضاها المواعيدا

ردّ الركاب لأمر عنّ فى خلدى * وسمه فى بديع الحسن ترديدا

وقف أبثك ما لاق الحديد له * فان صدفت فقل لى كنت داودا

حلت عرى النوم من أجفان ساهرة * ردّ الهوى هدبها الحسن معقودا

تفجرت وعصا الجوزاء تضربها * فأذكرتنى موسى والجلاميدا

بأنعل الفجر يا سرحان أوّله * كل الثريا فقد صادفت عنقودا

ولم يزل ينثر در هذا النظم الى أن قال

مالى وما للقوافى لا أسيرها * الا وأقصد محروما ومحسودا

أسكرتهم بكؤس النظم مترعة * ولم أنل منهم الا العرابيدا

سمعت بالجود معقودا نائله * يقول لى قد وجدت الجود موجودا

الحمد لله لا والله ما نظرت * عيناى بعد أبى المنصور محمودا

وقوله من قصيدة يمدح بها الشيخ سديد الدين المعروف بالحصرى

سقى مصر اوساكنها وبل * صليل البرق صخاب الرعود

موارد من له ظمأ شديد * ولكن لا سبيل الى الورود

هل الرأى السديد البعد عنها * نعم ان كان للشيخ السديد

وقول القاضى سعيد بن سنا الملك يمدح القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانى

ضنت بطرف ظل يعدى سقمه * أرأيتم من ضن حتى بالضنا

يا عاذلين جهلتم قدر الهوى * فعذلتم فيه ولكنى أنا

انى رأيت الشمس ثم رأيتها * ماذا على اذا هويت الاحسنا
وسألت من أى المعادن ثغرها * فوجدت من عبد الرحيم المعدنا
أبصرت جوهر ثغرها وكلامه * فعلمت حقا ان هذا من هنا

وقوله من قصيدة يمدح بها الملك المعظم عيسى مطلعها

تقنعت لكن بالحبيب المعمم * وفارقت لكن كل عيش مذمم
وباتت يدى فى طاعة الحب والهوى * وشاحا لخصر أو سوارا لمعصم
سعدت ببدر خده برج عقرب * فكذب عندى قول كل منجم
وأقسم ما وجه الصباح اذا بدا * بأوضح منه حجة عند لوّمى
ولاسيما لما مررت بمنزل * كفضلة صبر فى فؤاد متيم
وما بان لى الا بعود أراكة * تعلق فى أطرافه ضوء مبسم
وقفت بها أعتاض عن لثم مبسم * شهى لقلبى لثم آثار منسم
ولم يرطرفى قط شملا مبددا * فقابله الا بدمع منظم
ولم يسل قلبى أوفى عن غزالة * وعن غزل الا مديح المعظم

وقول البهاء زهير من قصيدة يمدح بها الامير ناصر الدين اللمطى مطلعها

لها خفر يوم اللقاء خفيرها * فما بالها ضنت بما لا يضيرها
أعادتها أن لا يعاد مريضها * وسيرتها أن لا يفك أسيرها

يقول فيها

وها أنا ذا كالطيف فيها صبابة * لعلى اذا نامت بليل أزورها
من البيد لم توقد مع الليل نارها * ولكنها بين الضلوع تثيرها
تقاضى غريم الشوق منى حشاشة * مروّعة لم يبق الا يسيرها
وان الذى أبقته منها يد الهوى * فداء بشير يوم وافى نصيرها

وقوله يمدح الملك الناصر صلاح الدين بن العزيز من قصيدة مطلعها

عرف الحبيب مكانه فتدللا * وقنعت منه بزورة فتعللا
وافى الرسول ولم أجد فى وجهه * بشرا كما قد كنت أعهد أوّلا

ولم يزل هائما فى طريقته الغرامية الى أن قال

آه القلب ما خلا من لوعة * أبدا يحن الى زمان قد خلا
ورسوم جسم كاد يحرقه الهوى * لولم تبادره الدموع لأشعلا
ولقد كتمت حديثه وحفظته * فوجدت دمعى قد رواه مسلسلا
أهوى التذلل فى الغرام وانما * يأبى صلاح الدين أن أتذللا
مهدت بالغزل الرقيق لمدحه * وأردت قبل الفرض أن أتنفلا

وقول ابن النبيه من قصيدة يمدح بها الخليفة الناصر لدين الله مطلعها

باكر صبوحك أهنى العيش باكره * فقد ترنم فوق الايك طائره
والليل تجرى الدرارى فى مجرته * كالروض تطفو على نهر أزاهره

يقول فيها

واجسر على فرص اللذات محتقرا * عظيم ذنبك ان الله غافره
فليس يخذل فى يوم الحساب فتى * والناصر ابن رسول الله ناصره

ومن مخالصه الموسوية من قصيدة مطلعها

يانار أشواقى لا تخمدى * لعل ضيف الطيف أن يهتدى

الى أن قال

عازلنا من نرجس ذابل * وافترّ عن نور اقاح ندى

وقام يلوي صدغه قائلا * لا تغتر بي فكذا موعدي
فقلت بالله أمات الوفا * فقال موسى لم يمت خذ يدي

وقوله فيه
يا طالب الرزق قد سدت مذاهبه * قل يا أبا الفتح يا موسى وقد فتحت

وقوله فيه
بتنا وقد لف العناق جسومنا * في بردتين تكرم وتعفف
حتى بدا فلق الصباح كجحفل * راياته رنك الامير الاشرف

وقوله فيه من قصيدة
يذود شبا القنا عن وجنتيها * كنبع الشوك للورد الجني
اذا ما رمت أقطفه بعيني * يقول حذار من مرعى ردي
لسان السيف من أدنى وشاتي * ومن رقبائي طرف السمهري
كأن بجفنها في كل قلب * فعال المشرفي الاشرفي

وقول الشاب الظريف محمد بن العفيف من قصيدة يمدح بها ابن عبد الظاهر مطلعها
روح بعينك مما أنت معتقل * أمضى الاسنة ما فولاذه الكحل
يا من بريتنا المنايا واسمها نظر * من السيوف المواضي واسمها مقل
ما بال ألحاظك المرضى تحاربني * كأنما كل لحظ فارس بطل
من دونها كتب من دونها حرس * من دونهم القضب من دونها أسل
ومعشر لم تزل في الحرب بيضهم * حمر الحدود وما من شأنها الخجل
يثني حديث الوغى أعطافهم طربا * كأن ذكر المنايا بينهم غزل
من كل ذي طرة سوداء يلبسها * وشيها من غبار الحرب متصل
ضاءت بحسنهم تلك الخيام كما * ضاءت بوجه ابن عبد الظاهر الدول

وقول أبي الحسين الجزار يمدح موسى بن يغمور من قصيدة
وهيفاء تحكي الظبي جيدا ومقلة * رنت وانثنت فازدهت بالبيض والسمر
جسرت على لثم الشقيق بخدها * ورشف رضاب لم أزل منه في سكر
ولست أخاف السحر من لحظاتها * لاني بموسى قد أمنت من السحر
فتى ان سطا فرعون فقر وجدته * يغرقه من جود كفيه في بحر
له باليد البيضاء أعظم آية * اذا اسودت الايام من نوب الدهر

وقوله يمدح فخر القضاة نصر الله بن بصاقة
وكم ليلة قد بتها معسرا ولي * بزخرف آمالي كنوز من اليسر
أقول لقلبي كلما اشتقت للغنى * اذا جاء نصر الله تبت يدا الفقر

وقول شيخ الاسلام ابن دقيق العيد غاية هنا وهو
كم ليلة فيك وصلنا السرى * لا نعرف الغمض ولا نستريح
واختلف الاصحاب ماذا الذي * يزيل من شكواهم أو يريح
فقيل في تعريسهم ساعة * وقيل بل ذكراك وهو الصحيح

وهو مأخوذ من قول ذي الرمة
وشوان من طول النعاس كأنه * بحبلين من مشطونة يترجح
اذا مات فوق الرحل أحييت روحه * بذكراك والعيس المراسيل جنح

وقد أجاب ابن نباتة عن أبيات شيخ الاسلام بقوله
في ذمة الله وفي حفظه * مسراك والعود بعزم نجيح * لو جاز أن تسلك أجفاننا
اذن فرشنا كل جفن قريح * لكنها بالبعد معتلة * وأنت لا تسلك الا الصحيح

وقول السراج الوراق

صدقوا قد نظروا الورد مسبج * هل رأوه في عذار من بنفسج
عشق الناس ولا مثل الذى * همت وجدا فيه فانظر وتفرج
من رأى بدرا وغصنا ونقا * قد تجلى وتثنى وترجرج
وجهه نسخة حسن حررت * ولها من عارض سطر مخرج
ذو وشاح مثل قلبى قلق * وازار مثل صدرى منه محرج
وأصم قد تحت أسماعه * بقواف كم بها يفتح مرتج
قال شعرك أم درّ على * أنه أبهى من الدرّ وأبهج
قلت تاج الدين فيه وصفه * قال هذا ملك الشعر المتوج

وقول ابن نباتة يمدح قاضى القضاة تاج الدين السبكى من قصيدة

قد أسرج الحسن حتيه فدونك ذا * سراج خد على الاكباد وهاج
وأليم العذل فاركب فى محبته * طرف الهوى بعد إلجام وإسراج
وقسم الشعر فاجعل فى محاسنه * شذر القلائد وأعد الدرّ للتاج

وقول القيراطى يمدح سيف الدين الكريمى من قصيدة

فوعده وناظره وجسمى * سقيم فى سقيم فى سقيم
كريم مال بخلا عن ودادى * فلت لضو مخدوم كريم

وقول ابن حجلة فى ممدوحه صدقة

طرقت باب الحبيب والرقبا * عليه من خيفة اللقا حنقه
قالوا فما تبتغى فقلت لهم * حتى تخلصت ابتغى صدقه

وقول الفاضل على بن مليك من قصيدة نبوية

حاولت زورتى فنم عليها * قرطها فى الدجى ومسك الغلاله
ثم لما أن سلمت اذكرتنى * مدح من سلمت عليه الغزاله

وقد آن أن نتخلص من سرد هذه المحاسن البديعة الى غيرها فالشرح قد طال وربما يحدث منه الملال

الاتفاق.

(لو رأى الله أن فى الشيب خيرا * جاورته الابرار فى الخلد شيبا)
(كل يوم تبدى صروف الليالى * خلقا من أبى سعيد غريبا)

البيتان لابى تمام من قصيدة من الخفيف يمدح بها محمد بن يوسف أولها

من سجايا الطلول أن لا تجيبا * فصواب من مقلتى أن تصوبا
اسألنها واجعل بكاك جوابا * تجد الشوق سائلا ومجيبا
قد عهدنا الرسوم وهى عكاظ * للصبا تزدهيك حسنا وطيبا
أكثر الارض زائرا ومزورا * وصعودا من الهوى وصبوبا
وكعابا كأنما ألبستها * غفلات الشباب بردا قشيبا
بين البين فقدها قلما تعـ * ـرف فقدا للشمس حتى تغيبا
لعب الشيب بالمفارق بل جـ * ـدّ فأبكى تماضرا ولعوبا
خضبت خدها الى لؤلؤ العقـ * ـد دما أن رأت شوائى خضيبا
كل داء يرجى الدواء له الا الفظيعين ميتة ومشيبا
يانسيم الثغام ذنبك أبقى * حسناتى عند الحسان ذنوبا
ولئن عبن ما رأين لقد أنـ * ـكرن مستنكرا وعبن معيبا

أو تصدّ عن قلى فكفى بالشيب بيني وبينهن حسيبا

وبعده البيتان والرواية في الديوان فضلا بدل خيرا والقصيدة طويلة والشيب بكسر الشين المعجمة جمع شائب والرغيب الواسع (والشاهد فيه الاقتضاب) ويسمى الاقتطاع والارتجال وهو أن ينتقل الشاعر عما ابتدأ به الكلام الى ما يلائمه وهذا مذهب العرب الجاهلية والمخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والاسلام مثل لبيد وحسان والشعراء الاسلاميون قد يتبعونهم في ذلك ويجرون على مذهبهم كأبي تمام هنا والبحتري بقوله من غير ارتباط بما قبله

وردنا الى الفتح بن خاقان انه * أعم ندى منكم وأيسر مطلبا

وهو كثير في شعره حتى ان السلمانى الشاعر عرّض به في قوله

يعتابنى فاذا التفت أبان عن محض صحيح وثبا كوثب البحتري من النسيب الى المديح

وكأبي نواس وهو الغالب على شعره كقوله يمدح الامين بن الرشيد

يا كثير النوح في الدمن * لا عليها بل على السكن سنة العشاق واحدة * فاذا أحببت فاستكن
ظن بي من قد كلفت به * فهو يجفوني على الظنن قام لا يعنيه ما لقيت * عين مهجور من الوسن
رشأ لولا ملاحته * خلت الدنيا من الفتن ما بدا الا استرق له * حسنه عبدا بلا ثمن
فاسقني كأسا على عذل * كرهت مسموعه أذني من كميت اللون صافية * خير ما سلسلت في بدني
ما استقرت في فؤاد فتى * فدرى ما لوعة الحزن مزجت من صوب غادية * حلبته الريح من مزن
تضحك الدنيا الى ملك * قام بالآثار والسنن

فهو كما تراه انتقل من الغزل الى المديح من غير تخلص

(الانتهاء)

(واني جدير اذ بلغتك بالمنى * وأنت لما أملت منك جدير)
(فان توليني منك الجميل فأهله * والا فاني عاذر وشكور)

البيتان لابي نواس من قصيدة من الطويل يمدح بها الخصيب صاحب مصر أولها

أجارة بيتينا أبوك غيور * وميسور ما يرجى لديك عسير
فان كنت لا خلما ولا أنت زوجة * فلا برحت دوني عليك ستور
وجاورت قوما لا تجاور بينهم * ولا وصل الا أن يكون نشور
فما أنا بالمشغوف ضربة لازب * ولا كل سلطان على قدير
واني لطرف العين بالعين زاجر * فقد كدت لا يخفى على ضمير

وهي طويلة وتقدم ذكر شئ منها في حسن التخلص وقد عارضها أحمد بن دراج القسطلي بقصيدة طنانة منها

ألم تعلمي أن الثواء هو التوى * وأن بيوت العاجزين قبور
تخوفني طول السفار وانه * لتقبيل كف العامري سفير
دعيني أرد ماء المفاوز آجنا * الى حيث ماء المكرمات غمير
فان خطيرات المهالك ضمن * لراكبها أن الجزاء خطير
ولما تدانت للوداع وقد هفا * بصبري منها أنة وزفير
تناشدني عهد المودة والهوى * وفي المهد مبغوم النداء صغير
عيي بمرجوع الخطاب ولحظه * بموقع أهواء النفوس خبير
فكل مفداة الترائب مرضع * وكل محياة المحاسن ظير
عصيت شفيع النفس فيه فقادني * رواح لتدآب السرى وبكور
وطار جناح البين بي وهفت بها * جوانح من ذعر الفراق تطير
لئن ودعت مني غيورا فانني * على عزمتي من شجوها لغيور

ولو شاهدتني والهواجر تلتظي * عليّ ورقراق السراب يمور
أسلط حرّ الهاجرات اذا سطا * على حرّ وجهي والاصيل هجير
وأستنشق النكباء وهي لوافح * وأستوطئ الرمضاء وهي تفور
وللموت في عين الجبان تلوّن * وللذعر في سمع الجريء صفير
لبان لها أني من الضيم جازع * وأني على مضّ الخطوب صبور
ولو أبصرتني والسرى جلّ عزمتي * وجوسي لجنات الفلاة سمير
وأعسف الموماة في غسق الدجى * وللأسد في غيل الغياض زئير
وقد حوّمت زهر النجوم كأنها * كواعب في خضر الحدائق حور
ودارت نجوم القطب حتى كأنها * كؤوس مهاً والى بهنّ مدير
وقد خيلت طرق المجرة أنها * على مفرق الليل البهيم قتير
وثاقب عزمي والظلام مروّع * وقد غض أجفان النجوم فتور
لقد أيقنت أن المنى طوع همتي * وأني بعطف العامري جدير

قال ابن فضل الله ومن وقف على هذه القصيدة وقصيدة أبي نواس عرف فضل قائلها على من تقدم وشهد له بأنه سبق وان تأخر وجزم بأن الرجال معادن وأن لكل زمان محاسن ولم يشك أن الخواطر موارد لا تنزح وأن الافكار مصابيح لا تطفى وأن الافهام مراء لا تتناهى صورها وأن العقول سحائب لا ينفد مطرها وعلم أن المعاني غير متناهية والفضائل غير متوارية وأن أم الليالي لولود وأن الفضل في كل حين لمشهود وأن هذا الشاعر في قصيدته هذه التي عارض بها أبا نواس لم يدع له عارضا يستمطر ولا عارضة تذكر وأنه لحقيق أن ينشد

واني وان كنت الاخير زمانه * لآت بما لم تستطعه الاوائل

(يروى) أن أبا نواس لما قدم على الخصيب صادف في مجلسه جماعة من الشعراء ينشدونه مدائح لهم فيه فلما فرغوا قال الخصيب ألا تنشدنا يا أبا علي فقال أنشدك أيها الامير قصيدة هي بمنزلة عصا موسى تلقف ما يأفكون فأنشده هذه القصيدة فاهتز لها وأمر له بجائزة سنية (وفي كتاب آداب الغرباء) أن أبا نواس كان عائدا من الشأم الى بغداد قال فاني على ظهر فرسي اذ ترنمت بهذه الابيات تقول التي من بيتها خف محملي الابيات المارّة في حسن التخلص قال فسمعت ورائي شهقة فالتفت فاذا شيخ عليه أطمار رثة يقود فرسا أعجف وهو متقلد سيفه فقال لي أعدها يا أبا نواس هذه الابيات فأعدتها فقال لمن هذه قلت لي امتدحت بها الخصيب أمير مصر قال ما أرفدك قلت انه ملأ فيّ جوهرا بعته بمائة ألف درهم قال أتعرفه قلت نعم قال أنا والله الخصيب فلما عرفته نزلت عن دابتي وقبلت يده ورجله فقال لا تفعل ثم سألته عن حاله وسبب تغير أمره فقال لي قولك الدائرات تدور قال فدفعت اليه جميع ما كان معي من مركوب ونفقة وثياب وسألته قبول ذلك فأبى وقال والله لا أخذت من يد أرفدتها ثم ركب دابته وتركني ومضى (وحدث) معاوية بن صالح الطبراني قال ماج الناس في مصر بسبب السعر فبلغ الخصيب وهو يشرب مع أبي نواس فقال دعني أيها الامير أسكنهم فقال ذلك اليك فخرج أبو نواس حتى وافى المسجد الجامع فصعد على المنبر واعتمد على عضادتيه وحوّل وجهه للناس وعليه ثياب مشهرات فقال

منحتكم يا أهل مصر نصيحتي * ألا فخذوا من ناصح بنصيب
ولا تثبوا وثب السفاه فتركبوا * على ظهر عاري الظهر غير ركوب
فان يك باق إفك فرعون فيكم * فان عصا موسى بكف خصيب

قال فتفرق الناس ولم يجتمعوا بعده (وحدث) مطيع خادم البرامكة قال كنت واقفا على رأس الرشيد اذ دخل أبو نواس فقال أنشدني قولك في الخصيب

فان يك باق افك فرعون فيكم * فان عصا موسى بكف خصيب

فأنشده فقال الرشيد ألا قلت فباق عصا موسى بكف خصيب فقال أبو نواس هذا أحسن والله ولكنه لم يقع لى (وحكى) اسمعيل بن اسباط قال لما قال أبو نواس منحتكم يا أهل مصر نصيحتى رأى الخصيب فى المنام قائلا يقول يا خصيب مافوق هذا المدح مدح قال فأجاوزه قال نجعة كلب قال وما نجعة كلب قال ألف قال من أى الحجرين قال من الصفر فلما أصبح صبح أبا نواس بألف دينار فقال أبو نواس

أنت الخصيب وهذه مصر * فتدفقا فكلاكما بحر

(وقال ابن قتيبة) لما قال أبو نواس فان يك باق افك فرعون فيكم وبلغ الرشيد فقال يا ابن اللخناء أنت المستخف بنبى الله موسى عليه السلام وقال لابراهيم بن نهيك لا يأوين أبو نواس عسكرى من ليلته فقال له ياسيدى فأجل ثمود فضحك وقال اجله ثلاثا فبعث الأمين الى ابراهيم فقال والله لئن مسست منه شعرة لأقتلنك فأقام عند ابراهيم حتى مات الرشيد وأخرجه محمد الامين سنة تسع وتسعين ومائة وهو ابن اثنتين وخمسين سنة قال أبو عبد الله حمزة قد غلط ابن قتيبة فى التاريخ لان الامين ولى الخلافة سنة ثلاث وتسعين ومائة فى جمادى الآخرة والجدير الخليق بالشئ (والشاهد فيهما الانتهاء) ويسمى حسن المقطع وحسن الخاتمة وهو أن يختم الناظم أو الناثر كلامه بأحسن خاتمة لانه آخر ما يعيه السامع ويرتسم فى النفس ومثل البيت الاول قول بعضهم

وانى خليق من نداك بمثلها * وأنت بما أملت منك خليق

وقول الآخر

جدير أنا بالشكر كما * أنت بالطول وبالحسنى جدير

وقول ابن شداد

جدير بالشكر أنت فشكرى * لك والحمد دائما والثناء

حسن الانتهاء

(بقيت بقاء الدهر يا كهف أهله * وهذا دعاء للبرية شامل)

البيت من الطويل ونسب لابى العلاء المعرى ونسبه ابن فضل الله لابى الطيب المتنبى ولم أره فى ديوان واحد منهما (والشاهد فيه حسن الانتهاء) ومنه قول أبى تمام معتذرا فى آخر قصيدة

فان يك ذنب عن أو تلك هفوة * على خطأ منى فعذرى على عمد

وقول أبى الطيب فى ختام قصيدة

فلا حطت لك الهيجاء سرجا * ولا ذاقت لك الدنيا فراقا

وقول أبى العلاء المعرى ولا زال لك الايام ممتعة * بالأل والحال والعلياء والعمر

وقول الأرجانى بقيت ولا أبقى لك الدهر كاشحا * فانك فى هذا الزمان فريد

علاك سوار والممالك معصم * وجودك طوق والبرية جيد

وقول ابراهيم الغزى بقيت بقاء الدهر ما ذر شارق * وغار جديد المكرمات وأنجدا

وقول الخوارزمى بقيت لنا تجود مدى الليالى * فانك ما بقيت لنا بقينا

وقول الرستمى بقيت مدى الدنيا وملكك راسخ * وظلك ممدود وبابك عامر

يودّ سناك البدر والبدر زاهر * ويقفو نداك البحر والبحر زاخر

وهنئت أياما أتتك سعودها * كما تتوالى فى العقود الجواهر

وقول ابن النبيه دمتم بنى أيوب فى نعمة * تجوز فى التخليد حد الزمان

والله لا زلتم ملوك الورى * شرقا وغربا وعلى الضمان

وقول شيخ شيوخ حماه

فلا زلت فى ملك جديد مؤيد * تدين لك الدنيا وتصفو لك الاخرى

ولا زال للايام طول على الورى * وما الطول الا أن تطيل لك العمرا

وقول ابن سنا الملك بقيت حتى يقول الناس قاطبة * هذا أبو الياس أو هذا أبو الخضر

وقول ابن نباتة

فابق عالي المقام داني العطايا * قاهر الباس ظاهر الانباء

يفني عدوك العيش حتى * لا تمني له امتداد البقاء

وقول مؤلفه مترجيا حسن الختام لمن سطر باسمه بديع هذا النظام

لازال من سطر ذا باسمه * يبقى بقاء الفلك الدائر

ومن يناويه يعش بائسا * يصحب ذيل الخاسئ الخاسر

﴿قال مؤلفه رحمه الله تعالى﴾ وكان الفراغ من تأليفه وتوشيته وتفويفه بالقاهرة المعزية عام واحد وتسعمائة ومن زبره وتحريره يوم الاربعاء المبارك الثاني والعشرين من شهر رمضان المعظم قدره وحرمته عام أربعة وثلاثين وتسعمائة وذلك على يد مؤلفه الفقير الحقير المعترف بالعجز والتقصير عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد العباسي ستر الله عيوبه وغفر ذنوبه ولمن نظر فيه ودعا له بالمغفرة والرحمة وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

حمدا لمن كمل الادباء بمحاسن اللطائف فأفصحوا عن بديع المعاني بأحاسن الالفاظ وطرائف النتائف والصلاة والسلام على النبي الكريم المخصوص بأشرف السجايا المتميز بأعظم العطايا وعلى آله أولي الفضائل وأصحابه الذين لهم أحسن الشمائل ﴿وبعد﴾ فقد تم طبع كتاب معاهد التنصيص شرح شواهد التلخيص تأليف الاديب العلامه الاريب الفهامه الشيخ عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد العباسي رحمه الله وجعل الجنة متقلبه ومثواه * وكان تمام طبعه الباهر الباهي وتمثيله الزاهر الزاهي بالمطبعة البهيه التي بحارة حوش قدم بمصر المحميه ادارة الراجي من الله حسن الوفا حضرة محمد أفندي مصطفى في أوائل شهر القعدة الحرام من سنة ١٣١٦ من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وعلى آله الكرام وصحابته الفخام

